

المتن عن يونس عن المسيح الإلهي كسيت

دكتور جورج حبيب بياوي

٢٠٢٠

الْمُنْعَنُ بَوْنُ عَنْ الْمَسِيحِيَّةِ
الْإِنْثُؤْ كَسِيَّةِ

دكتور جورج حبيب بياوي

٢٠٢٠

الكتاب : المتغربون عن المسيحية الأرثوذكسية
المؤلف : الدكتور جورج حبيب بباوي
الناشر : جذور للنشر - ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
الطبعة : الأولى ٢٠٢٠
رقم الإيداع : ٢٠١٩/٢٣٢٦٠
الترقيم الدولي : 978-977-5086-29-7
المطبعة : جي سي سنتر ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
١٤ ش محمود حافظ . ميدان سفير . مصر الجديدة



جدول المحتويات

٧	تقديم
١١	الشركة في الطبيعة الإلهية والتفسير الحرفي المرفوض أرثوذكسياً
١٢	١- المعاني الأربعة لكلمات الوحي المقدس
٢٠	٢- غياب قواعد الحوار
٢٣	٣- استحالة استخدام المعنى الحرفي
٣٠	٤- الوسيط الواحد بين الله والإنسانية
٣٨	٥- الشركة في الطبيعة الإلهية حسب التدبير
٤٢	٦- تدبير الخلاص يعني تدبير الشركة، وأهمية حرف الجر "في" حسب كلمات القديس أناسيوس
٤٥	ظاهرة سوء استعمال المفردات، واللغة بشكل عام، وأثرها على التسليم الرسولي للإيمان
٥٥	"عقيدة الفداء والكفارة" بحث نقدي كتابي وآبائي لكتاب نيافة الأنبا بيشوي مطران دمياط
٥٧	الفصل الأول: تخبط وضباب كثيف وقفرات طائشة
٦٨	الفصل الثاني: كيف تطفو سادية الغضب على سطح كلمات مقدسة؟
٧٨	الفصل الثالث: هل من محا الصك هو نفسه الذي دفع الدين؟
٨٦	الفصل الرابع: العدل الإلهي والتمن
١٠١	الحاشية الأولى: غضب الله مُعلن من السماء (رو ١ : ١٨)
١٠٧	الحاشية الثانية: "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة؛ لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجلدته شُفِيتُمْ" (١ بط ٢ : ٢٤) "الذي لم يعرف خطية صار خطية" (٢ كو ٥ : ١)
١١٧	رسالة إلى المرتدين عن المسيحية الأرثوذكسية

ملحق

- ١٥٥ الفصول الأثنى عشر ضد الذين ينكرون الشركة في الطبيعة الإلهية
- ١٧٥ التفكير والتكفير، والانقضاء على النعمة، ومجد الإنسان في يسوع المسيح رب المجد
- ٢٠١ يسوع التاريخ، حوار مع تراثنا الأبائي
- ٢١٤ الأمية الأرثوذكسية وفقدان التمييز
- ٢١٨ الحلول الأقمومي ... عدو مزعوم، ومعارك مختلقة
- ٢٣٨ الأريوسية الجديدة، وقرارات مجمع الكنيسة القبطية بمنع الكتب
- ٢٤٤ الأريوسية الجديدة وأبدية التدبير:
- ٢٤٤ ١- محاولات فاشلة
- ٢٥٣ ٢- صراع الكنيسة الجامعة مع الغنوصية
- ٢٦٠ ٣- اللوغوس خالق الكون ومدبره، التعليم الذي نسيناه
- ٢٧٤ ٤- هل مات المسيح عوضاً، أم نحن كنا فيه؟ مشكلة الأريوسية قديماً وحديثاً
- ٢٨٩ ٥- الحد الفاصل بين الأرثوذكسية، والأريوسية قديمها وجديدها
- ٣٠٠ يسوع المسيح هو الإنسان الوحيد في تاريخ البشرية الذي لم يعيش لنفسه
- ٣٠٦ عودة إلى موضوع وراثه الخطية
- ٣٢٣ العهد الجديد والشريعة.
- ٣٣٢ تعلم الكذب والتزوير على يد الأنبا بيشوي.
- ٣٤٤ الإرتداد عن المسيحية الأرثوذكسية في كتابات الأنبا شنودة والأنبا بيشوي
- ٣٩٦ الهجوم على أساسات التدبير. (١)
- ٤١٥ هل يمكن أن يُختزل التاريخ في شخص ما؟
- ٤٢١ مرة ثانية: "الأجلنا وعنا" بين (بدلية) الأنبا بيشوي، والتسليم الكنسي
- ٤٤٠ كيف تحولت المحبة الإلهية الثالوثية من علاقة شركة الجوهر بين أقانيم الثالوث إلى طاقة وقوة؟

- ٤٤٤ الشيطان، الحيَّة القديمة، دائماً ما يأخذ أشكالاً جديدةً
- ٤٤٩ السياق التاريخي لمؤتمر العقيدة القبطية الأرثوذكسية ٢٠١٦
- ٤٥٦ المعارك العقائدية المفتعلة
- ٤٧١ هل إنكار وراثه الخطية الأصلية، هرطقة؟ (أسئلة مشروعة)
- ٤٧٨ ماذا بعد هذه الحرب المعلنة على التاريخ والعقيدة، ولمصلحة مَنْ تدور
رحى هذه الحرب؟

ملحق

- ٥٢٧ ١- الاستعداد للتناول رسالة موجزة للأب صفرونيوس.
- ٥٢٩ ٢- رسالة القديس باسيليوس رقم ٩٣ عن التناول.
- ٥٣٠ ٣-
- ٥٣٣ نكتة "التأصيل الأبائي" في تعليم قداسة الأنبا شنودة الثالث.
- ٥٣٧ البدلية العقابية، آخر معقل للأريوسية والنسطورية
- ٥٥٤ محنة أم الشهداء
- ٥٦١ أستاذنا د. مورييس تواضروس، هل نسى التاريخ المعاصر؟
- ٥٦٦ نيافة الأنبا بيشوي بين الإصرار على "الخطية الأصلية"،
والإدعاء أن الروح الإنسان هو الروح القدس.
- ٥٧١ الابنُ له المجد، هو قوةُ الآب والقوة لا يمكن فصلها عن الأقنوم
دراسة موجزة
- ٥٧٧ مؤسسة الأنبا بيشوي مطران دمياط للكذب والتدليس
- ٥٨٧ إلى الأنبا بيشوي والأنبا موسى: ماذا فعلتم بالرب يسوع المسيح؟
- ٥٩٧ هل من نهاية لهذا الخراب الذي يقوده الجهل لغرس الكراهية والبغضة؟
- ٦٠٥ هل أصبح التأويل عقائد؟
- ٦١٢ تأله ناسوت الرب يسوع المسيح
- ٦٢٩ مرثاة

- ٦٣١ هل ورث الرب يسوع الخطيئة أو الموت؟
- ٦٣٨ هل لنا شركة في الفداء؟
- ٦٤٦ الوسيط والشفيع، ليس بديلاً لأحد
- ٦٥٨ الإيمان المسيحي وقضايا الغيب
- ٦٦١ هل ما يزال هناك شكٌّ في عدم صحة التعليم بالخطيئة غير المحدودة؟
- ٦٦٥ الاستنساخ والتسليم الرسولي
- ٦٧١ الموت العقابي أو البدلي!!! ماذا يعني الاحتكام إلى أنثاسيوس؟
- ٦٩٢ الرد على ما جاء على لسان الأنبا روفائيل في برنامج بستان العقيدة.
- ٦٩٨ اللاهوت القبطي
- ٧٠٦ دعوةٌ لاستشراف مستقبل الكنيسة القبطية
- ٧٠٦ الأبحاث والحوار طريق المستقبل
- ٧١٠ المستقبل ليس مجهولاً

تقديم

استغرقت كتابة مواد هذا الكتاب ما يقرب من اثني عشر عاماً، أي منذ إنشاء موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في عام ٢٠٠٧ وحتى عام ٢٠١٩، فجميع مواد هذا الكتاب سبق نشرها على هذا الموقع. وقد تكون هذه الفترة - اثني عشر عاماً - زمناً طويلاً لتأليف كتاب، إلا إذا كان هذا الكتاب بمثابة شهادتي على التعليم المعاصر والسائد في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ليس في هذه الفترة فقط، بل وفيما يتعدها لتشمل ما ساد من تعليم منذ سبعينيات القرن الماضي، والذي مازال بعض الإكليروس وأتباعهم يتمسكون به عن جهل، بل ويستمتتون في الدفاع عنه بشراسة؛ لأن التنازل عنه بمثابة تنازل عما نالوه من سلطة ليس لديهم أي استعداد للتنازل عنها أياً كان الثمن، حتى لو كان الثمن هو الحفاظ على التسليم الرسولي!

إذن، فهذه هي شهادتنا عن العصر الذي عشناه بكل ما فيه من حلولٍ ومُمرِّ معاً، نقدمها للتاريخ؛ حتى لا نفقد الذاكرة ونتوه في حاضرتنا المشحون بالعديد من التحديات التي تواجهنا كأقباط مصريين، حيث لا انفصال عندنا بين الكنيسة والوطن؛ لأن الكنيسة هي قطعة من مصر، والتي لم تكن يوماً من الأيام غير ذلك، وعشقنا لأُم الشهداء هو في آنٍ معاً عشقٌ لمصر، والعشق واحدٌ لا ينقسم.

لقد شرحنا ما استطعنا شرحه على أملٍ أن تحيى أجيالٌ تكمل المسيرة الشاقة التي لم نسعَ نحن إليها، وإنما سعى غيرنا إلى تهميش وجودنا، مرةً بإطلاق أكاذيب تناولت حياتي الشخصية، والتي افتقرت بطبيعة الحال إلى الأدلة، ومرةً أخرى بالاتهام بالهرطقة دون دليل، بل وفي عجزٍ تامٍ عن المحاكمة، صدر قراران بالحرمان، كانا وصمةً عارٍ صنعها الخوف وكراهية البحث.

كتبْتُ من أجل الجيل الآتي، ومن أجل التاريخ حتى لا يمكن تزويره؛ لأن الوثائق أكثر ثباتاً من المرويات، وقد أخبرنا المثل المصري أن مَنْ كتب لا يموت.

كان إيماننا هو السكين الذي شقَّ بطن الباطل، ألا وهو التعليم المزوَّر الذي شاع عن الثالوث، وعن تجسُّد الرب، وعن الروح القدس، وعن السرائر. فهذه - عزيزي القارئ- ليست مجرد موضوعات قد يثور بشأنها جدلٌ، بل هي لحم وعظام الأرثوذكسية، وليست أقل من ذلك بأية حالٍ من الأحوال. ومن هنا جاء العنوان: "المتعرَّبون عن المسيحية الأرثوذكسية"، وما أكثر هؤلاء، آملين ألا يصمد اغترابهم أمام الحياة الليتورجية لأُم الشهداء؛ تلك الحياة التي لم تصنع فيها الصلوات -فقط- بستاناً للأرثوذكسية، بل مواكب من الشهداء والمعترفين لم نُحرم من بعضهم في أيامنا التي نعيش فيها. وهكذا لم نكن ندافع عن أفكارٍ شخصية، بل كما قلنا، عن لحم الأرثوذكسية وعظمها.

ولذلك تعد مادة هذا الكتاب بمثابة سجل لبعض الوقائع والكتابات التي رأينا أنه لا بد من تناولها بالتسجيل والرد في حينها، وكان دافعنا إلى ذلك حرصنا على صحة الإيمان لا بغضةً لأحد، ولا عراكاً مع آخر، بل خوفاً من أن يُظن أن ما أشاعوه في ربوع أُم الشهداء من تعليم هو التسليم الرسولي. ففي ظل انعدام الحوار وانحدار مستوى التعليم ومحاربة الدارسين واتهامهم -على طول الخط- بالهرطقة، أو على الأقل بعدم صحة ترجماتهم لنصوص الآباء، أو بأنها مغرضة، دون أن يقدموا البديل، لم يكن أمامنا بدٌّ من أن نتعرض لما كتبوه أو قالوه، دون أن يكون ما كتبوه أو قالوه مرجعيةً أو مصداقية، ودون أن يكونوا قد بذلوا في سبيل ذلك أدنى جهد حقيقي في الدراسة والتعلم.

وقد آثرنا أن يكون ترتيب الموضوعات ترتيباً تاريخياً، إلا إذا كان هناك خطأ مُشترك بين أكثر من مقال، فضلنا عندئذٍ ترتيباً موضوعياً؛ بغرض زيادة الفائدة المرجوة من هذه الموضوعات.

وعلى ذلك، فهذه الملفات ليست دفاعاً عن نفسي، بل هي دفاعٌ عن الإيمان

الذي حفظته أجيالٌ بالشهادة والدم، كما تقول كلمات ترنيمة كنيسة القبطية،
تلك الترنيمة التي صاغها الأرشيدياكون حبيب جرجس الذي وضعنا على أول
الطريق.

د. جورج حبيب بباوي

٢٩ أكتوبر ٢٠١٩ انديانا - أمريكا

الشركة في الطبيعة الإلهية والتفسير الحرفي المرفوض أرثوذكسياً^(١)

لمن نكتب؟

ليس لدينا ما نقوله أو نكتبه لمن لم يدرس الكتاب المقدس والآباء واللاهوت والتاريخ الكنسي، ثم يسمح لنفسه بأن يصول ويجول مرة باسم "سكرتير المجمع المقدس"، ومرة أخرى باسم "أستاذ اللاهوت العقيدي"، الذي يدرس في ١٥ كلية لاهوت، إلى آخر هذه الألقاب التي لا داع لذكرها.

نحن نكتب لمن يريد أن يعرف، ولمن نريد أن يعرف، ألا وهو القارئ القبطي الذي تمارس عليه كل حيل الصحافة الهابطة، وأساليب الأحزاب السياسية الهابطة التي تبحث عن اتهامات وجرائم لا وجود لها إلا في مخيلة أصحابها؛ لكي تحاكم -باسم الاستبداد والجهل- كل من لا يسير وراء قيادة كنسية فاشلة كنسياً؛ لأنها لم تعد مثال القداسة والمحبة، وفاشلة سياسياً؛ لأنها لم تحقق إلاّ الفشل في طلب وتحقيق أدنى المطالب الوطنية؛ لأن الأقباط قد تحولوا إلى أقلية دينية توشك أن تغادر مكانها في نسيج الحياة الوطنية المصرية؛ حتى أصبح الأقباط "أزمة" تضاف إلى سلسلة الأزمات التي خلقت في الشرق الأوسط.

لماذا نكتب؟

نحن نكتب من أجل خلق وتحديد الوعي الكنسي الذي يجب أن يظل على تواصل مع تراثنا الأرثوذكسي، وأن لا ينحرف وراء أكبر حملة "تدليس" يشنها ويقودها بعض الإكليروس الأقباط.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ أغسطس ٢٠٠٨.

المعاني الأربعة لكلمات الوحي المقدس

هل يوجد في المسيحية شرقاً وغرباً، وعبر كل العصور ما يسمى بـ "المعنى الحرفي"، أو بـ "التفسير الحرفي"؟
كان من الضروري أن نضع هذا السؤال في مفتتح هذا البحث الموجز حتى يمكننا أن نجيب عنه بكل دقة وأمانة.

بالبحث الدقيق تبين لنا أن واحداً من الآباء لم يستخدم هذا التعبير، بل وفد إلينا من "علم الكلام" الإسلامي، وبالتالي فهو يعد أحد مفردات ثقافة الأسلمة السائدة، ولذلك فهو تعبير لا وجود له بالمرّة في الأدب الآبائي المسيحي. ولذلك، فعلى الأنبا بيشوي أن يقدم لنا نصاً واحداً، يونانياً أو قبطياً مع ترجمة عربية يؤكد فيها لنا أن تراث المسيحية يعرف ما يسمى بـ "المعنى الحرفي لكلمات الوحي المقدس". على أن يكون ذلك بدون تدليس، وبدون اللعب على ما يسمى بـ "البديهيات"؛ لأن ما يعتبره هؤلاء بديهيات، هو مجرد آراء شخصية لهم، لا وجود لها في التاريخ الكنسي.

ما هو المعنى الحرفي لكلمة "واحد"؟

* وردت كلمة "واحد" بعدة معاني في الأسفار المقدسة حسب الأصل اليوناني. يقول الرب: "وإذا سَخَرَك واحدٌ ميلاً" (مت ٥ : ٤١)، والواحد هنا ليس الواحد حرفياً، بل هو مجرد شخص آخر، فهو الواحد المجهول.

* وعندما سأل الرب التلاميذ: "ماذا يقول الناس عني؟ قالوا إنهم يقولون إنه "واحدٌ من الأنبياء" (مت ١٦ : ١٤). والواحد هنا قد يكون واحداً حسب العدد Number وقد يكون الواحد المجهول الذي لا هوية له، مثل قول الرب نفسه:

"امرأتان تطحنان على الرحى، تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى" (مت ٢٤ : ٤١). وهي أيضاً مثل قول الرب في المثل: "أعطى واحداً خمس وزنات .." (مت ٢٥ : ١٥)، بل وعندما أراد الرب إخفاء شخصية يهوذا قال: "واحدٌ منكم يسلمني" (مت ٢٦ : ٢١).

* والواحد حسب الاستعمال العددي ظاهر في قول الإنجيلي: "يهوذا واحد من الاثني عشر" (مت ٢٦ : ٤٧).

* وعندما يقول الرب: "عملاً واحداً عملت ..." (يو ٧ : ٢١)، فهو لم يحدد هذا العمل الواحد لا نوعاً ولا كمّاً، ولكن الكلمة هنا تحمل معنى الاستنكار لاثام اليهود له بأن به شيطان (يو ٧ : ٢٠).

* وعندما اجتمع الجمع لرحم المرأة الزانية، قال الرب: "مَن منكم بلا خطية فليرميها أولاً بحجر" (يو ٨ : ٨)، وبعد ذلك يقول الإنجيلي: "أَمَّا هم فلما ... كانت ضمائرهم تبكثهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ (يو ٨ : ٩). وهنا كلمة "واحد" ليست عددية، بل تفيد التتابع، كما هو واضح من سياق النص.

* وعندما يؤكد الرسول شمول الخطية لكل الجنس البشري، يقول: "ليس بارٌ ولا واحد" (رو ٣ : ١٠)، فكلمة "واحد" هنا ليست عددية، بل نافية ومؤكدة أنه "ليس من يعمل صلاحاً ولا واحد" (رو ٣ : ١٢).

* وحتى في تأكيد وحدانية الله، يضع الرسول وحدانية الله لا للكلام عن طبيعة الله، بل ليؤكد أنه لا يوجد تبرير بأعمال الناموس (رو ٣ : ٢٨)، ولا بأي وسيلة أخرى، ولكن "الله هو الذي سيبرر" (رو ٣ : ٣٠). وحتى لا يقفز أحد ويقول إننا ننكر التوحيد، نقول له إن كلمة "واحد" هنا تؤكد مصدر التبرير الواحد وهو الله.

* وماذا نقول عن النفس الواحدة والفم الواحد "الذي به نمجد الله" (رو ١٥ : ٦)، فالفم الواحد لا يحسب هنا من قبيل العدد، بل يعنى الاتحاد في الصلاة، مثل تعبير "القلب الواحد" الذي يرد في الليتورجية^(١).

(١) "أجعلنا مستحقين كلنا ... لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً" (القداس الباسيلي). "أنعم على شعبك بوحدانية القلب" (القداس الغريغوري).

هل يمكن بعد كل هذه الأمثلة أن نقول إن هناك معنىً حرفياً لكلمة "واحد"، أي معنى لا يتغير أياً كان السياق؟

لماذا غاب المعنى الحرفي من العهد الجديد؟

من العجيب أن مَنْ يقاوم الشركة بكل صورها لا يدرك أن أي كلمة في الكتاب المقدس لا سيما العهد الجديد ليس لها معنىً حرفياً، بل يمكننا - كما نعرف من الوحي نفسه - أن نقول إن كلام الله نفسه له المعاني التالية:

١ - المعنى التاريخي المرتبط بإعلان الله عن نفسه مثل: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خر ٢٠: ٢ - ٣).

وبعد أن شرح القديس كيرلس الكبير معجزة قانا الجليل، قال إنه سوف يترك المعنى التاريخي لكي يشرح المعنى الروحي الخاص بتدبير ربنا يسوع المسيح، واستعلان نعمة العهد الجديد^(١).

٢ - المعنى المستيكي *Mystical* لكلام الرب يسوع نفسه: "لكي يكونوا واحداً"، وقد وضع الرب أساس وقوة هذه الوحدة، وهي "كما أننا واحد" (يو ١٧: ١١). وعاد الرب وأكد هذا المعنى مرةً ثانية (يو ١١: ٢٢).

وذاً المعنى المستيكي يظهر عن وحدة الكنيسة في (رو ١٢: ٥)، و(١ كور ١٢: ١٢)، فنحن جسد المسيح الواحد، والواحد هنا يعني الوحدة؛ لأن الرسول نفسه يؤكد أن الجسد الواحد له أعضاء كثيرة (١ كور ١٢: ١٤).

(١) راجع شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير، الجزء الأول، سلسلة نصوص الآباء رقم ٢٢، مركز دراسات الآباء بالقاهرة ١٩٨٩، ص ١٨٧.

الأقسام الأربعة للعهد القديم حسب أكليمنضس السكندري

- القسم الأول، أو النوع الأول هو القسم التاريخي.
- القسم الثاني، هو الشريعة.
- وكلاهما، أي الأول والثاني خاصين بالسلوك الأخلاقي.
- القسم الثالث خاص بالعبادة.
- القسم الرابع هو القسم اللاهوتي وهو الخاص بما جاء في كتابات الأنبياء.

وهكذا يقرأ أكليمنضس السكندري العهد القديم:

- الشريعة هي مثال أو علامة *Semeion*
 - الوصية *Entolen* الخاصة بالسلوك.
 - النبوة (المتنوعات، الكتاب الأول، فصل ٢٨ فقرات ١٧٨ - ١٧٩).
- وأخيراً يحذّر أكليمنضس السكندري من عدم فهم الكتاب المقدس بحشره كله، وكأنه قطعة واحدة لا يوجد فيها ما هو خاص. وقد نال الفصل ٢٨ من الكتاب الأول للمتنوعات دراسة وافية من أساتذة التاريخ واللاهوت مثل:

- C. Bigg.

- K. R. Hagenbach.

- H. A. Wolfson.

لأن تعليم مدرسة الإسكندرية كان يرى أن:

- التاريخ يقدم الرموز.
 - الشريعة تقدم العلامات الخاصة بالسلوك.
 - العبادة تعطي أساس الالتزام بالعهد بين إسرائيل والله.
 - النبوة هي قاعدة التعليم اللاهوتي عن استعلان الله.
- ويمكننا هنا أن نقدم مثلاً من الكتاب المقدس نفسه يؤكد أن الالتزام بالمعنى الحرفي يعني هدم العلاقة بين العهدين:
- يقول موسى عن الشريعة: "إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست

عسرة عليك ولا بعيدة منك. ليست هي في السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء وبأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها. ولا هي في عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر. بل الكلمة قريبة منك جداً في فمك وفي قلبك لتعمل بها" (تث ٣٠: ١١ - ١٤).

وهنا نسأل: كيف استطاع رسول المسيح أن ينقل هذه الكلمات لا لكي تصبح خاصة بالشرعة، بل بالمسيح؟ ولعلنا نلاحظ أنها ذات الكلمات، ولكنها صارت خاصة بالمسيح يسوع نفسه: "لأن موسى يكتب في البر الذي بالناموس أن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها" (رو ١٠: ٦)، ولكن يمكننا أن نلاحظ الآتي:

- "وأما البر الذي بالإيمان، فيقول هكذا لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء أي ليُحدر المسيح، أو من يهبط إلى الهاوية أي ليُصعد المسيح من الأموات، لكن ماذا يقول: الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نركز بها. لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من بين الأموات خلُصت" (رو ١٠: ٦ - ٨).

لقد جاء المسيح لكي يعطي المعنى الجديد للشرعة، وهو المعنى الذي لا يلتزم بالحرف ولا بالمعنى الحرفي؛ لأنه لا يوجد معنى حرفي لكلام الله، بل كما سنرى إن ما لدينا هو المعنى الحقيقي الذي يعلو على معنى الحروف في كل الكلمات؛ لأن الرسول بولس لم يكن يمزج عندما قال: "الحرف يقتل، لكن الروح يُحيي" (٢ كور ٣: ٦).

لماذا رفض الرسول أن يكون للشرعة التي كُتِبَتْ على ألواح الحجر اليد العليا على شريعة العهد الجديد؟

والجواب هو في هذه العبارة "العهد الجديد" الذي يصفه الرسول نفسه بأنه "لا الحرف بل الروح"؛ لأن خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة هي العهد القديم، ولكن خدمة الروح، أي خدمة العهد الجديد هي خدمة الحياة التي أعطاها الروح (٢ كور ٣: ٩ - ١١).

القديس أوغسطينوس والعلامة أوريجينوس

في شرح سفر التكوين ضد المانويين *Manicheans* يقول أوغسطينوس:

"توجد أربع طرق لشرح الشريعة يعرفها الذين يدرسون الأسفار، وأسماء هذه الطرق الأربعة محددة ومعروفة في اللغة اليونانية وُشِّرت باللغة اللاتينية، وهي:

- الأسلوب أو الطريقة أو المنهج التاريخي.
- التأويل الرمزي.
- التأويل بالمتشابهات *Analogically* (مثل مشابهة عبور البحر الأحمر للمعمودية).

- المنهج أو الشرح حسب القصد والغاية *Etiologically*.

فالمنهج التاريخي هو الحدث الذي يخص الله ولكن الإنسان اشترك فيه. أمّا المنهج الرمزي، فهو شرح الكلمات بشكل رمزي. والتأويل بالمتشابهات، فهو بقصد البحث عن تناغم الاتفاق بين العهدين. أمّا الشرح حسب القصد، فهو البحث عن غاية الكلمات والأحداث"^(١).

ويعرف الباحثون أيضاً أن العلامة أوريجينوس، حدد ثلاثة مناهج لشرح العهد القديم، ولكنه اعتبر أن التأويل الرمزي هو تأويل روحي يهدف إلى البحث عن القصد والمغزى من أجل نمو الإنسان في الإيمان"^(٢).

ولكن العلامة أوريجينوس لم يهمل أبداً الجانب التاريخي، بل كما يذكر في العظة ٨ على سفر اللاويين: "أولاً يجب علينا أن نشرح ما حدث تاريخياً، وعلينا بعد ذلك أن نسأل ما هو القصد الكامن في الكلمات".

وعند شرح الأسماء العبرانية في العهد القديم، يقول أوريجينوس: "أعتقد أن الأسفار الإلهية لم تسجّل لنا هذه الأسماء من أجل التاريخ فقط، بل كُتبت من أجل القصد"^(٣).

(١) مجموعة الآباء اللاتين مجلد ٣٤ : ٢٢٢.

(٢) راجع العظة ١٢ : ١ على سفر التكوين.

(٣) راجع عظة ٢٥ على سفر العدد.

القديس غريغوريوس النيسي

وعلى نفس المنهج، يضع القديس غريغوريوس "الشرح التاريخي" أولاً، ثم "التأويل الرمزي"؛ لأن التأويل الرمزي الذي يخدم الجانب المستيكي يجب أن يكون له أساس تاريخي. وعلى هذا الأساس بالذات شرح غريغوريوس سفر نشيد الأناشيد مثلما فعل أوريجينوس.

يوحنا كاسيان

وعلى نفس المنهج يقول كاسيان:
"شرح الأسفار هو في المقام الأول يجب أن ينصب على ما يجب أن نفهمه تاريخياً، وبعد ذلك ما يمكن تأويله رمزياً، والأسلوب الثالث هو الفهم الروحي^(١)."

العلامة أوريجينوس في كتاب المبادئ

إذا كان من الثابت أنه يوجد عند أوريجينوس ثلاثة طرق أو مناهج لشرح الكتاب المقدس، تلك التي سبق أن أشرنا إليها من قبل، فهي مؤكدة أيضاً من نص كتاب المبادئ كما ترجمه روفينوس. يقول أوريجينوس:

"على كل واحد منا أن يفهم الأسفار الإلهية ويحفظها في نفسه بثلاثة طرق، وهي:
١ - بالأسلوب العام الذي يعلم البسطاء، وهو خاص بالكل، وهو الشرح العام التاريخي.

٢ - بالأسلوب الذي يخص كل من يتقدم وينمو فهمه لكي تعلم الأسفار كل نفس كيف تنمو.

٣ - بالأسلوب الخاص بالكاملين (البالغين)، والذي قال عنه الرسول: "لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين. ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين ييطلون. بل نتكلم بحكمة الله في سر الحكمة

(١) مجموعة الآباء اللاتين - مجلد ٢٥: ١٤٧ - شرح سفر حزقيال - الكتاب الخامس.

الخفية التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا" (١ كور ٢: ٦ - ٧)؛ لأن هذا الأسلوب يُعلّم الشريعة الروحية نفسها التي تحتوي على ظلال السعادة الآتية ..."^(١).

وعاد العلامة السكندري لكي يقدم مثلاً واضحاً على المناهج الثلاثة، فقال: "لأن الأسلوب التاريخي هو ظاهر مثل الجسد، والأسلوب أو التأويل الرمزي مثل النفس الكامنة في الجسد، أمّا الشرح الروحي، فهو مثل الروح التي تبحث عن أمثلة الأمور السماوية"^(٢).

(١) كتاب المبادئ - الكتاب الرابع، فصل ٢.

(٢) شرح سفر اللاويين - مجلد ١٢: ٤١٢.

غياب قواعد الحوار

يمكننا أن نقول إن الحقيقة المؤكدة هي غياب قواعد الحوار نفسه، لذلك فإنني أشفق على كل من يردُّ على شخص يمثل شريحة عريضة لا تعرف قواعد الحوار. وإذا عرضنا هذه القواعد، فإن الالتفاف حولها والهروب من الالتزام بها، هو الطابع الذي يميّز هؤلاء الذين "يتشيعون" لأننا شنودة، فيصبحون "شيعة"^(١).

نعم لدينا هرطقة أجادوا عبر ٢٥ سنة اختراع الاتهامات الكاذبة بلا دليل، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب، بل تم الدفاع عن هرطقات سبق أن حُكِمت مسكونياً في مجامع مسكونية مثل الأريوسية والنسطورية، بل والأمرُ والأنكى من ذلك هو أن هذا الدفاع اتجه إلى ما هو أخطر، وهو الاستعانة بالأديبات الإسلامية في محاولة الرد، فلم يقتصر الأمر على مجرد العودة إلى الهرطقات القديمة، بل والاتجاه إلى ما يمكن أن نسميه بـ أسلمة الفكر اللاهوتي^(٢).

أولى قواعد الحوار

أول قاعدة من قواعد الحوار هي العودة إلى مصادر العقيدة الأرثوذكسية: الكتاب المقدس - الآباء - الليتورجية - المجامع المسكونية.

ثاني قواعد الحوار

استخدام المصطلحات اللاهوتية حسب اللغة الأصلية التي كُتبت بها، ومن خلال النصوص التي وردت فيها هذه المصطلحات، وعدم استبدالها.

(١) بالمناسبة، فهذا التعبير هو الاسم العربي القديم للكلمة اليونانية "هرطقة".

(٢) ظهر هذا واضحاً جداً في كتاب تأليه الإنسان لقداسة البابا شنودة الثالث، حيث اعتبر أن الشركة في الطبيعة الإلهية نوع من الشرك بالله.

ثالث هذه القواعد

تحديد واضح للاختلافات أو لعناصر الاختلاف، وذلك:

- ١ - باستخدام الكلمات والنصوص موضوع الخلاف.
- ٢ - وضع ما يختلف عليه بعد تحديده من مصادر العقيدة الأرثوذكسية التي أشرنا إليها سابقاً.

باختصار، هذه هي القواعد التي تحفظ للإيمان كرامته، وهي لا تخص شخصاً معيناً مهما كان.

ونشير إلى أن هذه القواعد موجودة في المقالات الأربعة في الرد على الأريوسيين، وهي تظهر بشكل واضح كإطارٍ كَتَبَ القديس أناسيوس من خلاله هذا الرد المشهور الذي ميّز فيه بين مصادر الأريوسية، ومصادر التعليم الأرثوذكسي، ثم حدد مصطلحات الأريوسية وحصر نصوص الكتاب المقدس التي استخدمها الأريوسيون.

قواعد تفسير الكتاب المقدس في العصر الوسيط

نشر المستشرق الدكتور بطرس أكر كتاب "المقدمة في التفسير" للأسقف بطرس السدمنتي" وصدر عن دار المشرق في بيروت عام ١٩٧٢م. وقد وردت أقسام التفسير أو قواعد التفسير في هذا الكتاب في ص ٢٥ كالاتي:

١ - التفسير الاستعاري.

٢ - التفسير اليقيني.

٣ - التفسير الروحاني.

٤ - التفسير الاحتمالي.

ولم يذكر الأسقف بطرس السدمنتي التفسير الحرفي كأحد أنواع التفسير؛ لأن التفسير الحرفي هو أحد فروع "علم الكلام" في الإسلام، وهو تفسير ضروري للديانة الإسلامية التي تعتمد على "الشريعة" في الكثير من أحكام العبادات والمعاملات، حيث تقوم هذه الأحكام على التفسير الحرفي لظاهر النص، وباطن النص ... إلخ

ولم نسمع ولم نقرأ عند الآباء عن تفسير حربي، بل إن ما ذكره الآباء يتلخص في:

- ١- التفسير الرمزي، والأصح "التأويل".
- ٢- التفسير حسب القصد، أو المجال Skopos σκοπος^(١).
- ٣- التفسير المستيكي أو الروحي،

وهكذا استقر عندنا حسب المصطلحات اللاهوتية:

* التأويل Interpretation

* التفسير Hermeneutic

* الشرح Commentary

أمّا بخصوص الآباء، فهذه هي الدراسات العالمية عن منهج الآباء في شرح الكتاب المقدس:

- 1- Henri de Lubac, *History and Spirit The Understanding of Scripture according to Origen.*
- 2- Bertrand de Margerie, *An Introduction to the History of Exegesis, vol 1, the Greek Fathers.*
- 3- A. Kerrigan, *St Cyril of Alexandria Interpreter of the Old Testament, 1952.*
- 4- J. W. Trigg, *Biblical Interpretation the Message of the Fathers of the church vol 9.*

(١) راجع في ذلك كتابنا: المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، القاهرة ١٩٨٢ م ص ١٢٩ وما بعدها.

استحالة استخدام المعنى الحرفي

أولاً: يمكننا أن نقرر أن المعنى الحرفي لكلمة "الله" ينفي وجود الثالوث؛ لأن الله في المسيحية شرقاً وغرباً ليس هو "الله" فقط، بل الله الآب والابن والروح القدس. ولذلك، فإننا عندما نكتب أو ننطق كلمة "الله" دون أية إضافة مثل الله الآب أو غيرها، فإن الخطاب لا يكون مسيحياً بالدرجة الأولى؛ لأننا لا نؤمن بالله هكذا مجرداً، بل كما يقول قانون الإيمان: "نؤمن بالله الواحد الله الآب"، والمعنى الحرفي لكلمة الله لا يسمح بأي زيادة أو إضافة؛ لأن المعنى الحرفي ينصب فقط على ما جاء بالحرف أو بالكلمة، وعلى ذلك تصبح كلمة "الله" هنا خاصة بالتوحيد الإسلامي أكثر منها معبرة عن الإيمان المسيحي.

ثانياً: إذا كان في المسيحية معنى حقيقياً لكلمة "الله"، فكيف جاء الفعل "يؤله"، وهو العمل الذي يقوم به الثالوث نفسه في هبة الحياة الأبدية التي "تؤله" الإنسان جسداً وروحاً. وللتدليل على ما نقول نسوق هنا نصاً هاماً من المقالة الثالثة في الرد على الأريوسيين للقديس أثناسيوس الرسولي، يقول فيه:

"فقد زادت "وقاحة" الأريوسيين إذ وجدوا في كلمات الرب يسوع في إنجيل يوحنا ١٧: ١١ - ٢٣ أن الآب والابن واحد، ونحن كذلك واحد، فقالوا: إن كُنَّا نصير نحن واحداً في الآب، هكذا أيضاً يكون الابن واحداً مع الآب"^(١).

والقصد هو هدم وحدة جوهر الثالوث، وذلك حسب العبارة الأريوسية الآتية:
"إِذَا أَنْ نَكُونُ نَحْنُ أَيْضاً مِنْ ذَاتِ جَوْهَرِ الْآبِ، أَوْ يَكُونُ الْابْنُ غَرِيباً عَنْ هَذَا الْجَوْهَرِ مِثْلَنَا نَحْنُ أَيْضاً الْغَرِيبَاءُ عَنْهُ".

(١) ضد الأريوسيين ١٧: ٣ - راجع الترجمة العربية في سلسلة نصوص الآباء ١١٣ - المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة - أبريل ٢٠٠٧، ص ٤١ وما بعدها.

ويجيب القديس العظيم:

"هذه وقاحة غير معقولة وجنون شيطاني، حيث أنهم سوف يقولون بعد ذلك مثلما قال الشيطان: "نصعد إلى السموات ونصير مثل العلي".
وهنا يضع القديس أنثاسيوس مبدأ التمييز اللاهوتي:

"ما يُعطى للإنسان بالنعمة، هذا يجعلونه مساوياً لألوهية المعطي. لأنهم عندما سمعوا أن البشر سيصيرون أبناء الله، ظنوا أنفسهم مساوين للابن الحقيقي بالطبيعة، والآن أيضاً إذ يسمعون من المخلص: "لكي نكونوا واحداً كما نحن (الآب والابن)" يخدعون أنفسهم ويتوقفون لدرجة أنهم يظنون أنهم سيصيرون مثل الابن في الآب والآب في الابن، غير معتبرين بسقوط أبيهم الشيطان الذي سقط بسبب هذا التخيل"^(١).

ثم يكمل القديس أنثاسيوس شرح الإيمان:

"حقيقة الأمر أننا لسنا الكلمة ولا الحكمة ...

لا يجب أن نفكر في تجاهيفهم، ومع ذلك فرغم أن هذه الآيات لا تحتاج إلى توضيح ... فسوف نوضح ضلالهم هنا أيضاً، وعدم فهمهم للكلمات وعدم أرثوذكسيته سوف نشرحها ... بحسب ما استلمناه من الآباء"^(٢).

"من المستحيل علينا أن نصير مثل الآب؛ لأنه مستحيل علينا نحن المخلوقين الذين خلقنا من العدم أن نصير مثل الآب ... لأنه كما يوجد ابنٌ واحدٌ حسب الطبيعة، وهو الابن الحقيقي الوحيد الجنس، هكذا نصير نحن أبناء، لكن ليس مثله هو بالطبيعة وبالحق، بل بحسب نعمة ذاك الذي دعانا".

وهنا يقول:

"ورغم أننا بشرٌ من الأرض، ومع ذلك نصير آلهة، ليس مثل الإله الحقيقي أو كلمته، بل كما قد سُرَّ الله الذي وهبنا هذه النعمة ..."^(٣).

"نحن نصير أبناء بالتبني، وبالنعمة مشتركين في روحه ..."^(٤).

ولكن المعلم الكبير لا ينكر وجودنا في الله، لاحظ عبارة "مشتركين في روحه".

(١) المرجع السابق ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ٣: ١٨، ص ٤١ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق ٣: ١٩، ص ٤٣.

(٤) المرجع السابق ٣: ١٩، ص ٤٤.

"نحن موجودون في الابن، وبواسطته موجودين في الآب" ^(١) (لاحظ حرف الجر الذي يبحث عنه المتأسلمون).

ثم يأتي فعل "التأله" عندما يضع القديس أثناسيوس هذه الكلمات على فم الرب يسوع نفسه:

"أيها الآب أعمل إذن فيهم ...

لأنه من أين يأتيهم الكمال لو لم أكن أنا كلمتك قد أخذت جسدهم وصرث إنساناً ...
قد أكتمل العمل؛ لأن البشر، وقد افتدوا من الخطية، لا يبقون أمواتاً بعد، بل إذ يتألهون،
فإنهم بنظرهم إلى بصير لهم رباط المحبة فيما بينهم" ^(٢).

ثالثاً: إن قضية تأله الجسد ليست قضية تفسير نص أو عدة نصوص؛ لأن نصوص القديس أثناسيوس هي "تفسير"، وليس هناك تفسير لتفسير، بل لدينا حقائق لا تدخل في باب أي تفسير، حتى ذلك الذي أشرنا إليه وكان سائداً في العصور الوسطى، أي "التفسير الاحتمالي".

لسنا هنا أمام تفسير حرفي، أو تفسير آخر لم نسمع عنه بعد من الأنبا بيشوي الذي لا يزال يكذب ويقول إنه مستمر في حوار مع كاتب هذه السطور، في حين أن هذا لم يحدث بالمرّة ^(٣).

يقول أثناسيوس عن التحول الأبدي والعظيم الذي جاء به التجسد:

"لو كانت أعمال ألوهية الكلمة لم تحدث في الجسد، لَمَا كان الإنسان قد تأله. وأيضاً لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تُنسب للكلمة، لَمَا كان الإنسان قد تحرر منها تماماً ...
وظلت الخطية، وظل الفساد باقياً في الإنسان كما كان الحال مع الجنس البشري قبل التجسد ... " ^(٤).

(١) المرجع السابق ٣: ٢١، ص ٤٦.

(٢) المرجع السابق ٣: ٢٣، ص ٥٠. ويمكنك عزيزي القارئ أن تراجع العبارات الخاصة بالتأله في المقالة الثالثة فقط في الفقرات التالية: ٢٥، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ٤١، ٤٨.

(٣) سبق أن قلنا إن الحقيقة الوحيدة المؤكدة هي غياب قواعد الحوار، واتبعنا ذلك بتعداد وشرح لهذه القواعد، وأوردنا عليها مثلاً من عند القديس أثناسيوس، فعن أي حوار إذن يتكلمون!!!!

(٤) ضد الأريوسيين ٣: ٣٣، راجع ص ٦٤ - ٦٥ من الترجمة العربية.

فماذا فعل الكلمة؟ لقد تجسّد وتأنّس:

"فإذ صار الكلمة إنساناً وجعل ضعفات الجسد خاصة به،

فلم تعد هذه الضعفات تُخضع الجسد بسبب الكلمة الذي جاء في

الجسد، بل انهزمت هذه الأوجاع بواسطته،

ومنذ ذلك الحين فصاعداً لم يبقَ الناسُ بعدُ خطاةً وأمواتاً...

بل قاموا بقوة الكلمة، وصاروا غير مائتين، وغير فاسدين" ^(١).

ولكن كيف؟ يجب أنناسيوس:

"وُلِدَ الجسد من مريم والدة الإله، ولذلك فالكلمة ذاته هو الذي وُلِدَ، وهو الذي يعطي

بداية الوجود للكائنات الأخرى؛ لكي ينقل بداية تكويننا إلى ذاته، ولكي لا نرجع فيما بعد

كمجرد تراب إلى تراب، بل بسبب ارتباطنا بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحْمَل إلى

السموات بواسطته" ^(٢).

هذا التحول العظيم ليس مجرد تفسير يقال، بل هو حقيقة تُعاش، ولا يجب أن نختلف

على تحول الإنسان من تراب إلى مجد السماء، والحكم الأخير لأنناسيوس نفسه:

"لأننا لم نعد نموت بعد بحسب بدايتنا الأولى في آدم،

بل لأن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة،

فنحن نقوم من الأرض،

إذ أن لعنة الخطية قد أُبطلت بسبب ذاك الذي هو كائنٌ فينا،

والذي صار لعنةً لأجلنا.

وكما أننا نحن جميعاً من الأرض، وفي آدم نموت،

هكذا نحن إذ نُؤَلَد من فوق من الماء والروح،

فإننا في المسيح نحيا جميعاً، فلا يعود الجسد فيما بعد أرضياً،

بل يصير إلهياً كالكلمة،

(١) المرجع السابق ٣: ٣٣، ص ٦٥.

(٢) المرجع السابق ٣: ٣٣، ص ٦٥-٦٦.

وذلك بسبب كلمة الله الذي لأجلنا صار جسداً^(١).

والعبارة الأخيرة "إلهياً كالكلمة" ليست تفسيراً، بل هي خاصة بالتحول الكبير والعظيم في الإنسان الذي له بدءٌ جديد في المسيح:

- بدايةً بالتجسد،

- مسحة الروح القدس في المعمودية الرب،

- تحرُّر من اللعنة والموت بالصليب،

- تحرُّر من الفساد والألم بالقيامة.

وهذه هي كلمات المعلِّم الكبير:

"الكلمة نفسه بالطبيعة هو غير قابلٍ للتألم ...

هو نفسه غير قابلٍ للتألم ... ويظل كما هو دون أن تؤذيه هذه الآلام"^(٢).

ولكن، لأنه قَبِلَ الألم والموت في جسده

"يصير البشر أنفسهم غير متألِّمين وأحراراً من هذه الأوجاع إلى الأبد

كما علَّم يوحنا قائلًا: "...".

وهنا يظهر تحول الإنسان في المسيح عندما يردُّ الجسدُ على الهراطقة ويقول:

"أنا من تراب، وبحسب الطبيعة مائت،

ولكن فيما بعد قد صرْتُ جسد الكلمة،

هو حمل أوجاعي مع أنه هو نفسه غير متألم،

هكذا صرْتُ أنا حراً من هذه الأوجاع،

ولم أعُد بعد مستعبداً لها بسبب الرب الذي حررتني منها ..."^(٣).

وإلى المعاندين نعيد كلمات القديس أثناسيوس؛ لأن عدم تحول الإنسان في المسيح يتساوى مع إنكار تجسد الكلمة.

(١) المرجع السابق ٣: ٣٣، ص ٦٦.

(٢) المرجع السابق ٣: ٣٤، ص ٦٧.

(٣) المرجع السابق ٣: ٣٤، ص ٦٨.

وهكذا - وعلى لسان الجسد الذي يرُدُّ على المهرطوقي - يكتب معلمنا ثالث عشر الرسل بحق:

"إن كنت تعترض على تحرري من ذلك الفساد الذي هو طبيعي، فانتبه أنك بهذا تعترض على أن كلمة الله قد أخذ صورة العبد الخاصة بي. لأنه كما أن الرب بلبسه الجسد قد صار إنساناً، هكذا نحن البشر فإننا نتأله بالكلمة باتحادنا به بواسطة جسده، ولهذا فنحن نرث الحياة الأبدية"^(١).

وأخيراً يقول أنثاسيوس العظيم:

"الكلمة قد جاء بيننا لكي يفدي جنس البشر، وإن كان الكلمة قد صار جسداً لكي يقلس البشر ويؤهلهم"^(٢).

لم يأخذ الرب الجسد لأجل حاجة خاصة به هو، بل لأجلنا نحن.

إننا هنا لسنا أمام أقوال تحتاج إلى تفسير، بل أمام أعمال وأسرار (المعمودية - المسحة - الإفخارستيا)، وأمام المصير الأبدي للإنسان نفسه في يسوع المسيح.

رابعاً: يُدَمِّرُ المعنى الحرفي التدبير والخلاص، ذلك أنه إذا كانت شركتنا في الطبيعة الإلهية تعني:

- التبني،
- قبول الروح القدس للتقديس،
- عدم الفساد، وعدم الألم،
- القيامة من الأموات،
- ميراث الحياة الأبدية،

وكل هذه عطايا توهب لنا في المسيح وبالروح القدس، فكيف يمكن أن تصبح الشركة في الطبيعة الإلهية عبارة جوفاء ليس لها معنى حقيقي أبدي، ولا تخص العلاقة الجديدة بين الله والإنسان في المسيح يسوع؟

(١) المرجع السابق ٣ : ٣٤، ص ٦٨.

(٢) المرجع السابق ٣ : ٣٩، ص ٧٦.

لقد لَحِصَتْ كلمة "تَأَلَّهُ"، وكلمة "تَأَلِيهِ" كل العطايا السابقة: التبني - قبول الروح القدس للتقديس - عدم الفساد ... إلخ لأن هذه في جوهرها:

- ١- هي نعمة من الله الآب في ابنه يسوع المسيح وبقوة الروح القدس.
- ٢- هي قوام العهد الجديد الذي له قاعدة واحدة هي الوسيط الوحيد ربنا يسوع المسيح.

الوسيط الواحد بين الله والإنسانية^(١)

بكلمات قاطعة يقول الرسول بولس:

"لأنه يوجد إله واحد

ووسيط واحد

بين الله والناس

الإنسان يسوع المسيح

الذي بذل نفسه فديةً لأجل الجميع" (١ تيمو ٢: ٥).

تفسير التعليم الرسولي حسب التدبير (الإيكونوميا)

إن أهم ما قيل عن التدبير، هو ما ورد في كلمات قانون الإيمان النيقاوي ٣٢٥م الذي أگّده المجمع المسكوني الثاني ٣٨١م:

"هذا الذي لأجلنا نحن البشر، ولأجل خلاصنا

لقد وضع الآباء هذه الكلمات لكي تؤكّد لنا أن ما حدث للمسيح من ميلاد ومعمودية وتجارب في البرية، وموت على الصليب، ثم القيامة والصعود، إنما كان "لأجلنا". فلم يكن الكلمة ابن الله الوحيد "محتاج" لأيّ من هذه، بل كانت كلها إعلانات التدبير (الإيكونوميا)^(٢).

(١) أثناء إعداد هذا الرد وصلنا عن طريق شبكة الإنترنت مقال لياقة الأنبا روفائيل الأسقف العام عن الكهنوت، سوف نرد على نقطة واحدة منه خاصة بالوسيط يسوع المسيح؛ لأنها تخدم "سر الكهنوت"، وتدمره بالادعاء بأن الكاهن يقوم بدور الوسيط بين الله والبشر، وهو دور المسيح وخدمته وحده، ولا يوجد وسيط بين المسيح والمؤمنين لأنه لا يوجد وسيط بين الرأس والجسد، وليس لجسد المسيح رأسان.

(٢) راجع ملامح التدبير في كتابنا المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، مرجع سابق، ص ١٤٢ وما بعدها.

تفسير العلاقة الجديدة حسب التدبير لأبينا القديس أثناسيوس الرسولي

أولاً: "لأجلنا"

في المقالة الأولى ضد الأريوسيين يقول القديس أثناسيوس إن المجد والرفعة

Exaltation لم يكن عن احتياج خاص بالابن، بل

"كانت طبيعة الإنسان فقيرة

بسبب وضاعة الجسد نفسه، ويسبب الموت"^(١)

ولذلك

"الكلمة هو صورة الآب العليم الموت،

أخذ صورة العبد،

وكإنسان اجتاز الموت لأجلنا في جسده،

لكي يقدم نفسه لأجلنا للموت،

وبذلك يُقدِّمنا إلى الآب،

ولذلك، كإنسان، ولأجلنا رُفِعَ (مُجَدِّد)،

لكي كما بموته غُوت نحن في المسيح"^(٢)

هكذا أيضاً في المسيح ذاته نُمَجَّد بالقيامة من الأموات ونصعد إلى السماء

حيث لأجلنا دخل يسوع السابق - ليس إلى أشباه السماء، بل إلى السماء

عينها، حيث يظهر أمام الله لأجلنا (عب ٦ : ٢، عب ٩ : ٢٤) "^(٣).

ولأجلنا أيضاً كما يقول المعلم الكبير:

"وكما أنه هو الذي يقدِّس الكل،

يقول هو ذاته إنه يقدِّس ذاته للآب لأجلنا،

ليس لأن الكلمة صار مقدَّساً،

(١) ضد الأريوسيين ١ : ٤١. راجع الترجمة العربية في سلسلة نصوص الآباء ٦٤ - المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة -

٢٠٠٢م - ص ١٠٧.

(٢) لاحظ حرف الجر "في".

(٣) ضد الأريوسيين ١ : ٤١، ص ١٠٧.

بل لكي بتقديس ذاته يقدّسنا جميعاً في ذاته" (١).

ثانياً: حَفِظَ المسيح وثبَّت في كيانه هو كل ما يُعطى لنا

١ - لقد صار اتحاد اللاهوت بالناسوت - الذي حدث وتم في تجسد ابن الله - هو السبب في أن نصبح نحن "هيكل الله".

"بسبب اتصالنا بجسده

نحن أيضاً صرنا هيكل الله،

وبالتالي أصبحنا أبناء الله" (٢).

كان الجسد هو "هيكل" الكلمة (يو ٢: ٢١)، وفي هذا الهيكل بالذات قدّم المسيح ذبيحته عن الجميع:

"فإنه قدّم ذبيحته عن الجميع، فأسلم هيكله للموت عن الجميع،

أولاً، لكي يبررهم ويحررهم من المعصية الأولى" (٣)

ثانياً، لكي يثبت أنه أقوى من الموت مظهراً جسده الخاص أنه عديم

الفساد، وأنه باكورة لقيامة الجميع" (٤).

هذا الهيكل بالذات، أي جسد الكلمة، لم يكن هذا الهيكل خاضعاً للفساد:

"كان جسداً بشرياً... قابلاً للموت... غير أنه بفضل اتحاده بالكلمة، فإنه لم يعد خاضعاً

للفساد... بل بسبب الكلمة الله الذي حلّ فيه، فإن الفساد لم يلحق به" (٥).

لقد أُيِّد الموت والفساد من الجسد:

"الموت والفساد قد أُيِّدا من الجسد، بفضل اتحاد الكلمة به" (٦).

(١) المرجع السابق ١: ٤١، ص ١٠٧.

(٢) المرجع السابق ١: ٤٣، ص ١٠٩.

(٣) حاول الأنبا بيشوي أن يؤكد وجود تعبير "الخطية الأصلية" بتحريف هذا النص، ولكنه فشل؛ لأن تعبير "الخطية الأصلية" تعبير غير معروف في كتابات الآباء، بل يعود بشكل خاص إلى القديس أغسطينوس وتعليم الكنيسة الغربية الكاثوليكية. أمّا في الشرق، فالتعبيرات المعروفة هي: المعصية الأولى - الخطية الجديدة - الخطية الأولى.

(٤) تجسد الكلمة: فصل ٢٠.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

٢- كان المسيح هو البكر الذي حرر جسده الذي أخذه من العذراء مريم من الموت. وأرجو القارئ العزيز أن ينتبه إلى هذه العبارة للقديس أثناسيوس:

"لأنه بما أن كل البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان هو أول ما تم تخليصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه" ^(١).

ويمكن مراجعة ترجمة جامعة أكسفورد لهذا النص:

"His flesh before all others was saved and liberated, as being the Word's body".

لقد خلّص الكلمة جسده بدمه

"إن كلمة الله المحب للبشر لبس الجسد المخلوق بمشيئة الآب لكي يحمي بدمه الذاتي (دم نفسه) هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه كما قال الرسول: "وكرّس لنا طريقاً حياً حديثاً بالحجاب أي جسده" (عب ١٠ : ٢٠) " ^(٢).

ويضع القديس أثناسيوس الرسولي هذه القاعدة اللاهوتية التي تفسّر كلمات الرسول: "إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليفة جديدة" (٢ كور ٥ : ١٧)، فيقول:

"فإن كان كل شيء قد صار خليفة جديدة،

فإنه من الضروري أن يكون هناك شخصٌ هو أول هذه الخليفة" ^(٣).

فمَن هو أول أو باكورة الخليفة الجديدة؟

يجيب المعلم العظيم:

"لا يمكن أن يكون هو الإنسان الضعيف الترابي،

وهي حالتنا نحن بسبب التعدي ...،

ولذا صارت هناك حاجة إلى آخر يقوم بتجديد الخليفة الأولى" ^(٤).

ولكن التجديد وحده لا يكفي

"وهو الذي يحفظ الخليفة الجديدة التي سوف تخلق،

(١) ضد الأريوسيين ٢ : ٦١ - راجع الترجمة العربية في سلسلة نصوص الآباء ٧٧ - المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية - ٢٠٠٤م، ص ١١٦.

(٢) المرجع السابق ٢ : ٦٥، ص ١٢٢.

(٣) المرجع السابق ٢ : ٦٥، ص ١٢٢.

(٤) المرجع السابق.

لذلك فمن محبته للبشر لم يُخلق أي شخص آخر غير الرب
ليكون هو أول طريق الخليقة الجديدة ...

لكي لا يحيا الإنسان فيما بعد بحسب الخليقة الأولى
إذ توجد بداية جديدة، والمسيح هو بدء طرقها" ^(١).

ويؤكد أثناسيوس بعد ذلك:

"لأنه هكذا خُلِقَ المخلّص بحسب الجسد

وصار أول الذين خُلِقُوا من جديد

وجعل باكورتنا نحن جسده البشري الذي لبسه

وبعده يأتي الشعب الآتي الذي خُلِقَ كما قال داود: "وشعبٌ سيُخلق

يسبِّح الرب" (مز ١٠٢ : ١٨) ^(٢).

٣ - بالقيامة صار الرب البكر من الأموات.

"ليس لأنه مات قبلنا، بل نحن اللذين كنّا أمواتاً، ولكن لأنه خضع للموت لأجلنا وأباده،
صار هو الأول الذي قام كإنسان لأنه لأجلنا أقام جسده. ولأنه قام، نحن أيضاً به وبسببه
سوف نقوم في الوقت المعين من الأموات" ^(٣).

٤ - قبول المسيح للروح القدس لأجلنا

وقبول المسيح للروح القدس في المعموديته لأجلنا هو التفسير اللاهوتي الذي

لا يمكن أن يشرحه الحرف، بل الروح، وهو المبدأ الروحي الهام "لأجلنا".

يقول معلمنا العظيم:

"إنه لأجلنا قدّس (الرب) ذاته، وقد فعل ذلك عندما تأنّس (صار إنساناً)، ومن الواضح أن
نزول الروح عليه في الأردن كان نزولاً علينا؛ لأنه (الرب) لبس (أخذ) جسداً. ولم يحدث
هذا لكي ينال الكلمة نفسه أي تقدّم، بل لأجل تقديسنا نحن مرّة ثانية، ولكي نشترك في
مسيحته، ولكي يقال عنا نحن: "ألا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم (١ كور

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ٢ : ٦٦، ص ١٢٣.

(٣) المرجع السابق ٢ : ٦١، ص ١١٦.

٣: ١٦). لأنه عندما صار الرب إنساناً واغتسل في الأردن كُنَّا نحن الذين اغتسلنا فيه وبه، وعندما قبل الروح القدس، كُنَّا نحن الذين صرنا فيه قابلين الروح .." (١).
فهل يوجد في كلمات الإنجيلي نفسه الوارد في الأناجيل الأربعة هذا التفسير: إن الرب اعتمد لأجلنا، ولأجلنا قبل الروح القدس؟

لاحظ عزيزي القارئ هذه الكلمات للمعلم الأرثوذكسي الحقيقي:
* نزول الروح عليه في الأردن كان نزولاً علينا.

* اغتسلنا فيه.

* به.

* عندما قَبِلَ الروح القدس كُنَّا نحن الذين صرنا فيه قابلين الروح.

هنا يجيء التفسير حسب التدبير، أنه لأجلنا نحن حدث كل هذا. و "لأجلنا"، هي القاعدة اللاهوتية الآبائية والرسولية، وهي أيضاً حسب تسليم الآباء "التدبير"، أو "الإيكونوميا".

عتاب لمن يريد أن يقبل الأرثوذكسية

يبدو أننا أمام هجمة نسطورية شرسة تحاول تدمير التدبير، عندما تؤكد أن كل تحول في ناسوت الرب، كان للرب وحده، ولأجل الرب، وذلك خوفاً من اشتراكنا نحن في غنى ومجد وأبدية هذا التحول. لكن هذا يعني ليس فقط فصل اللاهوت عن الناسوت في المسيح الواحد، بل أيضاً هدم كل الأسرار (السرائر) الكنسية، وبالتالي تضييع المعمودية والميرون والإفخارستيا، وباقي الأسرار، وتصير كلها طقوساً جوفاء بلا حضور للروح القدس، وبلا شركة بين الإنسان والثالوث.

وهنا، وفي اختصار شديد جداً أقول للقارئ الذي أمسكت به شبكة الجدل غير اللاهوتي والعقيم:

* هل نأخذ مواهب الروح القدس، أم الروح القدس نفسه؟

(١) ضد الأريوسيين ١: ٤٧، مرجع سابق، ص ١١٥ - ١١٦.

ولكي نجيب عن هذا السؤال، نعاود التساؤل:

* هل مُسِيح يسوع في الأردن بمواهب الروح القدس؟

* هل كانت المواهب هي التي أضاعها آدم الأول أم أضاع الروح القدس نفسه؟

والجواب سبق أن ذكرناه في الفقرة السابقة للمعلم الأرثوذكسي أنثاسيوس:

"لقد كنّا نحن الذين اغتسلنا فيه ... ولم يقبل الرب الروح القدس لكي ينال أي تقدم أو تطور أو رفعة، بل لكي نشترك نحن في مسحته".

ولكني أسمع همسة آتيةً من بعيد، من ضباب التاريخ المشوّه الذي يحاول الشيطان نفسه بكل ما يملك من أدوات بعضها بكل أسف من داخل الكنيسة، تقول:

"لقد مُسِيح الرب يسوع بمواهب الروح القدس، وما هو المانع في ذلك ...؟".

ويمكننا أن نقدم إجابة مختصرة، في عبارة واحدة، إن هذا القول يعني ببساطة شديدة أننا نريد العودة إلى قاعدة الفصل والانقسام.

وقاعدة الفصل هنا هي الفصل بين الأقيوم الثاني والأقيوم الثالث، وبين الأقيوم الثالث وقوته، أي المواهب. وبين اللاهوت والناسوت في السرائر أو الأسرار الكنسية، وأخيراً فصل المسيح عنا، أي فصل الرأس عن الجسد ... فماذا تبقى من الأرثوذكسية نفسها؟

"لا شيء".

إن عتاب المحبة يُلْزِمنا أن نقول للبسطاء والأنقياء الذين لا يعرفون خبث ودهاء بعض القيادات: إذا سمعت تعليماً، مهما كان قائله، ومهما كانت حجته، عليك أن تبحث عما إذا كان لهذا التعليم جذرٌ في المسيح، أم لا؛ لأن المسيح - حسب تعبير القديس كيرلس الكبير - هو جذر الإنسانية الجديد، ورأس وباكورة الخليقة الجديدة. فإذا كان لهذا التعليم الجديد الذي تسمعه أي أصل أو جذر في المسيح فهو صحيح. أمّا إذا وجدته خارج المسيح نفسه، فهو من الشيطان صاحب مدرسة الفصل والانقسام.

هل قَبِلَ الرب يسوع -حسب كلمات الإنجيل- الروح القدس أم مواهب الروح القدس؟

والجواب مرة ثانية من عند القديس أنثاسيوس:

"وَحَقّاً قال الرب نفسه: "الروح يأخذ مما لي"، وأيضاً: "أنا أرسله"، وإلى الرسل قال: "أقبلوا الروح القدس" (يو ١٦: ١٤ - ٢٠: ٢٢)، ولم يكن الرب يرفض باعتباره الكلمة وشعاع الآب والواهب للآخرين، أَمَن يكون هو ذاته الآن الذي يقال عنه إنه قدس؛ لأنه هو الآن قد صار إنساناً والجسد الذي تقدس هو جسده. ومنه هو بدأنا نحن نأخذ المسحة والختم^(١)؛ لأن يوحنا يقول: "وأنتم لكم مسحة من القدوس"، والرسل يقول: "ختمتكم بالروح القدس روح الموعد" (راجع يو ٢: ٢٠ - أف ١: ١٣)؛ لأنه لأجلنا وعنا نحن كُتِبَتْ هذه الكلمات"^(٢).

وأيضاً في ذات الفقرة، وحسب عادة المعلم العظيم:

"وإذا كان الرب نفسه قال إن الروح هو روحه، وإن الروح يأخذ من الرب، وإن الرب يُرسل الروح، فهذا لم يُقَلَّ عن الكلمة باعتباره الكلمة والحكمة الذي هو ذاته مُسِيحٌ بالروح رغم أنه هو الذي يعطي الروح، بل عن الجسد الذي أخذه والذي مُسِيحٌ فيه وبواسطته لكي ننال نحن البشر التقديس الذي أخذه الرب كإنسان"^(٣).

وأيضاً للمرة الثالثة حسب عادة معلمنا العظيم:

"وعندما يقال الآن إنه مُسِيحٌ كإنسان، كنّا نحن الذين مُسِحنا فيه؛ لأنه عندما اعتمد، كنّا نحن الذين اعتمدنا فيه"^(٤).

وأيضاً للمرة الرابعة، وهذه المرة عن نزول الروح القدس:

"لقد نزل إلينا ومسحته بالروح التي تمت فيه هي لأجلنا"^(٥).

(١) الختم هو الاسم الليتورجي لمسحة الميرون في كل الكنائس الأرثوذكسية.

(٢) ضد الأريوسيين ١: ٤٧، ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق ص ١١٧.

(٤) ضد الأريوسيين ١: ٤٨، ص ١١٨.

(٥) ضد الأريوسيين ١: ٤٩، ص ١١٩.

الشركة في الطبيعة الإلهية حسب التدبير

لا شك أننا نقع في ذات خطايا هراطقة القرون الأولى إذا تركنا القاعدة اللاهوتية التي حفظت لنا الإيمان، وهي تلك القاعدة المحفوظة في كلمة واحدة هي: "لأجلنا".

وحسب تسليم آباء الكنيسة الجامعة تعني كلمة "لأجلنا" خطة الله أو "التدبير"، أو "الإيكونوميا". ولكن "التدبير" موضوع لم يطرقه الذين يحاربون الأرثوذكسية من داخل الكنيسة، ولذلك سوف تلفظهم الحياة الكنسية نفسها لأن الليتورجية هي مجال عمل الله الذي يعلن فيه الروح القدس نفسه الشركة، أي أن الليتورجية هي التي تحدد لنا ما هو المقصود بهذه الكلمة "التدبير" التي رسمت حدودها كلمة أخرى، هي بدوها تعتبر مفتاح الخلاص الأبدي، وهي كلمة "لأجلنا".
عندما يعلن قانون الإيمان:

"هذا الذي لأجلنا نحن البشر"،

فهو يضع البشر، الناس، نسل آدم، أو حسب تعبير الليتورجية "آدم وبنيه"^(١) في الجانب المدعو لقبول ما أُعلن في يسوع المسيح ربنا، وما يُعطى بالروح القدس في شركة مع المصدر أو الجانب الذي يملك كل شيء، وهو الثالوث القدوس.

وتحديد الجانبين، أي الله والإنسان، هو بشارة الإنجيل:

"الكلمة ... هو الله،

والكلمة صار جسداً" (يو ١ : ١ - ١٤).

(١) "الذي من قبل صليبه نزل إلى الجحيم ورث أبانا آدم وبنيه إلى الفردوس" (قسمة عيد القيامة والخمسين).

وهذا هو ما يقال بلغة فلسفية مجردة: الطبيعة الإلهية - الطبيعة الإنسانية.

ولعل غياب التعليم الأرثوذكسي بوجود طبيعتين متحدتين في الرب الواحد من فكر بعض الأقباط الذين يكتبون في زماننا هو الذي دمر -ربما عن جهل- حقيقة وأبعاد الشركة؛ لأن هؤلاء لا يؤمنون -ربما عن جهل أيضاً- بتجسد الكلمة.

الاتهام بالأوطاخية

يبدو هذا الاتهام سخيلاً إلى الحد الذي لا يستوجب الرد، لكن من الضروري أن نقف في مواجهة الجهل والأسلمة حتى لا يزحف الجهل من داخل الكنيسة نفسها فيدمر الأسرار الكنسية التي هي هدف التدبير واستعلان يسوع المسيح وحلول الروح القدس.

هل تأله جسد الرب، هو حقاً الأوطاخية؟

كيف غاب الوعي عن أصحاب هذا الاتهام!!؟

الأوطاخية لم تكن تأله جسد الرب، بل الأوطاخية هي اختفاء وذوبان جسد الرب حسب العبارة الأوطاخية الشهيرة: "نقطة غسل في بحر من الماء". لكن التأله -وهذا هو جهل أصحاب الاتهام- هو اكتساب الطبيعة الإنسانية ما هو ليس إنسانياً، أي ما لا يملكه الإنسان المخلوق من العدم روحاً وجسداً.

الخلق من العدم يعني - قبل أي شيء آخر- أن الإنسان له حدود لا يمكن أن يتعداها، ومن هنا جاء التعدي، أي السقوط.

واكتساب الإنسان:

- الخلود، أي حياة لا تموت،

- والحياة الأبدية،

- وعدم فساد الجسد،

- والبقاء الأبدي كابن لله في المسيح،

كل هذا يضع أصحاب الاتهام أمام طريق مسدود، لأن اتهامهم هذا يؤدي بنا إلى

القول بأن هذه العطايا قد أُعطيت لكي يبقى الإنسان في عزلة وفي انفصال أبدي بعيداً عن الله الثالث.

لماذا؟

لأن كل هذه العطايا توهب من الثالث، ومن اللاهوت نفسه، وهو ما تعبّر عنه الكلمة الرسولية "الشركة".

وقد كانت كلمة "الشركة" نفسها من الكلمات المهجورة - عن جهل - في كل كتابات الأقباط في القرن العشرين حتى جاء الأب متى المسكين وأعاد إلينا التعليم الأبائي نفسه، والكلمات اللاهوتية التي تعبّر عن هذا التعليم في زخم لا يزال حياً معنا: العنصرة - الكنيسة الخالدة - مع المسيح في آلامه وموته وقيامته ... إلخ. هذا الزخم فتح الحياة الأرثوذكسية بقوة، ولذلك كان من الضروري أن يحدث رد فعل مضاد أولاً عند الذين وجدوا أن قيادة الأب متى المسكين تهمّش زعامتهم وقيادتهم الروحية. وثانياً عند الذين يجهلون تماماً التراث الأبائي. وكان من الممكن أن نتفادى السقوط في هذه الهاوية، لكن تسلسل الأحداث نفسه حمل معه تداعيات كثيرة:

أولاً: انتخابات البطريرك.

ثانياً: جهود من خارج الكنيسة بدأت بإلغاء المجلس الملي العام وفقدانه صلاحياته. ثالثاً: غرس وتشجيع الاقتتال الإعلامي الذي نما بعد ظهور الفضائيات.

وهكذا عدنا إلى المربع الأول الذي كنّا فيه بعد نياحة البابا كيرلس السادس:

أولاً: تقسيم الكنيسة الواحدة إلى جبهات وشيع متعارضة.

ثانياً: سيطرة الجهل والعناد على رؤوس بعض القيادات الكنسية التي تعمل من داخل الكنيسة على جمع الأتباع خوفاً ودفاعاً عن سلسلة الأكاذيب التي تُشرت باسم الأرثوذكسية.

ثالثاً: سيطرة الخوف الشديد على المسؤولين عن التعليم، ولذلك فضّلوا المحاكمات غير الكنسية في الكتب وشرائط الكاسيت، ثم إصدار

قرارات غير شرعية ضد الذين اعتبروهم من الأعداء. قرارات عارية تخلو من أي دليل، وتفضح عورة الجهل المخبوءة تحت عباءة الكهنوت.

ولك أن تعجب عزيزي القارئ، فالذين عادوا إلى هرطقات القرون الأولى، والمتسترين خلف ملابس الكهنوت، هم الذين يحاكمون الأرثوذكسيين الحقيقيين ويتهمونهم بالهرطقة، ومحاربة لاهوت المسيح، وبالشرك ... إلخ

لكن هؤلاء لا يدركون أن إبعاد مَنْ يكتب عن إيمان الآباء هو إبعادٌ للآباء أنفسهم. فقد تطوع قداسة البابا شنودة الثالث بتوجيه اتهامه لي بناءً على أنني صاحب عبارات -هي من حيث الأصل- عبارات معلمنا أثناسيوس، وهو شرفٌ لا أستحقه. وإن كان ذلك سوف يجعل القارئ يدرك أن هذا الخداع يجعل القديس أثناسيوس نفسه يقف معي في ذات قفص الاتهام ومع كل الذين درسوا وكتبوا عن الآباء، وسوف تدور عجلة التاريخ لكي يظهر الحق يوماً، وهذا اليوم ليس بعيداً.

تدبير الخلاص يعني تدبير الشركة، وأهمية حرف الجر "في" حسب كلمات القديس أنثاسيوس

هل يؤمنون بالتجسد؟

إن الألفاظ والكلمات ليست فقط دليل العقل، بل هي أيضاً علامات تشير إلى الإيمان.

الجسد والنفس الإنسانية هي في المسيح ابن الله المتجسد. للناسوت وجود في أقنوم الله الكلمة، هو الذي جعل القديسة مريم تلد الله المتجسد.

وأقنوم الله الكلمة المتجسد هو في الجسد. أيُّ عبارةٍ أخرى تقول عكس ذلك هي بعيدة تماماً عن المسيحية، ولا علاقة لها بالأرثوذكسية.

- اتحاد الطبيعتين تم في المسيح الواحد.

- هو حقاً واحد من اثنين.

وأيضاً

- واحد في اثنين.

لقد هُجرت عبارة واحد في اثنين؛ لأنها وردت في اعتراف المجمع الرابع ٤٥١م بالإيمان الأرثوذكسي، ولكنها وردت عند كل الآباء الذين شرحوا تجسد ابن الله. حقاً "في المسيح"، وهو تعبير الآباء الرسل، بل هو تعبير الرب يسوع المسيح نفسه:

"إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة" (٢ كور ٥ : ١٧).

ويقول الحق المتجسد بفمه الإلهي:

"ليكون الجميع واحداً كما أنك أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا،

أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد

ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به

وأكون أنا فيهم" (يو ١٧ : ٢١ - ٢٦).

والنص القبطي يقول:

Οτοϩ πικαχι αϣεροϣαϣ

"والكلمة صار جسداً

Οτοϩ αϣϣωπι ηδερι ηδτεν

وحلّ فينا" (يو ١ : ١٤).

و"فينا"، أي إنسانيتنا، هو ليس بيننا فقط، بل فينا.

ولاحظ أن دهاء المراطقة الجدد مثل حمار جحا يسقط في كل حفرة.

- رو ١ : ٣ حسب الأصل اليوناني: "وتعين ابن الله في قوة"، ولكن حسب الترجمة الشائعة: "وتعين ابن الله بقوة"؛ لأن الفعل والصياغة التي تستخدم حرف "ب"، أفضل من حرف الجر "في" على الرغم من أن حرف الجر الوارد في الأصل اليوناني هو "في" εϣ.

- رو ٥ : ٢ حسب الأصل اليوناني: "النعمة التي فيها نحن مقيمون".

- رو ٥ : ٥ : "محبة الله انسكبت في قلوبنا".

وما أكثر ما استخدم حرف الجر "في" للدلالة على الكينونة في العهد الجديد نفسه. لكن العبرة ليست في حرف الجر، بل في دلالة حرف الجر على حقيقة التجسد، وهي:

أولاً: اتحاد الطبيعتين.

ثانياً: تحول ناسوت المسيح نفسه إلى الخليقة الجديدة.

ودلالة حرف الجر يؤكد بها الإيمان الأرثوذكسي:

أولاً: وجود الناسوت في أقنوم الابن الكلمة.

ثانياً: وجود اللاهوت في ناسوت الابن الكلمة.

قاعدة الإيمان الأرثوذكسي الأولى: "الآب في الابن" (يو ١٠ : ٣٨).

يقول أثناسيوس العظيم:

"لاهوت الابن هو لاهوت الآب، والآب في الابن

والنتيجة

"وحيث أن ألوهية الابن ... ليست شيئاً آخر غير ألوهية الآب، وهذا هو ما يقوله: "أنا في الآب"، لذلك "كان الله في المسيح مصالحاً العالم لنفسه"^(١)، ولأن الابن هو جوهر الآب ذاته الذي بواسطته صُوِّلَت الخليقة مع الله، وهكذا فالأعمال التي عملها الابن هي أعمال الآب"^(٢).

التطبيق

"حينما ندعو الله أباً، فنحن نعني في الحال وجود الابن في الآب. ومن يسجد للابن ويكرمه، فهو في الابن يسجد للآب ويكرمه"^(٣).

(١) "كان الله في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (٢كور ٥ : ١٩)، هي ضد كل ما كتبه الأبنا بيشوي أسقف دمياط عن الكفارة والغداء ودفع الثمن وتعذيب الابن.

(٢) ضد الأريوسيين ٢ : ٥ - ٦.

(٣) ضد الأريوسيين ٢ : ٦.

ظاهرة سوء استعمال المفردات، واللغة بشكل عام، وأثرها على التسليم الرسولي للإيمان^(١)

كان سوء استعمال المفردات هو أحد عناصر تجربة آدم وحواء في الجنة (تك ٣: ١ - ٧)، ولإزالة سوء استعمال المفردات هو الطابع المميز لكل المراحل ابتداءً من أول مدرسة للهراطقة جميعاً، وهي المدرسة الأريوسية التي تبنت أساساً لغوياً أقامت عليه فهمها للعقيدة. بدا هذا الأساس اللغوي في أن كلمة "ابن" تختلف عن كلمة "أب"، وبالتالي يجيء "الأب" أولاً، ومن ثمَّ يجيء "الابن" بعد ذلك. وهكذا جاءت كلمة "الثالوث"^(٢) أي "المأدبة"، اسماً جَمِلاً للمأدبة سموم حوث عباراتٍ مسجوعةٍ سهلة الحفظ تخلع الإيمان من جذوره بقوة وطغيان الكلمة:

"كان هناك زمانٌ لم يكن الابن فيه مولوداً".

وهكذا، وطبقاً لأريوس، فإن عبارة "مولود من الأب" لا تناسب جوهر اللاهوت؛ لأن الولادة تقسيم.

كما أن عبارة "اللاهوت لم يلد ولم يُولد" التي طبقها أريوس على الأب والابن، صارت فيما بعد إحدى عبارات نسطور التي أخذها عن أريوس، حيث طبقها على التجسد نفسه.

(١) نشر هذا المقال على موقع الدراسات القبطية في ١٤ فبراير ٢٠٠٩.

(٢) كلمة "ثالوث" معناها مأدبة أدبية، وهي العنوان الذي اتخذ أريوس لكتابه الذي وضع فيه أفكاره، وقد صاغه على شكل قصيدة منظومة، ذات لحن أنثوي، بحسب تعبير أنثاسيوس. راجع للمقالة الأولى ضد الأريوسيين: الفصل الثاني من الترجمة العربية التي أصدرها المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية بالقاهرة، عدة طبعات.

الصراع الخريستولوجي حول المفردات

كيف نعبر عن التجسّد، وفي ذات الوقت، عن الإيمان ببقاء الناسوت متحدّاً إلى الأبد بلاهوت الابن الكلمة؟

رغم أن هذا السؤال يبدو عادياً، ألا أنه لا يخلو من خداع اللغة، يظهر ذلك في حذف أي إشارة إلى طبيعتين متحدتين.

أمّا تعبير "طبيعة واحدة للكلمة المتجسد"، فهو يؤكد وجود الطبيعتين؛ لأن كلمة "المتجسد" تُطلق على تأنس ابن الله الكلمة.

وما نؤكد عليه أن تعليم مجمع خلقيدونية ٤٥١ م لم يكن تعليماً نسطورياً، ولم يكن تعليم هذا المجمع ضد تعليم أو ضد رسائل القديس كيرلس السكندري، بل جاء قرار المجمع ضد: النسطورية، والأوطاخية، والمونوفيزية.

إن ما أكده المجمع في ٤٥١ م هو حقيقة تجسّد ابن الله. وتعبير "في طبيعتين" هو تعبير العهد الجديد نفسه؛ لأن الرسول بولس استخدم تعبير "في المسيح" بشكل وافر، وهو ما يعبر عن بقاء كل مؤمن "في المسيح" حياً إلى الأبد، لأننا بدون المسيح هباء.

كيف نعبر هوة خداع الألفاظ؟

قد يستخدم البعض، بعض كلمات قد توقعه في شر تأييد المهرطقات القديمة، وقد يكون هذا الاستخدام عن جهل، وقد يكون دفاعاً أعمى عن بعض الأشخاص، فكيف يمكننا أن نعبر هوة خداع هذه الألفاظ، وما هي المقاييس أو المعايير التي نعتمدها في ذلك؟

يجب أن يكون لدينا تمييز واضح ودقيقٍ لِمَا إذا كان الكلام يؤكد على "الاتحاد" الذي يحفظ التمايز والاختلاف، أو ما إذا كان يؤدي إلى أي شكل من أشكال أو أنواع الانفصال.

وعلى ذلك، يمكننا أن نكتشف أن كل من يحاول إذابة الناسوت أو فصله عن اللاهوت، هو ينتمي أصلاً إلى مدارس الهرطقات؛ لأن إذابة الناسوت على الطريقة الأوطاخية لا تختلف في جوهرها أو في محصلتها الأخيرة عن فصل اللاهوت عن الناسوت، وهو ما جاء به نسطور.

وفصل اللاهوت عن الناسوت هو ذات المبدأ الذي جاء به أريوس نفسه، وطبقه على الثالوث، ففصل الابن عن الآب؛ وكان السبب في ذلك من وجهة نظره أن الأقنوم الثاني له اسمٌ يختلف عن اسم الأقنوم الأول.

وجاء أنوميوس - فيما بعد - وفصل القوة الفاعلة في الله عن جوهر الله، وبات خط الفصل ممتداً في العصر الحديث من أريوس إلى نسطور إلى أوطاخي إلى أنوميوس ودخل في كتابات الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، والتي نالت قبولاً عند الذين لم يدرسوا التاريخ الكنسي.

مدرسة الفصل عند بعض الإكليروس المعاصرين

تقوم هذه المدرسة أساساً على فصل الروح القدس عن المواهب^(١).

هذا الفصل أدى - فيما بعد - إلى فصل اللاهوت عن الناسوت في سر الإفخارستيا، كما أدى إلى اعتبار أقانيم الثالوث مجرد صفات.

وتاريخياً، تجد مدرسة فصل اللاهوت عن الناسوت في سر الإفخارستيا، أساسها اللاهوتي في تعليم الذين أنكروا الثالوث في القرن الثالث، ورائد هؤلاء سايبليوس الذي اعتبر أن أقانيم الثالوث هي مظاهر متنوعة لإله واحد. وهكذا جاء الأنبا شنودة ليقول إن أقانيم الثالوث هم صفات لجوهر الله، فتحول الأقنوم إلى مجرد صفة، فتحول الآب إلى (الوجود)، والابن إلى (العقل)، والروح القدس إلى (الحياة). وكان طبعياً أن تكتمل الحلقة بفصل اللاهوت عن الناسوت في سر الإفخارستيا، وفصل الروح القدس عن مواهبه.

(١) راجع في ذلك بالتفصيل دراستنا عن "مواهب الروح القدس، دراسة في الكتاب المقدس والآباء والطقس" منشورة على موقع: coptology.com

وفي تطور حديث معاصر لنا يجيء الأنبا بيشوي ليدّعي أن القوة الفاعلة في الله energy هي غير جوهر الله، وبذلك يكون قد فصل القوة الفاعلة في الله عن جوهر الله، حتى يتسنى له -متضامناً مع الأنبا شنودة- إنكار التعليم الرسولي الخاص بالشركة في الطبيعة الإلهية، هذا التعليم الذي رأيا فيه -سويّاً- تعليماً غريباً على المسيحية.

ويبقى السؤال الدقيق: كيف نُميّز التعليم الصحيح؟

والجواب هو، علينا:

أولاً: أن نُميّز غاية الخطاب، وغاية المتكلم: هل هو من مدرسة الفصل أم من مدرسة الاتحاد.

ثانياً: يجب ألا نتوقف عند كلمة واحدة أو لفظ واحد، بل علينا أن نلاحظ بكل دقة كيف أن لفظاً واحداً بعينه له ما يسنده من ألفاظ أخرى تتجه نحو غاية واحدة، وهي (الشركة). فإذا كان ما يُكتب هو ضد هذه الغاية (الشركة)، فهذا تعليم غير مسيحي، وإذا كان ما يُكتب يعبر عن ذوبان الإنسان في الله، فهذا تعليم أوطاخي.

إذن، فقاعدة التمييز الدقيق هي:

- الشركة مع التمايز.

- أن يظل اللاهوت لاهوتاً.

- أن يظل الناسوت ناسوتاً.

مع الأخذ في الاعتبار أن بقاء اللاهوت والناسوت في الأقبوس الواحد المتجسّد هو المقياس الصحيح للشركة.

المقياس الأرثوذكسي الدقيق

يتلخص هذا المقياس في أن ما حدث لناسوت الرب هو (لأجلنا نحن)، وأننا نشترك فيه كما اشترك ناسوت الابن في لاهوته، متحداً به.

وحسب التسليم الكنسي، هذا المقياس هو قاعدة الأسرار الكنسية، ويشكل خاص المعمودية والميرون والإفخارستيا؛ لأننا في أسرار الانضمام للمسيح ننال من المسيح ما حدث لناسوت المسيح وهو:

* فداء أو تحرُّر من الفساد.

* فداء أو تحرُّر من الموت.

* نوال المجد الإلهي الأبدي، أو تأله ناسوت الرب.

الكلمات الدالة

ونظراً لأن خداع الألفاظ يأتي من الجهل بقواعد اللغة اليونانية، والاكتفاء بما نُشر من دراسات محدودة المجال من أبحاث الدكتوراه وغيرها، فإننا نضع هنا أمام القارئ الكلمات الدالة على موضوع الشركة في الطبيعة الإلهية، وبعض النصوص التي توضح كيف استخدمها الآباء.

أولاً: الفعل Θεοποιεω

وهو أولاً فعلٌ مركب من مقطعين: Θεο و ποιεω والمقطع الأخير يعني: يجعل = to make وهي الكلمة الأكثر استخداماً عند القديس أنثاسيوس.

ثانياً: الاسم: Θεοποιησις وهو يعني to make God ولاحظ أن الاسم noun يحتمل -لغويًا- وجود الصفة adjective ولذلك جاءت الصفة Θεοποιητος تأله أو متأله.

ثالثاً: الفعل نفسه هو فعل آخر جاء من كلمة Θεός وهو فعل Θεωω ويعني يتأله أو يؤله، واستُخدم هذا الفعل في موضوع اتحاد الطبيعتين في المسيح عند كل

من: غريغوريوس اللاهوتي النزينزي، رسالة ١٠١ مجلد ٣٧: عامود ١٨٠. وكيرلس الكبير، الثالث فصل ١٤ مجلد ٧٧: عامود ١١٥٢.

كما استُخدم عن الإنسان عند غريغوريوس اللاهوتي النزينزي في مقالة ٤٠: ٤٢ مجلد ٣٦: عامود ٤٢٠.

رابعاً: أما الكلمة Θεοσις فقد استخدمها من آباء الإسكندرية، القديس كيرلس، الثالث فصل ١٤ مجلد ٧٧: ١١٥٢. وكذلك القديس غريغوريوس اللاهوتي النزينزي مقالة ٣٩: ١٦ مجلد ٣٦ عامود ٣٥٣.

خامساً: الكلمة Θεον τελεω وقد وردت عند غريغوريوس النزينزي في مجلد ٣٧: عامود ٤٦٥.

ولعل الأخوة الذين يحاربون الشركة باللفظ قادرون على ترجمة هذه الفقرة:

– Επει γαρ ουν εγγινετ ανθρωπος Θεος,
Θεος τελειτ ανθρωπος εις τιμην εμην.

Carmina dogmatica 10.5-9

"حيث أن الله صار إنساناً،

هكذا الإنسان يكمل perfected كالله.

وهذا هو مجدي".

هل تتوقف العقيدة على استخدام لفظ يؤلّه أو يتألّه؟

أولاً: عندما يشرح كيرلس الأورشليمي سر الإفخارستيا يقول:

"عندما تشتركون في الجسد ودم المسيح، تصيرون من نفس الجسد ومن نفس الدم فيه، وبذلك تصبح حاملين المسيح فينا؛ لأن جسده ودمه قد انتشرا Diffused في كل أعضاء أجسادنا، وعن هذا يقول بطرس المبارك "تصبحون شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بطرس ١: ٤). (التعليم عن الإفخارستيا ٤: ٣ – راجع النص اليوناني في نشرة معهد القديس فلاديمير ص ٢٧ – الترجمة الانجليزية ص ٦٦).

ثانياً: في تحرر وخلص الإنسان يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي النزينزي عن الرب يسوع:

"هو يتنازل إلى مستوى إخوته في العبودية ومستوى العبيد، فيأخذ صورة غريبة عنه، ويحملني في ذاته مع كل ما لي، حتى يذيب ما فيّ من شر، كما تذيب النار الشمع، أو الشمس ضباب الأرض، وحتى اشترك بهذا الاختلاط، في ما هو له" (المقالة ٣٠: ٦ راجع الخطب ٢٧-٣١ اللاهوتية - منشورات المكتبة البوليسية - تعريب الأب يوحنا الفاخوري بيروت ١٩٩٣ ص ١١٢ - ١١٣).

والاختلاط هنا ليس هو اختلاط طبائع، بل هو وضع ما هو ديني مع ما هو مقدس. أن ننال ما للمسيح دون فصل اللاهوت عن الناسوت، لا في الرب يسوع، ولا في المؤمنين أنفسهم؛ لأن هذا الفصل يهدم مجد القيامة، قيامة يسوع وقيامتنا؛ إذ يقول الرسول بولس عن الرب يسوع "الذي سوف يغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون *συμμορφον* مشابهاً لجسد مجده. وتعبر "جسد مجده"، هو تعبير خاص بقيامة الرب يسوع نفسه، وخاصاً أيضاً بتحول كل إنسان ليكون مثل الرب، وهو الموضوع الذي شغل ١ كور ١٥: ٣٩، ٤٢ - ٥٣.

وهو أيضاً تحوّل الطبيعة الإنسانية من مجد إلى مجد "لأننا جميعاً بوجه غير مغطى (مكشوف، وليس مثل وجه موسى) نرى مجد الرب كما هو في مرآة ونتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد يُعطى من الرب الروح" (٢ كور ٣: ١٨).

هذا لا يمكن أن يحدث بواسطة القوى المخلوقة الطبيعية. لا ينقل إلينا مجد المسيح ألا المسيح نفسه. ولعلك عزيزي القارئ تكون قد لاحظت كيف حذف الأنبا شنودة - في محاضراته - هذه النقطة، واستخدم عبارة النبي أشعياء: "مجلي لا أعطيه لآخر"، دون أن يدرك أن سياق نص أشعياء يختلف، ودون أن يدرك أنه ضحية "الفصل"، ودون أن يدرك أنه - بذلك - يهاجم أساس المسيحية؛ لأننا سننال مجد المسيح نفسه، حيث لا يوجد نوعين من المجد: واحد إلهي، وآخر إنساني؛ لأن المجد الإلهي سيوهب لنا بسبب شركتنا في جسد مجده.

وما يجب علينا أن نلاحظه، أن الرسول بطرس - في الكلمات التي أزعجت الذين سقطوا في هاوية الهرطقات القديمة- يضع **المجد** قبل إعلان **الشركة**، إذ يقول الرسول: "قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي **دعانا بالمجد والفضيلة**. اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والتمينة لكي نصيروا بها (بالمواعيد) **شركاء الطبيعة الإلهية** (لا لكي يسجد الناس لنا كما يتصور الأنبا شنودة) هارين من الفساد الذي في العالم بالشهوة" (٢ بطرس ٢: ٣ - ٤).

ولذلك يقول الرسول: "لهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهدا قدموا في إيمانكم فضيلة"، ثم يضيف بعد ذلك "معرفة - تعفف - صبراً - تقوى - مودة أخوية - محبة" (٢ بطرس ١: ٤-٦).

"شركة، وشركاء"، واللغظ اللغوي

لغويًا، استخدام كلمة "شركة" يستدعي استخدام حرف الجر "شركة في الطبيعة"، ولكن استخدام "شركاء" يستدعي الملكية، وبالتالي لا يوجد حرف الجر (في)، فليس نحن "شركاء في"، بل "شركاء الطبيعة الإلهية"، وهي أقوى في صياغتها عندما يحذف حرف الجر.

المرادفات التي لا يجب أن ننساها

أولاً: αφθαρσία ويرادفها αθανασία عدم الفساد = عدم الموت أو الخلود.
+ وأول من له عدم الموت - حسب الناسوت - هو المسيح نفسه، وهو ما شغل الفصل ٢٠ من تجسد الكلمة:

"لم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت ألا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها ... كان الجسد قابلاً للموت ... غير أنه بفضل اتحاد الكلمة، فإنه لم يعد خاضعاً للفساد حسب طبيعته، بل بسبب أن كلمة الله حلّ فيه، فإن الفساد لم يلحق به".
ولأن "عدم الموت" - حسب تعبير الرسول - هو تعبيرٌ خاص باللاهوت "الله الذي

له وحده عدم الموت" (١ تيمو ٦ : ١٦)^(١)؛ لذلك أُعيدت نعمة عدم الموت أو عدم الفساد للإنسان:

"ما الذي أعطى للبشر اليقين بالخلود كما فعل صليب المسيح وقيامته جسده"
(تجسد الكلمة فصل ٥٠ د. جوزيف فلتس ص ٤٩).

+ وهو ما يُعطى لنا بالتناول من جسد الرب ودمه، كما هو واضح في كل القداسات الأرثوذكسية. ولعل أقدم تعبير وصلنا من التاريخ هو للشهيد أغناطيوس الأنطاكي الذي يقول عن الإفخارستيا:

"دواء عدم الموت $\Phiαρμακον\ αθανασιας$ وأنها الكمال $Τελειωσις$ (الرسالة إلى أفسس ٢ : ٢٠).

وحسب شرح القديس باسيليوس

"الكلمة يخلق، والروح يثبّت، وما هو الثبّت سوى التكميل بالتقديس. والتكميل يعني الثبات وعدم التغير والتمسك بالصلاح، فلا تقديس بدون الروح القدس. وقوات السموات ليست مقدسة بطبيعتها" (الروح القدس ١٦ : ٣٨).
"الروح هو الذي يعطي الكمال" (المرجع السابق).

والكمال هو التشبّه بالمسيح، لذلك يقول القديس باسيليوس:

"تدبير إلهنا ومخلصنا الخاص بالإنسان هو استرجاع الإنسان من السقوط والعودة من الاغتراب الذي حدث له بسبب المعصية إلى شركة مباشرة مع الله. لذلك السبب جاء المسيح، وحلّ في الجسد، وعاش حسب المثال الذي نراه في الأناجيل، وتألّم على الصليب، وقبر وقام؛ لكي يخلص الإنسان، عندما يتمثّل بالمسيح ويعود إلى رتبة البنوة القديمة. والتشبّه بالمسيح هو وحده الذي يقود إلى كمال الحياة ... فكيف نبليغ إلى التشبه به في موته (رو ٤ : ٥ - ٦) أليس بالدفن معه في المعمودية" (الروح القدس ١٥ : ٣٥).

ثم يقول:

"بالروح القدس

استعدنا سكنانا في الفردوس،

(١) راجع أيضاً مقالة المجمع للقديس أنثاسيوس فصل ١٦ مجلد ٢٦ عامود ٧٠٨.

وصعودنا إلى ملكوت السموات،
وعودتنا إلى مكانة البنوة وحریتنا لأن ندعو إلهنا الآب،
وشرکتنا في نعمة المسيح،
وتسميتنا أبناء النور،
وميراثنا في المجد الأبدي" (الروح القدس ١٥ : ٣٦).

وأخيراً نقول لمن يكتب عن المعنى الحرفي، هذه هي كلمات باسيليوس الكبير:
"كل من يقف عند المعنى الحرفي ويشغل نفسه بحفظ الناموس يصبح كمن صار قلبه مغلقاً
بالمعنى الحرفي اليهودي" (الروح القدس فصل ٢١ : ٥٢)^(١).

(١) نرجو من القارئ مراجعة ترجمتنا لكتاب الروح القدس للقديس باسيليوس، فصل ٢٦ الخاص بحرف الجر "في" وفصل ٢٧ الخاص بحرف "مع".

"عقيدة الفداء والكفارة"
بحث نقدي كتابي وآبائي لكتاب
نيافة الأنبا بيشوي مطران دمياط^(١)

دراسة في صحة أرثوذكسية مطران دمياط
مقدمة لآباء المجمع المقدس للكنيسة القبطية
طعنًا على ترشحه لكرسي مار مرقس الرسول

(١) مقال منشور في يونيو ٢٠١٢.

الفصل الأول

تخبُّط وضباب كثيف وقفزات طائشة

يقولون في بلدنا العظيم "أول القصيدة كُفِّر" ... وكلمة "كُفِّر" كلمة شائعة لها لون الدم أحياناً وطريقها مسدود بالعداء والكراهية.

ما هي بداية الكُفْرِ؟

ها هي ذي كلمات المطران كاملة، فلا تزوير ولا قطع عبارات من السياق، وهو السلوك الذي اشتهر به:

"يقول المزمور: "الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما، الحق من الأرض أشرق والبر من السماء يطلع" (مزمور ٨٥: ١٠ - ١١). فكما أن الصليب هو إعلان عن محبة الله حسب قول السيد المسيح "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦). فإن الصليب أيضاً إعلان عن قداسة الله الكاملة وعن عدالته المطلقة. كما هو مكتوب "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب ٩: ٢٢). (ص ٧).

ما هي براهين المطران؟

لعلنا نلاحظ أن نص (مزمور ٨٥: ١٠ - ١١) لا توجد فيه إشارة إلى كلمة "عدل"، ولم ترد فيه حتى كلمة "محبة". ثم يورد مقولة شعبية إنجيلية (بروتستانتية) الأصل: "الصليب إعلان عن قداسة الله الكاملة وعن عدالته المطلقة". في حين أن تعليم له هذه المكانة كان يجب أن نجده في أسفار العهد الجديد، فهل توجد عبارة واحدة تقول إن الصليب إعلان عن قداسة الله الكاملة وعدالته المطلقة؟...

إذن، فهذا هو فكر المطران وحده. أمّا كلمات رسالة العبرانيين: "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب ٩: ٢٢)، فهي حسب التعليم الرسولي المدون، لا حسب خيال المطران، كانت عن ذبائح العهد القديم والنص كاملاً:

"لأن موسى بعدما كلم جميع الشعب... أخذ دم العجول والثيران مع ماء وصوفاً قرمزيّاً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب قائلاً: هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به والمسكن (خيمة الاجتماع) وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم. وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب ١٩: ٢٢).

وبسبب هجوم المطران، ومن قبله سيده على كتابات الآباء، وهي تراثنا الأرثوذكسي الحقيقي، سوف نكتفي - مؤقتاً - بالكتاب المقدس وحده، بل وبالترجمة البروتستانتية التي لا يعرف المطران سواها كما هو واضح.

١ - الدم هو دم العهد بين يهوہ وإسرائيل.

٢ - الدم للتطهير، والتطهير هو أحد جوانب الغفران والفداء.

حسب كلمات سفر اللاويين نفسه، وهو يشرح، أي السفر نفسه يوم الكفارة العظيم، يقول: "ومتى فرغ من التكفير عن القدس وعن خيمة الاجتماع وعن المذبح يقدم التيس الحي... لأنه في هذا اليوم يُكفّر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم أمام الرب تَطْهَرُونَ" (لا ١٦: ٢٠ مع ٢٩ - ٣٠). ولو كان المطران يعرف معاني كلمات القداس، لوجد أن كلمة "تطهير" و"طهارة" هي الكلمة الغالبة في القداسات القبطية، وهي تعني الغفران والفداء معاً؛ لأن من عادة الأسفار المقدسة استخدام أكثر من كلمة وأكثر من فعل لشرح حقيقة العلاقة مع الله، ولذلك لم تكن كلمات (عب ٩: ٢٢) عن القداسة والعدل المطلق، بل هي عن تأسيس العهد، وفات عن المطران أن الرسول بولس يقول: "وكل شيء تقريباً يتطهر بالدم"، فالدم يطهر كما قال رسول المسيح: "دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (١ يو ١: ٧)، ويقول نفس كاتب العبرانيين عن

الرب يسوع المسيح: "بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس عن يمين العظمة في الأعالي" (عب ١ : ٣).

أولاً: الثنائية التي تفضح السادية

يسيطر على صاحب النيافة هواجس خاصة تجعله يغرق في استخدام بعض مصطلحات، يظن القارئ غير المتخصص أنها صحيحة، أو على الأقل لا يرقى إليها الشك ولا يطالها النقد، في حين أن هذه المصطلحات تكشف عن الاتجاه الفكري الذي يعتنقه المطران في كلامه عن الفداء، وعلى سبيل المثال:

أولاً: تعبير "السيد المسيح". فهذا التعبير هو تعبير المطران المتواتر، وهو لا يستخدم تعبير "الرب يسوع"، وهو التعبير الذي يضع ألوهية الرب يسوع في بؤرة الاهتمام، في حين أن تعبير "السيد المسيح" هو تعبير حيادي، يمكن لغير المؤمنين أن يقولوه دون أن يعبر ذلك عن شيء إلا الاحترام:

- "حسب قول السيد المسيح" (ص ٧).
- "قيل عن عمل السيد المسيح الفدائي" (ص ٨).
- "يتضح ذلك من كلام السيد المسيح" (ص ١٠).
- "أن السيد المسيح احتمل الغضب" (ص ١١).
- "دفع ثمنها السيد المسيح" (ص ١٨).
- "قد دفع ثمنها السيد المسيح" (ص ١٩).
- "السيد المسيح لم يمت عنا بل مات لأجلنا" (ص ٢٤).
- "نحن صلبنا مع السيد المسيح" (ص ٢٥).
- "لأن السيد المسيح لم ينجب نسلًا جسدياً" (ص ٢٦).
- "أن السيد المسيح قد اشترك في طبيعتنا" (ص ٢٧).
- "السيد المسيح قد ناب عن البشر" (ص ٢٩).
- "صلب إلى جوار السيد المسيح" (ص ٣٢).

فقد تلاحظ أن نيافة المطران قد استخدم تعبير "السيد المسيح" ١٢ مرة على

مدى صفحات الكتيب الذي لم تتجاوز صفحاته يا سيادة المطران ٣٥ صفحة.

هكذا تعلمت من سيدك أن تقول السيد، وليس الرب.

والخفي في هذا الاستعمال، هو استعمال الغضب والسحق والجلد ودفع الثمن، وهو الجانب المساوي في تقديم المطران لعقيدة يظن أنها عقيدة مسيحية، في حين أنها لا تمت للمسيحية بصلة:

تأمل عزيزي القارئ بدقة ما يقول:

- "لا أحد يستطيع أن ينكر غضب الله بسبب الخطية" (ص ٩).
- "سقط تحت الغضب الإلهي" (ص ٩).
- "يجر المسبيين ويخلصهم... وينقذهم من الغضب الإلهي" (ص ١٠).
- عنوان جانبي: "إنقاذ البشرية من غضب الله" (ص ١١).
- "السيد المسيح احتمل الغضب" (ص ١١).
- "الله لم يشفق على ابنه (وهي ترجمة خاطئة تكشف مذهب فان ديك المترجم الذي نشر الترجمة البيروتية، وهي كتاب الأنبا بيشوي الذي لا يعرف سواه)، بل بذله لأجلنا (رو ٨: ٣٢). الله لم يشفق على ابنه حينما حمل خطايانا في جسده بل أعطى غضبه على الخطية لكي تنال الخطية دينونة عادلة" (ص ١٢).
- "الله يريد أن يعلن نقمته وغضبه ضد خطية الإنسان" (ص ١٣).
- "أشار القديس يوحنا ذهبي الفم إلى أهمية رفع الغضب الإلهي لإتمام المصالحة" (ص ١٣ - وهو اقتباس مشوه سوف نقدمه كاملاً للقارئ في نهاية هذه الدراسة).

ثانياً: الانتقام - السحق - الجلد - دفع الثمن

- "غفران مدفوع الثمن" (ص ٧). وإذا قرأنا النص كاملاً وجدنا المطران يقول: "الغفران الإلهي هو غفران مدفوع الثمن.. لا بد أن يعلن غضبه على الخطية" (ص ٧)، ويؤيد كلامه بكلمات رسول الرب في (رو ١: ١٨)، ومن ثم يضع الخوف: "مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي" (عب ١٠: ٣١). ويقول:

"إلهنا نار آكلة" (عب ١٢ : ٣٩). والغريب والشاذ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني هو أن المسيح نفسه هو الذي وقع في معصرة خمر سخط وغضب الله" (رؤ ١٩ : ١٥)، وهو ما لم يذكره سفر الرؤيا.

أمّا عن كلمات (رو ١ : ١٨) فليس لها علاقة بصلب المخلص؛ لأن غضب الله معلن في الأسفار على شعوب وليس على أفراد، وحتماً ليس على المخلص نفسه الذي لا يمكن فصله عن الآب، إلاّ في فكر من وقع في براثن الهرطقة الأريوسية. والسؤال الملح، هو لماذا لم يقرأ المطران (رو ١ : ١٦ - ١٧)؛ لأن الرسول قال: "لأنني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن. لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان...". وهنا يتضح لنا أن المطران أسقط أسبقية إعلان قوة الله للخلاص وبره، وأسرع إلى "غضب الله"؛ لأن هذا يتناغم مع حياته وطبعه وسلوكه الكنسي.

أمّا كلمات الرسول في (عب ١٠ : ٣١ - ١٢ : ٣٩) ليس لها علاقة بصلب الرب والفادي. حيث يقول الرسول: "فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد أن أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة خطية (مثل ذبائح العهد القديم)، بل قبول دينونة مخيف ونار عتيدة أن تأكل المفتدين... فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة... مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي" (عب ١٠ : ٢٦ - ٣١).

وهنا نلاحظ أن الخطاب في هذا النص هو عن الارتداد بعد الإيمان إلى اليهودية، والدليل هو من نفس كلمات الرسول:

أ - خطية بعد معرفة حق الإنجيل (١٠ : ٢٦)، وكل خطايا العهد القديم يقدم الخاطئ عنها ذبيحة خطية. أما خطية الارتداد، فهي لا تعالج مثل خطايا العهد القديم، بل بالعودة إلى الإيمان.

ب - ولذلك قبول دينونة... (١٠ : ٢٧)، وبكل دقة يقول الرسول إن كل من يخالف ناموس موسى (التجديف وعبادة الأوثان)، فعلى شاهدين أو ثلاثة

شهود يموت (١٠ : ٢٨)، وبالمقابل "فكم عقاباً أشر" (الموت الأبدي) وهو ليس عن أي خطية، بل بكل دقة:

* من داس ابن الله - أنكره بعد الإيمان به.

* حسب دم العهد الذي سفك عنه دنسا - لأن المرتد يلعن الرب.

* والنتيجة الثانية "أزدرى بروح النعمة"، أي بالروح القدس.

عند ذلك:

* مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي (١٠ : ٣١).

لكن السادية تختار بدون تمييز: "إلهنا نار آكلة" (عب ١٢ : ٢٩)، فهل هي نار تأكل المصلوب عنا أو لأجلنا «فلا فرق لغوي بالمرّة»، هكذا شرح سيد ومعلم الأنبا بيشوي نار العدل الإلهي التي حولت الرب يسوع إلى رماد عندما عُلق على عود الصليب؛ لأن المعلق على الصليب هو السيد، وليس الرب المساوي للآب، هذا لو كان لدى الأنبا شنودة الثالث والأنبا بيشوي إيمان بثالوث واحد لا ينقسم؛ لأنهما لو كانا يؤمنان بأن جوهر الثالوث واحد، لما تجاسر أيهما على هذه العبارات التي تفضح التكوين العقلي والنفسي لكليهما البعيد تماماً عن الأرثوذكسية.

نص عب ١٢ : ٢٥ - ٢٩ كاملاً

"انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذي من السماء... فقد وعد قائلاً إني مرة أيضاً أزلزل لا الأرض فقط بل السماء... يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى تلك التي لا تتزعزع. لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع... نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى لأن إلهنا نار آكلة" (عب ١٢ : ٢٥ - ٢٩).

فهل هذا عن صلب الرب؟ بكل تأكيد لا. لكن السادية تجحد في أي عبارة

ما يثير الغرائز - الخوف - العقاب - الجلد.

ماذا تعني كلمات الرسول؟

أ - إن الله زلزل الأرض، ولكنه في العهد الجديد سوف يزلزل السماء؛ لأن هناك "سماء جديدة وأرض جديدة" وهو الوعد الإلهي.

ب - وضاعت في احتدام مشاعر الغيظ كلمات الرسول: "فبالأولي جداً لا ننجو نحن المرتدين"؛ لأن الارتداد عن الإيمان هو الذي سيجعل الله "ناراً آكلة". الخطاب هو عن الارتداد.

مقولة فاسدة لأنها غير مسيحية

"بعد أن ذكر (عب ٢٢: ٢٩)، يقتبس «عمل السيد المسيح الفدائي المذكور في سفر الرؤيا» (١٩: ١٥) وهنا غاب عن عقل المطران أن سفر الرؤيا هو سفر مجد يسوع، فهو:

"الألف والياء... الرب الكائن (وليس السيد) الذي كان والذي سيأتي القادر على كل شيء" (رو ١: ٨ - ١: ١٨).

هو الرب الذي يحاكم للتوبة الكنائس السبع؛ لأنه عندما يحاكم أسقف أفسس تنتهي المحاكمة إلى: "من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله" (٢: ٧). ويقول لأسقف سмирنا، وهو حسب التقليد الكنسي الشهيد بوليكارب: "كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة" (٢: ١٠). أما أسقف برغامس، فهو وعد بأن من يغلب (سأعطيه أن يأكل من المن المخفي وأعطيه حصاة بيضاء وعلى الحصاة اسم جديد مكتوب لا يعرفه أحد غير الذي يأخذ" (٢: ١٧)، ولاحظ باقي كلمات التشجيع والتعزية للرب الغالب الموت والهاوية "ملك ملوك الأرض" أما النص الكامل فهو:

"ثم رأيت السماء مفتوحة... والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه ومن فمه يخرج سيف لكي يضرب به الأمم. وهو سيرعاهم بعضاً من حديد،

وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: ملك الملوك ورب الأرباب" (رؤ ١٩ : ١١ - ١٦). إذن واضح من النص أنه هو الذي سيدوس، وليس هو من يداس، فكيف أخطأ المطران في قراءة كلمات سفر الرؤيا، إلاّ لأنه يبحث عن كلمات وعبارات تتوافق من ما ينبع من تكوينه النفسي البعيد عن العقيدة الأرثوذكسية.

إذن، فهو ليس السيد المسيح، ذلك اللقب الغريب جداً والذي يقال فقط من أجل إرضاء الأشقاء في الوطن ولأسباب سياسية، كما كان يفعل سيده الذي لم يذكر قيامة الرب يسوع ولا مرة في عظات عيد القيامة.

أ - يدوس المعصرة، أي لكي يدوس كما كان العنب يداس حتى يخرج العصير، وهي طريقة عصر العنب التي لا تزال سارية في بعض بلاد الشرق الأوسط. فهو جاء لكي يعلن غضب الله في يوم الدينونة على الأمم، وليس عليه هو نفسه.

ب - ليس هو الذي نال غضب الله، وحل عليه الغضب، لأنه ليس "السيد"، بل ملك الملوك ورب الأرباب.

ولكن ماذا نقول لمن يصطاد كلمات مقدسة على هواه الشخص لكي يفضح هذا الاصطياد حقيقة حياته النفسية.

يقول: "سَقَطَ تحت الغضب الإلهي"

من الذي سقط؟ آدم أم إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى ثم داود وسليمان والقائمة التي ذكرها الرسول في (عب ١١)، وكل هؤلاء لهم خطايا جسيمة جداً مثل القتل والزنى، مثل زنى شمشون "ذهب شمشون إلى غرة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها" (قضاة ١٦ : ١ وبعده). وكل هؤلاء كانوا من أبطال الإيمان، فمن من هؤلاء سقط تحت غضب الله؟

"إنقاذ البشر من غضب الله"

عنوان مريب، بل هو في مجمله تحديف.. فمحصلة خطاب مطران دمياط هي أن المسيح الرب جاء لكي يخلصنا من الآب لا من خطايانا وحدها... وهذه هي عبارات نياقة الأسقف الجليل، كما يصف نفسه.

- "السيد المسيح احتمل الغضب".

- "الألم الذي احتمله هو نتيجة الغضب المعلن ضد الخطية ليس غفران بلا ثمن".

- "الذي دفع الثمن هو السيد المسيح" (ص ١١).

وعجز المطران عن أن يقدم ولو آية واحدة من العهدين تؤكد هذا التعليم. ولو كان في المسيحية تعليماً مثل هذا لوجدناه بوفرة في الأسفار المقدسة، ولكن عبارات المطران هي عبارات تطن وفارغة تماماً من كل مضمون كتابي.

- "إن الإنسان حينما ينظر إلى صليب الرب يسوع المسيح يقف مبهوراً من محبته، إنه يرى في الصليب الحب بأجلى معانيه". هذه العبارة جيدة؛ لأن العهد الجديد يؤكد هذه الحقيقة التي سوف نعود إليها، ولكن بقية العبارة لا وجود لها في الأسفار: "ويرى العدل أيضاً يأخذ مجراه. ويسمع كلمات الرسول منذراً إياه هو وغيره من المؤمنين: "قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم.. " (١ كور ٦: ٢٠). فهل في كلمات الرسول أية إشارة ولو ضمنية إلى العدل الإلهي. هل حتى مع الأخذ بالمعنى الذي أراد المطران أن يفرضه على كلمات الرسول، وهو "الشراء بثمن"، فهل الشراء بثمن هو مجرى العدل الإلهي على الصليب، وهل قال الرسول إن هذا الثمن دفع على الصليب؟

بكل تأكيد لا. وهذا هو النص كاملاً:

"كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق... ألتستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح. فأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية حاشا... أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي

لكم من الله^(١) وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١ كور ٦: ١٢ - ٢٠).

أ- خطأ المطران الأول هو عدم معرفته حتى بقواعد اللغة العربية؛ لأن "اشتريتم" هي صيغة مبني للمجهول، فهي لا تذكر ثمن يدفع، ولا من يدفع، والعبارة كلها عن ملكية الله للإنسان، وليست عن ثمن دفعه الرب يسوع المسيح.

ب- وما غاب عن المطران؛ لأنه موضوع غائب اتهم فيه الأب متى المسكين، كأن الأب متى المسكين هو أول من وضع تعليمًا عن الروح القدس، نقول إن ما غاب عن المطران هو أن الجسد هو هيكل للروح القدس، وحلول الروح يؤكد لأن استخدام "هيكل الله" أي هيكل الروح هي خلاصة العهد القديم عن حلول الله في الهيكل (إشعيا ٦: ١ وبعده)، وحلول الروح القدس في الجسد هو تعبير عن ملكية الله للإنسان؛ لأن الرب يسوع أسس هذا بقوله: "وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤: ٢٣). وبعد كل هذا نسأل ما هو الثمن؛ لأن صيغة المبني للمجهول لا تذكر أن الرب دفع ثمنًا.

ج- أما الجدير حقًا بالاهتمام، فهو أن الذي يوحدنا بالرب يسوع هو "الروح الواحد"، الروح الذي يجعلنا "هيكل الله"، وأن هذه العطية تجعل الرسول بولس يستخدم هذه الاستعارة "الثمن" لكي يؤكد الملكية.

- "دان الخطية لأن الله لم يشفق على ابنه" (ص ١٢)

هكذا يقوم المطران ليس بتثبيت العقيدة، بل "بتخريب العقيدة"، وهذه هي كلماته كاملة:

"أن الله لكي ينقذنا من نتائج خطايانا "أرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١ يو ٤: ١٠) وأدان الخطية كقول معلمنا بولس الرسول "الله أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد" (رو ٨: ٣). إدانة الخطية في الجسد،

(١) "الروح القدس الذي فيكم من الله"، عبارة تدحض أدعياء الذين يهاجمون القدس بالادعاء بأننا ننال حلولاً مواهياً.

تعني أن الخطية قد أدينَت على الصليب، فالله لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين (رو ٨ : ٣٢). الله لم يشفق على ابنه حينما حمل خطايانا في جسده، بل أعلن غضبه على الخطية لكي تنال الخطية دينونة عادلة. وهنا يتبرر الله كقدوس وكرافض للشر (ص ١٢).

والفقرة السابقة لا تعني إلا أن الله تبرر بالانتقام من الابن وسكب غضبه على الابن.

والسؤال: هل يمكن لمن يكتب هذه العبارة أن يكون مؤمناً بالثالوث؟؟؟

وعموماً: أين ورد في الأسفار أن صلب الرب يسوع سوف يبرر الله؟ ألا يعلمنا رسول الرب أن صلب الرب سوف يبرر الخطاة (رو ٥ : ١) !!؟

الفصل الثاني

كيف تطفو سادية الغضب على سطح كلمات مقدسة؟

المقطع السابق يليه هذا المقطع (ص ١٣) وهو كما كتبه المطران:

"أن الله يريد أن يعلن نعمته وغضبه ضد خطية الإنسان. فمن يقبل أن يحمل المسيح (اسقط حتى لقب السيد) خطاياه عنه، فإنه يرى بعينه الخطية قد سمرت على الصليب، ويعلم بهذا أنها أي خطاياه قد غفرت. يرى بعينه الخطية وقد أدينَت دينونة عادلة. وهكذا قال معلمنا بولس الرسول "إذ محا الصك الذي علينا... الذي كان ضدَّ لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب" (كو ٢: ١٤).

ثم يستشهد بالقمص تادرس يعقوب (دون أن يذكر المرجع)، ويقول:

"ويشرح القمص تادرس يعقوب هذه الآية ويقول: ماذا يعني تمزيق صك الدين الذي علينا الذي أعلنته فرائض الناموس؟ إلاَّ إيفاء الدين تماماً بالصليب".

وبعد ذلك يورد اقتباساً من ذهبي الفم سوف نعود إليه في الحاشية الثانية.

تبديد لظلام وضباب الفكر المطراني

إذا عدنا إلى (ص ١٢) نجد أن النص الكامل من الإصحاح الرابع لرسالة يوحنا الإنجيلي يقول عكس ما يذكره المطران، ولكن ضباب الانتقام حجب عنه رؤية استعلان المحبة، فماذا يقول رسول الرب؟

النص كاملاً (١ يوحنا ٤: ١ - ١٠):

أولاً: تحذير من الأنبياء الكذبة: "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح هل هي من الله

لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم" (٤ : ١).

ثانياً: مقياس لا خطأ فيه للتمييز: "بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله" (٤ : ٢).

ثالثاً: مقياس الكذب: "وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله" (٤ : ٣).

رابعاً: تحديد الأرواح الكذبة: "هذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم" (٤ : ٣) وهو لا زال في العالم.

خامساً: غلبة روح ضد المسيح: "أنتم من الله أيها الأولاد، وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم. هم من العالم. من أجل ذلك يتكلمون من العالم، والعالم يسمع لهم" (٤ : ٤ - ٥). وهذه كلمات لا تحتاج إلى تعليق فقط انظروا ماذا يحدث أمام الميكروفونات!!

سادساً: يتميز روح الحق من روح الضلال: "نحن من الله. فمن يعرف الله يسمع لنا" لأن الشهادة واحدة "ومن ليس من الله لا يسمع لنا" لأن الشهادة مختلفة "من هذا نعرف روح الحق (الروح القدس) وروح الضلال" (٤ : ٦).

سابعاً: التعليم الرسولي الذي لا شبهة خطأ فيه، إذا نفذه الأنبا بيشوي:

- "أيها الأحباء، لنحب بعضنا بعضاً، لأن المحبة هي من الله".

- "وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله" (٤ : ٧).

لاحظ أن قاعدة التمييز بين روح الحق وروح الضلال قد بُنيت على المحبة، لأن المحبة تُولد من فوق من الله. فإذا كانت قاعدة معرفة الله هي المحبة، فماذا يقول رسول المسيح بعد ذلك؟ يقول ما يفضح ويبدد ظلام فكر روح العالم الشرير الرافض لمحبة الله، أليست هذه هي كلمات الرسول يوحنا:

- "من لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة" (٤ : ٨).

فهل ترك تلميذ المسيح موضوع المحبة معلّقاً في فضاء التجريد وخيالات العقل؟ أبداً لم يفعل ذلك لأنه يكاد يسير في أروقة البطركية وبعض الإيبراشيات. ماذا يقول؟

- "بهذا أظهرت (استعلنت) محبة الله فينا"، أي في الإنسانية "أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به" جاء الابن لكي نحيا به حياة أبدية (٤ : ٩).
ثامناً: تعريف المحبة الباذلة: "في هذا (يسوع) هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (٤ : ١٠).

هل يوجد وضوح أعظم وأجلى من هذا؟:

- الله محبة.
- المحبة جعلت الآب يرسل الابن لكي يتجسد.
- المحبة جعل الابن حياتنا.
- المحبة هي التي جعلت شخص المسيح كفارة نفسه، وحاول أن تقرأ كلمات الإنجيلي بأي لغة تعرفها "الابن كفارة" وحسب دقة الرسول يوحنا "أرسل ابنه كفارة"، فهل تحول شخص الابن إلى ثمن يدفع للآب؟!!!
هذا تحديف على الثالث.

وعندما يُحول الآب ابنه الوحيد إلى ثمن يُدفع له، فأَي محبة هذه يمكن أن تكون سبباً لخلاص الإنسانية؟

تكفير يقال عن عمد وسبق إصرار (حسب لغة القانون).

هذه هي فتوى المطران:

"فانظروا يا ذوي الأبواب وافهموا ما هو القصد من هذه الحبكة الفكرية؟ تجاهل العدل الإلهي والهروب من مواجهة فكرة العقوبة، ثم الانحدار إلى هاوية إعلان قبول الله للخطاة بغير توبة" (ص ١٥) ... "هذا المسلسل الرهيب (لغة

الإذاعة المصرية) الذي لو تركناه فسوف يؤدي إلى الاستخفاف بالخطية وهلاك الرعية... الخ (ص ١٥).

هل لاحظ المطران أن تعبير "كفارة لخطايانا" هي تعبير عن محبة الله؟ حسب عباراته السابقة لا.

هل ربط بين إرسال الابن والصلب كاستعلان لمحبة الله؟ بكل تأكيد لا. ثم هل ذكر رسول المسيح نفسه شيئاً عن العدل الإلهي في عشر آيات تبدأ بالتحذير من روح ضد المسيح الموجود في العالم وهو ينكر تجسد الابن ثم ينكر أيضاً محبة الله؟

أدان الخطية في الجسد (رو ٨ : ٣)

إذا قرأت أيها القارئ الإصحاح كله (رو ٨) لا تجد العدل والنقمة والغضب الإلهي، بل تقرأ ما هو غريب تماماً عن فكر المطران.

"لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع... حسب الروح" (٨ : ١). فقد رُفِعَت الدينونة ليس لأن الأب حكم على ابنه، ولماذا رفعت الدينونة؟ "لأن ناموس روح الحياة"، أي شريعة جديدة تعطي الحياة بعكس شريعة موسى "قد اعتقني من ناموس الخطية والموت" (٨ : ٢) الانعتاق والتحرير من حكم الموت الذي دخل مع الخطية (رو ٥ : ١٢).

عجز الناموس وحكم الناموس

بعد ذلك ينتقل الرسول: "لأن ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد" (٨ : ٣). ضعف الجسد أعطى قوة حكم للناموس لأن الناموس يحكم بالموت (رو ٧ : ٤). "من ينقذني من جسد هذا الموت".

ضعف الجسد ← حكم الناموس

حكم الناموس ← عجز الناموس

"إذ أرسل الله ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد".

ولم يقف الرسول عند هذه الكلمات، بل يضيف: "لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (٨: ٣ - ٤).

أولاً: شبه جسد الخطية:

استخدم الرسول ذات الكلمة "شبه" في (رو ٦: ٥) في قوله "متحدين معه في شبه أو بشبه موته / Ομοίωμα".

"جسد الخطية" هو جسد آدم، الجسد القابل للموت "أخذ جسداً مثل جسد آدم"، فإذا جمعنا الكلمتين "شبه" مع "جسد الخطية" فإن قوة الموت لم تظهر إلا بعد خطية آدم (رو ٥: ١٢) وتخصت الخطية بالموت "ملك الخطية في الموت" ولذلك كان التجسد حقيقة والواقع الحقيقي للإنسانية.

جاء المسيح إلى حياة لا تختلف عن حياتنا الإنسانية مع تحذير أن شبه جسد الخطية هو تعبير يؤكد أن المسيح كان بلا خطية وهو في الجسد.

لأجل الخطية

تعبير غامض في العربية και Περί ἁμαρτίας وقد ورد التعبير نفسه في الترجمة السبعينية النص اليوناني في (لا ٥: ٦ - ٧ و ١١ - لا ١٦: ٣ و ٥ و ٩ - عدد ٦: ١٦ - عدد ٧: ١٦. سفر الأخبار الثاني ٢٩: ٢٣ - ٢٤ - نحيا ١٠: ٣٣ - حزقيال ٤٢: ١٣ - حزقيال ٤٣: ١٩). وفي العبرانية ل خ ط أ ه أي قربان خطية، أي "ذبيحة خطية"، أو "خطية" فقط حسب هوشع ٤: ٨ حيث يذكر النبي أن الكهنة يأكلون "خطية الشعب"، أي ذبيحة الخطية. وهذه الذبيحة حسب كلمات اللاويين "قدس أقدس" (وردت مرتين في الإصحاح السادس ٢٤ و ٢٩). وكانت الذبيحة "تحرق بنار" (لا ٦: ٢٩). لأنها "قدس أقدس" ولا حظ لا يوجد أي مجال للغضب الإلهي في كل ذبائح العهد القديم، لاسيما اللاويين، وعلى من يعترض أن يقدم البرهان من الكتاب المقدس.

دان الخطية في الجسد

فقد جاز الناسوت الموت، ومات فعلاً حسب تعليم كنيستنا العظيمة "ذاق الموت بالجسد". فقد ذاق "جسد الخطية" الموت وصار "ذبيحة خطية"، ولذلك تم "فيما نحن" حسب (رو ٦ : ٥)، إذ صرنا متحدين معه "يشبه موته" في المسيح، تم فينا حكم الموت أو حسب (رو ٨ : ٤). "لكي يتم حكم الناموس فينا"، ولكن لاحظ أن تمام حكم الموت لا يتم بمجرد موت الرب وحده، بل "نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح"؛ لأننا نموت عن خطايانا بقوة موت المسيح؛ لأننا "متحدين معه بشبه موته" (رو ٦ : ٥). لأننا لا نُصلب كما صُلب الرب، وباقي كلام الرسول واضح؛ لأن الذين يسلكون "حسب الجسد" حسب الحياة الإنسانية الطبيعية فيما للجسد يهتمون "لأن اهتمام الجسد هو موت لا يجدي معه موت المصلوب"؛ لأن "اهتمام الجسد هو عداوة لله" عداوة من جانبنا نحن وليس من الله. والسبب "إذ هو ليس خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع" (٨ : ٧).

رد القديس بولس على الأنبا بيشوي

١ - حكم الدينونة ظاهر وهو الموت، ولكننا نحن نموت مع المسيح في المعمودية (رو ٦ : ١ - ٥). وبذلك يتم فينا حكم الناموس لكي نحيا حسب الروح لأن المسيح حررنا "من ناموس الخطية والموت".

٢ - لكن السلوك حسب الروح وهو بكلمات القديس بولس "أنتم لستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم" (٨ : ٩).

هذا خبر سيئ للمطران؛ لأن تحرير الإنسان من الموت والخطية والدينونة ناقص بدون عطية الروح القدس، وهو "ناموس الحياة"، فإذا كان فينا روح الله (وليس المواهب فقط حسب ادعاء السذج) يأتي حكم الرسول قاطعاً مثل السيف الحاد "ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح (أي الروح القدس) فذلك ليس له (المسيح)" (٨ : ٩). "وإن

كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية أما الروح فحياة بسبب البر " والمعنى خاص بالمعمودية، أيضاً لأن الجسد صلب ومات ودفن (رو ٦ : ١ - ٦). ولاحظ المقارنة "جسد الخطية" (رو ٦ : ٦). وأيضاً (رو ٧ : ٢٤).

ولكن الروح أي روح الله هو الذي يعطي الحياة، وكلمة الروح هنا ليست الروح الإنسانية؛ لأن المعنى لا يستقيم "أما الروح فحياة بسبب البر" فلا بر يأتي من روح الإنسان.

حكم القديس بولس وحسب حيثيات الحكم في رو ٨

- ١ - المسيح حررنا من ناموس الخطية والموت (٨ : ١).
 - ٢ - المسيح جاء لكي يحكم على جسد الخطية بالموت (٨ : ٣).
 - ٣ - المسيح صار ذبيحة خطية كانت تُحرق في العهد القديم، ولكن الآن يُسلم المسيح هذا الجسد حراً (يوحنا ١٠ : ١٨) إلى الموت.
 - ٤ - المسيح مات وموته تم حكم الموت فينا نحن لا فيه هو وحده (٨ : ٤).
 - ٥ - الجسد أي جسد الموت مات مع المسيح في (رو ٦ : ٥).
 - ٦ - الآن وهي أهم فقرات المقطع كله "المسيح فيكم" (٨ : ١٠).
 - ٧ - المسيح فينا لأن روح يسوع أو روح المسيح ساكناً فينا (٨ : ١٠ مع ٨ : ٩).
- وبعد، أين الغضب والنقمة والعدل الإلهي يا سيادة سكرتير المجمع المقدس الذي لا يعرف كيف يقرأ (رو ٨). وبناء على ذلك يكمل الرسول بولس شرحه ويختتم الحكم على الأنبا بيشوي: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب. الروح نفسه (وليس المواهب لأن المواهب ليس لها صوت وإرادة) يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً وورثة لله ووارثون مع المسيح.. " (٨ : ١٥ - ١٧). لذلك صدر الحكم:

١ - فَرَّقَ وحدة الثالوث.

٢ - فصل عمل الابن عن عمل الروح القدس.

٣- لصق النعمة والغضب بالآب حيث لا توجد نقمة ولا غضب وعليه أن يتوب أو يُخرج من الجمع.

"الذي لم يشفق على ابنه"، تجديد فان ديك الذي صار عقيدة

على الرغم من أن كل الترجمات الأوربية الفرنسية والألمانية والإنجليزية تقول "الذي لم ييخل" وحسب الترجمة الموحدة لدار الكتاب المقدس "الله الذي ما يخل بابنه بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعاً". وفي كل الترجمات الإنجليزية King James بالذات وغيرها:

He who spared not his son.

لأن الفعل اليوناني هو: εθεσατο

الذي لم ييخل εθεσατο (راجع شرح الأب متى المسكين لرسالة رومية ص ٤١٢ مع دراسة استخدام ذات الفعل في تقديم إسحق لأن إبراهيم لم ييخل بابنه الوحيد إسحق - راجع كتابنا موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء ص ٥٥٢ - ٥٥٣ د. جورج حبيب بياوي - منشور على موقع الدراسات القبطية).

النص كاملاً (رو ٨: ٢٨ - ٣٩):

يشرح الرسول مجد الخلقة الجديدة في (٨: ٢٨ - ٣٠). ولا ينتهي التعليم عن مجد هذه الخلقة لأن الذين دعاهم،

مشابهين صورة ابنه

بررهم

مجدهم

ثم يسأل: فماذا نقول لهذا؟ ما هو التعليق على كل هذا، والجواب: إن كان الله معنا فمن علينا (٨: ٣٠). فالله الذي منح كل هذا من الذي يستطيع أن يُوقف عمله؟

"الذي لم ييخل علينا بابنه بل بذله أو أسلمه لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا (من الهبة والعطية معه كل شيء" (٨ : ٣٢).

عجيب حقاً فأن ديك. قبل ذلك شفاعة الروح القدس (٨ : ٢٧). ثم مجد الخليقة التي صار المسيح فيها بكرًا بين أخوة كثيرين (٨ : ٢٩). لكي ينتهي بأن هذا هو "عدم شفقة من الآب على الابن"!!؟

والدليل الباهر هو بقية كلام الرسول إذا كان الله سوف يهبنا مع الابن كل شيء ولاحظ "كل شيء" فكيف جاءت هذه الهبات ثمرة عدم الشفقة؟! أما ما هو مثير للعجب والدهشة والغضب أيضاً هو سؤال الرسول من الذين يدين؟ أي يحكم، والجواب المسيح (٨ : ٣٤).

ولكن ما هو مركز المسيح الذي يدين أي يحكم ويقاضي؟

والجواب من عند الرسول نفسه:

"المسيح الذي مات بل بالبحري قام أيضاً الذي هو عن يمين الله الذي يشفع فينا" (٨ : ٣٤).

كيف صار الابن إذن موضع عدم شفقة الآب؟

لقد أفحمت السادية على كلام الرسول؛ لأنه يقول بعد ذلك: "من الذي سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق... إلخ. وبعد أن جمع كل قوى العالم المنظور وغير المنظور قال: ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (٨ : ٣٩). "المحبة لا تسقط أبداً" (١ كور ١٣ : ٨). ولكن المحبة هنا أسقطت أمام "السادية" والدليل هو وفرة استخدام كلمة الغضب الإلهي في نبذة صغيرة مكونة من ٣٥ صفحة.

مرة واحدة في (ص ٧)، مرتين في (ص ٨)، مرتين في (ص ٩)، مرة في (ص ١٠)، مرتين في (ص ١١)، مرة في (ص ١٢)، مرتين في (ص ١٣)، ثلاث مرات

في (ص ١٤)، مرة في (ص ٢٣).

٩ صفحات من ٣٥ صفحة و ١٥ مرة وردت كلمة الغضب الإلهي بلا مراجع كتابية ولا دعم من الليتورجية. وهنا لنا سؤال فيه حرج كثير: هل وردت إشارة واحدة للغضب الإلهي في القداسات القبطية؟ الجواب بكل يقين لا؛ لأن لقب الرب هو "محب البشر" والصلاة الدائمة هي "يا رب ارحم".

استخدام (رو ٨: ٣٢) في كتابات بعض الآباء

في الرسالة الفصحية السابعة للقديس كيرلس الإسكندري:

"عندما تقترب من الله فإنه سوف يقبلنا فوراً بكلمات الشفقة "أنا هو الماحي ذنوبك لا أذكرهم بعد (إش ٤٣: ٢٥). فهل يوجد طريق آخر يجعل الله قاسياً علينا؟ هو الذي لم يخل بابنه الوحيد بل أسلمه لأجلنا جميعاً كما يقول بولس (رو ٨: ٣٢)"

(الرسائل الفصحية. رسالة ٧ - سلسلة آباء الكنيسة مجلد ١١٨ ص ١٣٤ - ١٣٥).

ولأن نيافة الحبر الجليل اقتبس كلمات مبتورة من ذهبي الفم نقدم له هنا شرح ذهبي الفم لكلمات (رو ٨: ٣٢) وهي في العظة ١٥ على رسالة رومية - راجع النص الإنجليزي ص ٤٥٤ - مجلد ١١).

"إذا كان الله معنا فمن علينا؟ وبعد ذلك لم يجد (بولس) أن ما قاله غير كاف، فقال إن أعظم علامة لمحبة لنا وهو ما يؤكده دائماً فإنه يكتب بعد ذلك وأنا أجد في ذبح ابنه فإنه لم يبررنا فقط ومجدنا ويجعلنا مشابحين لصورة ابنه بل أنه لم يخل بابنه علينا ولذلك يقول "الذي لم يخل بابنه الوحيد بل أسلمه لأجلنا، كيف لا يهبنا معه كل شيء" هذه كلمات باهرة جداً، دافئة جداً اختارها لكي يرينا محبته، فكيف يهملنا نحن الذين لأجلهم "لم يخل علينا بابنه الوحيد بل أسلمه لأجلنا جميعاً؟ تأملوا الصلاح الذي جعله لم يخل بابنه بل أسلمه عن الجميع أي عن الذين بلا قيمة، والأعداء، والمخدفين فكيف بعد هذا "لا يهبنا معه مجاناً كل شيء" إن ما يقصده هو يمكن إيجازه على هذا النحو: لقد قدم ابنه للموت. لماذا؟ لا تشكوا في الباقي لأننا نملك السيد نفسه، كيف نتذمر على امتلاك القطيع بينما نحن نملك الرب نفسه، لأنه هو أعطى عطايا فائقة لأعدائه فهل سيعطي ما هو أقل لمحبيه؟".

الفصل الثالث

هل مَنْ محا الصك هو نفسه الذي دفع الدين؟

رغم أن ترجمة فان ديك تعرج بين ترجمة دقيقة وتقديم نص عربي يخدم بعض مقاصد اللاهوت الإنجيلي إلا أن هذه المرة والكلمات قاطعة - لكن المطران لا يعرف اللغة العربية - يقول الرسول: "محا الصك الذي علينا... الذي كان ضدّاً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب" (كو ٢: ١٤).

طالما أن عادة المطران هي خطف كلمة من هنا وكلمة من هناك وهو ما كان يفعله في محاكمات شيطانية للآباء الكهنة... فإن قراءة المقطع كاملاً ابتداءً من عدد ٨:

"لا يسيبكم أحد بالفلسفة، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح" (٢: ٨). "فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (٢: ٩). أقوى ما يمكن أن يقال عن ألوهية الرب لأننا لسنا إزاء السيد المسيح، بل مَنْ هو "ملء اللاهوت" ثم "أنتم مملؤون فيه" لا تحتاجون إلى الفلسفة وأركان العالم لأن لديكم المسيح "المذخر فيه كنوز الحكمة والعلم" (٢: ٣). فهو أيضاً رأس كل رئاسة وسلطان (٢: ١٠).

ثم ماذا نال المؤمنون؟

نالوا المعمودية، الختان الذي لا يتم بواسطة قطع جزء من الجسد بواسطة البشر "بل ختاناً غير مصنوع بيد" (٢: ١١).

ما هو؟

"خلع أو قطع جسم خطايا البشرية بختان المسيح" (٢: ١١). موت الإنسان القديس شبه آدم الأول (٢: ١١). ولذلك "مدفونين معه في المعمودية" (٢: ١٢).

الخبر غير السار للمطران:

لقد دُفنا معه، ولكن الدفن لا يكفي، بل في المعمودية "التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات" (٢: ١٢). كما قام المسيح بعمل إلهي، هكذا نحن:

"أنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم".

فهل هذا دفع دين؟ أم أنه قيامة من الأموات؟

"أحياكم معه مساحاً لكم بجميع الخطايا" (٢: ١٣).

الويل كل الويل لمن يقلب كلمات الله لكي يخدم بها ما يشاء من أغراض وأجندة فاسدة لا تمت للمسيحية:

كنا أمواتاً،

جاء فأحيانا.

كانت لنا طبيعة آدمية قديمة،

وهب لنا الختان السماوي،

ثم "مساحاً لكم بجميع الخطايا".

فأين دفع الثمن؟

وأين: "تمنيع فكرة الفداء وعقيدة الكفارة بما يؤدي إلى إهدار قيمة العقيدة المسيحية. موضوع خطير إلى أبعد الحدود...!" (ص ٨).

وأين: "العديد من التعاليم الغربية التي بدأ البعض يروجون لها في هذه الأيام (ص ٦).

ثم:

"تجاهل العدل الإلهي والهروب من مواجهة فكرة العقوبة ثم الانحدار إلى هاوية إعلان قبول الله للخطاة بغير توبة" (ص ١٥). وقبول الله للخطاة بغير توبة لم نسمع بها طوال ١٠٠ سنة من تاريخ كنيستنا أم الشهداء.

دفع الثمن، فكرة ثابتة في عقل ووجدان المطران وردت:

مرة في (ص ١)، مرة في (ص ٣)، مرة في (ص ٦)، مرة في (ص ٧)، مرة في (ص ١٨)، مرة في (ص ١٩).

٧ مرات في ست صفحات من مجموع ٣٥ صفحة.

هكذا يفكر الأنبا بيشوي فكرة ثابتة في عقله يجب أن يجدها في أسفار الكتاب (لأنها غير موجودة) لا بُد من فرضها على كلمات الكتاب، وهو تصرف يكشف عن نفسية وذهنية لا تعرف المرجعية التاريخية للأرثوذكسية، كما يتطلب حذف كل ما يتعارض مع فكر المطران وإلّا كيف غاب عن وعيه أن كلمة "محا" ليست مثل كلمة "دفع" أو "إيفاء" وإن كلمات (كو ٢: ١٤) في جوهرها هي عن رد الحياة للذين كانوا موتى بالخطايا والذنوب، وليست "دينونة عادلة" (ص ١٣) للخطية، ولا إعلان عن نقمة الله وغضبه ضد الخطية (ص ١٣).

كل هذا غاب عن مقطع كامل يبدأ بتأكيد ألوهية الرب وينتهي بانتصار الرب الساحق على القوات والسلطين في الصليب (كو ٢: ١٥). لأن الذي "جرّد" هؤلاء جميعاً لا يمكن أن يكون هو مَنْ وقع تحت طائلة النعمة والغضب.

والسؤال الحاسم: مَنْ هو الغاضب، وَمَنْ هو المنتقم؟ هل هو الله الآب الذي أحب العالم فبذل ابنه الوحيد (يو ٣: ١٦)؟ فكيف تجاسر المطران على أن يفرض تصويره بهذا الشكل الفج دون حتى مراجعة للأفعال التي استخدمها الرسول نفسه، ودون أن يكلف نفسه عناء دراسة عظة القديس يوحنا ذهبي الفم على رسالة كولوسي العظة السادسة!!

التحليل اللغوي لنص (كو ٢: ١٤)

"الصك": ورد الاسم مرة واحدة في العهد الجديد كله $\Xiειρόγραφον$ وهي كلمة خاصة بالمعاملات التجارية، وردت في السبعينية في سفر طوييت ٥: ٣ - ٩: ١٥.

"محا" وردت الكلمة في العهد القديم في (خروج ٣٢: ٣٢ - ٣٣) "المُحني من كتابك الذي كتبت"، وهي طلبية موسى النبي وهو يشفع في ارتداد بني إسرائيل، ويقول المزمور عن الأشرار: "ليمحوا من سفر الأحياء ومع الصديقين لا يكتبوا" (٦٣: ٢٨).

"رفع" من الفعل αἶρω وتعني أباد - أزال، أي أباد أو قضى على كل ما هو مدوّن، أو محفوظ من الأمور السابقة.

"مسمراً في الصليب"، ووضع الصك مُسمراً يعني تدمير الصك وإبادته تماماً كما يحدث لأي إنسان يُسمّر؛ إذ يموت المصلوب "صَلَبَ الربّ الدينونة وحكم عليها بالموت".

التحليل اللغوي (كو ٢: ١٥)

"جرّد": فعل معروف ورد في (كو ٢: ١١) وتُرجم "خلع" كما ورد نفس الفعل عن "خلع الإنسان العتيق" (٣: ٩). هذه الآية بالذات هي ترجمة حقيقية لما ورد عن مكانة وسلطان الرب يسوع في (كولوسي ١: ١٥ - ٢٠)، رب ورأس وسيد كل الخلائق. هنا خَلَعَ أو جرّد الربّ سلطان كل قوة حتى تلك التي توصف باسم "أركان العالم".

"أشهرهم" ورد الفعل في (متى ١: ١٩)، إذ لم يشأ يوسف أن يسبب فضيحة للقديسة مريم، وهنا فضح الرب القوات "أشهرهم جهاراً".

"ظافراً" من الفعل θριαμβεύω وهو خاص بالاحتفالات العامة بالنصر مثل دخول القائد الروماني روما وخلفه الأسرى بعد انتصار الجيش، وهو لا يختلف عن نص أفس ٤: ٨ "سبي سبياً".

هكذا صار الصليب الذي مات عليه يسوع المخلص مثل مركبة القائد المنتصر، ولذلك لاحظ أن صلوات كل كنائس الأرثوذكس في عيد الصليب تستخدم نفس اللغة:

"الصليب الذي به دخل الفرّج إلى العالم".

فلماذا تحول الصليب والمصلوب من انتصارٍ ساحقٍ، إلى ثمنٍ يُدفع، وابنٍ يعذبه الآب ليدفع ثمن خطايا البشر؟

أولاً: لم يكن تفسير (كو ٢: ١٤ - ١٥) تفسيراً عفويّاً جاء من فراغ عقلي وقلبي لأن كلمات الرسول بولس واضحة:

* يحل ملء اللاهوت جسدياً (٢: ٩) المسيح إله كامل.

* يعطي كل ما يحتاجه البشر من حكمة وعلم ومعرفة (٢: ٣)، ولذلك نحن مملوون فيه (٢: ١٠).

* خلع أو قطع جسم خطايا البشرية ليس بختان العهد القديم، بل بختان العهد الجديد - ختان المسيح، أي المعمودية (٢: ١١ - ١٢).

* كنا أمواتاً في الخطايا، ولكن الله أحيانا مع الابن الذي أقامه من الأموات (٢: ١٢).

وخلاصة هذا التعليم:

- محاً الصك

- رفعه من الوسط

- مسمراً إياه في الصليب

- جرد الرياسات والسلطين

- أشهرهم زو فضحهم صاراً

- ظافراً بهم فيه^(١) (٢: ١٤ - ١٥).

من يمكنه أن يخطئ والكلمات قاطعة وحاسمة؟ لا أحد إلا الذي على عينيه

(١) "فيه" حسب قواعد الإعراب تعود على شخص الرب يسوع نفسه، ولكن حتى الذين فسروا النص على أن كلمة "فيه" تعود على الصليب، هم على صواب؛ لأنه لا ثنائية بين الرب والصليب.

قشور العقوبة والانتقام وثمرات الغضب الذي يسقطه على الآب والابن.

ثانياً: إن "ندجين" المصلوب والصليب إن هو إلا خدمة تؤدَّى إلى تعليم عن العقوبة ساد طوال ٢٥ عاماً تحول فيها الصليب إلى صلبان من ذهب وصلبان مزركشة توضع على ملابس لم نرها في البطارقة والأساقفة السابقين الذين عشنا معهم والذين لا زالت صورهم في البطريكية: البابا كيرلس الرابع، والخامس، والسادس. ثلاثة بطارقة لم يظهر أي واحد من هؤلاء بهذا المظهر الغريب. وبالتالي لم يعد رشم الصليب في القداسات بركة الثالوث، ولا هو على ختم القربان ختم العهد الجديد، عهد المحبة، بل صار علامة الانتقام ودفع الثمن واحتمال العقوبة...

وماذا بعد، هل هذا يعد مجرد خطأ في شرح التعليم، أم أنه عرضٌ لفكر وحياة من يقدم هذا التعليم؛ إذ عرّفنا بشخصه، وفسّر لنا ما رأيناه في حياته الشخصية حيث البطش والاستبداد والقتل المعنوي يمارس علناً تحت اسم "الرجل الحديدي"؟

شرح القديس يوحنا ذهبي الفم لكلمات الرسول بولس في (كو ٢: ١٣ - ١٥)

"مسمحاً لكم بجميع الخطايا؛ إذ محاً الصك الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدّاً لنا، وقد رفعه من الطريق مسمراً إياه بالصليب، وجردّ من كيانه الرياسات والقوات، وأشهرهم جهاراً، ظافراً بهم فيه".

يقول (الرسول) مسامحاً لكم، أي الخطايا التي أثّرت الموت. ثم ماذا بعد ذلك؟ هل أبقى على هذه الخطايا؟ كلا بل مسحها تماماً، فهو لم يكشطها Scratch لكي يمكن أن نرى آثارها. ثم الفرائض، وهي التعليم الخاص بالفرائض، وضع الرسول في مقابلها الإيمان؛ لأن الإيمان هو ما يكفي، فالرسول لم يضع أعمالاً وفرائض عوضاً عن أعمال وفرائض قديمة، وإنما وضع الكل كضد للإيمان.

ثم ماذا بعد ذلك؟ إن شطب الخطايا ليس هو مجرد غفرانها؛ لأنه يقول:
"قد رفعها من الطريق"، فهو لم يحفظها عندما رفعها، بل مَرَّقها "مسمراً إياها في الصليب"؛ لأنه جرد من كيانه الرياسات والقوات وأشهرهم علناً ظافراً بهم فيه. ولم يتكلم الرسول بهذا الشكل السابق من قبل.

هل ترون الآن مقدار حنو (المسيح) إن صك العبودية قد انتهى.
وفي الحقيقة كنا نحن جميعاً تحت الخطية والدينونة، ولكنه رفع الدينونة والخطية معاً؛ لأنه قَبَّلَهما معاً على الصليب^(١)، وعلى الصليب سَمَّرَ كليهما؛ لأن لديه القوة لأن يفعل ذلك، ولذلك مَرَّقَ صك العبودية. وهو (بولس) يقصد ما قيل لموسى عن الفرائض التي قال الله أن يعملها ويحفظها في طاعة (خروج ٢٤: ٣). أو تلك التي كانت علينا، وهي طاعتنا لله. وإذا لم يكن هذا هو المقصود، فالرسول يعني أيضاً استعبادنا للشيطان الذي تَمَلَّك علينا، والصك الذي وضعه الله لآدم: "يوم تأكل منها تموت" (تك ٢: ١٧). وبسبب هذا الصك ساد علينا الشيطان، ولكن المسيح لم يُبقِ على هذا الصك لكي يعطيها لنا، بل مرّقه إلى قطعتين (تعبير قديم من القانون الروماني القديم إذ أن تمزيق الصك إلى جزئين أو قطعتين ينزع عن الصك أي صفة أو قيمة قانونية)، وقد فعل (المسيح) ذلك لأنه هو الذي يغفر بفرح.

(١) نلاحظ أن الترجمة الإنجليزية قد انحرفت عن الأصل اليوناني خدمةً لفكر حركة الإصلاح، ولكن بقية شرح ذهبي الفم يكشف هذا الانحراف.

"وجرد من كيانه الرئاسات والقوات" والرسول يقصد القوات الشيطانية؛ لأن الطبيعة الإنسانية خضعت لهذه القوات، ولكنه (المسيح) عندما صار إنساناً جرد هذا السلطان وخلعه من إنسانيته.

وما هو معنى أشهرهم؟ إذ لم تحدث فضيحة للشيطان ونجل أكبر من هذا، فقد توقع الشيطان أن يقبض عليه - كما كان يفعل مع باقي البشر - عندما علّق هذا الجسد (يسوع) على الصليب، ولكن الرب قام. ولكن الموت جرح لأنه قَبِلَ الجسد الجريح الذي مات، وكما يحدث في المصارعة أن يظن الخصم أنه صرع خصمه بضربة قاتلة، ولكن العكس قد حدث؛ لأن المسيح مات دون خوف، فأصاب بشجاعته الشيطان بالنجل» (العظة ٦ على كولوسي ١٢: ١٣ - ١٥) (راجع الترجمة الإنجليزية ص ٢٨٦ في مجلد ١٣ آباء ما بعد نيقية، وهي ترجمة تحتاج إلى مراجعة، ولكننا أشرنا إليها لأنها متوفرة في أيدي القراء).

الفصل الرابع

العدل الإلهي والثلث

لماذا لم تعرف الكنائس الأرثوذكسية تعليماً يقول بأن المسيح جاء لإرضاء العدل الإلهي وأنه دفع ثمن خطايا البشر.

لم تظهر فكرة إرضاء العدل الإلهي إلا بظهور أنسلم رئيس أساقفة كانتربري (١٠٣٣ - ١١٠٩)، ثم في ميمر العبد المملوك الذي لا نعرف له تاريخاً، ولكنه اشتهر في القرن التاسع عشر، ولا يوجد مخطوط يحمل هذا الاسم "العبد المملوك" حتى نهاية القرن الثالث عشر، وعلى الباحثين أن يصححوا هذه المعلوماتية إن كانت غير تاريخية.

لكن لدينا أسباب أخرى غابت من الوعي القبطي المعاصر وهي حصراً:

أولاً: وحدة جوهر وحياة الثالوث، وهي أساس كل تعليم عقيدي صحيح في الكنيسة الأرثوذكسية. الجوهر الواحد للثالوث لا يسمح بأن ينتقم أقنوم من أقنوم آخر، أو أن يقوم أقنوم بإرضاء أقنوم آخر؛ لأن هذا يُقسّم الجوهر الواحد إلى ثلاث مشيئات Three wills بينما للآب والابن مشيئة أو إرادة واحدة؛ لأن أقانيم الثالوث حياة واحدة، والإرادة المثلثة هي إرادة تعمل حسب التدبير (إيكونوميا)، فليس لهذه الإرادة المثلثة من هو أكبر وأعظم، وآخر من هو خاضع ومطيع مثل طاعة العبد للسيد.

ونحن بكل أسف لم ندرس طاعة المحبة؛ لأننا نعيش في مجتمع ورث طوال عقد طويل من الزمان قرابة ١٤٠٠ سنة أن المحبة ضعف، وأن طاعة القوي هي الطاعة المطلوبة، وخضوع الضعيف هو التقوى، بل حتى كلمة التقوى في العربية هي من "الاتقاء"، وهي تجنب قوة وشر الكبار، خصوصاً وقد خبر الشعب المصري هذه القوة وذلك الشر، لاسيما منذ عصر البكوات الذي بدأ بالمماليك وانتهى بالحكم العثماني لمصر، وقد دخلت أشكال القوة العثمانية وطرق وسلوك البكوات والباشوات في نمط الحياة العامة، ثم حل محل هذه الأشكال أنماط السلوك السياسي للزعامات التي جاءت مع الحركة الوطنية، ثم تطورت بعد ذلك إلى زعامة الرئيس حتى وصلت إلى زعامة "الرئيس المؤمن" التي لم تسقط بنهاية عصر الرئيس السابق حسني مبارك، بل لازالت القوة السياسية تطارد كل أشكال المحبة والرفق، وقد بدا ذلك واضحاً في التكالب على السلطة وسيادة الأغلبية واعتبار أن السلاح هو الحل الأمثل لكل ما ورثناه من مشاكل.

هذا العرض يحتاج إلى توثيق لا مجال له الآن، ولكن هل لدينا كتاب واحد عن المحبة الثالوثية، بل لم يكن لدينا كتاب عن الثالوث إلى عهد قريب، حيث نشر موقع الدراسات القبطية "الثالوث توحيد وشركة وحياة" للأب صفرونيوس، وهو كاتب مجهول من القرن العاشر تقريباً. وأخيراً جاء الغيث برجوع كتابي القديس كيرلس عن الثالوث: حوار عن الثالوث ترجمة د. جوزيف فلتس، ثم الكنوز في الثالوث ترجمة الباحث د. جورج عوض. ولازلنا في حاجة ماسة إلى إعادة اكتشاف المحبة الثالوثية عند القديس أوغسطينوس في أشهر كتاب عن الثالوث كُتب في الغرب ونشرت ترجمات جيدة له مع الأصل اللاتيني، لكن الخلفية الحضارية والثقافية لا تسمح بالمساواة ولا بطاعة المحبة ولا ترى أن البذل قوة إلا عند فداء الوطن ورد العدوان، ولازال في داخل الأسرة المصرية بشكل عام دور "الذكر" الأب بالذات، وخضوع المرأة الذي يناقش في مسلسل "ثورة الحريم" الذي يقدمه تليفزيون مصر، وهو مسلسل جدير بالدراسة، وسبق هذا الكتاب الضخم لأستاذنا الراحل نجيب محفوظ "دنيا الله"، ثم "أولاد حارتنا"، وتزامن مع

هذا "الأرض" لأستاذنا عبد الرحمن الشرقاوي.

لقد كان من الضروري أن نضع أمام القارئ القبطي بالذات ما يدور الآن وما كان في الحياة الثقافية المصرية ولعل القارئ قد لاحظ أنه لا يوجد إسهام قبطي ولا حتى حوار ثقافي، بل أغلقت الرئاسات منافذ الفكر وتركت شبكاً صغيراً للأب متى المسكين الذي أبرز دوره الثقافي الحراك الوطني وتركه الأقباط إلا في دراسة واحدة للدكتورة عايذة نصيف أيوب - تجديد الفكر اللاهوتي الفلسفي - رسالة الدكتوراه - جامعة القاهرة نشرت في ٢٠١٠ مكتبة الأنجلو المصرية. ولعل القارئ قد لاحظ أن المشرف على الرسالة هو د. زينب محمود الخضيرى - وهو ما يستحق الإعجاب والتقدير - وكان الأولى أن تكون هناك دراسة أو دراسات في الكلية الإكليريكية أو معهد الدراسات القبطية، ولكن الطريق مسدود والمنفذ مغلقة، حتى إشعار آخر.

ثانياً: كيف يمكن أن نقنع إنساناً بأن الابن مساوٍ للآب، أو واحداً معه في الجوهر، وهو لا يرى في الكنيسة المساواة بين الرجل والمرأة، ولا بين الإكليروس والشعب، فيتعلم عدم المساواة ويلقط بمنقار الخوف حبوب الغضب والانتقام كمظهر وتعبير عن القوة من مجتمع يصارع منذ عصر المماليك مع محتوى وممارسات القوة في أشكالها المتعددة، وقوة قانون يخدم الحاكم - قوة المال التي تشري الضمائر - قوة البطش التي لا تسمح بالحوار - قوة القتل التي لا تقبل إلا الإلغاء التام للمعارض؟

ألم يأكل بعض أساقفتنا هذه القمامة السامة على المائدة السياسية لكي يعضوها مع خبز الحياة ونعمة الكهنوت وخدمة السرائر؟

ثالثاً: كيف يمكن أن تنال خدمة المسيح لنا كمساوٍ للآب مكانتها الإلهية المتجسدة، وتعود للصليب ذات المكانة الرفيعة التي نراها في ممارسات كنيسة الشهداء والتي تبرزها الليتورجية في خدمات السرائر؟

- * قبول الموعوظين برشم الصليب.
- * تقديس حياة المعمودية باستدعاء الروح القدس وسكب الميرون ورشم الصليب.
- * رشم الصليب قبل الصلاة وقبل قراءة الإنجيل للاعتراف بالثالوث القدوس.
- * رسامة الشماس - القمص - الاسقف برشم الصليب.
- * دهن المعمدين برشم الصليب بمسحة الميرون.
- * دهن المرضى بزيت مسحة المرضى برشم الصليب.
- * وضع الصليب في وسط القربان باسم السيد "الاسباديكون" وحوله ١٢ صليباً، أي مائدة الرسل حول الرب يسوع.
- قائمة طويلة يعرفها كل من يحيا في الكنيسة حياة مقدسة... فهل بعد هذا يصبح الصليب:

- دفع ثمن،
- علامة إرضاء الغضب الإلهي،
- إيفاء العدل الإلهي ودينونة عادلة للخطية (راجع ص ١٢ على سبيل المثال).
- إيفاء العدل الإلهي حقه على الصليب (ص ٨).
- عدل الله في محاسبته للخطاة (ص ٩).
- أعلن غضبه على الخطية لكي تنال الخطية دينونة عادلة (ص ١٢).
- تمزيق الصك إيفاء الدين تماماً بالصليب - تجاهل العدل الإلهي (ص ١٥)
- كل لذة محرمة قد دفع ثمنها السيد المسيح بالجلدات الحارقة في جسده المبارك (ص ١٩، ٢٠).

ثم بعد ذلك يتجاسر المطران ليقول: "فإذا تجاهلنا العدل الإلهي. فما الداعي للصليب أصلاً (ص ٢٠)، ولكنه تجاهل المحبة التي أرسلت الابن، والمحبة التي تعطي لنا حياة الابن، والمحبة التي تجعل الروح القدس ينسكب في قلوبنا (رو ٥: ٥)

- غلا ٤ : ٤)، ومن ثمَّ يحصن نفسه باقتباساتٍ خاطئةٍ من كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس (ص ٢٣) يوفي مطلب الآب العادل الطالب به الجميع (ص ٢٣). ٧ مرات عبر الصفحات السابق ذكرها.. وضاعت كل أقوال الرب نفسه ورسوله بولس عن محبة الله.

ماذا قال الرب يسوع نفسه عن المحبة؟

هل تعرف أيها القارئ كم مرة وردت كلمة المحبة Aghapy في العهد الجديد؟

٧ - مرات في إنجيل متى (٥ : ٤٣ - ٥ : ٤٤ - ٥ : ٤٦ - ٦ : ٢٤ - ٢٢ : ٣٧ - ٢٢ : ٣٩) في (متى ٥ : ٤٣ - ٤٦ محبة الأعداء).

٢٧ - مرة في إنجيل يوحنا تبدأ بمحبة الله للعالم ٣ : ١٦ محبة الآب للابن ٣ : ٣٥ و ١٠ : ١٧ محبة الآب لمن يحفظ وصايا يسوع أو يحفظ كلمته ١٤ : ٢٣ محبة الآب للرب هي ذات محبة الرب لتلاميذه ٢٥ : ٩ - ثم الوصية الثانية العظمى ولكن في شكلها الجديد حبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا ١٥ : ١٧ ثم في إصحاح ١٧ ذات محبة الآب ليسوع هي ذات محبة يسوع ١٧ : ٢٣ - ١٧ : ٢٤ محبة واحدة ١٧ : ٢٦.

٦ - مرات في رومية - مرتين في ١ كور - ٣ مرات في ٢ كور - ٣ مرات في غلاطية - ٦ مرات في أفسس. أما في رسالة يوحنا الأولى ١٨ مرة. أي حوالي ٧٣ مرة.

عجباً، كيف تاهت حتى الكلمة نفسها عن فكر المطران؟

ثم لاحظ:

- اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا... (أف ٥ : ١).
- ورننا نفسه يسوع المسيح والله أبونا الذي أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاء صالحاً بالنعمة (٢ تس ٢ : ١٦)، وهي المرة الوحيدة التي وردت فيها كلمة

المحبة في هذه الرسالة.

- بل تأديب الرب وهو ليس العقاب على خطايا: "الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله" (عب ١٢ : ٦).

ومقياس المعرفة الحقبة بالله هي المحبة

- "الذي يحب فقد ولد من الله" (١ يوحنا ٤ : ٢٧). أما الذي "لا يحب فهو يبقى في الموت" (٣ : ١٤). وقارن هذه "الذي لا يحب لم يعرف الله" (١ يو ٤ : ٨). ويعيد الرسول (يو ٣ : ١٦) بشكل آخر: "يا أحبائي أنظروا أية محبة أحبنا بها الله" (١ يو ٤ : ١)، و"نحن نحبه لأنه هو أحبنا" (١ يو ٤ : ١٦).

حكم رسول المسيح على مطران الغضب والعدل

"المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار... ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥ : ٦ - ٨).

وقد سبق وأشرنا إلى استحالة فصل محبة الله لنا في (رو ٨ : ٣٥).

وهذا الحكم الصارم للقديس بولس ضد المطران؛ لأن رسول الرب يقول:
"محبة المسيح تحصرنا... مات لأجل الجميع... الله الذي صالحنا لنفسه
بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة أي إن الله كان في المسيح مصالحا العالم
لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢ كور ٥ : ١٤ - ١٩). فلم يكن الله
يحاسب ابنه على الصليب على خطايا العالم. هذا افتراء وهراء معاً.

حيص بيص

وكما نقول في صعيد مصر: وقع في "حيص بيص"، وهي عبارة قبطية تعني لقد
وقع في حفرة لا يعرف كيف يخرج منها، هكذا وقع المطران في حفرة العدل كما

يتصوره، ثم حاول الخروج من الحفرة، وهو لذلك يشطح، فيقول: "نحن لم نكن موجودين قبل أن نوجد لكي نشارك المسيح في تقديم نفسه فدية عن حياة العالم. وكيف نكون موجودين من ألفي عام؟ هل نأخذ حالة عدم المحدودية لكياننا البشري المحدود بالزمان والمكان؟! (ص ٢٦)، ثم حاول الخروج، من ذلك بقوله:

"نحن كنا في صلب آدم حينما أخطأ في الفردوس... الخ". لقد وقعت في حيص بيص يا سيادة المطران.

إن حفرة العدل جعلتك تنكر أننا نصلب ونموت وندفن مع المسيح في المعمودية، وهو أطول نص في العهد الجديد كله عن المعمودية (رو: ٦):

- "أم تجهلون أن كل من اعتمد بيسوع اعتمدنا لموته".
- "دفنا معه بالمعمودية للموت".
- "حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً".
- "صرنا متحدين معه بشبه موته".
- "نصير أيضاً بقيامته".
- "إنساننا العتيق قد صلب معه يظل جسد الخطية".
- "قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه".

٧ مرات استخدم رسول المسيح كلمة الموت مؤكداً أن هذا تم؛ لأن إنساننا العتيق الذي أخذه يسوع ربنا نفسه من القديسة مريم هو الإنسان الآدمي القديم الذي صُلب لكي يتجدد هذا القديم ويصير جديداً بسبب اتحاد بلاهوت الله الكلمة.

أما حيص بيص التي وقع فيها المطران، فالخروج منها هو كلمات (أفسس ١: ٤ - ٦):

- "اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة في المسيح. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرة مشيئته لمجد مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته".

طبعاً لم تكن محبة الله قد ولدت بسبب خطية الإنسان؛ لأن هذا ينزع عن الله أبدية المحبة... والتدبير سبق خلق الدهور؛ لأن دم المسيح "معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (١ بط ١ : ٢٠).

وطبعاً لم يكن هناك صراعٌ بين العدل والرحمة؛ لأن محبة الله هي سبب خلق الإنسان، ومحبة الله السابقة على خلق العالم هي ذات المحبة التي أرسلت إلينا الابن الوحيد (يو ٣ : ١٦). وما أعلن في الدهر في زمان البشر هو سابق على خلق العالم... ولكن رائحة العصر الوسيط التي تزكم الأنوف لا تجعلنا نرى أن موضوع الفداء له أساس أبدي في الله، وهو المحبة، وإن كل نصوص العهد الجديد التي تتكلم عن المحبة لا تذكر العدل ولا تشير إلى الغضب بالمرّة؛ ولكي لا يتوه القارئ، فإننا إذا عدنا إلى معجم الكلمات اليونانية للعهد الجديد حتى لا نقع في أخطاء الترجمة وجدنا أن كلمة οργή أي "غضب"، وردت ٢١ مرة، وكلها عن يوم الدينونة الآتي وهو اليوم الأخير (متى ٧ : ٣ - لو ٧ : ٣٦ - يو ٣ : ٣٦ ويوم الغضب ليس يوم الصلبوت، بل هو يوم الدينونة (رو ٥ : ٥ - ٩ أف ٦ : ٦ - كو ٣ : ٦ - ١ تس ١ : ١٠) والباقي يدور حول هذه النقطة بالذات، ولكن ولا مرة ذكر العهد الجديد غضب الله على الخطية إلا في (رو ١ : ١٨). وسوف نشرحها في حاشية خاصة بها.

رد القديس يوحنا ذهبي الفم على الأنبا بيشوي حول دان الخطية في الجسد (رو ٨ : ٣).

تعد العظة ١٣ من عظات ذهبي الفم على رسالة رومية من الجمال والروعة بحيث أن ترجمة كاملة باتت ضرورية. يقول ذهبي الفم:

"لقد فعل الرب هذا عندما اعترف أنه ابن الإنسان، وقيل أن يكون إنساناً لكي يدين الخطية، فقد أراد أن يضرب الموت بموته، لا لكي يضرب الجسد نفسه؛ لأن الذي أدين هو الخطية، والذي أبيد هو الخطية، وليس الجسد. هنا الأعجوبة الكبرى؛ لأن الانتصار لم

يحدث فقط في الجسد، ومع ذلك فهذا ليس مدهشاً لنا، لأن الشريعة كانت يمكن أن تعطي هذا الانتصار، ولكن الأعجوبة هي أن الجسد صار عَلم الانتصار الذي رُفِعَ عالياً، وهو أي الجسد الذي هُزِمَ بما يفوق الحصر قبل ذلك بخطايا كثيرة، ويا للعجب ويا للمدهشة مما حدث! فعلى جانب لم تُهْزَمِ الخطيئةُ الجسد، وعلى الجانب الآخر هُزِمَتِ الخطيئةُ بالجسد... ويضاف إلى هذا العنصر الثالث، وهو ليس هزيمة الخطيئة، بل شفاء الجسد؛ لأن جسد الرب لم يخطئ، ولذلك لم يُهْزَمِ جسده، ولكنه بالموت هزم الخطيئة؛ لأنه تجسد، فصار تجسده احتقاراً للموت".

ثم يحكم على أصحاب العدل والدينونة وكأنه يعيش معنا هذه العتمة، فيقول:

"ما دام الجسد يخطئ فإن الموت يُمسك بكل الخطاة؛ لأن العدل يحكم حتى النهاية وهي الموت. ولكن عندما يوجد جسد بلا خطيئة، وقُدِّمَ هذا الجسد للموت، فإن العدل حُكِمَ عليه؛ لأنه أي العدل، حَكَمَ حكماً ظالماً. هل ترون براهين الانتصار؟ لم يُهْزَمِ الجسد من الخطيئة... بل هُزِمَ الجسدُ الخطيئة، وحَكَمَ على الخطيئة، وبعد أن أدين الجسد كما لو كان قد أخطأ، حَكَمَ على العدل بالظلم، ليس بالقوة، وإنما بنفس أحكام العدل. وهذا ما يقصده الرسول: "أدان الخطيئة في الجسد" كما لو كان قد حكم عليه بخطيئة أعظم، ولأنه لم يكن قد أخطأ حكم على العدل نفسه..." (راجع الترجمة الإنجليزية ص ٤٣٢ في مجلد ١١ مجموعة آباء ما بعد نيقية).

لُبَّاسُ الصليب

لقب عظيم أعطته الليتورجية للرهبان والراهبات، ولكن الذين لم يعيشوا حياة الرهبنة ونُقِلُوا بطفرةٍ من راهب مبتدئ إلى أسقف، وهو - حسب تعبير أحد عظماء دير السريان عن هذا الجيل الذي لم يتذوق طعم الحياة النسكية - «فغران الدير لم تحس بهم». هذه الطفرة أو القفزة انعدمت فيها الرؤيا، بل لم يكن أمام البصيرة أن ترى أن «لُبَّاسُ الصليب»، وهو لقب فخيم يمس حياة الذين لبسوا الاسكيم، وقديماً كان الاسكيم الصغير هو للمبتدئ، والاسكيم الكبير هو لمن دخل حياة الوحدة، ونظرة واحدة على الاسكيم، وهو قبطي النشأة قلَّدتَه كل الرهبانيات الأرثوذكسية، فهو عبارة عن ١٢ صليباً تأكيداً على الانتماء الرسولي

والشكل هو الحرف القبطي / اليوناني X أي المسيح، لأن صلاة لبس الاسكيم يتم فيها استدعاء الروح القدس، وذلك تأكيداً على أن الروح القدس الذي قبله أنطونيوس العظيم هو ذاته الذي يحل على الراهب، ولا يوجد ما يعادل عظمة "لبس الصليب" إلا رشومات الميرون، ورشم الصليب بعد سر الانضمام إلى الكنيسة جسد المسيح (المعمودية - الميرون - الإفخارستيا: الأسرار الثلاثة التي تعطى في وقت واحد).

وقد شاءت نعمة الله أن أجد ورقة "دشت" استعان بها الناسخ لتغليف مخطوطة عربية من القرن السابع عشر، وهي جزء من كاتشيزم Catechism (أي تعليم بواسطة السؤال والجواب مصدره التاريخي الاسكندرية وأقدم ما وصلنا هو حوار العلامة أوريجينوس مع تلميذه هيرقليدس).

- "قال التلميذ: أخبرني يا أبي عن سبب رشم علامة الخلاص".
- قال المعلم: هي علامة الحياة التي أخذناها في سر الحميم الجديد وبرشم زيت الميرون".
- "قال التلميذ: وبأي قوة نستطيع نحن أن نرشم علامة الحياة؟".
- "قال المعلم: بقوة التغطيس ثلاث مرات في مياه الأردن (جرن المعمودية)؛ لأننا نغتسل كلياً ومياه التقديس تغسل الجسد والروح وفيها (المياه) نولد من جديد ونصير آنية طاهرة مقدسة ثم نختم بالميرون المقدس وننال علامة الصليب المحيي على أجسادنا ستة وثلاثون ختماً (رثماً) فتنال النفس إرادة حرة جديدة بها نتحرك لنرشم الصليب...". (الورقة بلا تاريخ والصفحة الأولى سؤال عن الوقوف أثناء قراءة الإنجيل والصفحة الثانية عن رشم الصليب).

المحبة الإلهية التي غابت في لجة الغضب وعقوبة الخطية

- كم مرة أشار المطران إلى المحبة الإلهية عبر ٣٥ صفحة؟
- "الصليب هو إعلان عن محبة الله" (يوحنا ٣: ١٦) (ص ٧).
- ولكنه عاد ونفى ذلك في السطور التالية على نفس الصفحة:
- "الصليب إعلان عن قداسة الله الكاملة وعن عدالته المطلقة"، واقتبس (عب ٩: ١٢) وقد سبق وشرحنا هذه الآية.

- "لا أحد يستطيع أن ينكر غضب الله بسبب الخطية... تنال الخطية قصاصاً عادلاً... بعد أن يكتشف بشاعة الخطية ويكرهها قابلاً محبة الله الشافية والغافرة..." (ص ٩).

- "طبعاً القصاص العادل ناله الرب يسوع نفسه «لأن الذي دفع الثمن هو السيد المسيح» (ص ١١) ونسى محبة الآب لابن. ضاعت في الطريق.

- "أن الإنسان حينما ينظر إلى صليب الرب يسوع... يرى في الصليب الحب بأجلى معانيه ويرى أيضاً العدل يأخذ مجراه" (ص ١١).

ثم توقف، ولم يشرح لنا صلة المحبة بالعدل، وإنما شدد على:

دفع الثمن

- "معاناة المسيح وعذابه وجلده وموته، والذي قام بهذا هو الأب الذي يأخذ ثمن الخطية من الابن له المجد". وفي سرعة يقول: "غفراناً مدفوع الثمن الذي دفع الثمن هو السيد المسيح بدافع محبته لكي يخجل الخطاة بهذا الحب العجيب" (ص ١١).

هذه محبة المسيح، ولكنها ليست محبة الآب الحقود والغاضب والنار الآكلة؛ لأن الذي جاء لكي ينقذ البشر من الله هو المسيح، وذلك حسب العنوان في (ص ١١): إنقاذ البشرية من غضب الله. "فهو الذي أي الأب يعلن نقمته وغضبه ضد خطية الإنسان" (ص ١٣)، ولكن من الذي ينال هذه النعمة هو الابن له المجد.

ويسأل المطران سؤالاً:

- "لماذا يميل البعض إلى رؤية الحب الإلهي معلناً على الصليب، ولا يميلون إلى رؤية الخطية مدانة فوق الصليب؟" الجواب: إنني أخشى أن يكون هؤلاء البعض لديهم تعاطف مع الخطية، فيستقلون إعلان غضب الله ضد الخطية الذي رأيناه في الصليب!! فحينما يتكلمون عن الحب يرححون له، ويرحبون به.

وحينما يأتي الحديث عن إدانة الخطية وعن غضب الله بسبب الخطية، فإنهم يهرون من مواجهة هذه الحقيقة التي لا تريح أنفسهم... " (ص ١٤).

وماذا قال المطران عن المحبة الإلهية، وهي العلاقة الثالوثية في جوهر الثالوث الواحد؟

لا شيء فهي غريبة على فكره...

المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله. ومن لا يحب لم يعرف الله لأن "الله محبة" (١ يو ٤ : ٧). وهل ترك الرسول والإنجيلي المحبة فكرة غامضة مجردة Abstract بل لأن الرسول يقول "بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به" (١ يوحنا ٤ : ٩). نحن نحيا بالابن الذي من أجل محبته تجسد وهي ذات محبة الآب، ولكن المطران لا يعرف محبة الثالوث ولا سمع عنها في جيله كله، ولكن ماذا يقول القديس بولس؟

- "أنتم كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً..."

- "نحن جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسداً"

- "وكنا بالطبيعة أبناء الغضب"^(١) كالباقيين أيضاً" (أف ٢ : ١ - ٣).

لكن، هل اكتفى الرسول بهذا؟ إن كل كلمة كتبها رسول المسيح تدحض فكر الأنبا بيشوي، وعليك عزيزي القارئ أن تقرأ بدقة باقي عبارات الرسول:

- "كنا بالطبيعة أبناء الغضب" - مضاد لأبناء العهد

فهل صب الله غضبه على الابن؟ كلا

- "الله الذي هو غني في الرحمة"، (وليس غني في الغضب مع أننا كنا أبناء الغضب).

- "من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها". نعم أحبنا نحن أبناء الغضب، ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح». هذه هي المحبة: رد حياة للموتى

(١) "أبناء الغضب" تعبير دقيق هام يعني الذين لا شركة لهم مع الله، والدليل على ذلك هو بقية قول الرسول: "الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة".

"بالنعمة أنتم مخلصون"، وليس بالانتقام من الابن وجلده وصلبه، بل كان الصليب هو إعلان نعمة الله "مع المسيح صلبت... فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي لست أبطل نعمة الله" (غل ٢: ٢٠ - ٢١).

هذه هي المحبة الإلهية: تُحيي الموتى - تغفر الخطايا مجاناً وبلا ثمن، ولأن المطران جاء بفكرة الثمن فلا بد من محاصرة هذه الفكرة الشريرة حتى ندرك مجانية الغفران - مجانية النعمة - قوة المحبة.

الثمن / Τιμή

وردت هذه الكلمة حصرياً أربع مرات في العهد الجديد كله وهي (متى ٢٧: ٩ - ٢ كو ٦: ٢٠ - ٢ كو ٧: ٢٣ - رؤ ٢٢: ١٧ مع استخدام كلمة أخرى (δωρεάν). وفي (متى ٢٧: ٩) الثمن هو الفضة التي دفعت يهوذا ثمناً للخيانة. وفي (١ كو ٦: ٢٠) النص كاملاً هو ضد الزنى واعتبار أن الجسد هو هيكل الله أو هيكل الروح القدس "الذي فيكم الذي لكم من الله" ثم يشدد الرسول على امتلاك الله لنا "أنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١ كو ٦: ١٩ - ٢٠)، ولذلك:

١ - نحن لا نملك أنفسنا.

٢ - نحن صرنا هيكل الروح القدس وحلول الروح القدس فينا يجعلنا ملكاً لله.

٣ - قد اشتريتم بثمن (هي صيغة المبني للمجهول، ولكنها بقدرة قادر صارت مبني للمعلوم - هي ما ورثه المطران ومن قبله الأنبا شنودة من زعيم المعمدانين C. H. Spurgeon وله عظة بعنوان "اشتريتم بثمن" ^(١) فيقول: إن الثمن كان باهظاً وهو دم المسيح الثمين.

The blood of CHRIST was shed to buy are souls

(١) موقع على شبكة الإنترنت The Spurgeon Archive والعظة أُلقيت في ٦ أغسطس ١٨٧١.

إن دم المسيح سفك لكي يشتري نفوسنا.

والمعمداني له تقليد كنسي خاص بالطائفة المعمدانية، ولذلك بقية العظة تسير في هذا الاتجاه. وسبرجن مثل الأنبا بيشوي لا يعرف كيف يميز بين المبني للمجهول "اشتريتكم" دون أن يحدد النص أن هناك من اشترى ومن قبل الثمن.

أمّا ما هو مدهش حقاً، فهو أن سبرجن مثل المطران لم يقرأ كلمات الرسول بدقة؛ لأنها لا تقدم تعليماً عن الفداء حسب التقليد الإنجيلي المعمداني، ولكنها تتحدث عن امتلاك الله لنا في يسوع المسيح.

وفي (١ كو ٧: ٢٣) والنص كاملاً هو عن العبيد والأحرار، إذ يقول الرسول "دعيت وأنت عبد فلا يهملك. بل إن استطعت أن تصير حراً فاستعملها.."، ثم يقلب الرسول الوضع الاجتماعي برمته:

- "من دعي في الرب وهو عبد فهو عتيق الرب

كذلك أيضاً

- "الحر المدعو هو عبد للمسيح" (١ كو ٧: ٢٢).

وخلاصة القول أنه لا يوجد عبد ولا حر، والسبب هو أيضاً صيغة المبني للمجهول "قد اشتريتكم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس". وفي (رؤ ٢٢: ١٧) كلمات السفر هي صدى لكلمات إشعياء «ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً». لعل هذا هو آخر مسمار في نعش الثمن حسب تصور الأنبا بيشوي.

العدل الإلهي^(١)

لا تتطلب النبذة التي كتبها الأنبا بيشوي هذا العناء، فإن الذين سلموا الإيمان الإنجيلي، أي عقيدة الفداء والكفارة لنيافة الأنبا بيشوي قد جعلوا هذه الفقرة

(١) نرجو من القارئ مراجعة الفصل الخاص بالعدل الإلهي في كتاب "موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء" د. جورج حبيب بباوي، ٢٠٠٩، ص ٤٨٣ - ٥٥٩، منشور على موقع www.coptology.com

قصيرة وذلك بالعودة إلى الطبعة الرابعة فهرس الكتاب المقدس - د. جورج بوست
وتحت العامود الخاص بالعدل ص ٣٩٣ نجد أن العدل وردت في (لوقا ٣٣: ٤١
في قول اللص: "نحن فبعدل" - ١ بط ٢: ٢٣ عن الرب نفسه أنه "كان يسلم
لمن يقضي بعدل").

أما المبدأ نفسه، أي العدل الأرضي، فهو على لسان أهل الجزيرة عندما عض
ثعبان يد القديس بولس فقالوا: "لا بد أن هذا الإنسان قاتل لم يدعه العدل يحيا"
(أع ٢٨: ٤) وفي (كو ٤: ١) يطلب الرسول أن يقدم السادة معاملة عادلة.

**شرح كلمات المزمور (٨٥: ١٠ - ١١) الرحمة والحق تلاقيا... للقديس
أوغسطينوس:**

"العدل والسلام أصدقاء لا يمكن أن يفترقا".
"جرت الرحمة والحق معاً لكي يلتقيا. الحق في أرضنا، أرض الأمة اليهودية، والرحمة في أرض
الأمم. وأين الحق؟ هو كان في استعلان الله. وأين الرحمة؟ حلت على الذين تركوا إلههم
والتفتوا إلى الشياطين، ولكن الله لم يرفض حتى أولئك. كلا كيف يمكن أن يرفض الله وهو
الذي قال: أدعو الذين هربوا بعيداً والشعب الذي تركني، أدعوهم، لكي يعرفوا أنني أفتش
عنهم لأنهم لم يريدوا أن يطلبوني، ولذلك يقول المزمور معلناً الرحمة والحق أسرع البر والسلام
تلاثاً (من قبله). تصرفوا بعدل وعندئذ تجدون السلام لكي يقبلكم العدل والسلام.."
(شرح مزمور ٨٤ وهو ٨٥ - مجلد ٤ في شرح المزامير للقديس أوغسطينوس ترجمة M.
Boulding ص ٢١٥).

غضب الله مُعلن من السماء (رو ١ : ١٨)

رسالة رومية هي أطروحة Thesis تبدأ باستعلان الإنجيل "قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم اليوناني" (١ : ١٦). اليهودي لأن اليهود كان لهم معرفة بالشرعية والمواعيد والبركة (٢ : ١٧ - ٣ : ٤). أما الأمم أو اليونانيون وهم هنا الناطقون باللغة اليونانية، هؤلاء الذين لهم شريعة الطبيعة (٢ : ١٤). ثم ينتقل الرسول لكي يصف حالة الإنسانية في المجتمع الروماني - اليوناني Greco - Remon حيث دافع أفلاطون عن العلاقات الجنسية المثلية Homosexual في حوار Phaedrus وهي العلاقات الشاذة التي ذكرها الرسول بولس في (١ : ١٨ - ٣٢).

كيف نقرأ بدقة كلمات (رو ١ : ١٨)؟

عادة الأخوة الإنجيليين هي تقسيم آيات الكتاب المقدس للوعظ، والتقسيم يؤدي إلى خلل كامل يتسبب في:

١ - فقدان الرؤيا الشاملة لموضوع ورد في الأسفار الأخرى.

٢ - فقدان علاقة موضوع العظة بغيره من الموضوعات.

الغضب مثال صارخ على ما فقد.

أولاً: لم يقف الرسول عند الغضب الإلهي، وإنما أعلن "عن لطف الله وإمهاله وطول أناته" (٢ : ٤). مؤكداً "غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة" (٢ : ٤). ويحذر الرسول من قساوة القلب، ثم يؤكد أن يوم الغضب آت، وهو يوم الدينونة.

ثانياً: ينتقل الرسول إلى كونية Universality الخطية (٣ : ٩ - ٢٠). ثم يصل إلى أن اليهود والأمم معاً الكل تحت دينونة الله (٣ : ١٩). أضافت ترجمة

فان ديك "قصاص من الله"، والفرق كبير بين الدينونة وبين القصاص، لأن الأولى هي حكم، والثانية هي حكم فيه إيقاع الألم والتعذيب، ولكن هذا يقود الرسول إلى بر الله.

ثالثاً: بر الله. هذا البر ظهر:

١ - بدون الشريعة أو الناموس (٣: ٢١)، أي لم يكن لكل أحكام الناموس دور في استعلان بر الله، أو إن شئنا الدقة عدل الله "أمّا الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس".

٢ - ولكن ظهور بر الله مشهوداً له من الناموس والأنبياء (٣: ٢١). لأن الناموس يحكم على الخطاة، والأنبياء يعلنون الرحمة الآتية.

٣ - هذا البر ليس موضوعاً غامضاً، بل "بر الله بالإيمان بيسوع المسيح لكل الذين يؤمنون" (٣: ٢٢).

٤ - من سوء حظ الأنبا بيشوي أن الرسول يقول: "متبررين مجاناً بنعمته" (٣: ٢٤)، وليس بصب الغضب على الابن. ولاحظ كلمتي "مجاناً" و "نعمة الله".

٥ - "بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه"، ولعل ما يزيد سوء حظ المطران هو أن الرسول يقول: إن إظهار بر الله من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله. وهو نفس التعبير الذي سبق وقدمه في (٢: ٤ أم تستهين بلطف الله وإمهاله).

٦ - وهنا يضرب الرسول بيد من حديد على افتخار اليهود، إذ لا يوجد افتخار بالمرة؛ لأن بر الله معلن بدون الناموس (٣: ٢١) ولذلك يتبرر الإنسان بالإيمان "وهو ما يقدمه الله لكل" (٣: ٣٠).

أين غضب الله على الابن المصلوب؟

عشر آيات من الآية ٢١ - ٣١ في إصحاح ٣ والمحور الأساسي هو الفداء المجاني بسبب عدم قدرة ناموس... فأين الغضب إذن؟

في (رو ٤ : ١٥) يقول الرسول: "لأن الناموس ينشئ غضباً. إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعد". الغضب ليس هو الرفض الإلهي لأعمال البشر، ولاحظ أن الرسول في (رو ٩) يقول وهو يناقش في أطروحة تاريخية وضع اليهود، وسبب اختيارهم، مؤكداً أنه "حسب اختيار الله" (٩ : ١١)، وليس حسب أعمال اليهود لأنهم لم يكونوا أبراراً. وبعد أكثر من ٤٠٠ سنة على ما حدث ليعقوب وعيسو وهو ما ليس له علاقة بما حدث في سفر التكوين؛ لأن "أحببت يعقوب وأبغضت عيسو" (رو ٩ : ١٢)، لم تكن على ما حدث في سفر التكوين (تك ٢٥ : ٢٣). بل على لسان النبي ملاخي (١ : ٢ - ٣)، ولم تكن المحبة والبغضة بسبب الأعمال؛ "لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلاً خيراً أو شراً لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو" (رو ٩ : ١١).

ولذلك كلمات النبي ملاخي يجب أن تُقرأ بدقة: "أحببتكم قال الرب. وقلتم بما أحببتنا؟" هذا سؤال إسرائيلي، ورد إسرائيل هو: "أليس عيسو أخاً ليعقوب. يقول الرب «وأحببت يعقوب وأبغضت عيسو وجعلت جباله خراباً وميراثه لذئاب البرية». والبغضة هنا ليست الكراهية، وليست حتى الرفض، وإنما حسب التفسير اليهودي نفسه هو بقاء عيسو خارج دائرة اختيار الله، ليس بسبب أعماله، وإنما لأن اختيار الله ليس بسبب خير أو شر البشر. هو رفض الله لعيسو. (راجع Midrash Rabba على سفر ملاخي مجلد ١٢ : عامود ٤٦).

وهكذا فهم علماء اليهودية أن البغضة ليست العمل المضاد للمحبة، وإنما لأن كل شيء في الكون هو من عمل الرحمة الإلهية (خ س د)، ولذلك فما يتمتع بالرحمة هو ما يدخل في تدبير الله لاستعلان اسم يهوه، وما لا يدخل في دائرة الاستعلان الإلهي، يُوصف بأنه رُذِلَ ليس لأنه شرير، وإنما لأن اللغة الإنسانية لا

تعرف إلاّ الثنائيات: الاختيار ضده الرذل - المحبة وضدها البغضة، ولكن البغضة ليست عملاً إرادياً كما في حالة البشر. ومن يتابع بقية معنى ملاخي يرى كيف لا يُكرم إسرائيل الله، بل يحتقرون اسمه ويقربون خبزاً نجساً على مذبحه وبقية أعمال الشر في (ملاخي ١: ٦ - ١٤). ولعل القارئ الفطن يدرك من عبارة الرسول بولس وهو يصارع مع سبب قبول الأمم الإنجيل ورفض إسرائيل للمسيح وللإنجيل إن «القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم (١١: ٢٥)، ثم لاحظ دقة تعبير الرسول:

- "من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم".

- "وأما من جهة الاختيار فهم أحياء من أجل الآباء" (رو ١١: ٢٨).

فكيف تكون العداوة على جانب، والمحبة على جانب آخر. المشكلة ليست في الإنسان، وإنما في الذين اختاروا العداوة، ورغم عداوتهم للإنجيل يظلون أحياء لأنه لا توجد ازدواجية أو ثنائية في الحياة الإلهية، ولذلك يختم الرسول برهانه: "لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة" (١١: ٢٣).

أما ما هو جدير جداً بالملاحظة الدقيقة، فهو خطاب الرسول للأمم: "كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن رحمتكم بعضيان هؤلاء (اليهود) هكذا هؤلاء (اليهود) أيضاً الآن لم يطيعوا لكي يرحموا برحمتكم (قبول الإنجيل بواسطة الأمم).

والخلاصة:

- "لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع" (رو ١١: ٢٢). والكلمات الأخيرة "أغلق على الجميع" تعني أنه لم يميّز بسبب اختلاف الجنس أو العرق، بل عامل الكل معاً لكي يرحم الجميع، لا لكي يعاقب الجميع.

تفسير رو ١ : ١٨ في العظة الثالثة على رسالة رومية للقديس يوحنا ذهبي الفم

"لاحظوا الاتجاه الذي يسير فيه بولس، لأنه بعد كلمات التشجيع المترفقة يتجه الخطاب إلى ما هو مخيف. بعد أن قال إن الإنجيل هو سبب الخلاص والحياة؛ لأنه «قوة الله» التي تنشأ الخلاص والبر، يذكر ما يجعلهم يخافون ويسمعون. على نحو عام لا يهتم البشر بما هو «وعد» بالخيرات الآتية، بل بالأكثر يهتمون بما يخافون، وبما هو مؤلم؛ لذلك حرص الرسول أن يقدم لهم الجانبين معاً. وحى الله نفسه لم يعد فقط بالملكوت، بل بالتهديد بجهمهم، وكذلك أنبياء اليهود يمزجون ما هو سار بما هو مخيف، وهكذا مزج الرسول خطابه، ولكنه قدم ما هو خير في أول الخطاب، وبعد ذلك ما هو مخيف ومؤلم، لأن الوعد بالخيرات هو ما يقود إلى غاية حددها الله نفسه، أما ما هو مخيف فهو الابتعاد عن مواعيد الله والانحدار نحو الشر. وهكذا وضع النبي الخيرات أولاً قائلاً: «إذا أردتم وسمعتهم وأطعتم تأكلون خيرات الأرض ولكن إن رفضتم وعصيتهم تؤكلون بالسيف» (إش ١ : ١٩ ، ٢٠ السبعينية).

وهنا يفعل الرسول ذات الشيء، إذ يقدم خطابه على نفس المنوال. لكن لاحظوا ماذا يريد بولس لأن المسيح جاء لكي يعطي الغفران، والبر، والحياة ليس بأي وسيلة، بل بالصليب العظيم والفائق، وهو لم يعط هذه كلها، بل تألم لكي يعطي. أما إذا كنتم بتهمكم تستخفون بالعطايا، فإن الدينونة في انتظاركم. هنا تستطيعون أن تلاحظوا كيف تغيرت لغة الرسول «لأن غضب الله معلن من السماء»، فكيف أعلن غضب الله؟ إذا سأل مؤمن هذا السؤال، فإننا نجيب بأن هذا مدوّن في تعليم المسيح، أمّا إذا سأل غير مؤمن من الأمم، فإن الرسول يُسكت هؤلاء بأن دينونة الله هي في دليل غير قابل للدحض على ما يفعلونه هم أنفسهم... وهي المجاعات والأوبئة والحروب؛ لأن الكل معاً الفرد الواحد والجماعة كلها يعاقبون، أمّا ما هو جديد في الأمر، فهو أن التأديب سيكون عظيماً وعاماً للكل، ولكن التأديب لا يخضع لنفس المقاييس في كل الحالات، لأن ما يحدث هو للإصلاح وليس للانتقام "Vengeance" (مجلد ١١ ص ٣٥٠ - ٣٥١ من الترجمة الإنجيلية، والعبارة الأخيرة لم تعجب المترجم وعلق عليها في حاشية على ص ٣٥١ من أقوال قادة الإصلاح تعليقاً خائباً).

شرح ذهبي الفم لا يحتاج إلى تعليق، البشارة تسبق الوعيد والتهديد ليس جزءاً
من البشارة، بل هو الجانب الآخر، ثم الإصلاح هو غاية التأديب وليس الانتقام.

"الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة؛
لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجلدته
شُفِيتُمْ" (١ بط ٢ : ٢٤)

"الذي لم يعرف خطية صار خطية" (٢ كو ٥ : ١)

تصب هذه الأقوال الإلهية في مصب واحد، وهو: ماذا فعل المسيح الرب
لأجلنا. ونلاحظ أن تقسيم هذه الأقوال وعزلها عن السياق العام يؤدي بنا إلى
الوقوع في برائن العصر الوسيط: الإله الذي يجد لذة في معاقبة الخطاة، ثم يجد
شفاءً لغضبه في موت الابن الوحيد على الصليب.

أولاً (١ بط ٢ : ٢٤)

النص الكامل يبدأ من عدد ١٨ لكي يصل إلى آلام الكنيسة بشكل عام.
- "إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله لأنكم لهذا
دعيتُمْ" (٢٠). ولكن كيف يمكن لنا أن نحتمل الآلام.

- "المسيح تألم لأجلنا"

وبذلك "تاركاً لنا مثلاً لكي تتبعوا خطواته".

فما هو مثال الذي تركه المسيح

- "الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر"،

- "الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً"،

- "وإذا تألم لم يكن يهدد بل كان يُسلم لمن يقضي بعدل" (٢٠ - ٢٣).

هذا هو المثال الكامل، ولاحظ:

١- تألم لأجلنا.

٢- مثلاً نتبع خطواته.

٣- لم يفعل خطية.

هذه هي صفات المسيح وحقيقة شخصه، وآلام الرب كانت بيد اليهود وبواسطة الرومان، لا بواسطة (الآب)، فلم يكن الآب هو الذي جلد الابن، بل عسكر بيلاطس، وهذا يراه حتى الأعمى.

"الذي حمل خطايانا في جسده على الخشبة". هل لأن الله الآب عاقبه، لا، بل لكي "نموت نحن عن الخطايا فنحيا للبر" (٢: ٢٤).

- "حمل خطايانا" لا تعني بالمرّة أنه وضع الخطية أو الخطايا على كيانه. هذا تفسير خرافي له جذور في حياة الذين هم أسرى للشعور بالذنب، ولم يتحرروا منه؛ لأن المرضى بالشعور بالذنب يظنون أن الخطية:

١- لها كيان مادي داخل كيانهم.

٢- أنها حمل ثقيل أو سلاسل حول كيانهم.

أما الأصحاء، هؤلاء يعرفون أن الخطية في القلب... كما قال الرب يسوع نفسه "الذي يخرج من الإنسان ذلك ينحس الإنسان، لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة: زنى - فسق - قتل - سرقة - طمع - خبث...". كبرياء - جهل، جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنحس الإنسان" (مرقس ٧: ٢٠ - ٢٣). ولأنّ مما في القلب ما هو راسخ وقابع في القلب ليتكلم ويعبر اللسان كما قال الرب نفسه (متى ١٢: ٣٤ - لو ٦: ٤٥) وما يصدر من الفم هو في القلب (في ١٥: ١٨). ولأنّ الداخل، أي القلب هو مكان الخطية وهو الذي تنحس بالخطية، جاء تعبير الرسول بولس عن "ختان القلب بالروح لا ختان الجسد" (رو ٢: ٢٣).

خرافة حمل الخطايا حسب تصور أسرى الخطايا

الفكر الخرافي هو الفكر الذي لا أساس له في الواقع والذي يعتمد على الخيال وحده، ويخلق الصور والمحتويات التي تزيف الواقع نفسه، وتحول كل شيء في حياة الإنسان إلى أعداء أو قوى خارجية يحاربها مثل أسطورة «دون كيشوت» الفارس الذي كان يحارب طواحين الهواء. لو كان للخطية وجود خارج الإنسان نفسه، لكان علاج الخطية سهل بل سريع. لكن للخطية جذور في القلب وجذور مصدرها الإنسان نفسه، فكيف تُنقل خطايانا إلى الرب يسوع على الصليب؟ هذا السؤال الذي فشلت كل نظريات خلقت في العصر الوسيط منذ أنسلم حتى الأنبا شنودة الثالث مروراً بالأنبا موسى ثم بالأنبا بيشوي في الإجابة عليه.

١ - الفشل في إدراك سليم للعلاقات العضوية بين الخطية والموت. ومشكلة جيل عاصرناه ولا زال يمسك بالميكروفات، هي أنه لا يقرأ العهد الجديد نفسه، وإذا قرأ العهد الجديد يحشر فكره في كل مقاطع وآيات العهد الجديد.

٢ - التعليم الرسولي يؤكد أن الخطية دخلت إلى العالم وبالخطية الموت (رو ٥: ١٢). ثم ماذا حدث؟ "هكذا عبر الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (٥: ١٢). بل حتى الذين لم يكونوا في جنة عدن وحددهم الرسول من آدم إلى موسى، وهي فترة لم يكن فيها شريعة مكتوبة، هؤلاء أنفسهم ماتوا رغم عدم اشتراكهم في خطية آدم، لأنهم اشتركوا في موت آدم. والكنائس الشرقية الأرثوذكسية تعلم بوراثة الموت، أمّا الكنائس الغربية منذ أوغسطينوس فالإنسان ورث ذنب آدم وخطية آدم.

وفي مناسبة حاول فيها الأنبا بيشوي تزوير عبارة القديس أناسيوس عن الخطية الأولى وحوّلها إلى "الخطية الأصلية"، ثم عاد وسحب مقالته من الإنترنت، فالتعبير "الخطية الأصلية" غير معروف في الشرق حتى مجيء الإرساليات إلى مصر ووقوع بعض علماء اللاهوت الأرثوذكس أسرى التراث الغربي الذي أطلق عليه علماء اللاهوت الأرثوذكسي المعاصرين لنا مثل زيزولاس وياناراس ورومانيدس،

فترة السبي البابلي للأرثوذكسية^(١).

٣- "بخطية واحد مات الكثيرون"، هكذا صارت العلاقة العضوية بين الخطية والموت علاقة يجب فصلها؛ لأن "الخطية تملك في الموت" (رو ٥ : ١٧ مع ٥ : ٢١). والقضاء على الموت هو قضاء على العلاقة، بل على عائل الخطية أي الموت، ولذلك بعد أن عرض الرسول علاقة الخطية والموت ودخول الموت إلى حياة كل البشر، يقدم التعليم عن فصل العلاقة بين الخطية والموت في (رو ص ٦). وجاء التعبير الدقيق "متنا عن الخطية" (رو ٦ : ٢)، وهو نفس تعبير القديس بطرس: "نموت عن الخطايا". لقد مات العتيق أو القديم أو الآدمي، مات على الصليب، ولذلك يجب أن نموت نحن، وهو ما يدعو ذهبي الفم ليقول: إن "المعمودية هي الصليب" (عظة على رومية ٦ ص ٤٠٥ من مجلد ١١) ولاحظ عبارات ذهبي الفم في نفس العظة:

"المعمودية هي الصليب. الصلب والدفن بالنسبة للمسيح، يصبح بالنسبة لنا نحن - رغم اختلاف الأسلوب - لأنه هو مات ودفن فعلاً، أما نحن فنموت عن الخطية، ولذلك لا يقول الرسول إننا دفنا معه بذات موته ودفنه، بل بشبه موته ولكن في كلتا الحالتين الموت واحد، ولكن موت جسد المسيح هو ليس موت الخطية لأن موت الخطية هو موتنا نحن والموت هو حقيقي في الحالتين» (عظة على رومية ٦ ص ٤٠٥ من مجلد ١١).

المسيح يسمح لجسده بالموت ليس لكي يدفع الثمن ويأخذ أو يلتقي غضب الآب، وإنما لكي تموت الإنسانية فيه. هذه الإنسانية التي يقول عنها الرسول: "إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية" (رو ٦ : ٦). لقد صُلبنا مع المسيح لكي تموت الطبيعة الأولى الآدمية وتقوم الطبيعة الإنسانية الجديد. هذا التحول حدث للرب نفسه، وهو ما ينقلنا نحن في سر المعمودية إلى ذات التحول الحقيقي "فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه" (رو ٦ : ٨).

(١) راجع بحث الأب رومانيدس "الخطية الجدية"، وهو بحث يؤكد أن القديس بولس ليس من تلاميذ القديس أغسطينوس، ليس بسبب المسافة الزمنية، بل لاختلاف التعليم نفسه: The Ancestral Sin - J.S.Romanides, 1998

مشكلة الأنبا بيشوي هي التآرجح بين التعليم الأرثوذكسي والتعليم الإنجيلي

تظهر هذه المشكلة تحت عنوان جانبي: "الموت النياي" (ص ٢٥). وقد بدأت المشكلة بعدم فهم لما جاء في اللغة العربية؛ لأن "عنا" = "لأجلنا". يقول المطران: "ينادي البعض في زماننا الحاضر بأن السيد المسيح لم يميت عنا بل مات لأجلنا" (ص ٢٥). وأضاف المطران من عنده تفسيراً لم نجده عند أحد سوى الأنبا بيشوي نفسه: "بمعنى أنه لم يميت على الصليب بدلاً عنا، بل مات بنا وبهذا نكون قد متنا معه" (ص ٢٥).

ويظهر الجانب الآخر من مشكلة المطران، وهي "الفدية" الراسخة في وجدانه وفكره من المصادر الإنجيلية التي يدرسها فهو يقول: "وما معنى الفدية إن لم تكن عوضاً عمّن اقتداهم" لو كنا قد متنا مع المسيح يوم صلبه في يوم الفداء فما هو لزوم الفدية؟ إننا في هذه الحالة نكون قد دفعنا ثمن الخلاص بأنفسنا في يوم الصليب" (ص ٢٥).

ولعل القارئ أدرك الآن أن دفع الثمن = الفدية = العمل الوحيد الذي تم يوم الصليب، وهو تعليم بروتستانت لا يمكن لأي إنسان درس "كتاب علم اللاهوت النظري" المعبر عن لاهوت الكنيسة الإنجيلية أن ينكره، وهذه هي الأدلة على ما نقول:

"س ٥ - ما هو تعريف الكفارة والتكفير والارضاء والإيفاء والنيابة؟

"الكفارة إيفاء العدل حقه، وذلك للتعبير عن كون الكفارة إيفاء كل مطالب العدل حتى لم يبق شيء يطالب به الخاطئ المؤمن أمام العدل الإلهي" (ص ٨٢٢ - ٨٢٣ - علم اللاهوت النظامي - دار الثقافة المسيحية ١٩٧١).

ثم يكمل الكتاب التعريف

"الإيفاء مأخوذ من الاصطلاحات الشرعية (العهد القديم) والتكفير من الاصطلاحات اليهودية المختصة بالنظام الموسوي... تحويل

غضب الله إلى رضى بناء على وساطة المسيح" (ص ٨٢٣).

"الإيفاء بأكثر تفصيل الإشارة إلى كل ما فعله المسيح ليوفي مطالب
الناموس الله وعدله» (ص ٨٢٤). وأيضاً "إيفاء المسيح ليس مالياً بل
هو عقابي وقصاص أي إيفاء عن الخطاة" (ص ٨٢٥).

"والخلاصة أن مفاد تعليم الكتاب أن المسيح أوفى العدل الإلهي عن
خطايا البشر... فهو أوفى العدل الإلهي حقه" (ص ٨٢٥).

وعن لفظة الفداء يقول كتاب علم اللاهوت النظري:

"أما لفظة الفداء فيعبر بها عن نتيجة كفارة المسيح باعتبار نسبتها إلى
الإنسان لأنه قال بها الفداء أي التخلص من لعنة الشريعة ومن
عبودية الخطية ومن القصاص الأبدي بواسطة عمل المسيح الذي
دفع عنه فدية دمه الكريم كما قيل أي ابني الإنسان أتى ليبدل نفسه
فدية عن كثيرين» (متى ٢٠ : ٢٨، أع ٢٠ : ٢٨ - أف ١ : ٧ -
بط ١ : ١٨، ١٩ - عب ٩ : ١٢)" (ذات المرجع).

أليس هذا هو ذات ما يذكره المطران الأرثوذكسي، عندما يسأل: ما معنى
كلمة "الفداء" حينما يقول ليبدل (المسيح) نفسه فدية عن كثيرين (متى ٢٠ : ٢٨
- ١ تيمو ٢ : ٦ - ١ بط ١ : ١٨ - ١٩) (راجع ص ٢٠ - ٢١).

وبالرغم من أن المطران قد شرب من هذا المصدر، إلا أنه عاد إلى صوابه في
(ص ٢٥) عندما يقول: "نحن صلبنا مع السيد المسيح ودفنا معه يوم قبولنا لسر
العماد المقدس" (رو ٦ : ٣ - ٤).

ولكنه سرعان ما عاد إلى المذهب الإنجيلي بعد ذلك ليقول: "إن الروح
القدس يعمل فائق للطبيعة وموت الزمان والمكان يعمل في سر العماد ويأخذ من
استحقاقات موت المسيح ويعطينا... يمنحنا الغفران باستحقاقات دم صليبه..."
(ص ٢٦).

والغريب هو أن تعبير «استحقاقات المسيح» هو نقطة محورية في تعليم يوحنا

كالقن مؤسس المذهب الإنجيلي، وقد ورد بشكل مفصل في الكتاب الثالث في الفصل ٢٥ من Institutes of the Christian Religion وهو تعبير غير معروف بالمرّة في الأرثوذكسية، وهو بدوره يعتبر نقطة محورية أيضاً في تعليم لوثر، ولا أظن أن المطران درس هذا، فهو لم يلتحق بأي معهد لاهوت بالمرّة. وحركة الإصلاح لا تُدرس في الإكليريكية، ولكن المطران بعد أن وقع في ورطة تأكيد الموت والدفن في المعمودية أراد أن يهرب من الباب الخلفي، فوضع استحقاقات موت المسيح - استحقاقات دم صليبه (ص ٢٦) وبذلك خلع الاتحاد السري بين المسيح والمؤمن؛ لأن هذا الاتحاد يهدد فكرته الإنجيلية عن الكفارة ودفع الثمن.

فكر خرافي للابتعاد عن الاتحاد بالمسيح

يقول الأنبا بيشوي وهو يحاول الإفلات من الاتحاد بالمسيح: "نحن لم نكن موجودين قبل أن توجد لكي نشارك المسيح تقدم نفسه فدية من ألفي عام" هل نأخذ حالة عدم المحدودية لكياننا البشري المحدود بالزمان والمكان؟" (ص ٢٦).
ويقدم الحل الخرافي:

"نحن كنا في صلب آدم حينما أخطأ في الفردوس"، وهذا صحيح؛ لأننا من نسله بحسب طبيعتنا البشرية - هذا حق. ثم يقدم حلاً خرافياً يريد به أن يتجاوز الاتحاد بالرب:

"لأن السيد المسيح لم ينجب نسلًا جسدياً مثل آدم، بل الروح القدس يجدد هذه الطبيعة في المعمودية وبمنحنا التّبني بالولادة الجديدة من الماء والروح (يو ٣: ٦). نحن نصير أولاداً لله في المعمودية ونتنقل من الانتساب إلى آدم إلى الانتساب إلى السيد المسيح وبهذا نصير أعضاء في جسده أي الكنيسة التي هو رأسها" (ص ٢٦، ٢٧).

كيف يتم الانتساب والنقل؟ ترك تماماً صلب الرب وموته وقيامته، وجاء بالروح القدس لكي ينقذه من هذه الورطة الشديدة، ثم التفت بعد رحلته الشاقة إلى كتاب تجسد الكلمة ترجمة الأب مرقس داود لكي يقطع من شرح المعلم

الكنسي عبارات تؤيد كلامه، مع أن أناسيوس العظيم يقول صراحة وجهرًا:

"كل البشر هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان أول ما تم تخليصه وتحريره إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه، وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده" (ضد الأريوسيين: ٢: ٦١).

"لقد فقدت الإنسانية الحياة بسبب آدم وسمعنا القول "أنك تراب وإلى التراب تعود"، لذا فإن كلمة الله المحب للبشر لبس الجسد المخلوق بمشيئة الآب لكي يُحيي بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه، كما قال الرسول: وكرس لنا طريقاً حياً حديثاً بالحجاب أي جسده... فإن كان كل شيء قد صار خليقة جديدة فإنه من الضروري أن يكون هناك شخص هو أول الخليقة، ولا يمكن أن يكون هو الإنسان الضعيف الترابي... ولذا صارت هناك حاجة إلى آخر وهو الذي يقوم بتجديد الخليقة الأولى ويحفظ الخليقة الجديدة التي ستصير. لذلك فمن محبته للبشر لم يخلق أي شخص آخر غير الرب ليكون أول طريق الخليقة الجديدة" (ضد الأريوسيين: ٣: ٦٥).

لكن الأنبا يشوي الذي لا يريد الاتحاد بالمسيح في صلبه ودفنه وقيامته، لا يريد أن يكون أرثوذكسياً، بل يساهم في خلع، ليس المعمودية وحدها، بل الإفخارستيا أيضاً؛ لأن دم المسيح لم يقدم ثمناً للآب - هذه خرافة - بل يقدم لنا نحن في الإفخارستيا.

إنما ما جاء بعد ذلك عن الدين والشن... الخ فعلى القارئ أن يعود إلى محاضرات في تجسد الكلمة د. جورج حبيب بباوي، المنشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

ما هو المعنى الكنسي حمل خطايانا في جسده؟

أي حمل الطبيعة القابلة الموت، وهي التي ماتت فعلاً على الصليب، ولذلك يقول الرسول بعد ذلك، أننا بسبب موت المسيح "نموت نحن عن الخطايا فنحيا للبر".

- "الذي بجلدته شُفيتم".

ونحن شُفينا، والفعل شُفيتم مبني للمجهول، والآب لم يجلد ابنه، فما أعظم

الفرق بين عبارة النبي إشعياء في (٥٣: ٥)، وعبارات الأنبا بيشوي:

"قد جلد المسيح الذي أحبني بالسياط وسمّر بالمسامير. إذاً فكل لذة محرمة يقبلها الإنسان قد دفع ثمنها السيد المسيح بالجلدات الحارقة في جسده المبارك" (ص ١٩ - ٢٠).

وهنا يجب أن ننبه إلى أن الشعور بالذنب لا يؤدي إلى توبة، وغرس هذا الشعور في الذين يؤمنون بذلك هو ابتزاز رخيص للنفس الإنسانية المعذبة بالإثم، وإنما نحن شفييننا بجلدات الرب من امتلاك جسدنا كملك خاص لنا. وشُفييننا من حياة العزلة التي تفرضها علينا الذنوب والخطايا، ولكن آلام المسيح تجعلنا نشترك في معاناة الخلق الجديد لكي نُشفي من استقلال الذات Self-autonomy لأن هذا الاستقلال بالذات هو أحد جوانب خطية آدم الذي أراد أن يكون هو شريعة الخير والشر لنفسه، فسقط في قبضة الموت، لذلك جاء المسيح "وتألم عنا لكي بآلامه يخلصنا" كما نقول طوال أسبوع البصخة؛ لأننا شُفييننا من الخطية لا بالشعور بالذنب كما يريد الأنبا بيشوي، بل بالاتحاد بالذي بذل ذاته عنا ولأجلنا لكي بالبذل نصبح نحن متحدين معه في شبه موته لكي نصير أيضاً بقيامته" (رو ٦: ٥).

خطية لأجلنا (٢ كو ٥: ٢١)

"جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه".

يقول أهل الصعيد: "جبل الجهل قصير ويخفق صاحبه".

إن تصوّر أن الخطية لها كيان يمكن أن ينقل من الإنسانية للمسيح. حسنا هذا يوم الصلبوت، فماذا نصنع بعد يوم الصلبوت، أي ماذا نفعل في الخطايا الجديدة التي سوف ترتكب بعد موت الرب لأجلنا وعنا... وحتى لا نعود إلى الفكر الخرافي، علينا أن نتذكر أن كلمة خطية في هذا النص بالذات هو الاسم الطقسي القديس لذبيحة الخطية، وقد ورد في تأنيب الرب للكهنة عندما يقول الرب عن الكهنة أنهم "يأكلون خطية شعبي" (هوشع ٤: ٨). لأن الكاهن كان يأكل

من ذبيحة الخطية حسب كلمات سفر اللاويين: "هذه هي شريعة ذبيحة الخطية إنها قدس أقدس، الكاهن الذي يعلمها للخطية يأكلها. في مكان مقدس تؤكل في دار خيمة الاجتماع. كل من لمس لحمها يتقدس" (٦: ٢٤ - ٢٩).

ولو كانت الذبيحة أو ذبيحة الخطية تحمل الخطية بالمعنى المادي لتعذر على الوحي أن يقول إنها قدس أقدس، بل حتى بعد أن تقدم كل من لمس لحمها يتقدس، ولكنها مقدسة وقدس أقدس لأنها صارت خاصة بخدمة الرب وبرفع الخطية من وسط إسرائيل، ولكن المطران تجاوز كل هذا وعاد إلى التعليم المعمداني الذي أشرنا إليه، ومزجه بما في داخله من غضب وسادية ... فهل بعد هذا يمكن قبول هذا الإنسان في قائمة المرشحين لكي يكون أب آباء؟ بكل تأكيد لا.

رسالة إلى المرتدين عن المسيحية الأرثوذكسية^(١)

-١-

كيف حلت الخطية محل الرب يسوع؟

لم يحدث في تاريخ الكنيسة أم الشهداء أن نظمت جماعة من الإكليروس هجوماً على الإيمان الأرثوذكسي مثلما يحدث الآن. هجومٌ على الإفخارستيا بمقولة أننا نتناول جسد المسيح ودمه فقط دون اللاهوت، وبذلك قسّموا المسيح مثل نسطور. وهجوم على الروح القدس؛ إذ حولوه إلى مجموعة من المواهب، ولكن الأفظع من هذا كله، هو أن الخطية صارت هي القاعدة التي تشرح العقائد المسيحية:

١- خطية آدم هي سبب تجسد الابن، وليس محبة الله للبشر هي سبب تجسده. حلت الخطية محل المحبة الإلهية، أو كأن الخطية أنشأت المحبة الإلهية.

٢- وجود خطايانا معنا أن الروح القدس ليس فينا وليس لنا شركة مع الله.

٣- الخطية تُعيد الإنسان إلى حالة آدم بعد السقوط، الأمر الذي يعني أن كل خاطئ وخاطئة هما بلا حياة؛ لأن المعمودية والميرون كلاهما ضاع، ولم يعد أمام هؤلاء الخطاة سوى تحليل الأب الكاهن.

هذا هو "طبل" الخطية الذي يدق عالياً منذ ٣٠ سنة وأكثر، دقات الذنوب والرعب والعقوبات والنار. يدق على هذا الطبل أساقفة وكهنة وعلمانيون ترثوا في مدرسة الخطية .. ونحن هنا نسجل أن ذلك يعدّ ردةً عن الأرثوذكسية، وعن بشارة الحياة، وعن المحبة الإلهية، وبالتالي انتصار الشيطان الذي تحالف مع بعض الإكليروس لإسقاط بشارة الحياة والقضاء على الإنجيل الخبر السار.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٢ أكتوبر ٢٠١٢.

تحولنا الى حياة المسيح لا يعني أننا نصبح المسيح نفسه:

لقد خسرت الكنيسة القبطية سر المعمودية؛ لأنه يُمارَس دون وعي، ودون إعداد للآباء، ودون مراعاة للطقس نفسه. وهذه هي صلواتنا القبطية تقول عن الموعوظين:

- "لكي تجعلهم أهلاً أن يفوزوا بالنعمة .. ويظهروا من الخطية التي في العالم ويعتقوا من عبودية الفساد لأن سلطان الرحمة بيدك أيها الضابط الكل".

- "لينالوا من روح قدسك، ويمتلئوا من قوتك الإلهية محفوظين بنعمة روحك القدوس".

- "أنت دعوت عبيدك هؤلاء الداخلين من الظلمة إلى النور ومن الموت إلى الحياة ومن الضلالة إلى معرفة الحق".

- "حدد حياتهم ... لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد بل أبناء الحق".

- "إذ تعدهم هيكلًا لروحك القدوس".

- "خرافاً ضمن قطيعك .. ووارثين لملكوتك السماوي".

- "عزّهم من الإنسان العتيق .. حدد ميلادهم بالحياة الأبدية، أملاًهم من قوة روحك القدوس .. لكي لا يصيروا بعد أبناء الجسد بل أبناء الملكوت".

بل بكل جسارة بشارة الحياة:

- "نسألك يا ملكنا عن عبيدك: أنقلهم وأبدلهم وقدّسهم وقوهم".

وتعبير "النقل" هو نفس التعبير المستخدم لنقل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه في كل القداسات الارثوذكسية.

فكيف دخلت روح الارتداد؟ والجواب هو بسبب انعدام التعليم عن سر التبني، أي سر المعمودية واختفاء سر مسحة الميرون تماماً من التعليم المعاصر، كأنه بلا وجود وبلا فاعلية.

لكن المأساة الحقيقية ليست في الجهل وحده، بل في إنكار فاعلية سر الانضمام إلى المسيح في أسرار الانضمام أي المعمودية، والميرون والإفخارستيا، فهي أسرار ثلاثة لها هدف واحد هو شركتنا في المسيح.

عندما نرى في كيائنا خبرة قديمة وذاكرة شريرة تعود إلى الوعي، فهل هذا يعني أن ما أخذناه ضاع وذهب هباءً؟ الجواب بالطبع لا، ولكن الثقافة السائدة في

المجتمع المصري لعدة قرون، تُماهي بين مجرد التفكير في شيء أو تخيله، وبين فعله، وذلك نتيجةً لسوء فهم بعض كلمات الرب يسوع، ولأن الثقافة الدينية المصرية هي مزيج من المسيحية والإسلام، لذلك هي لا تقبل أن يكون فينا كيان جديد يجب أن ينمو.

ولكن عودة العادات القديمة لا تلغي السرائر، ولا تخدم النعمة، بل هي بداية تجديد هذه العادات وتحولها التام إلى عادات مضادة مختلفة، وهو أهم ما سلّم إلينا في الآداب النسكية.

هل يتدنس المسيح ربُّ الظهر بخطايانا عندما نتناول جسده ودمه؟

وكما تركنا سر المعمودية لأيادٍ غير أمينة تحرص على "هيصة" "أحد التناصير" الذي يأتي قرب نهاية الصوم الكبير باعتبار أن الكنيسة تستعد لقبول الآتين إليها بالصوم، ولكن هذا الاستعداد ضاع أو غاب، وهكذا لم تحرص هذه الأيادي الغير الأمينة على تسليم سر الإفخارستيا المجيد، ونسينا أن الكاهن يعترف ومعه الشعب:

"اشترك في العمل معنا .. لأنك أنت هو غفران خطايانا وضياء نفوسنا وحياتنا وقوتنا ودالتنا. وأنت الذي نرسل لك الى فوق المجد والإكرام والسجود أيها الآب والابن والروح القدس".

وذبيحة الإفخارستيا هي ذبيحة عن خطايا الكاهن وجهالات الشعب، وهي "طاهرة كموهبة روحك القدوس"، أي لها نفس طهارة روح الله. لقد جاء الحي إلى الأبد وهدم الموت بظهوره المحيي، ولذلك تقول الكنيسة:

"طهرنا من كل دنس ومن كل غش ومن كل رياء ومن كل فعل خبيث ومن تذكّار الشر المُلبس الموت".

لأن تذكّار الشر لا يفارقنا. وهنا أذكر مثلاً للأب القمص مينا المتوحد، قاله لنا وهو يبتسم: كان فيه واحد أسمه جاهل وسيده كان يبجبه، وغير أسمه إلى فاهم، ولكن الخادم كان يبحب أسمه القديم، فكان سيده يقول يا فاهم يا اللي كان

أسمك جاهل، لحد ما كبر وعرف أن الاسم الجديد أحسن". والمغزى، أننا نحب القديم ونتمسك به، وهو الخطيئة، وهي غياب الخير وغياب النور، ولكننا نقول في صلاة القسمة:

"ونحن أيضاً الجلوس في الظلمة زماناً، أنعم علينا بنور قيامته من قبل تجسده الطاهر، فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية لنضيء بشكلك المحيي".

فإذا لم نكن نتحول إلى شكل المسيح كما قال رسول الرب يسوع: "نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد كما من الرب الروح" (٢ كو ٣: ١٨)، وإذا لم يكن الله "قد أنعم علينا بالعتق من العبودية، وأعطانا الحياة من الموت"، وإذا لم تكن طلبة الكنيسة: "أمل أذنك يارب واسمعنا .. طهر إنساننا الداخلي كطهر ابنك الوحيد، الذي نريد أن نتناوله"، وبعد سرد كل الخطايا التي يطهرنا منها ربنا يسوع، يكمل الكاهن: "لكي نتناول بطهارة من هذه الأسرار النقية"، ولاحظ بقية كلمات الصلاة، فهي لا تتحدث عن طهارتنا نحن، بل "ونتطهر كلنا كاملين في أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا"، ثم ماذا نقول:

"إذ نصير شركاء في الجسد،

شركاء في الشكل،

وشركاء في خلافة مسيحك".

شركة الجسد هي: "لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعاً نبروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كننا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً. وجميعنا سقييناً روحاً واحداً" (١ كو ١٢: ١٢ - ١٣)، وشركاء في الشكل؛ لأنه "هو الذي سوف يغير شكل جسد تواضعنا ليكون على شكل أو صورة جسد مجده (راجع فيلبي ٣: ٢١) و"خلافة المسيح"؛ لأننا "ورثة الله مع يسوع المسيح" (رو ٨: ١٧).

المسيح القدوس هو قداسة القديسين:

يقول رسول الرب عن المؤمنين: "ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمةً هي من الله وبراً وقداسةً وفداءً" (١ كور ١ : ٣٠). المسيح الرب هو الحكمة، وهو البر، وهو القداسة، وهو الفداء. هو الشخص الوحيد الذي لا يمكن أن يتحول إلى فكرة في عقولنا. هو رب المجد ورب الحياة، وهو قداستنا كما يقول رسوله بولس، ولكن الجيل الذي دخل إلى دائرة الارتداد جعل الخطية تحل محل الرب يسوع، وصارت هي محور الحياة والموضوع الأول والأخير إلى جوار المسيح. الموضوع الأصلي هو الخطية، والفرعي هو الرب، هكذا نسمع ثُرَاهات المطران الساعي بغير حد للجلوس على كرسي مار مرقس، وخرافات أساقفة، وتدليس كهنة، كلهم يعرفون الخطية أكثر مما يعرفون المحبة والقداسة، بل أكثر من معرفة الرب نفسه.

ولكن، ولأن الراعي الصالح الذي سعى وراء الخروف الضال لا يمكن أن يفارقنا، ولا أن يتركنا مَنْ بذل نفسه عنا، لذلك بعد صلاة القسمة نقول:

"لا يتسلط علينا كل أثم .. أقطع عنا الأسباب التي تسوقنا إلى الخطية ونجنا بقوتك المقدسة".

وفي القداس الغريغوري نقول:

"طهرنا نحن أيضاً يا سيدنا كما قدّست هذه القرايين".

لأن طهارة القربان هي طهارة كل مؤمن، لأن الله لا ينظر إلينا كخطاة، بل دائماً باعتبارنا "مباركي الآب". فهو لم يَصِفْ أحقر الخطاة - حتى - بأنه خاطئ مثل اللص اليمين، ولا الزانية التي أُمسكت في ذات الفعل، ولا بطرس الجاحد، فهو لم يوبّخ بطرس، ولكنه حدّر يهوذا كما سبق وحدّر بطرس أيضاً بصياح الديك، ولذلك لا نسمع كلمة "خطاة" في صلواتنا بنفس الكثرة التي تقال اليوم، بل نسمع بوفرة "يا رب أرحم".

بث الرعب في نفوس لا تعرف الأرثوذكسية:

يقود أساقفة وكهنة حملة ضد ربنا يسوع نفسه. يقولون إن التعليم بالاتحاد بالمسيح في الإفخارستيا هو تعليم مزيف لأنه ادعاء بأن من يتناول يصبح هو المسيح .. هذه كذبة لم نسمعها إلا من الذين عندما أرادوا محاربة "الشركة في الطبيعة الإلهية"، قالوا مع نستور إننا نتناول الناسوت بدون اللاهوت.

* نحن لن نصير المسيح؛ لأن الرأس الذي تنمو منه كل أعضاء الجسد هو المسيح، ولا يوجد رأس آخر. "الرأس الذي منه كل الجسد .." (كولو ٢ : ١٩).

* نحن أخوة له، وبسبب تجسده لا يستحي أن يدعونا أخوة قائلاً أخير باسمك أخوتي وفي وسط الكنيسة أسبحك" (عب ٢ : ١١ - ١٢)؛ لأنه هو الكبير المتقدم، ونحن مثله في قيامته، ومثل اتحاد جسده بلاهوته نتحد نحن أيضاً بلاهوته؛ لأن الرسول يقول: "الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن متى أظهر ذاك سنكون مثله" (١ يوحنا ١ : ٢).

سؤال ذو دلالة:

هل حقاً أن اتحاد الابن الكلمة بالجسد هو نفس اتحادنا نحن بالرب؟

نعم؛ لأن هذا هو زواج أبدي بين المسيح والكنيسة؛ لأننا بتجسد الرب صرنا أعضاء من لحمه وعظامه ونصير واحداً معه (راجع أفسس ٥ : ٣٠). وقول الرب: "ليكون الجميع واحد فينا" (يوحنا ١٧ : ٢١). إذا كان الأمر على هذا النحو، فكيف صدر قرار بتحريم ١١ أب من آباء الكنيسة، وهم بحسب الأيقونات ومحتويات أقوال هؤلاء الآباء التي وردت في كتاب أقوال مضيئة: أثناسيوس الرسولي - كيرلس الكبير - الأنبا أنطونيوس - الأنبا مقار - أغناطيوس الأنطاكي - بوليكراريوس الشهيد - إيرينيئوس - باسيليوس الكبير - غريغوريوس الزينزي - غريغوريوس النيسي - يوحنا ذهبي الفم، أضف إلى هؤلاء مار اسحق السرياني الذي يدعي نيافة المطران المرشح للكرسي البطريركي أنه نستوري، في حين أنه من

الكنيسة السريانية المشرقية التي لم توقع قرار الحرم على نسطور، ولكنها لا تؤمن بتعليم نسطور التي يؤمن بها البابا شنودة الثالث نفسه وشريكه في الخدمة نيافة المطران المشار إليه.

والسؤال: كيف يمكن أن نكون واحداً مع الثالوث وفي الثالوث بدون وحدتنا في المسيح؟

يعمل الشيطان بكل حيله ومكر لكي يفصلنا عن الله الآب وعن الرب يسوع وعن الروح القدس. عن الآب بإنكار بنوتنا له، وعن الابن بإنكار سكناه فينا، وعن الروح بالادعاء بأننا ننال مواهبه فقط.

سلسلة من الأكاذيب بدأت منذ ٣٥ عاماً بالهجوم على كتاب "العنصرة"، وهو أصلاً هجوم على الروح القدس، ثم على كتاب "الباراكليت في حياة الناس"، بإنكار عمل الروح القدس فينا، ثم إنكار الشركة في الطبيعة الالهية. وتجاسر مطران دمياط ليقول إن كاتب هذه السطور يحرف كلمات الرسول بطرس؛ لأن نص الكلمات هي شركاء في الطبيعة الالهية (٢ بط ١ : ٤)، ولم يميّز المطران العلامة بين عرض موضوع الشركة وشرحه، واقتباس كلمات الرسول بطرس، وكأن حرف الجر "في" هو موضوع المشكلة؛ لأنه يريد أن يبعد المؤمنين عن المسيح.

حرف الجر (في) دليل على ردة المطران

يقول نيافة المطران الطامع في كرسي مار مرقس — متهماً إياي - إنني مع غيري قد قمنا بتحريف عبارة الرسول بطرس (٢ بطرس ١ : ٤) من "شركاء الطبيعة الإلهية" إلى "شركة في الطبيعة الإلهية". التدليس هنا ظاهر لأن الموضوع هو "شركة"، والشركة في كل لغات الدنيا وليست العربية وحدها، تحتاج إلى حرف الجر "في" أو "مع"؛ لأننا نشترك، وهنا يستوجب الإيضاح أن نقرن الفعل بأحد حرفي الجر إما "في" أو "مع". فنحن نشترك "في ميراث القديسين"، أو "نشترك في الخبز الواحد" (١ كو ١٠ : ١٧)، بل غاب من وعي المطران أننا "نشترك في قداسة الله" (راجع عب ١٢ : ١٠)، وهي أوضح، بل تُعد شرحاً رسولياً لكلمات القديس بطرس. ولعل المطران لم يلحظ أن عرض موضوع أسمه "الشركة" يحتاج إلى حرف الجر "في"، بينما شرح قول رسول المسيح "شركاء" لا يحتاج إلى "في". هكذا ذكرنا الكثير من الأمثلة في كتابنا "الشركة في الطبيعة الإلهية، دراسة للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص - القاهرة ٢٠٠٧ - راجع صفحات ١٣ - ٣٤ وهي مراجعة لاستخدام حرف الجر "في" و"مع".

إن توهان جيل فقد الأرثوذكسية هو المعضلة التي تواجهها؛ لأن التائه هو من لا يعرف الطريق، وهو أيضاً من ضلَّ الطريق، في حين أن الطريق واحد، هو ذاته الذي قال: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦). فهو الوسيلة والغاية معاً؛ لأن "فيه"، أي في يسوع تم تحرير الإنسانية ونقلها من الموت إلى الحياة. وهنا "يسوع هو الحياة": "أنا هو القيامة والحياة" (يو ١١ : ٢٥). فنحن لسنا إزاء منهج أو مجموعة قواعد، بل إزاء شخص يسوع رب المجد (وهي النقلة الأرثوذكسية التي أعادها الأب متى المسكين إلى الوعي الكنسي).

الضربة الأولى هي فقدان الإيمان بتجسد الكلمة ابن الله:

لو كان المطران يؤمن بتجسد ابن الله، وأنه أخذ طبيعة قابلة للموت حسبما ورد عدة مرات في (تجسد الكلمة). وأنه "فيه"، أي في يسوع كلمة الله الآب تم تحوّل الطبيعة الانسانية المائتة إلى طبيعة خالدة عديمة الموت، غالبية الموت والفساد والخطية، ونالت بهذا التحول مجد ألوهية الكلمة .. أقول لو كان يؤمن بذلك، لَمَا أثار هذه العاصفة التي انتهت بحكم القطع من الكنيسة الذي عندما صدر ضدي، كان قد صدر ضده هو نفسه ومعه ٧٢ أسقفاً سقطوا من درجة الأسقفية؛ لأن الحرم ارتد على رؤوسهم.

لو كان يؤمن بتجسد ابن الله لَعَرِفَ قيمة ودلالة حرف الجر "في"، والأهمية القصوى لهذا الحرف؛ لأنه إشارة إلهية إلى الوجود الإنساني لكل إنسان اتحد بالمسيح.

التجسد هو الذي أدخل البشر في حياة ابن الله:

عندما يشرح القديس اثناسيوس كلمات رسول الرب في (فيلبي ٢: ٩ - ١٠) يقول:

"هو ذاته جعلنا أبناء الآب وألّه البشر عندما صار هو نفسه إنساناً؛
Καὶ ἐθεοποίησε τοὺς ἀνθρώπους γενόμενος αὐτὸς ἄνθρωπος.

لذلك لم يكن هو إنساناً وصار الله، بل كان الله الذي صار إنساناً لكي يؤلّهُنَا نحن، (ضد الأريوسيين ٣٨ : ٣٩، وبالتالي ضد المطران العلامة أيضاً).
ويستخدم القديس اثناسيوس حرف الجر διὰ أي "بواسطة" أو "من خلال"، فيقول:

"كل الذين دعوا أبناء وآله سواء على الأرض أم في السماء، نالوا التبني وتألّهُوا بواسطة الكلمة διὰ του Λόγου ومن الواضح أنهم أبناء وآله من خلاله (أو بواسطة)" (ضد الأريوسيين ١ : ٣٩).

فتعبيرات "من خلال"، أو "بواسطة"، هي دعوة لإدراك ما حدث لنا سوت الرب

الذي اتحد بلاهوته "بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير"، وهي المصطلحات التي تقاوم النسطورية والأوطاخية معاً، أي الفصل بين اللاهوت والناسوت وذوبان الناسوت في بحر اللاهوت حسب أوهام أوطاخي.

إن ما غاب عن جيل يُدفع دفعاً للتوهان، هو أن المسيح ربنا قد أُلّه الناسوت الذي أخذه من القديسة مريم، وظل مع تَأْلُهُ ناسوتاً، ولذلك يقول القديس أثاناسيوس:

"لم يفقد الكلمة شيئاً عندما أخذ جسداً .. ولكن بالحري أُلّه الذي أخذه أو لبسه
"εθεοποίησεν όπερ ένεδυσατο" (ضد الأريوسيين ١: ٤٥).

ثم لأن هذه ليست شركة خارجية؛ لأن التجسد هو ضد كل شركة أدبية خارجية يقول القديس أثاناسيوس عن جسد الرب يسوع:

"فيه نصبح قادرين على أن نتجدد ونتأله
έν έν αὐτῷ ανακαινισθῆναι καί θεοποιηθῆναι δυνηθώμεν

(ضد الأريوسيين ٢: ٤٧).

وطبعاً واضح أن حرف الجر الذي يخيف المطران ظاهر في الأصل اليوناني. كما يرد حرف الجر "في" مرةً ثانية، وفي الواقع عدة مرات لتأكيد ما تم في المسيح، أي في كيانه المتجسد؛ لأن تغيير كيان الإنسان في يسوع غائبٌ من وعي المطران لسبب واضح، هو عدم إيمان المطران بتجسد الكلمة؛ لأن التجسد غيّر كيان الإنسان أولاً في يسوع لكي ينقل يسوع هذا التغيير إلينا، ليس شفوياً حسب عادة وعاظ جهلاء هدموا الحياة الأرثوذكسية، بل ينتقل إلى حياتنا من حياة الرب نفسه، من "الرأس"، أي يسوع إلى أعضاء جسده، أي الكنيسة في السرائر، لا سيما سر الانضمام الى جسد المسيح (المعمودية — الميرون — الافخارستيا)؛ لذلك السبب عينه يقول أثاناسيوس العظيم:

"إن الجسد الذي أخذه الرب من والدة الاله قد جددّه لأنه خالقه ويؤلّهه في ذاته εν
έαυτῷ θεοποίησιν لكي يقدمنا إلى ملكوت السموات بواسطة (أو في) مثاله؛

لأن الإنسان لا يكون قد تألّه إذا اتحد بمخلوق، أو كان الابن ليس هو الإله الحق، ولا كنا نحن قد دخلنا الى حضرة الآب إذا لم يكن (الابن) قد لبس جسداً ولم يكن هو الكلمة الحق.

بل لاحظ خطورة ادعاء هذا المطران واللف والدوران حول حرف الجر "في" - وهو عنوان لموضوع الشركة كما قلنا سابقاً - لأن المعلم الأرثوذكسي أناسيوس يقول بعد ذلك مباشرة عن تجسد ابن الله الكلمة:

"ولن نكون قد تحررنا من الخطية واللعنة إذا لم يكن الكلمة قد لبس جسداً لأننا كنا سنظل بلا شركة بل وغرباء، كما أن الانسان لم يكن قد تألّه إذا لم يكن الكلمة قد صار جسداً له ذات طبيعة الآب".

أمّا حجر العثرة أمام أساقفة الجهل فهو عبارة أناسيوس العظيم:

"إن اتحاداً مثل هذا (من هذا النوع) هو أن يوحد ما هو بالطبيعة إنسان إلى ما هو بالطبيعة اللاهوت؛ لأن الخلاص والتألّه صار مؤكداً" (ضد الأريوسيين ٢ : ٧٠).

"شركة، وشركاء"

واللعب بالكلمات لخداع البسطاء والسذج

لو أن كلمة شركة لم ترد في العهد الجديد، أو لم يكن لها وجود في الأسفار المقدسة أو صلوات الكنيسة؛ لقلنا إن المطران صاحب العلم الغزير قد اكتشف التزوير والتحريف، ولكن يبدو أن معرفة صاحب العلم الغزير بالأسفار المقدسة شحيحة جداً، والدليل على ذلك:

أولاً: الفعل "يشترك":

- "مشاركون في احتياجات القديسين" (رو ١٢ : ١٣)، ولاحظ حرف الجر الذي أزعج المطران.
- "الأمم قد اشتركوا في روحائهم" (رو ١٥ : ١٧).
- "ليشارك الذي يتعلم الكلمة المعلم في جميع الخيرات" (غلا ٦ : ٦).
- "اشركتم في ضيقي" (فيلي ٤ : ١٤).
- "لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم" (فيلي ٤ : ١٥).
- "لا تشترك في خطايا الآخرين" (١ تيمو ٥ : ٢٢).
- "قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت" (عب ٢ : ٢٤)، وهو من أعظم ما قيل عن تجسد الرب.
- "كما اشركتم في آلام المسيح افرحوا" (١ بط ٤ : ١٢).

إذا أعدنا ترتيب كلمات الوحي حسب التدبير، يظهر لنا أن فعل يشترك له جذر في تجسد الرب، فقد "اشترك الرب في اللحم والدم" (عب ٢: ١٤)، وبعدها نعرف أننا "نشترك في جسد ودم الرب"؛ لكي تنال هذه الحقيقة الإلهية المستعلنة في يسوع قوتها وأساسها، بل وأبديتها، وهي أنه "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له". وحسب صلاة التسبحة السنوية يوم الصليب، أي يوم الجمعة^(١) "هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس وجعلنا واحداً معه من قبل صلاحه" (ثيوطوكية الجمعة - القطعة ٣).

ثانياً الاسم "شركة"

- "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز" (أع ٢: ٤٢).
- "أهل مكدونية وأخائية استحسبوا أن يصنعوا شركة (حسب الأصل اليوناني)، وحسب ترجمة بيروت توزيعاً لفقراء القديسين" (رو ١٥: ٢٦).
- وهذه الكلمات تشرح استخدام كلمة "شركة" في (أع ٢: ٤٢)؛ لأن المواظبة على الشركة هي تقديم احتياجات الفقراء من طعام وملابس، ولاحظ أن هذا ما سُمِّيَ باسم "الدياكونية" أو خدمة الشمامسة.
- "آمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا". (١ كو ١٠: ٩) وهي كلمات سوف لا يجد لها المطران العلامة تفسيراً.
- "أي شركة للنور مع الظلمة" (٢ كو ٦: ١٤).
- "ملتسمين منا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة وشركة خدمة القديسين" (٢ كو ٨: ٤).

وحسب الأصل اليوناني يجب أن نقرأ كلمة "سخاء في التوزيع" في (٢ كو ٩: ١١)،

(١) يوم الصليب ووردت في أكثر من مخطوطة قبطية عربية، وتقول المخطوطة ٢٣٣ على هامش في الورقة ٣٨ أ: "يوم صليب ربي هو يوم صومي عن كل بغضة وشر، يوم صفح الزلات وخلع الآفات، يوم حمل الصليب والسير في درب الحبيب، يوم الخلاص الفائق من حيل المخلال". المعلم عبد المسيح بن بولس الشطانوني.

لأن مستر فان ديك أخذها من الترجمة الانجليزية المعروفة باسم *King James*، بينما الأصل يقول "سخاء في الشركة".

ولست أدري كيف - حسب الالتفاف حول الكلمات - يمكن للعلامة أن يقول إن تعبير "شركة الروح القدس" في (٢ كو ١٣ : ١٤) "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" هي ليست شركة في الطبيعة الإلهية لأن النعمة من الابن والمحبة من الآب، ثم الشركة هي غريبة بعيدة عن الله .. هل هذا مقبول لدى أي مسيحي؟

- "أعطونا أنا وبرنابا يمين الشركة" (غلا ٢ : ٩)، وهي هنا وضع اليد؛ لأنها شركة في الرسامة.

- "إن كان وعظٌ ما في المسيح .. إن كانت شركةٌ ما في الروح" (فيلي ٢ : ٧)، فهل الوعظ في المسيح يجعلنا خارج المسيح، أم في المسيح؟ وهل الشركة في الروح هي غير "شركة الروح القدس" (٢ كو ١٣ : ١٤)؟ أليس اللعب بالكلمات وحروف الجر هو خداع البسطاء وحفر هوة عميقة تفصل بينهم وبين الثالث القدوس .. هل هذا يليق؟ وهل هذه شهادة للرب وخدمة تعليم، أم هدم منظم؟

- وحسب الأصل اليوناني "لا تنسوا فعل الخير والشركة لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله" (عب ١٣ : ١٦).

- "الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم ايضاً شركة معنا أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١ يوحنا ١ : ٣). فهل أدرك المطران أن استخدام حرف الجر "μετά" - مع "هي أداة تؤكد الاجتماع معاً في شركة، وإلا ما هو الذي "مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح"، وهو ما يؤكد الرسول نفسه: "إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق" (١ يوحنا ١ : ٦)، ولأن الشركة هي اجتماع الكل في علاقة، يقول: "ولكن

إن سلكنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية".

ومع الشركة جاءت "شركاء"، "ونحن شركاء الروح القدس" (عب ٦: ٣). فكيف يجب أن نفهم باستقامة كلمات الرسول؟

"الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح" (١ كو ١٠: ١٥)، وغاب حرف الجر "في"، ولكن استخدام كلمة τοῦ وهي خاصة بالملكية تجعل الرسول بعد ذلك يقول: "لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد". ولعل المطران وجد حرف الجر "في" الذي ضاع منه ويحاول محاصرة شركاء الطبيعة الالهية من أجل تدمير العلاقة الكيانية بين الانسان والثالوث لتصبح علاقة خارجية أدبية اخلاقية فقط.

حرف الجر "في" الخاص بالشركة في كتابات القديس اثناسيوس:

التبني هو موضوع أساسي في المسيحية وخاصة الأرثوذكسية، لا تسمع عنه إلا القليل جداً. والمحاولة التي قام المتنح الانبا شنودة لإتقاص قدر هذه النعمة وردها إلى العهد القديم اعتماداً على عبارة الرسول بولس عن بني إسرائيل: "هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والشرائع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين" (رو ٨: ٤ - ٥)، هي محاولة واضحة. لأنه إن كانت الأبوة والبنوة بكل تأكيد وردت في العهد القديم في عبارة النبي: "الرب يتكلم رببت بنين ونشأتهم أما هو فعصوا عليّ" (أش ١: ٣)، إلا أن استخدام اسم الأب لله، هو استخدام شحيح جداً في العهد القديم؛ لأن الأبوة هنا هي أبوة الله الخالق لكل البشر، ولا خلاف على ذلك. لكن استخدام ما ورد في العهد القديم لضرب نعمة التبني في العهد الجديد هو الخداع الشيطاني الحقيقي؛ إذ لم يرد في العهد القديم ولا حتى شذرة تقول: "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا

من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يو ٢ : ١٢ - ١٣)،
ولذلك جاء التبني مع الخلاص الشامل ومع عطية الروح القدس التي تجعلنا -
بالروح القدس - نصرخ مع الابن نفسه: "أبًا أيها الآب" (غلا ٤ : ٤)؛ لأننا
لم نأخذ روح العبودية للخوف، بل "اخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبًا
αββα الآب" (رو ٨ : ١٥)، وهكذا يكمل الرسول البشارة التي لم يسمعها
بني إسرائيل: "الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله" (رو ٨ : ١٦)
والتطبيق الأبدي: "فإن كنا أولاداً، فإننا ورثة أيضاً وورثة الله ووارثون مع
المسيح" (رو ٨ : ١٧).

فهل قرأنا في كل اسفار العهد القديم شيئاً يشبه هذه الكلمات: "روح
التبني"، و"وارثون الله"، أو "بالروح القدس نصرخ أبًا أيها الآب"؟ لماذا الخداع
والهرب من أعظم عطايا العهد الجديد؟ يا ترى هل كنت يا أثناسيوس ترقب من
بعيد بروح النبوة انحدار أحد أسلافك إلى هذا الدرك، ولذلك كتبت في المقالة
الثانية في الرد على الأريوسيين:

"إن الله لم يخلقنا بشراً فقط، بل دعانا أيضاً أبناء لأنه ولدنا. ولفظ "ولد" له دلالة هامة لأنه
يتضمن الإشارة إلى "ابن" كما قال النبي: "ولدت نبياً" (أش ١ : ٢) ... واللفظ ولدت
يعني في قول يوحنا: "أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله .." (يوحنا ١ : ١٢ - ١٣) ...
هذه هي محبة الله للبشر بالنسبة لأولئك الذي صنعهم صار لهم أباً أيضاً بعد ذلك حسب
النعمة .. عندما حصل البشر الذين خُلِقوا على روح ابنه (غلا ٤ : ٦) ... ولكي يتم هذا،
صار الكلمة جسداً لكي يجعل الانسان قادراً على تقبل الألوهة .. إننا لسنا أبناء بالطبيعة
أمّا الذي جاء وسكن وسطنا فهو ابن بالطبيعة لأن الله ليس أبانا بالطبيعة بل هو أب
الكلمة الكائن فينا والذي به نصرخ "أبًا أيها الآب" (٢ : ٥٩).

مشكلة المطران مع حرف الجر "في":

لعله لم يقرأ كلمات الرسول بولس، وهي - بالمناسبة - ليست كلمات الأب
متى المسكين: "في المسيح". ولعل بولس رأى هو أيضاً الانحدار نحو الارتداد،

فكتب أكثر من مرة تعبير "في الرب"، ولاحظ أن خداع الالفاظ يجوز على عقول السذج فقط. يقول الرسول: "من يفتخر فليفتخر في الرب" (١ كو ١: ٣١) وحرف الجر "في" εἰς يؤكد العلاقة الكيانية، أمّا في الترجمات الانجليزية، فإن استخدام of بدلاً من in أو "ب" كما في (١ كو ١٠: ١٧)، فهو استخدام معروف لمن يريد أن يقرأ العهد الجديد لكي يتعلم، لا لمن يقرأ لكي يُحرم ويثبت تعليمًا لا تعرفه المسيحية. ولاحظ "كان الله في المسيح مصالحاً العالم" (٢ كو ٥: ١٩)، ثم "واضعاً فينا خدمة المصالحة" (٢ كو ٥: ١٩ - ٢٠). ولنا "فيه الفداء بدمه غفران الخطايا" (١ كو ١: ١٣). هل يمكن أن يكون لحرف الجر "في" أي دلالة أخرى سوى استعلان الكيان الجديد في المسيح، أي الخليقة الجديدة "إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة" (٢ كو ٥: ١٧)؟ وهل كان الرسول يصف علاقة أدبية أخلاقية خارجية كما ادعى أساقفة الجهل عندما قال: "أستطيع كل شيء في المسيح يسوع الذي يقويني" (فيلي ٤: ١٣)، "أخيراً تقووا في الرب وفي شدة قوته" (افسس ٦: ١٠)؟

صدام السلطة الشيطانية مع تعبير "في الرب":

لو كان أساقفة الجهل يؤمنون أن المسيح فينا "المسيح فيكم رجاء المجد" (كولو ١: ١٧)، ولو كانوا يؤمنون أن المسيح "يحل في قلوبنا بالإيمان" (أفسس ٣: ١٧) أو "تحل عليّ قوة المسيح" (٢ كو ١٢: ٩)، لكانوا أدركوا أن التعامل مع المؤمنين هو تعامل مع المسيح نفسه الكائن في كل أعضاء جسده الكنيسة (١ كو ١٢: ٢٧). كيف يمارس أسقفٌ محبة المسيح وهو لا يعرف إلا العجرفة والقساوة، ولم يعرف طعم المحبة، ولا اختبر قوة التواضع، ولم يدخل الخدمة كراع بل كسيد يلبس عمامة كبيرة ويسير بعضا سوداء مختالاً مثل الطاووس وليس مثل سيده الذي "لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته"، بل يقف أمام الميكروفونات لكي يوزع جهنم على كل من يختلف معه، كأن حرمان البشر الأبدى من الله هو نشيد انتصار وصلاح، بينما هو في حقيقة الأمر فرح ورقص مع الشيطان نفسه الذي يفرح بالهالكين.

هذا هو جوهر المشكلة، فهو ليس حرف الجر، وإنما دلالة حرف الجر الذي يؤكد الاتحاد بالمسيح.

العبارات الواضحة عند القديس اثناسيوس التي يظهر فيها حرف الجر "في":

"إننا قد خلّقنا حسب الصورة ودعينا صورة الله ومجده، وذلك ليس من ذاتنا، بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقي الساكن فينا الذي هو كلمته والذي صار جسداً لأجلنا" (ضد الأريوسيين ٣: ١٠).

ومن سوء حظ الأنبا بيشوي يقول العظيم أثناسيوس في الرسالة إلى أدلفوس:

"هو صار إنساناً لكي يُهَنَّا فيه

γέγονε γάρ άνθρωπος ἵν ἡμᾶς ἐν ἑαυτῷ θεοποιήσῃ

(فقرة ٤ مجلد ٢٦: ١٠٧٧ (α))

ويقول العظيم أثناسيوس عن التحول الكياني في الإنسان:

"لأننا لم نعد نموت بحسب بدايتنا الأولى في آدم، بل بسبب أن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة، فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبْطِلَتْ بسبب ذلك الذي هو كائن فينا والذي قد صار لعنةً لأجلنا، وكما أننا نحن جميعاً من الأرض وفي آدم نموت، هكذا نحن إذ نُؤَلَد من فوق من الماء والروح، فإننا في المسيح نُحْيَا جميعاً، فلا يعود الجسد فيما بعد أرضياً، بل يصير إلهياً كالكلمة، وذلك بسبب كلمة الله الذي لأجلنا صار جسداً" (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣ - مجلد ٢٦: ٣٨٣ - ٣٩٦ (α)).

* في آدم جاء الموت.

* في المسيح جاءت الحياة والقيامة.

* الموت حقيقة كيانية كامنة فينا.

* القيامة ليست قيامتنا نحن، بل هي القيامة التي وُهِبَتْ لنا في المسيح في المعمودية (رو ٦: ١: ٨).

يقول القديس أثناسيوس عن هذا التحول الذي بدأ أولاً في ناسوت الرب نفسه:

"كل البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان هو أول من نُخِّلص وحرِّر
لأنه هو جسد الكلمة ذاته، ونحن هكذا قد اتحدنا في جسد واحد σύσσωμοι
τυγχάνοντες) وخلصنا حسب ذلك الجسد (الذي تم خلاصه وتحريره وهو جسد
الكلمة) (ضد الأريوسيين ٢: ٦١ - مجلد ٢٦: ٢٧٧ β).

لقد هدَمَ التعليم المعاصر صرح الأرثوذكسية الأول، وهو الثالث. وكل الذين
يهاجمون الشركة في الطبيعة الإلهية هم بالضرورة في حقيقة الأمر لا يؤمنون
بالثالوث ولا بالتبني ولا بما جاء به العهد الجديد، وهو أن شركتنا في المسيح
ليست من انتاج "الدماغ"، أي الفكر، ولا هي وليدة الإرادة الإنسانية، ولا
مصدرها الإيمان، بل هي عطية الله الآب لنا تُعطى بالروح القدس، فهو أي
الأقنوم الثالث الذي يوحدنا بالابن والآب، وهنا يصبح دور الإيمان هو القبول،
ودور الإرادة هو البقاء في النعمة، ودور الفكر هو أن يحيا حسب العطية. ولاحظ
كيف يدافع القديس ثناسيوس في إلهية الروح القدس:

"لو كان الروح القدس مخلوقاً لَمَا كان لنا اشتراك في الله بواسطته، فإن كنا قد اتحدنا
بمخلوق نصبح غرباء عن الطبيعة الإلهية لأننا لم نشترك فيها" (الرسالة الأولى الى سراييون:
٢٤).

ثم:

"المسحة والختم الذي فينا ليس من طبيعة المخلوقات، بل من طبيعة الابن، الذي يوحدنا
بالآب بواسطة الروح الذي فيه (في الابن) .. بهذا نعرف اننا تثبت في الله وهو فينا، أنه قد
أعطانا من روحه (١ يو ٤: ١٣)" (المراجع السابق).
المطران لا يريد أن يقرأ ويسمع كلام القديس يوحنا، ولا شرح القديس
أثناسيوس. هو يريد أن يحفظ أولاد الله بعيداً عن الله؛ لكي يحكم ويسود عليهم،
وهو بالضرورة عمل الشيطان نفسه، وردة عن الإيمان. ولذلك يجب أن نأخذ
كلمات القديس أثناسيوس بكل اهتمام:

"إن كنا بالاشتراك في الروح نصير شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١: ٤)، فإنه من الجنون أن
نقول إن الروح من طبيعة المخلوقات وليس من طبيعة الله. وعلى هذا الأساس فإن الذين هم

منه، يتأهون، وإن كان يؤله البشر فلا شك في أن طبيعته هي طبيعة الله" (مجلد ٢٦ : ٥٨٥ - ٥٨٨ α).

وهذا حرف الجر في رسائل سراييون:

"الملائكة والمخلوقات الأخرى تشترك في الروح .. في الابن نصير كلنا شركاء في الروح" (١ : ٢٧).

وعن طقس الانضمام إلى الكنيسة يقول العظيم في أساقفة الإسكندرية:

"المواهب التي يقسمها الروح لكل واحد، تُمنح من الآب بالكلمة .. تُعطى من الابن في الروح، هي مواهب الآب. وحينما يكون الروح فينا، فالكلمة الذي يعطي الروح يكون أيضاً فينا والآب كائن في الكلمة، وهكذا يتم ما قيل "سنأتي أنا والآب ونصنع عنده منزلاً" (يو ١٤ : ٢٣)" (الرسائل إلى سراييون ١ : ٣٠).

أما عن النعمة فإن المعلم السكندري يقول:

"هذه النعمة والهبة تُعطى في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس، وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا لا يكون لنا شركة في العطية إلا في الروح القدس. لأننا حينما نشترك فيه تكون لنا محبة الآب ونعمة وشركة الروح نفسه" (المرجع السابق ١ : ٣٠).

نحن لسنا خارج الله حتى نحذف حرف الجر "في"، بل إن ما يُعطى لنا، إنما يُعطى في الثالوث والكل من إله واحد" (المرجع السابق ١ : ٣١).

ومجد الحياة الجديدة الذي يرفضه المطران؛ لأن الحياة القديمة هي حياة العبودية وهي التي تسمح - في عبودية آدم - للموت والخطية أن يُستعبد الشعب بسلطان لا علاقة له بالرب يسوع، ولكن مع بولس وأثناسيوس تسمع التعليم الرسولي وبشارة الحياة:

- "إذ لم تأخذوا روح العبودية بل أخذتم روح التبني" (رو ٥ : ٢٥).

"ففيه الكلمة (أي في الروح) يجعل الخليقة مجيدة ويعطيها الحياة الإلهية والتبني ويقودها للآب، ولكن الذي يوحد الخليقة بالكلمة لا يمكن أن يكون واحداً من المخلوقات، والذي يمنح التبني للخليقة لا يمكن أن يكون غريباً عن الآب" (إلى سراييون ١ : ٢٥).

ومن سوء حظ الأنبا بيشوي أيضاً الذي حاول الالتفاف حول عنوان "الشركة في

الطبيعة الالهية"، هذه هي كلمات القديس أناسيوس:

"الروح ليس من المخلوقات، بل هو خاص بلاهوت الآب والذي فيه (في الروح) يجعل
الاشياء المخلوقة تشارك في الطبيعة الإلهية ولكن الذي فيه تشترك الخليقة في الطبيعة الإلهية
لا يمكن أن يكون خارج لاهوت الآب" (١: ٢٥ مجلد ٢٦: ٥٨٩-٥٩٠).

آدم الأول، وآدم الأخير

تبادل الصفات Communicatio Idiomatum

موضوع تبادل الصفات يشكّل محور الخلاص برمته، ننشده عن دراية بأن الرب "أخذ الذي لنا"، أي الناسوت "وأعطانا الذي له"، وهو اللاهوت المتجسد؛ لأن عبارة "الذي له" لا يمكن أن تكون قاصرة على الناسوت؛ لأن المسيح الرب غير قابل للانفصال.

في الرد على الأريوسيين (٣: ٣٣) يقول القديس أثناسيوس:

"لو كانت أعمال الكلمة الإلهية قد حدثت خارج جسده الإنساني فإننا لن نتأله وأيضاً لو أن صفات (خواص) الجسد لم يأخذها ἐλέγετο أي تنسب إلى الكلمة، لتعذّر تحرير البشر من هذه الخواص".

وفي فقرة (٣: ٣٤) يقول:

"لأن الرب عندما تأنّس ولبس الجسد، نحن البشر نتأله بالكلمة *Logos* لأنه أخذنا فيه بواسطة جسده

παρά τού Λόγου τε θεοποιούμεθα προσληφθέντες διά της σαρκός αυτού".

إن ما غاب من الوعي لدى المطران، وأيضاً لدى جيل تربى على محاربة الآباء، لا سيما القديس أثناسيوس، هو تأله ناسوت الرب يسوع؛ لأن هذا الجيل يريد أن يضع حملاً ثقيلاً على قلوب أبناء وبنات الكنيسة، ويعلمهم بأنهم منفصلون عن المسيح المخلص، وحتى ناسوت الرب نفسه لم يكن له شركة في مجد وحياة اللاهوت، وبالتالي يفقد كل مؤمن يسمع هذا التعليم الشرير مكانته في

المسيح ووجوده في المسيح، ذلك الذي جاهر به رسول الرب، فصار ينشد ويقول: "من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أريح المسيح وأُوجد فيه" (فيلبي ٣ : ٨).

ولكن معلم التقوى الأرثوذكسية يقول لنا:

"لأنه هو الله، وقد أخذ جسداً، وهو في الجسد، أله الجسد" (الرد على الأريوسيين ٣ : ٣٨).

ولأن التأله هو تقديس الجسد، يقول أثناسيوس:

"جاء الكلمة وسكن لكي يفدي الجنس البشري، والكلمة صار جسداً لكي يفدي البشر ويأهلهم" (ضد الأريوسيين ٣ : ٣٩).

التأله لا يعني تحول الانسان إلى إله كما ادعى الأنبا شنودة الثالث، ولكن التأله هو جسد القيامة، ذلك الجسد الذي لا يموت بعد القيامة؛ لأن الموت دُحِرَ على الصليب، والحياة أُعلنت بقيامة الرب، ولذلك يقول معلم الحق:

"ولكن الآن قام الجسد وخلع موته وتأله" (ضد الأريوسيين ٣ : ٤٨).

هذه هي رفعة وتقدم الجسد، أي تطور الانسان الى وجود جديد جاء به الكلمة، يقول أثناسيوس العظيم في شرح (لوقا ٢ : ٥٢) عن (نمو يسوع في القامة والنعمة) إن هذا النمو والتقدم هو خاص بالانسوت:

"ما هو هذا النمو الذي قيل، وهو ما سبق وقلت عنه إنه التأله والنعمة $\thetaεοποιήσις$ $καί χάρις$ أعطي بواسطة الحكمة (يسوع) للبشر؛ لأن الخطية والفساد التي كانت فيهم قد قُطِعَا من المثال الذي (عرفوه) في الجسد لكي يكون حسب جسد الكلمة الذي يمثّلونه" (ضد الأريوسيين ٣ : ٥٣).

وما غاب من الوعي المعاصر الذي لا يتمسك بالتسليم الكنسي، أن تطور ونمو جسد ربنا يسوع المسيح وحياته الانسانية هو خاصٌ بنا، هو تحولنا نحن وتطورنا نحن، أي إنسانيتنا في المسيح؛ لذلك يقول القديس اثناسيوس:

"إن العنصر الإنساني هو الذي تقدّم في الحكمة وغما صاعداً ومتفوقاً مراحل الحياة الإنسانية،

فصار مُستعلنًا لكل أنه أداة الحكمة العامل والمشرق بالألوهة" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٣).
إن تطور وتعالى الانسانية في المسيح وصل إلى عرش اللاهوت نفسه بصعود الرب
وجلوسه عن يمين الآب، هذا ما يخيف الطغيان والاستبداد باسم الكهنوت.
ويقول القديس أثناسيوس في الرسالة الأولى إلى سراييون عن الروح القدس:

"إننا بالشركة في الروح نصبح شركاء الطبيعة الالهية (٢بط ١: ٤) ويصبح من الجنون أن
يقول أحد ما إن الروح هو من الطبائع المخلوقة وليس هو الله، لأنه يؤلّه الذين يسكن فيهم
وإذا أُلّه هؤلاء فلا مجال للشك أن طبيعته هي من الله" (١: ٢٤ - الآباء اليونانيين مجلد
٢٦: ٥٨٩).

ولاحظ أن الالتفاف حول الكلمات لا يفيد، بل هو ضار جداً لأننا بالشركة في
الروح نصبح شركاء الطبيعة الالهية.

وأخيراً الرسالة الى أدلفوس الفقرة ٤ يُظهر لنا أن تألّه ناسوت الرب يسوع هو
سبب تألّه كل مؤمن بالمسيح.

"لقد صار إنساناً لكي يؤلّهنا نحن فيه
”γέγονε γὰρ ἄνθρωπος ἵν ἡμᾶς ἐν ἑαυτῷ θεοποιήσῃ“ (مجلد ٢٦: ١٠٧٧).

ويؤكد ذلك في رسالة الى مكسيموس فقرة ٢٥:

"نحن أُلّهنا ليس بالشركة في جسد إنسان مثلاً، بل بقبول جسد الكلمة نفسه" (مجلد ٢٦:
١٠٨٨).

آدم الثاني مثال اتحادنا بالآب بنعمة وعمل الروح القدس:

في شرح انجيل يوحنا (١٦: ٧) يوجه القديس كيرلس السكندري شرح التعليم
للمؤمنين حتى لا يضيع عليهم - في حرارة الصراع مع الأريوسية بالذات - ذلك
الاستعلان العالى، وهو:

"إن يسوع هو الحياة، جاء لكي يحررنا من الموت والفساد؛ لأنه بالطبيعة حياة، وهي حياة إلهية أزلية نزلت إلى جسدنا وبشرتنا الغالبة في الموت، ولذلك صار المسيح الرب τύπος مثلاً، بل وقائداً καθηγότης إلى الحياة الجديدة".
وعندما يقول أثناسيوس وكيرلس السكندري معاً إن الرب يسوع "لبس الناسوت"، فهو تعبير يؤكد:

١- إن الناسوت صار خاصاً به، أي جسده الخاص.

٢- إن الناسوت اتحد بلاهوت الله الكلمة.

وعندما لبس الرب الناسوت، فقد صار كواحد منا، ولكنه صار البكر والمتقدم، ليس فقط لأنه اختلف عنا، بل لأنه جاء بالحياة الجديدة. فكيف يكون كواحدٍ منا، أي إنساناً كاملاً ويخدم الله الآب؟ يقول كيرلس العظيم:

"كيف لا يكون ضرورياً أن يكون معنا نحن الذين نعبد بالروح، وهو ذاته سكن في قلوبنا بالإيمان (أفسس ٣: ١٧) لأنه فينا وهو الذي يعطي لنا هذه الجسارة أن نصرخ: "أبّا أيها الآب" (مجلد ٢: ٦٢٠).

لدى كل الآباء، لا سيما آباء القرن الرابع وآباء القرن الخامس، أن المسيح غلب التجارب، بل والشيطان كإنسان؛ لأن هذه الغلبة تُحسب للإنسان وتضاف للإنسانية الجديدة.

يقول القديس كيرلس:

"غلب المسيح التجارب لأجلنا كإنسان؛ لأنه صار البدء وباب الخراف والطريق للإنسانية. ونحن الذي غُلبنا قديماً قد صارت لنا الغلبة الآن بسبب الواحد مثلنا، والذي لأجلنا هو غلب، لأنه لو غلب كإله، فإن هذا لا يفيدنا بالمرة ولكن كإنسان قد انتصرنا فيه" (شرح الإنجيل يوحنا ٢: ٦٥٧).

هذه هي الأرثوذكسية:

"- المسيح هو مثال لنا

- هو البداية

- هو أيقونة الحياة الإلهية
- أعلن لنا كيف تعيش هذه الحياة (شرح يوحنا ٢ : ٦٧٢).

وبعد

- ١- إذا لم تكن فينا حياة يسوع، فكيف سوف نعيش إلى الأبد، والكنيسة تقول في أوشية الإنجيل: "لأنك انت حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا".
- ٢- إذا كانت عيوننا على خطايانا فقط، فلماذا لا ننظر أيضاً إلى النعمة؟ من يُجرح لا ييكي على الجرح، بل يبحث عن الدواء. من يسقط يقف، ومن يقف يسير، ومن يرى في قلبه خطاياه فقط، ففي هذه الحقيقة توجد الحقيقة الأكبر، وهي أن نعمة الحياة ليست من كياننا ولا هي من ذواتنا، ولذلك لا نراها فينا بشكل أوضح ولكن نراها بشكل أوضح في شركتنا مع الرب يسوع.

أرسل الله روح ابنه الى قلوبنا صارخاً: أبّا *abba* أيها الآب (غلا ٤ : ٦)

اللاهوت لا يسكن ولا يحل فينا. هكذا يتكلم مدعو الكذب، وهؤلاء يكذبون وينشرون الكذب بتدليس صارخ قائلين بتحول الإنسان إلى إله، وبتدليس آخر أشر منه، وهو أننا سنصير مثل الله لنا وجود في كل مكان، وبلا خطية، وقادرون على كل شيء ... إلى آخر ذلك من عبارات تخيف الصغار وترسل رعدةً في أوصال مَنْ هو غير مسيحي لم يستلم الإيمان.

أولاً: إنكار تجسد ابن الله

هؤلاء عن جهل أو عن معرفة، ولكن بكل يقين عن جهل، أنكروا اتحاد الطبيعتين في الرب الواحد يسوع المسيح.

- واحدٌ مع الآب من جهة اللاهوت.
- واحدٌ معنا من جهة الناسوت حسب التدبير.
- ربٌّ واحدٌ غير منقسم من بعد الاتحاد إلى طبيعتين.

لقد ظل الناسوت أو الطبيعة الانسانية ليسوع كما هي إنسانية كاملة؛ لأنها لو زالت، لزال معها خلاص كل إنسان، ولكن هذه الطبيعة الانسانية قال عنها رسول المسيح إنها: "جسد مجده" (فيلبي ٣ : ٢١)، فلم تعد بعد القيامة والصعود تلك الطبيعة التي وُضِعَتْ من أجل خلاص الانسان قليلاً عن الملائكة (عب ٢ : ٩)، بل صارت بعد القيامة والصعود مكللةً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت (عب ٢ : ٩). لقد اجتاز السموات بمجدٍ إلهي (عب ٤ : ١٤)، وبعد أن "ذاق

الموت بالجسد"، بالقيامة، صارت له "قوة حياة لا تزول" (عب ٧: ١٦)؛ لأنه بعد القيامة "لا يموت ولا يسود عليه الموت" (رو ٦: ٩)، ولذلك يبقى يسوع المصلوب والحي لأجلنا لكي نجوز معه الصלב والقيامة "أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلٌّ مِّنْ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ. فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ" (رو ٦: ٣)، ولكننا لا نقف على أعتاب الموت، بل "كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا (نحيا نحن في الحياة الجديدة جداً حرفياً)، أو حسب ترجمة فان ديك العرجاء "فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ" (رو ٦: ٤).

فإذا كان من الواضح حسب كل عبارة في الرسالة إلى العبرانيين، وباقي الرسائل أن يسوع في مجده الالهي هو لا زال الإله المتجسد لأن بشارة الصعود المجيد هي أن "يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء" (أع ١: ١١)، وهو ما أكدّه رب المجد نفسه قبل آلامه المحيية في حديثه الأخير قبل الصלב: "حينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً على سحابة (سحابة المجد الإلهي الشاكيناه) بقوة ومجد كثير" (لوقا ٢٠: ٢٧).

إذن، فابن الإنسان سوف يأتي بمجد ألوهيته؛ لأنه لو ضاعت أو ذابت إنسانيته - كما قال اوطاخي - لضاعت وذابت إنسانيتنا ولم يعد لها مجال.

وهنا يثور التساؤل: كيف استخف الشيطان بعقل أساقفة كبار، فشنوا حملة كراهية على القمص متى المسكين، وحملتهم هذه الكراهية إلى تدمير الإيمان المسيحي برمته؟ لأنه حسب عبارة القديس غريغوريوس النزينزي في رده على أبوليناريوس الذي أنكر كمال إنسانية المسيح: "ما لم يتحد به (الله الكلمة) لا يخلص ولا يُفتدى"، وبالتحديد الجسد الانساني.

لقد جاء الأنبا شنودة الثالث - محتلاً قاعة الدرس بالإكليريكية - فحذف مادة اللاهوت المقارن لأستاذه د. وهيب عطا الله (الأنبا غريغوريوس)؛ ففقد هذا الجيل القدرة على التعامل مع أخطاء فادحة ارتكبت في التاريخ الكنسي، وقع فيها الأنبا

شنودة نفسه؛ إذ أعاد نفس عبارات نسطور في الكلام عن الإفخارستيا. نعم أعادها حرفياً وليس بالمضمون، ثم شن حملة شعواء تحت ستار البدع الحديثة ليقع هو نفسه في الأوطاخية؛ لأن تحوّل الإنسان إلى الله أو اللاهوت هو ذات تعليم أوطاخي الذي ينكر بقاء ناسوت رب المجد الإله المتجسد.

ثانياً الحلول المواهبي - التعليم الشيطاني المدمر:

لو سألنا المرتدين عن جهل: هل يمكن لطبيعة مخلوقة أن يكون لها خلود دون أن يُعطى هذا الخلود من الله؟ فإذا جاء الجواب بالإيجاب، لقلنا إن هذا هو رد الوثنية المصرية، واليونانية القديمة، بل هو ردّ واضح في أدبيات الإسلام أيضاً. ففي الإسلام، الإنسان سوف يعود الى الحياة في "يوم النشور" أو "يوم البعث" أو "يوم القيامة" أو "يوم الدين" خالداً خلوداً طبيعياً. هذا شأن الإسلام، ولكن أسلمة اللاهوت المسيحي موضوع آخر، فهو ليس من أجل الوحدة الوطنية؛ لأن الوحدة الوطنية دعامتها الدولة المدنية وليست العقائد الدينية كلها شرقاً وغرباً. وأنا هنا لا أحكم الإسلام؛ لأن شرح عقائد الإسلام هو من اختصاص علماء الأزهر، ولكنني أحكم خلط الفكر الوثني القديم مع اللاهوت المسيحي؛ لأن الخلود الطبيعي للإنسان - ويا للمفارقة - يجعله إلهاً بالطبيعة غير قابل للموت، ويصبح تجديد الجسد هو تجديد جزء من الإنسان، وهو الجسد، وليس تجديدًا للروح والفكر والإرادة، أي الحياة الداخلية *Inner Life* التي لا تنقسم إلى جسد وروح. ولو كان التجديد قاصراً على الجسد وحده، فكيف استطاع بولس أن يقول إن الحياة الجديدة هي ثمار الروح، وهي المحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والإيمان والوداعة والتعفف (راجع غلا ٥: ٢٢ - ٢٣)، بل أن تخلعوا من جهة التصرف السابق (على الإيمان) الإنسان القديم الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق .. "ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء" (أفسس ٤: ٢٢ - ٣٠).

وهكذا، كما فصلوا اللاهوت عن الناسوت في الإفخارستيا (تعليم نسطور)
فصلوا الروح عن المواهب (تعليم الشيطان).

"روح ابنه" (غلا ٤ : ٦):

لاحظ هذه التعبيرات:

- "روح التبني" (رو ٨ : ١٥).
- روح المسيح (رو ٨ : ٩).
- روح الرب (٢ كو ٣ : ١٧).
- روح يسوع المسيح (فليبي ١ : ١٩)، وراجع أيضاً (أع ١٦ : ٧ - عب ٩ : ١٤ - بطرس ١ : ١١).

روح التبني رو ٨ : ٥ - غلا ٤ : ٦:

يقول الرسول: "كل الذين ينقادون بروح الله، أولئك هم أبناء الله" (رو ٨ : ١٤)، والمواهب لا تقود؛ لأن المواهب تحرك إرادة الإنسان، أمّا الروح القدس فهو يقود ويعطي الحكمة والاستنارة والقرار الصحيح، ولذلك يكمل الرسول الشرح: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به تصرخون *abba* أبّا (وهو نداء الأطفال في زمن المسيح باللغة الآرامية وهو يعني "أيها الآب")، فهل يمكن لهذا النداء الصادر من الروح القدس، وهو نداء الابن للآب نفسه (مرقس ١٤ : ٣٦) أن يكون نداءً لنوعين من البنوة: بنوة غير مخلوقة وبنوة مخلوقة؟

لقد طلب منا الرب أن نسير الميل الثاني، وسوف نسير الميل الثالث والرابع مع هؤلاء من أجل الرب.

لو كانت هذه بنوة مخلوقة؛ لصار التجسد باطلاً؛ إذ لم يعد نداء الابن هو نداء الإله المتجسد، بل نداء مخلوق مثلنا.

لو كانت هذه البنوة مخلوقة، والمتكلم هو روح الابن، هو روح التبني ينادي الآب أبًا *abba* فالروح يكون عندئذٍ هو نفسه مخلوق؛ إذ لم يعد روح الابن غير المخلوق، بل صار أحد الأرواح المخلوقة مثل الملائكة، ولذلك يشرح القديس أثناسيوس هذه الحقيقة:

"هذه هي محبة الله للبشر .. فقد صار لهم آباءً بحسب النعمة كما قال الرسول عندما حصل البشر المخلوقون على روح ابنه في قلبهم صارخاً "أبًا أيها الآب"؛ لأن هؤلاء هم الذين قبلوا الكلمة ونالوا سلطاناً أن يصيروا أولاد الله؛ لأنه لم يكن في إمكانهم حيث أنهم مخلوقات بالطبيعة، أن يصيروا أبناءً بأية طريقة أخرى، إلا بأن يتقبلوا روح الابن الحق بالطبيعة. لذا ولكي يحدث هذا؛ فقد صار الكلمة جسداً لكي يجعل الانسان قادراً على تقبل الألوهة" (ضد الأريوسيين ٢: ٥٩ - ٤: ٢٢).

وفي مجال الدفاع عن إلهية الروح القدس يكتب اثناسيوس العظيم:

"الروح مختلف عن المخلوقات فهو خاصٌ بالابن .. وكما أن الرب (يسوع) هو الابن، فالروح يدعى روح البنوة؛ إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني (رو ٨: ١٥ - غلا ٤: ٦) .. ففيه يجعل اللوغوس الخليفة مجيدة، ويمنحه إياها الحياة الإلهية والتبني؛ فإنه يقودها إلى الآب" (الرسالة إلى سرييون ١: ٢٥).
وأيضاً:

"الروح ليس مخلوقاً، بل هو خاصٌ بجوهر اللوغوس، وخاصٌ بالله، ولذلك هو كائنٌ فيه (اللوغوس) .. لأنه ليس خارج الابن فقد دُعي روح التبني .. وحينما نشترك في الروح، يكون الابن لنا، وحينما يكون الابن لنا، يكون الروح لنا "صارخاً في قلوبنا أبًا أيها الاب" (غلا ٤: ٦) (الرسالة إلى سرييون ٤: ٤).

هكذا يريد المرتدون أن يحرموا الشعب الواقع تحت وطأة كل أنواع الضغوط النفسية والسياسية والمالية والاجتماعية والتشريعية، من مجد المسيح ومن القوة الإلهية التي تعمل فينا.

روح المسيح (رو ٨ : ٩ - فيلي ١ : ١٩):

يقول رسول الرب يسوع: "إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له (المسيح) (رو ٨ : ٩). هل أدرك الذين جاءوا بهذا التعليم الشيطاني أن الروح هو روح المسيح لأنه مسحه في الأردن، فصار المسيح (ضد الأريوسيين ١ : ٥١)، وأن الروح القدس الذي فقده آدم بالسقوط قد أعاده الرب يسوع عندما قبله في المعمودية لكي يُوهب الروح لنا.

روح المسيح هو الذي يجعلنا نعتزف بأن يسوع هو الرب (١ كو ١٢ : ١ - ٣).
روح المسيح هو الذي أقام يسوع، وهو الذي سوف يقيم أجسادنا المائتة؛ لأنه ساكنٌ فينا (رو ٨ : ١١)، ولذلك يشهد لأرواحنا، فهل صار روح المسيح موهبةً؟!!!

هل نال يسوع موهبةً عندما اعتمد وحلَّ عليه الروح القدس حسب شهادة الأنجيل الأربعة، أم أنه نال الروح القدس لكي يحفظ هذا الروح القدس لنا؟^(١).

يقول الرسول إن روح يسوع المسيح هو الذي يعطي له الشهادة لكي ينطق الكل بأن يسوع هو ربُّ مجد الله الآب (فيلي ٢ : ٨). فالروح يعلمُّ لأنه "روح الحق" وروح الحق يمكث معكم إلى الأبد (يوحنا ١٤ : ١٦)، وتعليم الحق هو تعليم عن يسوع الذي قال: "أنا الحق" (يوحنا ١٤ : ٦). والحق وهو يسوع، ليس موهبةً، بل هو أقنوم الله الكلمة المتجسد، ولذلك قال الرب: "المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويدرككم بكل ما قلته لكم" (يوحنا ١٤ : ٢٩)، فهو المتكلم فينا لأنه "روح الحق الذي من عند الآب ينيثق فهو يشهد لي" (يوحنا ١٥ : ٢٦)، ولذلك يكمل الرب الكلام: "وتشهدون أنتم أيضاً" (يوحنا ١٥ : ٢٧)، فهل هذا مواهب أم أنه الأقنوم الثالث العامل فينا؟ (راجع ١ بطرس ١ : ١١) عن روح المسيح الذي كان في الأنبياء سبق فشهد بالألام التي للمسيح والأعجاد التي بعدها".

(١) راجع مقالنا: لماذا اعتمد المسيح؟ منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

المسيح حياتنا:

لكثرة الحديث عن الخطية، صارت الخطية حياة الذين يسمعون، ولكن المسيح رب المجد يقول: "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا ١١ : ٢٥)، فهل توجد قيامة وحياة بدون المسيح، وهو الذي يقول: "أنا هو القيامة والحياة"، ويقول لمن يريد الناسوت دون اللاهوت في الإفخارستيا: "مَنْ يَأْكُلْنِي يَحْيَا بِي" (يوحنا ٦ : ٥٧)، وهذه ليست حياة مؤقتة على الأرض، بل كما يؤكد الرب "يحيا إلى الأبد" (يوحنا ٦ : ٥٨)، فهو يقول لليهود: تموتون في خطيتكم .. "إن لم تؤمنوا إني أنا هو تموتون في خطاياكم" (يوحنا ٨ : ٢١ - ٢٤).

لنقل أن حياتنا الأرضية يمكن أن تمتد إلى ١٠٠ سنة، ولكن الحياة الأبدية هي:

١- الحياة الدائمة التي أظهرت لنا وصارت لنا شركة فيها (١ يوحنا ١ : ٢).

٢- هبة الله في يسوع المسيح (رو ٦ : ٢٣).

٣- هي معرفتنا بالآب في ابنه يسوع المسيح؛ إذ قال يسوع: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧ : ٣).

هذه الحياة ليست حياة مخلوقة من كيانا المخلوق، بل هي من الله الآب، وإلا لماذا قال الرب يسوع: "أنا هو القيامة والحياة"، إن كانت لنا حياة بعيداً عنه؟ ولماذا قال الإنجيلي يوحنا: "الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا" (١ يوحنا ١ : ٢)، بل "هذا هو الوعد الذي وعدنا هو به الحياة الأبدية" (١ يوحنا ٢ : ٢٥)؟ ولماذا يقول الرسول بعد ذلك أننا "انتقلنا من الموت إلى الحياة" (١ يوحنا ٣ : ١٤)؟

إن حياتنا المخلوقة لا تصلح للملكوت السموات، ولذلك جاء يسوع وحوّل كيانا ليكون مثل كيانه حياً إلى الأبد. لأننا مثل آدم الترابي، صرنا "ترابيين" (١ كو ١٥ : ٤٨)، ولكننا في يسوع المسيح، سوف نلبس "صورة السمائي" (١ كو ١٥ : ٤٩)؛ لأننا سوف "نتغيّر"، ليس إلى حياة مخلوقة مثل حياتنا السابقة التي أخذناها من الوالدين حسب الولادة الجسدانية، بل إلى "الإنسان الجديد" (أفسس

٢: ١٢) "المخلوق حسب الله في البر وقداسة الحق" (أفسس ٤ : ٢٤)، فهو "خليقة جديدة" (٢ كو ٥ : ١٧)، وقد صار الجسد "أعضاء المسيح" (١ كو ٦ : ١٥)، بل صار الجسد كله "هيكل الله لأن روح الله القدس يسكن فيه" (١ كو ٦ : ١٩ - ٢٠).

فهل لنا حياة أخرى خالدة حية لا تموت، مجيدة على صورة جسد مجده (فيلبي ٣ : ٢١)، سماوية غير أرضية غير التي نأخذها في المعمودية؟ لأن بولس عندما قال: "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غلا ٢ : ٢٠)، هل كان لبولس حياتين: حياة خاصة به، وحياة أخرى في المسيح، أم حياة واحدة تلك التي يقول عنها: "لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الانسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أفسس ٣ : ١٦ - ١٩)؟ أليس هو القائل: "لي الحياة هي المسيح" (فيلبي ١ : ٢١)، فاذا كنا نرفض أن يكون المسيح حياتنا فماذا بقي لنا غير:

١ - الخطية.

٢ - الموت.

٣ - الدينونة.

٤ - مصير الشيطان.

ولكن "إن كنتم أمواتاً في الخطايا أحياكم معه .. لأنكم قد قمتم مع المسيح" (كو ٢ : ١٣ - ٣ : ١ - ٣).

مشكلة ردة وليست مشكلة تفسير

الذين يقاومون حلول الروح القدس فينا، ويحاربون شركتنا في الرب في الإفخارستيا، الشركة في حمل الله ربنا يسوع المسيح الإله المتجسد، يقعون في بئر النسطورية ويخدعون السذج بأننا لا نأكل اللاهوت - وطبعاً اللاهوت لا يؤكل، ولكن الحق في عدم الأكل يراد به باطل، وهو تناول الناسوت فقط، وهذا الأمر يؤدي إلى تقسيم المسيح الواحد الغير قابل للتقسيم؛ لأنه غلب "تقسيم الموت"، وهدم كل أشكال وطبائع الانفصال.

خلطٌ مَعِيب:

وعندما تم إحكام الحصار على هؤلاء، عادوا من الباب الخلفي في محاولة للهروب من مجاهدة الرب نفسه، لا من يكتب أو يدافع، فقالوا ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب: "النص حمّال أوجه"، وهو طبعاً كان يقصد بالنص النص القرآني، وتطبيق حد قطع اليد في عام الرمادة (المجاعة). والمعنى أن النص يحتمل الكثير من التفاسير، وهو ما نراه في أدبيات الإسلام؛ لأن الإسلام شريعة، والشريعة ترتب المعاملات الإنسانية، دائمة التطور والتغير في كل زمان ومكان مما يتطلب تطور "الاجتهاد" ومواكبة التشريع لما يجده في الحياة الإنسانية، فالقول بأن النص حمّال أوجه هو قولٌ صحيح إسلامياً؛ لأن إبطال النص في ظروف معينة، أمرٌ مشروع يفرضه الواقع نفسه، بل أن إبطال العمل بالقانون في كل بلاد العالم أمرٌ يحدث في الأزمات.

ونحن نرى أن الالتجاء إلى مبادئ التفسير الخاصة بالشريعة الإسلامية، وتطبيقها مسيحياً أمرٌ ينطوي على خلطٍ مَعِيب؛ لأنه خلطٌ بين الشريعة أو القانون، والعقيدة. ولأن الشريعة تحكم العلاقات الإنسانية (المعاملات)، فهي

تبحث في كل ظروف الحياة الاجتماعية كما نراها وكما تُعاش وكما يجب أن تكون في تطور يلاحق ويزامن الحياة؛ لذا يكون تعدد التفاسير يكون مطلوباً. أمّا حينما يكون الأمر متعلقاً بشخص الرب، لا بنص، فلا محل هنا لقواعد التفسير المختلفة؛ لأن الشخص هو الذي يحدد معنى النص لا العكس.

خلطٌ معيب بين قانون يلزم البشر بسلوك معين، ويحدد عقوبة لعدم الالتزام، وبين العقيدة التي جاءت باستعلان إلهي في ابن الآب "مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ". وهنا لا يمكن أن يكون هذا نصّاً حمالاً لأوجه، بل نصّ يشير إلى حقيقة تعاش، هي وحدانية الآب والابن التي لا يمكن أن تُفهم إلّا على وجهٍ واحدٍ، وهو الجوهر الواحد أو الحياة الواحدة للثالوث القدوس الواحد.

وعندما يقول الرسول: "يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً"، فهو لا يقول نصّاً حمالاً لأوجه، بل لا يحتمل إلّا وجهاً واحداً، هو وجه الإله المتجسد الكامل في إلهيته والكامل في إنسانيته.

وقد يقول قائلٌ إن هذا الكلام أو تلك النصوص هي نصوصٌ خاصة بالثالوث والابن المتجسد ولا خلاف عليها، ولكن ما يقال عن البنوة وعطية التبني يمكن أن يكون حمالاً لأوجه، وكذلك ما يقال عن سكنى وحلول الروح القدس فينا، وأننا هياكل الله، يمكن أيضاً شرحه بأكثر من وجه. إلّا أن هذا ليس إلّا ضربٌ من خداع؛ لأن لكل شرح هدفاً، فما هو الهدف من تأكيد أن الروح القدس لا يحل فينا، بل تحل فينا مواهب الروح القدس؟ والقائل هنا لم يدرك أن تنوع المواهب وتعددتها لا يعني تنوع حلول الروح القدس وتعددته؛ لأنها - حسب عبارة الرسول - مواهب: "الروح الواحد" (١ كو ٢٢ كله).

وبالتالي، ليست المشكلة مشكلة تفسير؛ لأن في الإسلام:

١- النص سبق كل شيء، وبالذات خلق آدم ودعوة إبراهيم والأنبياء. النص هو تنزيل لا علاقة له بالعبادة أي الصلوات ولم يدخل في التاريخ الإسلامي.

٢- والنص جاء لكي يحكم في أحداثٍ معينة شرحها السيوطي في أسباب التنزيل، فقد جاءت نصوصٌ لكي تحدد العلاقات، أو تصحح العلاقات، أو تحرم علاقات، والخوض في هذا الأمر لا يخصصنا في شيء، وإنما يخص علماء الإسلام. ومن هنا جاءت أحداث جديدة اختلفت عن تلك التي جاء بها التنزيل (حسب العقيدة الإسلامية)، فحق القول إن النص حمّال أوجه.

أمّا في المسيحية، ونظراً لما صبه كثيرون من مياه عكرة في مجال تفسير الكتاب المقدس، واخترعوا لها عدة أسماء، فإن تجاوز أساسات الأرثوذكسية ظاهر لمن يعرف أن الآباء لم يضعوا قواعد لتفسير الكتاب، وحتى الأسماء التي نراها في الكتب الأرثوذكسية هي اجتهاد لا بأس به، ولكن علينا أن ندرك أننا لسنا أمام مشكلة تفسير للأسباب التالية:

١- المسيح يسوع رب المجد ليس فكرة، ولا هو صاحب نظريات، ولم يؤسّس قواعد شرعية تقبل التفسير المتعدد، بل هو شخصٌ جاء لكي يؤسّس علاقة شخصية تقوم على الاتحاد به، وهو ما يفتح مجال تحديد الكيان الإنساني.

الإنسان في الثالوث من خلال يسوع. هذه علاقة شركة لا تشرحها النصوص، بل استعلانات تعطي النعمة حسب قول الرب يسوع نفسه عن حفظ الوصايا، أي الحياة حسب تعليم الرب يسوع، وهي ثمرة المحبة، ولذلك مثل هذا "يجني والآب يحبه وأنا أحبه وأظهر له ذاتي" (يوحنا ١٤ : ١٢)، فالحياة أظهرت (١ يوحنا ١ : ٣-١)، والتجسد جاء بعلاقة، ولم يكن حدثاً تعبّر عنه نصوص، بل هو اشترك الابن في اللحم والدم، ولذلك "اشترك" الابن له المجد في هذا اللحم والدم؛ لكي يبيد الموت في اللحم والدم (عب ٢ : ١٤). هذه علاقة واختبار لا يقبل التأويل؛ لأن التأويل يحول العلاقة الكيانية إلى نظرية فكرية.

٢- و"حسب أركان العالم أو تقليد الناس"، وهي مدارس الفلسفة التي دأبت في زمن رسول المسيح بولس ليس لها علاقة بالمسيح؛ لأنه شخصٌ وليس نظريةً عقليةً. هذا الشخص "يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولو ٢ : ٩)، ولم يسكت رسول

المسيح، بل قال: "وأنتم مملوؤن فيه" (كولو ٢: ١٠)، وهو ذات التعبير عن الابن "المملوء
نعمة وحقاً" (يو ١: ١٤). فما هو الملاء؟ إنه ليس نصاً، بل هبة الحياة الجديدة (رو ٦:
٤، ٢٣)، كذلك، فإن وراثة الله، أي وراثة الملكوت مع المسيح (رو ٨: ١٧)، هي
الانتقال من العبودية إلى البنوة (غلا ٤: ٦).

هذه علاقة يعبر عنها النص، ولا يحكمها النص، وهي علاقة مؤسسة على
العلاقة الأكبر، أي علاقة أقانيم الثالوث التي فتحت لنا مجال الحياة على
مصراعها بالتجسد الذي جاء بالاتحاد، وبالصليب الذي أزال حاجز الموت،
وبالقيامة التي أعطت لنا الخلود، وبحلول الروح القدس لكي ننال هذه
الاستعلانات لأن الروح يخبرنا بما هو آتٍ (يوحنا ١٦: ١٣)، وهو روح الآب
الذي يشهد للابن (يوحنا ١٥: ٢٦)، والشهادة هنا هي أنه ينطق فينا بالشهادة
للآب "أباً أيها الآب" (رو ٨: ١٥)، وبأن يسوع هو الرب (١ كو ١٢: ٣).

الهروب الى الخلف:

لكل ما تقدم، فإنني أشعر بالرتاء وبالحنن أيضاً على ما أصاب الكنيسة؛ لأن
محاولة تدمير العقيدة من على منابر الكنيسة تهدف للدفاع عن تعليم فاسد يقوم على
قطع كل شركة بيننا وبين الثالوث بإنكار الإيمان؛ لأن الإيمان المسيحي لا يقدم
نصوصاً، بل يقدم نعمةً، والنعمة شركة. والإيمان هو قبول استعلان يسوع المسيح الذي
هو "سر التقوى الله ظهر في الجسد" (١ تيمو ٣: ١٦)، فكيف يمكن أن يتحول هذا
كله إلى كلام وشرح ونصوص تُشرح بأكثر من طريقة بحجة أن النص حمّالٌ أوجه؟

كيف تحولت العلاقة إلى نصوص، وكيف دخل منهج الفقه الإسلامي إلى اللاهوت
المسيحي؟ إن قواعد تفسير القرآن هي ما يدخل في علوم القرآن، ولكن تفسير التجسد هو
ما يدخل في العلاقة مع شخص المسيح، فكيف يستقيم أن يفسر النص العلاقة؟

هكذا يفتح المعلمون الكذبة باب الارتداد.

ملحق

الفصول الأثنى عشر ضد الذين ينكرون الشركة في الطبيعة الإلهية

الفصل الأول

في المسيح

يقول رسول الرب يسوع المسيح إن الذي أقام جسد الرب هو الروح القدس: "إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رومية ٨ : ١١)، وهذه القيامة تتم بصلب ودفن الطبيعة الآدمية الساقطة في المسيح، أي أنها تُصلب وتدفن وتقوم حسب شهادة رسول الرب يسوع في (رومية ٦ : ١ - ٢٨) "لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته" (رو ٦ : ٥).

وعلى ذلك يكون الادعاء بأننا لسنا في المسيح، أو أننا لم نشترك في حياة الرب الذي هو "حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا" (أوشية الإنجيل)، هو بمثابة إنكار للمعمودية.

أمّا شركة الصلب والدفن والقيامة، فهي ليست شركة في حياة مخلوقه؛ لأن الحياة المخلوقة سقطت في آدم، ولذلك جاء آدم الأخير "الرب من السماء" (١ كو ٢ : ٢٥) لكي يعيد إليها حياة عدم الموت، وهى الحياة الإلهية؛ لأن الله هو الحى الذي لا يموت.

ولذلك، فإن من ينكر هذا، يكون قد أنكر معموديته التي نعترف بها في قانون الإيمان، وعليه أن يقدم اعترافاً صريحاً بالشركة في حياة الرب يسوع الإلهية المتأنسة التي لا تقبل الانقسام، أو يتنازل عن أسقفيته.

الفصل الثاني

لا يكن لك آلهة أخرى أمامي

كل مَنْ يستخدم العهد القديم لكي يهدم نعمة العهد الجديد، فهو لا يزال يعيش تحت ظلال شريعة موسى؛ لأن الذي قال لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، هو الذي قال: "أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة" (مزمور ٨٢: ٦)، "فإن قال آلهة (يهوه الله) لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب (يوحنا ١٠: ٣٤ - ٣٥)، فإن مَنْ يتعدَّى أقوال الرب نفسه، يكون هو من نقض كلام الرب؛ لأننا لن نجلس على كرسي المسيح الإلهي (رؤ ٣: ٢١)؛ إذا لم يكن فينا نعمة الألوهة، وهي نعمة التبني والخلود.

الفصل الثالث

نعمة الحياة الأبدية

يقول رسول المسيح:

"أَمَّا هبة الله، فهي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا" (رو ٦ : ٢٢)

χάρισμα τού θεού ζωή αιώνιος ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ τῷ
κυρίῳ ἡμῶν".

(ولعل المطران يقرأ هنا حرف الجر "في" ويستريح).

لا توجد حياة أبدية مخلوقة، لأن كل مخلوق جاء من العدم، والرسول يؤكد
أبدية الله في عبارة صريحة: "الذي له وحده عدم الموت" (١ تيمو ٦ : ١٦).

وعلى ذلك، فالادعاء بأنه لا توجد شركة في حياة الله الأبدية، هو ادعاء
ينفي ألوهية المخلص، ويحوّل عطية الحياة الأبدية إلى شيء مخلوق قابل للموت،
مما يعني فناء الإنسان.

الفصل الرابع

نعمة التبني بالروح القدس

كل مَنْ يدَّعي أن نعمة البنوة شرفيه وأنها علاقة أدبية أخلاقية، وليست عطية من الله الآب في الابن بالروح القدس؛ لأننا في الابن نصرخ "أبًا أيها الآب" (غلاطية ٤ : ٦)، فقد سقطت تحت طائلة الشريعة القديمة وعاد إلى العبودية، رغم تحذير رسول الرب: "لم تأخذوا روح العبودية للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبًا الآب" (رو ٨ : ١٥).

ومن ثمَّ لا يكون مقبولاً على أي وجه أن يأتي مجمعاً من ٧٢ أسقفاً يشهدون لشريعة العهد القديم قائلين إننا عبيدٌ، وينكرون التبني.

وعلى نيافة المطران الذي انزعج من حرف الجر "في" أن يعرف أن حرف الجر هذا موجودٌ أيضاً في نص (رومية ٨ : ١٥)؛ لأننا نصرخ في

ἐν ὧ κρᾶζομεν ἄββα ὁ πατήρ

ذلك؛ لأن الروح فينا، ونحن هنا نصرخ مع الابن؛ لأنه هو أيضاً فينا، فإن لم تكن لنا شركة في الروح (٢ كور ١٣ : ١٤)، فلا يمكن لأي قوة مخلوقة أن تجعلنا أبناءً بالنعمة.

وعلى ذلك، فالذين عادوا إلى شريعة العبيد القاصرين (غلا ٣ : ٢٣ - ٢٤) عليهم أن يقدموا توبةً علنيةً عن زلة العودة إلى اليهودية.

الفصل الخامس

جسد القيامة

بعد أن عرض رسول الرب تعليم القيامة من الأموات بسبب قيامة المسيح، ولأن الإسلام يعتبر القيامة من الأموات هي قوة الله الخالقة التي لم تستعلن في يسوع المسيح، وهو ما درج عليه أساقفة الرّدة بعدم ذكر قيامة الرب في عيد القيامة لأنه لا توجد قوة تقيم الأموات إلّا قوة يسوع الحى إلى الأبد، يقول الرسول: "الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضِع كل شيء لنفسه" (فيلبى ٣ : ٢١)، ونحن سوف نتغيّر إلى تلك الصورة عينها، كما قال في موضع آخر (٢ كور ٣ : ١٨).

وصورة جسد القيامة هذا استُعِلِنَتْ علي جبل طابور؛ لأن القيامة هي عمل الابن، وليست مثل الخلق. لذا على الذين وقعوا تحت تأثير التعليم الإسلامي أن يعودوا إلى حظيرة الإيمان؛ لأن المسيح الرب لا يقبل الذين "يعرجون بين الفرقتين". إمّا أن يكونوا حارين أو باردين، حتى أنه قال لأسقف لاودكية: "لأنك فاطر ولست بارداً أو حاراً أنا مزيج أن أتقياءك من فمي" (رؤ ٣ : ١٥). وقد تقيّاً الرب بعضاً من هؤلاء، فسقطوا في خطايا عديدة؛ لأنهم فقدوا الشركة في الطبيعة الإلهية.

الفصل السادس

تأله ناسوت الرب يسوع أو جسد مجده (فيلبي ٣ : ٢١)

كل مَنْ ينكر تأله ناسوت الرب يسوع الذي تم بسبب الاتحاد الأقنومي، ولأنه غلب الموت وأقام جسده بغير فساد (أع ٢ : ٢٧، ٣١ - ١٣ : ٣٥، ٣٧)، فليعلم أنه يعلم بأن جسد الرب جسد بشري طبيعي مثل سائر أجساد البشر، وليس جسد مجده (فيلبي ٣ : ٢١). هؤلاء عادوا إلى خرافة النسطورية التي تدّعي أننا نتناول جسد المسيح دون لاهوته، وهذا يعني ليس فقط إنكار اتحاد الطبيعتين في المسيح الواحد، بل إنكار فاعلية وقوة سر الإفخارستيا؛ لأن الجسد الطبيعي الآدمي لا يهب الحياة الأبدية، بل "جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين" حسب اعتراف أم الشهداء.

ولذلك يجب أن يعود هؤلاء إلى رتبة الموعوظين؛ إذ لا تصح لهم خدمة كهنوتية؛ لأنهم ليسوا أعضاء في جسد المسيح الكنيسة، بل تلاميذ نسطور جاحد تجسد ابن الله.

الفصل السابع

الشُّركة والشُّركاء والشُّرك

نحن لا نُشركُ بالله، وإنما الله هو الذي اشترك في حياتنا بتجسد ابنه حسب كلمات الرسول: "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت" (عب ٢ : ١٤). ويقول الرسول أيضاً إننا شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالبشارة (الإنجيل) (١ تس ٣ : ٥).

فالشركة من الشُّرك، ومنها الشُّركاء، والشركة (٢ كور ١٣ : ١٤).

وشركاء الروح القدس هم حسب قول الرسول: "الذين استناروا مرةً وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس" (عب ١ : ٤)؛ لأننا صرنا بالروح القدس شركاء، كما يقول رسول الرب في نفس الرسالة عن التأديب الذي "يشترك فيه الجميع" (عب ١٢ : ٨)؛ لأن هذا التأديب من الآب "لأجل المنفعة لكي نشترك في قداسه" (عب ١٢ : ١٠)، ومعلوم أنه ليس لدى الله قداستين، بل قداسة واحدة هي طبيعته الإلهية؛ لأنه هو "القدوس". أمّا اللعب بالكلمات "قدوس، وقديس"، فهو عائِدٌ إلى سوء استخدام اللغة العربية، حيث لا فرق في اليونانية والقبطية بين الكلمتين بالمرة.

فالذين استعدوا الإسلام محارب الشُّرك، وهذا شأن الإسلام ويخص اعتقاده، نقول لهم إن ما هو ضروري وجائز في الإسلام لا مكان له في المسيحية. والاستعانة بالإسلام لشرح المسيحية يكشف عن رِدّةٍ حقيقيةٍ ظهرت بشكلها الواضح في مجمع حَكَمَ بالقطع على كل مَنْ يَعْلَمُ بالشركة في الطبيعة الإلهية؛ بسبب العداوة للإيمان الأرثوذكسي.

لقد تجسد ابن الله واشترك في إنسانيتنا؛ لكي نشترك نحن في ألوهيته؛ لأنه "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له" حسب تسييح أم الشهداء التي فصل مجمع الكذب المكون من ٧٢ أسقفاً أنفسهم عنها بسبب الكراهية للتعليم الصحيح، وقالوا إن الشركة في الطبيعة الإلهية باطلة وإننا عبيد.

الفصل الثامن

الاتحاد الأقنومي للكلمة ابن الله المتجسد

الذين سقطوا سقطةً شنيعةً عن عنادٍ وجهلٍ، واعتبروا أن اتحاد اللاهوت، أي لاهوت الله الكلمة بالناسوت، أي الإنسانية هو اتحادٌ قاصرٌ علي أقنوم الكلمة المتجسد، فصلوا المتجسد عن الكنيسة جسده، وفصلوا الرب يسوع عن أعضاء جسده المؤمنين به "لأننا جميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد.." (١ كور ١٢: ١٣)، فأصبحنا وكأننا لا يجمعنا بالمسيح الرب صلة جسدانية أو عرقية لأننا من الأمم. ولأننا لسنا آلهة متجسدة، قيل عنا بكل حق: "الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابحين صورة ابنه ليكون بكرًا بين إخوة كثيرين" (١) (رومية ٨: ٢٩).

والكلمة "مشابحين" كلمة ضعيفة جداً في العربية، أمّا في اليونانية فهي $\sigmaυμμόρφους$ وتعني حسب التعليم الرسولي، ذلك التحول الكياني الذي يبدأ في المعمودية، والذي تعبّر عنه صلوات سرّ المعمودية لكنيسة أم الشهداء، بتحول الصورة؛ ليكون لنا ذات الصورة التي للرب نفسه: "أجعلهم مستحقين للنعمة التي تقدموا إليها لينالوا من روحك القدوس ويمتلئوا من قوتك الإلهية، ويكونوا متشبهين بابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح صائرين واحداً معه".

الإنسان خُلِق حسب الصورة الإلهية (تك ١: ٢٦ - ٢٧)، والصورة التي خُلِقَ الإنسان حسبها هو الابن (كولوسي ١: ١٥). وقد أعيدت هذه الصورة في تجديد الإنسان في يسوع المسيح ورد الحياة الأبدية، أي الحياة حسب الله.

(١) رومية ٨: ٢٩ بحسب الترجمة المشتركة: فالذين سبق فاخترهم سبق فعينهم ليكونوا علي مثال صورة ابنه حتى يكون الابن بكرًا لإخوة كثيرين. وبحسب الترجمة اليسوعية: ذلك بأنه عرفهم بسابق علمه وسبق أن قضى بأن يكونوا علي مثال صورة ابنه ليكون هذا بكرًا لإخوة كثيرين.

وفي نور صلاة المعمودية السابقة، الروح القدس هو الذي يحوّلنا إلى صورة الابن، وهى ليست صورة الناسوت فقط حسب الادعاء النسطوري؛ لأننا في سرّ المعمودية وسرّ المسحة وسرّ الإفخارستيا يعمل فينا الروح القدس لكي يوحدنا بالمسيح؛ لأن "الآب بالكلمة في الروح القدس يعمل كل الأشياء" (القدّيس أثناسيوس الرسولي، الرسالة الأولى إلى سربايون، فقرة ٢٨).

وعندما هاجم هؤلاء الاتحاد الأقنومي في شخص الرب وحده ومنعوا هذا الاتحاد عن المسيح هدموا:

- سرّ المعمودية.
- سرّ المسحة.
- سرّ الإفخارستيا.
- سرّ نعمة الكهنوت.

لأن الرب هو العامل والخادم وواهب هذه السرائر بالروح القدس، فهو الذي يوزّع الحياة، وهو الذي "دعانا من الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ومن الضلالة إلى معرفة الحق" (صلاة المعمودية)، وهو الذي يملأنا من قوة روحه القدوس "لكي لا نكون بعد أبناء الجسد بل أبناء الحق" ونصير "حلة نورانية .. اللباس غير الفاسد وخاتم المسيح وموهبة الروح القدس، وأبناء النور" (صلوات المعمودية)، ولذلك تطلب هذه الصلاة:

- "عزّهم من الإنسان العتيق" آدم الأول.
- "جدد ميلادهم بالحياة الأبدية" الميلاد من فوق، من الآب.
- "لكي لا يصيروا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الملكوت"، فالعلاقة مع الوجود الآدمي الأولى انتهت.
- هذا كله "بمسرة نعمة ابنك الوحيد يسوع المسيح"

ثم

- "فليتصور المسيح في الذين ينالون صبغة الميلاد الجديد".

"الإنسان العتيق قد خُلِعَ الذي يفسد شهوات الضلالة ويلبسوا الإنسان الحديد الذي يتجدد مرة أخرى كصورة خالقه" ولا يجب أن نعبر بسهولة أمام هذه الكلمات:

"يا جابل المياه وخالق الكل ... نسألك يا ملكنا عن عبيدك:

- انقلهم

- وابدلهم

- وقدهم

- وقوهم

حياة أبدية. لباس غير فاسد. نعمة البنوة. تحديد الروح القدس...

لكي بهذه المياه وبروحه تجدد ميلاد عبيدك بقوتك الإلهية.

كيف استطاع سيادة المطران أن ينكر أن الاتحاد الأقنومي هو الذي أفاض كل هذه النعم الإلهية، وفي مقدمتها تحول الكيان الإنساني؟ هل هذا نابع من ناسوت الرب وحده؟ ... إن نسطور بكل ما كان لديه من جسارة وتهور لم ينطق بمثل هذا التعليم الشيطاني الذي يحصر كل نعمة إلهية في مصدر إنساني لكي يقطعوا كل صلة بالابن ثم بالثالوث ومحاصرة الروح القدس في المواهب.

الفصل التاسع

المسيح يسوع ربنا وسيطُ لعهدٍ أعظم (عب ٨ : ٦)

يقول الرسول إن كهنوت الرب هو إلى الأبد (عب ٧ : ٢٤) وأن له الآن خدمة أفضل لأنه وسيط عهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل (عب ٨ : ٦) فحقق لنا "الفداء الأبدي" (عب ٩ : ١٢)؛ لأنه بإرادته وحده قدم ذاته بجرية تامة وبسلطان ألوهيته (يوحنا ١٠ : ١٨) وبهذه الإرادة قدم جسده "فقدَّسنا" (عب ١٠ : ١٠)، وأعطانا "ثقة الدخول إلى قدس الأقداس بدمه" (عب ١٠ : ١٩)، ولأن كهنوت الرب لم يُسلَّم له من سبط لاوي، بل هو من سبط يهوذا الذي "لم يلزم أحد منه المذبح" (عب ٧ : ١١ - ١٤)، فصار بقوة ألوهيته وبقوة غلبة الموت "حياة لا تزول" (عب ٧ : ١٦)، مما جعله "ضامنا لعهد أفضل" (عب ٧ : ٢٢).

كل هذا يمنع إخضاع العهد الأعظم للعهد "العتيق الذي شاخ"، وهو "قريب من الاضمحلال" (عب ٨ : ١٣).

ولكن سيادة الشريعة علي النعمة هي سبب الاستبداد الذي لا مكان له في كهنوت المسيح، ولأن هؤلاء صاروا الوسطاء، وكأن العهد الأعظم هم الذين شَيَّدوه وقَدَّموه لله والإنسانية، وهي جسارة تراها في قرارات الحرمان من الصلاة والتناول دون أسباب، أو باختراع أسباب وهمية لا علاقة لها بالإيمان، أو بالكاذيب والتزوير مما يدفع البعض للتكالب علي المناصب؛ لأن الوسيط يسوع المسيح قد اختفى وحل محله عقيدة كفارة وفداء تلبس رداء النرجسية والسادية معاً، وتُخضع رب الحياة والموت يسوع المسيح إلى فكر بشري لا وجود له في الأسفار.

هذا هو إنكار شركتنا في حياة الثالوث وردة كل شيء إلى الخليقة الأولى الآدمية الساقطة لأن يسوع الرب قد أبعد عن حياة المؤمنين.

الفصل العاشر

إنكار سُكنى الروح القدس

حلَّ التعليم الشيطاني بحلول المواهب بدلاً من الروح القدس، وهو ما جعل حلول الروح القدس فينا حلولاً مؤقتاً؛ لأن كل مواهب الروح القدس هي لتدبير الكنيسة في الزمان الحاضر، سواء كانت النبوة - إخراج الأرواح النجسة - الشفاء ... الخ حسب التعليم الرسولي في (رومية ١٢ : ٤ - ٨)، وهى كما قلنا النبوة - الخدمة - التعليم - الوعظ - العطاء - التدبير - الرحمة، ويضاف إليها ما ذكره الرسول: التكلم بالألسنة - ترجمة الألسنة (١ كور ١٤ : ٣ - ٣٢).

وسكنى الروح القدس بالمواهب فقط هي ضد استعلان الحق المسلّم لنا من الرب نفسه بأن روح الحق "يمكث معكم إلى الأبد" (يوحنا ١٤ : ١٥) وهو روح الحق الذي من عند الآب ينبثق (يوحنا ١٥ : ٢٦)، ويعطى لنا الشهادة لأنه يسكن فينا مع الآب والابن حسب وعد الرب: "إليه نأتى وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤ : ٢٣)؛ لأنه يأتى بالحبّة الإلهية التي يسكبها فينا (رو ٥ : ٥)؛ لكى يستعلن لنا الآب والابن (يوحنا ١٤ : ٢١)، فهي "مسحة القدوس" (يوحنا ٢ : ٢٠) أي ذات مسحة يسوع، وهى حسب رشومات الميرون:

- "دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة" (الختم الرابع من أختام الميرون).

هكذا قاد الجهل هؤلاء إلى إنكار نعمة الحياة الأبدية، فهي ليست من مواهب الروح القدس كما حددها الرسول بولس في (رومية ١٢ : ٤ - ٨ و ١ كور ١٤ : ٣ - ٣٢)؛ لأنها العطية العامة الجامعة التي تجمع كل المؤمنين، بينما مواهب الروح القدس تعطى لكل عضو لكى تميّزه عن سائر الأعضاء حسب التعليم الرسولي (١ كور ١٢ : ٣ وما بعده).

ويبقى السؤال: لمصلحة من يُدمّر التعليم الذي لا يخص القمص متى المسكين، ولا كاتب هذه السطور، ولا جيل معين، بل هو هدم منظم يُدفع بعنف وتسلط لكي لا تبقى الأرثوذكسية المسيحية حية تغذي شعب الله في زمان صعب بالرجاء الحى في حياة متأهّلة بالنعمة. أمّا قطع كل الربط التي تربطنا بالرأس (كو ٢: ١٩)، فلكى يموت الجسد ويُفصل عن الرأس ولا ينمو "نمواً من الله" (كو ٢: ١٢)؛ لأن الشريعة لا تعطى النمو. وتعليم البشر الذي ينزع وساطة الرب يسوع، لا يمنح الحياة الأبدية، بل الموت.

إن الذي يسعى إلى قتل الكنيسة هو قاتل يجب عليه أن يترك الكنيسة، أو أن يعود إلى الدير لكي يتعلم طريق الحياة، لعله ينال الحياة الأبدية هبة الرب يسوع المسيح (رومية ٦: ٢٣).

الفصل الحادي عشر

الصلاة الأرثوذكسية

نحن لا نملك أن نخاطب الآب، ونقول له أبانا الذي في السموات إلا لأن الابن فينا؛ إذ يقول القديس أثناسيوس:

"هؤلاء الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطان أن يصيروا أولاد الله؛ لأنه لم يكن في إمكانهم — حيث أنهم مخلوقات — أن يصيروا أبناء الله بأي وسيلة أخرى إلا بأن يتقبلوا روح الابن الذي هو الابن بالحق وبالطبيعة. ولكي يتم هذا، صار الكلمة جسداً لكي يجعل الإنسان قادراً علي تقبل الألوهة ... الله ليس أبانا بالطبيعة، بل هو أب الكلمة الكائن فينا والذي به نصرخ "أبانا أيها الآب" (ضد الأريوسيين ٢: ٥٩).

وإنكار المسيح الذي يحل فينا بالإيمان (أف ٣: ١٧)؛ لأن الرسول يشرنا بالخبر السار "الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد" (كو ١: ٢٧). ولأن المسيح فينا، فنحن لا نعرف كيف نصلي، ولكن الروح يصلي فينا وبنا "بأثباتٍ لا ينطق بها" (رومية ٨: ٢٦)، ولكن الذين ارتدوا عن التعليم، صارت صلواتهم لغواً وكلاماً بشرياً يخلوا من قوة الروح الذي لا يريدون له أن يمكث فيهم، ولا للرب أن يغسلهم من دنس النفس والجسد؛ لأن النفس التي لا تريد سكنى الروح تموت، وتلك التي ترفض سكنى المسيح هي بلا رجاء.

إنطلاقاً من هذا الخواء والفراغ يمارس هؤلاء خدمة الموت لا خدمة الروح، وخدمة الشريعة لا خدمة النعمة، ولذلك يهاجمون بشراسة وكراهية شيطانية كل الذين ينشرون تعليم الكنيسة لا سيما تراث الآباء.

ونحن نسأل: بأي نعمة يقفون أمام المذابح، وبأي وساطة يخدمون سرّ الأسرار؟ إن قطع هؤلاء من الكنيسة هو عودة الكنيسة إلى صواب الحياة وصحة التعليم؛ لأن التأله

الحقيقي لم يكن في شهوة الألوهة كما يدعى هؤلاء، بل في الصلاة الدائمة بالروح القدس وبالاتحاد الذي لا افتراق فيه بين الرأس والأعضاء، وبالحياة الأبدية هبة الثالوث التي تجعل كل إنسان أبدياً مثل الله العظيم الأبدي، ورحيماً مثل الآب الرحيم، وكاملاً في المحبة مثل كمال الآب (متى ٥: ٤٦ - ٤٨).

الفصل الثاني عشر

ليتك كنت بارداً (مثل آريوس)، أو حاراً (مثل كيرلس)
لأنك فاترٌ (مثل نسطور)
أنا مزمّعٌ أن أتقيأك من فمي (رؤ ٣ : ١٦)

لماذا تعرّجون بين الفرقتين؟

يا ليت الذين حاربوا الشركة في الطبيعة الإلهية بكل خدعة وتدليس، أشهروا
إيمانهم بالأريوسية؛ لكي نقدم لهم رد القديس أناسيوس. وليتهم بعد أن قالوا إننا
نتناول الناسوت دون اللاهوت، قالوا صراحةً أنهم تلاميذ نسطور؛ لكي نقدم لهم
ردود القديس كيرلس وقرار مجمع أفسس المسكوني.

لكنهم يعرّجون بين اعترافٍ لفظي بالأرثوذكسية، وإنكارٍ علني لها.
يقولون إنهم يؤمنون بالثالوث، ولكنهم في الواقع يؤمنون بصفات لجوهر الله،
هي: الوجود - العقل - الحياة، وهذا ليس إيماناً بالثالوث.

يقولون إنهم يؤمنون بالتجسد، ولكنهم حسب تعليم أغلب هؤلاء ينكرون
الاتحاد الأقمومي ويهدمون بذلك الأسرار.

وقد قال رئيسهم قبل أن ينتقل إن للمسيح ثلاثة أجساد: جسد تجسده -
جسده في الإفخارستيا - جسده الكنيسة^(١) وهكذا فصم اتحادنا بالمسيح على
هذا النحو. وصمت تلاميذ نسطور، وسكت الاتقياء خوفاً من بطش من لا
يعرف المحبة ولا الحق ..

ولكن حسب اعتراف الكنيسة في القداَس: "هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه

(١) راجع مقالتنا عن الكنيسة الجسد الواحد، العقيدة والاختبار الليتورجي. منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

ابنك الوحيد ... من سيدتنا ملكتنا كلنا ... وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ... "، اعترافٌ حتى "النفس الأخير"، فلا يوجد إلا جسد واحد، وتبقى الكنيسة التي لو آمن الباردون والفاترون بأنها جسد المسيح لتغير كل شيء.

* هي جسد المسيح لأن كل عضوٍ فيها صُلب ودُفنَ وقام مع المسيح في المعمودية، وصارت له ذات حياة يسوع الحي (رو ٦ : ١ - ٨).

* هي جسد المسيح لأن روح يسوع الذي أقام يسوع من الأموات هو الذي سوف يقيم أجسادنا المائتة بروح يسوع الساكن فينا (رو ٨ : ١١).

* هي جسد المسيح؛ لأننا اتحدنا به، لأننا نتناول من القديسات "لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين" (القداس الباسيلي).

* هل عندما قال رسول الرب: "وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً"، هل كان يتحدث عن ثلاثة أجساد؟ وهل ذكر العهد الجديد ثلاثة أجساد؟ إن الرب سوف يتقيأ هؤلاء علناً. والعبرة هي أننا سنرى ذلك.

أقم يا رب راعياً صالحاً يتمسك بالأرثوذكسية،
وبعيد إلينا تقوى الآباء أثناسيوس وكيرلس،
وشهادة أنطونيوس ومكاريوس وباخوميوس.

آمين

التفكير والتكفير، والانقضاء على النعمة، ومجد الإنسان في يسوع المسيح ربُّ المجد^(١)

لا أدري ماذا يدعو بعض الذين يجاهرون بالانتماء للمسيح والمسيحية إلى تبني منهج التكفيريين وجماعات الإرهاب؟

في مقال له على موقع الأقباط متحدون أورد فيه الأخ مينا كامل أسعد لائحة باتهامات زعم أنها تطالنا، وأنا مدانون بها، وذلك دون أن يقدم دليلاً واحداً يؤكد به هذه الاتهامات. ونحن لن نتناول هذه الاتهامات في هذا المقال فهذا ما لا يتسع له المجال، ولكننا سوف نتعرض لبعضها فقط.

لا شك لدينا في أن الاختلاف على تفسير ما، أو حتى الخطأ التاريخي - طالما لا يمس جوهر الإيمان - هو حقٌّ لكل مسيحي يسعى نحو فهم ناضج، أمّا حشد الاتهامات الكاذبة، فليس إلّا عمل جماعات الإرهاب صاحبة منهج التكفير. ثرى لماذا دخلت العدوى إلى الكنيسة وأصبح من يكتب دون إبداء الأسف بأنه يوجد "مطاريد" للكنيسة، ويكتب كما لو كان ما يكتبه هذا خيراً عادياً ناسياً أن الكنيسة هي جماعة الخطاة المدعوين إلى حياة القداسة، وأنها تمدح "أمانة اللص اليمين" يوم الصليبوت وتصرخ مع كل طلبة: "يا رب أرحم"؟

يكتب للإثارة فقط: "الإنسان أقدم من مياه المعمودية"، ولم تكن الإشارة إلى الإنسان؛ لأن الحديث عن مياه المعمودية هو حديثٌ يخص المؤمنين فقط، وحسب طقس كنيستنا، يصلي الكاهن بعد أن ينتهي من خدمة سر المعمودية صلاةً لتسريح الماء، ويقول: "أيها السيد الرب ضابط الكل ... أنت يا سيدنا جعلت هذا الماء طاهراً" بنعمة مسيحك وحلول روحك القدوس عليه، وصار

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في نوفمبر ٢٠١٣.

لعبيدك الذين تعمدوا فيه حميماً للميلاد الجديد ... وأضاءوا بنور لاهوتك. نسأل ونتضرع إليك أيها الصالح محب البشر أن تنقل هذا الماء إلى طبعه الأول ليُرد إلى الأرض مرة أخرى مثل كل مرة ...".

فالماء يعود ماءً كما كان، لكن الذي نال المعمودية يظل ابناً لله إلى الأبد، وحتى إن ارتد لا تُعاد معموديته - كما هو معروف - فهو أعظم من المعمودية وأقدس منها لأنها رغم حلول الروح القدس عليها وتحول هذه المياه إلى مياه حيّة تلد حياةً جديدةً لأنها تعمل مع روح الله، إلا أنها لا تحفظ هذه النعمة، بينما نعمة البنوة، نعمة أبدية.

وحتى في التقديس نفسه، نحن نشترك في قداسة الله نفسه حسب كلمات رسول الرب في العبرانيين: "لكي نشترك في قداسته" (عب ١٢ : ١٠). وليس لدى الثالوث مستويات أعظم وأخرى أقل في القداسة، بل قداسة واحدة للثالوث الواحد القدوس، توهب لنا بالروح القدس، ولذلك يقول القديس أثناسيوس:

"القوة الفاعلة والعطية التي بها يقلس ويضيء، ينبغي أن تكون واحدة كاملة وتامة، وهي التي يقال عنها إنها تنبثق من الآب لأنها من الكلمة ... والابن يرسل الروح ..." (الرسالة الأولى إلى سرييون ١ : ٢١).

"فهو روح القداسة والتجديد، ويدعى هكذا لأن بولس يكتب: "لكن تقدستم، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (١ كور ٦ : ١١)" (المرجع السابق).
"فهو خاصٌ بلاهوت الآب، والذي فيه يجعل الكلمة الأشياء المخلوقة تشارك في الطبيعة الإلهية" (المرجع السابق ١ : ٢٥).

"وأيضاً لأن النعمة التي تُعطى في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس، وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا فإنه لا يكون لنا شركة في العطية إلا في الروح القدس لأننا حينما نشترك فيه (الروح) تكون لنا محبة الآب ونعمة وشركة الروح نفسه" (المرجع السابق ١ : ٣١).

ولكن عندما تهب رياح البُغضة التي تطفئ نور العقل، وتثبت في أي إنسان قانون وشريعة الغرائز ... الانتقام والبحث عن أخطاء واتهامات، فإن التكفير يكون هو

المنهج السائد، ولذلك علينا أن نسأل حسب فهم الناضجين في المحبة الإلهية:

أولاً: لو كانت مياه المعمودية أقدم من الإنسان، لوجب على رسول المسيح أن يقول إن المياه صارت هيكلًا للروح القدس، ولا يمكن أن تعود كمياه مخلوقة (طبعها الأول)، ولكن الإنسان المسيحي صار "مكان"، أو "منزل سكنى الثالوث حسب قول الرب يسوع نفسه: "إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤ : ٢٣).

ثانياً: لو كانت مياه المعمودية أقدم من الإنسان، لَمَا وضعت الكنيسة صلاةً لتسريح المياه، لكن الإنسان الذي تقّس بالمعمودية وبمسحة الميرون لا يمكن أن يعود إلى طبعه الأول، أي يتحول إلى تراب، ويقتى تراباً، بل سوف يلبس المائت عدم المائت (١ كور ١٥ : ٥٣).

وعندما يقول رسول الرب إن عناصر الأرض كلها سوف تنحل محترقة بنار (٢ بط ٣ : ١٠)، فهي لن تدخل بالطبع الأول في الخلق الجديد، أي لن تكون كما كانت، بل في السماء الجديدة والأرض الجديدة، لدينا كونٌ آخر هو الكون الذي يشترك مع الإنسان في القيامة، وهو غير معلن بشكلٍ كامل (رو ٨ : ٢١)؛ لأن الخليقة سوف تُعتق من الفساد.

لكن بقايا العصر العثماني، وعصر المماليك حيث الأغا والباش أغا يجلس على كرسيه يشوي الفلاحين بالضرائب وبالسوط، فهو عصرٌ يجعل السبت أقدم من الإنسان، ويعود بنا إلى قاعدة الشريعة القديمة: "الإنسان خُلِقَ من أجل السبت".

المذبح عرش الثالوث

حسب صلوات تكريس الكنائس، يُقدّس المذبح بزيت أو مسحة الميرون، وحسب الترتيب صار تقديس "الوح العهد" تحسباً للهجوم على الكنائس وحرقتها وتدميرها، لكننا لم نجد في أي صلاة من صلوات التكريس هذه، مثيلٌ لما يقال بشأن الإنسان الذي ينال المعمودية وسر الميرون:

- "مسحة عربون ملكوت السموات".

- "دُهن شركة الحياة الأبدية غير المائته".

وذلك لأن كل المذابح والألواح وغيرها من أدوات الخدمة، سوف تصبح هباءً في يوم الدينونة. لأن المذبح من رخام كان أو من خشب أو حتى ذهب، لن يقوم في يوم الدينونة مع المسيح في مجد المسيح؛ لأن أورشليم الجديدة ليس فيها هيكلًا "لأن الرب الإله التقدير والحمل هو هيكلها" (رؤ ٢١ : ٢٢).

وتقديس الأيقونات ترتيب خاص بالزمان الحاضر؛ لأن الذين نراهم في الأيقونات سوف يقومون في مجد المسيح بمجد ألوهيته (فيلبي ٣ : ٢١). لأن أجسادهم سوف تستنير بنور الرب حسب كلمات صلاة القسمة: "لنضيء بشكلك المحيي".

لكننا نجتاز الآن أزمةً روحيةً كبرى؛ إذ لم يعد لحوار المحبة مكاناً، كما نجتاز محنةً قانونيةً؛ إذ غاب القانون الكنسي، بل نعيش محنةً أكبر عرفناها يوم صدور قرار منع كتاب "أقوال مضيئة"، وهو أكبر أنثولوجيا لآباء الكنيسة الجامعة أثناسيوس وكيرلس وذهي الفم، وغيرهم.

نحن نعيش في زمان تصرخ فيه أصوات باسم "الشرعية"، تحاول إعادة الإنسان إلى ما كان سائداً في القرون الأولى، والأمل ألا تدخل هذه العدوى إلى الكنيسة، فتصبح المباني وأدوات الخدمة كلها أعظم وأقدس من الإنسان؛ وكأن الإنسان خُلِقَ من أجل هذه، ولم تُخلق هذه من أجل الإنسان.

الانقضاء لتدمير مجد الإنسان في يسوع المسيح رب المجد

عندما يصاغ اتهام بأن الإنسان أقدم من مياه المعمودية، فإن الوعي ينتقل من النعمة الواحدة إلى المفاضلة والمقارنة، ولكن لا توجد مقارنة بالمرّة بين ما يوهب لأدوات الخدمة أياً كانت، وما يوهب للإنسان نفسه لأن تجسد الله الكلمة، أدخل الإنسان في شركة مجد الثالوث القدوس على النحو الذي دافع عنه أثناسيوس العظيم في رسائله إلى سربايون.

إن كل ما لدينا له يهدف إلى تحرير الإنسان وتقديسه وتمجيده ورده إلى الصورة الإلهية، ولذلك كان من العجب حقاً أن يصاغ اتهام آخر بأن البشر أقانيم ولهم طبيعة واحدة، كأن الذي كتب هذا الكلام لم يقرأ رو ٥ : ١٢ وما بعدها عن الطبيعة الواحدة التي جعلت الكل يقع في أسر الموت والخطية. وكأن الذي كتب هذا الكلام نسي أو لا يعرف أن كلمة أقنوم السريانية الأصل تترجم إلى شخص في العربية والإنجليزية، وهي في أصلها دعوة لأن يكون الإنسان صورة الله، ولكن يبدو أن المطلوب الآن هو تدمير مجد الإنسان في يسوع المسيح رب المجد؛ حتى تسود العبودية والتسلط باسم الله، ولنا عودة إلى هذا الاتهام الأجوف الذي يكشف عن معدن صاحبه.

إسقاط علاقة الثالوث بالإنسانية في الابن والروح

القدس، ماذا يعني؟^(١)

ضياع الهوية

على موقعه الرسمي -وبالمناسبة لا يزال يحتفظ بلقب "سكرتير المجمع المقدس"، رغم وجود نيافة الأنبا روفائيل، فهو يهوى جمع الألقاب: الرجل الثاني - اللاهوتي الأول - الرجل الحديدي، وألقاب أخرى لا يصدقها إلا ضعاف العقول - يقول الأنبا بيشوي أن أحد أخطاء جورج بباوي هو: "الادعاء بأن البشر أقانيم لهم طبيعة واحدة مثل أقانيم الثالوث".

وطبعاً في عصر فقدان الهوية وسيادة الجهل بالتسليم الكنسي -بناءً على ذلك- سوف يصرخ الصغار والرعاع: ياه إحنا أقانيم ... معقول الكلام ده؟!!!

ما الذي ضاع من الهوية؟

أولاً: أسقطت اللغة المعاصرة تعبير "إخوة الرب" على الفقراء والمعوزين فقط. تسمع هذا اللقب الآن يقال في الكنائس بلا تمييز، في حين أن الرب نفسه هو الذي استخدم هذه العلاقة الحميمة في بشارة القيامة؛ إذ يقول لمريم المجدلية: "اذهي إلى إخوتي وقولي لهم ..." (يو ٢٠: ١٧)، وصار الرب هو "البكر بين إخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩)، فهو الأخ البكر الذي لا يجاهر أحد بإخوته لنا لأننا أفرزناه بعيداً ومألأنا الفراغ الذي تركه بأشخاص هم بشرٌ مثلنا.

والأخوة تعبير متواتر عند رسول المسيح بولس: (رو ١: ١٣ - ٧: ١ - ٨:

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٦ ديسمبر ٢٠١٣.

وإذا اخترنا اقتباساً واحداً من كل الرسائل لوجدنا: (٢ كور ١: ١ - غلا ١: ٢ - أف ٦: ٢١ - في ١: ١٢ - كولو ١: ١ - ١ تسلا ١: ٤ - ٢ تسلا ١: ٣ - ١ تيمو ٤: ٦ - ٢ تيمو ٤: ٢١ - فل ١).

وفي باقي أسفار العهد الجديد: (عب ٢: ١١ - ٢: ١٢ - ٢: ١٧ - ٣: ١ - ١٢١: ٣ - ٧: ٥ - ٨: ١١ - ١٠: ١٩ - ١٣: ٢٢، ٢٣ - يع ١: ٢ - ١: ٩ - ١: ١٦ - ١: ١٩ - ٢: ١ - ٢: ٥ - ٢: ١٢ - ٢: ١٥ - ٣: ١ - ١٠: ٣ - ١٢: ٣ - ١٤: ١١)، وباقي الأسفار: (١ بط ٥: ١٢ - ٢ بط ١: ١٠ - ١: ٩ - ٢: ٩ - ٢: ١٠ - ٢: ١١ ... إلخ).

جاء التجسد بهذه الحقيقة الجديدة التي أعثرت الأريوسيين وحدهم. هؤلاء الهرطقة بكل ما تحمله الكلمة من عداء لشخص الرب قالوا إنها تعني أن الرب مخلوق، ولكن تنازل الرب ابن الله وتجسده هو الذي جعل الأسفار تُطلق عليه لقب "البكر"، ولذلك يقول أنثاسيوس العظيم: "سُمي بكرًا بسبب التنازل للخلق وصيرورته أخًا لكثيرين" (ضد أريوس ٢: ٦٢، راجع الترجمة العربية ص ٩٨). وفي فقرة تشبه النشيد وذات إيقاع لاهوتي خاص في الرسالة إلى الوثنيين يقول أنثاسيوس ثالث عشر الرسل بكل حق عن الآب:

 γ

فلتس، ونشرها مركز الآباء بالقاهرة ٢٠١٣، ص ١٣٢ - ١٣٣).

ولذلك يحمل اللقب عدة معانٍ، ولكن المعنى الأول هو ألوهية الكلمة، والمعنى الثاني هو تجسده؛ لأن تجسده لا يحقق لنا شيئاً بدون ألوهية الكلمة. ومن خلال هذا الاقتباس يظهر لنا أن الكلمة تجسد لكي يعطي الخليقة:

* البقاء في الوجود.

* أن تدبير التجسد جعل الابن "البكر"؛ لأنه جاء لكي يؤسس بقاء الخليقة (راجع أناسيوس De Decretis - غريغوريوس النيصي: ضد أنوميوس ١: ٥٧٣ - هيلاري: الثالوث ٨: ٤٩ - ٥٠ - ذهبي الفم: عظة على كولوسي ٣: ٢ مجلد ٦٢ عامود ٣١٨ - ٣٢٠).

لماذا سقطت أخوة المسيح الرب لنا؟

جاء هذا بسبب توالي عصورٍ تغيّرت فيها لغة الكنسية ثلاث مرات من اليونانية إلى القبطية، ومن القبطية إلى العربية، ثلاث لغات لا يوجد بينهم صلة. وجاء عصر تدمير التراث في غزوة الفرس لمصر، وتلاه الفتح العربي، ثم عصر قهر لكل شعب مصر وليس للأقباط فقط في ظل الحكم الأموي - العباسي - المماليك - الأتراك العثمانيين، ولم تعرف مصر الاستقرار إلا في عصر محمد علي مؤسس مصر الحديثة، ومع هذا جاء الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢ ثم الحروب المتوالية ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧ - ١٩٧٣، تلك الحروب التي كانت لها آثار سلبية على حياة مصر وعلى كنيسة مصر؟

وانقطعت الصلة بالتراث بسبب تغيّر اللغة.

طبعاً سبق ذلك انقسامٌ مخيف في ٤٥١ م حوصرت فيه الكنيسة المصرية حصاراً نفسياً بإطلاق لقب "أصحاب الطبيعة الواحدة" (المونوفيزيين) الذي لا يزال يطاردنا في الكتب الحديثة حتى تاريخ كتابة هذه السطور. وحصار عقائدي بالكتابات اللاهوتية ضد كنيسة مصر، وبأقلام المشاهير مثل يوحنا الدمشقي، ثم الهجوم الشرس للإرساليات الإنجيلية والكاثوليكية ابتداءً من القرن الثامن عشر

ودارت معارك كبيرة في الكتب والمقالات لا سيما في القرن التاسع عشر والعشرين، ولا تزال دائرة حتى الآن. ولعل أخطر هذه المعارك هو معركة تدمير الكنيسة القبطية من الداخل بأكبر حركة تبشير يقودها د. القس سامح مويس، ويشترك معه - بكل أسفٍ - بعض أساقفة عن جهلٍ وتعنُّتٍ؛ لأنهم بالهجوم على ما يزيد عن ١٥٠ كتاب للأب متى المسكين، هي الكتب الوحيدة التي تستحق القراءة، بجانب ما صدر من مركز الآباء المتهم الثاني بأنه يتبع الأب متى المسكين، ثم الهجوم على كاتب هذه السطور "الذي يدير الكنيسة" حسب زعم الأنبا بيشوي، لا يجد الشباب القبطي سوى الهجرة الصامتة. ولعل سكرتير الجمع المقدس خلال ٢٢ عاماً لم يحاول القيام حتى بإحصائية عن عدد الشباب الذي هجر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في صمتٍ مطبق، وترك الصراعات حول المواهب والأقنوم، وتناول ناسوت المسيح لا لاهوته، ثم العظات السيئة التي تدور على الحلال والحرام، لا حول الخير والشر (الفرق كبير جداً).

وقد قدَّر أحد الباحثين من الكاثوليك أن عدد الشباب الذي يترك الكنيسة القبطية كل سنة يقارب ٢٠٠٠ شخص ينضم إلى الكنيسة الإنجيلية، وأن حركة الهجرة تكاد تكون محصورة في المدن الكبرى القاهرة والإسكندرية، وإن كانت قليلة في القرى ومراكز الوجه القبلي.

لقد تجمعت كل هذه العوامل لتتال من الحلقة الجديدة التي جاء بها "البكر"، وأصبح الحديث عن الأخ البكر بمثابة هرطقة، أو موضوعاً يثير ردة فعل تنال من تدبير تجسد الرب نفسه.

أذكر أنني كنت في زيارة لأحد أديرة وادي النطرون، وجاء أب راهب ليأخذ البركة بعد القداس، وقال للأب الكاهن الذي أعطاه نصيباً كبيراً من القربان: "كتر خيرك يا ابن الله"، فانزعج الأب الكاهن، وقال للراهب: "أنا لا أحب الهزار، لأن الهزار موش في هذه الأمور". فقال الراهب: "إذا كنت أنت موش ابن الله، واقف ليه عند مذبح رب القوات؟". وهنا جاء أحد المتوحدين وهمس في أذن

الراهب، فانصرف من الكنيسة، وقبل أن يخطو برجله عتبة باب الكنيسة قال له المتوحد: "إن هذه اللغة وهذه المفردات والألقاب قد غابت من الوعي، نحن حقاً أولاد الله، وهذه هي هوية الخلقة الجديدة، لكن أبونا من الطقس القديم، موش عارف كده. فقال الراهب: "لكن أنا أقدم منه في الرهينة، ولما أنادي على أي راهب أقول له يا أخ، وأحياناً يا أخو الرب، يا ابن الله".

هنا ظهرت الحقيقة. نحن نخاف من النعمة، ولذلك أصبح شغل البعض الشاغل هو تجريد النعمة وحصار المسيح في مكانه ليبقى هو وحده ابن الله، ونخسر نحن بنوتنا لله ولا تبقى هذه البنوة في الهوية الكنسية طبقاً لإعلان الإنجيل: "أما كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله، أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله وولدوا" (يو ١ : ١١ - ١٢).

ولذلك لم يقبل الأنبا شنودة الثالث هذه البنوة، واعتبرها مجرد انتساب شرفي، فهي ليست شركة في بنوة الابن، خوفاً من الشركة في الطبيعة الإلهية؛ لأن هذه الشركة تحدد السلطان، بل تجعل من هذا السلطان خادماً لا سيّداً.

الأقنوم والشخص

هل لنا طبيعة واحدة؟ نعم. ولكن ماذا يقصد الأنبا بيشوي بعبارة "مثل طبيعة الثالوث الذي له طبيعة واحدة؟". لا أدري من أين أتى بهذه الفكرة التي ليس لها وجود في أي مقال أو كتاب نُشر. أما تزوير الشرائط، فهذا اختصاصه الذي تفوق فيه على كثيرين.

"الأقنوم" ليست كلمة عربية، بل هي سريانية الأصل. والأقنوم عربياً والترجمة عائدة إلى اللغات الأوربية، واللاتينية، ثم الإنجليزية هي "الشخص".

والسؤال: هل نحن أشخاص؟

طبعاً عندما يتم احتجاز كلمة "أقنوم" للثالوث وحده -عن جهلٍ- يتم تدمير:

١- الإنسان صورة الله ومثاله (تك ١ : ٢٦).

٢- إعادة الصورة في المسيح إلى مجد لم يكن لها في آدم الذي نشترك معه في طبيعة واحدة حسب عبارة الرسول: "في آدم يموت الجميع" (١ كور ١٥ : ٢٢). ويبدو أن المطران لم يدرس رو ٥ : ١٢ - ٢١، وبالذات ٥ : ١٢ "اجتاز الموت إلى جميع الناس ..."، "بخطية واحد مات الكثيرون ..."، "صار الحكم إلى جميع الناس ...".

هكذا لا بُد من البحث عن خطأ، فإن لم يجد، إذن لا بُد من اختراعه كذباً حتى يلصقه بالعدو اللدود جورج بياوي.

٣- ولكن المسيح فينا، هو حتماً أقنوم متجسد، فهل هو فينا، أم أنه ساكن في حيوانات أو كائنات مادية، أو آلات؟ أولسنا - حسب تعليم الرب نفسه - هو الكرمة ونحن الأغصان (يو ١٥ : ٥)، وهو الجسد الواحد، ونحن أعضاء هذا الجسد، فكيف صار الرب رأساً لجسد واحد منه تولد كل الأعضاء - حسب قول الرسول - ولا تولد هذه الأعضاء أشخاصاً، بل شيء آخر، ولا يكون هو "بكرًا بين إخوة كثيرين"؟

٤- وأنا أعذر المطران لأنه لم يدرس اللاهوت حتى في الكلية الإكليريكية، ولعله - وهو لم يكتب إلا قليلاً - لم يسمع ولم يقرأ عن تأقنم طبيعة الرب الإنسانية بسبب اتحادها بالوهية المخلص، وهو ما يُعرف باسم *en - hypostasis* - فقد جاءت النسطورية لتقول بأن المسيح إنساناً له أقنوم متصل بأقنوم الكلمة، فهو أقنوم آخر، أي لدينا أقنومين: الابن كإله، والمسيح كإنسان، ولذلك جاء التعليم بأن الطبيعة الإنسانية في المسيح ليست أقنوماً *an - hypostasis* بل هي طبيعة تتأقنم بالاتحاد بأقنوم الله الكلمة، ولذلك هي *en - hypostasis* وهذا التأقنم بالاتحاد هو مصير كل مسيحي يصبح متأقنماً كإنسان بسبب اتحاده بالرب. وأتمنى أن ينكر المطران هذا لكي نحاكمه أمام القديس كيرلس الكبير، فهو - أي المطران - لم يدرس المقالات الخمس ضد نسطور، ولم يدرس المقالات الأربع ضد أريوس، ولا قرأ المسيح واحد للكبير كيرلس بطريرك الإسكندرية.

ونكتفي هنا بعبارات رسول رب المجد، إذ يقول إن المسيح مات وقام لكي بموته تموت الإنسانية كلها حسب تعبير القديس أنثاسيوس: "إننا قد متنا جميعاً في المسيح" (الرد على الأريوسيين ١ : ٤١)، ولكن المطران اعتنق عقيدة الفداء والكفارة حسب لاهوت الكنيسة الإنجيلية، ومقتضاها أن المسيح مات على الصليب لكي يقدم فدية ويدفع ثمناً للآب، ولذلك لا يمكن لأحد أن يشترك مع المسيح في الصليب. ولذلك فهو يعتقد -خطأً- مثل كل الإنجيليين أن موت المسيح قاصرٌ عليه هو وحده، وهو ما يسجله بقلمه في كتابه، إذ يكتب كأبي إنجيلي: "إذا كنا قد صُلبنا مع المسيح في يوم الصلب بحيث لم يُصلب عنا بل بنا -كما يقول البعض- فهل نُصلب معه مرةً ثانية في المعمودية أم لا؟" (ص ٤٣). فكيف أجاب المطران: "نحن ننال شركة الموت مع المسيح في المعمودية. وفي قوله (بولس) "صرنا متحدين معه" يدل على أن هذا شيء قد حدث وقت العماد ولم يكن حادثاً من قبل، وإلا فما معنى الصيرورة هنا (من كلمة صرنا)، إننا نخدّر من هذا التعليم الغريب والخطير الذي يهدم عقيدة الفداء... " (ص ٤٤).

عقيدة الفداء التي ينادي بها المطران هي ما تعلّمه من كتاب اللاهوت النظامي الخاص بالكنيسة الإنجيلية، وهنا لا يوجد فرق جوهرى بين الأنبا يشوي والقس د. سامح موريس، ولأن كلاهما يظن أن كل شيء تم يوم الجمعة، يوم الصلبوت لأن الصليب والمصلوب -عندهما- هو حدث وليس شخصاً، هو حدث تاريخي ينتهي، وهو ما يعني أن بولس أيضاً كان قد اعتنق ذلك التعليم الغريب والخطير الذي يهدم عقيدة الفداء عندما كتب بعد موت الرب على الصليب: "مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ" (غلا ٢ : ٢٠)، وكان أنثاسيوس العظيم حقاً لا يعرف التعليم الصحيح ويهدم عقيدة الفداء! ولكن المسيح الرب جاء لكي يهدم الموت الذي يخص الإنسان، وقد هدم الموت في جسده أولاً، ولذلك مات وأبطل الموت، "أما القيامة وتمجيد (الإنسانية) فإنهما يدومان فينا بالضرورة بسببه" (ضد الأريوسيين ١ : ٤٥). فقد أخذ ما هو مائت لأن الرب "قد صار إنساناً لكي يصوغنا (يُعيد تكويننا) نحن المائتين والزمانيين ويجعلنا غير مائتين" (ضد الأريوسيين ١ : ٤٨)، ولذلك هو كشخص "كنا نحن الذين اعتمدنا فيه"،

وهو كشخص كنا نحن الذين مُسحنا فيه لأن ذلك الشخص أو الأفتنوم المتجسد له حضور جسدي دائم" (ضد الأريوسيين ١ : ٤٨ - ٤٩).

ولأن جوهر الخلاص في الأرثوذكسية هو اتحادنا بالثالوث في الابن بالروح القدس، يكتب أناسيوس: "لأن الذين يخلقهم يتحدون به ويكون هو فيهم مثلما يكونون هم فيه" (المرجع السابق ٢ : ٥٥). ولأن الخلاص هو عمل شخصي وليس مجرد حدث تاريخي فقط، بل يسوع المصلوب الذي مات مرةً واحدة جعل موته الواحد على الصليب هو قوة حياة وتحرير الجسد، وليس ثمناً يُدفع للآب - حسب اعتقاد الإنجيليين والأبنا ييشوي - ولذلك يكتب أناسيوس العظيم: "فإن جسده (الرب يسوع) كان هو أول ما تم تخلصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة ذاته. وهكذا، إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده ...، فإنه هو الأول الذي قام كإنسان، إذ قد أقام جسده من أجلنا ... هكذا نحن أيضاً نقوم من بين الأموات فيه وبه" (المرجع السابق ٢ : ٦١).

إنكار شركتنا في المسيح في موته وقيامته

هكذا يشرح غريغوريوس اللاهوتي تدبير الخلاص:

"لنحتفل بالميلاد لأنه حرك من قيود ميلادك.

أكرم قرية بيت لحم الصغيرة لأنها أعادتكم للفردوس.

أحترم المذود لأنك الذي غاب عنك عقلك الآن تغذى بالكلمة" (المقالة ٧ : مجلد ٣٥ : ٧٨٥).

ثم

أخيراً يجب أن تصلب مع المسيح وأن تموت معه وتدفن معه لكي تقوم وتتمجد معه"

(المقالة ١٨ : مجلد ٣٥ : ٣٣٣).

بل يقول في عظة عيد القيامة:

"بالأمس غُلِّقْتُ مع المسيح على الصليب، واليوم أنا أتمجد معه.

بالأمس كنت أموت معه

اليوم عُدتُ بواسطته إلى الحياة

بالأمس أنا دُفِنتُ معه

اليوم أنا أقوم معه

لنصبح مثل المسيح لأن المسيح صار مثلنا

لنصبح آلهة لأنه صار إنساناً لأجلنا" (مقالة ١ : ٤ مجلد ٣٥ : ٣٩٧).

وفي قداسنا الغريغوري نقول: "شعبك يطلبون بك ومعك إلى الآب".

وعن شفاعة الرب يقول اللاهوتي:

"هو الآن كإنسان يتشفع لأجل خلاصنا لأنه لا زال في الجسد الذي أخذه لكي يجعلني إلهاً

بفضيلة (حقيقة) تجسده" (مقالة ٣٠ : ١٤ مجلد ٣٦ : ١٢١).

الهوية التي يسعى التراث الشعبي لكي يهدمها، ويهدم معها السرائر

هكذا ينكر المطران الشركة في موت المسيح، ويجب عليه أن يُحاكِم غريغوريوس اللاهوتي، ويحاكِم معه باقي الآباء لا سيما القديس كيرلس الأورشليمي الذي شرح نص رسالة رومية ٦ : ١ - ٨ مؤكداً أن شبه موته تعني عدم دق المسامير، إذ يقول:

"يا له من أمرٍ عجيب مدهش: أننا لم نمت حقاً ولم نُدفن حقاً ولن نُصَلَّب حقاً ونقم حقاً، وإن كان التشبه هو بالمثال، ولكن الخلاص تم حقاً. لقد صُلب المسيح فعلاً، وُدِّفِن فعلاً، وقام فعلاً من الموت، فكل هذه النعمة أُعطيت لنا نحن حتى إذا اشتركنا في آلامه بالتشبه بها، ننعم بالخلاص الحق. يا للمحبة غير المحدودة للبشر. يسَمِّر المسيح في قدميه ويديه الطاهرتين ويتحمل العذاب لكي يمنحني هذه المشاركة أي أن أحصل على نعمة الخلاص بدون مشقة ولا عذاب" (عظة ٢٠ : ٥).

ثم يضيف:

"يجب أن نتعلم أن كل ما تحمَّله المسيح من عذاب، تحمَّله من أجلنا ولأجل خلاصنا، وقد تألم فعلاً... لكي نشاركه آلامه ولذلك يقين بولس بكل وضوح: لأننا إذا كنا قد عُرسنا معه على شبه موته فنكون على شبه قيامته أيضاً (رو ٨ : ٥)، وحسناً قال: "عُرسنا معه"؛ لأن الكرامة الحقيقية قد عُرسَتْ (يو ١٥ : ١ - ٨)، عُرسَتْ هنا، فنحن إذ نشترك بمعمودية

موته، نصبح غرسهً واحدةً معه. وأرجوكم أن تنتبهوا إلى كلمات الرسول، إنه لا يقول "إذا كنا قد غُرسنا معه في موته"، بل "على شبه موته"؛ لأن المسيح مات فعلاً... أمّا بالنسبة لنا فالحالة تختلف لأن موتنا شبه موته وآلامنا كانت شبه آلامه، ولكن خلاصنا لم يكن شبه خلاص، وإنما خلاصاً حقيقياً".

وفي العظة ٢١ على الميرون يذكرنا:

"أنكم أنتم الذين "اعتمدتم في المسيح ولبستم المسيح" (غلا ٢ : ٢٧)، فأصبحتم على مثال المسيح ابن الله (رو ٨ : ٢٩)؛ لأن الله اختارنا لكي نكون أبناء بالتبني" (١ : ٢١).

وعن الميرون يقول ما تذكره صلواتنا القبطية:

"في الوقت الذي يُمسح فيه جسدك بالدهن المنظور، تتقدس نفسك بالروح القدس المحيي" (٢١ : ٣).

ولكن كل هذا يجب تدميره لكي لا يبقى أيُّ منا ابناً وعضواً في جسد الرب، بل آلة لا شخص يتشبهه بالثالوث، بل شيئاً هلامياً لا كيان له.

هدم الوحدة الروحية التي نالها في الإفخارستيا

هذه الوحدة الروحية تعبر عنها الليتورجية بعد استدعاء الروح القدس، فتقول:

"أجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً".

لكن المطران الذي يبدو أنه لم يستلم لاهوت خدمة الليتورجية، بل استلم الطقوس وحده لا يرى هذه الوحدة، ولذلك يحاكمه القديس غريغوريوس النيسي:

"بالاشتراك في الجسد الواحد للمسيح نصبح جسداً واحداً، أي جسده" (مجلد ٤٤ : ١٣١٧).

وأيضاً:

"هو (الرب يسوع) في الكل، ويأخذ إليه الكل الذين اتحدوا به بالشركة في جسده، ويجعل الكل جسده حتى أن كل الأعضاء تصبح جسداً واحداً" (المرجع السابق ٤٤ : ١٣٢٠).

وعند ذهبي الفم الذي كان له لاهوتٌ اختباريٌّ، ولم ينشأ على كتب الإرساليات:

"يجب أن ندرس هذا السر الفائق، وأن نفهم سبب تأسيسه ونتائج عمله فينا، فنحن جسد واحد كما يقول الكتاب: "أعضاء من لحمه وعظامه" (أف ٥ : ٣٠)، وعلى الذين نالوا سر المعمودية أن يتابعوني: هو يريد أن نكون جسده ليس بالخبطة وحدها، ولكن عندما ننضم إلى جسده. هذا الاتحاد يتم فينا بالتناول من الطعام الذي أعطاه لنا كبرهان على محبته لنا. فهو يتحد بنا ويزرع جسده فينا لكي نكون واحداً مثل اتحاد الرأس بالجسد. ما أعظم استعلان هذه الخبة" (عظة ٤٦ على يوحنا مجلد ٥٩ : ٢٦٠).

"إنه لم يسفك دمه فقط، بل يعطي دمه لكل لكي نشرب جميعاً..."

ثم يقول:

"إن الأحباء يقدمون هدايا لمن يحبون، ولكن لا يقدمون دمائهم، ولكن المسيح قد برهن لنا على محبته النارية وشفقته بنا عندما "قدّم لنا دمه".

ثم يشرح كلمات الرسول: "الخبز الذي نكسره..."، ويقول:

"لماذا أضاف بولس "الذي نكسر"، هذا الكسر هو ما نراه في الإفخارستيا، ولم يحدث على الصليب، بل العكس لأنه كتب "وعظمٌ منه لا يكسر" (عدد ٩ : ١٢)، وما لم يعانيه على الصليب يسمح به لأجلنا عندما نكسر الخبز لكي يأخذ كلٌ منا ما يملأه" (عظة ٢٤ على كورنثوس الأولى مجلد ٦١ : ٢٠٠).

انكسار الهوية بالاعتداء على سري المعمودية والميرون وإنكار سر الإفخارستيا

يتهم المطران كاتب هذه السطور بأنني أحرّض السيدات على العصيان بالادعاء بأن دم الطمث لا ينجس، وهو وإن كان ينجس حسب التعليم الشعبي السائد، فقد جحد هذا التعليم التقديس الذي يناله كل مؤمن في سر الانضمام إلى جسد المسيح، أي المعمودية - الميرون - الإفخارستيا.

كيف يسود القهر والاستبداد؟ بالتحكم في الوظائف البيولوجية للجسد، وهي وظائف شبه دائمة لا تغيب عن الوعي، وينقض التعليم الشعبي غير المسيحي على التقديس الأبدي الذي لا يمكن انتزاعه إذا مارست أعضاء الجسد الوظائف التي وضعها الخالق نفسه. كان دم الطامث يؤخذ في العبادة الكنعانية

للسحر وأعمال أخرى لا أريد الإشارة إليها، ولذلك جاءت شريعة العهد القديم بكل هذه المنوعات لكي تفرز "الشعب"، وتجعله يحيا حياةً مستقلةً، وكانت الممارسات الجسدانية التي وصفها رسول المسيح بأنها موضوعة إلى زمان التجديد أو حسب دقة النص: "هي قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح" (عب ٩ : ١٠). لكن يجب فرض حصار نفسي على المرأة واعتبارها نجسةً، وحرمانها من تناول، بل ومن الصلاة ومن دخول الكنيسة لكي تبقى الممارسة أقوى من السرائر التي نالت بها التقديس، ولكي تصبح العودة إلى طقوس وممارسات العهد القديم أهم من التبني وسكنى الروح القدس. لذلك لم يكن غريباً طوال ٤٠ عاماً أن يقال من على المنابر إننا لا ننال سكنى الروح القدس، بل ننال مواهبه الوقتية لكي نغيت في المستمع الحس الروحي بالانتماء الأبدي إلى جسد المسيح، وهو سبب القيامة من الأموات، بل ويضاف إلى ذلك أننا نتناول ناسوت الرب فقط.

ما ذكرناه سابقاً هو شرح التعليم الرسولي الغائب عن فكر المطران؛ لأن رسول الرب يقول عن الرب إنه صُلب لكي يُبطل بجسده "ناموس الوصايا في فرائض"، أي العهد القديم برمته، والسبب "لكي يخلق في ذاته أو في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً" (أف ٢ : ١٥). الإنسان الجديد ليس يهودياً ولا أممياً، بل آدم الثاني السابق على الشريعة وعلى إبراهيم وموسى (١ كور ١٥ : ٤٥ - ٥٠)، ولكن المطران مع الإنجيليين يضعون الصليب في إطار العدل كما يمارسه ويعرفه البشر وينسبون هذا إلى الله نفسه، وليس لدى المطران عذر لأن العدل والبر وردت في الترجمة القبطية للعهد الجديد $\mu\epsilon\theta\omega\mu\eta\iota$ أي الحق؛ لأن الحق هو العدل حسب لغة الأسفار في العهدين، والحق أو العدل هو استعلان المحبة التي تقبل رد الحياة إلى الخطاة. هذا نراه واضحاً بمراجعة النص القبطي لسفر المزامير الذي يتطابق مع الترجمة السبعينية، حيث البر = الحق = العدل = الصدق. والخطاة الذين يطلبون عدل الله في المزامير حسب الترجمة العربية المتداولة لا يعرفون أن العدل أو البر في المزامير هو صدق الله في مواعيده، فما هو عذر مطران قبطي

لم يدرس الكتاب المقدس بلغة الكنيسة القبطية، أي اللغة القبطية؟

أعود فأقول إن الشخص أو الأتوم هو رأس الكنيسة، وهو يعطي حياةً تحرر العبيد، وتجعل من العبد شخصاً لأن الخطية تهدم كينونة الشخص، وتحول الشخص إلى عبد، والعبد آلة خاضعة مستعبدة فاقدة للإنسانية، وكل عبد للقوة ومحبة المال والمكان الأول والمناصب والألقاب هو فاقد للإنسانية، شوه صورة الله فيه ولذلك يعتبر أن الله جاء لكي يخلص البشر دون أن يجدد حياتهم من العبودية لكي يتأقنموا ويتحولوا إلى الإنسان الجديد الكامل الذي استعلن أولاً في المسيح يسوع والذي يحيا فينا محولاً إيانا إلى أقانيم أو أشخاص لكي نحيا به حسب كلمات أوشية الإنجيل: "لأنك أنت هو حياتنا كلنا".

ليكون الجميع واحداً كما أننا نحن واحد (يو ١٧ : ٢١)

من المؤكد أن وحدة الثالوث الكاملة والتامة بين الآب والابن والروح القدس هي المثال الذي يتطلع إليه المؤمنون بالمسيح للوصول إلى أعماق درجات الوحدة وكما لها. نضع هنا تعليق القديس كيرلس السكندري على هذا النص، ونعتذر عن طوله المفرط، فلم نشأ أن نحرم القارئ من درة من درر التفسير والشرح الأبائي، ولذلك قسمناه إلى الفقرات الآتية:

الوحدة الروحية للمؤمنين في الجسد الواحد

"إنه يريد أن يحفظ تلاميذه في اتحاد العقل والهدف كما لو كانوا قد جُمعوا معاً وصار لهم نفس واحدة وروح واحد هو روح المحبة الأخوية، وأن تربطهم معاً رابطة المحبة القوية التي لا تنكسر لكي يكمل اتحادهم وتصبح رغباتهم موحدة مشابحة للوحدة الطبيعية بين الآب والابن، وتبقى غير منقسمة ولا منفصلة ولا يقوى عليها شيء من قوات هذا العالم ولا رغبات الجسد وشهواته التي تقود إلى الاختلافات وتعدد الأهداف، بل يبقى اتحادهم في التقوى والقداسة وبقوة المحبة الكائنة فيهم. وقد قرأنا عن هذا في سفر الأعمال "وكان لجميع الذين آمنوا قلبٌ واحدٌ ونفسٌ واحدة" (أع ٤ : ٣٢).

وحدة من الروح القدس

وهذا الاتحاد من الروح القدس، وهو ما يعبر عنه الرسول بولس بوضوح عندما قال: "جسد واحد، وروح واحد لأننا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح لأننا جميعاً نتناول من الخبز الواحد" (١ كورنثوس ١٠: ١٧). ونحن الذين أخذنا المسحة من الروح الواحد، أي روح المسيح، نصبح واحداً مثلهم (الرسل) جسد واحد؛ لأننا نشترك في نفس الروح. وهكذا أراد المسيح أن يحفظ الآب تلاميذه في وحدة الروح حتى لا يقدر أحد أن يفرقهم، وفي العقل الواحد غير المنقسم unbroken singleness of mind

وحدة على مثال الثالث

ومن يقول إن التلاميذ اتحدوا وصاروا واحداً مثل الآب والابن في الجوهر، في الإرادة، لان طبيعة الله القدوس لها إرادة واحدة، فهو ليس بعيداً عن الحق؛ لأننا نرى ذات الهدف الواحد عند المسيحيين الحقيقيين، إلا أننا لسنا مولودين من ذات الجوهر مثل ولادة الابن من الآب الذي هو منه وفيه" (تفسير يوحنا ١٧: ١١ الكتاب ١١: فصل ٩).

طلبة الرب في يوحنا ١٧ خاصة بالكنيسة عبر كل العصور

وكأن القديس كيرلس السكندري فيما هو يؤكد وحدة جميع المؤمنين، يُدكّرنا أن قوة هذه الوحدة لا تجعلنا سوى مثال، والمثال دائماً لا ينطبق على الحقيقة التي يمثلها تماماً؛ لأن الابن مولود من ذات جوهر الآب منذ الأزل أو قبل كل الدهور، وهذا هو ما يجعلهما واحداً، أما نحن، فإن وحدتنا تتم في الزمان وتأخذ قوتها من عمل الروح القدس، ومن وحدة الحياة المسيحية، وتماثل الهدف عند المسيحيين الحقيقيين، كما أنه لا يوجد بيننا من هو مولود من ذات جوهر الآخر. على أية حال، لقد عاجل القديس كيرلس السكندري هذه النقطة بوضوح عندما فسّر يوحنا ١٧: ٢٠ - ٢٢ "لست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل من أجل الذين يؤمنون بي بكلماتهم (الرسل) ليكون الجميع واحداً، وكما أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك هكذا ليكون الكل واحداً فينا لكي يؤمن العالم أنك أرسلتني". يقول القديس كيرلس السكندري:

"المسيح هو باكورة ثمار الذين دُعُوا لكي يُنْتَوْا معاً للحياة الجديدة، وهو الإنسان السمائي الأول لأن بولس يقول عنه: "آدم الثاني الرب من السماء" (١ كورنثوس ١٥ : ٤٧) وكما كتب يوحنا: "وليس أحد صعد إلى السماء إلا ابن الإنسان" (يوحنا ٣ : ١٣). وكل الذين على صلة به، لاسيما الذين اختارهم ليكونوا رسلاً وتابعين له، الذين جمعوا له ثمار نعمته وهم قد شاهدوا مجده وخدموه وصاروا بالنسبة له ثمار الحياة الجديدة التي جاءت بعده؛ لأنه هو رأس الجسد، أي الكنيسة (كولوسي ١ : ١٨). ولقد طلب لهم بركة وتقديس الروح الذي سيأتي من عند الآب ولكن بواسطته (المسيح)... ولكن لا أحد من الذين يفحصون الكتب الموحى بها يتخيل أنه طلب أن يحل الروح على الرسل فقط، بل أنه طلب لأجلنا نحن أيضاً الذين نتبعهم ونعيش في بداية عصر المسيحية، لذلك أضاف الوسيط بين الله والبشر ورئيس كهنة نفوسنا هذا النص لكي يكبح الخيالات الغبية: "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل من أجل الذين يؤمنون بكلامهم"، لأنه يبدو غير معقول أن يقع كل البشر تحت عقاب الديونة بسبب إنسان واحد، أعني آدم الأول، حتى الذين لم يخطئوا في ذلك الزمان عندما تعدى مؤسس جنسنا الوصية التي أعطيت له، هؤلاء لبسوا صورة الترابي غير المجددة،

الصورة السمائية

وعندما جاء المسيح في وسطنا، أي الإنسان من السماء، فهؤلاء الذين دُعُوا من خلاله للبر أي البر الذي بالإيمان، يجب أن لا يحول بينهم وبين إعادة تشكيلهم حسب صورته (المسيح). وكما أننا نقول إن صورة الترابي غير المحبوبة، نراها في أمثلة عدة وفي أشكال مختلفة من البشر الذين يحملون دنس الخطية وضعف الموت والفساد وعدم طهارة الشهوات الجسدية والأفكار العالمية، إلا أنه على النقيض من هذا، تتأمل صورة السمائي أي المسيح التي تشرق بالنقاء والإخلاص وبكمال عدم الفساد وبالحياة وبالقداسة، ولذلك كان من المستحيل علينا نحن الذين سقطنا من خلال العصيان الأول أن نعود إلى مجدنا القلبي، إلا إذا حصلنا على اشتراكنا ووجدتنا في الله، لأن طبيعة البشر قد أُخضِعَتْ من البدء للموت، وبذلك لم يعد ممكناً لأي إنسان أن يصل إلى الاتحاد بالله إلا بالروح القدس الذي يزرع فينا التقديس الخاص بأفئومته، ومن جديد يعيد تشكيل الطبيعة التي أخضعت للفساد، يعيدها إلى حياته فيعود الإنسان إلى الله وإلى شبهه وإلى المجد الذي فقده. والابن هو المثال الذي يعبر ويعلن عن الآب، وروحه هو المماثلة الطبيعية للابن، لهذا السبب فهو من جديد يخلق

نفوس البشر ويختتم هذه النفوس بصورة الله ومثال العلي.

وحدة على مثال الثالث بسبب المحبة

لذلك يصلي ربنا يسوع المسيح ليس من أجل الإثني عشر فقط، بل من أجل كل المختارين في كل عصر الذين يتمسكون ويطيعون كلمات تعليم الرسل، ويأخذون التقديس بالإيمان والتطهير الذي يتم فيهم من خلال الاشتراك في الروح، وهو لم ير أنه من المناسب أن يتركنا في شكٍّ بخصوص صلاته ومعناها، لأنها تُعَلِّم أي سلوكٍ يجب أن يكون سلوكنا نحن البشر، وأي طريق للبر يجب أن نسير فيه لكي نصل إلى ما يسره. فما هو هدف صلاته؟ ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكون الكل واحداً فينا. فهو يطلب رابطة المحبة والاتفاق والسلام لكي يصل إلى الاتحاد الروحي، كل الذين يؤمنون لكي تشبه وحدتهم التي تتم من خلال المحبة الكاملة والاتفاق غير المفترق للنفوس، ملامح وحدة الجوهر التي للآب والابن. لكن رابطة المحبة التي تربطنا كلاً بالآخر، وقوة الاتفاق لا تقوم ولا تدوم من ذاتها، وهي لذلك ليست مثل وحدة الآب والابن غير المتغيرة التي هي قائمة بذاتها لأنهما يحفظان وحدتهما بسبب وحدة الجوهر، وهذه الوحدة طبيعية وحقيقية لأنها قائمة على كل ما في طبيعة الله من صفات.

مثال الحق، ليس الحق نفسه

أمّا وحدتنا نحن البشر، فهي مظهر للوحدة الإلهية، مظهر للحقيقة. وكيف يمكن للشبيه Imitation أن يصبح مثل الحقيقة الواقعية؛ لأن مثال الحق لا يمكن أن يكون في محتواه مثل الحق نفسه، بل هو مجرد شكل، ويظل كذلك شكلاً للحقيقة، ما لم يدخل عليه عنصر غريب يشوّهه، وإذا ظن هرطوقي أو تخيل أنه قادر على أن يقبل تعاليم وحدة أقانيم الثالث، وبالذات الآب والابن، وحاول أن يبرهن على نظريته الجنونية وقدمها لنا على هذا النحو (نحن لسنا واحداً لأن شكل جسد كل واحد منا مختلف عن الآخر كما أن أرواحنا لم تنصهر كل في الأخرى، ولكن وحدتنا هي في الطبع وفي محبتنا لله وفي الاتفاق ووحدة الهدف ورغبتنا في إتمام إرادة الله، هكذا الابن وعلى نفس هذا الشرح هو واحد مع الآب أي واحد معه في الإرادة والاتفاق وليس في الجوهر)، فإننا نرفض مثل هذه النظرية كلها، ونعتبر قائلها مذنبٌ بالجهل وعدم الفهم، لماذا؟ لأن الأمور التي هي أعلى وأسمى من الطبيعة الإنسانية، لا يمكن مقارنتها بما للإنسانية، ولا يمكن أن تُخضع من ليس له جسد للقوانين

التي خضع لها الذين لهم أجساد. لا تُشابه الأشياء الإلهية، الأشياء الإنسانية. ولو انعدمت الفوارق التي بيننا وبين الله، لأمكن لنا أن نُقارن بين ما يخص الله وبين ما يخصنا، ولكن إذا كانت هناك اختلافات بين طبيعة الله والبشر، وهي اختلافات تفوق التصور، فلماذا يحاولون أن يفهموا الطبيعة الإلهية التي لا ترتبط بأي ناموس يخص البشر الضعفاء، ويخطئون بارتكاب ما هو غير معقول، وإذا فعلوا ذلك فهم يبنون الحق من الظلال أو يؤلفون الحق من صورته التي تشبهه فقط، وبذلك يعطون الكرامة للمخلوق ويجعلون ما هو ثانٍ مكان الأول، ويَصِلون إلى فهم سبب كل الأشياء من الأشياء نفسها. ولكن حتى لا نبقي طويلاً في مناقشة هذا الموضوع وننوه عن معاني النص الإنجيلي نقول إنه عندما يقدّم المسيح وحدته مع الآب ووحدة الآب معه كمثال وصورة للشركة غير المفترقة والاتفاق والوحدة التي يمنحها هو للنفوس الملتزمة بمحبته، فهو يرغب أن تتألف معاً بقوة الثالوث الواحد في الجوهر وتصبح واحداً، وتصبح الكنيسة بأسرها جسداً واحداً صاعدة بالمسيح إلى تلك الوحدة التي تجعل الشيعين شعباً واحداً^(١) لأن بولس يقول: "هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً وهدم حائط السياج المتوسط ونقض العداوة بجسده وحتى الناموس والفرائض أزالهم لكي يخلق الاثنين في ذاته إنساناً جديداً واحداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به" (أفسس ٢: ١٤ - ١٦). ولقد تم هذا في الذين آمنوا بالمسيح وصاروا نفساً واحدة وأخذوا قلباً واحداً في تماثلهم الكامل في حياة التقوى ومحبة الله وفي طاعة إيمانهم واشتياقهم للفضائل، وما قلته ليس بعيداً عن الحق، بل هو مناسب وضروري، وإذا كان معنى النص يلزمنا بأن نعوض وراء ما هو أعمق - خصوصاً - وإن كلمات المخلص تدعونا إلى ذلك "كما أنك أيها الآب فيّ وأنا فيك هكذا ليكون الكل واحداً فينا"، فإننا يجب أن ننسب إلى ما معنى هذه الكلمات. لأننا فيما سبق، قد أكدنا وبكل صواب أن تُشبه وحدة المؤمنين وإتقان قلوبهم ونفوسهم، وحدة الثالوث وتماثل الأقانيم. ولكننا في هذا المجال يجب أن نشير إلى الوحدة الطبيعية التي تشملنا جميعاً وكلنا معاً بالله دون أن نفقد الوحدة المادية Physical القائمة بيننا رغم أن لكل منا جسده الخاص به الذي يملكه والذي يحفظ له فرادته Individuality لأن بطرس لا يمكن أن يُصبح بولس، ولا يمكن أن نتكلم عن بطرس ونحن نقصد بولس، رغم أن كلاهما واحد بسبب وحدتهما في المسيح، فإذا سلّمنا بالوحدة الجوهرية التي للآب والابن والروح القدس؛ لأننا نؤمن ونمجد الله الواحد

(١) اليهود والأمم كما هو واضح من النص.

في الثالوث القدوس، لنبحث كيف صرنا واحداً كل مع الآخر ومع الله بالمعنى الحسي والروحي لكلمة وحدة: الابن الوحيد المولود من ذات جوهر الله الآب، والذي فيه كل طبيعة الآب الذي ولده هذا صار جسداً حسب الكتب واتحد بطبيعتنا في اتحاد لا يُعزَّر عنه وصار واحداً من اثنين أي جسده الأرضي ولاهوته، وهو الذي بطبيعته الله، هو الإنسان من السماء، وظل دائماً الله والإنسان بعكس ما يقوله الذين لا يفهمون هذا السر، ولما اتحد فيه العنصران اللذان لا يمكن أن يتحدا، أصبح الإنسان قادراً على أن يشارك ويأخذ من الطبيعة الإلهية، ولهذا حصلنا فيه نحن على شركة وحضور الروح القدس الذي بدأ في المسيح ومن المسيح أولاً عندما صار إنساناً مثلنا ولأجلنا، وأخذ المسحة والتقديس رغم أنه بالطبيعة الله لأنه مولود من الآب نفسه، ولكنه قدس بروحه هيكل جسده، بل كل الخليقة التي تدين له بالوجود والتي يمكن أن يشملها التقديس. هذا السر بدأ أولاً في المسيح وصار طريقاً يؤهلنا لنوال الروح القدس والاتحاد بالله لأننا فيه تقدسنا كلنا حسبما ذكرت لتوي.

اتحاد الكل مع بقاء الفوارق

ولكي نتحد كل مع الآخر وبالله، رغم وجود فروق بين كل شخص وآخر، لأن لكل منا فردته وروحه وجسده الخاص به، إلا أن الابن الوحيد جَهَّز الوسيلة حسب حكمته وحسب مشورة الآب. لأنه بجسد واحد، أي جسده بارك بالوحدة كل الذين يؤمنون به ويأخذونه في سر الإفخارستيا الذي فيه أيضاً (الإفخارستيا) نصبح كلنا جسداً واحداً معه، ومن يمكنه أن يُثَرَّق ويُقسَّم الذين اتحدوا بوحدة طبيعية وعُقِدوا Knit معاً في جسده المقدس الذي هو واحد مع المسيح. لأننا إذا اشتركنا في الخبز الواحد، نصبح جسداً واحداً؛ لأن المسيح واحد لا يقبل التقسيم. لذلك، الكنيسة هي جسد المسيح، وكلنا كأفراد أعضائه حسبما قال الحكيم بولس. لأننا كلنا اتحدنا بالمسيح بجسده المقدس حيث أننا أخذناه في أجسادنا، أي الواحد غير المنقسم، تصبح خدمة أعضائنا مملوكة له وليس لأنفسنا. وهنا يصبح المسيح الرأس، ولكن الكنيسة تصبح جسده المكون من المسيحيين، وبولس يبرهن لنا هذا بهذه الكلمات: "لكي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ربح تعليم، بحيلة الناس، بمكر إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح، الذي منه كل الجسد مركباً معاً، ومقترباً بمؤازرة كل مفصل، حسب عمل على قياس كل جزء، يحصل نمو الجسد لبنائه في المحبة" (أفسس ٤: ١٤-١٦). وإن كل الذين يأخذون جسده المقدس يحصلون على هذه الوحدة الحقيقية الحسية في المسيح. يقول

بولس مرة أخرى ويشهد مشيراً إلى سر التقوى "الذي في أجيال آخر لم يُعرَف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال الموعد في المسيح" (أفسس ٣: ٥ - ٦). فإذا كنا كلنا من ذات الجسد واحداً في المسيح، من خلال جسده، ألا يعني هذا أن كل واحدٍ مِنَّا هو واحدٌ مع الآخر وفي المسيح؟ وبالإشارة إلى الوحدة في الروح، حيث أننا نسير من ذات الطريق، نقول إننا نأخذ الروح الواحد، وهذا يوحدنا كل بالآخر وبالله، ولكن الذي يسكن في كل فرد مِنَّا هو الروح الواحد غير المنقسم الذي يحفظنا، ولكنه يجعلنا واحداً، وكما أن قوة جسده المقدس يجعل الذين يأخذون هذا الجسد من ذات الجسد الواحد وواحداً معه وفيه، هكذا الروح غير المنقسم يسكن في الكل، ولكنه يظل الواحد الذي يجمع الكل في وحدة روحية؛ لذلك يخاطبنا بولس الملهم "محتملين بعضكم بعض في المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد كما دعيتم إلى الرجاء الواحد لدعوتكم. رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة. إله وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي الكل" (أفسس ٤: ٢ - ٦) ... وإذا تركنا حياتنا الطبيعية وأسلمنا ذاتنا إلى ناموس الروح القدس، فإنه لا يبقى مجال التساؤل أنه بإنكارنا لأنفسنا وبمحصولنا على الحياة العليا التي تشبه حياة الروح القدس، الذي يحل فينا، فإننا نتحول إلى طبيعة أخرى ونصبح ليس بعدُ بشرًا، بل أبناء الله وبشرٌ سَمائيون، وبذلك نبرهن على أننا شركاء الطبيعة الإلهية.

وحدتنا في شركة الروح القدس

لذلك نحن كلنا واحد في الآب والابن والروح القدس. وواحدٌ، وأنا أعني في الهوية Identity أو الفكر وكذلك في الحياة حسب البر وفي شركة جسد المسيح المقدس وشركة الروح القدس الواحد" (هنا انتهى نص القديس كيرلس الكتاب ١١ فصل ١١ تفسير يوحنا (١٧: ٢٠ - ٢١).

كانت كلمات الرب في يو ١٧: ٢١ (ليكون الجميع واحداً كما أننا واحد)، كانت هذه الكلمات محور صراع مع الأريوسية، يؤكد لنا ذلك القديس هيلاري أسقف بواتيه (أثناسيوس الغرب) في الكتاب ٨، فصل ١١ عن الثالوث حيث يقدم لنا ادعاء الأريوسيين، هكذا:

"يطلب ربنا في صلاته لأبيه أن يكون الذين يؤمنون به واحداً كما أنه هو والآب واحد لأنه

في الآب والآب فيه لكي يكون الكل واحداً فيهم. فلماذا تحاولون هنا إدخال الفكر الواحد ووحدة النفس والقلب في اتفاق الإرادة كمعنى لكلام الرب؟ لم تكن هذه الكلمات المناسبة غير معروفة للرب عندما صُلّي، وكان يمكنه أن يقول "أيها الآب كما أننا واحد في الإرادة اجعلهم هم أيضاً واحداً في الإرادة لكي يكون الجميع واحداً بالاتفاق (الإرادة)، أم أن الكلمة الذي هو الكلمة لا يعرف هذه الكلمات: الإرادة - الفكر ... إلخ؟ أم أن الرب الذي هو حق لا يعرف كيف ينطق الحق؟ أم الذي هو حكمة قد ضلّ الطريق وتكلم بغباء؟".

وبعد أن نفى هيلاري كل هذه، وهي تفاسير الأريوسيين يقول:

"لكنه علم بأن الذين يؤمنون سيكونون "واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا واحداً فينا"؛ لأنه قبل أي شيء آخر قد حدد المؤمنين الذين قال عنهم "ليكونوا واحداً"، ثم بعد ذلك الارتقاء نحو الوحدة بتقديم مثال الوحدة بقوله: "كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك، ليكونوا واحداً فينا"، وكما أن الآب في الابن والابن في الآب معلقة هذا المثال يصبح الكل واحداً في الآب والابن".

ولكن ما هي هذه الوحدة نصل إليها في المسيح. يقول هيلاري:

"أريد أن أسأل بعض أسئلة للذين يعترفون فقط بأن هذه الوحدة هي اتحاد إرادة بين الآب والابن: هل المسيح معنا اليوم باتفاق الإرادة أم بحق طبيعته؟ حيث أن الكلمة حقاً صار جسداً، وأننا في عشاء الرب نقبل بكل حق جسد الكلمة، فكيف يمكن لأي إنسان أن يقول إنه لا يحل فينا؟ عندما صار جسداً أخذ على الدوام وعبر كل العصور وحقاً جسداً ووحيد حقيقة جسده بحقيقة ألوهيته في سر جسده الذي تناوله. هذا هو سبب وحدتنا؛ لأن الآب في المسيح والمسيح فينا. لذلك، كل من ينكر أن الآب حقاً في المسيح سوف ينكر أولاً أنه ليس حقاً في المسيح، أو أن المسيح ليس حقاً فيه؛ لأن الذي يجعلنا واحداً في الآب والابن هي حقيقة أن الآب في المسيح والمسيح فينا" (الثالوث كتاب ٢: فصل ٢٤).

ولنا عودة مع باقي الاتهامات، ومرحباً بكل اتهام مهما كان لأن من يدخل عرين الأسود (الآباء) لا بُد له وأن يكون أسداً، وإلا أكلته الأسود.

وها أنا أكرر دعوتي إلى حوارٍ مفتوح أمام شعب الكنيسة، لا أمام أي جهة أخرى؛ لأننا لا نريد أن نجل عاراً على الكنيسة، يكفي ما يلحق بنا كل يوم من

شتائم تأتي من كل جهة تحاول النيل من أم الشهداء.
أدعو بالغفران للجميع، ولكن ليعلم الجميع أن التاريخ لا يغفر، لأن الكل
سوف يقف يوماً أمام محكمة التاريخ.

يسوع التاريخ،

حوارٌ مع تراثنا الآبائي^(١)

ماذا نتعلم من الهرطقات القديمة؟

هذه السطور ليست رداً على أحد معين، ولكنها ملاحظات عامة على مسح شامل لما أسمع وما أقرأ وما يدور من حوار، ليس فقط على موقع الدراسات القبطية، ولكن على مواقع أخرى، وما يصلني من إصدارات قبطية في السنوات الماضية.

فصل التاريخ عن الإيمان في مدارس الغنوسية:

كراهية الجسد واعتبار العالم المادي المنظور هو خلق الإله الشرير (إله العهد القديم) جعل الغنوصيون يضعون المعرفة قبل الإيمان، بل وأن تصبح بديلاً للإيمان، ومن هنا جاء الاسم اليوناني "الغنوصية" أو "العرفانية" حسب ترجمة أستاذنا د. باهور لبيب.

ويسوع -لدى الغنوصيين- هو الإنسان المولود الذي تحول إلى روح في معموديته وصار المسيح، وبذلك لم يعد للأناجيل كلها قيمة، لذلك حذف الغنوصيون أناجيل متى - مرقس - لوقا، ونشروا نسخة معدلة من إنجيل يوحنا، كما رفضوا كل رسائل بولس ما عدا رومية وغلاطية باعتبار أنها ضد إله العهد القديم الإله الشرير خالق العالم المادي.

لم نسمع عن تجمعات غنوصية بعد نهاية القرن الثالث؛ لأن هؤلاء "المناكيد" رفضوا الزواج واعتبروه شراً، وأدّى ذلك إلى تقلص وجودهم البشري. لكن الأفكار لم تمت. فقد ظلَّ يسوع مزعجاً جداً لكل من يكره الجسد، ولم يكن هؤلاء من خارج

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٩ إبريل ٢٠١٤.

الجماعة المسيحية، بل من داخل الكنيسة مثل أوطاخي ونسطور، وإذا كان الأول قد أذاب الناسوت في اللاهوت لأنه يكره الناسوت، فالثاني قاوم الاتحاد بكل ما يملك من فصاحة وبلاغة وقدرة شيطانية على اللعب بكلمات الأسفار المقدسة.

كما دخلت الغنوصية في النسك أيضاً، وقد تمثل ذلك في الهرب من الجسد واعتباره "العدو" أو "الخصم"، وفي اعتبار أن عدم الزواج أرفع شأنًا من الزواج، بل وفي العودة إلى فرائض الشريعة الخاصة بالجسد من اغتسالات وعلاقات إنسانية مثل الزواج لتأكيد "دونية" الزواج؛ لأن "الجسد" حقيرٌ وديءٌ، مع أن الأرثوذكسية الحقّة تؤكد أن خلاصنا تم بواسطة الجسد الذي اتحد به الله الكلمة، وأنه، أي الجسد هبة المحبة في الإفحارستيا.

إن يسوع التاريخ هو المولود في بيت لحم، الذي بدون ولادته، لا ولادة لنا من فوق. الولادة من مريم البتول حدثٌ تاريخي، ولكنه أدخل الألوهة في التاريخ، وجعل للجنس البشري بدايةً جديدة في "آدم الأخير" أو "الثاني".

الاسم والوظيفة

* فقد وُلِدَ لكي نولد نحن. وُلِدَ من الروح القدس لكي نولد نحن من الآب، ويبقى اسم يسوع حسب (فيلي ٢: ٦) "لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة (في العالم المنظور وغير المنظور) ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربُّ مجد الله الآب" (راجع فيلي ٢: ١١). ولعلنا نلاحظ أن الابن له المجد لم يسمى المسيح، بل "يسوع" (متى ١: ٢١)، واسم "يسوع" هو الاسم الذي يحوي تاريخ الخلاص، بل هو جوهر البشارة؛ "لأنه يخلص شعبه من خطاياهم". وقد نال يسوع المسحة في الأردن، فدُعي "المسيح"، وهو لقبٌ خاصٌ بالوظيفة، فهو ليس اسماً شخصياً، ولكنه صار لقباً يضاف مع الاسم الشخصي، فصار يسوع هو المسيح - ليس حسب ادعاء الغنوصية، بل حسب تدبير الخلاص - لكي يُشرك الروح القدس، روح الآب في تدبير الخلاص؛ لكي تُمسح نحن مثله بذات المسحة وندعى لذلك

السبب "مسحاء" أو "مسيحيين"؛ لأننا مسيحيون حسب تعبير رسول المسيح يوحنا: "المسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم" (١ يوحنا ٢: ٢٧). بل عندما يقول بولس: "ليس أحد يقدر أن يقول يسوع هو الرب إلا بالروح القدس" (١ كو ١٢: ٣)، عندئذٍ يكون النطق بالاسم التاريخي هو شهادة الروح القدس ليسوع، ولذلك يمسخنا روح يسوع لكي نعترف به رباً، وبذلك تتم مسحته وتكمل فينا.

الجسد والقيامة

* وقد صُلبَ الرب يسوع بالجسد لكي في جسده المولود من البتول يسحق الموت، وهو ذات الجسد الذي قام، فلا قيامة إذا كان الجسد قد اختفى، أو ذاب في اللاهوت، أو فسد في القبر. لا قيامة إلا بالجسد، وأي حديث عن القيامة هو حديث عن الجسد، وهذا ما لا يقبله الهرطقة جميعاً؛ لأن تحول جسد يسوع إلى روح، هو ما يريح الضمائر المتعبة من الجسد، والتي لا تسعى من أجل تحلي الجسد لكي يكون حسب جسد يسوع؛ لذا يُعد تعبير الرسول بولس: "جسد مجده" (فيلي ٣: ٢١)، تعبير صادم للهرطقة الغنوصيين؛ لأن هذا الجسد هو ذات الجسد الذي سوف تتغير نحن لنكون على صورته.

الكنيسة جسد المسيح

* الكنيسة جسد يسوع التاريخي؛ لأننا أخوة يسوع بالجسد وبالروح: بالجسد؛ لأننا وُلدنا من جديد، وبالروح؛ لأننا بالولادة الجديدة من فوق في المعمودية والمسحة قد دخلنا الواقع الجديد، واقع "الخلقة الجديدة" (٢ كو ٥: ١٧)، ويبقى اللحم والدم هو لحم ودم يسوع؛ "لأننا من لحمه وعظامه" (أفسس ٥: ٣٠)، وهي الحقيقة التي لا يريد أحد أن يجاهر بها بنفس قوة النعمة والتجديد، خوفاً من انهيار سلطان كهنوتي نشأ على حساب نعمة وعمل الثالوث القدوس نفسه.

الهجوم الإنجيلي المعاصر على السرائر، لا سيما الإفخارستيا:

هذا الهجوم هو هجومٌ جهلٍ، وهو بعثٌ لغنوصية جديدة؛ لأنه يركز على قبول المسيح كفكرة وعقيدة في العقل، ويقف القبول عند ذلك. وفصل رأس الكنيسة عن الأعضاء هو فصلٌ أتاح للوعاظ أن يصبح هو الرأس الذي يقود الجماعة؛ لأن العلاقة الإلهية - الإنسانية للمتجسد، تحوّلت إلى نظام عقلي يدور في دائرة التعليم والتشديد على الوعظ، وانعدام ممارسة عشاء الرب، بل والسخرية منه، واعتبار أن الذكرى عقلية محضة، وأن الخبز والخمر يتحول في الإنسان عندما يتناول. وهكذا استُبعدَ عمل الروح القدس الذي كوّن إنسانية المسيح ومسحه في الأردن وقدمه للآب (عب ٩: ١٣ - ١٤)، بل وأقامه من الأموات (رو ٨: ١١).

هذه الغنوصية لا تضع قوة الاتحاد في النعمة، بل في قراءة الأسفار والصلاة والانشغال الفكري. هذه أمورٌ جديدة، ولكن تبدى خطورتها في أن انعدام المواجهة والشركة في الحياة الإلهية، يحول كل هؤلاء إلى موعوظين، لم ينالوا بعد الولادة من فوق - أي الولادة في المعمودية. ومن لا يولد من المعمودية يكون قد وُلِدَ نفسه بإرادته وتوبته هو، وُلِدَ من كيانه ولم يولد من الله. هذا لا ينفي التوبة والإيمان، لكن التوبة هي دعوة لشركة كيانية في المسيح، والإيمان هو تناول الرب والاشتراك في أقنومه الإلهي المتجسد.

هكذا عادت الغنوصية باسم جديد.

الشخص والاسم، والحقيقة الأبدية:

جاءت الأريوسية، ومن بعدها الأنومية باختراع جديد، وهو يعود أصلاً إلى فكرة أرسطو عن أن اختلاف الأسماء يعني بالضرورة اختلاف الطبائع، فكل اسم يدل على طبيعة؛ لأن اسم الحصان أو الأسد أو الحمار أو الماء هذه أسماء تدل على طبائع مختلفة .. من هنا جاءت الأريوسية أولاً لتقول إن اسم الآب ليس هو اسم الابن. فكيف يكون للآب والابن طبيعة واحدة إلهية طالما أن الأسماء اختلفت؟ هذه زاوية علوم الطبيعة، وهي نظامٌ جديد يحدد ملامح

الموجودات من أجل فهم كل الكائنات، لكن هل هذا النظام العقلي ينطبق على الثالوث؟ بكل تأكيد لا، ليس لأن الله فوق كل الطبائع فقط، بل أيضاً لأن الله هو خالق النظام نفسه، فهو لا يخضع لذات النظام؛ لأن النظام خاص بالعالم المادي المنظور، وهو نظام "معرفي" خاص بما هو منظور.

جاء رد الآباء على ذلك من ذات فلسفة أرسطو، بأن الآب لا يكون الآب الحقيقي بدون الابن، لأن الاسماء تحدد أيضاً علاقات، فلا وجود للآب بدون الابن، فاسم الآب والابن هو اسم علاقة في الثالوث، ولذلك لا يمكن فصل الآب عن الابن ... ولكن هل ماتت الهرطقة؟ بكل تأكيد لا، بل ظه رت تحت اسم عقيدة الفداء والكفارة، إذ تحول المسيح إلى "ثمن" يُدفع للآب؛ لأنه غريب، وله طبيعة غير طبيعة الآب، ولذلك هو يسترضي الآب، ويفدي الآب من غضبه، وبالتالي ضاعت العلاقة الثالوثية.

وجاءت الأنومية الجديدة باختراع اسماء بلا كيانات، أي أسماء ليس لها من الاسم سوى اللفظ، مثل: النعمة - الطاقة - القوة. وبكل أسفٍ، عندما يكتب أحد الأحباء عن الشخص الإفخارستي، أو المسيح الكاثوليكي الجامع، أو أيّاً ما يمكن أن يضاف من أسماء أخرى، فإننا يجب أن نكون على حذر، هل هذا اسمٌ له كيان، أم أنه مجرد نطق أو صوت بلا كيان؟ النعمة ليست اسماً فقط، بل هي عملٌ يعملُه الثالوث فينا، ولذلك، النعمة دائماً "معرفّة" مثل نعمة التبني، فهي ليست النعمة مجردة، وأيضاً نعمة الغفران - نعمة التبرير - نعمة التقديس الخ.

والحلل الموهبي، أو الحلل النعموي، أو أي اسم آخر، هل له كيان أو عمل، أم أنه مجرد نطق مثل إطلاق الأسماء على الأشخاص مثل كريم - أبو الكرم - وغيرها توصف بأنها "اسم الكنية"؟

لنكن على حذرٍ لئلا ندخل ذات النفق العقلي المظلم الذي شقه الهرطقة قبلنا، وإلاً وجدنا أمامنا:

١ - أسماء بلا كيان.

٢ - ألقاب تفصل الله الثالث عن الإنسان.

٣ - شرح عام، مثل النعمة دون تحديد.

٤ - التدرج من اختفاء يسوع اللحم والدم الذي يتجلى بقوة القيامة. إلى اختفاء مجد الإنسان الجديد الذي هو إنسان بمجد لحمه ودمه بقوة اللاهوت وبحياة اللاهوت، فصار في عدم فساد، وصار جسداً محيياً، انتهاءً إلى أن يصبح يسوع مجرد فكرة في رأس قائلها أو الواعظ بها.

٥ - إنكار تجسد ابن الله بشكل ظاهر، وحصر الفداء في مركزية موت الرب على الصليب، وكأن الاتحاد بنا في تجسده هو بلا قيمة، بينما جاء الصלב لكي يجعل هذا الاتحاد أبدياً؛ إذ رفع أول عائق وهو الموت، وثانٍ عائق وهو الفساد، إذ قام الابن بعدم فساد. كل هذا حدث في الجسد، فالصليب في الجسد، والقيامة هي قيامة الجسد .. هذه ثوابت لو زحزحها أحد، لتحولت المسيحية إلى ثقافة عقلية بلا مضمون، بلا واقع، بلا حياة، وصارت مذهباً أخلاقياً يجرر العقول، ولا يجرر كيان الإنسان من الموت، ولا يعطي له التجديد .. هل نحن سائرون في هذا النفق؟

٦ - يجب أن يبقى اسم "يسوع" وأن تبقى الإضافة "المسيح"؛ لأن الاسم هو الشخص، والإضافة هي الوظيفة أو العمل، ولا يمكن فصل الاسم عن الشخص، أو المسوح من الآب لأجلنا عن عمله؛ لأن "يسوع يخلص شعبه من خطاياهم".

مدارس الهرطقات القديمة ومنهج التفكير الانتقائي:

يجب الانتباه جيداً إلى أن اسم الهرطقة هو اسم يوناني الأصل والفعل اليوناني αἵρεω بمعنى يختار أو ينتقي، وقد ورد عدة مرات في العهد الجديد منها على سبيل المثال لا الحصر (فيلبي ١: ٢٢ - ٢ تس ٢: ١٣)، والاختيار عند فئة من الذين آمنوا مبني:

أولاً: على رفضٍ يؤدي إلى اختيار.

ثانياً: إنه اختيارٌ أجزاء معينة، وعناد وإصرار -في ذات الوقت- على رفض الكل. وذلك مثل اختيار الأيونية -وهي حركة تهود ظهرت في القرن الأول- لإنسانية المسيح ورفض ألوهيته، وحفظ يوم السبت وبقاء شريعة موسى.

ثالثاً: والاختيار والرفض ليس مبنياً على ما أُعلن، بل على خلفيات ثقافية ولغوية ودينية سابقة *Pre-Conceived* وتفرض هذه الأفكار المسبقة الواردة من الثقافة والخبرة الدينية السابقة رؤيا غير الرؤيا التي جاء بها تجسد ابن الله الكلمة. على سبيل المثال، المشكلة الكبرى التي ظهرت في خدمة الرسل، وهي انضمام بعض اليهود إلى الإيمان، ومحاولة فرض العادات اليهودية والممارسات الطقسية، بل والختان نفسه على الذين وصفهم سفر الأعمال بـ "الراجعين إلى الله من الأمم"، ولذلك عُقِدَ المجمع الرسولي الأول (راجع أع ص ١٥)، والذي حرر الأمم من الالتزام بشريعة موسى. هكذا جاءت الخبرة الدينية والأفكار المسبقة *Presupposed Ideas* بذلك الصراع الذي لم ينتهِ من الكنيسة طوال ٣٠٠ سنة.

الانتقاء هنا لأسباب مسبقة، أي سابقة على قبول الإيمان، وتفرض نفسها على الإيمان، أي التعليم نفسه، وتختار ما يلائم الخبرة القديمة وترفض ما يبدو متعارضاً معها.

فبسبب كراهية الجسد رفض ابوليناريوس -وهو من أكبر مثقفي عصره، حيث أعاد كتابة الترجمة السبعينية على غرار الشعر والأدب اليوناني القديم للتدريس في المدارس التي تتبع الكنيسة- ولكنه كان يرى التجسد اتحاد اللوغوس *Logos* الكلمة بالجسد فقط وبدون نفس إنسانية؛ لأن العقل الإنساني هو مصدر الشر، ولا يمكن أن يكون المتجسد صالحاً وبلا شر إذا وُجِدَ فيه عقل إنساني؛ لأن هذا يعرضه للخطية، وكأن وجود الفكر الإنساني الحر هو مشكلة لا يمكن أن يتغلب عليها الابن، أو أن إرادته الإنسانية النابعة من النفس والعقل يمكن أن تميل إلى الشر، ولذلك وجب الاستغناء عن الإرادة والعقل والنفس وكل

مكونات الحياة الإنسانية، وكأن البتر *Amputation* هو الحل.

وجاء اعتراض الآباء جميعاً، وحُكِمَ على التعليم في مجمع مكاني في الإسكندرية في عام ٣٦٢ حضره الأسقف البابا أناسيوس. ولذلك، فإن اتهام أناسيوس وكيرلس الكبير بقبول تعليم أبوليناريوس هو خطأ تاريخي لا يقع فيه إلا الصغار؛ لأن وجود مجمع مكاني رَفَضَ التعليم هو علامة فارقة لا يمكن تجاوزها. وقد جاء رد القديس غريغوريوس النيزينزي في عبارة موجزة: "ما لم يتخذه (الكلمة الابن) لم يُشَفَّ وما لم يتحد به لم يخلص" (الرسالة ١٠١).

مجمل الهرطقة، وهو جوهر كل الهرطقات:

يمكننا أن نلخص جوهر الهرطقات كلها في "الخلاص من الخارج"، أي العمل الذي يقوم به الابن المتجسد خارج إنسانيته هو، أي إنسانيته الذاتية الخاصة به؛ لأنه عمل يتم خارج ما هو إنساني ... أما الأرثوذكسية، فهي الخلاص والشفاء ورد الحياة بالاتحاد. هي خلاصٌ من الداخل، أي شفاء الأمراض، وإقامة الموتى، غفران الخطايا (تحرير الطبيعة الانسانية)، كل هذا يتم في الإنسان. أمّا من الداخل، فهو يعني القضاء على الموت في إنسانية يسوع التاريخ نفسه؛ لكي يبقى يسوع التاريخ هو الحياة الغالبة في الإنسانية التي أخذها من البتول.

كل الهرطقة الذين انكروا التجسد وجدوا في العودة إلى الشريعة (الأيونية) طريق الخلاص - خلاص بدون المسيح.

إنكار ألوهية المخلص (الأريوسية)؛ لأن الخلاص هو تقدُّم أخلاقي، روماني - يوناني، حسب مقاييس الشهامة والرجولة والأخلاق النبيلة السائدة في المجتمع الروماني اليوناني في الإمبراطورية. وقد عاد إلى هذه المقولة الإمبراطور يوليانيوس الجاحد الذي أراد أن يبعث الوثنية بعد أن كادت تلفظ أنفاسها.

ويجب ضم الغنوصية إلى الأريوسية؛ لأن الخلاص بالمعرفة يعني عدم حاجة

الإنسان إلى الوحي أو مخلص، بل إلى طريق النُسك والتأمل الذي يدخله الإنسان بقدراته الروحية.

ولا يوجد فرق جوهري بين كل مدارس الغنوصية وكل المهرطقات؛ لأن القاعدة العامة التي تجمع الكل هي كراهية الجسد التي تثمر بعد ذلك عند أهم ثلاثة من قادة كراهية الجسد: أبوليناريوس - أوطاخي - نسطور، وإن كان نسطور قد رفض الاتحاد لأسباب فلسفية بحتة، بسبب معرفته بفلسفة أرسطو التي فرضها على اللاهوت، إلا أن النتيجة هي واحدة، سواء ذاب الناسوت في اللاهوت، أو انفصل الناسوت عن اللاهوت، فالواقع هو أنه لا يوجد لدينا مخلص هو إله متجسد.

الخلاص، كعملٍ خارج إنسانية الرب نفسه:

إن رفض التجسد يظهر في كيفية قبول التجسد والمتجسد ذاته، أي الرب نفسه، وهذا ما نراه عبر سنوات امتدت من العصر الرسولي، بل ابتداءً من رفض بطرس لصليب يسوع: "حاشاك يا رب" إلى العصر الحديث.

أولاً: تحول الصليب إلى "ثمنٍ" يُدفع للآب. وهي فكرة تجارية بحتة لا وجود لها في العهد الجديد، يدافع عنها باستماتة، بل وبعنف كل الذين سقطوا فريسة التجريد *Abstraction* أي تحول شخص المسيح يسوع إلى فكرة، وهي الثمن. ولم يسأل هؤلاء كيف يمكن لشخص أن يصبح ثمناً؟ وخلف هذا بكل تأكيد جهلٌ بمعنى الـ"فدية"؛ لأن عدم الإيمان بألوهية يسوع هي التي تجعل يسوع ثمناً، وكأنه ليس هو الخالق الذي يملك كل الكائنات، وأن تجسده لم يجعله يفقد ألوهيته.

ثانياً: والثنم يحول عمل المخلص والخلاص برمته إلى عملٍ خارج الحياة الإنسانية، ويوجّه العمل إلى الآب، وينسى -بحكم الفكرة التجارية- علاقة الروح القدس الذي "كوّن" ناسوت الرب ومسحه في الأردن وقدمه لنا "المسيح"، وبه، أي بالروح صُلب (عب ٩: ١٣-١٤)، وهو أيضاً الذي أقامه من الأموات (رو ٨: ١١).

وفقدان العلاقة الشخصية يخلع المعمودية من جذورها، لأن هذا لا يجعل منها صلب وموت ودفن وقيامة مع المسيح (رو ٦ : ١-٨)؛ لأن أصحاب هذه الفكرة التجارية يعثرون دائماً أمام قوة كلمات (رو ٦ : ١-٨).

ثالثاً: وإنكار التجسد والمتجسد يتم بشكل آخر، وهو فقدان الأهمية الأبدية والقصوى للاتحاد الأقنومي. اتحاد لا يقبل الانقسام ولا الامتزاج (السبيكة المعدنية التي يمتزج فيها معدن مع معدن آخر). ففي بطن العذراء، وفي مياه الأردن، وعلى الصليب، وفي القبر، يسوع هو الإله المتجسد؛ لأن الانفصال هو العدو الذي جاء يسوع ليقضي عليه؛ لأن الانفصال هو أحد ثمرات الموت.

وإنكار الاتحاد الأقنومي يعود أصلاً إلى الأريوسية، ثم النسطورية، ولكن الشكل الجديد، أي ذات الخط القديم الظاهر بوضوح في زماننا لإنكار الاتحاد الأقنومي، هو بكل يقين المجاهرة بالقول بتناول الناسوت وحده في الإفخارستيا. ونفس الإنكار يظهر أيضاً في تحول النعمة إلى فكرة مجردة *Abstract* أي إلى ما يشبه رضى الله بالإنسان، أو حتى في القول بأن التبرير هو إعلان براءة الإنسان. ولو قال هؤلاء إن براءة الإنسان هي في المسيح "لكان الانحراف أقل خطراً"؛ لأنه لا براءة ولا قبول ولا نعمة خارج المسيح.

الغنوصية في شكلها الحديث:

فصلت مدرسة فالنتيان^(١) يسوع الإنسان المادي عن المسيح الروح السمائي. واعتبرت أن هذا الفصل تم في المعمودية عندما اختفى ذلك الإنسان، وحلّ مكانه المسيح الكائن الروحي. أما بالنسبة للأرثوذكسية، فيسوع الإنسان هو الأساس الإلهي لكل ما نملك؛ لأن ما حدث في حياة يسوع الإنسان هو ينابيع الخلاص التي تأتي من اللاهوت نفسه، والذي يحول الناسوت منذ الحبل إلى الصعود، تحولاً

(١) حسب العلامة ترتليان، كان Valentinus (حوالي ١٠٠-١٦٠) هو أحد المرشحين لأسقفية روما.. كان له مدرسة في الاسكندرية واستقر بعد ذلك في قبرص. يُعدُّ انجيل الحق الذي اكتشف في نجع حمادي، وهو من مؤلفات القرن الثالث، وأشار اليه القديس إيريناوس (ضد المهرطقات ٣ : ١١ و ٢٩) هو الوثيقة الغنوصية التي كشفت عن كراهية الجسد ونبذ يسوع كإنسان كامل الإنسانية.

كيانياً من الموت إلى الخلود، ومن الضعف إلى القوة، ومن اعتماد الحياة الإنسانية على الطعام والماء والهواء والملابس والنوم، إلى الحياة الانسانية المتأهّلة السمائية التي تبدأ بالقيامة وتنال الجسد الإلهي بالصعود. فقبل القيامة كان الجسد قابلاً للموت، ونزف دماً على الصليب وتعب وعرق في البستان، بل وبكى (عب ٥: ٧)، ولكنه بعد أن قام صار عديم الألم ويعطي الحياة ويمنح الشفاء، ويجود بالخلود لكل من يتحد به في السرائر.

أنكرت الغنوصية يسوع التاريخ من أجل مسيح السماء، وأنكرت إنسانيته، فتحول الخلاص إلى هروب إلى عالم فكري نفسي، لا تجديد الكيان ذات التجديد الذي تم كاملاً في يسوع لكي يُنقل إلينا كاملاً ويُستعلن كماله في اليوم الأخير.

فما هو الشكل والمضمون الغنوصي المعاصر لنا؟

أولاً: هو كل دعوة تنادي بالتجديد الأخلاقي الذي لا علاقة له بالتحول الكياني في التائبين والراجعين إلى شركتنا في الثلاث، وإلى اعتبار السلوك الجديد: عدم الكذب - العفة .. الخ، وهو أمرٌ جيد جداً، ولكنه ليس الحياة المسيحية الحقيقية التي يتحول فيها الكيان من العبودية إلى "حرية أولاد الله"، أي حياة شركة كيانية في المسيح يسوع نفسه^(١) أما عنصر الشركة الواضح مع الغنوصية، فهو المجال الفكري والنفساني الذي يُسمى "روحاني"، وهو ليس له علاقة بالمرّة بما هو "روحاني"؛ لأن الروحاني أو "الروحي" ليس هو الأخلاقي، بل الامتلاء من الروح القدس.

ثانياً: هو التعليم السائد الذي حوّل شخص أقنوم الله الكلمة إلى فكرة يقبلها العقل. والقبول العقلي مطلوب؛ لأنه بداية الاتحاد بالشخص، لكن المواجهة ليست مع تعليم عن يسوع، بل هي مع يسوع الإله المتجسد الكائن معنا وفينا. "ومعنا" ليست حقيقة أخرى مختلفة عن "فينا"؛ لأنه كاملاً سرّياً في كل مؤمن حتى وإن كانت حياته بلا فاعلية؛ لأن حياته تسري فعلاً وبكل حق في كل

(١) راجع دراستنا بعنوان: الكنيسة جسد المسيح، المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٤ - منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

من نال سر الحميم الجديد، ومُسيح بمسحة يسوع أي الميرون. ولذلك، عندما تنطلق التراتيل التي تدور كلها حول يسوع الذي صُلب ودفع الديون، أو طفل المزود، وغيرها من نفاية عصور الانحطاط الروحي الذي جاءت به حركات النهضة التي دخلت بلادنا^(١) فإن الإنسان يدخل مجالاً عقلياً نفسانياً يدور فيه لسنوات إلى أن يصحو يوماً ويكتشف أن يسوع ليس في السماء فقط، بل فيه هو أيضاً، ذلك لأن الغنوصية الحديثة هي فصل الروح عن الجسد، وتحول المسيحية إلى دعوة فكرية أخلاقية.

تمييز الهرطقات في الأصولية المعاصرة:

١- هل نحن بعيدين تماماً عن دعوة اليهود؟ أليست كل دعوة للإبقاء على ما ورد في العهد القديم، لا سيما شرائع التطهيرات الجسدية هو ذات جوهر الأبيونية. إذا كان لنا تطهير آخر غير ذلك التطهير الذي يُعطى بالروح القدس، وبالشركة في الجسد والدم في الإفخارستيا .. ألا نكون عندئذٍ من أتباع حركة اليهود؟

٢- هل نكون تجاوزنا الغنوصية؟ إذا ظل الجسد عندنا هو مصدر الشر؟ بل وعندما يتمسك البعض بخطيئة وقع فيه القديس أوغسطينوس، وهو انتقال الخطية بالوراثة، وهو ذات مذهب ماني ومدارس الغنوصية، ويفرض هذا الخطأ على أنه الأرثوذكسية، ألم نعد إلى ذات عقلية القرون الأولى؟ وإذا أصر هؤلاء على أن الخطية فعلٌ يورث، ألا يسير هذا في ذات اتجاه تجريم الجسد؟

٣- وعندما يحاصر ربّ التاريخ في حدثٍ واحدٍ، وهو الصلب، ويصبح صلب المسيح هو أساس الخلاص، ونترك التجسد، أي اتحاد اللاهوت بالإنسانية - القيامة - الصعود، ألا يؤدي فرض الحصار على يسوع بأنه صلب منذ ألفي عام إلى اعتبار الصلب والمصلوب فكرة غيبية لا حضور حقيقياً لها في الواقع، وبذلك تغيب عنا إنسانية يسوع الحاضرة والحية معنا وفينا لأنها إنسانية الإله الذي

(١) سمعت مرةً صمويل دكتوريل ينزل قائلاً: يا اخوتي يوم الحساب تبكي الجبال والهضاب لأنه يوم العقاب ... الخ!!

جاء لكي يوحدنا بالآب وبالروح القدس؟

٤- ومهما قيل دفاعاً عن الحلول المواهبي بكل ما في اللغة من حيلٍ وتدليس .. أليس هذا التعليم هو إنكار حلول الله فينا، وحلول الله فينا هو امتداد للتجسد؛ لأن "ملء اللاهوت يحل فيه وأنتم مملؤون فيه" (كولوسي ٢: ٩-١٠)؟ أليس هذا محاولة لإنكار التجسد نفسه الذي فتح لنا الاتحاد بالله؟

بكلِّ أَلْمِ كتبتُ هذه السطور؛ لأن الانهيار في التعليم واضح لمن عاش الحياة الليتورجية. ورغم جمال وعظمة دراسة د. مارك شنودة: الإفخارستيا سر الحياة، إلّا أن الحياة انقسمت إلى - حياة شكر - حياة فصحية - حياة إيمان - حياة صلاة - حياة شركة ... فكم حياة لنا؟ عملٌ عظيم، مبشّرٌ بالخلاص، ولكن التقسيم أعادنا إلى العصر الوسيط، ودراسة أعظم ما صدر بالعربية ولكنها تحتاج إلى ربط يجعل الحياة واحدة مركزها يسوع وقوتها الروح القدس، وهو ما سيعجز عنه القارئ ويدركه الدارسون.

الأمية الأرثوذكسية وفقدان التمييز^(١)

لم أندش بالمرة على تعليق بعض "الظرفاء" بأنه من المحال أن يكون ١٢٠ أسقفاً قد أخطأوا في قرار منع كتاب "أقوال مضيئة". ففي وعي هؤلاء الظرفاء تستقر "الأمية" التي لم تدرس التاريخ الكنسي، فقد رفضت كنيسة مصر، ومعها كنيسة سوريا، ثم بعد ذلك كنيسة أرمينية مجمع ٤٥١م الذي حضره ٥٠٠ أسقف. لا يدرك هؤلاء أن العبرة ليست في العدد؛ لأن العدد لم يكن -حتى في تعليم الرب يسوع المسيح نفسه- له القيمة التي نالها في الأنظمة السياسية، فقد قال مخلصنا: "لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت". العدد هاجسٌ عند الاحتكام للشعب، ولكن المرجعية في الأرثوذكسية ليست في عدد البشر، بل هي أولاً: التسليم الكنسي -الذي تحفظه صلوات الكنيسة، وهو الممارسة اليومية والأسبوعية على مدار السنة- لكل ما نؤمن به. وثانياً: هو شهادة موثقة في المجامع المسكونية والمكانية، وفي كتابات الآباء التي قبلتها الكنيسة الجامعة؛ لأنها شرحٌ للإيمان الرسولي، تشهد له، ليس النصوص وحدها، بل الممارسة أيضاً.

وفي ضوء ما تقدم، يثور السؤال: هل كان كتاب "أقوال مضيئة" ضد التسليم الكنسي أو يناقضه حتى يمنعه؟ والكتاب هو عبارة عن فقرات كاملة من الآباء: أنثاسيوس -كيرلس الكبير - ذهبي الفم - باسيلوس - النزينزي - النيسي - أغناطيوس الشهيد - إيريناوس - كيرلس الأورشليمي - الأنبا أنطونيوس الكبير .. الخ. وقد ذكرت الأسماء دون ترتيب، لعل وعي الذين أصيبوا بالعمى والذين غرقوا في اللاوعي فيفيقون. فقد قال باحث قبطي معاصر أن الأقباط قد أُصيبوا بغيوبة Coma وهم لذلك لا يفكرون كنسياً، بل يفكرون بكل أدوات ومصطلحات الثقافة المعاصرة، ثمرة الإعلام ووليدة النظام السياسي الذي خلقته ثورة ٢٣ يوليو، والتي جاءت بعد حل الأحزاب وتأميم الصحافة، بحركة إقصاء

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٦ ديسمبر ٢٠١٤.

وعزل، تسللت في كيان مصر، بل ودخلت إلى جسد الكنيسة نفسها، تراه دون أن تخطئ النظر في انتخابات البابا البطريرك بعد نياحة البابا يوساب الثاني، ثم بعد نياحة البابا كيرلس السادس.

لذلك كان من الطبيعي أن يجيء عضو نقابة الصحفيين ليقود معركة إعلامية ضد "خصومه"، ولبست هذه المعركة القميص القديم، قميص الهرطقة، ومن ثم دخلت مصطلحات "انحراف عن التعليم"، "نقل عن الكتب الغربية" ... إلخ وصار الصراع الإعلامي يسير في اتجاه التقسيم، إمّا أن تكون مع الأنبا شنودة، أو مع أبونا متى المسكين!!!

وقد حاولت بعد عودتي من البعثة الدراسية بجامعة كامبريدج - إنجلترا (١٩٦٥ - ١٩٧٠) أن أفهم ما هي الاتهامات العقائدية ضد الأب متى المسكين، ولكني لم أجد. فقط سمعت عبارات تقال من الأنبا شنودة عن كتب: العنصرة - الكنيسة الخالدة - الباركليت في حياة الناس. وكانت هذه العبارات رأياً شخصياً افتقر إلى التسليم الكنسي. فقد كان كل ما قاله وكتبه الأنبا شنودة، وسار في ركه الأنبا بيشوي، كان يفتقر تماماً إلى ما هو مودع في التسليم الكنسي، ولذلك لم يقدم لنا الأنبا شنودة طوال ٣٠ عاماً بحثاً آباءياً وقانونياً، أو حتى كتابياً عما يزعمه من هرطقات. تجد هذا مدوناً في كتاب بدع حديثة، وهو مجرد مقالات تعبر عن رأيه الشخصي بلا مرجعية كنسية بالمرة.

للحقيقة والتاريخ، طلب مني القمص متى المسكين عدم الرد على الكتاب، وقال إنه (يقصد الأنبا شنودة) سوف يتطرق أكثر، وسوف نقع في مشاكل أكبر، ووعدت بعدم الرد طالما كان هو على قيد الحياة.

وقد جاء الاتهام بالنقل من كتب غربية، فزاعاً تعمل بكفاءة في وسط "الأميين"، ولكن أحداً لم يكتب اسم كتاب واحد غربي نقل عنه الأب متى أو غيره.

كما كانت المحاكمات، ليست فقط غيابية، بل إعلامية لكي لا يعرف الشعب الحقيقة. وسكت الشرفاء من الأساقفة، وهم لا زالوا في حالة الصمت. ولذلك لم يُنشر قرارٌ مكتوب.

بين حرق مكتبة الإسكندرية وحرق مؤلفات القمص متى المسكين

أذكرُ القراءَ الظرفاء بأن الذي أشعل النار في مكتبة الإسكندرية ترك خليفةً له هو الذي أشعل النار في كتب الأب متى المسكين أمام المقر البابوي. ذات العقلية الأمية التي تكره الفكر، وتطارد التراث الإنساني بالنار وبالتحريم. نفس الجريمة، وإن كانت في دائرة أقل من دائرة مأساة مكتبة الإسكندرية.

إن ما خسرناه حقاً، هو أننا لم نتعلم التمييز، وهو أعظم فضائل الأرثوذكسية، تلك الفضيلة التي أبرزها أنطونيوس الكبير في مؤتمر عُقِدَ سنة ٣٦٠م حسب رواية يوحنا كاسيان (الحوار مع الأبّا موسى - طبعة ١٩٨٥ ص ٦١-٦٣)، وقد استمر الحوار طول الليل لكي ينهيهِ العظيم حقاً أنطونيوس بأن كل ما قيل هو جيد، ولكن أعظم الفضائل هي "الإفراز" *Discernment* لأن الصلاة والمحبة ودراسة الأسفار والصوم كلها تحتاج إلى إفراز.

لكن يبدو أنه كان ضرورياً إغراق الكنيسة في "العمى الروحي"، وبذلك يتم فينا قول الرب إن الذين لا عيون لهم سوف يبصرون؛ لأنهم استناروا، والذين لهم عيون لا يبصرون؛ لأن الضلال قد أعمى عيونهم. أيُّ ضلالٍ هذا؟

أولاً: ضلالُ التشيُّع، حيث أنت مع أو ضد، وبذلك ضاعت وحدة الكنيسة الجسد الواحد الذي لا يوجد فيه عضو مع عضو وعضو ضد عضو (١ كو ص ١٢ كله).

ثانياً: كان الابتعاد عن الهوية الكنسية، بل تدمير هذه الهوية الكنسية مطلوباً؛ لكي تنمو الزعامة على رقاب عبيد الزعيم. وأنا أتكلم عن هوية المسيحي باعتباره "ابن الله"، وهكذا قيل إنها بنوة شرفية ليس لها علاقة بحياة الآب. تجدون ذلك مدوّنًا في كتب الأنبا شنودة وتسمعون في محاضراته ومن هنا جاءت الحرب الشرسة على الشركة في الحياة الإلهية، وشُكِب في سبيل ذلك ما سُكِب من حبر.. فضاعت أبدية أعضاء الكنيسة.. وضاعت القيامة والخلود، وضاعت سُكنى الروح القدس في المؤمنين، وتحولت هذه السكنى إلى مواهب زمانية.

ثالثاً: بل امتدت يدُ الشرِّ إلى الإفخارستيا، جسد الرب ودمه، فصارت الإفخارستيا هي ناسوت المسيح وحده .. نسطورية زاعقة ..

وبعد. هل سكت ١٢٠ أسقفاً على نسطورية الأنبا شنودة الثالث؟

نعم سكتوا، ولذلك جاءت سحابة فصل الجواهر والأقنوم عن الطاقة والقوة، تلك الغيمة التي نشرها الأنبا بيشوي في سماء التعليم المعاصر، فكشفت وفضحت عورة هذا التعليم.

الحلول الأقنومي ...

عدوٌ مزعوم، ومعارك مختلقة^(١)

يخوض الأنبا بيشوي معارك لا تدور إلا في خياله، ولذلك، يَخْتَلِقُ أعداء افتراضيين لا وجود لهم. ففي مقاله عن الحلول الأقنومي المنشور بمجلة الكرازة – ٢ يناير ٢٠١٥ يصطنع موقفاً لمن أسماهم (البعض)، لكي ينفيه، وكأننا فعلاً بصدد موقف حقيقي، في حين أنه وهمٌ من الوهم.

وهنا يبدو أنه لا زال لدينا طريقٌ طويل مع الذين درسوا اللاهوت دراسةً منزلية. فهؤلاء بلا شك هم أحد الهموم التي تثقل كاهل أم الشهداء، والذي قد يظل معنا إلى سنوات كثيرة.

مشكلة الأنبا بيشوي الأولى هي أن نيافته لم يدرس اللاهوت دراسةً منتظمة في معهد لاهوتي معتبر، وبالرغم من ذلك يتجاسر على تقديم فتاوى يقصد منها بث الرعب، وخلق اتهامات باطلة؛ عليها تصب في عقول الجاهل من الرعاع، فلا يحصد منها إلا مُرُّ الثمار.

ففي هذا المقال يَخْتَلِقُ المطران معركة لا وجود لها على أرض الواقع، حيث يقول:

"فلا الروح القدس تجسد ولا اتحد أقنومياً بالناسوت مثلما اتحد أقنوم الكلمة".

في حين أن المطران لا يستطيع أن ينسب هذا القول لعادل واحد قال هذا الكلام، حتى ينفيه، لذلك من الواضح أنه يَخْتَلِقُ هذا الكلام، فقط لكي يفتح باب الاتهام!!

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في يناير ٢٠١٥.

ومشكلة المطران الثانية هي أنه لا يكتفي باختلاق المعارك، ولكنه يصصر على أن يتوهم أن هناك أعداء أسماهم بـ (البعض)، دون أن يُفصِّح عنهم، فتجده يقول: "فإذا قال البعض إن الروح القدس قد حلَّ" "حلولاً أقتومياً" على العذراء، فهو لا يقصد أنه اتحد بالناسوت "اتحاداً أقتومياً"، بل أن أقتوم الروح القدس له دوره في التجسد الإلهي ... ولكنه هو نفسه لم يتجسد".

هذا رائع يا نيافة المطران، ولكن هذه الهواجس لم يكتبها قبطي واحد طوال عصر أم الشهداء، فمن هم هؤلاء البعض الذين أنطقتهم هذا الكلام؟

ونظراً لأن الدراسة المنزلية لها تبعاتها، نجده بعد ذلك يقع أسيراً لتعليم أستاذه (الأبنا شنودة الثالث) عن الحلول المواهبي، وهذه هي كلماته هو: "أمّا عن حلول الروح القدس في يوم الخمسين، فإننا نفضّل أن نقول إنه "حلول مواهب" مع أن الذي حلّ هو أقتوم الروح القدس بلا شك، إلّا أننا لا نفضّل أن نسميه حلولاً أقتومياً لئلا يتمادى أحد - كما يفعل البعض - ويعتبرونه اتحاداً "أقتومياً" وكأننا صرنا آلهة وكل منا هو الروح القدس".

وهنا يبدو أن هاجس الأوطاخية ملأ قلب المطران وسيطر على عواطفه، مما دعاه إلى مغادرة واقع الأمور إلى توهّمات لم تقم إلّا في ذهنه هو، وإلّا فليقل لنا:

١- مَنْ هم هؤلاء الذين يفضّلون تعبير "حلول مواهب"؟ في حين أننا لم نسمع هذا التعبير إلّا من حفنة من أساقفة الأنبا شنودة الثالث، أما الأساقفة الأرثوذكسيون، فإنهم عندما يصلّون صلاة الساعة الثالثة من الأجبية، لا يفضّلون طلب حلول مواهب، بل طلب حلول الروح القدس الملك السمائي، وهو هنا حتماً، الأقتوم.

٢- وَمَنْ هم هؤلاء الذين تمادوا واعتبروا هذا الحلول اتحاداً أقتومياً؟ فلتعلم نيافتكم أن الغمز واللمز في الأمور اللاهوتية هو عملٌ لا يليق إلّا بمهذار أو مدع أو جاهل. لذا عليك أن تذكر أسماء هؤلاء، وأن تقدم أدلة، وأن تقدم الرد عليها، أمّا التماذي في أسلوب نشر سحب الضباب على التعليم، فهو هدمٌ صريح للأرثوذكسية.

٣- وثمة مسألة أخطر بكثير. يقول المطران: "كما يفعل البعض ويعتبرونه اتحاداً أقنومياً، وكأننا صرنا آلهة، وكل منا هو الروح القدس". فأن يقول كلُّ منا "هو الروح القدس"، فهو ما لا يتصوره عقل، وإلاَّ فليقل لنا نيافته صراحةً مَنْ ذا الذي قال عن نفسه إنه هو الروح القدس وتمادى إلى هذا الحد الجنوني؟ نحن نؤكد أن نيافته لن يمكنه أن يجيب على هذا السؤال؛ لأن هذا الادعاء محض خيالٍ جامع للمطران.

أما وإننا صرنا آلهة، فذلك هو تعبير الأسفار المقدسة في مزمو ٨٢: ١ وهو ما ورد على لسان رب المجد يسوع المسيح نفسه (يوحنا ١٠: ٣٤)، وعند الآباء، فإذا ما أنكره، فليس ذلك إلاَّ لأنه يخاف من تعبير الكتاب المقدس نفسه؛ لأن هذا يحد من سلطانه المدَّعى.

بقيت المشكلة الأكبر للرجل الثاني بعد قداسة البابا شنودة الثالث كما كان يطلق على نفسه هذا اللقب الأجوف الذي بلا معنى، ألا وهي أن يجد إجابات أرثوذكسية على هذه الأسئلة:

١- هل نحن لنا شركة في المواهب بدون الروح القدس نفسه، أي شركة مواهب بدون الأقنوم؟ أرجو أن يجيء ردك صريحاً بلا لف ولا دوران، ولن أضع أمامك ماذا تعني الشركة في المواهب بدون الأقنوم الثاني؟

٢- هل شركتنا في الروح القدس هي شركة أبدية (٢ كو ١٣: ١٤)؟ وكيف يمكن مصالحة ذلك مع المواهب التي ليست كلها أبدية؟

٣- وحيث أنك استندت إلى كلمات الرب في (يو ١٤: ١٦) عن مكوث الروح القدس معنا إلى الأبد، فهل يعطيك الروح القدس الأقنوم "الفاعل في الأسرار الكنسية" جسد ودم الأقنوم الثاني ربنا يسوع المسيح، أم يعطي لك مواهب؟ أليس هو الذي يحول الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه، وهو لذلك يعطي لنا الابن المتجسد، وذلك غير المواهب تماماً؟

بقى جانباً آخر، هو أخطر ما يمكن أن يُقال عن المسيحية، وهو إذا كان لنا اتحاداً بالثالوث، أي اتحاداً حقيقياً، فهذا الاتحاد الحقيقي لا يمكن أن يكون بواسطة مواهب. أما وقد حَلَّت المواهب في فكر الأنبا بيشوي محل الأَقنوم، وهو ما جعله يفضِّل تعبير "الحلول المواهي"، فليعلم أن ذلك تعليمٌ غريب، بل وشيطاني؛ لأن السؤال الذي يتوجب عليه أن يُجيب عنه: هل نعمة الحياة الأبدية هي حياة أخرى غير حياة الله نفسه "العظيم الأبدي"؟

هكذا إذن يعث المطران، ويختلق عبارات جوفاء ويلف ويدور ويدّعي على (البعض) ما لم يقولوه، وليس ذلك إلاّ تعبيراً عن هواجس هراطقة: أولها هرطقة أوطاخي الذي تخيل أن اللاهوت أذاب الناسوت مثل قطرة عسل في بحر من الماء، وثانيها خيال كل الأريوسيين الذين قدموا مدرسة انفصال الثالوث عن المؤمنين باعتبار أن حلول الثالوث فينا غير جائز، ولذلك جاءت الأريوسية الجديدة لتقول إنها تفضِّل الحلول المواهي، دون مرجعية لهذا التفصيل!!!

على أن ما يُحمَدُ للمطران في هذا المقال هو تراجعهُ عن استخدام اسم "روح قدس" إلى "الروح القدس"^(١)، فهذا تراجعٌ جيد، بل ومطلوب ولكنه لم يستطع أن يتخلص من شبح الأوطاخية القابع في وعيه، ولذلك يُصر على بث الرعب في قلوب المؤمنين بتحولهم إلى آلهة، إذا استخدموا هذا التعبير أو ذاك. هذا الشبح يمنعه هو نفسه من أن يستوعب أن ناسوت الرب نفسه لم يتحول إلى لاهوت، فكيف يحدث للمؤمنين ما لم يحدث في جسد الرب نفسه؟

ولكن، حسب الترتيب الكنسي:

- الروح القدس حلَّ على البتول؛ لكي يكوّن جسد الرب.
- الروح القدس حلَّ على الابن المتجسد؛ لكي ننال مسحةً فيه.
- الروح القدس حلَّ في يوم العنصرة؛ لكي ننال مواهب الخدمة، ولكي تُبني الكنيسة.

(١) راجع بحثنا بعنوان: أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال، منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

- الروح القدس يخلُّ على مياه المعمودية؛ لكي نولد من الماء والروح.
- الروح القدس يعطى في مسحة الميرون؛ لكي نصير هيكل الله، ويسكن
فينا الثالوث، ولذلك كلمة الرب يسوع في (يوحنا ١٤ : ١٦) تعني سكنى
الثالوث القدوس فينا إلى الأبد.
وبالتالي ليس كل حلول للروح القدس هو لمواهب، لأن الحلول على الخبز
والخمر هو لاستعلان جسد الرب ودمه بعد أن يتحول الخبز والخمر.
وبعد:

- هل يتحد الروح القدس بنا؟ نعم، إلى الأبد؛ لأن المواهب ليست أبدية.
- هل نتحول نحن إلى الروح القدس؟ بكل تأكيد لا؛ لأن الأسفار المقدسة
والآباء والصلوات لم تقل لنا مطلقاً إن الروح القدس إذا سكن فينا، نفقد
طبعنا الإنساني، أو أن اتحاد اللاهوت بالناسوت في الرب الواحد يسوع
المسيح جعل الابن المتجسد يفقد إنسانيته. ولكن أوطاخية المطران تقف
حجر عثرة يمنع من قبول التعليم بسكنى الروح القدس. ليرحمه الرب
ويرحم شعب الكنيسة.

ملحوظة هامة:

مقالات الأنبا بيشوي عن إيفاء العدل الإلهي، والموت النياي، وأخيراً الحلول
الأقنومي هي فضائح عقائدية، لا يجب أن تسهم مجلة الكرازة في نشرها.

لماذا تعثر شرحُ الثالوث القدوس؟^(١)

مقدِّمة

منذ أن التحقُّتُ بالقسم النهاري للكلية الإكليريكية عام ١٩٥٧، وعقيدة الثالوث هي اهتمامي الأول. وبدأتُ بدراسة رسائل الشهيد أغناطيوس الأنطاكي، وكانت قد نُشرت في مجلة الكرمة، وهي إحدى ثمار عمل الأستاذ حبيب جرجس، وهو أحد رواد النهضة القبطية. ومن رسائل أغناطيوس الأنطاكي، ندرك حقيقةً ثابتةً عند كل الآباء شرقاً وغرباً، وهي أن الثالوث استعلن بتجسد الابن وبحلول الروح القدس. وعلى هذه الحقيقة الثابتة، بنى كل الآباء، إمَّا شرح عقيدة الثالوث، وإمَّا الدفاع عنها.

وحسب التسليم الكنسي المدوَّن والذي سلَّم إلينا في كتابات الآباء، استعلان أبوة الله هو في تجسُّد الابن. واستعلان بنوة الابن الأزلية هو في أركان التدبير: التجسد، الصلب، والقيامة، والصعود وحلول الروح القدس^(٢).

الأساس -إذن- هو تجسد ابن الله، واستعلان الابن، وعلى هذا الأساس، تمَّ شرح نصوص العهد القديم، كما تمَّ أيضاً إدراك عمل الروح القدس الذي عمله في العهد الأول؛ لكي يرتَّب للعمل في العهد الجديد، وهو تقديم الابن واستعلان المتجسِّد، والمصلوب، والحَي، ورأس الجسد الكنيسة والحال في المؤمنين، إلى الانسانية، بل إلى الكون كله. وهو تقدُّمة المحبة الإلهية الأزلية المستعلنة في هذا الدهر في زماننا؛ لكي تدخل الخليقة كلها، وأولها الإنسانية في شركة أبدية مع الآب بواسطة الابن، ومن خلال عمل الروح القدس.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٧ مايو ٢٠١٥.

(٢) سبق أن أشرت إلى هذا في كتاب المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي. أنظر الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠١٢ - منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

المحاولات التاريخية لشرح عقيدة الثالوث بعد عصر الآباء:

بعد كتابي القديس كيرلس السكندري في الشرق - الكنوز، وحوار عن الثالوث - ترك لنا القديس أوغسطينوس خلاصة التعليم الغربي عن الثالوث. وقدّم لنا بشكل مباشر، وغير مباشر، ماريوس فكتورينوس - هيلاري اسقف بواتيه، ثم كتابه هو عن الثالوث.

غير أن الحروب وعدم الاستقرار كانت هي السبب الأول في الهجرة إلى العصر الوسيط في الشرق، حيث أُغِلِّقت المدارس، وحدث انكفاء على الذات، وانحصر الرجاء في الرغبة في البقاء على قيد الحياة، وانقطع نقل ودراسة الكتابات القديمة، فوُلِدَ العصر الوسيط الشرقي الذي ابتعد عن لاهوت انطاكية في سوريا الكبرى، والإسكندرية في مصر، بدليل أن ما وصلنا من كتابات سريانية وقبطية ثم عربية، يشهد بانقطاع التواصل مع تراث الآباء السابقين. وحتى مؤلفات الدمشقي تخلو من الإلهام الذي نراه عند النزيني، إذ لم يأتي الدمشقي بما هو حيوي وهام، بل اقتصر على جمع التسليم الكنسي، ولسبب غير واضح، أهمل تقديم مكسيموس المعترف. ثم ضاع التراث اليوناني والقبطي بعد ضياع مكتبة الإسكندرية، وهجرة مدرسة الإسكندرية إلى الإسقيط، حيث استقرت في دير الأنبا مقار، ولذلك لم يكن الأمر صدفةً عابرة، أن عُثِرَ على برديات الحوار عن الثالوث للقديس كيرلس الكبير في دير الأنبا مقار.

وقد شَعَلَ الجانب الدفاعي عن عقيدة الثالوث، اهتمام علماء العصر الوسيط. وعلى الرغم من أن أبو اسحق بن العسال، وهو من علماء العصر الوسيط الأقباط، كان يجيد اليونانية، فقد اهتم بترجمة العهد الجديد إلى العربية، ولكنه لم ينقل إلينا تراث الآباء الذين كتبوا باليونانية إلى العربية؛ لأن مؤلفات هؤلاء الآباء، يبدو أنها لم تكن موجودة؛ لأن دمار الإسقيط الذي كان مركزاً من مراكز التعليم اللاهوتي، حدث أكثر من مرة، حيث تعاقبت عليه فترات التدمير على يد القبائل الرُّحْل الوافدين من ليبيا، ويبدو أنه لم ينبُج من التدمير الذي أصاب مصر في الغزو الفارسي في القرن السادس، والذي دُمِّر مصر تدميراً لم تتعافى منه.

أمّا الذين انشغلوا بالدفاع عن عقيدة الثالوث مثل يحيى ابن عدي والبوشي وغيرهم، فكان هاجسهم الأول هو الدفاع. على أن اقتصرهم في الدفاع على الرد على قضية التوحيد والتثليث، ودفع شبهة تعدّد الآلهة، أدّى بهؤلاء المدافعين إلى إهمال الكتابة عن استعلان الثالوث في تجسّد الابن؛ بالرغم من تعرّض التجسّد نفسه لنيران معارضة سخيفة. ويمكننا أن نلخّص الموقف في عبارة واحدة، فقد اختفت ملامح التدبير، وتحوّلت العقيدة إلى صراع فكري فلسفي تراه في كتاب "الواحد والوحدة" لأبو نصر الفارابي^(١). وقد تأسّس هذا الصراع على ما استقر في الفلسفة اليونانية الكلاسيكية عند أرسطو، وما تطوّر بعد ذلك في ذات مدرسة أرسطو، لا سيما بعد أن نقل العلماء السريان الأرثوذكس والنساطرة كتابات أرسطو إلى العربية، وإن كانت الترجمة تُسبّت إلى علماء مسلمين^(٢).

ما غاب من الجانب الدفاعي:

أولاً: اقتصر الجانب الدفاعي - كما قلنا - على محاولات الإقناع العقلية بأن الثلاثة واحد، وأن البنوة روحية مثل صدور النور من قرص الشمس ... الخ. وبالرغم مما انطوت عليه هذه المحاولات من جهد، إلّا أنّها - في نهاية المطاف - لم تقدّم الخلاص، ولم تفتح باب التذوّق، أي تذوّق شركتنا في الثالوث، ونوال عطية التّبني من الابن بالروح القدس.

ثانياً: ترك الجانب الدفاعي، الليتورجية، في حين أن الثالوث مُعلنٌ لنا في الليتورجية. والقُدّاسات هي استعلان الثالوث في حركة العطاء والشركة؛ لأنّ الثالوث هو حياة الله المتحرّكة دائماً نحو الإنسانية لكي تفتح هذه الحركة المملوءة بفيض المحبة، عطايا لا يملكها الإنسان، وليست في متناول الطبائع المخلوقة كلها، وأولها الإنسان.

وبالرغم من أن الليتورجية هي استعلان الثالوث في تقديم حياة الابن في سر

(١) نشر النصّ محسن مهدي في الدار البيضاء ١٩٨٩.

(٢) القول بأن علماء المسلمين هم الذين قاموا بترجمة كتابات أرسطو إلى اللغة العربية، هو قولٌ غير صحيح بالمرة؛ لأنّ الذين تمكّنوا من دراسة وقراءة اليونانية كانوا من السريان في العراق وسوريا وجزء من بلاد فارس، ولم يكونوا من العرب، وإن كان بعض علماء المسلمين قد قاموا بمراجعة وضبط الترجمة العربية، ولكن دون العودة إلى الأصل اليوناني.

الشركة، إلا أن اسم "سِرّ الشركة، أي الإفخارستيا، أو التناول"، قد غاب أيضاً عن هذا الجانب الدفاعي.

وليس ذلك فقط، بل غاب أيضاً الاستعداد الروحي الذي فيه -وبواسطة رأس الكنيسة ربنا يسوع المسيح- ندخل في شركة مع الآب بالروح القدس، واكتفينا بالاحتباس الجسداني، وهو ساعات الصوم - الاستحمام - الامتناع عن العلاقات الزوجية. وهو ما وصلنا واستقر لدينا -للأسف- من العصر الوسيط، ثم أضاف العصر الحديث إليه، فرشاة الأسنان.

كل ذلك أدى إلى عدم الوعي باستعلان الثالوث في الليتورجية. فاليوم، إذا سألت ١٠٠ شخص يواظبون على حضور القدّاسات، إذا ما كانوا قد سمعوا عن تعليم باستعلان الثالوث في القدّاسات، فسوف تجد أن ٩٩ ٪ منهم لم يسمعوا، بل لم يعرفوا هذه الحقيقة الإلهية التي تبدأ بـ "مجداً وإكراماً للثالوث القدوس"، وبعد تمجيد الثالوث الواهب المجد والكرامة لنا نحن البشر، ننادي: "واحد هو الآب القدوس، واحد هو الابن القدوس، واحد هو الروح القدس".

ثالثاً: تسبب تحوّل الأَقْنوم إلى صفة من صفات جوهر اللاهوت في خسارة كبرى، ألا وهي فقدان المحبة الأَقْنومية أو الشخصية. ذلك لأن اللاهوت الدفاعي يصارع لإثبات ثلاث صفات ذاتية أو جوهرية، ليس من بينها المحبة!!! في حين أن "الله محبة" (١ يوحنا ٤: ٨، ١٦)، وهو حياة، وهو هنا ليس شخصاً + صفات، بل شخصٌ يعلن عن شخصه، أو أقانيمه بعلاقة المحبة، وهي حياته وجوهره.

رابعاً: فات الجانب الدفاعي أن اللغة لا تسبق الوجود؛ لأن البنوة سابقة على اللفظ. الطبيعة تسبق كل المصطلحات، بل كما يقول أثناسيوس نفسه: "المصطلحات لا تسبق الجوهر أو الطباع، ولكن الطباع أولاً، والمصطلحات ثانياً" (الرد على الأريوسيين ٢: ٣). ونحن لا نتعرف على ما هو موجود بالمصطلحات، بل بالعلاقة، والعلاقة هي التي تحدد المصطلحات وتختارها. ولذلك، كل حوار أو بحثٍ عن المصطلحات يتجاهل العلاقة، يصبح مجرد لغوٍ

وضياع وقتٍ وسفسطة، مثل تلك التي اشتهر بها بعض المثقفين القدامى، كأن تكون هناك محاولة لإثبات وجود شيء، أو إثبات عدم وجوده، فقط بالحوار اللفظي^(١).

فعندما أهملنا عطية التبني ومعها عطية الحياة، وقبل التبني، استعلان المحبة الإلهية، جرى البحث عن الثلاثة والواحد على النحو الذي نراه في كتاب أبي نصر الفارابي. ولم يظهر إلا عدة مقالات موجزة عن المحبة عند أوغسطينوس في كتاب الثالث (الكتاب ٥، ٦، و٧)، ولم يلتزم أوغسطينوس باستعلان المحبة التي استُعلت في تجسد الابن، أو في صلبه، أو في قيامته؛ لأن القيامة جعلت التجسد محبة أبدية للبشر، بل اقتصر عمل أوغسطينوس على مناقشة المحبة وقوامها وعملها بشكل فلسفي.

الألوهة حركةٌ دائمةٌ، وهي حركةُ المحبة

الألوهة هي حركة المحبة، وهي حركة دائمة. يبدو هذا بأكثر وضوح عندما يصف أثناسيوس الرسولي الله بأنه ينبوع، وأنه لا يمكن للينبوع أن يكون جافاً (راجع ضد الأريوسيين ١ : ١٤)، ولذلك، فإن ولادة الابن هي ولادة حياة مثمرة وليست عقيمة (ضد الأريوسيين ١ : ١٩)، فالله إذن هو ينبوع الحياة والحكمة، وثمره هذا ينبوع هو الحكمة أو اللوغوس أو الابن الأزلي.

ويظهر ذلك عندما تسبق ولادة الابن الزمان، فهي حركة في حياة الآب (وهي لذلك سابقة على اللفظ).

ويتضح هذا في إرسالية الابن الوحيد، التي عبّر عنها الرب نفسه في مثل الابن الذي قتله الكرامون الأشرار، وهي حركة لم نتوقف عندها كثيراً، بالرغم من أنها مُتَّجهة نحو الإنسانية. يقول القديس يوحنا الرسول الإنجيلي:

(١) هناك قصة مشهورة لها دلالتها في هذا السياق عن متصوفٍ كان يجلس بجوار نهر يتأمل جريان الماء، وجاء واحدٌ من الرعايا وضعف المتصوف على قفاه صفعاً قوياً، بعدها قال له في ضفافةٍ: ما هو مصدر الصوت، أي صوت الصفع، هل هي يدي أم قفاك؟ وهنا أجابه الصوفي: يجب أن أصفعك أنا على قفاك؛ لعل الألم هو الذي يجيب على سؤالك الغي.

"على هذا النحو أحب الله العالم

فبذل ابنه الوحيد

لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦).

فالمحبة الباذلة، وهي ليست عبارةً، ولا هي مصطلحاً، ولا هي لغةً. المحبة الباذلة هي حياة الثالوث القدوس. والثالوث أقانيم وليست مجرد عبارات. قد تشهد لها الكلمات، ولكنها أعظم من الكلمات، كما نقول في صلاة الصلح: "عالٍ فوق كل قوة النطق....". هذه المحبة نجد صداها يتردد في قلب الإنسان، في محبة الآباء والأمهات والأخوة والأخوات، بل تبدو هذه المحبة حتى في المحبة التي يبديها الأشرار مثل الزناة من أجل اشباع شهوة الزنى. المحبة ليست غريبةً على الإنسان. قد تنام تحت مركبات النقص، أو تحت جروح في الطفولة، أو تعاني من انعدام الثقة بسبب خبرات مؤلمة لم تُشف، ولكنها تظل بذرةً حيّةً لا تموت، رغم أنها قد تتجه إلى الذات وحدها، كما في حالات متنوعة من النرجسية.

كذلك يجب أن ننتبه إلى أن الحلول الإلهي للروح القدس والسكنى، هما وصفٌ لحركة المحبة الإلهية. ولا يوجد أعظم من عطية الحياة والقيامة والغفران والتجديد والامتلاء من الروح القدس، في صلوات واستعلان الثالوث في القداسات.

ماذا حدث عندما أصبح الأَقْنوم أو الشخص صفةً جوهريةً؟^(١)

أولاً: تحوّلت العلاقة، من علاقة شخصية، أي أقنومية، إلى علاقة مبهمّة غامضة. ويجب أن ننتبه إلى أن التعامل مع الصفة -حتى على المستوى الإنساني- إنما يجمّد كل علاقة إنسانية ممكنة. وهنا أدعوك -قارئ العزيز- أن تحاول أن تجرّب قِصر تعاملك مع أي شخص تعرفه على ما فيه من صفات مثل الأمانة أو الصدق، أو أي صفة أخرى، فسوف تجد أن هذه الصفة جمّدت العلاقة، وصارت

(١) راجع دراستنا بعنوان: هل الثالوث هو صفات الوجود والعقل والحياة؟ منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

هذه العلاقة -في النهاية- علاقة مجردة. لقد جاء التجريد من "اللا - شخص"، وبالتالي تدور العلاقة حول ما يُكتسب من معرفة الآخر، وقد تنهار هذه العلاقة، إذا ظهرت صفات سلبية مثل الكبرياء. أمّا إذا بدأت العلاقة كعلاقة شخصية بغضّ النظر عن الصفات، فلا شك في نموها فيما بعد.

عندما صار الآب هو الوجود، أو أي صفة أخرى، ولم نسأل كيف يوجد الوجود بالابن الوحيد، وكيف يحب الوجود العالم، وكيف يرسل الوجود الروح القدس.. فقدنا العلاقة الشخصية بالثالوث، ودُرنّا في فلكٍ تصوراتٍ عقليةٍ لا تمت إلى الواقع بصلة، بالرغم من أن هذه الأفعال (يجود - يحب - يرسل)، هي أفعال شخصٍ لا أفعالٌ صادرةٌ عن صفة.

ثانياً: كلمة "أقنوم" السريانية هي ترجمة للكلمة اليونانية hypostasis، وهي أيضاً ترجمة للكلمة العبرانية "وجه". ومنها "وجه الله"، وهي تعود إلى إشراق كيان حقيقي هو وجه الآب، ووجه الآب هو يسوع المسيح الذي أشرق لنا بنور معرفة الآب (٢ كور ٤: ٦). وهذا هو المعنى وراء ما يطلبه الكاهن بعد وضع القربان على المذبح، حيث يقول: "اظهر وجهك على هذا الخبز"، فهو استدعاء أقنوم الله الكلمة، وهو نفسه حلول أقنوم الابن، "الذي أظهر لنا نور الآب. الذي أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية".

لقد سُكِبَ قدرٌ كبيرٌ من المِداد على الورق حول تاريخ الكلمة اليونانية واستعمالها وجرى حوله بحث ونقاش لا داعي للتعرض له، لكن ما يجب أن نلفت النظر إليه هو أن هذا النقاش خلا من التأكيد على أن الكلمة تعني "وجود كيان حقيقي"، أي مَنْ هو كائنٌ، وهو الحكمة - اللوغوس - الابن، ثم مَنْ هو مُستعلنٌ في زماننا، في شكلنا الإنساني، وحياتنا المائتة؛ لكي تُستعلنَ حكمته ومحبته في شخصه، في تجسده، وفي التعليم، وفي الموت لتحرير الإنسانية. هذه لا يجب أن تؤخذ على أنها صفات للأقنوم تُدرّس كموضوع مستقل؛ لأن الرسولي أناسيوس يقول: "الله ذاته هو القوة" (ضد الأريوسيين ١: ١١).

ما أعظم الفرق بين أن نقول: "القوة + الله"، وأن نقول: "الله هو القوة". لأن "الله هو القوة"، هي العلاقة الشخصية، هي كيف تعبر القوة عن المحبة، وكيف استُعِلَّت قوة المحبة في تواضع الابن وإخلاء ذاته، وفي انسكاب الروح المعزّي.

فالأقنوم هو كيانٌ مُستَعْلَن ليس بلفظٍ، بل بما يُعطي. وعندما نحمّل العطاء، لا نجد لدينا سوى اللَّف والدوران حول أصل واستعمال الكلمة.

الأقانيم الثلاثة

كل أقنوم له كيانه الخاص الذي لا يجب أن يختلط بالفرد Individual. خصوصية الأقنوم هي التمايز، والتمايز والشركة لا يمكن فصلهما.

والشركة هي استعلان التمايز، كما أن التمايز يؤسّس الشركة، أو هو قوام الشركة. الابن مولودٌ دائماً من الآب، والروحُ منبثقٌ دائماً من الآب .. في الثالث الآب هو جوهر الألوهة؛ وهذا يختلف تماماً عن الفلسفة؛ لأن الجوهر -فلسفياً- كلمة مجردة Abstract غامضة يمكن أن تُقال على أية كائنات تجمعها خواصٌ مشتركة، فتصبح هذه الخواص هي الجوهر، مثل أن يكون جوهر الانسان - حسب أرسطو- هو الحياة - الحركة - العقل، أو الإدراك. وطبعاً ترك أرسطو الحرية.

ثالوثية الأقانيم هي ثالوثية المحبة الإلهية، من ينبوع الآب، من مياه ينبوع الابن، ومن عطية الحياة الروح، حسبما شرح الرسولي أنثاسيوس في رسائله عن (الروح القدس إلى سراسيون: ١٩)؛ لأننا نحن نشرب، أو نأخذ من ينبوع، من الأصل، من الآب، من استعلان الآب في الابن، ومن هبة الابن لنا، أي حياته بالروح القدس، ويُستَعْلَن الروح في هبات أو مواهب -كلها كما وردت في الأسفار- هي تجلّ الخلق الجديد الذي رأسُهُ واستعلانه هو يسوع المسيح نفسه.

ما ورد عن المواهب في (١ كو ص ١٢)، تلاه أعظم ما كُتِبَ عن المحبة في (١ كو ص ١٣)، وكلاهما يرسم ملامح أيقونة الرب نفسه: كيف يخدم جسده،

وكيف علينا أن ندرك أن هذه المواهب لا يمكن فصلها عن المحبة؛ لأن كل ما قيل عن المحبة في (١ كو ١٣: ١-٨) هو عن يسوع نفسه، وما قيل في (١ كو ١٢) عن المواهب هو عن أعضاء جسد المسيح التي أخذت حياتها من يسوع المسيح نفسه.

الثالوث والوحدانية:

ثالوثية الأقانيم ووحدايتها هي الوجود والمصير الإنساني كله، هذه ليست قضية أرقام؛ لأن وجود اليدين والقدمين في جسم الإنسان ليس مسألة رقم، بل هو تنوع القدرة والحركة للشكل الإنساني الكامل. بالطبع، لدينا مَنْ يفقد ذراعاً أو قدماً، ولكن هذا ليس هو الشكل العام الدائم لكل البشر، بل يُعد هذا شكلاً بشرياً ناقصاً، وبالرغم من ذلك، فقد يتفوق من فَقَدَ ذراعاً على مَنْ له ذراعين، ولكن هذا ليس مبدأً عاماً.

ويبدو الفشل في فهم ثالوثية الأقانيم في التقسيم المعيب الذي حدث في التعليم، والتركيز على أقنوم الابن، أو اقنوم الروح القدس، مع إهمال الاستعلان الكامل. الاستعلان الكامل، هو في الثالوث: في المصدر، في الاستعلان، وفي العطاء. ومن عطية البنوة -على سبيل المثال- نحن "أبناء للآب في يسوع المسيح بالروح القدس". هذه العبارة الموجزة تؤكد أننا دُعينا إلى حياة جديدة وعلاقة جديدة مع الله الآب. صرنا "أبناء"، هذه الصيرورة دائمة، وهي حركة حياة ومحبة تنقل الكيان الإنساني عندما يتلامس الإنسان مع الآب بواسطة الابن الذي -في تجسّده- فَتَحَ لنا أحضان الآب. وبالشركة في الابن نأخذ الروح، القوة والعطية التي تعطي لنا "صورة المسيح"، وهي ليست فقط وصفاً خارجياً، بل هي أيضاً الكيان الذي تم خلقه من جديد ليكون مثل المسيح؛ ولذلك دُعي "صورة"؛ لأن الأصل هو يسوع. وهذا ما يجب أن ندركه في أن الأيقونات هي صور، وأن الأصول هم القديسين أنفسهم. ونحن لدينا الأيقونة أو الصورة؛ لكي نبقى في شركة مع الأصول، مع التَّسَاك والآباء والشهداء والأمهات الذين حفظوا لنا الإيمان بالدم والعرق والصبر والاحتمال والشهادة الحسنة.

ثالوثية الحركة:

تبدو ثالوثية الحركة في الحلول المتبادل. و"الحلول" هو تعبير العهد الجديد: "الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال التي أعملها أنا" (يوحنا ١٤ : ١٠). "الحلول" هو عطاء الذات. الحلول ليس حركةً عمياء لصفات، بل هو حركة المحبة. عطاء ولادة الابن، وانبثاق الروح القدس. هي تلك الشركة التي بالحلول المتبادل. إنّ "أنا في الآب والآب فيّ" (يوحنا ١٤ : ١٠). و"أنا والآب واحد" يوحنا (يو ١٠ : ٣٠)، تجعل الحياة الواحدة في حركة محبة دائمة.

+ عندما يولد الابن من الآب، تفيض محبة الآب للابن. والابن يُولد لكي يبقى في حضن الآب.

+ عندما ينبثق الروح القدس من الآب، تفيض محبة الآب ويعطي الروح للابن، ويحمل الروح الابن إلى الآب.

+ يظلّ الآب هو ينبوع، وفيض دائم بالحياة والمحبة، ومنه يأخذ الابن والروح القدس. + عندما تجسّد الابن، أدخل إنسانيته في الحياة الحرة المتحرّكة وعطاء الذات الدائم الذي لا يتوقف؛ لأنه يشبه -مع الفارق الهائل- تنفّس الإنسان. ولأن الابن المتجسّد هو الوسيط؛ دخلنا نحن في هذه الحركة، ولكن فيه هو؛ لأنه هو "البدء" و"الرأس".

الكيان الكامل:

الثالوث هو الحياة الكاملة لله. هو الأصل والاستعلان والعطاء. الآب هو الأصل، والابن هو الاستعلان، والروح هو العطية. كيانٌ كاملٌ صالحٌ لا يحفظ لنفسه صلاحاً ولا يستحوذ عليه، بل يمنحه للخليقة، ولتاج الخليقة وربّها، أي الإنسان حسب (مزمور ٨). لا نقص فيه؛ لأن الأصل الفائق غير المستعلن، هو الآب، ويبدو الكمال في أن غير المستعلن يعطي ذاته في الاستعلان. والاستعلان كيانٌ أو أقنوم. استعلن الابن لكي يعطي، فتعال الإنسانية منه نعمة البنوة. البنوة هي كيان الابن، وهي للإنسانية نعمة؛ لأن ما هو كائنٌ في اللاهوت، لا كيان آخر له خارج الحياة

الالهية، والنعمة هي العطاء الإلهي الذي تدخل به الخلقة التي جاءت "من لا شيء" إلى الوجود. هذه الخلقة التي وجودها منحة وهبة، وهو ما وصفه القديس أنثاسيوس الرسولي بأنه النعمة الأولى التي أُضيف إليها النعمة الثانية، أي نعمة الوجود، التي أُضيف لها نعمة الصورة، حيث يقول: "الله صالح، بل هو بالحري مصدر الصلاح ... تحن على جنس البشر ... وأعطاه نعمة إضافية، فلم يكتفِ بخلق البشر مثل باقي الكائنات ... بل خلقهم على صورته". فمن لا كيان له، والذي كيانه عائدٌ إلى هبة الخالق، لا يمكن أن يتساوى كياناً مع الخالق في أي شيء. ولذلك، يردد الرسول بولس إننا "به نوجد ونحيا ونتحرك" (أع ١٧ : ٢٨)، أي لنا كيانٌ حيٌّ متحركٌ، وهو كله هبةٌ من الخالق. و"به" تعني أنه لا وجودَ خاصاً لنا يعود إلى كياننا، بل لا وجود لكياننا إلاً بنعمة الوجود.

الكيان الكامل له أصل، وله استعلان، وله هبات أو عطايا. ولذلك، إذا رأينا بصمات الثالوث في الخليقة، فإننا منها نتعلم أنها صُوِّرَ للأصل الكامل، وهو الثالوث.

الولادة من ذات، أو من جوهر الآب

لا يمكن أن نتكلم عن الله بلغة إلهية؛ لأن كلَّ لغات البشر نابعةٌ من الخبرة، ومن تقدُّم الفكر، ومن نمو المعرفة، ومن التواصل مع اللغات الأخرى. في اللغة العربية -وكلمة لغة ليست عربية، بل عائدة إلى اليونانية- الكلمة العربية القديمة المهجورة هي "لسان"، ولا زالت "مدرسة الألسن" لدينا تتمسك بهذا الاسم القديم. ليس لدينا في أي لغة إنسانية كلمة عن صلة كيانية بين اثنين، سوى الآب والابن. وهي الصلة الكيانية التي تجعل الاثنين:

+ من ذات الطبيعة.

+ وكلاهما يشرح الآخر. فلا آب بلا ابن، ولا ابن بلا آب.

+ الاستعلان هو للبشر. ولا توجد كلمة أقرب إلى إدراك الإنسان من كلمة "ابن". بالطبع، هناك كلمات مثل "حكمة"، و"لوغوس"، وكلاهما هام، ولكن

في صدد شرح العلاقة الكيانية، لا يوجد أفضل من كلمتي "آب وابن".
+ الاستعلان وُهب للإنسانية، وُهب لكي يعيد الإنسانية إلى حياةٍ أعظم،
ويحقق نمو الصورة الإلهية بعطية التني.

الولادة والانبثاق:

كلاهما معاً استعلان تمايز الابن عن الروح القدس، واختلاف اللفظ يدعّم
الوعي الانساني بتمايز الابن والروح. لكن الولادة والانبثاق هي حركة محبة الآب،
أي المحبة التي تمارس في جوهر أو في حياة الثالوث، وهي حركة لا يمكن
فهمها إلا بواسطة التدبير، حيث تُستعلن المحبة الثالوثية للثالوث، أي محبة الثالوث
لذاته، محبة الآب للابن والروح، وهي ذات محبة الابن للآب والروح، وهي ذات
محبة الروح للآب والابن. هذا التكرار ضروري لتأكيد حركة الحلول المتبادل الذي
يحل فيه كل أقنوم في الآخر معطياً ذاته عطاءً كاملاً لكي يقابل هذا العطاء بنفس
العطاء الكامل. وعطاء الآب لأقنوم الابن هو الذي جعل الابن يحمل -مع
ضعف التعبير- محبة الآب لنا، معطياً إيانا محبة الآب في كيانه. ولذلك، عندما
يقول إنه هو والآب سوف يأتي لكي يجعل مكان إقامته فينا، فإنه -بكل يقين-
يحمل معه وفيه الروح القدس؛ لأن حلول الروح القدس فينا بواسطة وساطة الابن
هو تأكيدٌ على محبة الروح القدس الفائقة التي هي ذات محبة الابن، ولكن الآن -
بسبب التدبير- صارت هذه المحبة متّجهة وفاعلة، وتحل في الإنسانية بسبب
وساطة رب المجد، ربنا يسوع المسيح.

عندما يسكن فينا الابن له المجد، يمكننا -بالروح القدس- أن نقول مع
الابن: "أبًا أيها الآب" (غلا ٤ : ٤-٦).

وعندما نقول: "أبًا أيها الآب" مع الابن بالروح القدس، فإننا ندخل هذه
الشركة، شركة المحبة للثالوث، وتنسكب محبة الثالوث فينا (رو ٥ : ٥)، ونذوق ما
هو فوق الكلام وكل لفظ، بل وكل فكر، حلاوة المحبة الإلهية الأزلية.

السجود بالروح والحق:

السجود بالمعزي؛ لأننا في الحق، يسوع المسيح الذي قال: "أنا الحق". والسجود هنا ليس سجود العبيد، بل هو سجود البنين الأحرار. هو انسكاب وعطاء الحياة للثالوث. وحركة التسليم التي تتم بواسطة الجسد هذه، مُعلنة بالمعزي الذي فيه وبه يُستعلن الآب والابن. هذا يفوق قدرة الإنسان على التعبير. قال راهبٌ إسقيطي: هل يمكن أن تصف حلاوة العسل، سوى بأنه حلو، وأن حلاوته تعلق على أي حلاوة أخرى؟ العجز عن التعبير مصدره ارتفاع الاختبار إلى ما هو فوق اللفظ، وإلى ما نعجز نحن عن التعبير عنه.

ذلك التسليم هو لأبوة الآب، وهو ما يغرسه الروح المعزي فينا، وهو ما يفوق، بل ويعلو على اللفظ. هنا نعود إلى أصل الوجود الإنساني، إلى الثالوث، بقوة واستعلان الروح القدس؛ لأنه يُعلن لنا بنوتنا للآب في الابن، ويقودنا إلى معرفة هذه المحبة الفائقة، حيث يقف الإنسان عارياً من كل تحديدات الفكر وكل الألفاظ؛ لأننا لا نبدأ بما نعرف، بل بما يُوهب ويُستعلن، وهو استعلان يقود الفكر، لا إلى صياغات، بل إلى تدفق المحبة الإلهية التي تزلزل كيان الإنسان؛ لأنه خُلِق من العدم، ولأنه لم يعمل أو يحقق شيئاً ما، يجعله أهلاً لفيض المحبة الإلهية.

هذا هو السجود بالحق، أي بيسوع الحق الذي فيه ننال ملء حلول الله فينا.

ليس الثالوث بلا إرادة، وإلا يكون الإنسان قادراً على اقتحام الحياة الإلهية والاستيلاء عليها. من قال بأن حلول الروح القدس فينا يجعلنا آلهة، كُشف عن عدوانية واستيلائية تجعل الله - حسب فهمه - فريسة أو أنثى تُغتصب. الاغتصاب عملٌ قسريٌّ لا محبة فيه، وهو - بكل ما نعرفه عن الحياة العقلية والنفسية للبشر - ليس تصرفاً إنسانياً، بل هو تصرفٌ حيوانيٌّ يجعل صاحب هذا الادعاء Predator حيواناً مفترساً.

نحن لا نحتوي الثالوث، ولا يحتوي الثالوث؛ لأن الاحتواء اغتصابٌ Rape بل يحفظ الثالوث حريتنا؛ لأنه عندما تنعدم الحرية، تنعدم المحبة. والمحبة التي لا تطلب ما لنفسها (١ كو ١٣: ٥)، لا يمكن أن تحتوي أحداً، بل بالصلاح والوجود، تعطي لكي

يخلص الإنسان من "وثنية الحرف"، ومن الصور المتراكمة عن الحياة الإلهية.

التبني بالروح القدس من الآب في الابن:

عطية التبني هي آخر مراحل تحوُّل الإنسان من العبودية للطبيعة، وهي عبودية دخلت مع الموت حيث الفناء، وهو انهيار الكيان الإنساني وتمزُّقه إلى جسدٍ في التراب وروحٍ في "الجحيم". أقول إن عطية التبني هي آخر مراحل تحوُّل الإنسان من العبودية للطبيعة، إلى الشركة في كيان الابن المتجسد.

إن نقلتُ الإنسان إلى الحياة الإلهية كإنسان، استُعِلَّت في الابن، ليس حسب أهواء وخيال الإنسان، بل حسب ما استُعِلن في تجسُّد الابن، في ميلاده، ومسحته، وغلبه الشيطان في البرية، وصَلَّبه، وموته، ودفنه، وقيامته، وصعوده إلى السموات. تحوُّل إنسانية المسيح إلى حياة مجد الابن الوحيد الذي مجَّد جسده بمجد الألوهة؛ لأنه نقل الطبيعة الانسانية إلى كيانه (أثناسيوس الرسولي: الرسالة إلى أدلفوس: ٤)، هو كيان الابن الوحيد لله الآب. والشركة في هذا الكيان، هي نقل الإنسان من عبودية الطبيعة. لقد نقل الابنُ الإنسانية فيه هو، فَجَعَلَ كيانه المتجسِّد هو استعلان التبني، ولأن هذا الكيان المتجسِّد نال الجسد من الروح القدس، فصار الروح يعطي لنا حياةً جديدةً هي عطية التبني، وينقل أصل كل إنسان من آدم إلى المسيح، حيث يستقر كل إنسان إلى الأبد ابناً أولاً خُزّاً من الطبيعة القديمة التي لها آليات العبودية وقانون الموت، أي آليات الخضوع والاستعباد التي جعلت الإنسان يظن أن خيالات الشر هي البقاء، وهي وجوده الحقيقي، ولذلك يُسْتَعَبَد؛ لأنه يظن أنها كيانه، بينما هو في الواقع الكيان المزيَّف الذي اخترعه الإنسان لذاته. ثانياً: خضوع الطبيعة إلى الشخص؛ لأن الإنسان قبل المسيح وقبل التجديد، كان يخضع إلى الطبيعة، إلى "أركان العالم" (كولوسي ٢: ٨)، أي إلى النظام الاجتماعي والسياسي الخ أي النظام الذي جعل "الإنسان خُلِقَ من أجل السبت".

لذا، فعندما يُنقل التبني من حقيقة كيانية، إلى الإدعاء بأنه مجرد استعارة مثل "ابن النيل"، أو "ابن الكرم"، فلا شك أن هذا يُعدُّ هدماً لعطية الآب لنا في المسيح يسوع؛ لأن الرسول يقول: "كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا

أبناء الله". ولم يقف الإنجيل عند هذه العبارة، بل بَشَّرَنَا بالخبر السار: "الذين ولدوا ليس من دم (من إنسان) ولا من مشيئة جسد (زواج) ولا من مشيئة رجل (بالإرادة الانسانية) بل من الله (١ : ١٢-١٣). ولأنه لا توجد علاقة كيانية مع النيل أو الكرم، حَذَفَ الرسولُ كلَّ أشكال الولادة حسب الطبيعة، وحسب التوالد البشري، وبالقدرة الإنسانية.

ولأننا أخوة الرب؛ فهو "بِكُرٍّ بين أخوة كثيرين" (رو ٨ : ١٩)، فهو البكر، ليس بالاستعارة ولا بالتشبيه، بل بحقيقة تجسُّده؛ لأنه شابهنا في كل شيء، واشترك معنا في ذات "اللحم والدم" (عب ٢ : ١٤).

وعندما ننال روح التبني، أي روح يسوع - روح الابن، فهذه ليست علاقة أدبية، بل علاقة كيانية: "أرسل الله روح ابنه إلى قلوبنا صارخاً يا أبا الآب" (غلا ٤ : ٦)، فالروح هو الذي يهبنا هذه الشركة؛ لأنها ليست شركة بيولوجية جسدانية، بل روحية إلهية من الآب.

الأريوسية الجديدة

وقرارات مجمع الكنيسة القبطية بمنع الكتب^(١)

لم أندش على الإطلاق لصدور قرار مجمع الكنيسة القبطية في جلسة الخميس الموافق ٢٨/٥/٢٠١٥ بمنع كتابين، ففي زمن المهارات اللفظية لا مكان للحوار اللاهوتي، سوى في الإعلام. وهذا ليس جديداً، فمنذ أكثر من أربعين عاماً، درجت القيادات الكنسية على معالجة كل القضايا الخاصة بالحياة الكنسية، إعلامياً، وبقرار عام يخلو من التمييز، ومن صوت التسليم الكنسي.

هكذا عادت الأريوسية الجديدة لتمس رجاء رجلٍ تجرّد من كل شيء، حتى من تاريخ حياته وميلاده وشبابه، وعاش للمسيح. وكان كل ذنب هذا الرجل أنه رأى البعد الأبدي في اختيارنا السابق على وجودنا، وكيف أن له وجوداً في إرادة الخالق، وفي إرادة تدبير الخلاص؛ لأن المخلص رب المجد هو الإله الأزلي، الأبدي.

عندما يقول الرسول بولس تلميذ يسوع الأبدي عن المؤمنين، وليس عن فليمون المقاري وحده: "الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم ليكونوا مشاهدين صورة ابنه ليكون هو بكاراً بين أخوة كثيرين. والذين سبق فعرفهم، هؤلاء دعاهم، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً، والذين بررهم فهؤلاء مجدّهم أيضاً" (رو ٨: ٢٩ - ٣٠). أقول عندما يقول الرسول بولس هذا، فإن عدة أسئلة تبدأ تطرح نفسها: ألم يعرفنا الله حقاً قبل أن يخلقنا، أم أنها كانت معرفة خيالية؟

لقد خلّق الكل بواسطة ابنه الكلمة الخالق، وبالتالي كان لنا وجوداً في إرادة الله، هو وجودٌ حسب معرفة الله، هذا الوجود استعلن في الزمان.

ولكن الأريوسية الجديدة تحكم بالزمان على ما هو أبدي، وهو منهجٌ تأصل،

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٥ مايو ٢٠١٥.

حتى في الفكر الغربي اللاهوتي، ولكنه لم يدخل التسليم الكنسي بالمرة، بل ظلَّ بعيداً عن الفكر الكاثوليكي، بينما دخل إلى حركة الإصلاح.

هل كانت مشاهدة صورة الابن أمراً طارئاً خُلِقَ في الزمان، أم أنه التدبير السابق على الزمان؟ وهل كان الوضع ينقص إجابة رسول الرب، عندما يقول: "اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين..." (أف ١ : ٤)؟

هل كان الله يختار أفكاراً، أم أنه كان يختار بشراً؟

ثم ماذا عن "عَيْننا للتبني بيسوع المسيح حسب مسرة إرادته لمجد مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب"، أليس هذا هو استعلان الأبدي في الزمان؟

التناول من جسد الرب ودمه -زمانياً- هو استعلان الأبدي في كل قداس. وإذا كانت الأريوسية الجديدة ترى في عشاء الرب حدثاً تاريخياً، فإن القُدَّاسات تقول لها: "فيما هو راسمٌ أن يسلم نفسه عن حياة العالم"، ورسمُ الربِّ هذا لم يكن رسماً حسبَ زمانٍ أو دهرٍ، بل حسب الإرادة الإلهية التي لا يحكمها الزمان المخلوق.

الأريوسية الجديدة لا تفهم أن ما يحدث في التاريخ هو تعبيرٌ عن الإرادة الأبدية؛ لأن أحداث التاريخ لا تنشئ قراراً إرادياً في الله، بل -حسب الأرثوذكسية- العكس هو الصحيح.

لم يقل فليمون المقاري إنه كان موجوداً بالجسد قبل خلق العالم، بل إنه كان معروفاً عند الله، كان ضمن مشروع الإرادة الإلهية التي ترى كل واحد منا قبل خلقه.

كلُّ منا، مثل فليمون، وكلُّ منا يأخذ مكانه في تاريخ جسد الرب، ذلك التدبير الأبدي الذي استُعلن في الزمان جسداً ودماً وبشراً. وقبل هذا الإعلان كان معروفاً لدى الواهب والعاطي بكل تفاصيل وتركيب وصورة هذا الجسد، وذلك حسب قول المزمور: "لأنك أنت اقتنيتُ كُلِّيَّ. نسجتني في بطن أُمِّي" (مز ١٤٩ : ١٣). ألم يقل لأرميا: "قبلما صَوَّرْتُكَ في البطن، عرَفْتُكَ.." (أر ١ : ٥)؟

تُرى، هل وقع مجمع الكنيسة القبطية في الأريوسية؟ أرجو أن تكون الإجابة بالنفي.

ولماذا لم يتعرض المجمع للكتب غير الأرثوذكسية لمطران دمياط، مثل كتاب عقيدة الكفارة، والبحث المقدم منه إلى اللجنة الدولية الأرثوذكسية الشرقية – الأنجليكانية في أكتوبر ٢٠١٣، والذي ينكر فيه ألوهية الروح القدس؟

ألا يرى المجمع أن هذه الكتب لا علاقة لها بالعقيدة الأرثوذكسية، أم أنه لا يتعرض إلا للكتب التي يكتب عنها الأنبا بيشوي تقاريره؟ وبما أن الأنبا بيشوي لم يكتب تقريراً ضد هذه الكتب، فهي الحق الصريح، وبالتالي لا يتعرض لها مجمع الكنيسة. طبعاً لن يكتب الأنبا بيشوي تقريراً ضد نفسه، وإنما هي السخرية المرة من الآليات التي يتخذها المجمع لإصدار قراراته المتعلقة بالأمور العقيدية.

لم يقل فليمون المقاري إنه موجودٌ قبل خلق العالم، بل ردَّ على تهديدٍ بأنه حرِّم من المسيح. وهذا قاطع في دلالته على أنهم لا يعرفون كيف يقرأون، فيكتفون بما يخطفونه وبينون عليه قرارات هي بمثابة إدانةٍ لهم، لا عنوان على الحقيقة.

العبارة التي خطفوها: "أنا تناولت قبل خلق العالم". وعلى ص ٧ سألته: كيف تناولت قبل خلق العالم، وأنت لم يكن لك وجودٌ بالمرّة؟ وكان رده من أفسس ١: ٤. وقال: لم يكن لنا وجودٌ، ولكن كنا مباركين فيه، بل "سبق فعيننا للتبني". وقال: الوعي ليس أساس العلاقة مع الله، بل المسيح هو الأساس، وهو صخر كل الدهور. أنا وأنت مثل الجنتين في بطن الأزل، أي الله نفسه مع ابنه الوحيد، ولكن يبدأ الوعي بالولادة في الزمان.

هل هذا هو ما اعتبره المجمع مخالفة تستدعي القرار الذي اتخذوه؟!!!

إن ما يحدث في الزمان أساسه الأبد. إرادة الابن الوحيد أن يعطي جسده ودمه، سابقة على خميس العهد، حيث يقول رسول الرب: "بهذه الإرادة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠).

إن ما استُعلن في العلية وعلى الجليئة هو ما رُسِمَ أبدياً.

أليس هذا هو ذات التعليم الرسولي بأننا لم نُفتدى بفضةٍ أو ذهب، بل "بدم

كريمٍ كما من حملٍ بلا عيبٍ ولا دنسٍ، دُمّ المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهِرَ في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (١ بط ١: ١٨ - ١٩)؟ لماذا تُزَوِّرُ النصوص؟ الجواب: إنما لخدمة الشيطان.

أمّا المصيبة الأكبر، فهي إن صلواتنا تقول: "بأعمالي ليس لي خلاص" (القطعة الثالثة من صلاة نصف الليل). ومرد الشعب في القديس عن يوم الدينونة: "كرحمتك يا رب وليس كخطايانا".

فإذا كان ميراث الملكوت يؤخذ بالتوبة، والأعمال الصالحة، فقد أنكر هؤلاء في سخونة حمّى حشد الاتهامات، عمل نعمة الله. صحيح أن حفظ الوصايا هو تعليم شائع في كل ديانات العالم، لكن الإيمان بالمسيح يسبق حفظ الوصايا. وليس لدينا ميزان أوزوريس، حيث يوزن القلب وينال من له أعمال صالحة مكافأةً أكبر؛ لأن قول الرب ثابت: لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت". ولم يكن نداء الرب يسوع بالتوبة في افتتاحية إنجيل مرقس إلا وقد أُسس على "آمنوا بالإنجيل"، أي الخبر السار، عطية الملكوت التي تعطى بلا مقابل.

وغنيٌّ عن البيان، أن الإفراط في طلب معونة أمّ النور هو انحرافٌ عن مصدر القوة والنعمة الحقيقية، المسيح المخلص؛ لأن العذراء القديسة ليست هي الفادي ولا هي المخلص، وما تحذير الذين يفرضون في ذلك، تاركين الرب والمخلص واسمه القدوس الذي له إبصاليات سبعة، إنما هو تحذيرٌ من راعٍ يعلمُ مكانَ الضعفِ، والنظر إليه بأكثر من ذلك لا يعبرُ إلا عن سوء طويةٍ لا علاقة له بالتعليم الصحيح.

والسؤال الذي لا بُدّ منه: هل قام المجمع باتخاذ قراراته هذه بناءً على وثائق، أم اكتفى بالسماع؟ تُرى هل قرأ نيافة الأنبا روفائيل سكرتير المجمع ما ورد في ص ٥٨ من كتاب رسائل أبونا فليمون؟ العبارة التي قُطِعَتْ من سياق الخطاب رقم ١٨ المنشور على ص ٥٨ - ٥٩ لا تنكر شفاعاة القديسة مريم بالمرّة، بل تقول العكس، فهو يقول أولاً: إن شفاعاة القديسين قد أخذت مكان شفاعاة المسيح، وهذا خطأ جسيم ... الرب هو رأس الجسد ... نحن لا ننال الحياة الأبدية من

القديسين، وكثيراً ما أقول لزوار الدير قولوا يا رب يسوع وبلاش يا ست يا عدرا.
وبقية العبارة يا صاحب النيافة، هي: "لأن شفاعة القديسين مستمدة من
شفاعة الرب يسوع؛ لأنهم معه يطلبون لنا الخلاص الأبدي من الضيقات".

هل سأل أحد من الـ ١١٥ أسقف الذين حضروا الاجتماع عن النص، أم
اكتفوا بأن يعبر عنهم صوت مطران دمياط، وارتضوا أن يحل صوته محل أصواتهم؟
كان على أعضاء الجمع الذين يعرفون أن الأنبا بيشوي صاحب باع طويل
في تزوير النصوص، وتاريخ ممتد في العبث بالعقيدة، كان عليهم أن يطلبوا الوثائق،
لا أن يسلموا بما يمليه عليهم مطران دمياط، فيكتبون بأيديهم إدانتهم.

وثمة مسألة كان على الجمع أن يوليها اهتمامه، أين الجمع من مسألة تهجير
الأقباط، والجلسات العرفية التي تعقد ويبيع فيها أبناء الكنيسة. أين الجمع من بناء
كنيسة بلا صلبان رضوخاً للأهواء؟ لماذا لم يصدر من الجمع حتى مجرد بيان
شجب، ولا حتى رسالة مساندة لأقباط سمالوط، يشعرون معها أنهم لا يقفون
وحدهم. طبعاً سوف يحل صمت مطبق، وكأن شيئاً لم يحدث، ولكني ها أنا
أحذركم من زلزال آت يزحزح سلطانكم الغاشم، الذي لا يؤمن بالخدمة، ولا
يعرف البذل، ولا يبحث عن الحق، وإن بحث فإنه يبحث عنه خارج المسيح الذي
قال عن نفسه: "أنا الحق".

يهمنا أن نؤكد على أن أي قرار سلمي لا يحتوي على شرح عقيدي -من
التسليم الكنسي- يبرره، إنما هو تحریم ينتمي إلى عمل جماعات الإرهاب، لا إلى
مجمع كنسي. وكان الأجدر بمن كتب البند الخامس من قرارات مجمع الكنيسة
القبطية أن يوثق من التسليم الكنسي، ما يدعيه من مخالفة.

وفي النهاية أقول، إن نشر مقال على شبكة الإنترنت لأحد (حماة الإيمان)
عن ذات الموضوعات التي وردت في البند الخامس، المشار إليه، قبل اجتماع المجمع
بأسبوع واحد، هو رسالة تكشف عن أن النية كانت مبيتة لاتخاذ هكذا قرارات،

كما تكشف أيضاً بأجلى بيان عن تلك الشبكة التي تحيك المؤامرات، وتنسج تلك الترتيبات لاستغلال المجمع في تصفية حسابات، وتوريطه في اتخاذ قرارات تفتقر إلى الحد الأدنى من الدراسة والتمحيص، بينما يخرج المتآمرون من الموضوع كما تخرج الشعرة من العجين، كما نقول في المثل الشعبي.

ألم يحن الوقت لتتعلم؟ ألم يحن الوقت لكي ندرك خطورة ما يحاك لأُم الشهداء في جُنح الظلام؟ أليس هناك من عاقلٍ يقرأ خريطة الوقائع، فيكفُّ أخوته عن التماذي في الاستهانة؟
ولنا عودة.

الأريوسية الجديدة وأبدية التدبير^(١)

- ١ -

محاولات فاشلة

عبر تاريخ الكنيسة الطويل، ومنذ القرن الثاني، حاولت حركات التهود التي حاربت بشارة الرسل، وبالذات بولس الرسول، ثم الغنوصية والمناوية من قبلها أن تجعل علاقة الله بنا علاقة خارجية. ولإيضاح هذه المحاولات في إيجاز شديد، يمكننا أن نرى أن العودة إلى شريعة موسى لم تتوقف طوال التاريخ المسيحي، وهي تضرب أحد أساسات العهد الجديد وهي: وساطة يسوع المسيح؛ لأن الوسيط ليس الشريعة ولا أي شريعة، بل الوسيط الواحد بين الله والناس (١ تيمو ٢: ٥٠). لا يقدم الله إلى الإنسان حفظ أحكام الشريعة أو الناموس. هذه حركة عكس حركة المحبة الإلهية، وهي محبة الله الكلمة، إلينا متجسداً وسكانه فينا، أي في حياتنا الإنسانية إلى الأبد؛ لكي يعطي لنا حياةً جديدةً هي الخلقة الجديدة (٢ كو ٥: ١٧). هذه الحياة، أو هذه الخلقة لا توهب بحفظ الشريعة، بل بالميلاد الجديد من فوق في المعمودية. ولكن تحت دعوة تجديد الأخلاق والسلوك، يتم انكار تنازل الله لكي يجدد الإنسان.

هكذا كانت حركة التهود تضرب بعنف أساس العهد الجديد نفسه، وظهرت بشكل منظّم في زماننا في تعليم شيعة "السبتيين".

ماذا تفعل الشريعة بالإنسان؟

أولاً: تحاصر الإنسان دائماً في كيانه: هل أنا على صواب؟ هل أنا طاهر

(١) مجموعة مقالات نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ما بين مايو، ويوليو ٢٠١٥.

ونقي؟ هو مشغول بذاته أكثر مما هو مشغول بالله.

ثانياً: تحفر خندق معادة الآخر لأنه لا يحفظ الشريعة. وقد عبّر عن ذلك الرب نفسه في مثل الفريسي والعشار. كانت صلاة الفريسي حسب الشريعة قد بدأت بحكم عام على كل البشر: "أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة"، ثم يحكم على آخر يقف ليس بعيداً عنه "ولا مثل هذا العشار". ومن ثم تجيء تقوى الشريعة: "أصوم وأدفع العشور" (لوقا ١٨: ١٠ - ١٢). وفي النهاية يدخل الاستعلاء لكي يدمر العلاقات الإنسانية نفسها.

ثالثاً: وتنتهي دعوة التهود بالخلاص بالأعمال الصالحة، وهي دعوة تنكر فيض الصلاح والرحمة الإلهية؛ لأنها تنكر على الله قدرته على أن يقبل الخطاة ويقيم الساقطين.

المانوية والغنوصية:

لم تخرج كلتاهما عن ذات دائرة حركة التهود، رغم أنها أقدم تاريخياً، وبالذات المانوية، حيث جعلت للشر وجوداً مادياً وهو المادة، والجسد، الزواج ... الخ سلسلة طويلة، وبالتالي حاصرت الإنسان في ذاته وجعلت من الإنسان سجيناً في دائرة مغلقة بأعمال نسكية للطهارة للوصول إلى النقاء، ولذلك هي تسير في خط مواز لحركة التهود. هي خلاص من الإنسان إلى الإنسان.

الأريوسية - النسطورية - الأوطاخية:

تسير هذه المهرطقات مع ذات الحركات السابقة: الخلاص هو ما يفعله الإنسان، هو ما يسعى إليه وما يحققه، ولذلك كانت الأريوسية وقد نبتت هذه المرة من داخل الكنيسة المصرية، هي محاولة لاسترداد الوثنية تحت غطاء الإنجيل: الكلمة ابن الله هو مخلوق وليس هو الإله الخالق. وتحت هذا النداء يمكن أن يُطلق على الكلمة كل الألقاب الإلهية مثل: الرب والإله ... الخ لأنها ألقاب شرفية جاد بها الله عليه. هنا وبالذات، حدث التمزق بين ما يقال، أي بين ما ننطق به، والواقع

نفسه. لم يعد للاسم دلالة حقيقية، ثم فصل الخطاب عن الواقع، وفصل الإنسان عن الله، وتحول الخلاص إلى علاقة خارجية يقوم الإنسان فيها بما هو مطلوب منه، أي حفظ الشريعة لكي ينال "رضى الله". لا مكان للشركة في حياة الله.

وكل الهرطقات تعادي عقيدة الثالوث بعنف فكري ومكر وخبث شديد، تنكر وحدة جوهر الثالوث وتقسّم الثالوث إلى آب خالق وابن مخلوق وتحتفي وراء كلمات الأسفار، فلا يلاحظ إلا مَنْ له تمييز وحس روحي، الشر الكامن وراء اللعب بكلمات الوحي. وتختار في مكر ودهاء كلمات وعبارات تهدف للنيل من ألوهية الابن، ثم بعد ذلك من ألوهية الروح لكي تمزق وحدة الثالوث.

تاريخياً، لم ينكر نسطور ألوهية الابن. لا يوجد نص واحد أو شذرة واحدة تدعونا إلى أن نلصق به هذا الاتهام، ولكن عندما تفصل النسطورية بين اللاهوت والناسوت، فهي تلغي الخلاص؛ لأن خلاص الإنسانية هو في اتحاد اللاهوت بالناسوت، ذلك الاتحاد الذي فتح لنا طريق الاتحاد بالثالوث.

المهدف - إذن - واحد عند الأريوسية والنسطورية. أما الألفاظ والأسلوب وطريقة العرض، فمختلفة.

ما هو هدف إنكار ألوهية الرب في الأريوسية؟ هو أن يبقى الإنسان بعيداً عن الله. ما هو هدف إنكار اتحاد اللاهوت بالناسوت في النسطورية؟ هو إنكار اتحادنا بالثالوث في يسوع المسيح وبالروح القدس. وحيث لا يوجد اتحاد بين اللاهوت والناسوت في المخلص الرب الواحد، فلا خلاص للمؤمنين. وليست هناك فرصة لاتحاد المؤمنين بالرب وبالآب وبالروح القدس؛ إذا كان هذا الاتحاد غير كائن في الرب نفسه، وتصبح عبارات بولس الرسول مثل "مع المسيح صلبت"، "أقامنا معه"، "أجلسنا معه" وغيرها هي ألفاظ فارغة من معناها لا ترقى إلى مستوى حقيقي لعلاقة حقيقية. وفي نفس السياق، إذا كان الرب مخلوقاً، فهو - كمخلوق - يكون في حاجة إلى من يهب له الاتحاد.

وسارت الأوطاخية نفس المشوار، ولم تعيش طويلاً، بل ماتت بسرعة. ولم

يكن لها نظام فكري أو جماعة، ولكن البذرة لم تُمت، إذ ظَلَّت تحارب إنسانية المسيح بدخولها في الأدبيات النسكية التي عادت إلى شريعة موسى، وبالذات الوصايا الخاصة بالجسد. وغاب تقديس الجسد الذي جاء به تجسد الله الكلمة. وعاد الإنسان مثل الثور المعلق في ساقية، يمشي مسافةً طويلة كل يوم دون أن يبرح مكانه، لا يتقدم خطوة إلى الأمام؛ لأنه يدور في دائرة مغلقة؛ لأنه يعمل على خلاص نفسه بنفسه وبدون نعمة المتجسد.

دونية الإنسان:

هذه المدارس الفكرية الشاذة لديها هدفٌ واحد، وهو: الإنسان مخلوقٌ منحط - جسدٌ قذر وشرير، يجب أن يشتري رضَى خالقه بكل ما يقوم به من أعمال. وهكذا يكون قد ضاع قرار مجمع الرسل في (أع ١٥)، وضاعت صرخات الرسول بولس في العبرانيين - غلاطية - كولوسي - رومية، بل أهيل تراب الأعمال الصالحة على تعليم الرب نفسه في أمثال الملوكوت. نعم رُدمَ ذهبُ العطية الإلهية، وغاب عن الوعي أن الإنسان ميّتٌ يحتاج إلى حياة، وأن مجد الإنسان هو في هبة الحياة الأبدية في يسوع المسيح ربنا (رو ٥ : ٢١).

أمّا الموت، وهو المأساة التي أصبح الإنسان يعانيتها، فقد ضاعت في تعليم الخلاص من الخطية. وحقاً، الخطية والموت كيان واحد لا يمكن فصل أيهما عن الآخر؛ لأنه إذا فصلت الخطية عن الموت، يموت الموت، وبإبادته تسقط الخطية عن العرش الذي تملك عليه (رو ٥ : ٢١)، ولذلك ذبح الربُّ الموت لكي تموت الخطية، ولذلك يقول رسول الرب: "احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع" (رو ٦ : ١٠).

هذه هي صرخة رسول المسيح، فقد أدرك معنى بشارة الحياة:

- "شوكة الموت فهي الخطية" (١ كو ١٥ : ٥٦).

الشوكة التي تدفع الإنسان للخطية، هي شوكة الموت. ولم يقل الرسول إن شوكة

الخطية هي الموت، بل ذكر الضد؛ لأن الموت هو سبب الخطية. كانت الخطية هي سبب الموت عندما سقط آدم (رو ٥: ١٢)، ولكن بعد السقوط، صار الموت - أي طلب الخلود، وهو طلب مستحيل على الإنسان مهما كانت قدراته - صار الموت يدفع الإنسان إلى القتل دفاعاً عن الوجود، ويجرّض على الامتلاك الأكبر، بل ويغرس العداوة بين البشر لأن الإنسان وجد في العداوة الحصن الذي يتحصن فيه ضد الآخر مهما كان هذا الآخر.

فهل أدرك المتهودون الذين يقودهم بعض الإكليروس لماذا كانت بقية العبارة: "قوة الخطية هي الشريعة" (١ كو ١٥: ٥٦)؟ لأن الرسول نفسه يقول: "الخطية، وهي متخذة فرصةً بالوصية أنشأت في كل شهوة لأن بدون الشريعة الخطية ميتة" (رو ٧: ٨).

الأريوسية الجديدة:

بدأت الأريوسية الجديدة في الظهور بإنكار "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١: ٣). وفي خبثٍ شديد تلعب بحروف الجر، والفرق بين شركاء وشركة وغيرها ... وهكذا - تحت هذا الإنكار - نكون قد عُدنا إلى المربع القديم: لا توجد علاقة شركة بيننا وبين الثالوث .. وتحت عباءة عقيدة اسمها "عقيدة الكفارة"، تحول الابن الخالق إلى ثمنٍ يُدفع عن خطايا البشر، ولم يعد هو الكلمة المساوي للآب في الجوهر، وبذلك تم فصل الآب عن الابن.

وحتماً شمل الإنكار: تناول الرب يسوع في السر المجيد، وصار تناولنا هو للناسوت فقط. وخرجت فتاوى من رَحِم حفظ الشريعة، ومن حركة التهود، جعلت الخطية هي محور كل شيء .. نفسُ النسق القديم، ولكن باختلاف الأسماء، قديماً: نجاسة وشر الجسد، وحديثاً: الإنسان خاطئ لا يمكن أن يحل فيه روح الآب، بل موهبة فقط. قديماً: مطلوب الأخلاق الفاضلة، وحديثاً: التوبة هي باب الملكوت، ولم يعد الملكوت هو عطية الله الآب: "لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُر أن يعطيكم الملكوت"، وعندما يملك الله على القلب،

يصبح "يبيعوا ما لكم واعطوا صدقة .. الخ" (لوقا ١٢ : ٣٢) هو الحياة في الملكوت، هو البقاء في ملك الله علينا، وعند ذلك "أنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له اللوقت" (لوقا ١٢ : ٣٦)، هو ذلك النداء الذي نسمعه في نصف الليل:

- قوموا يا بني النور لنسبح رب القوات ...

انزع عن عقولنا نوم الغفلة

اعطنا يا رب يقظة

تفريغ الإيمان من حقيقته، وهدم الشركة:

الأريوسية الجديدة تنكر بإصرار:

١- اتحادنا بالمسيح في سر الشكر؛ لأنها تحرض المؤمنين على تناول الناسوت فقط، فيبقى اللاهوت -وهو مصدر حياة الناسوت في شخص المسيح نفسه- بعيداً عن حياة المؤمنين، في الوقت الذي لا وجود فيه للناسوت حياً بدون اللاهوت. والضمير "أنا هو" في كلمات الرب، ليس قاصراً على اللاهوت دون الناسوت، أو الناسوت وحده، بل المسيح واحد الذي لا ينقسم.

٢- سكنى الثالوث فينا بالروح القدس، والادعاء بأننا نأخذ مواهب فقط. ومصيبة هذا التعليم هو أن الحلول المواهبي يصبح حلولاً غير شخصي لمواهب زمانية، وبذلك يتم إنكار الحياة الأبدية، ويتحول الإنسان الشخص إلى شيء.

٣- ونتيجة لهذا الإنكار، صارت الخطية هي محور كل شيء. هي سبب تجسد ابن الله، وسبب موته، مع أن أحداً لم يقل لنا كيف صارت الخطية هي سبب القيامة.

وتكاثر الفتاوى الخاصة بإفرازات الجسد والمرأة؛ لأن الشريعة هي السور المنيع الذي يحفظ العبيد داخل مؤسسة التعليم الشعبي البعيد عن الاتحاد الثالوث

الذي يشدد على الممارسات الشعبية التي تخلو من التعليم عن النعمة.

وغاب يسوع رأس الكنيسة، وصار الأسقف هو رأس الكنيسة، ولم تعد الكنيسة هي جسد المسيح، ولذلك تصدر أحكام القطع على الذين يظن هؤلاء المرتدون أنهم مجرد أفراد، وأهم ليسوا أعضاء في جسد المسيح، ولا يدري هؤلاء أن حكم القطع والحرمان قد ارتد عليهم؛ لأنهم صوّبوا سكين القطع إلى جسد الرب نفسه. يتجاسرون على الرب نفسه؛ لأنهم يظنون أنه لا وجود للرب في حياة هؤلاء، ولا يدركون أنهم مجرمون في جسد الرب.

أخيراً:

المحصلة النهائية هي انكشاف وجه الأريوسية القبيح الشيطاني. علاقة مع قوة وليس مع أقنوم الروح القدس، وهي ليست شركة، بل علاقة مع طاقة. ولم تعد الحياة الأبدية، وهي حياة الثالوث نفسه، هي هبة الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس، بل صارت علاقة غامضة مع قوة أو طاقة اسمها الروح القدس.

انكروا الشركة في الطبيعة الالهية وحولوا كل شيء إلى لفظ بلا مضمون وبلا حقيقة وبلا كيان ... هدم منظّم في ظل غياب حقيقي لدور الجمع المقدس الذي لم يُسمع منه صوت وشهادة واحد متخصص في اللاهوت أو الآباء أو الكتاب، ولا يعلو إلا صوت خريجي المنازل الذين لا يعرفون عن الأرثوذكسية إلا الاسم فقط؛ لأن الطاقة أو القوة لا يمكن أن توحدنا بالثالوث، حتى وإن كانت صادرة عن الثالوث.

إن عطية التبني ليست طاقة أو قوة؛ لأنها ليست طاقة أو قوة، بل هي صفة الابن الأقنومية. ولأنه ابنٌ، نلنا نحن التبني.

أمّا فزاعات الأنبا بيشوي، فليست إلا انقضاضاً على الأرثوذكسية؛ لأننا لن نكون مثل الابن الوحيد، بل سنكون مثل ناسوته، ومجدنا هو ذات مجد الناسوت؛ لأنه حسب قول رسول المسيح: "الذي سوف يغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون

على صورة جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١). وفزاعة تحولنا إلى آلهة مثل الله، ليست إلا فزاعة العبد الخائف من النعمة؛ لأن "الكلمة صار جسداً"، ومنه وفيه أخذنا "نعمة فوق نعمة"، لا لكي يصبح أياً منا الابن الوحيد، بل كما يذكّرنا معلمنا القديس أثناسيوس: "تجسّد الكلمة، ليس لكي يقدم جسده فقط عن الكل، بل أيضاً لكي نتأله نحن الذين نشترك في الروح القدس؛ لأن قبولنا هذه العطية مستحيل بدون أن يلبس جسداً المخلوق ... لأننا عندما نقبل الروح القدس لا نفقد جوهرنا، كذلك الرب نفسه عندما تجسد لأجلنا وأخذ جسداً لم يفقد ألوهيته عندما لبس الجسد، بل بالحري ألّه الجسد وجعله عديم الموت" (De Dec.14) مجلد ٢٥ من أعمال أثناسيوس، عامود ٤٤٨).

والطاقة تعجز -كقوة غير أقتومية، بل وحتى كقوة أقتومية- عن أن توحدنا بالله للأسباب الآتية:

أولاً: لأن ما هو مستعلن في التدبير، خاصٌّ بالزمان الحاضر ما عدا: البنوة - القيامة من الأموات - ميراث الملكوت - سكنى الروح القدس فينا، هذه ليست طاقات، ولا قوى، بل هي حلول الابن بالروح القدس فينا.

ثانياً: ولأننا أشخاص (أقانيم)، نشترك في أقانيم الثالوث، وبالتالي فكل خطاب عن قوة أو طاقة، ينزع عن الطاقة أو القوة عملها النابع من الأفنوم، يحوّل الخلاص إلى علاقة غير شخصية.

ثالثاً: المحبة، وهي طبيعة الله "أيها الأحباء لنحب بعضاً بعضاً لأن المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله"، والباقي شديد الوقع لمن أراد أن يلزم الرب نفسه بالصمت، فلا يكلم فليمون المقاري "ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة" (١ يو ٤: ٨). وعندما يقول الرب "إن خرافه تسمع صوته وأنه يدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها، ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها، والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته" (راجع يو ١٠: ٣ - ٤)، هكذا سمع فليمون المقاري صوت الرب في قلبه؛ لأن من يحب الرب "يجبه الآب والرب يسوع

يجبه، ثم يُظهر له ذاته" (راجع يو ١٤ : ٢١). وعندما يقول المطران: هل هذا معقول؟ فهو يحتكم إلى منطق وعقل آدم الساقط؛ لأنه حقاً إنسان يحيا حسب آدم الأول وعنده جهالة آدم الأول التي يقول عنها الرسول: "لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة" (١ كور ٢ : ١٤).

وهو -أي المطران- ينكر ألوهية النعمة، وهو لا يعرف أن هبات المحبة هي هبات شخصية لحياة شخصية يسكب فيها الروح القدس محبة الله (رو ٥ : ٥)، أي حياة الله، وهي الحياة المسيحية العليا التي تعلو على كل حياة نعرفها حسب الطبيعة الآدمية.

ولأنه -أي المطران- لم ينل هذه الحياة، تجده يقدح ويذم وينكر عمل الروح القدس وشهادة يسوع لنفسه عندما يُظهر ذاته لمن يحب. ولأنه غارق في الكراهية والحسد والبغضة، وهي ظلمة الشيطان نفسه كما يقول معلمنا يوحنا الإنجيلي (١ يو ٣ : ١٣ - ١٤)؛ تجده يحرض على أعضاء جسد الرب من المؤمنين، ويدفع لمن يستأجرهم للكتابة ضد من يحاولون رده إلى الأرثوذكسية.

الرب ينير قلبه، ويطرد منه البغضة ويرحمنا.

لكل ما تقدم، في هذه العجالة نكتفي بتقديم نموذجين فقط دلالةً وشهادةً على فشل الأريوسية القديمة والجديدة في تقديم حقيقة الخلاص برنا يسوع المسيح، والشركة في حياة الثالوث القدوس بالروح القدس.

صراع الكنيسة الجامعة مع الغنوصية^(١)

كلمة لا بد منها:

منذ أن كتب القديس إيريناوس كتابه المشهور "ضد الهرطقات"، وهو خاصٌ بتعاليم الغنوصيين، وصراع الكنيسة الجامعة مع الغنوصية لم يتوقف عبر عصور تاريخ الكنيسة. فقد أفرزت مدارس الغنوصية الأريوسية، ثم الأبولينارية، وبعدها النسطورية. ويمثّل أوطاخي فرعاً غنوصياً لخصّ كراهية الجسد بإنكار إنسانية ربنا يسوع له المجد. لكن عندما انعدمت دراسة التاريخ الكنسي، وتوقّفت عند سرد قصص البطولات، وانعدم الإفراز أو التمييز، كدنا ننسى التعليم المسيحي الأصيل الخاص بالخلق من العدم.

لم يصدر بعد في مصر دراسة كاملة عن الإنسان صورة الله ومثاله (تكوين ١: ٢٧). من يدرس كتاب تجسد الكلمة للقديس أنثاسيوس الرسولي، يجد في بداية الكتاب أن أساس فداء الإنسان قائمٌ على حقيقة محبة الله وصلاحه؛ لأنه خلق الإنسان بنعمةٍ خاصةٍ، وهي شركة الإنسان في اللوغوس الله الكلمة. ولم ننشر بعد، دراسة عن أصول وعمل هذه الشركة التي جعلت من تجسد الكلمة، الدواء الوحيد لإنقاذ الصورة الإلهية التي تلطّخت، وذلك بحضور الكلمة نفسه؛ لكي ينقل من ملامحه ما يجدّد الصورة التي لُطّخت، وهو واحد من أعظم الأمثلة أو التشبيهات التي قدّمها القديس أنثاسيوس في تجسد الكلمة (الفصل ١٤).

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣١ مايو ٢٠١٥.

محور الصراع ضد كل مدارس الغنوصية:

أولاً: الخلق من العدم هو تعليم المسيحية الأرثوذكسية؛ لأن الإنسان وهو كائن الله المفضّل وصاحب الخطوة لدى الله، جاء من لا شيء. يؤكد ذلك قُداشنا الغريغوري: "مما لم يكن"، لكن ذلك الكيان له تصميم أو صورة في تدبير الله سابقة على خلق الإنسان، وهي كما يقول الرب نفسه لأرميا النبي: "كانت كلمة الرب إليّ قائلاً" قبلما صورتك في البطن عرفتك" (١ : ٤).

لم يكن أرميا معروفاً كفكرة، بل حسب صورة يقول عنها المزمور: "نسجتني في بطن أُمِّي" (١٣٩ : ١٣)، ويضيف "رأت عيناك أعضائي، وفي سفرك كلها كُتبت يوم تصوّرت، إذ لم يكن واحد منها" (١٣٩ : ١٦). وهكذا تمت الرؤيا بمجيء الكلمة نفسه متجسداً؛ لأن الله كشف لنا أننا خُلقنا لنكون "مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرّاً بين إخوة كثيرين" (رو ٨ : ٢٩)، ولأننا خُلقنا حسب صورة الكلمة نفسه، جاء الكلمة وتَجَسَّد لكي يعلن لنا أن هذه الصورة هي صورته هو في استعلانها الأخير عندما يتجسّد. ولذلك، سبق رسول المسيح بولس كل ما يقال عن خلق الإنسان، فهتف بالشكر مؤكّداً أن الله الآب اختارنا في المسيح قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم .." (أفسس ١ : ٤)، بل يؤكّد أن هذا الاختيار الذي تم في الابن قبل خلقنا، أي قبل ظهورنا على الأرض "سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة ارادته" (أفسس ١ : ٥).

وعندما نعود إلى اختيار الله لنا، وإلى تلك الصورة السابقة على الزمان، على خلق العالم، ندرك أننا يجب أن نكون أحراراً من أركان العالم" (كولوسي ٢ : ٢٠)، وهو لا يقصد بها النظم والنظريات، بل الأصل البيولوجي التراخي للإنسان.

وقبل خلق الكون وكل ما فيه، الكون الذي خلقه اللوغوس، وهو صورة الله الأزلية، والذي به، والأهم له قد خُلقت الخليقة (كولوسي ١ : ١٦)، ندرك أننا لسنا إزاء مشروع وُلِدَ في زماننا المخلوق مع الأيام الستة الأولى، بل هو مشروع له الجذور والأصول الأبدية.

لم تحرك أحداث التاريخ الإرادة الإلهية؛ لكي يأتي عمل الله كرد فعل على سقوط الإنسان، أو استمرار الإنسان في الشر. الله دائماً هو محرك التاريخ... "السما والارض منذ القديم قائمة بكلمة الله" (٢بط ٣: ٦) لأن القدرة الخالقة التي يعبر عنها الكتاب المقدس بكلمة الله، لم تكن هي الكلمة وحدها، بل نسمة فم الرب، أي الروح القدس (مزمور ٣٣: ٦).

لكن وجودنا في تدبير الله السابق على خلق العالم هو امتياز خاص للإنسان؛ لأنه هو الذي خلق الله له الأرض، حسبما نسبنا ونشكر في القداس الغريغوري، ولأنه منح الإنسان صورته. لكن هناك فرق كبير بين مشروع في مسرة الله وفي إرادته، وما يظهر بعد ذلك في الزمان. ويعبر الرسول بولس عن هذه الحقيقة تقريباً بنفس كلمات أرميا: "لما سُرَّ الله الذي أفرزني من بطن أُمِّي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأبشر به بين الأمم" (غلا ١: ١٥). طبعاً، بين اختيار الله، واكتشاف شاول الذي هو بولس لدعوته، اضطهد كنيسة الله بإفراط "من أجل تدمير الانجيل (غلا ١: ١٣)، وهو ما لا يدخل في مشروع الله، بل هو تصرف عبد الشريعة الذي عرف الكراهية. الخطية لم تكن في تدبير الله؛ لأن الله لا يشاء الشر، بل لا يفرح بموت الشرير (حزقيال ١٨: ٣٢).

هل لنا وجود في الله سابق على خلقنا؟

حسب ما تذكره الأسفار، نعم. ولكن، ذلك الوجود هو مثل صورة في قلب وعقل فنان تحوَّلت في الزمان إلى ألوان وشكل ورسوم، أي صارت لحماً ودماً.

الأريوسية والفادي المخلوق:

لا يوجد لدينا دراسة موسَّعة للمقالات الأربع ضد الأريوسيين للقديس أنثاسيوس. ولكن ما جاء في التدبير من تحديد ورد الصورة الإلهية للإنسان هو عمل الفادي والمخلص الله الكلمة. ألوهية المخلص مستعلنة في ناسوته، وتدبير الخلاص سابق على خلق العالم. هذه نقطة فاصلة بين الأرثوذكسية والأريوسية. لم

تتغير إرادة الخالق بسبب سقوط آدم؛ لأن هذا يتضمن شبه قناعة بأن الله كان لا يعرف مصير الإنسان. وهذا جهل لا يجب أن يُنسب إلى الخالق. الإرادة الأبدية هي تلك الإرادة التي خَلَقَتْ لتفتدي، وفي العبرانية "الخالق" هو "البارئ"، أي المخلّص أيضاً؛ لأن الفعل "خَلَقَ" أو "ب ر أ" دخل العهد الجديد باسم آخر هو "الخلقة الجديدة"، وهو الوعد الإلهي النبوي في (أشعيا ٦٥ : ١٧) والذي أكّده سفر الرؤيا (٢١ : ١) خلقاً جديداً لفداء القديم.

ما استُعْلِن في حياة الرب المتجسّد هو في عبارة المخلص عن تجديد وفداء الكون والانسان: "الآن (في تلك الحقبة من التدبير وهو على الأرض) مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل خلق أو كون العالم" (يوحنا ١٧ : ١٥). ولذلك، يتابع الرب قوله: "وأنا قد أعطيتهم الذي أعطيتني ليكونوا واحداً هم أيضاً واحداً فينا" (١٧ : ٢١).

الحياة الأبدية هي ذلك المجد: "الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا" (١ يوحنا ١ : ٢)، وقد أُظهرت لكي يكون لنا "شركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١ يوحنا ٣ : ٣). الحياة الأبدية هي حياة الابن؛ لأنه "كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته" (يوحنا ٥ : ٢٦). وعندما يقول الرب إنه هو "القيامة والحياة" (يوحنا ١١ : ١٥)، فهو يؤكد لنا أن هذه هي الحياة الغالبة الموت.

عندما حاصرت الأريوسية أعمال الرب الخلاصية في الزمان، جعلت من المخلص مخلوقاً، له فقط، كرامة واسم الرب بلا ألوهة حقيقية، ولذلك كان رد الجمع المسكوني الأول ٣٢٥ "إله حق من إله حق"، ولذلك، أبدية الإرادة وأبدية الحياة المستعلنة في الزمان، لا تجعل الزمان هو سبب استعلانها، والمؤسّس لها.

نحن في المسيح قبل الزمان، ويلتقي الوعي الزماني للإنسان بالإرادة الأبدية، تلك هي رؤية الراهب المقاري.

والحرمان من المسيح هو جهنم، وهو ما ينكره الراهب.

والتناول قبل خلق العالم له معنى واحد فقط، وهو اتحاد الإرادة الإنسانية بالتدبير الأبدي. وهو عودة الأنا والوعي، لا إلى زمان أو مكان، بل إلى الحياة الأبدية التي وَعَدَ الربُّ بها كل مَنْ يتناول جسده ودمه؛ لأن التناول هو استعلان هذه الحياة الأبدية السابقة على خلق العالم، بل وعلى القداسات كلها.

وحصار التناول في الزمان والمكان وحده، هو الوعي الإنساني البيولوجي الضيق الذي لم ينل الاستنارة من الروح القدس. لم يكن لأَيِّ منا -سوى الرسل الأطهار- وجودٌ في العلية يوم خميس الإفخارستيا، ولكن كان هناك الذي جاء لكي نعرف سر إرادة الآب التي قصدتها "لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك -يسوع المسيح ربنا- الذي فيه نلنا نصيباً -في تدبير الله- معينين سابقاً -قبل خلق الكون- حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي إرادته لنكون لمدح مجده..." (أفسس ١: ٩-١٠).

طبعاً غفران الخطايا والتجديد -حسب غنى نعمة الله- هو عمل أبدي في الزمان، ولكن ذلك كان هو السر الخفي المستعلن.

عندما نقف عند مذهب رب القوات ونسمع خادم السر يصلي "المجمع"، ثم ترتيل الشماس ومرد الشعب: "بركتهم المقدسة.."، ما هو الترتيب اللاهوتي وراء هذه الممارسة؟ هو وحدة جسد الرب الكنيسة. هو تناولنا ذات السر وذات الطعام الإلهي الذي أخذوه. والذين لم يكونوا في علية خميس العهد من قديسي العهد القديم، مثل ذاك الذي ذاق الإفخارستيا بشكل نبوي حقيقي: "أخذ جمرَةً بملقط"؛ لأن خدمة السيرافيم ليست للإفخارستيا، فهي خدمة رئيس الكهنة يسوع: "ومسَّ بها فم النبي وقال" إن هذه قد مست شفتيك -لاحظ- فانتزعَ إثمك وكفَّرَ عن خطيتك" (اش ٦: ٦-٧).

إن ما يحدث في القلب من وعي ليس خيالياً، بل هو عودة إلى العطية الأبدية التي حُفِظَتْ لنا في يسوع المسيح، كائنة منذ الأبد ومستعلنة في الدهور.

يقول الرب "إن مَنْ نظر إلى امرأة، فقد زنى بها في قلبه"، وهو حكمٌ بالزنى على

كل رجل مهما كان، فهل خطية القلب هي خيالاً فقط، أم أنها طلب الشر؟ ويسكن الشر في القلب لكي يخرج من القلب، ويتنجس الإنسان، حسب قول الرب يسوع في (مرقس ٧: ٢٢)، فاذا كان الشر قادراً على أن ينجس الإنسان، فماذا يفعل الخير؟ يقول الرب: "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يُخرج الصلاح" (لوقا ٦: ٤٥)، فهل إن انتهى الإنسان شيئاً صالحاً، لا يؤهل القلب إلى نواله؟

إن الذين تحرروا من سيطرة الشريعة ويعيشون حسب الروح المعزي روح الحق، يعرفون أن ذلك حق.

أبدية عطاء الإفخارستيا:

حسب تدبير الله الآب، لم يكن للذبايح الدموية قدرة على أن تحرر الإنسان من الموت، ولكن كان الروح الأزلي الذي به قدّم يسوع دمه حسب (عب ٨: ١٤)، هو الذي في تدبير الله، دمّ المسيح المعروف قبل تأسيس العالم (٢ بط ١: ١٩-٢٠)، وهو قبل خلق الزمان، كشف أبدية التدبير بانه عند تجسده أو عند "دخوله إلى العالم يقول -لآب عن ذبايح الشريعة- إن الآب لم يُسر بها، ثم يقول الابن: مكتوب عني لأفعل مشيئتك يا الله" (عب ١٠: ٥-٧)، ولذلك، سبق العطاء العلية والجلجلة؛ لأن الابن "فيه الحياة"، وهذه الحياة هي نور البشر (يوحنا ١: ٤)، ويكشف لنا الرب عن ذلك بقوله: "أنا هو نور العالم.."، والذي يتبع الرب "يكون له نور الحياة" (يوحنا ٨: ١٢)، ومن آمن بي ولو مات فسيحيا، بل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد (يوحنا ١١: ٢٥-٢٦). ولذلك، ما هو فوق الزمان، هو طلب تلك الجمرة في صلاة القسمة لقداس مار مرقس: "اعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح".

استعلان الثالوث يبدأ: "بجداً وإكراماً للثالوث القدوس"، وهو استعلان الابن الذي "يُظهر وجهه على الخبز والخمر"، يُستعلن لنا، بل في تأكيدٍ على أبدية التدبير: "ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى"، وهي عبارة الرسول في

(١ تيمو ٣: ١٦) عن سر التقوى الله الذي ظهر في الجسد.

نعود إلى القداس الإلهي بالوعي المستنير بنور التدبير الإلهي؛ لكي نصبح أراداً واحداً مع الرب الوهاب لنا الحياة الأبدية، وهي هبة تستعلن ولا تتكرر، فلا يوجد تكرار لأي عطية، ومن يشرب من الماء، إنما يشرب عندما يعطش، وفعل الشرب متكرر، ولكن الماء هو ذاته الماء.

"الله العظيم الأبدي" في صلاة الصلح، هي وغيرها من العبارات القاطعة بعمل الله الذي نحن فيه قبل أن نتعرف عليه، وعندما نتعرف على أبدية الدعوة، وأبدية العطية، يصبح إيماننا أكثر صلابةً لأننا لسنا بالإيمان نحوّل إرادة الله لمصلحتنا، بل هي حسب كلمات رسول المسيح للمختارين بمقتضى علم الله السابق في تقديس الروح للطاعة ورشم دم المسيح ... "لأننا ولدنا من جديد لميراث محفوظ في السموات (١ بط ٢-٥). والميراث المحفوظ لنا نطلبه حسب استعلان النعمة، حسب كلمات الرب نفسه: "تعالوا إليّ يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (متى ٢٥: ٣٤).

اللوغوس خالق الكون ومدبره التعليم الذي نسيناه^(١)

في كتابه ضد الوثنيين، يشرح المُعلِّم السكندري أثناسيوس، كيف أن النظام الكوني وتعاقب الفصول، واختلاف الطبائع، وعدم وجود تنافر، يستدعي وجود سيد للخلقة يحرك كل شيء (الفصول ٣٥ - ٣٨ من الرسالة ضد الوثنيين راجع ترجمة د. جوزيف فلتس ص ٩٩ - ١٠٧).

غير أن الفصل ٤٠ له دلالات جدية بالاهتمام، حيث يقول أثناسيوس:

"كل شيء خُلِقَ بقوة عاقلة (منطق) وحكمة ومهارة". لكن ذلك لا ينسبه أثناسيوس إلى قدرة طبيعة مودعة في الكائنات، يقول عنها تراثٌ عام في الثقافة اليونانية إنها قوة اللوغوس التي أعطاها اللوغوس لكل كائن، والتي عرفها الشهيد يوستينوس باسم معروفٍ في تلك الحقبة من ثقافة عالمية غابت بعد ذلك، وهي "بذرة الكلمة" Σπέρματικός Λόγος وهي حسب الفلسفة اليونانية قوة طبيعية، أمّا حسب الآباء الذين قبلوا هذه الرؤيا، فهي ليست مجرد "بذرة"؛ لأنّ تعبير أثناسيوس يؤكد أن حياة الكائنات لا تأتي من "بذرة اللوغوس"؛ لأنّ أي طبيعة مخلوقة غير قادرة على البقاء بدون اللوغوس - ليس لها حياة أو وجود ذاتي - لأن كلمة الله الذاتي "حيّ فاعل"؛ لأنه كلمة الله الصالح .. الذي ينظم الكون وينيره حسب تدبيره" (الوثنيين ٤٠ : ٤).

يتجلى مبدأ التمييز هنا بين الفلسفة الرواقية، بل مدارس الفلسفة اليونانية، وبين الآباء، في أنه لا يوجد وجود ذاتي للمخلوقات؛ لأنّ بذرة اللوغوس غير قادرة

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٤ يونيو ٢٠١٥.

بذاثها كقوة عُرسَت في الطبيعة أن تحفظ الكون، بل الذي يحفظ الكون هو خالقه؛ لأن الكلمة اللوغوس "رأى أن كل طبيعة خُلقت زائلة، وعُرِضة للزوال (الانحلال) وفق قوانينها الخاصة بها، ولكن لكي لا تنتهي إلى العدم (الذي خُلقت منه)، ويزول (ينحل) الكون ويعود إلى العدم، فإن الكلمة اللوغوس لم يترك المخلوقات تنساق بضعف طبيعتها خشية أن تتعرض لخطر العودة إلى العدم، لكنه -نظراً لصلاحه- فهو يحكم ويثبت كل الخليقة بواسطة كلمته الذي هو الله في ذاته، حتى أنها، وهي تستنير برعاية وتدير وتنظيم الكلمة، يكون لها إمكانية الاستقرار (البقاء في الوجود)" (٤١ : ٣).

ولكن يبقى المبدأ الثاني الهام الذي لا يجب أن ننساه، وهو أن اللوغوس أشرك ذاته بالمخلوقات ἐπιβέβηκεν والسبب الحقيقي لذلك هو أن تشترك الكائنات في اللوغوس "الكائن الحقيقي كلمة الآب، والذي منه تستمد وجودها حتى لا يصيبها ما كان ممكناً أن يحل بها، أي خشية أن تلقى مصير الفناء لولا بقاءها في الوجود بواسطة الكلمة ... فإنه به وفيه كل الأشياء كائنة" (٤١ : ٢ - ٣).

إذن، الوجود والبقاء وعدم العودة إلى العدم ليس قدرة ذاتية في المخلوقات، بل تعود بشكل أساسي إلى شركتها في الكلمة لأنها كائنة وتبقى في البقاء بالقدرة العاقلة λόγῳ καὶ σοφίᾳ καὶ ἐπιστήμῃ والحكمة والخصائص الخاصة بكل كائن التي أعطيت بواسطة اللوغوس.

على أن الكينونة التي خُلقت وحُفظت بالشركة في القوة العاقلة للكلمة، ليست مثل وحدة جوهر الآب والابن. وهنا في الرسالة إلى الوثنيين نلمح باكورة التحديد الذي سد فم الأريوسية، أي Homoousion فقد جاء التمييز الدقيق في عبارة هامة نرى أنها لا يجب أن تغيب عن وعي الذين يحاربون الشركة في الحياة الأبديّة للشالوث، إذ يميّز القديس أنثاسيوس بين شركة المخلوقات في اللوغوس ووحدة الآب والابن بأن:

+ "الابن الحقيقي هو قوة الآب وحكمته وكلمته" (٤٦ : ٨). ولعل هذه

العبارة تدعو المطران نفسه، ويترك الفصل بين القوة والأقنوم ليعود إلى الأرثوذكسية؛ لأنه يدافع عن سقطة كبرى لم يدرك أبعادها بعد.

+ "ليس عن طريق المشاركة $\alpha\upsilon\tau\alpha\ \mu\epsilon\tau\omicron\chi\eta\nu\ \tau\alpha\ \acute{\omega}\nu$ οὐ κατὰ μετοχήν ταύτων هذه الخصائص أو الصفات قد اكتسبها من الخارج οὐδὲ ἐξῶθεν ἐπιγινομένων كما هو الحال مع من يشتركون في طبيعته ويصيرون حكماء به وينالون منه قوة وتعقلاً" (٤٦ : ٨).

+ لكن اللوغوس هو "الحكمة ذاتها والكلمة ذاته والقدرة ذاتها التي للآب". وقد استخدم أثناسيوس الكلمة $\alpha\upsilon\tau\omicron$ أي ما هو في الكيان أو الذات أو الكينونة. ويضع هذه الكلمة مع خصائص أو صفات الكلمة الأخرى: النور - الحق - البر، "ذاته"، وهو تعبير يخلع كل ما يقال عن عقاب الآب لابن لكي يعطي التبرير للخطاة، من جذره. ثم يختم قائلاً: "وبالإجمال هو قوة الآب الفائق الكمال، وهو وحده الابن الذي هو صورة الآب غير المتغير" (٤٦ : ٨ راجع د. جوزيف فلتس ص ١٥٠-١٥١).

قبل ذلك قدّم المعلم العظيم ثلاثة تشبيهات *Simile* تشرح علاقة اللوغوس بالكون: الخورس الذي يقوده قائد واحد، وبذلك يعزف كل كائن حسب قيادة القائد. الحواس التي تديرها النفس الإنسانية. المدينة الواحدة التي يحكمها شخص واحد (راجع ٣٨ : ٤، ٤٣ : ١-٣).

ويضع أثناسيوس مبدأ التمييز بين من له في كيانه القوة والحكمة والنور الخ ومن يشترك فيها لأنه خلِق من العدم، فيقول، حسب الدقة اللاهوتية: الله غير مركب، له وجوده أو بالحري كيانه الحقيقي $\acute{\omega}\nu\ \acute{\omicron}\tau\iota$ غير المركب من أجزاء، ولذلك، الكلمة أيضاً هو كائن حقيقي غير مركب من أجزاء؛ لأنه "هو الله الواحد الوحيد الجنس الصالح الذي وُلِدَ من الآب كما من ينبوع الصلاح" (٤١ : ١ راجع ترجمة د. جوزيف فلتس ص ١٣١) وقد أضيفت بعض كلمات للتوضيح.

αὐτοδύναμις ἴδια τοῦ πατρὸς الذاتية هو قوة الآب الذاتية
وهو ما ينفي كل ترهات الحلول المواهي وما تفرَّع عنه. ولست أدري، ما إذا كان
أصحاب هذه الترهات قد استلموا الطقس خلواً من الإيمان؛ لأن صلاة الصلح
للبطريك الأنبا ساويرس تقول: "أيها المسيح إلهنا القوة المخوفة الغير المفهومة التي
للآب، الجالس فوق العرش .. وأنت نازراً آكلة كإله، من أجل تنازلك الغير
الموصوف ومحبتك للبشر لم تحرق الدافع الغاش (يهودا) عندما دنا منك .." (١).

لقد جاءت الأريوسية الجديدة لوضع الله الثالوث تحت نظريات كلها إنتاج
أريوسي، إذ وضعت هذه النظريات الشروط الواجب أن يتبعها الله نفسه:

أولاً: وضعت الأريوسية الجديدة الله الثالوث تحت تصوُّر غير معلن في
الأسفار، ولا وجود له في التسليم الكنسي، حيث تم تفسير كلمة "فدية" على أنها
ثمنٌ يُدفع. لكن مما سبق، نجد أن الخليقة كائنة ومستمرة في البقاء بشركة في
اللوعوس، ورغم ما فيها، حُفِظَت من العدم؛ لأننا بعد سقوط آدم لازلنا في
الوجود، ولنا بقاء، سواء كنا نؤمن أو لا نؤمن؛ لأن الله حَفِظَ لنا البقاء، لكي
نُقتدى بعد ذلك.

ثانياً: عندما خُلِقَ الانسان، فقد خُلِقَ من العدم، لكن بإرادة أبدية لكي
يبقى، وهي -أي هذه الإرادة- هي سرُّ بقاء الإنسان؛ لأن الإنسان قادرٌ على أن
يقول: "أنا"، وهي الوعي بالوجود الذي أُعطي كهبة من الخالق الذي يقول:
"أنا"، أو حسب تعبير القديس أناسيوس في تجسُّد الكلمة إن الانسان خُلِقَ "في
عدم فساد (الخلود حسب الصورة الإلهية) كان ممكناً أن يعيش منذ ذلك الحين
مثل الله as God - ὡς θεός كما يشير الكتاب المقدس إلى ذلك حينما يقول:
"أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم، لكن مثل الناس تموتون" (مزمور ٨٢: ١ -
٧) (فصل ٤).

(١) وهنا يجب أن نتذكر، ونذكر القراء بالثمن الغالي الذي دفعه د. مجدي وهبة (القس صموئيل وهبة)؛ لأنه أعاد ما استقر في تراثنا، وهو تناول يهودا مع الرسل.

هذه نعمة اللوغوس، أن نحيا حياة إلهية (تجسد الكلمة ٥ : ١).

ولكن عندما تستمر الدعوة طوال ٤٠ عاماً بأن المخلص يجب أن يكون "إنساناً"، فإن ذلك يُسقط الخلاص بؤمته؛ لأنه لا يكفي أن يكون المخلص إنساناً فقط، بل يجب أن يكون إلهاً متجسداً. ذلك ما يؤكده القديس أثناسيوس نفسه، والوجود هنا ليس شرطاً وضعناه نحن من عقولنا وتصوراتنا، بل "لأنه بسبب صلاح أبيه ومحبه للبشر، ظهر لنا في جسد بشري لأجل خلاصنا" (تجسد الكلمة ١ : ٤). ثم يضيف: "وهكذا يستطيع المرء أن يدرك أن تجديد الخليقة تم بواسطة الكلمة الذي هو خالق الخليقة في البدء.. لأن الآب أتم خلاص العالم بالكلمة الذي به خلق العالم" (١ : ٤). وأيضاً: "نزوله إلينا كان بسببنا، وأن تعدينا استدعى تعطف الكلمة لكي يأتي الرب مسرعاً لمعونتنا ويظهر بين البشر" (٤ : ٢).

وهنا يجب أن نلتفت وبشدة إلى أن الأريوسية القديمة والجديدة معاً لا تبشران بتجديد الكيان، بل بتحول أخلاقي، بينما الأرثوذكسية ترى أن اللوغوس هو وحده الذي يرد الإنسان إلى حالة الوجود الإلهي، وأن يأتي بالفساد إلى عدم الفساد (تجسد الكلمة ٧ : ٤-٥)، هو وحده القادر؛ لأنه الخالق الذي خلق مع الآب، ومع الآب يفتدي الخليقة من الموت.

خضوع أو عبودية الإنسان للفساد والموت:

لم أندش لما تقدّمه الأريوسية الجديدة من دفع ثمن وموت نيابي عن الخطاة، قام به المسيح، بينما أثناسيوس العظيم يرى أن محبة الآب للبشر أرسلت الابن وتجسد (٨ : ٤). ويقول أثناسيوس عن موت الرب: "إن الجميع ماتوا فيه (المسيح)، فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء؛ لأن سلطان الموت قد استُنفذ في جسد الرب" (٨ : ٤).

عندما ينكر المطران أننا نموت مع المسيح، بسبب تسلط فكرة الفدية المدفوعة لله الآب، وبجحة أننا لم نكن موجودين عندما صُلب الرب، فهو ينكر كل ما ورد في (رو ٦ : ١-١٤): مثل: "اعتمدنا ليسوع، اعتمدنا لموته"، "صرنا متحدين معه بشبه

موته .."، والشَّبه يعني أن لا تُدق المسامير في أجسادنا، ولا أن نعلّق على صلبان، بل أن نقبل موته فينا، و"نصير أيضاً بقيامته"، وهو اختبار بولس نفسه، أي اختبار الشخص: "مع المسيح صُلبتُ فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في" (غلا ٣: ٢٠). كل هذه يُطوِّح بها المطران في بئر الإنكار؛ لأنه اعتنق عقيدة الكنيسة المشيخية التي أخذت تزيل الأسرار، وفي مقدمتها الكهنوت بعقيدة الكفارة ودفع الثمن ترضيةً لله الآب؛ لأن الخلاص تمَّ على الصليب، وما على الذين يسمعون هذا الخبر السار إلاّ الإيمان بما حدث في الماضي. وهكذا يقطع هذا التعليم الفاسد كل حضور سرائري للرب يسوع المسيح نفسه، بحجة أن الدم والجسد أُعطى للآب، وأن العشاء الرباني هو ذكرى لما حدث، لا اختباراً شخصياً سرائرياً مستعلنًا بالروح القدس. وبالتالي يظل كيان الإنسان خاضعٌ للفساد والموت، فحتى وإن تغيَّر عقله أو فكره، ولكن جسده وكيانه الإنساني ظل بلا تجديد؛ لأن الخدعة الكبرى هي أن الذي يؤمن يعتبر أن الإيمان، أي اعترافه هو بالإيمان، هو الميلاد من فوق، وهو ما يعني أننا أمام ولادة ذاتية، أي Self – born تنبع من ذات المؤمن، حيث يلد كلٌّ مَنْ يؤمن ذاته من ذاته، وليس من الله الآب في يسوع المسيح.

علاقة الأريوسية الجديدة مع الأريوسية القديمة

تُرى هل ابتعدنا عن النقطة الأصلية التي سقط فيها الجمع - بعد أن خدعه مَنْ خدعه، سواء أكان الأنبا بيشوي، أم كان غيره - وقرأ عبارات مقطوعة عن سياقها من كتاب رسائل أبونا فليمون؟

أبدأ. فالعلاقة بين الأريوسية الجديدة، والأريوسية القديمة هي علاقة ممتدة بين أريوس وتلاميذ مدرسته الذين - للأسف - ما زالوا يعيشون فساداً في التعليم. القصة القديمة تقول إن أريوس كان يجول في الأسفار المقدسة باحثاً عن نصوص وكلمات تؤيد فكره الملتوي الوثني، ووجد ضالته في نص السبعينية لسفر الأمثال ٨: ٢٢ "الرب خلّقي أول طريقه"، وهو حديث الحكمة في كل الإصحاح. ولأنه يسعى خارج التسليم الكنسي، فَهَمَّ أن الحكمة خُلِّقَتْ، وإن الابن "حكمةُ الآب خُلِّقَ

في الزمان"، و"أنه كان هناك زمانٌ لم يكن للابن كيان"، أو "لم يكن موجوداً حتى خُلِقَ" .. إلى آخر ذلك من عبارات مسجعة في الأصل اليوناني، صيغت في أشعارٍ شعبية عُرفت باسم "المأدبة" أو "الثاليا".

وكان يمكن لأثناسيوس أن يعود إلى الأصل العبراني، الذي هو "الرب قناني"، لكنه لم يُضِعْ أي وقت، أو جهد في ذلك؛ لأن في ذلك ضياعٌ للهدف. فشعب الكنيسة في الإسكندرية، رغم أنه كان يسكن في وسط أكبر جالية يهودية، إلا أن اللغة السائدة حتى بين يهود الإسكندرية، كانت هي اليونانية^(١)، ولذلك كتب أثناسيوس الشرح اللاهوتي على أساس النص اليوناني، وهو "الرب خلقتني". ولكنه يسأل: ألا توجد في الأسفار خليقة قديمة ذُكرت في سفر التكوين، وخليقة جديدة جاء بها التدبير في (٢ كو ٥: ١٧): "إن كان أحدٌ في المسيح، فهو خليقة جديدة؟" لكن متى بدأت الخليقة الجديدة؟ لقد استُعِلَّت في آدم الجديد، أو آدم الأخير (١ كو ١٥: ٤٥-٤٦ وما بعده)، ورغم أنه ظهر في زماننا، إلا أن الأصل هو ما قبل الزمان؛ لأن رأس الخليقة الجديدة هو الكلمة اللوغوس. "البدء"، حسب الزمان هو موعد محدد فعلاً، وهو صواب، ولذلك لا يزال "البدء" هنا مغلقاً أمام الأريوسيين وشهود يهوه ومذاهب الإنجيليين؛ لأنه بدءٌ زمنيٌّ أُغلقوا عليه إطار الزمان، وهو أمر مختلف عما يقوله يوحنا: "في البدء كان الكلمة"؛ لأن "البدء" هنا هو "الألف"، و"البدء" هو "الأصل" والبداية التي ليس لها بداية؛ لأنها لا تنتمي إلى ما خُلِقَ في الأيام الستة الأولى.

غير المصنوع بيد

"ختنتم ختاناً غير مصنوعٍ بيد ... بختان المسيح" (كولوسي ٢: ١١) ختان المسيح، وهو حسب (كولوسي ٢: ١١ وما بعده) هو المعمودية: "هي هبة الله الأب في المسيح بالروح القدس. وهي لم تكن مصنوعةً بيد، أي لم تُوهَب بواسطة

(١) ولذلك كتب فيلو الاسكندري كل مؤلفاته باللغة اليونانية.

بشرية، بل هي "من فوق"، ورغم أنها تتم في مياه مخلوقة، إلا أن حتى هذه لم يخلقها الإنسان. ورغم أنها تتم في الزمان، إلا أن الزمان انتهى دوره؛ لأنه قد "كَمَّلَ الزمانُ بخبز الإنجيل" (مرقس ١ : ١٥).

وإلى حوار هبة المعمودية غير المصنوعة بيد، هناك أيضاً "المسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد الذي ليس من هذه الخليقة" (عب ٨ : ١١). والمسكن الأعظم والأكمل هو ناسوت الرب، حيث حلَّ الروح القدس لكي يكون في أحشاء البتول، ذلك الجسد الإنساني الحقيقي المولود "من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم"، هو ليس ثمرة زواج؛ لأنه غير مصنوع بيد، بل كونه الروح القدس.

وبالرغم من ذلك تطل علينا الأريوسية الجديدة بإنكار حلول أقتوم الروح القدس علينا، وهو إنكارٌ لحلول الروح القدس على الشعب والخبز والخمر في الخدمة الإلهية (القداس)؛ لأن كل شيء -حسب الأريوسية الجديدة- يتم في الزمان، بسلطان الأسقف الزماني، فهو الذي يقُدّس وليس الروح القدس. والروح حلَّ مرةً واحدةً على القديسة مريم، ولم يحل على الرسل في العنصرة؛ لأن الذي حلَّ عليهم هو طاقة أو قوة لا الأقتوم، وقياساً على ذلك لا يحل في القداسات ولا في المعمودية ولا هو مسحة إلهية تُعطى في الميرون.

وهكذا، تمت محاصرة التدبير في الزمان، ومن خلال السلطان الكهنوتي المزيف، فهو الذي يعطي وليس الثالث. هو سلطان زماني وليس سلطان الروح القدس الذي يعلن أبدية التدبير، ولذلك تم تدمير كل أساسات السرائر طوال ٤٠ عاماً بتخريبٍ منظمٍ للعقيدة، وصار الصراع ضد التعليم الأرثوذكسي يقوده صحافيون لا علماء اللاهوت، وأصبحت معركة الإيمان تُدار إعلامياً في حلقات الإعلام لا في جلسات تحقيق تجمع العارفين والدارسين، ومن أجل حشد شعبي لا من أجل الإيمان. وضاعت أموال الأيتام والأرامل على الإعلام بكل وسائله، لا على نشر التراث، ولا حتى على تطوير العشوائيات التي تجمع الذين طُردوا من

منازلهم في بعض قرى صعيد مصر لكي يتم إفراغ الصعيد من الأقباط.

إذن، فقد اختفى البعد الأبدي والأساس الإلهي، كما أوضحنا، ولم يقتصر الأمر على عقيدة الفداء وحدها، بل امتد ذلك إلى تدمير عمل الروح القدس في النفس والجسد وفي السرائر. ولم يكن الهجوم على الشركة في الطبيعة الإلهية إلاّ هجوم الأريوسية القديمة والجديدة معاً على شركتنا في الله.

وحتى تدرك -عزيزي القارئ- مدى استفحال الفساد الذي دب في جسم التعليم، ومدى انتشار وتشعّب الأريوسية الجديدة، وأن الأمر لا يقتصر على أساقفة المجمع، بل امتد إلى طول البلاد وعرضها، أدعوك أن تتأمل ما نشره قسّ من دمنهور يشغل منصب وكيل الكلية الإكليريكية فرع دمنهور على إحدى صفحات الفيسبوك، يهاجم فيها بكل ضراوة، لا ما كتبناه نحن عن قرارات المجمع، بل بالأكثر، يهاجم ما يخدمه هو كل يوم أحد. وها هي عباراته كاملة غير مبنورة، ما عدا ما ذكره من شتائم وعبارات لا تليق بخادم يقف على مذبح رب القوات يطلب الرحمة لنفسه ولشعب الكنيسة:

يقول: "اللاهوت يا سادة روح والروح غير مادية وطالما أن الروح غير مادي فهو لا يتأثر بكل ما هو مادي".

ثم يقدّم كلام نسطور تلميذ أريوس، فيقول: "فنحن نأكل الخبز ونشرب الخمر المتحد باللاهوت، فالذي يتأثر بالأكل المضغ والشرب هو الجسد والدم وبعد المناولة نصرفه بالماء، فهل اللاهوت يحتاج إلى أكل ومضغ .. إذن نحن نأكل جسد ودم المسيح المتحد باللاهوت دون أن يتأثر اللاهوت بالأكل أو الشرب".

وينتهي إلى ذات كلام أريوس ونسطور معاً: "فإن كان الإفخارستيا يؤلّها ويجعلنا مثل الله فلماذا نخطئ بعد التناول، فمن المفترض أن تتحول طبيعتنا لطبيعة معصومة لا تخطئ أبداً".

ثم تطرّف أكثر، فقال: "وإن كان يؤلّهُ من يتناول منه، فهل يؤلّهُ الغير مستحقين؟"

كيف تعبّر الصلوات عن السر المجيد؟

ونحن لن نتناول كل هذه العبارات بالرد، فقد سبق لنا أن أوضحنا عدم أرثوذكسيتها في أكثر من مجال. لكن عندما يستخدم هذا الكاهن عبارة: "فنحن نأكل الخبز ونشرب الخمر المتحد باللاهوت"، وهي عبارة غير موجودة في نصوص صلوات القديس التي يصليها على المذبح، فهذا يعني أنه ترك التسليم الكنسي المودع في صلوات الكنيسة، وكان أولى به أن يتمسك بما جاء فيه، ولكن يبدو أنه لم يتسلم منه شيئاً سوى حركات الطقس فقط، والدليل على ذلك أنه في صلوات القديس لا يوجد ذكر لخبز متحد باللاهوت الله الكلمة، بل "الذبيحة الإلهية غير المائتة السماوية". ونحن نشرب الماء وقاراً لمحبتنا في عطية الحياة الأبدية والقيامة من الأموات حسب كلمات الرب، لا لكي "نصرّف التناول"، خوفاً من وقوع جوهرة منه من بين الأسنان؛ لأن الرب الذي غلب الموت لا يقع تحت طائلة الموت بعد قيامته، بل يقيم الموتى حسب قوله هو شخصياً: "مَنْ يَأْكُل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو ٦: ٥٤).

ويبدو أن هذا الأب الكاهن صاحب هذه العبارات، يسير على ذات منهج المطران بيشوي، صاحب فتوى عدم تبرع الأقباط بالدم للمسلمين، لأن دم المسيح تحول لديه إلى سلعة وقنية تعمل بقوة سحرية بلا إرادة وبلا معرفة وبلا إيمان، وقد نسى أو تناسى أنهم لو غطّسوا مسلماً في بحيرة من دم المسيح، وكان لا يؤمن بالمسيح، فلن يفيد ولن يتأثر؛ لأن المسيح طَلَبَ الإيمان، وجحد الذات وحمل الصليب قبل التناول من جسده ودمه.

أعود إلى القس وكيل الكلية الإكليريكية بدمنهو وأقول له: إن التسليم الكنسي يبنهك وأنت تعطي السر للمتناولين إلى أن تقول: "جسد ودم عمانوئيل إلينا. هذا هو بالحقيقة آمين"، بل وأنت تمسك بالأسرار تقول: "وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". الأكل والشرب هنا له المعنى اللاهوتي الوارد على لسان الرب: "يكون فيّ وأنا أكون فيه"، حسب النص القبطي، بل

يقول الرب في عيد المظال لليهود: "وقف يسوع ونادى قائلاً إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب .. قال هذا عن الروح القدس" (يوحنا ٧: ٣٧-٣٨)، ولذلك نزل في القطعة الخامسة من ثيوطوكية يوم الجمعة:

- أيتها العذراء مريم والدة الإله

بستان العطر

ينبوع ماء الحياة المقدس".

وفي الشيرات الثانية، نقول:

- السلام للإناء الغير الفاسد الذي للاهوت

المعطي الشفاء لكل من يشرب منه".

وعندما قال الرب: "الخبز الذي أنا أعطي"، فقد غاب من وعي المصابين بالأريوسية، قوة كلمة "أنا أعطي .. هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم". وقد ظن هؤلاء الأريوسيون أيضاً أنهم يمكنهم أن يتأهلوا بدون إرادة وبدون محبة، وبدون حرية، وهم في ظنهم هذا جعلوا الله مثله مثل امرأة تُغتصب، يهجمون عليها فينالون منها ما يريدون. وما ظنهم هذا إلا لأتهم يعبدون طبيعة بلا أقانيم، بلا إرادة وبلا تمييز، وبالتالي يسهل عليهم أن يعتقدوا أن من يحل عليه الروح القدس يصبح إلهاً، فقد جرّدوا الله نفسه من حرية الإرادة، وجعلوا الله مثل طعام يأكلونه لكي يقتلون جوعهم.

أمّا بقية الكلام السخيف، فهو ذات الكلام النسطوري الذي نطق به الأنبا شنودة الثالث، وهو ذات عبارات نسطور التي حوكم عليها في مجمع أفسس ٣٤١، وهي إن الرب قال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي، ولم يقل خذوا كلوا هذا لاهوتي"، وفصل بين اللاهوت والناسوت.

لقد سقنا هذا المثل للتدليل على ما آلت إليه حالة التعليم في الكنيسة القبطية، بعد ٤٠ عاماً غابت فيها الحرية والمحبة وحل محلها البطش والقطع، وأوصلتنا في النهاية إلى بركة الوحل الشيطاني التي يتم فيها محاكمة اللاهوت

إعلامياً، فقد جُبِنَ الذين لا شجاعة لديهم، ولا يملكون معرفةً أو دراسةً عن مواجهة الأب متى المسكين وعن مواجهتي، فكان أن استأجروا صحافيين لا علم لهم، يستكتبونهم، فزادوا الطين بلةً.

ويبقى طلبُ حائزٍ عن تحديث الخطاب الديني في الكنيسة، فقد جاء مؤتمر التعليم اللاهوتي الذي أداره قداسة البابا تواضروس الثاني ببراعة في مركز انافورا، وعرّى الحقائق، وكشف المستور، ولذلك لا تزال القرارات والتوصيات تصارع في دهاليز الدار البابوية لعلها ترى النور في يوم من الأيام.

الهرطقات تلغي اتحادنا بالثالوث:

أولاً: الهرطقات كلها تدير الكيان الإنساني نحو الإنسان، عندئذٍ يصبح الإنسان بلا علاقة سوى ما جاءت به الشريعة، وهو ما يظهر في حماس بعض الإكليروس في فرض شريعة التطهيرات على نساء الكنيسة. هذا الحماس يجد سببه الأول والأخير في عدم الإيمان بما جاء به الوسيط رأس الكنيسة الذي لا يمكن فصله عن باقي الأعضاء؛ لأن القيامة، أي قيامة الرب، هدمت الانفصال بكل أشكاله.

ثانياً: لم يتأصل بعد في فكر واعتقاد بعض الأساقفة أن الكنيسة جسد المسيح. وعندما يظهر أسقف في شبكة المعلومات ليقول إن النساء لا يحق لهن لمس أجساد القديسين، فهو يكشف عن أنه لا يؤمن أصلاً بأن النساء أعضاء في جسد المسيح الكنيسة، ولا يؤمن أنه في يسوع المسيح ليس ذكراً ولا أنثى (غلا ٣: ٢٨).

ثالثاً: وعندما يصبح حلول الروح القدس هو حلول قوة، لا حلول الأقنوم، وتخرج فتاوى أريوسية تفصل الهبة عن الواهب، والعطية عن العاطي، والقوة عن الأقنوم، فإن كل ما يقوله الأساقفة أصحاب هذه الفتاوى التي لا يعرفها التاريخ الكنسي، ولا الحياة الليتورجية الأرثوذكسية، يؤكد أنهم هم أنفسهم بلا شركة في حياة الثالوث، وأن ذكر الثالوث على الألسنة، هو مجرد ذكر لفظ، لا إيمان بشركة. ولذلك، دعونا نلفت النظر إلى هذه النتائج المدمرة التي تحتاج لمجمع خاص

من الأساقفة الأرثوذكسيين لكي يعلنوا إيمان أم الشهداء نقياً بلا خرافات وفتاوى العصر الوسيط؛ لأن الاعتراف اللفظي خلوا من الإيمان بالشركة، يعني:

١- إنكار ألوهية الرب والمخلص رغم الاعتراف اللفظي وخدمة الشفاه، وهو ما يظهر واضحاً بمحاصرة ما فعله الرب يسوع لأجلنا، وقصر هذا التحول الكبير على ما قدمه للآب لأجلنا، عليه هو، تاركين ما يفعله ويخدمه فينا مثل عطية البنوة والقيامة من الأموات وغفران الخطايا، والأهم، عطية الروح القدس الذي وحده يفتح لنا ينبوع الحياة الإلهية للثالوث القدوس.

٢- إنكار شركتنا في ألوهية المخلص، لا سيما في السر المجيد، وأن قصر هذه الشركة على الناسوت وحده، والغاء الاتحاد بالرب يسوع المخلص ورأس الجسد، تعني أنه لا توجد قيامة لنا، ولا حياة أبدية؛ لأن الجسد لا يفيد شيئاً، كما قال الرب نفسه.

ومن الضروري أن نعود ونفتح ملف النسطورية - هرطقة نسطور الذي فصل بين يسوع والابن الكلمة. وهنا نذكر الأب الموقر وكيل الكلية الإكليريكية بدمنهو بالحرم الحادي عشر من حروم القديس كيرلس السكندري، الذي يقول:

"مَنْ لا يعترف أن جسد الرب هو معطي الحياة، وهو يخص الكلمة الذي من الله الآب، بل يقول إنه جسدٌ لواحدٍ آخر غيره، وأنه مرتبط به بحسب الكرامة، أي حصل فقط على حلول إلهي، ولا يعترف بالحري أن جسده معطي الحياة - كما قلنا سابقاً - لأنه صار جسد الكلمة الخاص به الذي يستطيع أن يهب الحياة لكل الأشياء، فليكن محروماً".

٣- ونختتم بالحرم الثاني عشر، حيث يؤكّد القديس كيرلس:

"مَنْ لا يعترف أن كلمة الله تألم بالجسد، وصُلب بالجسد، وذاق الموت بالجسد، وصار البكر من الأموات، حيث أنه الحياة ومعطي الحياة كإله، فليكن محروماً".

هذه الحروم لا يصلح معها أن يكون هناك اعترافٌ بالكلمات، دون أن يكون هناك إيمان واضح بأن الرب أعطانا حياته؛ لأنه لم يقل مَنْ يأكل جسدي فقط، بل قال: "مَنْ يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦ : ٥٧)، وياء المخاطبة في كلمة "يأكلني"، تعني يأكلني "أنا"، وهو ضمير لا يعود على الناسوت أو اللاهوت، بل على الرب الذي قال: "أنا هو القيامة والحياة".

هل مات المسيح عوضاً، أم نحن كنّا فيه؟ مشكلة الأريوسية قديماً وحديثاً^(١)

الأريوسية القديمة والعودة إلى اليهودية:

عندما اتهم القديس أناسيوس الأريوسيين باليهودية، تُرى هل كان متجنّياً أو متطرفاً أو لا يراعي الظروف، أم أنه كان على حق؟ هل كان عليه أن يحتمل ويصمت، في الوقت الذي يرى فيه الإيمان يُداس تحت أقدام الأريوسيين؟ ألم يكن عليه أن يوضح الحقيقة ويكشف خلفية الهرطقة الأريوسية، وتلك الصلة الخفية بين الأريوسية واليهودية؟

من كتابات أناسيوس يتضح لنا أن اتهامه للأريوسية باليهودية لم يكن اتهاماً مرسلاً، بل قدم لنا حيثيات هذا الاتهام موثقاً، ومن كتاباته تتضح لنا هذه الصلة الوثيقة بين اليهودية والأريوسية كالآتي:

أولاً: يسجل أناسيوس عداوة اليهود القدامى، والمعاصرين لأناسيوس، والأريوسيين، يسجّل "عداوتهم للمسيح"، بل، عندما يكتب دفاعاً عن ديونسيوس الإسكندري، يذكر -بكل وضوح- أن "اليهود في ذلك الزمان واليهود الجدد في أيامنا ورثوا جنون العداوة للمسيح عن أبيهم الشيطان" (فقرة ٣٥ راجع ص ١٧٧).

ثانياً: ولا يكشف فقط القديس أناسيوس عداوتهم للمسيح، بل يفضح أيضاً "إنكارهم له"، وهو ما يجمع يهود الإسكندرية والأريوسيين معاً" (ضد الأريوسيين ١ : ٨ ص ٣١٠). وفي المقالة الثانية -وهو يرى كيف يلوي اليهود

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٧ يوليو ٢٠١٥.

والأريوسيين عنق عبارات الأسفار، يكتب المعلم قائلاً: "هؤلاء لا يعرفون المسيحية على الإطلاق لأنهم لو كانوا (الأريوسيون) يعرفونها، لما أغلقوا على أنفسهم في عدم الإيمان كاليهود المعاصرين" (٢: ١ ص ٣٤٨ - الترجمة العربية ص ١٠). ويصف أثناسيوس العداوة للمسيح بأنها مؤامرة الشيطان ضد الرب نفسه، وأن الأريوسيين يقلّدون صلف اليهود" (أدلفوس ١ ص ٥٧٥).

ثالثاً: ولأن المصلوب هو "رب المجد" (١ كور ١: ٢٤ - ١ كور ٢: ٨)، فإن العداوة امتدت ليس فقط إلى الخلاص نفسه، بل وإلى تعيير الرب، حيث يفعل الأريوسيون ذلك قائلين مثل اليهود: "لو كنت ابن الله خلص نفسك" (متى ٢٧: ٤٠). ولكن؛ لأن المصلوب هو حقاً ابن الله، فقد استُعِلَّتْ قوة الله للخلاص، ولكن إنكار ألوهية المخلص رغم الآلام التي احتملها في الجسد، ليست مجرد إنكار ألوهية الرب، بل هي عودة إلى اليهودية (رسالة إلى مكسيميان ١، ٢، ٣).

الأريوسية في ثوبها الجديد:

وإذا كانت العلاقة بين الأريوسية القديمة واليهودية تبدو في لِيّ عنق عبارات الأسفار، وفي اعتبار المخلص رب المجد مخلوقاً بلا ألوهية حقيقية، فهذا هو ذات ما تفعله الأريوسية الجديدة أيضاً عندما تلوي نصوص العهد الجديد، وتعلّم بأن الغفران ليس مجانياً، بل مدفوع الثمن، وعندما تحقّر الرب وتُسْقِطه تحت جلدات حارقة وعذابات تتصور أن الآب يصبها على الابن استئداءً لثمن الخطايا وطلباً لرضى لا يُرضي أحداً، وكأن الابن مخلوق، وليس إلهاً، في حين أنه لو كانوا يؤمنون بأن الابن هو الكلمة الخالق، لَمَا تَجَرَّأُوا على القول بأن الابن يدفع "ثمن الخطايا"، وذلك لأنه - ببساطة - هو رب الخليقة، وأحد الثالوث القدوس. ويدكرنا القديس أثناسيوس بهذه الحقيقة، مستجوباً الأريوسيين:

"إن كان الكلمة مخلوقاً، فكيف يمكنه أن يُطِلَ حكم الله ويصفح عن الخطية، وهو أمر كتب عنه الأنبياء أنه خاصٌّ بالله؟ لأن "من هو إلهٌ مثلك غافر الإثم ومتغاضٍ عن الخطايا"

(ميخا ٧: ١٨)، فإن الله قال: "إنك ترابٌ وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩)، فصار البشر موتى. إذن، كيف يكون في إمكان أيٍّ من المخلوقات أن يُطِل الخطيئة؟ فإن الرب نفسه هو الذي أبطلها، كما قال هو نفسه: "إن حرركم الابن" (يو ٨: ٣٦) ... الكلمة الذاتي وصورة جوهر الآب هو الذي أصدر الحكم في البدء، وهو الذي صَفَحَ عن الخطايا. وإذا قال الكلمة: "أنت تراب وإلى التراب تعود"، فإن الحرية تتحقق أيضاً بالكلمة نفسه وفيه وبه قد صار إبطال الدينونة" (ضد الأريوسيين ٢: ٦٧).

وتردد الكنيسة أم الشهداء ذات الإيمان في القطعة السابعة من ثيوطوكية الاثنين:

السلام لبيت لحم ... التي ولدَ فيها المسيح آدم الثاني
لكي يرد آدم الإنسان الأول الترابي إلى الفردوس
ويحل قضية الموت: إنك يا آدم تراب وإلى التراب تعود".

الأريوسية الجديدة بين الاعتراف اللفظي، والإنكار العملي لألوهية المخلص

إذن، لا تختلف الأريوسية الجديدة عن سابقتها القديمة في اعترافها اللفظي بالابن، وإنكارها العملي لألوهية المخلص، ذلك لأن مجرد الكلام عن الابن دفع ثمن خطايا البشرية، وأن عقاب الخطيئة وقع عليه من يد الآب، ينفي عن الابن أنه أحد الثالوث القدوس والمساوي للآب، وذلك على التفصيل الآتي:

أولاً: إن ما ذكره القديس أنثاسيوس في المقالة الثانية: ٦٧ ضد الأريوسيين، يكفي لإظهار أن الرب هو الذي أصدر الحكم "موتاً تموت" مع الآب ومع الروح القدس. وعندما تحول الأريوسية الجديدة الرب إلى مجرد ثمن يُدفع للآب، فهي تنكر هذه الحقيقة، وبذلك تنفي الخلاص الأبدي، رغم اعترافها اللفظي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، هذا الكلام لا ينفي فقط أبدية الخلاص، وإنما يتعدى ذلك إلى نفي حقيقة أبدية أخرى هي شركتنا في حياة المسيح، وبالتالي شركتنا في موت المسيح على الصليب، وقيامته. لا شك أن الرب صُلب حقاً، و"ذاق الموت بالجسد" فعلاً، لكن موت الرب ليس موتاً نيايياً، ولم يكن الرب بديلاً عقابياً كما يقول الأريوسيون الجدد، ولكنه كان - كما يقول القديس أنثاسيوس:

"موت الجميع قد تم في جسد الرب

ὁ πάντων θάνατος ἐν τῷ κυριακῷ σωματι ἐπληρὺ το".

(تجسد الكلمة ٢٠ : ٥)

وقبل ذلك يقول:

"الجميع قد ماتوا فيه" (تجسد الكلمة ٨ : ٤).

فإذا كان "موت الجميع قد تم في جسد الرب، وإذا كان الجميع قد ماتوا فيه"، فالقديس أنثاسيوس يتكلم إذن عن شركتنا في موت الرب، وإذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن أن يكون تعبير: "عوضاً عن الجميع" الذي يظهر في الترجمة العربية، إلا نتيجةً لسيطرة الفكر الغربي اللاتيني والإنجيلي؛ لأن هذا التعبير لا يمكن أن ينسجم مع عبارات القديس أنثاسيوس ذاته، وهو ما يتبين لنا من النص التالي، حيث يقول أنثاسيوس:

"بذل جسده للموت (عوضاً) عن الجميع وقَدَّمه للآب

كل هذا فَعَلَهُ من أجل محبته للبشر.

أولاً: لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه،

فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء

لأن سلطان الموت قد اسْتُفْذِلَ في جسد الرب

فلا يعود للموت سلطانٌ على أجساد البشر.

ثانياً: فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية،

يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد

الذي جعله جسده الخاص

وبنعمة القيامة، يبيد الموت منهم كما تبيد النارُ القشَّ"

(تجسد الكلمة ٨ : ٤).

بالتأمل ملياً في عبارات هذا النص يتضح لنا أن القضية كما تبدو من النص هي: كيف يمكن لأنثاسيوس أن يقول عن الكلمة: إنه مات عوضاً عن الجميع، (وهو ما يعني -في هذه الحالة- أن حكم الموت لم يتم في البشر، بينما في نفس الوقت يقول: لكي إذ كان الجميع

قد ماتوا فيه ... هل الجميع ماتوا فيه، أم أنه مات عوضاً عن الجميع، وبالتالي لم يمت الجميع فيه؟ ولكن الجواب هو من ذات كلمات أنثاسيوس:

١ - "بذل جسده للموت (وإضافة "عوضاً" لا تستقيم مع باقي العبارة) عن الجميع وقَدَّمه للآب.

كل هذا فَعَلَهُ من أجل محبته للبشر".

تلك عبارة تؤكد محبة البشر، لا الموت النيابي، أو البديل العقابي الذي جاء مع العصر الوسيط الأوربي، وساد في أوساط حركة الإصلاح.

٢ - "لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه".

تعبير يؤكد، ليس نقل حكم الموت من الجماعة، (البشر) إلى شخص واحد هو المسيح يسوع، بل يؤكد أن الواحد ماتت فيه الجماعة، ذلك أن حكم الموت، الذي شمل الكل لا يمكن التنازل عنه، ولا يوجد ما يبرر حتى في العدل الإلهي نفسه - كما يتصوره بعض دعاة الأريوسية الجديدة - أن يتم التنازل عن الحكم إذا قِيلَ آخر، ولكن قوة موت الرب يسوع هي في أنه يملك الحياة والموت، فهو الكلمة الخالق الذي يستطيع أن يحل "قضية الموت" كما تقول كلمات التسبحة. إن التصور الدقيق يكمن في إدراك قوة الخالق الذي لا يحاسبه أحد، ولا يوجد إله آخر يحاسبه، أو يطلب منه فدية، بل هو الإله الخالق والمخلص. وعندما أخذ الرب الموت، فقد فعل ذلك كخالق، وعندما تم حكم الموت في الابن المتجسد، رَفَعَ حكم الموت عن الكل، وتحول حكم الموت إلى خلاص، وهو ما يؤكد المعلم الرسولي عندما يقول: "إذ الجميع ماتوا فيه"، وهو ذات ما يقدمه الرسول بولس نفسه: "كما في آدم يموت الجميع"، وهو هنا آدم الثاني الذي قبل الموت لكي يتم باقي العمل: "هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١ كور ١٥: ٢٢)، وضد الأريوسيين (١: ٤١)، حيث يقول أنثاسيوس: "بموته قد متنا جميعاً في المسيح".

٣ - "إذ كان الجميع قد ماتوا فيه،

فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء". (تلك الشريعة التي سادت على

البشر بسبب التعدي)، والدليل على أن الرب أبطل شريعة الموت هو عبارة أثناسيوس نفسه: "لأن سلطان الموت قد استُنفِدَ في جسد الرب".

٤ - إذا كان الأمر على نحو ما أوضحنا، فهل يُعقل أن يكتب أثناسيوس "عوضاً؟"

٥ - إن تحول حكم الموت إلى حياة، لم يتم بالموت على الصليب وحده، ولكن كما يحدد أثناسيوس نفسه:

"فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية،
يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد
الذي جعله جسده الخاص
وبنعمة القيامة (قوة الألوهة التي للمخلص)، يبيد الموت منهم كما تبيد النار
القش"، ولا شك أن إبادة القش بالنار تعني نهاية الموت.

عندئذ يكون الموت الذي ماته الرب عن الجميع هو الموت المحيي.

ثانياً: ماذا يعني تعبير "عن الجميع"، وهل يمكن أن يكون تعبير "عوضاً عن الجميع" ترجمة دقيقة للنص اليوناني؟ بكل تأكيد لا؛ لأن الترجمات الإنجليزية جاءت وليدة سيادة فكرة البديل العقابي، أو البديل التي تعود إلى أنسلم، تلك الفكرة التي سيطرت على الترجمات التي ولدت في بيئة حركة الإصلاح ومدارسها. وهكذا أسقط الفكر السائد اعتقاده العقيدي على الترجمة، فظهر فيها التعبير "on behalf of all" (راجع ترجمة Thomson ص ١٥٢ يوناني - ص ١٥٣ انجليزي). في حين أن الترجمة الصحيحة يجب أن تكون: "عن الكل" فقط دون إضافة "عوضاً"؛ لأن كلمة "عوضاً" لا توجد في النص حسب الأصل اليوناني $\alpha\nu\tau\acute{\iota} \pi\acute{\alpha}\nu\omega\nu$. وعندما يقول الرسول بولس في (٢ كور ٥ : ١٥) "ونحن نحسب هذا أن واحداً مات لأجل الجميع، فالجميع إذن ماتوا". إذن لا موت للجميع، إذا كان الواحد قد مات عوضاً. أما موت الواحد عن الجميع الذي يُحسب معه أن الجميع قد ماتوا، فهو موت الفادي والمخلص ابن الله، الذي بقوته الإلهية قَبِلَ

حكم الموت الذي أصدره هو بنفسه "موتاً تموت"، وجاء هو نفسه لكي يلاشيه في ذاته ويبيد الموت بالموت، كما جاء في عب ٢: ١٤، وهو ما يؤكد أيضاً - في موضع آخر - عندما يقول إن هذا الموت هو نعمة الله: "لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد" (عب ٢: ٩). فقد "ذاق الموت بالجسد"، وبالتالي ماتت الإنسانية كلها فيه، وهو "موت الجميع" الذي يُوهَب سرائراً في المعمودية المقدسة (رو ٦: ١ - ٨).

وحسب المحتوى الدقيق للفقرة التي اقتبسناها من أثناسيوس، يمكننا أن نضع بعض الملاحظات:

١ - محبة الآب والابن للبشر.

٢ - إذا كان الموت "عوضاً عن الجميع"، فلا يجوز أن يكتب أحد بعد ذلك أن "الجميع ماتوا فيه"!

والأمر الذي يؤكد أن تعبير "عن الكل" هو الترجمة الصحيحة والأفضل، وليس "عوضاً عن الكل"، هو تعبير أثناسيوس: "الجميع ماتوا فيه"؛ لأن ما "قُدِّمَ عوضاً" لا يسمح للموت أن يكون للكل، بل فقط لمن قُدِّمَ "العوض"، أو "البديل". ولكن "إذا كان الكل قد ماتوا فيه"، فهذا استعلانٌ لمحبة الآب والابن معاً (يو ٣: ١٦)، ذلك لأن الإنجاز الأبدي للقيامة يظهر بشكلٍ واضح، وهو إعادة الحياة للموتى، وهو تجديدٌ أبديٌّ.

٣ - وإذا كان الموتُ شريعةً، حيث يقول أثناسيوس: "يُطَلَّ عن البشر شريعة الموت والفناء"، فالقيامة لا يمكن أن تكون شريعة، بل هي نعمة "وبنعمة القيامة"، وبذلك يكون هناك تناغم وهارموني دقيق بين:

أن "الجميع ماتوا فيه"،

وأنه "بنعمة القيامة يُبيد الموت منهم".

٤ - إن شركتنا في موت الرب وقيامته هي محور كرازة الرسول بولس في (رو

٦: ١-٨)^(١)، وهو أطول نص في تاريخ المسيحية عن المعمودية، غير أن واقع حال التعليم السائد يقول إنه جرى تهميشٌ للقيامة، واعتبارها مجرد محصلة، أو نهاية سعيدة، بينما "موت الجميع فيه" يعني أن حكم الموت رُفِعَ كما يقول أثاناسيوس: "وبذله لهذا الجسد كتقدمة مناسبة فإنه رَفَعَ الموت فوراً عن جميع نظرائه من البشر" (٩: ١). وأيضاً: "أبطل فساد الموت ... ابن الله قد جاء ليضع حداً للموت" (٩: ٤). وأيضاً: "أبطل الموت" (١٠: ١). وأيضاً: "لأنه بذبيحة جسده الخاص (أو الذاتي) وضع نهايةً لشرعية الموت"، ويكمل: "وصنع لنا بدايةً جديدةً للحياة برجاء القيامة ... وبالتالي فنحن الآن لا نموت كمدانين" (١٠: ٥). وأيضاً: "كان من اللائق أن يأخذ جسداً قابلاً للموت حتى يمكن أن يبيد فيه (الجسد) الموت، ويجدد خلقة البشر" (١٣: ٩).

فأين هذا من التعليم بـ "الموت النيايبي أو العقابي"، الذي يحصر الخلاص في الموت على الصليب، ولا يرى في القيامة تجديد البشرية ورد الحياة للبشر المائتين؟ إن هذا التعليم هو في حقيقته العلامة التي تميّز المذهب الإنجيلي، والراية التي ترفرف على تعليم العصر الوسيط الأوربي الذي ما يزال يتبناه بعض الإكليروس في الكنيسة القبطية ويدجون به مقالاتهم التي تنشرها -للأسف- مجلة الكرازة التي من المفروض أن تكون صوت التعليم في كنيسة أثاناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير!!!

القرائن المتعددة على شركتنا في موت المسيح وقيامته في "تجسد الكلمة":

لن نكتفي بما أوردناه من عباراتٍ صريحة وقاطعة يقرر فيها القديس أثاناسيوس حقيقة شركتنا في موت الرب وقيامته، وحياته عموماً، بل ولكي نؤكد أن التعليم الرسولي الذي صاغه أثاناسيوس في "تجسد الكلمة" هو بناء متكامل يسند بعضه

(١) "فماذا نقول؟ أتنبئ في الخطيئة لكي تكثر النعمة؟ خاشاً! نحن الذين مُنِّنا عن الخطيئة كيف نعيش بعد فيها؟ أم نجهلون أننا كلٌّ من اعتمد يسوع المسيح اعتمدنا لموته. فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسللك نحن أيضاً في جذوة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا مُتَجِدِّين معه بشبه موته نصير أيضاً بِقِيَامَتِهِ. عالمين هذا: أنَّ إِنْشَاءَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِئَطْلُ جَسَدِ الْخَطِيئَةِ كَيْ لَا نَعُوذَ لِنَسْتَعْبِدَ أَيْضاً لِلْخَطِيئَةِ. لَأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيئَةِ. فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُنِّنا مَعَ الْمَسِيحِ لِنُؤْمِنَ أَنَّ سَخِيئاً أَيْضاً مَعَهُ".

بعضاً، نورد بعضاً من القرائن والأسس التي يقوم عليها هذا الصرح الشامخ، فتبطل مشورة أخيتوفل الجديد.

ومشورة أخيتوفل التي كادت تؤدي إلى قتل داود، هي هنا مشورة الأريوسيين الجدد الذين يعطون المكانة الأولى للخطية - لا للخطاة - باعتبار أن الخطية عندهم هي سبب نزول الله الكلمة وتجسده، وليس محبة البشر التي ظهرت في التجسد باعتباره استعلاناً لهذه المحبة. ماذا يقدم القديس أثناسيوس من قرائن على شركتنا في موت وقيامة وحياة ربنا يسوع:

القريئة الأولى:

بما أن الخطية هي شرٌّ، "والشرُّ هو عدم"، ولأن الإنسان حصل على وجوده من الله، فالخطية - إذن - تعني أن يُحرَم البشر "إلى الأبد من الوجود .. وبقيائهم في الموت والفساد" (٤ : ٥)؛ ولأن الإنسان "فإن بطبيعته لأنه خُلِقَ من العدم" (٤ : ٦)، وبالخطية تحوّل البشر إلى فساد الموت (٥ : ١)؛ لذلك يجيء تعبير "عن الجميع"، بسبب عجز الجميع، وهو عجزٌ مصدره فقدان الحياة، ولأن الموت صارت له سيادة شرعية علينا (٦ : ١).

القريئة الثانية:

لمّا كانت الخطية قد تسببت في فقدان "نعمة مماثلة صورة الله" (٧ : ٤)، فقد كان المطلوب هو رد النعمة، لا الموت النياي، عقابيٌّ كان أو غير عقابي، ولذلك "مَن ذا الذي يستطيع أن يُعيد للإنسان تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى إلا كلمة الله الذي خَلَقَ في البدء كل شيء من العدم؟" (٧ : ١)، ولذلك يتكلم أثناسيوس في الفصل السابع نفسه عن "رد الإنسان إلى عدم الفساد" (٧ : ٥)؛ لأن الكلمة هو الخالق الذي "هو وحده القادر أن يُعيد خلق كل شيء"، لا أن يموت عوضاً.

القريفة الثالثة:

لا يمكن لآخر أن يقضي على الموت، إلا كلمة الله الخالق، وذلك بأن يموت. ويشرح القديس أناسيوس في الفصل التاسع موت الكلمة على هذا النحو:

+ "الكلمة غير مائت لأنه ابن الآب غير المائت (٩ : ١)، أي أنه يشترك مع الآب في حياته الإلهية.

+ لكي يبيد الموت "اتخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت"، والعبارة التالية يجب أن تُقرأ جيداً؛ لأن الكلمة لا يموت نيابةً عن الجميع؛ لأن ذلك الموت عن الجميع يجعل الكلمة تحت حكم الموت إلى الأبد؛ لأن القديس أناسيوس يشرح معنى عبارة "موتاً تموت" في سفر التكوين على أنها لا تعني بالقطع مجرد الموت فقط، بل البقاء في الموت إلى الأبد (٣ : ١٥).

+ لكن موت الإنسانية التي اتخذها الكلمة من القديسة مريم، هو موتٌ من هو مُتَّحِدٌ بالجسد، ولذلك لا يمكن للجسد أن يبقى تحت حكم الموت، بل "يُبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به" (٩ : ١).

+ لقد اتحد ابن الله بالبشر؛ لأنه "اتخذ جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر" (٩ : ٢). هذا الاتحاد بالكل، شرحه أناسيوس بتقديم تشبيهٍ عن ملكٍ عظيم دخل مدينةً عظيمةً وسكن في أحد بيوتها، فإن المدينة كلها تكرمه أعظم تكريم، ولا يجروُ أيُّ عدوٍ، أو عصابةٍ أن تدخل (هذه المدينة) (٩ : ٣). ويطبق القديس العظيم هذا التشبيه على التجسد، فيقول: "جاء إلى عالمنا وسكن في جسدٍ مماثلٍ لأجسادنا .. وأبطل فساد الموت" (٩ : ٤).

القريفة الرابعة:

إن "إيفاء دين الجميع" ليس يعني ديناً يُدفع - كما ساد في أوساط المذهب الإنجيلي - بل كما يحدده أناسيوس نفسه يعني "أن الرب قدّم فديةً بموته؛ لأنه "باتخاذ جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر"، ولاحظ "وباتحاده بهم" (لأن له ذات

الإنسانية التي للكل)، فإن ابن الله علم الفساد، ألْبَسَ الجميع عدم الفساد بوعده القيامة من الأموات"، بل اضاف المعلّم السكندري: "ولم يعد الفساد الفعلي بالموت (أي البقاء في الموت إلى الأبد) لم يعد له أي سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة جسده" (فصل ٩ : ٢). وفي نفس السياق يُظهر أن الفدية هي "إبطال الموت الذي حدث نتيجة التعدي بتقديم جسده الخاص" (١٠ : ١). ثم يكرر نفس العبارة التي وردت سابقاً في (٨ : ٤ - ٢٠ : ٥): "مات لأجل الجميع فالجميع إذن ماتوا" (١٠ : ٢). وتؤكد من أن الفدية هي تحرير الإنسانية لأنها إبادة الموت (١٠ : ٤). ويظهر معنى "عن" في هذه العبارة بأكثر وضوح عندما يقول: "بذبيحة جسده الذاتي وضع نهاية لشرعية الموت ... وخلق أو نصع لنا بداية جديدة للحياة" (١٠ : ٥)، وهو هنا يشرح عبارة الرسول بولس "كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١ كو ١٥ : ٢١-٢٢).

القريئة الخامسة:

وهي اتحادنا في موت الرب وقيامته، لا موت الرب وحده. ومَن ينكر هذا، فهو أريوسي - كالفيني المذهب، حتى لو كان مطراناً بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ولا يجب أن ينخدع بكلامه أحد. ذلك لأن أنثاسيوس العظيم يكتب عن الصلب والقيامة، فيقول: "مَن لا يؤمن بقيامة جسد الرب، فهذا سيبدو أنه يجهل قوة كلمة الله وحكمته .. اتخذ لنفسه جسداً وهيئاً بطريقة لا ثقة ليكون جسده الخاص، فما الذي كان سيصنعه الرب بهذا الجسد؟ أو ماذا يمكن أن تكون نهاية هذا الجسد بعد أن حلَّ فيه الكلمة؟" (٣١ : ٤) ويجب أنثاسيوس: "كان لابد أن يموت، إذ هو جسدٌ قابلٌ للموت، وأن يُقدَّم للموت عن الجميع، ولأجل هذه الغاية أعدّه المخلص لنفسه، لكن كان من المستحيل أن يبقى هذا الجسد ميتاً بعد أن جُعِلَ هيكلًا للحياة" (٣١ : ٤)، وراجع فصل ٩، وفصل ٢٠). ولهذا، "إذ قد مات كجسدٍ مائتٍ، فإنه عاد إلى الحياة بسبب الحياة التي فيه" (٣١ : ٤).

وقد يبدو للقارئ أن المعلم الكنسي يتكلم عن المسيح وحده، ولكن لاحظ قوة هذه العبارات:

"إن كان الموت قد أُبطلَ ... وأن الجميع قد وطئوه بأقدامهم بقوة المسيح ... وإن كان المسيح قد أمات الموت .. كيف كان ممكناً إظهار أن الموت قد أُبِيدَ ما لم يكن جسد الرب قد قام؟" (٢: ٣٠). واضحٌ أن التعليم هنا عن البشر: "الموت قد أُبطل .. قيامة الجسد إلى عدم الموت، تلك أكملها المسيح مخلص الكل، وهو الحياة الحقيقية لهم (للشعر) جميعاً" (١: ٣٠). ويقول أيضاً في ٢٩: ٦ "المسيح قد أبطل الموت وأوقف فساد الموت وأباده". ولذلك "الموت قد هزمه المخلص، وشَهَرَ به على الصليب وربط يديه ورجليه، فإن جميع الذين هم في المسيح، إذ يعبرون عليه، فإنهم يدوسونه" (٤: ٢٧). "لأن جميع الذين يؤمنون بالمسيح يدوسونه كأنه لا شيء" (٢: ٢٧). "فقد أُبِيدَ الموت في الجسد بقوة المخلص" (٦: ٢٦). بل لاحظ أن الرب أقام جسده في اليوم الثالث "حاملاً عدم الفساد وعدم التألم للذين حصلوا لجسده كعلامة للظفر والانتصار على الموت" (١: ٢٦).

بل هناك ما هو أكثر من ذلك، هل قرأ نيافة المطران هذه الكلمات: "نحن الذين حَمَلْنَا في جسده الخاص (به) لأنه كما قدَّم جسده للموت عن الجميع، هكذا بنفس هذا الجسد أيضاً، أَعَدَّ الطريق للصعود إلى السموات" (٦: ٢٥). وعندما قام الرب "منح عدم الفساد لأجساد (المؤمنين)" (٤: ٢٢).

النقطة الفاصلة بين أثناسيوس ومذهب كالفن، يذكرها أثناسيوس بدقة، فيقول: "المخلص لم يَأْتِ لكي يتمم موته هو، بل موت البشر" (٢: ٢٢). فلقد جاء التحرير من الموت بموت المخلص: "مات المخلص عن الجميع، فإننا نحن الذين نؤمن بالمسيح لن نموت (حسب حكم الموت السابق) الذي هو من تهديد الشريعة؛ لأن هذا الحكم قد أُبطل، وبما أن الفساد قد أُبطل وأُبِيدَ بنعمة القيامة، فإننا منذ ذلك الوقت (قيامة الرب) وحسب طبيعة أجسادنا المائتة ننحل .. حتى

يمكن أن ننال قيامة أفضل" (٢١: ١).

هكذا نفهم كيف تم "موت الجميع في جسد الرب" (٢٠: ٥).

إذن، "عن الكل"، هي رسالة هامة، وهي حسب أثناسيوس: "اتحاد الكلمة بالجسد" (٢٠: ٦)، وهي "موت الرب كسائر البشر نظرائه" (٢٠: ٤).

القريئة السادسة والأخيرة:

لقد جاء الرب لكي يحوّل كياننا الإنساني، "ويجعل الإنسان المائت غير مائت" (٢٠: ١). وعندما يقول أثناسيوس إن الرب نقل كياننا من آدم إلى أُنُومِه الإلهي؛ لأنه "تأنس لكي يؤهّننا في كيانه، ووُلِدَ من امرأة لكي ينقل إلى كيانه جنسنا العاصي لكي نصبح فيما بعد جنساً مقدساً وشركاء الطبيعة الإلهية، كما كتب بطرس المبارك" (الرسالة إلى ادفوس ٤، وراجع أيضاً ضد الأريوسيين ٣: ٣٣)، يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن مشكلة الأريوسية الجديدة هي ذات مشكلة الأريوسية القديمة، وهي أن "الخلاص هو علاقة خارجية أخلاقية لا دخل لله فيها، وقد جاءت الأريوسية الجديدة لكي تسير على نفس المنوال وتتنكر خلف تعليم الفداء والكفارة بأن الرب يسوع دفع الفدية للآب، وأن هذا هو الخلاص كله، بدليل الهجوم الوحشي الكذاب على الشركة في حياة الثالوث أو الطبيعة الإلهية. ولذلك كان طبيعياً ما ورد على لسان المطران العلامة واصفاً في عبارة شاذة، طلبه المسيح على الصليب: "اغفر لهم ..."، بأن الابن يستعطف الآب ويقول له "سامحهم علشان خاطري"، تماماً كما تفعل الأم المكسورة الجناح أمام ثورة غضب الزوج الأسد، وهي صورة اجتماعية سافلة منحطة، أُسْقِطَتْ على الثالوث الكامل المحبة، في حين أننا نرى التسليم الكنسي الصحيح في (الفصل ١٧ من تجسد الكلمة)، حيث يقول أثناسيوس: "بينما كان يتصرف كإنسان كان ككلمة الله يحيي كل الأشياء، وكان ابن كاناً مع أبيه، ولذلك عندما ولدته العذراء .. لم يتدنس بحلوله في الجسد، بل بالعكس، فهو قد قدّس الجسد أيضاً .. كل الأشياء تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها (في

الوجود)" (فصل ١٧: ٥ - ٤٣: ٦). فالكلمة "يمنح الحياة للكون" (١٧: ٢)، ولذلك، كان من السُّخفِ أن تسأل الشَّيْخُ الإنجيلية سؤاها المشهور عن كيف يعطي جسده وهو جالس مع تلاميذه في العلية؟ أليس "لأنه حاضرٌ في كل الأشياء .. وواهباً الحياة لكل شيء .." (١٧: ١)؟ فكيف للمطران أن يتهور ويعظ الشباب بأسقفية الشباب ويقول عبارة "سامحهم علشان خاطري"؟ ألا يعلم أنه بذلك يكون قد دَمَّرَ الشركة حتى في الصلب والقيامة، في الوقت الذي فيه تكون هذه الشركة واضحة في عبارتين وضعتا معاً عند أثاناسيوس من العبرانيين (٢: ١٤-١٥) ومن شرح التسليم الكنسي:

"الكلمة ذاته اتخذ لنفسه جسداً ليقدمه ذبيحةً عن الأجساد المماثلة (جسده) قائلاً: "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشارك هو أيضاً فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت .. لأنه بذبيحة جسده الخاص أو الذاتي وضع نهايةً لشريعة الموت التي كانت قائمة ضدنا، وصنع لنا بدايةً جديدةً للحياة برجاء القيامة الذي أعطاه لنا، لأنه أن كان بإنسان واحد قد ساد الموت على البشر، ولهذا السبب تأنس كلمة الله، فقد حدثت إبادة للموت، وتمت قيامة الحياة، كما يقول لابس المسيح بولس: "فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسانٍ أيضاً قيامة الأموات لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١ كو ١٥: ٢١-٢٢)، وبالتالي نحن لا نموت الآن كمدانين، بل كأناسٍ يقومون من الموت ننتظر القيامة ..." (١٠: ٤-٥).

الخلاصة

١- الخلاص وإبادة الفساد تم في الرب نفسه، أي في كيانه المتجسد الذي لبس الجسد البشري المخلوق، لكي بعد أن يجدده كخالق، فإنه يؤهِّه في كيانه (ضد الأريوسيين ٢: ٧).

٢- لقد تم الخلاص في المخلص نفسه، أي في كيانه هو، ولم يكن عملاً

خارجياً، ولذلك عندما يكتب أثناسيوس أن جسد الكلمة "كان هو أول (جسد) تم خلاصه وتحريره (من الموت)؛ لأن هذا الجسد هو جسد الكلمة ذاته، وهكذا، إذ صرنا متّحدين بجسده نخلص كما خلص جسده، أو على مثال جسده" (ضد الأريوسيين ٢: ٦١).

وفداء جسد المخلص من الموت واضح عند أثناسيوس، فهو يقارن بين موت آدم الأول وعودة البشر إلى التراب (٢: ٦٥)، والنتيجة هي أن "كلمة الله محب البشر لبس الجسد المخلوق بحسب مشيئة الآب لكي يُحيي بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه" (٢: ٦٥). فهو الذي تم فيه "تجديد الخليقة والبداية الجديدة" (٢: ٦٥)، فصار لذلك "رأس الجسد الكنيسة الذي هو البداية، البكر من بين الأموات..." (كولوسي ١: ١٨).

تُرى، هل سقط قناع الأريوسية الجديدة من على وجه الذين ينكرون ألوهية الرب، عندما يحوّلونه إلى ثمنٍ يُدفع للآب، كما لو كان الآب وحده هو الخالق؟ نحن نطلب من الرب بكل صدق ومحبة، عودة هؤلاء إلى الأرثوذكسية؛ لأنهم -بجَهْلٍ- تركوا الطريق المستقيم (الأرثوذكسي).

الحد الفاصل بين الأرثوذكسية، والأريوسية قديمها وجديدها^(١)

هدف الحياة المسيحية

يصف القديس أنثاسيوس الأريوسية القديمة بأنها "ضلالٌ يهودي"، وهو "هذيان يهوذا الخائن".

وخيانة الأرثوذكسية في زماننا هي ذات خيانة الأريوسية القديمة؛ لأن الحد الفاصل بين الأرثوذكسية، والأريوسية القديمة والجديدة هي -حسب عبارات أنثاسيوس المناضل الأول ضد الأريوسية- هو عطية الروح القدس، وليس عطية قوة أو طاقة.

عطية الروح القدس تهب لنا "ما هو للكلمة بالطبيعة (لأنه في الآب بالطبيعة) ... وهو يريد أن يعطيه لنا بواسطة الروح بلا ندامة" (ضد الأريوسيين ٣: ٢٥). وسبب ذلك هو فيض المحبة؛ لأن أنثاسيوس يضيف إلى العبارات السابقة: "هذا ما عرفه الرسول، فقال: مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح (رو ٨: ٣٥)" (ضد الأريوسيين ٣: ٢٥). وبسبب سكنى وحلول الروح القدس فينا "الروح هو الكائن في الله ولسنا نحن (الكائنين) في الله بقدرتنا، ولكن لأننا نصير أبناء وآلهة بسبب الذي فينا؛ إذ نصير في الابن والآب" (٣: ٢٥ مجلد ٢٦: ٣٧٢).

إذن، نحن في الله ولسنا في طاقة أو قوة، مثلما تحاول أن تروج لذلك الأريوسية الجديدة التي يتبناها مطران دمياط وكفر الشيخ تحت اسم القوة والطاقة^(٢).

في المقالة الثانية ضد أريوس يسأل أنثاسيوس السؤال الحاسم: "لو كان الابن

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٢ يوليو ٢٠١٥.

(٢) راجع في ذلك بالتفصيل كتابنا: الطبيعة والجوهر، والقوة الأيقونية لأقنيم الثالوث الواحد، القاهرة، ٢٠١٤.

مخلوقاً لظل الإنسان مائتاً كما كان قبلاً" (٢ : ٦٩). وسبب ذلك هو أن الابن المخلوق لا يقدّم لمخلوق آخر "الاتحاد بالله". وفي عبارة يكمل بها شرح الإيمان: "لا يستطيع مخلوق أن يوحد المخلوقات مع الله" (٢ : ٦٩)؛ لأنه لا يملك، ولذلك - يكمل الشرح - إذ أنه هو (المخلوق) في حاجة لمن يوحد بالله " (٢ : ٦٩)، لذا، فإن أي مخلوق هو في حاجة إلى الخلاص الذي لا يستطيع أن يقدمه لمخلوق آخر.

ما هو الخلاص إذن؟

الخلاص هو "الخلاص من حكم الموت"، وهو ما يعجز عنه أي مخلوق. والخلاص هو "الاتحاد بالله".

هو ذاته "الخليقة الجديدة في المسيح"، لكن هذا مستحيل أن يحدث "لو كان الكلمة مخلوقاً" (٢ : ٧٠). لذا أخذ الكلمة "الجسد البشري المخلوق، لكي يحدده كخالق، ولكي يؤهله في كيانه، وهكذا يُدخلنا جميعاً إلى ملكوت السموات على مثال صورته؛ لأنه كان من المستحيل على الإنسان أن يتأله لو أنه اتحد بمخلوق، أو لو أن الابن لم يكن إلهاً حقيقياً، ولَعَجَزَ الإنسان أن يقف في حضرة الآب لو لم يكن الذي لبس الجسد هو بالطبيعة كلمته (الله) الحقيقي" (ضد الأريوسيين ٢ : ٧٠).

الخلاصُ إذن هو تجديد الإنسان، وهو تأله الإنسان بواسطة الله الكلمة (٢ : ٤٧).

والخلاص هو التبني، ولذلك، لو كان الابن مخلوقاً لتعذر على الإنسان أن يعرف الله الآب كآب، وهي ليست مجرد معرفة، بل "من غير المستطاع أن يتم التبني بغير الابن الحقيقي، وهو الابن الحقيقي القائل: "لا يعرف أحد الآب إلا الابن" (متى ٢١ : ٢٧)" (ضد أريوس ١ : ٣٩ مجلد ٢٦ : ٩٢). ولذلك، التبني هو تأليه الإنسان؛ لأن الذين "نالوا التبني صار متأهلين بواسطة الكلمة ... الجميع صاروا أبناء من خلاله .. هو الابن الحقيقي وحده، وهو وحده إله حق من إله حق .. مولودٌ من جوهر الآب" (١ : ٣٩).

ماذا يعني إنكار بنوة الابن الحقيقي؟

يجيب القديس أثناسيوس على هذا السؤال في الفقرة ١٨ من المقالة الأولى ضد الأريوسيين، فيقول: "لو كان الابن مخلوقاً، فهو ليس مخلصاً، ولا هو إلهاً ولا هو ابناً"، والأخطر من ذلك، "ليس له علاقة على الإطلاق مع الله الآب بحسب الجوهر، بل حسب عطية نالها" (١: ٣٨). ولكننا "في الابن الحقيقي أخذنا نعمة البنوة"، وهنا ندرك أن عطية البنوة هي تأليه الإنسان، وهي ذات العطية التي جعلتنا أبناء الآب. فعندما تجسد الابن له المجد "أله البشر عندما صار هو ذاته إنساناً" (١: ٣٨ مجلد ٢٦: ٩٢).

العبادة التي تُقدّم لنا بسبب اتحادنا بالابن المتجسد:

كلماتٌ مثيرةٌ تدفع العبيد إلى القلق والتمرد، بل والالتقام؛ لأن الإله الحقيقي وحده، الذي يُعبد، إنما يُعبد باسم ربنا يسوع المسيح. فكيف يرى أثناسيوس عبادة الرب يسوع؟

- أولاً "بالإيمان به كابن الله"،
- ثم "معرفة الآب بواسطته"،
- وتحول الإنسان ليصبح هيكل الروح القدس، أي هيكل الله وليس هيكل طاقة أو قوة.

"هذا التحول هو الذي جعلنا أبناء الله، وذلك حتى يُعبد (يُخدم) الرب فينا أيضاً، والذين يبصروننا يعلنون .. إن الله بالحقيقة (وليس طاقةً أو قوةً) فيكم" (١: ٤٣ مجلد ٢٦: ١٠٠-١٠١). ويكمل الكلام مؤكداً: "إننا نُمجّد بسبب وجود الرب العلي فينا، ولأن هذه النعمة قد أُعطيت لنا من خلاله، لأن الرب الذي منح هذه النعمة قد صار إنساناً مثلنا" (١: ٤٣).

تأله ناسوت الرب هو نعمة أنعم بها الرب على جنس البشر:

الابن من ذات جوهر الآب، ولما صار إنساناً لم يفقد ألوهيته، بل تحوّل كيان الرب، ونال الناسوت مجدداً لم يكن له قبل التجسد. لقد جاء لكي يمنح نعمة أعظم للإنسانية، "بل بالحري، فإن الجسد الذي لبسه قد تأله، بل وأكثر من ذلك فقد أنعم هو بهذه النعمة على الجنس البشري" (١: ٤٢ - مجلد ٢٦: ١٠٠).

تحوّل الناسوت الذي أخذه المخلص من والدة الإله:

يمهّد القديس أنثاسيوس لفقرة هامة في المقالة الثالثة ٣٢-٣٣ عن آلام الرب يسوع بالجسد، فيتكلم عن أعمال الرب الإله في الجسد مثل "مدّ يده إليها بشرياً (لأنها اليد الإنسانية)، ولكنه أوقف المرض إلهياً (متى ٨: ١٤). والأعمال، إذا كانت هي أعمال الرب في الجسد، هكذا أيضاً الآلام، فهي مثل باقي الأعمال، هي آلام الرب، وهنا بالذات لا يمكن لمن يقرأ بدقة أن يرى أن أنثاسيوس يُقسّم عمل المسيح؛ لأن خصوصية التدبير هي "أن تصل إلينا نحن النعمة، فلا نعبد آخر، بل تكون عبادتنا لله حقاً، لأننا لا ندعو مخلوقاً (اسمه يسوع كواحد من) المخلوقات لأنه ليس إنساناً عادياً (مثلنا) بل ندعو الابن الذي من طبيعة الآب والابن الحقيقي لله الذي صار إنساناً هو نفسه الرب والمخلص والإله في نفس الوقت" (٣: ٣٢).

ثم يصل أنثاسيوس إلى أهم تعليم عن النعمة وعن التجديد والقيامة والتبني بقوله: "لأنه لو كانت أعمال ألوهية الكلمة لم تحدث في الجسد، لَمَا كان الإنسان قد تأله" (٣: ٣٣ مجلد ٢٦: ٣٩٣)، و"لَمَا كان الإنسان قد تحرر من ضعفات الجسد... وظلت الخطية وظل الفساد باقيا في الإنسان" (٣: ٣٣).

أريوسية الأنبا بيشوي هي في دفع الفدية لله الآب، وهو أولاً عمل خارجي لا يمس كيان الإنسان، ثم ثانياً بين الآب والابن فقط ولم تشترك فيه الإنسانية بواسطة الوسيط (راجع المقالة ٢: ٧٠)؛ لأن الابن جاء إلينا، وهو الإله ابن الآب، وهنا يضع أنثاسيوس أساس الإيمان:

أولاً: إن الكلمة لبس جسداً بشرياً (٢: ٧٠).

ثانياً: وحسب دقة العبارة "لو لم يكن الجسد الذي لبسه الكلمة لما كنا قد تحررنا من الخطية واللعنة".

والخلاصة:

"لكن لأن الكلمة لبس جسداً بشرياً، وهو الابن الذي من طبيعة الآب " صار الاتحاد على هذا النحو، أن يتحد ما هو بشري بالطبيعة بمن له طبيعة اللاهوت، عند ذلك يصبح خلاص الإنسان وتأليه ثابتاً ومؤكداً" (٢: ٧٠ مجلد ٢٦: ٢٩٦).

الخلاص -إذن- هو أن ينقل بدايتنا، أي بداية التكوين الإنساني إلى ذاته، أي إلى ذات الكلمة المتجسد.

هذا هو يقين الإيمان حسب الأرثوذكسية، وعبارات المعلم السكندري كافية:

- "صار الكلمة إنساناً وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصة به ..
انخرمت الأوجاع ...

منذ ذلك الحين (تجسد ابن الله)، لم يبق البشر بعد خطأً وأمواتاً بحسب أوجاعهم، بل قاموا بقوة الكلمة وصاروا غير مائتين وغير فاسدين" (٣: ٣٣).

ثم يكمل شرح التدبير:

"وُلِدَ الجسد من مريم والدة الإله، فإن الكلمة نفسه يقال إنه قد وُلِدَ رغم أنه هو الذي يعطي بداية الوجود للكائنات المخلوقة،
(وُلِدَ) لكي ينقل بداية تكويننا إلى ذاته،
ولكي لا نرجع فيما بعد كمجرد تراب،
ولكن بالارتباط الذي بيننا والكلمة الذي من السماء، فإننا نُحْمَلُ إلى السموات بواسطته ..
لم نعد نموت بحسب بدايتنا الأولى في آدم،
بل بسبب هذه البداية (بالات)، فكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة فنحن نقوم من الأرض ...
لعنة الخطية قد أُبْطِلَتْ بسبب ذاك الذي هو كائن فينا" (٣: ٣٣).

وطبعاً لا ينسى أثناسيوس المعمودية، فيقول:

"وكما أننا نحن جميعاً من الأرض، وفي آدم نموت؛ لذلك نحن نولد من فوق من الماء والروح
لأننا في المسيح نُحيا جميعاً. فلا يعود الجسد أرضياً بعد، بل يصير إلهياً كالكلمة بسبب كلمة
الله الذي لأجلنا صار جسداً" (٣: ٣٣).

التأله نعمة، وهي نعمة التبني:

مثلاً حاولت الأريوسية القديمة أن تنال من نعمة التبني، بالادعاء بأن المسيح
ابن الله هو مثل باقي البشر، هكذا بذلت الأريوسية الجديدة ذات المحاولة
بالادعاء بأن هذه البنوة هي بنوة شرفية. غير أن الرسولي أثناسيوس يؤكد على أننا
فعالاً أبناء الله، "ولكن ليس مثل ما هو الابن الوحيد بالطبيعة وبالحق"، نحن أبناء
"بحسب نعمة ذاك الذي دعانا"، ثم يؤكد لنا "أننا بشرٌ من الأرض، ومع ذلك
نصير آلهة، ليس مثل الإله الحقيقي أو كلمته، بل حسب مسرة الله الذي وهبنا
هذه النعمة ... ونحن به (بالمسيح) نصير أبناء بالتبني وبالنعمة مشتركين في روحه"
(٣: ١٩).

التجسد أعطى التبني؛ لأننا وُلدنا من الله، وصار الآب أباً لنا حسب النعمة،
عندما نال البشر المخلوقين، روح الابن في قلوبهم صارخاً أباً *abba* أيها الآب
(غلا ٤: ٦) " (٢: ٥٩).

ويحدد القديس أثناسيوس "أن الذين خُلِقُوا، تقَبَّلُوا روح الابن الذي هو الابن
بالحق وحسب الطبيعة"، فكيف حدث هذا؟ يجب:

- "صار الكلمة جسداً لكي يجعل الإنسان قادراً على تقبل الألوهة" (٢: ٥٩
مجلد ٢٦: ٢٧٣).

- ويسبب تجسد الابن الذي هو الابن بالطبيعة، ولأنه "كائن فينا والذي به
نصرخ أباً أيها الآب، فإنه (الآب) يدعو أولئك الذين يرى ابنه فيهم أبناء له"
(٢: ٥٩ مجلد ٢٦: ٢٧٣).

عدوانٌ على الرب نفسه

يتعمد المطران استصغار الرب نفسه واختزال الرب نفسه إلى طاقة أو قوة، فقد نسي التسليم الكنسي بسبب شدة حمى الدفاع عن رأي سقيم بعيد تماماً عن التدبير، سبق أن أشرنا إليه في مقالٍ بعنوان: "لماذا اعتمد يسوع؟"، ونُشرَ في مجلة مرقس في سبعينات القرن الماضي. حيث يشرح المعلم الكنسي سبب معمودية الرب، فيقول:

"لأنه لأجلنا قدّس ذاته، وفعل ذلك عندما صار إنساناً. ومن الواضح أن نزول الروح عليه في الأردن كان نزولاً علينا لأنه كان يلبس جسدنا ... لأجل تقديسنا لكي نشترك في مسحته، ولكي يقال عنا: "أنتم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم" (١ كور ٣: ١٦). وعندما اغتسل الرب كإنسان في الأردن، كنا نحن الذين اغتسلنا فيه وبه. وعندما قَبِلَ الروح كنا نحن الذين قَبَلنا الروح" (ضد أريوس ١: ٤٧).

إذن، لم يُمسح الرب من قبيل طاقةٍ أو قوةٍ، بل مسح الروح نفسه، فصارت مسحة الروح هي قوته؛ لأن الآب لم يستصغر الآب ابنه الوحيد فيعطيه طاقةً أو قوةً، بل أعطاه الروح القدس ذاته.

لذلك، يكمل القديس أثناسيوس شرح التسليم الكنسي، فيقول:

"وَحَقّاً قال الرب نفسه: "الروح يأخذ مما لي"، "وأنا أرسله"، ولتلاميذه: "اقبلوا الروح القدي" (يو ٢٠: ٢٢) (المرجع السابق: ٤٧).

"هو الله الكلمة، وكُرسي المملكة الأبدي ... أليس هو الجالس على كرسي أبيه؟ ... ولكن الجسد الذي أخذه هو الذي مُسِح، والتقديس الذي حدث للرب كإنسان، إنما لأجل كل البشر، و(يُعطى) منه" (المرجع السابق).

فإذا كان هذا هو التسليم الرسولي، فعليك أن تتأمل عزيزي القارئ هذه الردة الأريوسية، وما تردّى فيه الأريوسيون الجدد: الرب يُمسح بطاقةٍ أو قوةٍ، فننال نحن قوةً أو طاقةً، وبالتالي لا يكون لنا شركة في المسيح، ولا مع الروح القدس، ولا نحن في الثالوث، ولا يكون الابن فينا!!!

وإذا كان ما يدعونه من خلاصٍ، يتم بفديةٍ يدفعها مخلوقٌ، فالخلاص إذن، ليس عملاً إلهياً مباشراً من الثالث؛ لأن الله لا يمكن أن يدفع فديةً، إذ لا يوجد إله آخر يحاسب الخالق.

هكذا اعتدوا على الرب يسوع، وهكذا اعتدوا على خلاصنا الذي تم فيه وبه، ولم يُعد أمامهم سوى العيش في الوهم.

تأله ناسوت الرب يسوع، وماذا يعني في التدبير؟

ما أكثر كلمات الوحي التي نزعها الأريوسيون من مكانها الصحيح والحقيقي لكي تبدو كما لو كانت تؤيد هدم التدبير. هكذا نزع الأريوسيون كانت كلمات الرب عن معرفة اليوم والساعة (مرقس ١٣ : ٣٢) عن سياقها الطبيعي بحث تبدو معها أن معرفة الرب ناقصة، وأنه يجهل اليوم والساعة، أي يوم الدينونة. وحاولت الأريوسية أن تنسب الجهل إلى ألوهية الرب نفسه، وبالتالي يفقد التجسد حقيقته وأهميته عند الأريوسيين القدامى كما عند الأريوسيين الجدد. ويشرح معلمنا الحقيقي أثناسيوس أن الرب المتجسد كان عليه "إما أن يُحزن التلاميذ بعدم إجابته على السؤال. وإما أن يجيب عن أمر لا ينفع التلاميذ، بل لا ينفع الكنيسة" (٣ : ٣٨).

إن تدبير تجسد الابن الوحيد كله هو "لأجلنا"؛ لأن "الكلمة صار جسداً لأجلنا" (٣ : ٤٨). هنا يظهر عمق التدبير، وهو غاية المعرفة: "لذلك قال "ولا الابن"، لأجلنا، وهو لم يكن غير صادق بقوله هذا (لا أعرف) لأنه لم يسمح للتلاميذ أن يضطروه إلى الكلام .. وقبل أن يرى التلاميذ صعوده سألوه مرة ثانية متى تكون النهاية ومتى تأتي أنت؟ فأجاب عليهم بوضوح أكثر "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١ : ٧)، وهنا لم يذكر "ولا الابن"، كما سبق وأشار سابقاً، بل قال: "ليس لكم أن تعرفوا" (٣ : ٤٨).

وهنا يضع القديس أثناسيوس أحد أركان التدبير:

"لأن الجسد عندئذ كان قد قام وخلع عنه الموت وتأله، ولم يعد يليق به أن يجيب حسب

الجسد عندما كان صاعداً إلى السموات، بل كان يُعلّم بطريقة إلهية أنه: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه ولكنكم ستنالون قوة" (أع ١: ٧-٨) وأية قوة هي للآب سوى الابن؟ لأن الابن هو قوة الله وحكمة الله" (١ كو ١: ٢٤) (ضد الأريوسيين ٣: ٤٨).

وتأله الجسد، أي جسد الرب (ضد الأريوسيين ٣: ٣٨ مجلد ٢٦: ٤٠٤ - ٣: ٥٣ مجلد ٢٦: ٤٣٦) هو في عبارة واحدة:

- إن الجسد "صار غير مائت" (De Dec 14.5 مجلد ٢٥: ٤٤٨).
- خلع الموت = تأله.

- وآخر فقرة ٣٣: (مجلد ٢٦: ٣٩٦ A) يمكن أن تترجم إلى:
"صار الجسد إلهياً كالكلمة $\lambda\omicron\gamma\omega\theta\epsilon\acute{\iota}\sigma\eta\varsigma$ τῆς σαρκός.

والكلمة الأولى $\lambda\omicron\gamma\omega\theta\epsilon\acute{\iota}\sigma\eta\varsigma$ مكوّنة من كلمتين: الأولى: $\lambda\omicron\gamma\omicron\varsigma$ أي الكلمة، والثانية $\theta\epsilon\acute{\iota}\omicron\tau\eta\varsigma$ أي ألوهية، ولذلك حرص المترجم إلى اللغة الإنجليزية على أن يترجمها إلى made word (راجع ص ٤١٢ من مجلد كتابات القديس أنثاسيوس)، ولكن الترجمة الأقرب إلى واقع الحياة الليتورجية، هو تعبير الليتورجيات الأرثوذكسية: "الجسد المحيي"، وهو ما يؤيده أنثاسيوس نفسه في الرسالة إلى ابكتيتوس الفقرة ٦، حيث يقول:

"كلمة الله غير المادي جعل خواص الجسد خواص جسده الخاص به. وعندما ضربه الذين كانوا يعذبونه تألم ولذلك قال: "لماذا تضربني" (يوحنا ١٨: ٢٣). ولأنه بالطبيعة غير محسوس، إلّا أن الكلمة قال: "أعطيت ظهري للضاربين..." (اش ٥٠: ٦) لأن ما تألم به جسد الكلمة وهو في الجسد، لأنه كان حالاً في الجسد، يحسبه إلى ذاته لكي نستطيع نحن أن نشترك في ألوهية الكلمة.. لأن الكلمة أباد الضعفات الكائنة في الجسد.." (مجلد ٢٦: ١٠٦٠-١٠٦١).

وقد لا يبدو أن هناك علاقة بين آلام الرب في الجسد وبين شركتنا في الطبيعة الإلهية، ولكن أنثاسيوس يقول في الفقرة ٦ في الرسالة إلى أدلفوس:

"تأنس لكي يؤهنا في ذاته، ووُلد من امرأة عذراء لكي يحول إلى كيانه جنسنا العاصي لكي نصبح .. شركاء الطبيعة الإلهية" (مجلد ٢٦: ١٠٧٧).

ألوهية النعمة:

كانت عبارة الرسول بولس في (فيلي ٢ : ٩ ، ١٠) : "لذلك رَفَّعه الله" من أكثر العبارات التي استغلها الأريوسيون -عن الرب نفسه- أفضع استغلال؛ لأنهم كانوا يقولون إن الله "مَجَّدَه مجداً فائقاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم"^(١) وكانوا يقولون: "مَجَّد، أي حصل على نعمة" (ضد الأريوسيين ١ : ٣٧). والفقرات من ٣٧ - ٤١ جديرة بالدراسة؛ لأنها تكشف عن جذر حركة التهود التي أنجبت الأريوسية (راجع فقرة ٣٩)، وهو إنكار عطية التبني، وهي الاسم الآخر لتأليه البشر في المسيح، ولذلك يقول أثناسيوس: "كل الذين دُعُوا أبناء وآلهة سواء على الأرض أم في السماء قد نالوا التبني وصاروا متألهين بواسطة اللوغوس ... الجميع قد صاروا أبناء بواسطته" (١ : ٣٩).

لكن يبقى "رفعة ومجد يسوع" بعد أن تنازل إلى حقارتنا. ما هو المعن في التدبير؟

- "حيثما يكون التواضع تكون الرَّفعة" (١ : ٤١).

- "لقد متنا نحن جميعاً في المسيح" (١ : ٤١). والابن هو "بر الله"،

ولذلك هو لم ينل التبرير لنا" كما يقول المذهب الإنجيلي، بل: "الابن هو البر. إذن فهو لم يرتفع لأنه الابن، كما لو كان في حاجة إلى الرفعة، بل نحن الذين ارتفعنا (وتمجَّدنا) بسبب البر، أي المسيح ذاته" (١ : ٤١). (راجع عبارة الرسول بولس "النصير نحن بر الله فيه" (٢ كو ٥ : ٢١).

وعندما يُقال إنه نال أو أخذ أو تمجَّد "رُفِع"، فهو تأكيدٌ شديد على قوة التدبير، فقد "نال كإنسان ما كان له أزلياً (أو دائماً) كإله". وسبب ذلك: "لكي تدركنا نحن أيضاً هذه النعمة" (١ : ٤٢ مجلد ٢٦ : ١٠٠)، وهي نعمة تحول كيان الرب نفسه، وهو ما يؤكد أثناسيوس نفسه، حيث يقول: "الجسد الذي لبسه قد تألَّه، بل وأنعم بذلك أيضاً لجنس البشر" (١ : ٤٢).

(١) اسماً فوق كل اسم هو يهود في العهد القديم.

أخذ النعمة لنا لكي نأخذها نحن منه وفيه:

يقول أثناسيوس إن الكلمة لم يأخذ شيئاً من الآب لأنه الكلمة، بل "أخذ هذه النعمة لنا نحن الذين لنا فيه صلة بسبب جسده τὸ σῶμα αὐτοῦ .σογένησαν

لأننا صرنا هيكلًا لله، وجعلنا أبناء الله حتى أن فينا أيضاً يُسجدُ للرب والمشاهدون يعترفون بأن الله بالحقيقة فيهم" (١: ٤٣ مجلد ٢٦: ١٠٠-١٠١). هذه النعمة هي "الرفعة التي يمنحها الابن للآخرين من عند الآب". وهذه بعينها هي تلك التي يقال عنها إنه "رُفِّعَ بها الابن فقد نال ذلك الارتفاع وهو بعينه تأليهه" (١: ٤٥).

وقبل هذه العبارة يقول أثناسيوس: "لا يوجد للجسد كياناً إلاً بالكلمة ذاته، ولذلك فمن الضروري أن تمجيد ورفعة الجسد هي للجسد" (١: ٤٥).

لكن لماذا تبقى هذه النعمة دائماً فينا؟ والجواب من عند أثناسيوس: "أمّا القيامة والتمجيد، فإنهما يدومان فينا بالضرورة بسبب الكلمة" (١: ٤٥). لقد نال الجسد كل هذا؛ لأن الإنسان كان "في اللوغوس، أي الكلمة"، في داخله، ولذلك هذه النعمة الإلهية هي "تأليه الإنسان" (١: ٤٥).

تلك هي رفعة الإنسان في المسيح يسوع، تلك الرفعة هي التي تصنع الفرق بين التسليم الرسولي، وبين الأريوسية قديمها وجديدها، فما أبعد الشقة بين زمنٍ ساد فيه التسليم الرسولي، وبين زمنٍ يحاول فيه بعض الإكليروس، وعلى رأسهم المطران العلامة، تأكيد دونية الإنسان الذي تم استصغاره، فلا شركة حقيقية له مع أقانيم الثالوث، بل ينال طاقة أو قوة ؛ لأن الله يخل على الإنسان بحياة ابنه، ولا يجود إلاً بما هو زائد، لا ما هو حقيقي، أي حياته هو، تلك التي أخذناها في المسيح يسوع ربنا.

يسوع المسيح هو الإنسان الوحيد في تاريخ البشرية الذي لم يعيش لنفسه^(١)

وصل إلى الموقع هذا السؤال من الصديق كيرلس:

سلام من الرب يسوع يكون مع شخصكم الكريم

أنا كنت في شرح الابوليناريوسية، وازاي أن أبوليناريوس كان في ضيق شديد من أفكار آريوس الهرطوقية (عندما قال ان المسيح كان عرضة للخطأ الأخلاقي) وازاي توصل أبوليناريوس في حل مشكله آريوس (من وجه نظر أبوليناريوس) في أن الإرادة المسؤولة عن تصرف الإنسان في أن يُخطئ أو يكون ذو سلوك سليم، وهذه الإرادة هي في النفس الانسانية. إذًا اللوغوس عندما اتحد بالطبيعة الإنسانية لم يتحد بالنفس الإنسانية، وإنما اتحد بجسد الإنسان فقط "وذلك ليتغلب علي جُزئية العُرْضة للخطأ الأخلاقي في شخص يسوع أثناء التجسّد الذي تحدث عنها آريوس.

ولكن السؤال هنا: السيد المسيح شابهنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها، فإذا كان المسيح قد أخذ كل الطبيعة الانسانية ووحّدها مع اللوغوس حتي يفتدي الإنسان، فما الذي جعل يسوع غير عرضة للخطأ الأخلاقي؟؟؟ هل بسبب اتحاده باللوغوس كما قلّتم لي في المحادثة التليفونية أم هناك أسبابٌ أخرى؟

شكراً لشخصكم الكريم

سؤال الأخ كيرلس هو عن هرطقة أبوليناريوس أسقف اللاذقية في عام (٣٦٠) والذي حوكم في مجمع في الإسكندرية (٣٦٢)، رغم الصداقة المتينة التي كانت بينه وبين القديس أثناسيوس، ثم حوكم بعد ذلك في مجامع في روما

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٠ يونيو ٢٠١٥.

(٣٧٤-٣٨٠)، وهو ابنٌ لواحدٍ من أعظم أساتذة الفكر الفلسفي والآداب اليونانية القديمة، وله نفس اسم الابن، عاش في بيروت، وأعاد ترجمة أسفار العهد القديم إلى لغة يونانية فصيحة حتى يتعلم المسيحيون الآداب اليونانية بعد أن مُنعوا من الدراسة وتدريس الآداب اليونانية بأمر الامبراطور يوليانيوس الجاحد.

لم يبقَ من كتابات أبوليناريوس إلا شذرات جَمَعَهَا المؤرخ الألماني H. Litzmann وأخرى نُسبت للقديس أثناسيوس الرسولي، وهي صيغة اعتراف بالإيمان.

الأفكار الأساسية:

١- كان عدواً شديداً للبأس ضد الأريوسية، وأراد أن يؤكد اتحاد الألوهة الكامل بالناسوت أو الإنسانية.

٢- لكن مع شدة الاهتمام بالتعليم الصحيح، ورغم تأكيدِهِ على ألوهية الرب، إلا أن اعتراض الأريوسية وهجوم الأريوسيين اللاذع على تقدُّم يسوع الأخلاقي، جَعَلَهُ -وهو ناسكٌ، يرى في الإرادة والعقل والنفس، المصدرَ الحقيقي للشر- أن ينكر وجود النفس الإنسانية في الرب المتجسِّد، وأن التجسد هو اتحاد اللوغوس بجسدٍ بلا نفس؛ لكي يظل المسيح قدوساً بلا خطية.

يسوع الإنسان الذي لم يَعِش لنفسه:

الحذف والفصل معاً هما من آليات الفكر الإنساني المستعبد للخوف، والأسير لمعطيات الفلسفة اليونانية، حيث ينسب كل شيء إلى "طبيعة" لها قدرة وفاعلية تقود وتحرك كل شيء. قد ينطبق هذا على الهواء أو الماء أو عالم النباتات والحيوانات، ولكنه لا ينطبق بالمرّة على الإنسان بالذات؛ لأننا نتجاوز التعليم المسيحي الأصيل -بسبب عدم الدقة- عندما نتكلم عن "الطبيعة الإنسانية"؛ لأن فكرة الطبيعة الإنسانية هي فكرة يونانية تجلّد القاسم المشترك بين كائناتٍ تشترك في صفاتٍ وأفعالٍ، لكي تصنف ما هو مشتركٌ بينها على أنه "طبيعة".

الوجه الحَسَن في هذه الفكرة هو تحديد الانتماء، ولكن الوجه المعتم فيها هو

تحول الإنسان إلى فكرة معنوية، في حين أن الإنسان -حسب المسيحية الأرثوذكسية- هو "صورة ومثال الله"، وهو لم يفقد هذه الصورة تماماً بسبب الخطية. نعم جُرِحت، ونعم شُوّهت، ولكنها تظل دائماً كائنَةً إلى أن تُشرق من جديد في يسوع المسيح.

لذا، فعندما يستخدم آباء القرون الرابع والخامس وما بعدهما، كلمة "طبيعة إنسانية"، فهم جميعاً يقصدون: الحرية - الحياة - الإرادة - الفكر - العواطف؛ لأن هذه هي ملامح "الطبيعة الإنسانية" التي للرب يسوع، والتي أخذها عندما تجسّد.

المدرسة اليونانية القديمة قبل المسيحية، هي مدرسة تصنيف، وهي مدرسة تنسب الشرّ إلى الطبيعة، وليس إلى حرية الإرادة، ومنها وُلِدَت الأفلاطونية التي رأت أن سقوط الإنسان هو نزولٌ من عالم المثل أو عالم الروح إلى عالم الجسد الحسّي عقاباً له.

لكن حسب تعليم اليهودية والمسيحية معاً، الشرّ هو اختيارُ الإرادة، وكامنٌ في المعرفة الذاتية، وينال العقل والقلب نورَ استنارةٍ من روح الحكمة، تراه في صرخات المزمور ١١٩، وقبله المزمور ٢٧.

الخطية اختيارٌ. وكان اختيار آدم الأول، هو الوجود بدون الله. اختيارٌ ذاتيٌ محدودٌ بنظرة الإنسان إلى كيانه، أفرد له المعلّم السكندري أثناسيوس الفصول الستة الأولى من رسالته في الرد على الوثنيين. ولذلك، وهو يقاوم البدعة المانوية والغنوصية، له عبارة مشهورة: "كل ما هو شر، فهو عدم، وكل ما هو خير، فهو موجود" (تجسد الكلمة ٤: ٥). الشرّ عدمٌ؛ لأنه من صُنع الإنسان، ولأن ما يصنعه الإنسان غير قادر على البقاء طويلاً، إذ يتبدد. الشرّ من خلق الفكر الإنساني، وهو لا بُد أن يضمحل، كما يؤكد المزمور: "تهلك أفكارهم". وكل إنسان يحيا لنفسه، والذات هي مركز الوعي والقرار، أمّا يسوع، فقد كان يحيا للآب وللإنسانية. يقول الرب: "لهذا يحبني الآب لأنني أضع نفسي" (يوحنا ١٠: ١٨)، وقد تكرر هذا في عبارات كثيرة

كشف لنا الرب فيها عن قوام حياته الداخلية.

"لا يقدر الابن أن يعمل من ذاته عملاً إلا ما ينظر الآب يعمل" (يوحنا ٥: ١٩)، فهو غير منفصلٍ عن الآب، ولكنه يعود ليؤكد بعد ذلك مباشرةً: "لأن مهما عمل الآب فهذا يعملُه الابن أيضاً" (يو ٥: ١٩). حقاً لم يَعِش الرب لنفسه؛ لأنه حتى الأعمال التي يعملها هو، يعملها الآب، ولذلك لم يكن لدى يسوع ذلك المركز الشخصي المستقل الإرادة الذي منه تأتي الخطية. لم تكن له محبة منقسمة مثل محبة البشر الساقطين في الانقسام. ولم تكن له محبة نفسه بعيدةً أو منفصلةً عن محبته للآب، ولذلك لم يكن للخطية مكانٌ في قلبه.

تراه في الصراع مع الشيطان في البرية، لا يقرر بإرادةٍ منفصلةٍ، بل يجيب من الأسفار. وسؤال الشيطان في كل تجربة موجّهٌ إلى الأنا ego والرد هو: لا حياة في الخبز وحده، بل في كلمة الله؛ لأن الخبز وحده -بدون كلمة الله- هو الحياة الحيوانية. ولذلك، لا تطلب الأنا، الحياة الإنسانية البيولوجية المستقلة.

وعندما تُقدّم له ممالك العالم يرفضها، ومن رفض الممالك -لأنها تعني عبادة المقدّم، أي الشيطان الذي لا يملكها أصلاً- تظلّ الأنا في دائرة التسليم إلى الله الآب: "لرب إلهك تسجد"، وحتى عندما يُمتَحَن في صدق مواعيد الله بالحفظ، يرفض أن يمتَحِن الله؛ لأنه يعرف أمانة الله، ولذلك يقول: "لا تجرب الرب إلهك".

على مستوى الوعي، كان بريئاً وقُدوساً ونقياً، لم يكن للخطية مكانٌ في قلبه. وعلى مستوى العلاقة مع الخطاة، كانت محبته للخطاة ظاهرةً بشكلٍ جعله يوبّخ سمعان الفريسي: "والذي غُفِرَ له كثيراً يحب أكثر"، وحَصَرَ الخطية في ثلاثة أماكن: محبة الذات، ولذلك قال لنا جميعاً أن ننكر الذات، ونحمل صليب البذل، والأهم هو أن نتبعه. ومحبة الآخر، ولذلك دكّر الذين سمعوه بالوصيتين: محبة الله ومحبة القريب. ثم لمس في رقةٍ شديدةٍ محبة القنية، عندما طلب من الشاب الغني أن يبيع كل شيء، أي أن يجحد ما يملك، وأن يأتي وراءه، ويتبعه، فرفض الشاب الغني؛ لأن محبة القنية هي امتدادٌ لمحبة الذات، والتفريط في القنية

هو تضحية بهذا الامتداد.

وحمل الصليب هو وضع الذات في إطار العطاء، العطاء الذي يتخطى كل الحدود، والذي عبّر هو عنه في مثل السامري الصالح، الذي لم يكن له أي قيمة عند اليهود بالمرّة؛ لأنه لم يحفظ الشريعة الموسوية، ولكن عمل المحبة والخير جعله يتخطى كل الحدود والفواصل العرقية. وحياة يسوع في الجسد وأقواله وأفعاله، هي النقاء والنور والمحبة والغفران مستعلنة في الحياة الإنسانية.

وثمة موضوع هام لم ندرسه بالتفصيل في مصر، وهو "إخلاء الذات" (فيلي ٢: ٦). وأذكر أنني كنت الممتحن لطالب من جامعة شفيلى في شمال إنجلترا، كانت رسالة الدكتوراه المقدّمة منه هي عن (فيلي ٢: ١-٨)، وكانت من أعظم الرسائل؛ لأنها جاءت مطابقة لتعليم آباء الإسكندرية، وهو إخلاء الرب الابن لذاته بالامتناع عن استخدام القوة الإلهية والسلطان، إلّا في إطار محدود، حسب التدبير؛ لكي ينقل الإنسانية التي أخذها من العذراء إلى مجد ألوهيته.

وعندما يتّحد ابن الله بطبيعة محدودة فانية، ليس لها وجود ذاتي، أي الإنسانية، فهو يدخل إلى جحيم الحياة الإنسانية، وهي ضد كل ما له؛ لأنه واجب الوجود أو كائن بذاته، ليس للفناء أي مكان أو شكل أو إحساس في أقدومه الإلهي، كما أنه غير محدود (غير محدود، أي لم يكن له أي تحديد خاص بالكم Quantity بل بالكيف Quality) فالله ليس محدوداً حسب الكم، بل فوق كل الحدود؛ لأنه صالح ويعلو جوهره على كل ما هو معروف.

"نزل من السماء"، كما نقول في قانون الإيمان، وهي حركة التواضع الإلهي لكي يصبح الله متجسداً، وأن يحيي الحياة المخلوقة الإنسانية. هنا نرى كيف تظهر قداسة المسيح في أنه لم يتعدّد حدود Boundaries ما هو مخلوق، ولذلك يقول رسول الرب إن "ضعف الله وجهالة الله أعظم من قوة وحكمة البشر" (راجع ١ كو ٣: ١٩ - ١: ٢٥). ولذلك، قَبِلَ الربُّ "الموت"، وعار الصليب والدفن مع الموتى، ولكنه قام في اليوم الثالث. أعمال التدبير الإلهي تؤكّد أن مَنْ تجسّد

وبذل ذاته للموت، لم يكن له ذلك الاهتمام (الانهمام بالذات)، ولم تكن حياته لذاته، ولذلك قام بمجد الآب.

قداسة الرب ليست نظريةً في الخرسولوجي، بل هي الواقع المعاش الذي جعل يسوع الإنسان، هو الإنسان الوحيد حتى آخر الدهور الذي لم يعيش لنفسه، بل للآب وللإنسانية التي جاء لكي يخلصها.

تقول سطورٌ باقيةٌ من صلاةٍ تعود إلى القرن الثاني أو الثالث:

"أنت يا يسوع نور الحياة؛ لأنك - كنورٍ - تجوّد بما لديك لكي لا نسير في الظلام، بل بنورك نعاين النور".

مع محبتي.

عودة إلى موضوع وراثة الخطية^(١)

ورد إلى الموقع تعليق من الأخ بيشوي ممدوح على كتابنا: وراثة الخطية أم سيادة الموت؟ يقول فيه:

إلى دكتور جورج ... ان التعليم بعدم وراثة الخطية نفسها هو تعليم جديد على مسامعنا ... لكني أريد ان استفسر ... ما دمنا لم نرث الخطية نفسها ولكن ورثنا الطبيعة الفاسدة القابلة للموت الجسدي و الروحي ... وبهذا صارت الخطية التي نعملها هي بمحض إرادتنا وميل الطبيعة للشر ... فكل من سيطرت عليه الطبيعة المائلة للشر صار خاطئا و يحتاج للخلاص، وهنا لي استفساران:

١- إذن أمنا العذراء لم ترث الخطية كسائر بني آدم جميعهم ... بل ورثت طبيعة فاسدة تميل للشر، ولكن نعلم من الكتاب المقدس و كتابات الاباء و الليتورجيا أن أمنا العذراء عاشت بدون عمل أدنى خطية خارجة منها أو تحمل إرادتها ...

٢- هناك بعض من قديسي العهد القديم لم يذكر الكتاب المقدس لهم خطية بشرية قاموا بها بإرادتهم مثل أخنوخ ... ويوحنا المعمدان في العهد الجديد، بماذا استفادت العذراء مريم وأمثال أخنوخ ويوحنا المعمدان من القديسين من فداء المسيح ... أعتقد طبقا لزعمكم أنهم لم يأخذوا غفراناً للخطية، إذ أنهم لم يرثوا الخطية من آدم ولا فعلوها بإرادتهم لأن طبيعتهم لم تميل لفعل الشر ؟؟؟ أم أن الفداء بالنسبة لها وللقديسين الذين ذكرت مثالين لهم، كان الفداء بالنسبة لهم هو الحصول مرة أخرى على طبيعة غير فاسدة

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٦ يونيو ٢٠١٥.

تتمتع بالخلود وعدم التألم ... طبيعة متألهة؟؟؟؟ أشكركم على مجهوداتكم
الكثيرة ... والرب يعطى سلاماً وبنیاناً لكنيسة الله الواحدة ... سلامة
التعليم ونهضة روحية حقيقية للكنيسة الارثوذكسية القبطية.

خلفية ثقافية وتاريخية

سؤال أسمع به بشكل شبه دائم، يعكس - بشكل واضح - الابتعاد عن التراث
الشرقي عامة، والسكندري خاصة. دخل المبشرون الغربيون مصر في عدة مراحل
متتالية، ولكنهم استقروا في مصر، وكوّنوا عدة كنائس، منها ما يتبع روما، وهي
كنيسة الأقباط الكاثوليك، وكنائس أسّسها المبشرون الإنجيليون، وهي كنيسة
الأقباط الإنجيليين.

كلا الجانبين ورث التعليم الأوغسطيني الذي ذاع وانتشر في الغرب في القرن
الخامس، والذي يؤكد وراثته خطية، بل ذنب آدم أيضاً؛ وذلك لأن أوغسطينوس
هو أحد آباء حركة الإصلاح في القرن السادس عشر، ويكرّمه الإنجيليون
والكاثوليك معاً.

كانت الكنيسة القبطية حقلاً بكرّاً، ومع تصدّي عددٌ من آباء الكنيسة
القبطية الأرثوذكسية مثل الأنبا يوساب الأبح، والقمص فيلوثاوس إبراهيم، ثم
الأستاذ حبيب جرجس للرد على هجوم المبشرين من الطرفين، إلّا أننا ذكرنا في
أكثر من مناسبة، أن اتفاق الكاثوليك مع الإنجيليين حول بعض الموضوعات
مثل: الفداء - الكفارة - دفع ثمن الخطايا - الخطية الأصلية، قد جعل بعض
الذين عاشوا معنا، وكانوا معلّمين لنا يظنون أن هذه بمثابة عقائد مشتركة، تعود
إلى الكنيسة الأولى قبل الانقسام. وكان السبب في شيوع هذه الفكرة هو انعدام
تدريس مادة أساسية تُدرّس في كل معاهد اللاهوت، وهي "تاريخ العقائد
المسيحية"، ولذلك لا تجد في هذا المجال إلّا كتباً كاثوليكية، أو إنجيلية، أشهرها
هو كتاب علم اللاهوت النظامي للكنيسة الإنجيلية.

كان لدينا حركة ثقافية تجمع مصر وسوريا ولبنان، وكانت الكتب المسيحية تنتقل بين هذه البلاد بسهولة، لا سيما بعد عصر الاعتماد على المطابع. والذين أدركوا الأربعينات من القرن الماضي يذكرون جيداً "المطبعة الأمريكية في بيروت"، وهي أقدم دار نشر إنجيلية في كل الشرق العربي، ثم مكتبة النيل المسيحية، وتزامن معها دار النشر للكنيسة الأسقفية. نشر الإنجيليون تفاسير "وليم آدي" الأمريكي، ونشر الأسقفيون التفاسير البيضاوية للمستشرق الإنجليزي جاردنر. وتولت جمعية أصدقاء الكتاب المقدس ترجمة ونشر ف ب ماير. واضحٌ إذن، أن بذار وأشجار الحقل الثقافي كانت، إمّا إنجيلية، وإما كاثوليكية. ولكن يجب أن نذكر الجهود التي بُذلت في حبرية البابا كيرلس الخامس، إذ أُعيد نشر تفسير المشرقي، وهو أحد أعلام الكنيسة السريانية المشرقية التي تُوصَف خطأً بأنها نسطورية.

كان العالم السرياني الكبير أبو الفرج بن الطيب هو الناقل، بل وضع كتاباً في القوانين باسم "فقه النصرانية"، هو نواة كتاب الصفي بن العسال، وعنه نقل بن العسال الكثير في كتابه "المجموع الصفوي".

في مجال العقائد نقل أستاذنا حبيب جرجس كتاب أسرار الكنيسة السبعة عن كتاب مطران اللاذقية للروم الأرثوذكس المطران جراسيموس مسرة، وعندما لم يجد معلومات كافية عن الكهنوت، نقل ملزمةً كاملةً نشرتها الكنيسة الأسقفية، وذكر هذا في حاشية الطبعة الأولى. كما نقل القمص ميخائيل مينا كتابه "علم اللاهوت النظري" عن كتاب لبناني ماروني.

هذه هي الخلفية الثقافية التي من خلالها انتشر التعليم بوراة ليس الخطية فقط، بل ذنب آدم أيضاً.

عقدت كنائس الغرب مجمع Orange في (٥٢٩) وهو المجمع الذي قَبِلَ تعليم القديس أوغسطينوس. كان الشرق قد انقسم في ٤٥١ (خلقيونية) وفشلت مساعي الوحدة ودخل الفرس سوريا ولبنان ومصر بقوة عسكرية كبرى ودُمِّرَت الكثير من المدن وفي مقدمتها الإسكندرية.

لم يكن لدينا في الشرق الخلقيدوني واللاخلقيدوني مجامع تحدد عقائد الكنيسة، فقد انشغلت كل الكنائس الشرقية بمحاولة البقاء والاحتفاظ بالحياة في وجه العواصف التي خربت مصر وسوريا واليونان الخ. عواصف تقودها قوى عسكرية لا تملك الامبراطورية الرومانية الشرقية القوة العسكرية للتصدي لها، وكانت آخر محاولات تجديد شباب الامبراطورية في عهد هرقل (٦١٠-٦٤١)، وموته بات تهديد العثمانيين الشغل الشاغل، ولم تنعقد مجامع مكانية ذات أهمية لاهوتية إلا مجمع عام (١٣٥١) الذي قاده غريغوريوس بالاماس.

حاول بعض مؤرخي الكنيسة الكاثوليكية إدخال تعليم أوغسطينوس عن "الخطية الأصلية"، وهو تعبير لاتيني طبعاً، تُرجم إلى اليونانية، ولكن هناك فرق كبير بين تعبير أو مصطلح لاهوتي له مرجعية، وآخر تُرجم دون أن يكون له مرجعية، أي لم يظهر في وثائق وكتابات آباء الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية الذين كتبوا باليونانية أو القبطية أو السريانية أو الأرمنية. أن يكون لدينا مصطلح مُترجم من وعن وثائق أخرى، ومن بيئة ثقافية أخرى، غير أن يكون لدينا مصطلح نشأ في ذات البيئة؛ لأن الأول يؤكد أننا إزاء موضوع انشغل به الفكر، والثاني يؤكد غياب هذا الموضوع. ولهذا السبب بالذات، فإن عدم وجود تعبير الخطية الأصلية في كتابات الآباء الشرقيين، يؤكد لنا أن هذا التعليم الذي ورد في القرن التاسع عشر والعشرين في بعض كتابات أرثوذكسية معاصرة، إنما هو نقلٌ عن التعليم الغربي.

المصطلح ليس هو جوهر الخلاف:

ومع ذلك، فالمصطلح ليس هو جوهر الخلاف؛ لأن تاريخ العقيدة المسيحية شرقاً وغرباً لم يكن تاريخ مصطلحات. وفي الشرق الأرثوذكسي لم تؤسس الكلمات أو المصطلحات الحق المستعلن؛ لأن تجسّد الرب ابن الله في اللحم والدم لم يكن كلمات، بل كان ولا يزال معنا، بل فينا، الحضور الإلهي للابن المتجسد الذي فيه ومنه قبلنا الآب والروح القدس. وتاريخياً، لم تبدأ الكرازة بمصطلحات، بل بشهادة الرسل عن قيامة المسيح. ولم يكن الاعتراف بالإيمان هو اعترافٌ بكلمات، بل كان

اعترافاً بالهبة والعطية "يسوعُ ربُّ مجد الله الآب" (فيلبي ٢ : ١١) كما ذكر رسول المسيح. وحسب النطق والصياغة معاً، يبدو الأمر مجرد عبارة، ولكن من واقع التاريخ الكنسي وشهادة كل الذين كتبوا عن معنى أن يسوع هو ربُّ، نجد عطية الحياة الأبدية، الإيمان بالقيامة وغفران الخطايا، وعطية التبني، وسكنى الروح القدس. ولذلك السبب، حتى في تعريب الكلمات أو المصطلحات اليونانية أو القبطية، من الضروري علينا أن نلاحظ ما تعبّر عنه الكلمات والمصطلحات من علاقة جديدة جاء بها الابن من عند الآب وأعطيت بالروح القدس.

لذلك، ليس جوهر الخلاف مع الغرب الكاثوليكي والإنجيلي معاً، قبول أو رفض مصطلح ما، بل قبول أو رفض ما يحمله المصطلح من تغيير في الوعي والإدراك، وما يمكن أن يتفرع عن هذا المصطلح من أفكار ليس لها سند في الثوابت الإلهية المعلنة في الأسفار، أو تلك التي تمارس في الحياة الليتورجية.

الخطيئة فعلٌ شخصيٌّ، هل يمكن أن يُورَث؟

من العبارات التي لا يمكن أن ننساها لأستاذنا د. وهيب عطا الله أنه قال أثناء شرح هرطقة بيلاجيوس: "إن الأب السكّير الذي يُنفق أمواله على الخمر، يورث أولاده الفقر، ولكن الأولاد لا يرثون الإدمان، إلّا إذا شربوا الخمر". بهذه الكلمات الواضحة بات من الضروري أن نفكر بطريقة موضوعية عن وراثة الخطيئة؛ لأنها فعلٌ صادرٌ عن الإرادة والفكر، خاصٌّ بكل فرد أو شخص على حدة يؤثّر حتماً في الذين حوله، ولكنه لا يورث.

نحن لا نرث أفعال السابقين، بل نحن في واقع الحياة نفسه، نتعلم من السابقين الكثير مثل أنواع المهن والحرف والفن، بل ولغة الخطاب، ويجب أن نضيف والشور أيضاً. لا يولد إنسانٌ ما أياً كان، إرهابياً، ولكنه يتعلم الإرهاب من فردٍ أو جماعة. وحقاً ذكر العلامة السكندري أكليمنضس أن الخطيئة "تنتقل من فرد إلى آخر بواسطة العادات وآليات التعليم".

كان أستاذنا د. وهيب عطا الله متحمساً لتحديد أوغسطينوس بوراثة خطية وذنوب آدم، ولكنه -كعادته- لم يكن يعطي لأي فكرةٍ ما مكانةً مطلقةً تفسّر كلَّ شيءٍ. المطلق عنده هو الكلمة أو اللوغوس الذي يشرح كل شيءٍ، ولا تشرح أيُّ فكرةٍ ما أعمالٌ أو استعلانات الكلمة اللوغوس؛ لأن سر المسيح يسوع يُستعلن بالروح القدس لا بالجهود العقلية، وكان يعتبر التأمل هو مجال عمل الروح القدس.

بل عن أستاذنا د. وهيب عطا الله، تعلّمْتُ أكبر مبادئ التدبير الإلهي، وهو أن النعمة تحدد الخطية وليس العكس. وطبعاً العكس هو ما كان ولا زال سائداً عندنا. فقد بدأنا بسقوط آدم ووراثة الخطية لكي نبنى على فكرة الوراثة كل ما يمكن أن يبدو لنا منطقياً. والأسئلة التي وردت إلى الموقع هي أسئلة عكس التدبير: هي تبدأ بوراثة الخطية وانتقال الخطية، لا وراثة الموت وسيادة الموت. وحسب ما يبدو منطقياً: الخطية تورث لذلك ما هو موقف أو حالة أم النور؟ هكذا اخترع الغرب الكاثوليكي الحبل بلا دنس، وهو ما يعني أن أم النور وُلدت بدون خطية آدم، وهو، بلا شك، منطقٌ ينسجم مع اعتقادهم بوراثة الخطية، حتى لا يرث الرب نفسه خطية آدم. وعدم وراثة الرب نفسه لخطية آدم ضرورية في إطار الفكر الغربي الكاثوليكي والإنجيلي معاً؛ لأنه يجب أن يُقدّم ذبيحة بلا خطية لكي يدفع ثمن خطايا البشرية، فكيف يرث خطية آدم، فهو حُبَل به بالروح القدس؛ لأن أمه حبلت أيضاً وولدت بلا خطية. هكذا، يشبه الأمر قطار بضاعة تجره قاطرة واحدة ويسير في اتجاه واحد.

على أن موضوع الوراثة كله غائب عن تراثنا الشرقي، بل أن قوانين الوراثة لم تُعرَف قبل العالم البيولوجي مندل (١٨٢٢-١٨٨٤)، ولكن ما هو معروف في تراثنا الشرقي هو: الفساد، أي انحلال الطبيعة الإنسانية، وتمزُّق الوجود؛ لأننا وُلدنا من مصدرٍ ميّت، فلم نولد من مصدر حي، وبالتالي نحن نأتي إلى العالم بحياة مُستعبدة للموت، وهذا الاستعباد للموت هو مصدر الخطية، هو رغبة الانسان العارمة أن يكون خالداً بالطبيعة؛ لأنه يحس بالموت ويشكّل فيه الموت تهديداً لوجوده كله.

هناك بعض القراء يجدون لذة غريبة في اصطلياد ما يتوهمون أنه أخطاء عقائدية فيما يُكتب. أنا لم أدع العصمة بالمرة، والمعصوم وحده هو الرب، ولكن هؤلاء مثل "صيادي الشر" يبحثون عن كلمة، وهؤلاء أقول: لم يبحث الآباء، وبالذات أنثاسيوس في وراثة الرب لطبيعة آدم الخاطئة، بل أكدوا أنها الطبيعة الخاضعة للموت (تجسد الكلمة أنثاسيوس فصول ١-١٦)، وهنا يعني أنه "أخذ ما لنا"، أي طبعنا "القابل للموت" ومات على الصليب، فخلع وأباد الموت، بل حسب تعبير أنثاسيوس الرسولي: "الموت لم يعد له سلطان، بل قد مات حقاً" (تجسد الكلمة ٢٧: ١).

سيادة الموت:

إن أي دراسة أمينة عليها أن تلتزم بالتاريخ، لا بما هو سائد من أفكار شعبية، فلا تقرأ المصادر المسيحية القديمة لكي تجد نصاً من هنا أو من هناك، وإذا لم تجد؛ تزور في الترجمة - كما فعل الأنبا بيشوي أكثر من مرة، في تزوير نص هام للقديس أنثاسيوس، ونص آخر لمجمع قرطاجنة^(١). دراسة التاريخ عندنا مهملة جداً على المستوى الوطني والكنسي معاً. فنحن لا نريد أن نتعلم من التاريخ كيف نتقدم؛ لأننا نظن أن تراثنا الشعبي هو الكمال الذي لا يحتاج إلى تغيير. لذلك - يا عزيزي- فأنت صادق فيما تقول من إن التعليم بعدم وراثة الخطية هو تعليم غريب أو جديد على أذان السامعين؛ لأن السامعين اعتادوا على سماع تراث شعبي يبدو سهلاً ومعقولاً، ولكنه ضد كل ما يمكن أن يتوصل إليه العقل من معرفة.

- هل أباد تجسد الرب وصلبه وقيامته، الخطية؟ لا تستطيع أنت، ولا أنا، ولا أي مسيحي شرقاً وغرباً أن يقول إنه بلا خطية بعد الإيمان والمعمودية ومسحة الميرون والشركة في جسد الرب ودمه.

- هل لا تزال الخطية فينا نحن الذين نؤمن بالفداء والكفارة الخ حسب

(١) أشرنا إلى هذه النصوص تفصيلاً في كتابنا: وراثة الخطية أم سيادة الموت؟ منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية؟

تعبيرات الأخوة من الإنجلييين التي تسللت إلى تعليم أم الشهداء في مصر في العصر الحديث، تلك التعبيرات التي رسَّحها الأنبا شنودة، والتي يستमित الأنبا بيشوي في الدفاع عنها.

- هل كان رسول الرب يوحنا يكذب أو يدعي ذلك التواضع الكاذب السائد أحياناً عندنا عندما قال: "إن قلنا (يعني هو وكل من يقرأ الرسالة) إننا لسنا بلا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا"، ثم "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل" (١) حتى يغفر لنا خطايانا ويظهرنا من كل إثم" (١ يوحنا ١ : ٨-٩).

كما أن رسائل الرسول بولس مملوءة بقوائم عن خطايا تفتشت في الكنائس التي أسَّسها (راجع على سبيل المثال ١ كو ٥ : ١٠-١٣، ٦ : ٩-١١ - ١٠ : ١٥-٢١ - ٢ كو ٦ : ١٤-١٨ - غلا ٣ : ١-٣ - ٥ : ١-٣ - ٥ : ١٧-٢١ - أفسس ٤ : ٢٢-٢٣ و ٢٥ - ٣٢ - أفسس ٥ : ٣-٧ - كولوسي ٣ : ٥-١٥)، أليس هذا هو الصراع الدائم طالما نحن في الجسد؟!

فإذا كان الفداء من الموت هو حقيقة كيانية وُهِبَتْ لنا في المسيح، فإننا نتذوق عربون هذا الفداء الآن في القلب أو الروح، ثم تكمل هذه الحقيقة في الدهر الآتي بفداء الجسد من الموت (رو ٨ : ١٨-٢٤)، وهو ما تترنم به أم الشهداء في خاتمة قانون الإيمان: "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين".

ومن يواظب على صلوات أم الشهداء، يسمع طلب غفران الخطايا في مردات الشماس في القداس الإلهي، ويعرف تلك الصرخة التي تصدر من قلوب جريحة بالشَّرِّ: "يا رب ارحم".

(١) هذا هو عدل الله الذي يغفر لأنه ليس مثل العدل الأرضي الذي يعاقب ولا يغفر.

وحدة الموت والخطية التي كسرهما الرب يسوع:

لاحظ دقة تعبيرات الرسول بولس في الربط بين الخطية والموت:

- ملكت الخطية في الموت (رو ٥ : ٢١)
- شوكة الموت هي الخطية (١ كو ١٥ : ٥١)
- كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا (أفسس ٢ : ١)
- نحن أموات بالخطايا (أفسس ٢ : ٥).
- كنتم أمواتاً في الخطايا (كولوسي ٢ : ١٣)

هذه الوحدة العضوية تعني أن إبادة جانب، إنما تعني بالضرورة إبادة الجانب الآخر. أباد الربُّ الموتَ، فهَدَمَ عرش الخطية الذي تجلس عليه لكي تملك (رو ٥ : ٢١). وَكَسَرَ الربُّ شوكة الموت، وهي البحث عن الخلود. وعندما كَسَرَ الربُّ ذلك الحلف أو هذا الاتحاد بين الموت والخطية؛ سقطت الخطية، فقدت العرش الذي تملك عليه؛ لأن الرب "بالموت أباد الموت"، كما نرتل نحن في الخماسين. وعندما أباد الربُّ الموتَ، لم يُعَد الموتُ حائلاً يمنع الإنسان من الحياة الأبدية.

حيلة فاشلة:

أدرك الرسول بولس أن المجتمع الروماني القديم (مثل أي مجتمع معاصر)، هو مجتمعٌ منحل أخلاقياً، يزرع الموت؛ لأن شوكة الموت لا تزال تغرس فيه كلَّ شهوةٍ باطلةٍ، فكتب إلى المسيحيين في روما يحذّرهم من الانفلات: هل نبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟ (رو ٦ : ١)، والجواب: حاشا. ولكن لماذا؟ نحن الذي مُتْنَا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها؟ (رو ٦ : ٢)، وهنا أدعوك إلى ملاحظة دقة السؤال، فَمَنْ مات لا يمكنه أن يعيش، وهو هنا يقصد من مات عن الخطية، لا يملك أن يعود إليها. ولكن قوة الموت التي تدمّر الخطية ليست قوةً ذاتية، لذلك يقول الرسول: "أم أنكم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؟" (رو ٦ : ٣). لقد دخلنا موت الفداء، وموت الفداء يعني موت التحرير؛ لأن

الفعل فدى يفدي، يعني يحرر، ولم يكن هذا الفعل بالمرة يعني دفع أجره بالنسبة لله، وهكذا يكتب الرسول: "أمتوا أعضائكم التي على الأرض" (كولوسي ٣: ٥)، ويضع قائمة طويلة: الزنا - النجاسة - الشهوة الرديئة - الطمع (كولوسي ٣: ٥ - ٦). ثم ترى خطايا الكنيسة في عبارة صريحة تبدأ: "أما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل: الغضب - السخط - التجديف - الكلام القبيح - لا تكذبوا.." (كولوسي ٣: ٨-٩). لقد جاءت حريتنا من الموت بموت الرب، لا بالموت فقط، أو بالموت وحده؛ لأن يسوع رب الحياة هو الذي جاء إلينا بقوة الموت، أي موته الفياض بالحب، ويدعونا إلى أن نقبله، ليس في المعمودية ومسحة الميرون (زيوت وغطور دفن الرب) فقط، بل في الإفخارستيا أيضاً: "بموتك يا رب نبشّر وبقيامتك المقدسة نعترف".

كيف يعمل فينا موت الرب؟

١- بالقضاء على سلطان العادات والمثل التي غرسها المجتمع، وهي حسب الرسول بولس: "أركان العالم" (كولوسي ٢: ٢٠).

٢- بعودة الوعي بأن الوجود هو منحة من الرب. والوجود الذاتي بدون الرب هو وجود يقود دائماً إلى الكبرياء ثم كل الشرور. هنا ننال وجودنا في الرب (فيلبي ٣: ٩)، ولذلك يصرخ بولس: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته لكي أبلغ إلى قيامة الأموات"^(١) (فيلبي ٣: ١).

٣- وقوة موت المصلوب تعمل فينا بالاتحاد به، ولذلك يقول الرسول: "احسبوا أنفسكم (أي بأدراك الوعي بأن هناك مصدر آخر للحياة، وهو ليس الوجود الذاتي) أمواتاً عن الخطايا، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ١١).

(١) ترجمة بيروت العرجاء تقول: "علي أبلغ"، والكلمة "لعل"، لا تحمل أي يقين بالمرّة.

فاعلية سر المعمودية

بكل أسفٍ، يهاجم بعض الإنجيليين سرَّ المعمودية، ويقولون عنها إنها بلا فاعلية؛ لأنهم يعرفون بعضاً من الذين نالوا المعمودية، وأنهم يعيشون في الشر؛ ولذلك تجدهم يسألون عن فاعلية المعمودية في حبسٍ شديد. ولكن المعمودية ليست سحراً يعمل بدون الإرادة الإنسانية، ولا هي تعويذة تعمل من تلقاء ذاتها، بل هي: "عالمين أن إنساننا القديم قد صُلب معه" (رو ٦: ٦)؛ ولذلك، فإن عمل الإرادة بقوة الموت يعني: "لا تملك الخطيئة في جسدكم المائت (الذي مات مع يسوع المسيح) لكي تطيعوها في شهواته، (ويزيد التأكيد) ولا تقدّموا أعضائكم آلات إثمٍ للخطية، بل قدّموا ذواتكم لله أحياء من الأموات وأعضاءكم آلات لله" (رو ١٦: ١٢-١٣).

إن ما يحدث في أحد التناصير هو أمرٌ شبيهٌ بـ "سلق البيض". سرٌّ يعطي بلا تعليم، وبلا متابعة بعد السر. هذا ما عرفته على مدى أكثر من ربع قرن، بل سبق لي أن طلبت بإلغاء أحد التناصير، بعد إعدادٍ قويٍّ لهذا الإلغاء، ولكن عجلة الطقوس تدور بدون عقيدة، وهذه مصيبة كبرى.

عودة إلى أسئلة تحت مظلة الوراثة:

١- هل ورثت العذراء الخطية، أم أنها ورثت الطبيعة الآدمية القديمة؟

بالطبع، ورثت الطبيعة القديمة، ولكنها نالت حريتها بحلول الروح القدس. وهنا يجب أن نفهم أن الولادة بدون زرع بشر هي تحرير الطبيعة من قوة وسلطان الحياة البيولوجية، وهو ما وضعها في مجال عمل الروح القدس الرب المحيي، فأعطت للرب يسوع حياته الإنسانية التي كوَّنها الروح القدس في أحشاءها متجاوزاً كل ما أتى به آدم.

٢- كيف استفادت أم النور وغيرها من فداء المسيح؟

طبعاً، استفادت أم النور من التحرير من سيادة الموت.

ولكن دعني أخبي الفاضل أولاً أن ألفت نظرك إلى ما جاء في أسئلتك، حيث تقول: "هناك بعض من قديسي العهد القديم لم يذكر الكتاب المقدس لهم خطية بشرية قاموا بها بإرادتهم مثل أخنوخ ... ويوحنا المعمدان في العهد الجديد، بماذا استفادت العذراء مريم وأمثال أخنوخ ويوحنا المعمدان من القديسين من فداء المسيح ... طبقاً لزعمكم أنهم لم يأخذوا غفراناً للخطايا، إذا أنهم لم يرثوا الخطية من آدم .. الخ". وأقول صدقاً، إنني لم أزعم شيئاً، وهي كلمة "ثقيلة وبايخة"؛ لأنني لست أنا، بل الآباء الذين تفضّلت وأشرت إليهم في سطر واحد، وكان الأجدر بك أن تأتي، ولو بعبارة واحدة تؤكد فيها أنني أزعم؛ لأن الحوار لا يستقيم طالما أنه محشوّ بالاقتحام علي طقس الأنبا بيشوي مطران دمياط. لذا يجب أن نعود إلى طقس، أي ترتيب الرب والآباء الرسل ومعلمي الإيمان.

عموماً، غفران الخطايا لا علاقة له بخطية آدم، بل هو تجديد الكيان وتحرير الإنسان من الديونة.

٣- نحن نولد بطبيعة مائتة لها ميل للشر، وتخطئ، وهو ما تراه واضحاً في كتاب خدمة المعمودية المقدسة في كنستنا. والغفران ليس هو "المسامحة" فقط، بل هو أيضاً الاستنارة - تجديد الكيان - رفع الديونة - إبادة الموت - نوال التبني - عطية الملكوت.

أرجو أن لا تقرأ ولا تسمع للأنبا بيشوي، بل اقرأ وادرس كتب الكنيسة الأرثوذكسية حقاً، وهي خدمة سر المعمودية والميرون والقداسات ومسحة المرضى.

٤- أمّا الاستنتاج بأننا نولد بطبيعة متأهّمة، فهو استنتاجكم أنتم وأنا لم أذكر شيئاً من ذلك، وعليك تقديم الدليل. لن يستقيم الحوار أبداً طالما لدينا تطرف في حشد أكبر قدر من الاعتراضات، دون أن نحشد ما يؤيد وجهة النظر من الأساس التاريخي. لأن هناك قارئ آخر همه أن يذكر أن هناك تناقض فاضح و"ضد تعليم الآباء"، وعبارات أخرى، دون أن يشير إلى التناقض، ولا حتى إلى

اقتباس واحد من الآباء .. إن عصر العموميات هو عصر جماعات الإرهاب المسلح، والإرهاب الفكري الذي كشف - في بعض ما ورد عند الإرهائيين - عن أننا إذ حلَّ فينا الروح القدس، نصبح آلهةً مثل الله. وكأن الله امرأةٌ تُغتصب، أو طعاماً يؤكل، أو كائناً بلا إرادة ولا حرية عطاء له. هؤلاء - حسب التعبير السائد في القانون الجنائي وعلم النفس - هم Predators يقتحمون للسلب والنهب، كأن الله صار غنيمةً، وليس ضابط الكل خالق السموات والأرض.

٥- ونحن في القداس الغريغوري نقول عن الابن له الجحد: "لم يحسب مساواته لله اختلاساً؛ لأنه "أخلى ذاته"، فكيف تصبح سكنى الله فينا: "الله بالحقيقة ساكن فيكم" (١ كو ١٤ : ٢٥) اختلاساً؟ أليس هذا إنكاراً للنعمة؟!

الطبيعة والشخص:

لم ينتبه الذين قرأوا كتاب المطران يوحنا زيزيولاس "الوجود شركة" أنهم أمام منعطفٍ هام حوّل مسار الحياة الفكرية من سيادة وخضوع الطبيعة، إلى شخصية Personalization الفرد. السقوط هو سيطرة الطبيعة، وسيادتها على الشخص. وفداء الرب هو تحرر الإنسان من الطبيعة التي أسرها الموت وقدم لها عبودية الخطية إلى "حرية مجد أولاد الله"، ولذلك، في عبارة هامة للرسولي أناسيوس يقول فيها في الرد على الأريوسيين ٣: ٣٣، وهو يذكر تأله الإنسان بسبب أعمال الكلمة اللوغوس: "لأنه لو كانت الأعمال الإلهية للكلمة لم تتم في الجسد، لَمَا كان الإنسان قد تأله، وأيضاً لو أن الضعفات (الإنسانية) الخاصة بالجسد لم تكن قد ظهرت في الكلمة (المتجسد) لَعَجَزَ الإنسانُ عن أن يتحرر منها، وظلت الخطية والفساد باقيا في الإنسان كما كان حال الجنس البشري (قبل التجسد). ولدنا أمثلةً عن بشر كثيرين قد تقدّسوا وتطهروا من كل خطية مثل أرميا الذي تقدّس وهو في الرحم (ارميا ١: ٥)، ويوحنا الذي وهو لا يزال جنيناً في البطن ارتكض بابتهاج عند سماع صوت مريم والدة الإله (لوقا ١: ٤٤)، ورغم ذلك فقد "مَلَكَ الموتُ من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم (رو

٥: ١٤)، ولذلك ظلَّ البشرُ مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرّضين للأوجاع الخاصة بطبيعتهم". ثم يضيف المعلم الرسولي أن تجسد ابن الله وموته المحيي وقيامته "لم يُبقِ الناسَ بعد خطاةً وأمواتاً بحسب أوجاعهم، بل قد قاموا بقوة الكلمة وصاروا غير مائتين وغير فاسدين"؛ لأن الكلمة المتجسد جاء "لكي ينقل بداية تكويننا إلى كيانه، ولكي لا نرجع فيما بعد كتراب إلى تراب، ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحمَلُ إلى السموات بواسطته .." (راجع الترجمة العربية ص ٦٣ - ٦٤).

الطبيعة المتألَّهة هي خرافة الوثنية:

نقل الخطية وسيادتها على الإنسان إلى آدم هي خرافةٌ لا تليق بالمسيحية؛ لأنها أصلاً جاءت من المانوية، أي بدعة ماني التي كان أوغسطينوس تلميذاً وقيّاً لها^(١). كان تعليم ماني بِشَرِّ الجسد الموروث له علاجٌ واحد، وهو الامتناع عن الزواج، ولم يدرك الأنبا بيشوي وهو ينقل فكرة وجود بذرة الشر في زرع الرجل، أنه ينقل هرطقة ماني ومدارس الغنوصية، التي تعلَّم بازدواجية الوجود الإنساني وتقسيمه إلى جزء شرير هو من صنع إله الشر، وآخر صالح من صنع إله الخير، وطبعاً الشرير هنا هو الجسد. ولم يدرك مطران دمياط أن الإنسان لا يولد فقط من زرع الرجل، بل تقدّم المرأة البويضة أيضاً. ولم يدرك علّامة اللاهوت في عصره أن الإشارة إلى أن سبط لاوي قد دفع العُشر لملكبي صادق، ليس لها علاقة بالخطية، الأمر الذي يتضح من فقرة طويلة في (عب ص ٧)؛ لأن هذه الإشارة هي عن الفرق بين كهنوت لاوي وكهنوت ملكبي صادق، وعبارة الرسول: "كان في صلب أبيه حين استقبله ملكبي صادق (عب ٧: ١٠) هي عن دفع العُشر لا عن الخطية؛ لأن الذي يحسم هذا هو عبارة الرسول بولس في (رو ٥: ١٤) عن مُلك الموت على الذين لم يخطئوا من آدم الذي أخطأ إلى موسى الذي قبل الشريعة، وعبارة رسول الرب لا تحتاج إلى تأويل: "على الذين لم يخطئوا على شبه

(١) وُلِدَ ماني وعاش في بلاد فارس (٢٦١-٢٧٦)، وقد صدرت دراسة موسعة في ٢٠٠٣ في جامعة برينوتوريا - جنوب إفريقيا، احتوت على أهم دراسات عن وراثة الخطية بعنوان:

Augustine and Manichaean Christianity.

تعدّي آدم"، أي الذين لم يكونوا قد ورثوا خطية آدم. هذا نراه في الفقرة التالية.

ماذا تعني وراثّة الخطية؟

أولاً: تعني أن الماضي هو أساس كل شيء. سقط آدم، وبالخطية صار لنا فُهمٌ يدور حول الماضي. والخطية حدثٌ تمّ في الماضي بواسطة فرد واحد. وسيطرة الماضي على الحاضر -وهو هنا حاضرنّا نحن وحاضر كل الأجيال التي سبقتنا- يعني أن الحاضر يقف أمام حائل صد هو ما حدث في (تك ص ٣). هذا هو منهج كل مدارس الغنوصية، وقبلها المانوية، أي رد كل شيء إلى زمانٍ بعيد. حتى أفلاطون، وهو من أعلام الفكر اليوناني، فُهمَ أن سقوطاً حدث في العالم العلوي السمائي، عُوقب الإنسانُ عليه بأن سُجِنَ في الجسد. وقد فنّد القديس كيرلس الكبير هذا الرأي في شرح إنجيل يوحنا (ص ١)؛ لأن تجسد الكلمة وقيامته -طبقاً لهذا المنطق- يعني بقاء العقوبة إلى الأبد. يقول رسول الرب: "كما في آدم يموت الجميع" (١ كو ١٥: ٢٢)، ولم يقل: "مات الجميع"، بمعنى أن الموت هو العلاقة الكيانية الوحيدة التي تربطنا بآدم. وعندما نعود إلى الماضي -وهو هنا خطية آدم، لا موت آدم- ننسى الموضوع الأصلي الذي لأجله تجسّد الكلمة حسب شرح الرسولي أثناسيوس.

ثانياً: وبنسيان الموت، تتحول المسيحية إلى مجرد دعوة إلى تجديد أخلاقي، وهو ما جاءت به حركة الإصلاح طوال ٤٠٠ عاماً من تزييفٍ للعلاقة الكيانية بين الثالوث والمؤمنين. إن التحول في السلوك، هو أمرٌ مطلوب، ولكنه ثمرةٌ تحوّل الكيان. ولذلك لا تجد للموت -عندهم- من ذكر إلا في الجنازات، بينما في الأوشية تعلّمنا من أم الشهداء: "اسمك القدوس هو الذي نقوله، فلا يقوى علينا موت الخطية، ولا على كل شعبك".

ثالثاً: وبالرغم من تعليمه بوراثّة الخطية، عَجَزَ لاهوت العصر الوسيط الغربي عن شرح وراثّة النعمة؛ لأن السؤال المنطقي الذي يطرح نفسه: إذا كانت الخطية

تورث، فلماذا لا نرث النعمة؟

النعمة تحتاج إلى قرار، وإلى فهم وإرادة حياة. أمّا الخطية، فهي انحراف القرار، وظلمة الفهم، وفساد الإرادة، وهذا لا يُنقل بالوراثة، بل يقع في صميم الإرادة الإنسانية.

رابعاً: لو أدركنا أن علة الخطية هي الموت، كما يقول الرسول: "شوكة الموت هي الخطية"، لتحوّل سرّ التوبة والاعتراف إلى شفاء، ولَفَهَمنا ضرورة تناول؛ لأنه "يُعطي عنا خلاصاً وغفراناً لخطايانا وحياةً أبديةً لكل من يتناول منه". لأننا نصارع رغبتنا في الوجود الأبدي بدون المسيح، ولكن "خبز الحياة" الذي يعطي لنا القيامة من الأموات - حسب تعليم الرب في (يوحنا ص ٦) - هو الذي يجعلنا "أبناء النور وأبناء القيامة"، وليس السلوك الأخلاقي.

خامساً: وغني عن القول إننا نقسّ الزبجة، مع أنها - حسب الفكر الأوغسطيني - هي مصدر انتشار الخطية باعتبار أن الخطية الأصلية تُنقل بالتوالد.

أرجو مراجعة تفصيلية لكتابتنا وراثة الخطية أم سيادة الموت، وكذلك للمحاضرات العشرة عن تجسد الكلمة المنشورة على الموقع.

أتمنى أيضاً دراسة التاريخ قبل صياغة أي اتهام.

في بيتٍ لحمٍ، زرعتَ بذرةَ الحياةِ
سقاها الروحُ في الأردنِ
شَقَّتْ تربةَ الموتِ على الجليثةِ
صارت شجرةَ الحياةِ التي أثمرت الخلود
أطعمَ الموتى خلوده
امتدت بيتُ لحمٍ بخيزه في كلِّ بيعةٍ
وسطعَ نورُ الجليثةِ والقبرِ بالحياةِ
أنار البائسين وحَمَلَهُم إلى عرشه

العهد الجديد والشرعة^(١)

ورد للموقع تعليق الأخ سامح جورجي على مقال الرد على أسئلة الأخ سامح جورجي، يقول:

لا يا سيدى المحبوب، لم تجبني علي كل النقاط ...

سؤال تعقيا عما ورد في ص ١١ البند الرابع في الرد علي أسئلة الأخ سامح جورجي، أولا: (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله)، كيف أن كلام الله وكلمته الأزلي هنا يعملان عملا واحدا الذي هو هبة الحياة؟؟؟ ولماذا قال السيد (بكل) أي بدون استثناء؟؟ أو ما هو سر الوحدة في الكلام الذى يخرج من فم الله؟؟؟ ولماذا إن أخطأ الإنسان في واحدة فقد أخطأ في الكل؟؟؟ ولماذا دُعِيَ الابن بكلمة الله (أَلأَب)؟؟ هل هناك أي ترابط، هدف أو دلالة لاستخدام تعبير (الكلمة)، إذ لم أجد هذا التعبير عن شخص يسوع بالمرة في العهد القديم (شبه ابن الإنسان)؟؟؟ وهل يمكن أن يسكن الثالوث فينا لنوال الحياة الأبدية بالتبني بدون الكلمة؟؟ أليست حياة الشركة تبدأ أولا بكلام الكلمة؟؟

ثانيا : قلت أن بعض الكلمات التي قيلت بالروح القدس على فم الأنبياء، كانت لعنات لمن كسر العهد، فهل تفضلتم بذكر شاهد أو مثال؟

ثالثا: " الشريعة أو الناموس تحتوي علي عقاب لمن يتعدى الشريعة ولذلك هى من ملامح الحكومة الشيوقراطية -حكومة القضاة والأنبياء وملوك بني إسرائيل- بالتالي هى مثل قانون العقوبات بالمعني الحديث". والسؤال هو، ألن يُعاقب يسوع ويذبح ليس فقط الذين رفضوه بل أيضا الذى لم يتاجر ويربح بالوزنة الواحدة؟ ألن يطرح الشيطان والوحش والنبي الكذاب في بحيرة النار

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ يوليو ٢٠١٥.

والكبريت إلى أبد الآبدين...؟ فما هو وجه الاعتراض في مبدأ العقاب في الشريعة، وهو نفسه قائم في شخص الخالق؟

"حتما ، (لم يعد للشريعة أي وجود)، لأن الوسيط ليس الشريعة، بل الرب يسوع"، إذن لماذا أحال يسوع له المجد كل من المرأة الزانية و مشلول بيت حسدا الى الشريعة بقوله " لا تعودى لتخطئى"، "لا تعود لتخطئ لثلا يصير لك أشر"، كيف نفهم الأوامر العشر التي شهدها وعاينها جميع شعب إسرائيل والتي جاءت بصيغة المطلق و بدون أن يلازمها أي عقوبات ؟؟؟ أليست هي مشيئة الخالق السرمدية فينا، وصورة ابنه غير المتجسد؟

لا ذكر ولا وجود لمشرّع بدون شريعة، ولا وجود لشريعة بدون المشرّع، وهى قائمة بسببه، وتعبير عن إرادته السرمدية في الإنسان، فإن كان تأنس الابن هوّ تعبیر مشيئة أبيه، فقد تأنس الناموس كله، ما أريد أن أقوله هوّ إن كان الناموس مؤدبا يقودنا الى المسيح (غلا ١٣: ٣)، فلا بد أن يكون المسيح قائما في الشريعة يؤدبنا، أو من هوّ الآخر الذى يستطيع؟، لذا تغيرت الشريعة ولم تلغى، إلغاء الشريعة يعنى ببساطة الغاء المشرّع ، والذى تغير في الشريعة هوّ أن الموت الذى ساد علي الجميع ، والذى أعلنه الناموس قد فُهر وغُلب بتجسد المشرّع، ليكمل الناموس بقيامته من الأموات للحياة الأبدية عن يمين الآب التي هىّ شريعة الحياة لأن هذا هوّ ما أقره يسوع نفسه بقوله (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس، بل جئت لأكمل الناموس).

أدام التقدير لنا هبة التعليم التي فيك ، وأدامك لنا معلما محبوبا.

سامح جورجي

الأخ سامح جورجي. سلام ومحبة.

تعليقك الأخير كشف عن جرح عميق في الفكر القبطي المعاصر. أنت لست مسئولاً عنه، ولكن المسؤولية تقع على الذين أخذوا مسؤولية التعليم بدراسات منزلية بعد أن تعذّر عليهم -لانشغالهم بالكهنوت، وهو نعمة خدمة- أن يتفرغوا للدراسة الأرثوذكسية في معهد أرثوذكسي، بعد أن هبط مستوى التعليم في المعهد الأرثوذكسي الوحيد، وهو الكلية الإكليريكية التي تلقت ضربات قاتلة، كشف عنها مؤتمر التعليم اللاهوتي الذي عُقد في أنافوا في بداية خدمة البابا تواضروس الثاني، والذي أعقبه تعيين ثلاثة من الدارسين للتدريس، لم يتمكن أيّاً منهم من أن ينال وظيفة مدرس متفرغ لأنهم يمثلون خطر العودة إلى التسليم الكنسي وتراث الاسكندرية شبه المفقود.

المشرّع والشرية واحد:

وحدانية الله لا تعبر عنها الشريعة، فقد عاشت الإنسانية قبل موسى بلا شريعة، ولم يحس هذا المشرع كما وصفته أنت، وهي صفة غير معروفة عندنا في الشرق الأرثوذكسي. وقد نحتاج في المستقبل القريب جداً إلى دراسة وافية للرسائل التي كتبت إبان الصراع مع حركة التهود، وهي رومية - غلاطية - كولوسي والعبرانيين. من لم يدرس هذه الرسائل جيداً، وبعيداً عن زبالة العصر الوسيط، سوف يتعذّر عليه فهم موقف الرسل في (أع ١٥)، وأرجو أن تقرأ الإصحاح كله من عودة الأمم إلى الله ونهاية أحكام الشريعة. و(أع ١٥) تجد لها صدى عنيف في رسالة غلاطية وكولوسي بالذات (٢: ١٦). أرجو أن تدرس بعناية (عب ٧: ١١-١٧) حيث يقول الرسول أن الشريعة تغيّرت؛ لأن الكهنوت الذي أخذ الشعب عليه الشريعة أو الناموس لم يعد صالحاً لخدمة العهد الجديد.

ثلاث عقائد أساسية في المسيحية الأرثوذكسية ليست من الشريعة:

أولاً: تجسد ابن الله - ثانياً: الصلب والقيامة - ثالثاً: انسكاب الروح القدس.

تجسد ابن الله

لم يأت ابن الله بحكم الشريعة، ولا جاء حسب وصية من وصايا موسى، وهو ما يسجله إنجيل يوحنا ابتداء من (١ : ١-١٨)، لا سيما في كلمات الإنجيلي عن أن الشريعة أو الناموس بموسى أعطي. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صاراً (١ : ١٧)؛ لأننا لم نأخذ من ملئه حسب الشريعة، بل حسب نعمة ربنا يسوع المسيح؛ لأنه هو الابن الوحيد "المملوء نعمة وحقاً" (١ : ١٤).

وعليك يا أخي الكريم أن تدرس بعناية كتاب تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس الرسولي حقاً.

الصلب والقيامة:

لم يُصلب ابن الله لأن هذا هو حكم الشريعة الذي يطلب أن يموت البريء. حسب أحكام الشريعة، لا يوجد انسان بريء، ولذلك يقول تلميذه بطرس: "الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر .." (١ بطرس ٢ : ٢٣)، ثم: "المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة" (١ بطرس ٣ : ١٨). وفي عبارة قاطعة وهو يبشر بالإنجيل يكتب بولس:

- أما الآن فقط ظهر صدق الله (أو بر الله)

بدون الشريعة (الناموس)

مشهوداً له من الناموس والأنبياء

بر (صدق) الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق .. (رو ٣ : ٢١ - ٢٤).

وشهادة الشريعة والأنبياء هي في أمانة وصدق الله، ولذلك، فإن أصحاب ٤ من رومية جدير جداً بالدراسة؛ لأنه يوضح أن الشريعة ليست هي الوسيط. كيف غابت هذه الحقيقة عن الإدراك طوال ٤٠ سنة؟ لست أدري. عندما يقول الرسول: "قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الشريعة مغلقاً علينا إلى أن يجيء الإيمان الذي سوف يعلن (أو العتيد)" (غلا ٣: ٢٣).

جاء الوعد بالبركة قبل الشريعة الموسوية، وهي نقطة صراع بولس مع حركة التهود، ولذلك يسجل الرسول أن إبراهيم أخذ الطوبى من الله قبل الشريعة (رو ٤: ٨-١٠)، ثم يقول عن حق الإنجيل: "كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم ليس من الشريعة بل ببر الإيمان"، والسبب هو: "لأنه إن كان الذين يحفظون الشريعة هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد"، وبكل دقة: "لأن الشريعة تنشئ غضباً" (رو ٤: ١٣-١٥)، وينتهي الرسول بخاتمة حوار صادق ومحدد مع الشريعة وحركة التهود بعد أن قدّم إبراهيم مثلاً لصدق الله وصدق المواعيد.

يقول الرسول: "لم يكتب من أجله (إبراهيم) وحده أنه حُسِبَ له (براً)، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أُسلم لأجل خطايانا، وهو طوعياً أسلم ذاته للموت (يوحنا ١٠: ١٨) وأقيم من أجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٣ - ٢٥). والقيامة للتبرير الحياة من سلطان الموت، موضوع غاب من الوعي عند تلاميذ موسى من الإكليروس. لاحظ ماذا يقول بولس رسول الرب عن الانسانية والشريعة في (كولوسي ٢: ١٦-١٩):

+ لا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب (لذلك رأى بطرس كل حيوانات الأرض وطلب منه أن يذبح ويأكل - ما طهره الله لا تدنسه أنت) (أع ١٠: ١٠-١٦). بينما حكم الشريعة ظاهر جداً في الحيوانات الطاهرة والنجسة.

+ أو جهة عيد (نحن لا نحتفل بعيد فصح اليهود)، بل بفصح آخر، هو "المسيح فصحننا وقد ذُبح لأجلنا" (١ كو ٥: ٧)، وهو لم يُذبح حسب شريعة

فصح اليهود؛ لأن هذه الشريعة لا تسمح بذبح إنسان، أو بتقديم إنسان حياته للذبح، بل هي كلها موضوعة لوقت الإصلاح" (عب ٩ : ٩).

تركت كلمات العبرانيين:

- "قال جديداً عتق الأول (عن العهدين) (٨ : ١٣).
- "أما ما هو عتيق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (٨ : ١٣).
- "عهداً أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل" (٨ : ٦).
- "صار يسوع ضامناً لعهد أفضل" (٧ : ٢٢).
- "ينزع الأول (العهد القديم) لكي يثبت الثاني" (١٠ : ٩).

ليس العيد فقط، بل الهلال، وهو مراقبة طلوع القمر للاحتفال بالأعياد.

+ أو سبت (اللجوء إلى المعنى الرمزي للراحة هو هروب من الباب الخلفي؛ لأن بقية العبارة أن كل ما ذكر في (٢ : ١٦) له دلالة في (٢ : ١٧). فكل ما ذكر، الطعام والشراب - العيد - الهلال - السبت، هذه هي "ظل الأمور العتيدة (حسب ترجمة فان ديك) الأمور الآتية في المستقبل، وهي بركات حرية مجد أولاد الله في الانجيل"، ثم قبل ذلك كلمات الرسول: "إذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم أحياءكم معه (أي رغم حكم الموت: "موتاً تموت" تك ٢ : ١٧) مساحاً لكم بجميع الخطايا (لا غفران في الشريعة بل عقاب)، إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدنا لنا وقد رفعه من الوسط (لم يدفعه بل محاه) مسمراً إياه في الصليب (فقد قوته وشرعيته)" (كولوسي ٢ : ١٤-١٥).

لقد دهشت لكلماتك التي تقول فيها: إذن لماذا أحال يسوع له المجد كل من المرأة الزانية ومشلول بيت حسدا إلى الشريعة بقوله: "لا تعودى لتخطئي". يا أخي اقرأ ص ٨ من إنجيل يوحنا. كلام الكتبة والفريسيين هو الذي فعلاً حسب الشريعة. "يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل. وموسى في الشريعة أوصانا أن مثل هذه ترحم. فماذا تقول أنت (يا يسوع)" (٨ : ٣-٥).

لقد قال واحد يصف نفسه بالعلامة واللاهوتي الأول، إن الرب تركها بدون رجم لأنه كان سيدفع الثمن على الصليب بعد ذلك. ولما سألته كيف تفهم كلمات الرب: "ولا أنا أحكم عليك (أدينك)"؟ ارتج عليه القول. وهل كانت عقوبة الزنى صلباً، أم رجماً؟

يا أخي، لا توجد فقرة واحدة في كل الشريعة: اللاويين والتثنية تقول إنه توجد ذبيحة عن كل الخطايا. والردة والقتل والزنى هي خطايا بلا ذبائح، بل عقوبتها الموت وليس لها غفران.

لقد غفر الرب لبطرس، وأعطى اللص الفردوس، الأول يعتبر حسب الشريعة مرتد، والثاني سارق، وربما قاتل أيضاً، لذلك أرجو أن تترك عنك هذه العبارة "الشريعة والمشرع واحد". التجسد لم يكن شريعة، بل صلاح وفيض عطاء ومحبة.

كلمة الله، والله الكلمة المتجسد:

حقاً الإنسان يحيا "بكل كلمة تخرج من فم الله"، هذا عن الخلق الأول. أما عن قوة الكلمة، يرتل اليهود مزمور ١١٩. فهي للاستشارة وللتمييز بين الخير والشر. لكن هل هذا يتساوى بالله الكلمة؟ أبداً، بل مستحيل؛ لأن الله الكلمة المتجسد لا يعطي كلمة مثل كلمة الله الخالق في الأيام الستة، بل يعطي حياته هو: "أنا هو القيامة والحياة"، ولم يعد النور الذي فينا من الكلمة وحدها. هذه عودة إلى الأيام الستة الأولى واليهودية، لكن النور الذي فينا، بل يسوع هو نور العالم (يوحنا ٨: ١٢)، هو واهب حياته، هو جاء نوراً للعالم (يوحنا ١٢: ٤٦)، هو نور الحياة الأبدية، وليس الحياة المخلوقة فقط، بل هو الابن له المجد "الحياة التي أظهرت" (١ يوحنا ١: ٢)؛ لأن الله نور وليس فيه ظلمة والله هو نور الحياة (يوحنا ١: ١-٣)، وهو الأقتوم، وليس الكلمة خالقة السموات والأرض؛ لأن الإنسان نال نعمة صورة الله التي يجب أن تحيا حياة قال عنها الرسول "سنحيا معه بقوة الله" (٢ كور ١٣: ٤)، ولذلك طلب أن تحل عليه "قوة المسيح" (٢ كور ١٢: ٩)، وحقاً قال رسول الرب: "ليحل المسيح (أي أقنوم الله الكلمة) بالإيمان (لا بحكم الشريعة) في قلوبكم وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة

حتى تستطيعوا أن تدركوا ما هو الطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة لكي تمتثلوا إلى ملء الله (أفسس ٣: ١٧ - ١٩). فهل توجد شريعة تحدد ذلك، أم أننا أعضاء في جسد المسيح ننمو في كل شيء في ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد .. يحصل نمو الجسد بنيانه بالمحبة" (أفسس ٣: ١٥-١٦)؟

لقد عاينت كيف وضع بعض الإكليروس، الرب يسوع نفسه تحت حكم الشريعة، وصلبوه حسب شريعة اخترعوها وتركوا القيامة.

عطية الروح القدس:

كان الروح القدس يعمل في العهد القديم، ولم يكن الروح القدس ضمن بركات حفظ العهد، بل كانت كل بركات العهد أرضية (راجع تحذير موسى في تث ص ٤، ٥، ٦) وأعطى الرب الروح، روح الرب للقضاة، ثم للملوك وطبعاً للأنبياء، ولم يكن عطية عامة للشعب، بل نزع الرب روحه من شاول، رغم أنه مُسح بواسطة صموئيل النبي وحلَّ عليه روحٌ نجس (١ صم ١٠: ٤ - ١ صم ١٥: ٨ - ١ صم ١٦: ١٤).

لكن جاء وعد الرب بأن يرسل "معزياً آخر" لكي يمكث معنا إلى الأبد (يوحنا ١٤: ١٦-١٧)، وأن يكون أيضاً ليس معنا فقط، بل "ويكون فيكم" (يوحنا ١٤: ١٧). وعندما يأتي المعزّي بعد قيامة الرب من الأموات "في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم". وقد فاقت هذه العطية كل ما جاء في شريعة موسى؛ لأن الرب يقول لنا إنه سوف يأتي مع الآب ويكون له منزلاً عندنا (يوحنا ١٤: ٢٣-٢٤). ويجيء دور الروح القدس ليس بشريعة، بل "المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي (بواسطتي) فهو يعلمكم كل شيء (والشريعة لا تحتاج لمعلم) ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا ١٤: ١٦)؛ لأن ما قاله الرب هو أن يكون "الكرمة ونحن الأغصان" (راجع يوحنا ١٥: ٢٦).

لقد جرى تمزيق وهدم لعقيدتنا طوال ٤٠ عاماً، إذ فُصلت النعمة عن

العاطي، والقوة عن الأَقنوم، ولم يعد التعليم عن الروح القدس تعليماً مسيحياً، بل تعليماً يتبع هرطقة أنوميوس الذي حوّل الأَقنوم الثالث بالذات إلى طاقة وقوة.

نحن نواجه ردةً تامةً، ومحاولات تدمير للشوابت الأساسية، ليس في الأرثوذكسية وحدها، بل في المسيحية بشكل عام.

لقد جاءت العنصرة، وُهب الروح القدس للأمم كما لليهود، وتم وعد الرب يسوع. وأصبح الاعتراف بالرب يسوع هو عمل الروح القدس الدائم فينا؛ لأننا نعتزف بأن يسوع ربُّ بالروح القدس (١ كو ١٢ : ٢)، ولذلك لا يفارق روح الرب جسد المسيح، أي الكنيسة، بل رتّب فيها خدمةً، هو واهبها، وهو محرّكها، وهو الذي يفعلها.

إذا قرأت (٢ كور ٣ : ١٨-١٩)، وبالذات من (١٢-١٨)، سوف تدرك أن برقع الناموس لا زال موضوعاً على أعين بعض الإكليروس؛ لأن العهد القديم "يُبطّل في المسيح" (٢ كور ٣ : ١٤)، ولأن نور الألوهة قد أشرق، ليس من الشريعة، بل من الرب نفسه؛ لأن الله هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجهه (أَقنوم) يسوع (٢ كور ٤ : ٦)، لذلك لنا روح الآب الذي أقام الرب يسوع من الأموات (وهذا ليس حسب الشريعة) (رو ٨ : ١١)، هو نفس الروح القدس الساكن فينا، والذي في يوم القيامة "سيحيي أجسادنا المائتة"؛ لأنه ساكن فينا (راجع بدقة وتمحيص رو ٨ : ١١).

حسب الشريعة نحن عبيد، وحسب الروح، أخذنا روح التبني الذي به نصرخ "أبّا أيها الآب، ولذلك يشهد الروح القدس لأرواحنا أننا أولاد الله (ولاحظ قوة نعمة الله) فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً وورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨ : ١٧-١٥).

كان الوعد بالأرض في العهد القديم، أما الوعد بوراثة الله، أي ملكوت الله، أو ملكوت السموات، فهو وعد الحياة الأبدية.

تعلم الكذب والتزوير على يد الأنبا بيشوي^(١)

- ١ -

مقدمة

كتب الأنبا بيشوي مطران دمياط ما أسماها "دراسة بحثية عن كتاب رسائل أبونا فليمون المقاري"، علّق فيها على ما رأى أنها انحرافات وأخطاء عقيدية مضادة لتعاليم الكتاب المقدس وتعليم آباء الكنيسة ومجامعها ... إلخ. والمتصفح لما أسماه هو "دراسة" يكتشف على الفور، إذا ما قارن العبارات التي يقتطعها من سياقها، بذات العبارات في موضعها الأصلي في الكتاب، يكتشف مدى الاحتراف الذي وصل إليه المطران في لي عنق العبارات لإنطاقها بما يريد هو لا بما تعنيه هذه العبارات في سياقها، وهو أسلوبٌ في التزوير اعتاد عليه المطران في محاولة منه لإيهام القارئ بأن ما يقوله هو الصواب اعتماداً على ما يرتديه من زيٍّ كهنوتي. وقد نبهنا غير مرة، وفي أكثر من موضع وموقع إلى هذا الأسلوب، بل وأوردنا نماذج منه في كتاباتنا، كان أحدثها ما أوردناه في كتبنا التي أعدناها رداً عليه بعنوان: "سيادة الموت أم وراثة الخطية؟" - "أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال" - "الطبيعة والجوهر والقوة الأقنومية لأقانيم الثالوث"^(٢). وفي الحقيقة كان على نيافة المطران أن يبرئ ساحته بدراسات "بحثية" على هذه الكتب أو على بعضها، ولكنه إمعانا في التزوير والتزييف، يضيف إلى خطايا تلك الدراسة الجديدة.

(١) مقالان نُشرا على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في يوليو ٢٠١٥.

(٢) من أغرب العجائب أن يوجه المطران لنا فيما يدعي أنه دراسة بحثية، اتّهاماً بأننا نحارب شفاعاة القديسين، وفات عليه أو يبدو أنه لم ينم إلى علمه بعد أننا أصدرنا دراستنا بعنوان: "عبادة أموات أم هي شفاعاة القديسين؟"، وهي دراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية، ونُشرت طبعها الأولى بالقاهرة في ديسمبر ٢٠١٤، فهل هذا معقول على رأي الأنبا بيشوي!!

ونحن وإن كنا لن نرد تفصيلاً على تخرصات الأنبا بيشوي التي أوردتها فيما ادعاه بأنها "دراسة بحثية"، ندعو القارئ أن يصل إلى الحقيقة بنفسه، عن طريق مقارنة ما أورده الأنبا بيشوي من عبارات، بذات العبارات في مكانها الطبيعي في الكتاب، على أن نكتفي نحن بأن نقدم للقارئ في هذه المقالة وما يتبعها من مقالات، الأصول الآبائية التي تكشف عن المدى الذي وصل إليه تزييف التعليم في كنيسة أم الشهداء على يد هذا المطران، ومدى تخليه، هو ومن يشايعونه من الإكليروس، عن أساسات الأرثوذكسية.

ما قبل خلق العالم، وما حدث عندما تجسّد الكلمة، رد القديس أنثاسيوس على المطران:

يرد القديس أنثاسيوس على مطران دمياط في ذات الوقت الذي كان يرد فيه على الأريوسيين القدامى، في الفقرة ٧٤ من المقالة الثانية في الرد على الأريوسيين، وهي ذات الفقرة التي يحارب فيها القديس أنثاسيوس إنكار ألوهية الله الكلمة، تلك الحقيقة الأزلية التي حاول الأريوسيون مقاومتها عن طريق سوء استخدامهم لكلمات الكتاب المقدس، وبالذات (أمثال ٨: ٢٢-٣٠): "الرب خلقني .. وأسسني قبل الدهر". وبالمناسبة، هي ذات الطريقة التي يستخدمها المطران فيما يقع تحت ناظره من نصوص.

يكتب القديس أنثاسيوس رداً على تخريب الأريوسية: "إن الأساس الذي وُضِعَ هو يسوع المسيح" (١ كو ٣: ١١) .. ومن الضروري أن يكون الأساس مماثلاً لما يُبنى عليه حتى يمكن أن نلتئم به ونتوحد، ولأنه الكلمة (الإله) .. فلا يوجد من يماثلونه حتى يمكن أن يتحدوا به؛ ذلك لأنه وحيد الجنس، ولكن عندما صار إنساناً، فقد صار له (هو) الذين يماثلونه، الذين ارتدى جسدهم المماثل لجسده" (٢: ٧٤ راجع ترجمة عربية ص ١١٣).

إذن، فقد صار الله الكلمة مماثلاً لنا عندما تجسّد. "وتبعاً لذلك، فإنه "تأسس" بحسب بشريته حتى يمكننا نحن أيضاً أن نُبنى فوقه كحجارة كريمة، ونصير

هيكلاً للروح القدس الساكن فينا" (المرجع السابق).

وبالطبع لا يمكن للمطران أن يوافق أثناسيوس على ذلك؛ لأنه -أي المطران- ينكر سكنى الروح القدس فينا، ويقول عن الروح القدس إنه طاقة أو قوة، وبالتالي، فنحن -تبعاً لذلك- هياكل الطاقة والقوة، لا هياكل الله!!!

ويتابع معلم الحق الرسولي قائلاً: "وكما أنه هو (الكلمة) أساسٌ حقاً، فنحن نصبح الحجارة التي تُبنى عليه".

ولكن أثناسيوس -وقد استشرف من وراء الزمان- أن شبحاً سوف يطارد الأنبا ييشوي، وهو اعتقاده أننا نصبح مثل المسيح إذا حلَّ فينا الرب أو الروح القدس، وأن المطران سوف يأخذ مما أخطأ فيه وعجز عن فهمه ما يجعله عقيدةً، يظل يدافع عنها باطلاً باللعب، ليس فقط بكلمات الأسفار المقدسة، بل بما ينشره غيره أيضاً، يستدرك فيقول: "إذا صرنا الحجارة التي تبنى على أساس الرب، يكون هو الكرمة ونصير نحن أغصانه، ليس بحسب جوهر اللاهوت -لأن هذا مستحيل حقاً- بل بحسب إنسانيته، لأن الأغصان يلزم أن تكون مشابهة للكرمة حيث أننا مشابهون له بحسب الجسد" (المرجع السابق ص ١١٣ - ١١٤).

ماذا عن النعمة المعلنة في الزمان؟

يجيب معلّم الحق: "رغم أن النعمة التي صارت نحونا من المخلص قد ظهرت كما قال الرسول (تيطس ٢: ١١ يُقرأ في خدمة سر المعمودية في كنيسة أم الشهداء) وقد تم هذا عندما أقام (الكلمة) بيننا، إلا أن هذه النعمة كانت قد أُعدَّت قبل أن نخلقنا، بل حتى قبل أن يخلق العالم. وسبب ذلك صالحٌ ومدهش .. إله الجميع عندما خلقنا بكلمته الذاتي (الرب يسوع)، ولأنه كان يعرف أمورنا أكثر منا، ويعرف مُقدِّماً أننا رغم أنه قد خلقنا صالحين .. ولأنه هو محب البشر وصالح، فقد أعدَّ من قبل، تدبير خلاصنا بكلمته الذاتي -الذي به أيضاً خلقنا- لأننا رغم أننا كنا قد نُخدعنا بواسطة الحية وسقطنا، فلا نبقي بعد أمواتاً كلياً، بل

يصير لنا -بالكلمة- الفداء والخلاص الذي سبق إعداده لنا لكي نقوم من جديد ونظل غير مائتين ... إن بولس الرسول المغبوط يعلم بهذا كتفسير للنص الذي جاء (في سفر الأمثال ٨: ٢٢-٢٦) أي "قبل الدهور، قبل تكون الأرض" وذلك عندما كتب إلى تيموثاوس قائلاً: "اشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة" (٢ تيمو ١: ٨ - ١١) (المرجع السابق ٢: ٧٥ ص ١١٥).

والعجيب حقاً أن القديس اثناسيوس يدون في نفس الفقرة نص (أفسس ١: ٣-٥)، وهو النص المحبب عند كل من القمص مينا المتوحد الذي لم يعرفه الأنبا بيشوي ولا سمعه في أي حديث خاص، في الاعتراف بالذات، والراهب المقاري فليمون الذي كان يردد هذه الكلمات: "اختارنا فيه قبل تأسيس العالم .. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه"، ثم يسأل العظيم والرسولي: "كيف حصلنا على النعمة قبل الأزمنة الأزلية بينما لم نكن قد خُلِقنا بعد في الزمان، لو أن النعمة التي وصلت إلينا لم تكن مودعة في المسيح؟ لذلك السبب في يوم الدينونة .. يقول: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم قبل تأسيس العالم" (متى ٢٥: ٣٤)، كيف إذن أو بواسطة مَنْ أعدّ الملكوت قبل أن يخلقنا؟" (المرجع السابق ص ١١٦).

ويجيب في الفقرة ٧٧:

١- "لم يكن من اللائق أن تؤسّس حياتنا بأي طريقة أخرى سوى أن تؤسّس في الرب الكائن منذ الأزل الذي به خلق العالمين ... لكي نستطيع نحن أيضاً أن نرث حياة أبدية، إذ أن هذه الحياة (الأبدية) كانت فيه (في الرب يسوع)".

٢- "إن تحديد خلاصنا قد تأسّس في المسيح قبلنا، لكي يمكن إعادة خلقنا من جديد فيه، فالإرادة والتدبير قد أُعدّا منذ الأزل، أما العمل فقد تحقق عندما استدعت الحاجة وجاء المخلص إلى العالم" (ص ١١٧).

طبعاً، لم يقرأ القمص مينا المتوحد، ولا الراهب فليمون "الرد على الأريوسيين"، ولكن كان كلٌّ منهما يحيا الأبدية في القداسات وصلوات الكنيسة، وهو أحد الفوارق الأساسية بينهما وبين الأنبا بيشوي. ولذلك، إذا عُدنا - نيافتكم - إلى ما اقتطعته من الحوار الذي دار بين أبونا فليمون، ورئيس الدير، لوجدنا ما اعتدت عليه نيافتكم من تزوير واجتزاء للنصوص واقتطاع لها من سياقها. فعندما قال له ربيّة الدير: "أنت حارم نفسك من المسيح يا أبونا فليمون"، لم تذكر رد أبونا فليمون على رئيسه؛ لأن هذا الرد سوف يكذّبك ويفسد دعواك. كذلك لم تذكر تعليق القمص مينا المتوحد على رد أبونا فليمون لأنه أيضاً يكذّبك، فقد قال القمص مينا: "الأبدية سابقة على الزمان، وإرادة الابن الوحيد في أن يعطي جسده ودمه سابقة على خميس العهد، ولم يكن خميس العهد إلا الإعلان في الزمان عن الإرادة الإلهية". فهل كان يمكنك أن تكتب ما كتبت من افتراءات، لو أنك ذكرت النص كاملاً؟

ولم تذكر أيضاً سؤالاً للأب فليمون تعليقاً على كلامه كما دون في الكتاب: "كيف تناولت قبل خلق العالم، وأنت لم يكن لك وجود بالمرّة؟". ولم تذكر أيضاً رد الأب الذي تعلم الحق من كتب الكنيسة ومن شيوخ الدير: "أنا وأنت مثل الجنين في بطن الزمان .. الوعي يبدأ بالولادة في الزمان".

هل يعني اجتزاء النصوص وانتقائها إلا أن يكون هناك غرضٌ في نفس المطران، هو التدليس على الحقيقة والاستهانة بالقراء؟

أنت تستهين بشعب الكنيسة أملاً في تصديقهم إياك دون بحث وتمحيص؛ لأنك تفترض أنهم لا يقرأون، ولكن ما لا تعلمه أن هذا الزمان قد ولى، وسوف يكشف هؤلاء كم الكذب والتزوير الذي تحتويه "دراساتك البحثية"، وسوف يضعك التاريخ سواء شئت أم أبيت في خانة المزورين والمفتنتين على الحقيقة.

وبعد، فقد أجاب القديس أثناسيوس على صرعاتك ومخاوفك، ولنا أكثر من لقاء معك من خلال التاريخ الكنسي - الكتاب المقدس - اللاهوت - الآباء -

الليتورجية، حتى يظهر الوجه الحقيقي الذي يختفي خلف قناع الكهنوت.
في النهاية، دعني أذكرك بأننا عندما نصلي صلاة الساعة الثالثة، فنحن نعود
إلى ما قبل الزمان، أي العطية الأزلية للروح القدس، وليس إلى طاقة أو قوة كما
تزعّم، وهو ما يجب أن تُحاكم عليه، إذا كان لدينا حقيقةً، مجمعٌ مقدسٌ، يحرص
على الأرثوذكسية.

المسيحية الأرثوذكسية حقائق وثابت متكاملة لا يمكن الفصل بينها. وعلى سبيل المثال، لا يمكن الفصل بين الثالث وتجسد الابن؛ لأن الابن هو ابن الآب، والأبوة والبنوة لا يمكن فصلهما بالمرة. طبعاً، حاول الأريوسيون ذلك، وتلاههم هراطقة آخرون. ولا يمكن فصل اللاهوت عن الناسوت في شخص أو أقنوم الرب الواحد يسوع المسيح؛ لأن الابن له المجد هو إله متجسد، وأعماله في الجسد مثل انتصاره على الموت، وقيامته، لم تكن إلهية فقط، بل تمت في الجسد.

طوال ٤٠ عاماً أجاد أستاذ الأنبا بيشوي الكذب وخداع القارئ بتقديمه حقيقة ليضرب بها حقيقة أخرى، وهذه بعض الأمثلة:

"لو كانت الكنيسة جسد المسيح، فهل عندما نتناول الجسد المقدس، تأكل الكنيسة نفسها؟"، وهو سؤال استنكاري سخيف ينكر من يقع في شبكته أن الجسد الواحد هو الذي يجعل الكنيسة جسد الرب، وأن الجسد الواحد هو ذاته الذي نأخذه في السر المجيد. وتتحول هذه العبارة السابقة إلى تحكّم واستهتارٍ بالاثنتين معاً: الرب، وجسده الكنيسة، والرب وجسده في السر المجيد.

ومثال آخر: عندما يقتبس كلمات سفر الخروج "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"، التي تمنع كل آلهة الثنيين بكل أسمائها، لتصبح عبارة أو وصية تجب وتمنع الشركة في الطبيعة الإلهية. ثم يتمادى في القول لكي يكتب بعد ذلك: "إن من يتناول قد يخرج على الناس ويقول لهم بعد التناول: أنا إله اسجدوا لي". ونسي أن التناول هو لكل الكنيسة، وليس لفردٍ واحد، وأن نعمة الشركة في الطبيعة الإلهية هي للجميع، فلا يوجد واحد تقدم على الكنيسة وقال أنا إله.

ومثل الأستاذ هكذا التلميذ، ففي ما أسماه بيان بالكتب والأخطاء الواردة فيها الخاصة بكتب مؤلف مشهور منسوب لكنيستنا، وهو يقصد القمص متى المسكين، يقتبس من كتاب القمص متى المسكين، شرح إنجيل لوقا، عبارة وردت

في ص ١٠٣ تعليقاً على شرح بشارة الملاك للقديسة مريم: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلللك، لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥)، يقول فيها القمص متى: "أما قوة العلي التي ظللتها فكانت بمثابة الحضن الأبوي للابن الوحيد الذي نزل منه". والأنبا بيشوي يتصور أن هذه العبارة خطأ من ضمن الأخطاء التي يحصيها وينسبها للقمص متى، وبالتالي يورداً رداً عليها، وهنا يتبين لنا ليس فقط أكاذيب هذا المطران، بل واختراع الأخطاء التي لا وجود لها، وليس ذلك فقط، بل وسوء الاستدلال بنصوص الكتاب في التفسير، حيث تجيء أكذوبة المطران بأن من ظلل على والدته الإله هو الكارويم؛ لأنه خُدع من تعبير "المظلل" الذي ورد في كلام النبي عن الشيطان الذي وُصِفَ بأنه ملك صور، والذي كان في عدن جنة الله ... أنت الكروب المنبسط المظلل وأقمتك على جبل الله المقدس" (حزقيال ٢٨: ١٢ - ١٤). وهو نفس التعبير عن الكاروبين المظللين على غطاء تابوت العهد (عب ٩: ٥).

وحسب تسايح أم الشهداء، تابوت العهد هو الرب المتجسد من والدته الإله (راجع القطعة الثانية من ثيوطوكية الأحد). ولأن المتجسد سكن وأخذ ناسوته منها هي التي حولها ألوف وألوف وربوات وربوات يظللون عليك.

لكن جبل الكذب قصير، وما يأتي أو ما يصدر عن كراهية لا يعيش طويلاً؛ لأن خداع اللفظ هو خطية المبتدئين والموعوظين الذين لم ينالوا بعد استنارة من الروح القدس، لا سيما الذين دخلوا الكهنوت خلصةً، ومن أجل شن حرب على الغير، لا من أجل خدمة رب المجد.

استعلان الثالث لا استعلان ملائكة

"الرب معك" هي بالذات مثل كلمات زكريا النبي: "لا تخافي يا ابنة صهيون لأن الرب في وسطك" (٣: ١٥).

"قوة العلي تظلللك" هي episkiazein وهو ذات شكل سحابة المجد الألهي

في العهد القديم "الشاكيناه" (خر ٤٠ : ٣٥)، حتى أن موسى لم يستطع أن يدخل خيمة الاجتماع.

وعندما تجسد الابن الكلمة، نصب خيمته بيننا Kai eskenosen en hemin (يو ١ : ١٨)، وهو صدى لنبوة زكريا: "ها أنذا آتي وأقيم مسكني في وسطك" (زكريا ٢ : ١٠ - راجع أيضاً يوثيل ٤ : ١٧، وهو بدوره ما تجده في حكمة ابن سيراخ ٢٤ : ٨ - ١٠).

ولكن عندما تصبح سكنى الروح القدس، وقوة العلي هي واحد من القوات السماوية، فكيف يستقيم معنى الكلام: "لذلك المولود منك يدعى ابن الله"؟ ذلك لأن الذي كوّن ناسوت الرب هو روح الرب وليس ملاك؛ لأن القوات السماوية لا تقدر أن تخلق. وهكذا فهم الآباء أن الإنجيلي لوقا إنكما يعلمنا عن حلول الروح القدس على أم النور (راجع ضد الأريوسيين للقديس أثناسيوس، المقالة ٤ : ٣٢).

كذلك يؤكد القديس أثناسيوس في الرسالة الأولى إلى سراييون عن الروح القدس: ١١ "أن الروح القدس يدعى: الباراكليت - روح النبوة - روح التقديس - روح الله، وروح المسيح، ولم يدعى ملاكاً أو رئيس ملائكة أو أحد الأرواح الخادمة مثل باقي الملائكة، بل هو ذاته يُجَدَّم مع الابن بواسطة جبرائيل عندما يقول لمريم: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلللك" (راجع أيضاً الرسالة الأولى: ٣١).

بل في الرسالة الثانية: ٢ عندما يؤكد أن نعمة الثالوث هي نعمة واحدة لا تنقسم، يكتب عن هذه النعمة الواحدة: "ويمكننا أن نرى ذلك بالنسبة إلى القديسة مريم ذاتها؛ لأن رئيس الملائكة جبرائيل عندما أرسل إليها لكي يشرّها بحلول الكلمة فيها قال "الروح القدس يحل عليك"؛ لأنه يعرف أن الروح القدس هو في الكلمة، وعلى أم النور أضاف "وقوة العلي تظلللك"؛ لأن المسيح هو قوة الله وحكمة الله"، فكيف صار الرب الروح ملاكاً؟

نص الأنبا بيشوي:

"قوة العلي" هم الملائكة القوات التي ظللت على السيدة العذراء لأنه مكتوب عن الكاروب ... "إنه المنبسط المظلل" (حزقيال ٢٨ : ١٤).

في حين أن العلي في تعبير "قوة العلي"، هو اسم الجلالة العام عند كل القبائل السامية، ولذلك الرب هو "ابن العلي"، وليس ابناً لكاروبيم. "العلي" في العبرانية "إيل عيلون"، أي الإله الكوني الذي أقام ملكي صادق كاهناً له (تك ١٨ : ١٤). فقد جاء الرب متجسداً لكي يعلن لنا، ليس "يهوه" إله العهد القديم المستعلن للبطاركة، بل "إيل عيلون" الذي سوف يستعلن للأمم (راجع لوقا ١ : ٣٥، ٧٦، ٦ : ٣٥، ٨ : ٢٨، أع ٧ : ٧ - ٤٨، ١٦ : ١٧، مرقس ٥ : ٧، عب ٧ : ١). هو الإله العلي الذي خلق الكل.

ونلاحظ أن كلمة "قوة" وردت في صيغة المفرد، فهي ليست قوات؛ لأن تعدد القوات خاص بالملائكة، وهم حقاً قوات، لكن الروح القدس هو "قوة" الله. إذن، فقد خدعت كلمة "يظلل" المطران العلامة؛ لأنه درس دراسة منزلية، ولم يلتحق بمعهد لاهوتي.

والفعل "يظلل" ورد في نفس الإنجيل (لو ٩ : ٣٤ - ٣٥)، دلالةً على سحابة المجد الإلهي، وليس عن جبرائيل، بل هي سحابة الروح القدس التي ظللت الرب، ومن هذا الاستعلان، نلاحظ أن ملاكاً لم يكن هو المتكلم، بل الآب: "هذا هو ابني الحبيب. له اسمعوا"، وهي حتماً شهادة الآب، لا شهادة القوات السماوية.

القديسة مريم والدة الإله، (وليست السيدة العذراء كما اعتاد المطران أن يقول)، هي الهيكل الجديد لله الكلمة، لذلك جاءت سحابة المجد الإلهي تغطي خيمة الاجتماع الجديدة، كما كانت في العهد الأول (خر ٤٠ : ٣٢ - ٣٥).

يقول مار إفرام السرياني في شرح الإنجيل الرباعي^(١) Diatessoron: "كان من اللائق أن هندسة وعمل الخليقة التي سقطت أن تقف من جديد. والبيت الذي سقط يبني مرة ثانية، والروح الذي كان يرف (على وجه المياه) أن يأتي لكي يقدس البيت الغير النقي؛ لأنه إذا كان الصانع قد أعطى الحكم الآتي للابن، فمن الواضح أنه أكمل خلق الإنسانية وتجديدها بواسطته (الابن)، ولذلك كُتِبَ عنه أنه "الجمرة المشتعلة"، الذي جاء لكي يحرق الأشواك، والميدافع. لقد سكن في الرحم وقُدِّس وطَهِّر مكان الولادة من الوجع واللعة (تك ٣: ١٦)، واللهب الذي اشتعل في العليقة التي رآها موسى وأخرج الدسم منها فلم تحترق مثل تنقية الذهب الذي إذا وُضِعَ في النار لا يحترق. لقد تم كل هذا لكي نعرف أن النار الحية سوف تسكن في رحم العذراء، ولكنها سوف تروي رحم البتول وتلبسها بالنار مثل تلك النار التي أحاطت بالعليقة" (شرح الدياتيسرون ١: ٢٥).

الدراسات التاريخية علمتنا أن نميز بين:

- البشارة

- الحبل والولادة

وقد أشرنا إلى البشارة ومجيء الابن إلينا متجسداً، وحسب وصف شاعر الكنيسة السريانية مار إفرام، أحاطت نار الروح القدس بالبتول أم النور والدة الإله، وليس مجرد السيدة العذراء كعادة مَنْ تَحْتَبُّ الشهادة خوفاً أو نفاقاً.

ولعل المطران يقرأ رسائل القديس أنثاسيوس إلى سربايون وبالذات الرسالة الأولى لكي يرى كيف اختلط على البعض من أهل الدلتا التمييز بين الملائكة والروح القدس.

البشارة هي الإحاطة والامتلاء من الروح القدس. وبعد أن تم الحبل البتولي، جاءت الملائكة حول أم النور لأنها صارت الهيكل الجديد، لكن طريق الكراهية

(١) هو مجموع الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وضعه ربما ناتيان أحد علماء الكنيسة السريانية، وكان يسمى الإنجيل. وصلنا كاملاً باللغة العربية واشتهر في أوساط السريان. وربما كان هذا هو "الإنجيل" بصيغة المفرد الذي أشار إليه القرآن في أكثر من موضع.

هو طريق العمى واختراع الأخطاء هو فقدان البصيرة، والأخطر من كل ذلك أن يتعلم الناس منك كيف يضربون حقيقة بحقيقةٍ أخرى.

لو أنك تعود إلى التسليم الكنسي، وإلى محبة صادقة للأرثوذكسية، وإلى أن تترك الدفاع عن ولي نعمتك، لأن ولي نعمتنا جميعاً هو مخلصنا ربنا يسوع، أقول ذلك بصدق، لاستطعت أن تقدم خيراً وثيراً وكثيراً إلى كنيسةٍ تواجه أخطر مأزق في تاريخها المعاصر، هو مأزق التعليم المشوّه الذي يقدم دفاعاً عن شخص معين. ذلك أن ما يقدم من تعليم ليس هو المسيحية الأرثوذكسية، ولذلك عندما تعود إلى مصاف الأرثوذكسيين، سوف تنال مجد المسيح الرب، لا مجد البشر الزائل.

الإرتداد عن المسيحية الأرثوذكسية في كتابات الأنبا شنودة والأنبا بيشوي^(١)

- ١ -

يحتفي الأنبا بيشوي مطران دمياط وراء مجموعة من الهواة لا تجيد إلا الصراخ والاتهامات، وقد احترفت الكذب الذي اتخذه المطران زميلاً مرافقاً في رحلته التي بدأت منذ أُعطي تفويضاً باباويّاً لمطاردة المجاهرين بالإيمان الأرثوذكسي.

أولاً: لا يجب أن ندخل في حوار مع الهواة المأجورين بمعرفة الأنبا بيشوي، بل مع الأنبا بيشوي نفسه، طالما أنه قد أقام نفسه مدافعاً عن تعليم سيده الأنبا شنودة الثالث. وبما أن الصراخ والاتهامات ليس هو أسلوبنا، فإننا وحسب تقوى الأرثوذكسية نفسها، نطرح بعض أسئلة خاصة بالتمييز بين المسيحية والوثنية من جهة، وبين المسيحية الأرثوذكسية وسائر المذاهب الأخرى التي تنتمي إلى المسيحية من جهةٍ أخرى.

ثانياً: ليست القضية هي بحث عن هذه الكلمة أو هذا النص في كتابات الآباء الرسل، أو بعض أقوال ببشارة الرب نفسه أو الآباء الذين سلمونا الإيمان مثل القديس اثنا سيوس .. هذا مشوار طويل.

هنا مفترق الطرق:

أولاً: هل تؤمن يا نيافة المطران بأن الإنسان الذي خضع للموت الجسدي، بل والروحي هو خالد بالطبيعة؟

١ - هل الخلود حسب الطبيعة ممكن لمن خُلق من العدم؟

(١) مجموعة مقالات نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في الفترة من مايو ٢٠١٦ وحتى يوليو ٢٠١٦.

٢- ولو كان الإنسان خالداً حسب الطبيعة، فكيف خضع للموت؟

إذن، الخلود بالجسد وبالروح هو عطية الله الآب في يسوع المسيح حسب الإيمان، وحسب الأسفار الإلهية، وحسب الذي قال: "أنا هو القيامة"، يسوع رب الحياة.

فالخلود بالطبيعة وحسب الطبيعة، هو تعليم الوثنية.

ثانياً: هل يوجد نوعين من الخلود، خلودٌ خاصٌّ بالله "غير المائت"، أو الذي نقول عنه "قدوس الله الحي الذي لا يموت"، وخلودٌ خاصٌّ بالبشر؟

١- من أين جاء خلود البشر؟

٢- هل هو عطية الحياة الأبدية التي وعدنا بها المسيح؟

٣- هل هذه العطية مؤجلة إلى ما بعد القيامة في اليوم الأخير، كما يدعي واحدٌ من الهواة الذين استأجروهم للهجوم الكاذب؟

حسناً،

- الحياة الأبدية تُعطى لنا هنا في سر الإفخارستيا الذي يؤكد أنه: "يُعطى عنا خلاصاً وحياةً أبديةً لكل من يتناول منه"، فهل أصبح الخلود والحياة الأبدية بدعة؟

وبالتالي هناك سؤال: هل الحياة الأبدية هي غير حياة الله نفسه؟

الوثنية تقول: نعم هي غير الله نفسه؛ لأن الله جزءٌ من كونٍ خالِدٍ.

أما المسيحية الأرثوذكسية، فتقول مع يوحنا الإنجيلي عن الحياة الأبدية إنها هبة الله الآب في المسيح، وإنها هي حياة يسوع نفسه: "هذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياةً أبديةً وهذه الحياة هي في ابنه، من له الابن فله حياة .. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (١ يوحنا ٥ : ١١ ، ٢٠).

فإذا قلنا كما قال رسول رب المجد "شركاء الطبيعة الإلهية"، فهل أصبح الخلود والحياة الأبدية بدعةً تحاربها أنت كما حاربها من قبلك الأنبا شنودة، وكما يتصدى لها تحت اسم "بدعة" تلاميذك المأجورون؟ إذا كان الأمر هكذا، فلا

يبقى لك ولهم سوى:

أولاً: الوثنية؛ لأنك خالد بدون الله.

ثانياً: القيامة مثل قيامة الفراعنة الأماجد.

ثالثاً: الارتداد عن بشارة الإنجيل.

الطريق الواحد المستقيم الأرثوذكسي:

هو ما يعلم به الآباء، وما دُؤن في الأسفار الإلهية، وما هو ثابت في الليتورجيات الأرثوذكسية.

وها نحن نحاكم فكركم، لعل في مجمع الكنيسة أم الشهداء من يقدر —برجولة أناسيوس الرسولي— على الوقوف أمامكم والرد عليكم.

ما هي عطية القيامة من الأموات وحياة الدهر الآتي؟

ليست القضية الأساسية هي "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١ : ٣)، ولا هي نصٌّ من هنا أو هناك.

القضية الأساسية الكبرى والمصيرية هي: مصير الإنسان الأبدي.

إذا لم نأخذ الحياة الإلهية عديمة الفساد التي لا تموت التي وُهِبَتْ لنا في الابن ربنا يسوع المسيح بالروح القدس، فماذا نأخذ؟

هنا مفترق الطرق:

أولاً: إما أن نبقي بالجسد الطبيعي الذي يتغذى على ثمار الأرض والماء والهواء، وهو ما يعني أن يستمر ذلك في الدهر الآتي بعد يوم القيامة، وتلك هي الصورة الوثنية القديمة لفردوس فيه كل ثمار الأرض وكل ما يحبه الإنسان من طعام وشراب. وإما أن نقوم وننال ذات قيامة المسيح نفسه على النحو الذي شرحه رسول الرب في ١ كو ١٥ : ١-٥٨ واستغرق الإصحاح الـ ١٥ كله، ولا يوجد خلاف حول ترجمة عبارات الرسول بولس: "لأننا نُزْرَع في هوان ونُقام في مجد، نُزْرَع في ضعف ونُقام في قوة، نُزْرَع جسماً حيوانياً (حياً بما تقدمه البيئة الأرضية) ويُقام جسماً روحانياً" (١ كو ١٥ : ٤٣-٤٤).

وعاد الرسول يؤكد: فيقام الأموات عديمي الفساد ونحن نغير (١ كو ١٥ : ٥٢).

فهل لنا - يا نيافة المطران - ذات قيامة الرب؟ ألا يبشرنا العهد الجديد بقيامتين؛ الأولى خاصة بيسوع، والثانية خاصة بنا؟

القيامة الأولى الخاصة بيسوع، هي قيامتنا نحن أيضاً؛ لأن الرب لم يقم من أجل ذاته. هو مخلصنا "الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء"

(فيلبي ٣: ٢١-٢٢)، فإن كان الروح القدس الذي أقام المسيح من الأموات هو الذي سوف "سيحي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١)، فأنت ضلالٍ انزلتَ فيه أنت وسيدك من قبلك؛ لأن القيامة ليست من مواهب الروح، بل هي عمل "الروح القدس الرب المحيي" حسب اعترافنا بالإيمان الأرثوذكسي في قانون الإيمان.

ثانياً: فإذا كانت لنا ذات قيامة الرب القائل لنا: "أنا هو القيامة والحياة" (يو ١١: ٢٥)، ولا توجد قيامة أخرى، بل لا يوجد قائم آخر غير يسوع الحي الذي قال لنا إنه حي، ولذلك "أنتم ستحيون" (يو ١٤: ١٩)، فواضح أننا سنقوم بذات القيامة وبذات عمل روح يسوع وبذات المجد لننال "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١ - ٢٢)، أي جسد المجد والقوة والروحاني (١ كور ١٥: ٤٣ - ٤٤).

أم أننا سنقوم لنأكل ونشرب وننال طعاماً أرضياً لا يهبط إلا حياةً ترابية؟ هل يمكن الإجابة على ما سبق لكي نعرف أنك ما زلت أرثوذكسياً؟

ثالثاً: وكيف ننال المجد؟

قال أستاذك إن مجد الرب يسوع مجد إنساني، رغم أن الرب يقول بلسانه: "المجد الذي كان لي عندك قبل خلق (كون) العالم" (يوحنا ١٧: ٣)، وهنا أيضاً مفترق طرق.

يقول الرب: "أنا مجد فيهم."

أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يوحنا ١٧: ٩ و ١٠).

والسبب هو وحدة الجوهر الإلهي للثالوث: "كل ما هو لي فهو لك"، وحتى لا يسقط أحد في فخ أريوسية الأنبا شنودة الثالث، يقول الرب نفسه في بقية العبارة: "وكل ما هو لك (الآب) فهو لي وأنا مجد فيهم" (يوحنا ١٧: ١٠).

نريد أن نسمع منك إجابة عما إذا كان هذا هو مجد الألوهة الذي وهب لنا في المسيح أم أنك سترتد إلى العهد القديم وتلجأ إلى صرخة أشعيا النبي: "ومجدي

لا أعطيه لآخر" (٤٢ : ٨)؟ غير مُدرك أن ما ورد في العهد القديم ينهي عن العبادة الوثنية، ولم يكن ضد المجد الذي أُعطي لنا، وتجلّى على جبل طابور، وهو ذات المجد الذي يُوهب سرّائياً في سر المعمودية بالذات عندما نخلع الإنسان الفاسد القديم ونلبس الإنسان الجديد حسب صلواتنا القبطية:

- "يتمثلوا من قوتك الإلهية ويكونوا متشبهين بابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح صائرين واحداً معه.
- هيئ نفوسهم لكي يقبلوا روحك القدوس.
- اللباس غير الفاسد.
- إذ تعدهم هيكلاً لروحك القدوس بمسرة أبليك الصالح والروح القدس.
- يصيروا حلة نورانية.
- وراثين لملكوتك غير الفاسد الأبدي.
- أبناء النور.
- وراثين للملكوت.
- جدد ميلادهم بالحياة الأبدية.
- لا يصيروا بعد أبناء الجسد بل أبناء الملكوت.
- وأبناء الملكوت هم كما قال الرب نفسه مثل ملائكة السماء لا يعيشون حياة أرضية بل ينالون في سر الميلاد الجديد.
- حياة أبدية.
- لباس غير فاسد.
- نعمة البنوة.
- تجديد الروح القدس.
- ويلبسوا الإنسان الجديد الذي يتجدد مرة أخرى كصورة خالقه.

وبعد مسح الميرون:

- لباس عدم الفساد.

- نعمة البنوة.

- اشركهم في الحياة الأبدية وعدم الموت.

كل هذه الهبات السماوية داست عليها أقدام الذين أنكروا الشركة في الطبيعة الإلهية، وقد فعلوا ذلك عن جهل وضد التسليم الكنسي. فهل هذا المجد السماوي هو مجد مخلوق؟ أين ومتى خلق؟ وهل ما مُنح لنا في المسيح يسوع هو من هذه الخليقة الآتية من العدم؟ لا يوجد سوى إجابة واحدة، ومراوغة الأريوسيين الجدد لا تنفع. إما هو مجد مخلوق من العدم، وبالتالي يصبح الابن نفسه وحيد الآب بدوره مخلوق من العدم، وإما هو المجد الإلهي الذي كان للابن قبل تجسده (يوحنا ١٧: ٥)، والذي سوف يُستعلن يوم ظهوره المحيي (متى ١٦: ٢٧)؛ لأنه سوف يأتي بمجد أبيه (متى ٢٥: ٣١)، فهو مجد الابن الوحيد (يوحنا ١: ١٤) وهو مجده الذي أظهره في قانا الجليل (يوحنا ٢: ١١)، المجد الوحيد الذي من الله الآب (يوحنا ٥: ٤٤)، المجد الذي رآه أشعيا قبل تجسد الابن لأنه قبل كون العالم (يوحنا ١٢: ٤١)، أم أن حكم الرسول على الأمم سوف يتم فينا، "أبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى" (رو ١: ٢٣)، أي مجد الله الآب. أم أننا سوف نطلب المجد الذي يفنى لكي يضيع علينا "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد (أخذناه كعربون) إلى مجد "من مجد إلى مجد" (٢ كو ٣: ١٨)؛ لأنه هو "غنى مجد السر" الذي اشتركت فيه الأمم، وهو "المسيح فيكم رجاء المجد" (كولوسي ١: ٢٧).

فالمسيح ليس فينا بسبب الإفرازات الجسدية، والإفخارستيا ليست شركة في الذبيحة: الالهية غير المائتة السمائية.

وهكذا ليس مصير الإنسان الأبدي وحده، بل مفاعيل سر الشكر، وهكذا يدوسون على نعمة الله؛ لأن القضية الأكبر ليست شركاء وشركة وأقنوم ومواهب،

بل هي الفصل التام والكامل للثالوث عن حياة المؤمنين؛ لأنهم هم صاروا مصدر الحياة، وبالتالي هم مرتدون عن المسيحية. فصلوا حياة ومجد الثالوث إلى ما هو مخلوق من العدم وأعادوا الانسان الذي لأجله تجسد الابن إلى ما كان عليه آدم، وهم يصرخون بأصوات عالية لكي يستروا عورتهم.

تجديد الخليقة في يسوع المسيح

رداً على دراسة بحثية من إعداد الأنبا بيشوي
حول فترة الأربعين يوماً لولادة الولد والثمانين يوماً لولادة البنت
التي تسبق المعمودية

بغض النظر عن المقدمة التأملية التي هيأ بها نيافة المطران أرض ما أسماه "دراسة بحثية"، محاولاً قدر الجهد أن يُوجد مبرراً لرأيه أو لتفسيره الخاص لما ورد في سفر اللاويين بهذا الخصوص، وتجاوزاً عن النظرة السطحية للطقوس الكنسية، التي يساوي فيها بين هذه الطقوس باعتبارها مجرد وسيلة إيضاح، وبين ما أسماه هو "تفاصيل العقوبة"، يؤسس نيافته هذه "الدراسة البحثية" على اقتباس نص (تك ٣: ١٦ - ١٩)، وهو النص الخاص بسقوط آدم وحواء. وعلى الرغم من خلو النص المقتبس، بل وخلو سفر التكوين كله من كلمة "عقوبة"، إلا أنه يبدو أن المطران يتلذذ بهذه الكلمة، لذا لا يتوانى عن أن يحشرها بمناسبة وبدون مناسبة، فيقول: "هذه العقوبة لازالت قائمة بتفاصيلها بالرغم من انتقال أرواح الأبرار في العهد الجديد إلى الفردوس وليس إلى الجحيم.....".

وعلى الرغم من بقاء هذه العقوبة بتفاصيلها -من وجهة نظر نيافته- إلا أنه لم يستطع أن يشرح لنا الاستثناء الوارد على أرواح الأبرار في العهد الجديد من تلك العقوبة القائمة بتفاصيلها!!

ونظراً لأن العقوبة القائمة بكل تفاصيلها كوسيلة إيضاح لم تسعف المطران في شرحه للمغايرة في عدد الأيام التي على المرأة أن تقضيها في حالة التطهير، نجد أنه يتلمس طريقاً للخروج من هذه المشكلة عند معلمنا بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١٤: "آدم لم يغو ولكن المرأة أغويت فحصلت في

التعدي"، ويربط بين هذا النص ونص تك ٢: ٦: "فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل"، ويستنتج من هذا أن حواء حملت ذنباً مضاعفاً، ذنبها وذنب زوجها. وهو ما يعني من وجهة نظر نيافته -رغم أن الوراثة واحدة- أن الخطية تنتقل للبنت بقدر مضاعف للقدر الذي تنتقل به للولد!! وهو تبرير، كما يدل على غياب الرؤية الصحيحة للكتاب المقدس والتاريخ، يدل أيضاً على القدرة على القص واللصق والخيال الجامح، وذلك لأن هناك فكرة مسبقة في عقل نيافته يقرأ من خلالها نصوص الكتاب المقدس أياً كانت النتيجة.

الثابت من دراسة علم الأجنة الذي نشره N. Needham, A History of Embryology, 1952 أن هذه الفكرة، أي فكرة الـ ٤٠ يوماً والـ ٨٠ يوماً هي فكرة طبية كانت سائدة في العالم القديم كله.

وقد سبق أن أوضحنا في كتابنا: وراثة الخطية أم سيادة الموت؟ والذي نشرناه على موقع الدراسات القبطية ونُشر ورقياً بالقاهرة ٢٠١٤ أن نيافته لم يعرف ولم يدرس أن تعليم "الخطية الأصلية"، تعليم ثابت في الغرب، بدأ بالقديس أغسطينوس، وهو تعليم متجذر في الهرطقة المانوية، أي فكرة الوراثة ذاتها، وكان عليه أن يدرس كتاب N.P. Williams, The Idea of the Fall and Original Sin, 1927 ولعدم التكرار نحيل القارئ إلى كتابنا الذي أشرنا إليه توطأ في كل ما كتبه نيافة المطران في هذه الدراسة عن الخطية الأصلية. ونكتفي هنا بأن نقول إن اليهودية بكل تراثها المنشور بين أيدينا لا يعرف فكرة وراثة الخطية بالمرّة، وإنما تعرف وراثة الموت.

هكذا، يثبت نيافة المطران أنه مازال محجوراً عليه في العهد القديم، وهو ما يعني أنه ينكر السرائر، وبشكلٍ خاص: المعمودية - المسحة - الإفخارستيا.

هل حقاً ما زالت اللعنة سارية المفعول بكل تفاصيلها؟ إذا كان الأمر كذلك، فنحن إذن نقدم ثمار هذه اللعنة على المذبح، أي الخبز والخمر باعتبار أنهما نتاج التعب والعرق!!

تُرى هل كان بولس يؤمن بسرّيان اللعنة؟ فكيف إذن كتب ما كتبه في

هل ميّز بولس بين الولد والبنت، في الوقت الذي يؤكد فيه أن سر المعمودية قد ألغى كل تمييز: "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح (هل لبسنا المسيح فوق جسد ملعون؟) ليس يهودي ولا يوناني (أممي) ليس عبد ولا حر. ليس ذكر ولا أنثى لأنكم واحد جميعاً في المسيح يسوع" (غلا ٣ : ٢٧).

هكذا يؤكد الرسول: "لستم تحت الشريعة (الموسوية) بل تحت النعمة، فماذا إذا هل نخطئ لأننا لسنا تحت الشريعة بل تحت النعمة. حاشا" (رو ٦ : ١٤ - ١٥) جاءت هذه الكلمات بعد أطول نص في كل العهد الجديد عن المعمودية وهو (رو ٦ : ١ - ١٤) ويؤكد الرسول فيه:

- أننا دفنا مع المسيح (٦ : ٤).

- متحدين معه بشبه موته (٦ : ٥). وشبه موته؛ لأنه لا توجد مسامير تُدَق في أجسادنا عندما ننال سر المعمودية.

إنساننا القديم (العتيق) الذي أخذناه من آدم الأول قد صُلب مع المسيح (٦ : ٦) لكي "يبتلع جسد الخطية"، أي لكي يتحرر الجسد من سلطان الموت؛ لأن بالخطية دخل الموت (رو ٥ : ١٢) ولذلك يؤكد الرسول "متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا معه، عالمين أن المسيح بعد أن أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً ولا يسود عليه الموت" (٦ : ٨ - ١١).

والجدير بالملاحظة أن الأنبا بيشوي بدأ "دراسته البحثية" بنص من سفر التكوين، لكنه لم يصل أبداً إلى الحلقة الجديدة (٢ كور ٥ : ١٧ - ٢١)، بل جعل شريعة موسى أساساً لتفاسير ليس لها وجود إلا في خياله هو، وكأن الظل (وهو العهد القديم) برمته صار مفسراً لوجود النور، وهو أمرٌ منافٍ للعقل والتسليم الرسولي الذي عبّر عنه الرسول بولس عندما كتب: "لأن الناموس (أو الشريعة) إذ له ظل الخيرات العتيدة (الآتية) لا نفس صورة الأشياء لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون..." (عب ١٠ :

٢١). ولذلك يقول الرسول: "ينزع الأول (أي الشريعة القديمة) لكي يثبت الثاني (العهد الجديد الذي أساسه هو إرادة يسوع المسيح ربنا)" (عب ١٠ : ٩ - ١٠). وقد دُعِيَ العهد الأول عتيقاً، بعد أن قال أرميا (٣١ : ٣١) إن الرب سوف يكمل عهداً مع بيت إسرائيل لا كالعهد الذي عمله مع آباء إسرائيل عند خروجهم من مصر، أي العهد مع موسى، وهكذا يؤكد رسول الرب: "فإذا قال جديداً عتق الأول. وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب ٨ : ٧ - ١٣). كذلك يقول الرسول عن العهد الأول: "لو كان ذلك بلا عيب لما طلب موضعاً لثان" (عب ٨ : ١).

فهل ما ورد في سفر اللاويين يخص عقيدة وطقوس الكنيسة؟ وهل نصوص الشريعة الموسوية مُلزِمة في حين أنها لم تقدم لنا "تفاصيل عقوبة"؟

وعلى ذلك فالقول بأن "العقوبة لازالت قائمة بكل تفاصيلها" هو قولٌ غريب يؤكد أن نيافة المطران لا يؤمن بأن تجديد الخليقة قد تم، وأن كمال هذا التجديد هو في اليوم الأخير بالقيامة. وقد وصف الرسول هذا بأنه مخاض الخليقة، وأن القيامة في اليوم الأخير هي فداء الجسد (رو ٨ : ٢٣)؛ لأننا الآن دُعينا لنكون "مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرًا بين أخوة كثيرين" (رو ٨ : ٢٩). ولقد أبطل الرب بموته حسب الجسد، أو حسب تعبير رسوله بولس: "مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض" (أف ٢ : ١٥)، ولذلك يطلب خلع القديم، وتجديد الدهن، وتلبسوا بالإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (أف ٤ : ٢٣-٢٤)؛ لأننا قد أخذنا ختم "يوم الفداء" وهو سكنى روح الله القدوس (أف ٤ : ٣٠) لأن الآب قد أحبنا "أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (كو ١ : ١٣)، وهو يسوع الذي "لنا فيه (في أقتومه، أو شخصه) الفداء بدمه غفران الخطايا" (كو ٢ : ١٣ - ١٤).

فهل أدرك نيافته أنه يضع المسيح رب المجد تحت اللعنة، لعنة الشريعة الموسوية؟ وعلى الرغم من أنه أبطل اللعنة - كما أشرنا - إلا أن نيافة المطران يعود

ليضع رأس الجسد الكنيسة (كو ١ : ١٧) تحت اللعنة، وأننا لازلنا غرباء بعيدين عن الآب، وأن المصالحة لم تتم، وأن أحكام الشريعة لا زالت سارية، بينما يؤكد رسوله بولس أن المصالحة قد تمت "في جسم بشريته بالموت" (كو ١ : ٢٢)، وأننا بهذه المصالحة التي يقول عنها الرسول: "ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه" (كو ١ : ٢٢)، ومطلوب منا أن نكون ثابتين في الإيمان ورجاء الإنجيل.

وماذا بعد؟

لقد دمّر المطران عمل المسيح بعودة وساطة الشريعة، وبدعوى سريان تفاصيل العقوبة أو اللعنة. نحن كنا أمواتاً في الخطايا (كو ٢ : ١٣)، ولكن صرنا أحياء معه، ولذلك علينا أن نبقي كل يوم في عملٍ دائم لكي لا يعود الإنسان القديم من خلال الذاكرة، ولكي في المسيح نبقي دائماً لابسين الجديد، وهو عمل الرب الدائم فينا، ذلك الجديد "الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو ٣ : ١٠).

لقد دمّر المطران الإنجيل برده إلى اليهودية، فهذه الـ "دراسة البحثية" هي ردة إلى الشريعة، وإلى اليهودية، وعبثٌ بنعمة الخلق الجديد والتقديس الذي نأخذه في المعمودية ونناله في سر المسحة.

فهل من أسقفٍ يحمل روح أثناسيوس الرسولي بحق، يواجه هذا المطران ويسأله ويحاكمه، أم أن هذه الأمور لا تعني الأساقفة الأرثوذكسيين؟

إنكار أن الكنيسة هي جسد المسيح؟

لا أدري متى يتمكن الجمع المقدس من ردع الأنبا بيشوي. يظن عن جهل أن لكنيسة مصر العريقة تراثاً لاهوتياً يختلف عن تراث الكنيسة البيزنطية بكل فروعها اليوناني - الروسي - العربي ... الخ بالرغم من أنه يأخذ التمييز بين الجوهر والنعمة عن غريغوريوس بالاماس!!!

الحقيقة الكبرى هي أنه لا يوجد مجمع مصري - سكندري أصدر حرمًا على الأسماء العظيمة مثل مكسيموس المعترف، غير المعروف بالمرّة في المصادر العربية والقبطية. بينما يذكر سنكسار عيد صعود جسد القديسة مريم يوحنا الدمشقي باسم "القديس" يوحنا الدمشقي!!!

لا أدري ما الذي يزعج نيافته؟ أهو كتابات الأب كونيارس التي نُشرت باللغة العربية؟ أم ذلك الشبح الذي يطارد نيافته، وهو ما أطلق هو عليه: "بدعة تأليه الإنسان"؟ وهو بذلك يكون قد حكم على أعظم بطاركة الإسكندرية أنثاسيوس وكيرلس بأنهم "مبتدعون".

المأساة أنه لا يجد أحداً من أعضاء مجمع الكنيسة يقول له: عيب، اسكت، أنت لم تدرس اللاهوت. يكفي أنك سمحت لنفسك أن تؤكد أن المسيح صلب الشيطان على الصليب، وهي شطحة وانزلاق لا مثيل له، فقد جعلت يوم الصلبوت، صلباً للرب وللشيطان معاً، وهو ما لم يرد في الأسفار، ولا عند الآباء، ولا في التعليم الكنسي!

واضح أن المطران يعيش مع فكره، وهو يظن أن فكره وحده هو التعليم الرسولي. وبالرغم من أن كاتب هذه السطور كان هو أول من نبّه إلى أن فكرة الأجساد الثلاثة، هي سقطة من سقطات اللاهوت الغربي الذي أخضع الإيمان للعقل وحده لا

للتدبير، إلا أن هذه الفكرة الساقطة قد أدخلها الأنبا شنودة الثالث لكي يضرب بها شركتنا في الابن في الإفخارستيا جسده المحيي، ولكي ينكر -مستنداً إليها- أننا نشترك في الحياة الإلهية؟ (كتاب بدع حديثة)، فبالرغم من ذلك، مازال المطران يعود إلى هذه الفكرة، ويكتب على موقعه الرسمي إن جسد المسيح الكنيسة غير جسد المسيح في الإفخارستيا، وإن جسد المسيح في الإفخارستيا ليس هو ذات الجسد الذي أخذه من والدة الإله، وإلا فلماذا ثلاثة أجساد؟

التسليم الكنسي يؤكد في الاعتراف الأخير في القداسات القبطية أن ما يحمله الكاهن في الصينية: "هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه من سيدتنا كلنا .. وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". وقبل ذلك يقول الكاهن: "جسد عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة أمين". فلم يعد لدينا جسدين، بل جسد واحد، ولكن تبقى في عقل المطران مشكلة الكنيسة، فهي ليست جسد المسيح، وكأن رسول المسيح بولس قد أخطأ في التعليم عندما كتب "أننا نحن أعضاء جسده وأننا جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً" (وهو يحمل ص ١١ من ١ كورنثوس).

ليس لدى المطران، ومن قبله الأنبا شنودة الثالث، حجة لإنكار أن الكنيسة هي جسد المسيح سوى عبارات سخيفة نطق بها الأنبا شنودة في لحظات غاب فيها الوعي المسيحي الحقيقي عندما قال: "إذا كانت الكنيسة هي جسد المسيح، فهل تأكل نفسها عندما تتناول الكنيسة السر المجيد؟ وعندما نقول: نسجد لجسدك المقدس، هل نحن نسجد لأنفسنا؟ وقتها صمّت المطران، كما صمّت أساقفة الصمت الذين غابت منهم روح الشهادة. ولكن يجب أن نرد على السخافات الشنودية من حكمة الأسفار.

فعندما قال آدم عن حواء هذه "عظم من عظامي ولحم من لحمي" (تك ٢: ٢٤)، فهل صارت حواء آدم آخر، يعني رجلاً؟ وعندما قال ذات السفر: "ويكونان جسداً واحداً" (تك ٢: ٢٤)، فهل معنى هذا أن آدم لم يعد آدم وحواء لم تعد حواء؟ وعندما أعطى الرب جسده ودمه في العلية، هل انقسم

المسيح إلى جسدين، جسدٌ جالسٌ في وسط التلاميذ، وجسدٌ يُعطى للتلاميذ؟ أم أن المسيح الذي جاء لكي يبيد الانقسام لا يمكن أن ينقسم؟ ألم يجيء لكي يوحد الكل فيه نحن المتفرقين (يوحنا ١١ : ٥٢)؟ وعندما نموت وندفن ونقوم مع المسيح في المعمودية (رو ٦ : ١-٨)، فهل يموت الرب كل مرة يُقام فيها سر المعمودية؟

وثمة مسألة أخرى هي التي تخفي خلفها هذا الإنكار، وهي: انفراد هؤلاء بوصف أنهم جسد المسيح الكنيسة لكي يفعلوا، ويشرّعوا ويقبلوا من شاءوا من الكهنة ومن الشعب. والأخطر من تلك السلطة المزعومة الفاشية، أنها حلت محل المسيح الرب نفسه.

ماذا لو لدينا ثلاثة أجساد كما يدّعي هؤلاء؟

- عرفنا الجسد الذي أخذه ابن الله من القديسة مريم.
- عرفنا الجسد الذي يُوهب في السر الجيد، وهو ذات الجسد الذي صُلب وقام بمجد الآب؛ لأن الرب قال: "هذا هو جسدي".

ولكن من أين جاء الجسد الثالث حسب ادعاء هؤلاء؟ أين ذُكر رقم ٣ هذا في العهد الجديد؟ وما أكثر الأسئلة، ولكن ليست المشكلة هي عدم وجود الجسد الثالث، بل المشكلة هي فصله عن التجسد والإفخارستيا بتحديد أنه الجسد رقم ٣، فعندما ينفصل التجسد عن الإفخارستيا، ثم الإفخارستيا عن الكنيسة، فإن الانفصال يؤدي إلى:

- ١- انقطاع كل علاقة لنا مع الرب نفسه.
- ٢- إنكار اتحادنا بالمسيح.
- ٣- ضياع الكنيسة نفسها؛ إذ يصبح وجودها هو مجرد مؤسسة.

وضياع الكنيسة هنا لا يحتاج إلى تدليل، فقد أخذ الرب جسداً ببشارة الملاك وحبل القديسة مريم بالروح القدس، وسلم الربُّ الجسدَ في العلية، وقام الرب بالجسد بعد أن صُلب ودُفن. إذن، لدينا تاريخٌ واحد ليس لجسدين، بل لجسدٍ

واحد؛ لأن هذا الجسد يخص المسيح الواحد. هو نفسه المولود من العذراء، وهو نفسه الذي نأخذه ونتحد به في السر المجيد.

من أين إذن جاء الجسد الثالث، وما هو تاريخه في العهد الجديد؟ الجواب الواضح أنه لا وجود لجسدٍ ثالثٍ بالمرّة، غير أن تجسد الرب صار سبباً لاجتماع الجنس البشري في يسوع المسيح كما اجتمع في آدم الأول، ولذلك دُعي الربُّ آدم الثاني (١ كو ص ١٥ كله، وبالذات ١٥ : ٢١-٢٢). جاء الرب لكي يوحدنا به وحدةً أبديةً ليست كوحدة آدم الأول التي ضُربت بالموت: "في آدم يموت الجميع"، بل وحدة حياة في المسيح، ولكي يؤسّس شعباً جديداً عوضاً عن الشعب القديم، وهو ما يعلنه القديس يعقوب في مجمع الرسل: "الله افتقد الأمم ليأخذ منهم شعباً على اسمه" (أع ١٥ : ١٤). وهي دعوة الله في يسوع المسيح (أع ١٥ : ١٦-١٨).

لكن كيف يتكون الشعب الجديد، وبأي شكل خارج التكوين البيولوجي المنحدر من إبراهيم أب الآباء؟ كيف تتم ولادة جديدة، والولادة الأولى الجسدانية ترد الجميع إلى آدم الأول؟ ذلك لم يفهمه لا نيقوديموس، ولا المطران، ومن قبله أستاذه الوحيد الذي يدافع عنه على حساب الإيمان. لقد جاء الرب يسوع بميلادٍ من الماء والروح، ولم يكن هذا لفردٍ أو لشخصٍ واحدٍ، بل للجنس البشري؛ لأن الجنس البشري المنحدر من آدم الأول وإبراهيم بعد ذلك، كان وحدةً واحدةً سُمّيت "بيت إسرائيل"، ولذلك السبب يصف رسول الرب بولس كيف أحب المسيح الكنيسة، وأسلم ذاته لأجلها مؤكداً: "لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة" (أف ٥ : ٢٦)، فهي إعادة خلق لتكون:

— مجيدة — لا دنس فيها — ولا شيخوخة (غضن)

— مقدسة بلا عيب (أف ٥ : ٢٧).

لأن الرب صار هو آدم الثاني الذي منه جاءت الخلقة الجديدة (٢ كو ٥ : ١٧). وعندما يقول رسوله: "لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه"، فهو يشير إلى

خلق حواء من آدم، والآن، من آدم الثاني، نحن نُخلق من المسيح، كما خُلقت حواء من آدم الأول. هكذا تكوّن الجسد الواحد الذي منه تكوّنت الكنيسة. ولكن، لأن المطران اعتبر العهد القديم، وليس المسيح هو أساس الحياة الجديدة، وأن الشريعة بكل تفاصيلها لا زالت سارية المفعول، بل وأن الخطية تنتقل بالوراثة، وهي أكلوبة الهرطقة المانوية التي يريد أن يلصقها بنا وبكنيسة أم الشهداء، غاب من وعيه قوة نعمة المعمودية والانتقال من آدم الأول إلى آدم الثاني، ذاك الذي فيه وبه ننال ختان العهد الجديد ختان المسيح، وهو حسب تعبير رسوله: "خلع جسم خطايا البشرية"، "مدفونين معه في المعمودية التي منها أقمتُم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات" (كو ٢: ١٠-١٢). ثم يؤكد رسول المسيح: "وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسديكم أحياكم معه مساحاً لكم بجميع الخطايا" (كو ٢: ١٣). هذا هو جسد المسيح الذي منه نولد ميلاداً سرياً سرائياً ليس مثل الميلاد الآدمي، بل مثل ميلاد يسوع نفسه: "ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يوحنا ١: ١٣). ولذلك، أخذنا نحن "من ملئه نعمة فوق نعمة" (يوحنا ١: ١٦)، فقد تجسد الكلمة ليكون لنا هذه الحياة.

الكنيسة جسد المسيح الواحد:

الواحد هو الوحدة، وهي وحدة مصدرها "أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠)؛ ولذلك يطلب الرب نفسه ما هو بعيد تماماً عن القدرات الإنسانية: "أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك (شخصك) هؤلاء الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن" (يو ١٧: ١١). هذه الوحدة هي على مثال الوحدة بين أقانيم الثالوث. ولكن لاحظ -أيها القارئ المدقق- أنها ليست وحدة منفصلة قائمة بذاتها، إذ كيف يأتي الاتحاد "ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" (يو ٧: ٢٢)؟ هي وحدة من الآب: "احفظهم في اسمك"، توهب في الابن: "أنا ممجد فيهم" (يو ١٧: ١٠)، وحدة محبة: "ليكون

فيهم الحب الذي أحببتي به"، وبذلك: "أكون أنا فيهم" (١٧: ٢٦). فالمسيح فينا رجاء المجد (كو ٢: ٢٧)، وفي "الإنسان الباطن"، يؤكد رسول الرب: "يحل المسيح بالإيمان في قلوبكم"، وكأنه كان يرى بروح النبوة تلك السخرية الشيطانية عن الكنيسة التي تأكل نفسها وتسجد لنفسها، فأضاف: "وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين. ما هو العرض (الإنسانية) والطول (السما) والعمق (البحيم) والعلو (الله الآب) وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله .. له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال الدهور" (أف ٣: ١٧-٢١)؛ لأن المحبة تعرف الاتحاد والتمايز (راجع تجسد الكلمة ١٦: ٣) حيث يشرح أناسيوس أبعاد المحبة.

لقد صار المسيح هو الرأس، وبدقة بولس: "الذي منه كل الجسد يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أف ٣: ١٦). وعاد رسول المسيح وهو يرى خطر حركة الردة نحو اليهودية وحفظ وصايا الأكل والشرب والأعياد وطلوع الهلال وحفظ السبت مؤكداً أن هذه الرباطات القديمة تؤدي إلى انتفاخ الذات القابضة في الجسد، وبالتالي تكون النتيجة: "غير متمسك بالرأس يسوع الذي منه كل الجسد .. ينمو نمواً من الله" (كو ٢: ١٦-١٩).

هل ظهر لنا الآن جسد المسيح الواحد الكنيسة؟ بكل يقين نعم لمن يريد أن يرى.

كيف استعلن جسد المسيح الواحد؟

أولاً: في خدمة السر المجيد: "سلاماً وبنیاناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية". وبعد استدعاء الروح القدس الأقنوم وليس المواهب: "لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً". وما كل الصلوات: الأواشي والأنافورا وكل الطلبات والوقوف مع القوات السمائية والتسبيح مع الشاروبيم والسرافيم، ثم استعلان التدبير الذي يبدأ بالخلق ثم سقوط آدم ثم مجيء الكلمة ابن الله وتجسده وموته المحيي واستعلان هبة الحياة في العلية وسماع صوت الرب نفسه: هذا هو جسدي - هذا هو دمي، واستدعاء الروح القدس .. ماذا يكون كل هذا إلا

اجتماع الأعضاء بالرأس وهو الاستعلان الدائم عند مذبح رب القوات.

ثانياً: بعد استدعاء الروح القدس: "لكي إذ طهرتنا كلنا تَوَلَّفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك المقدسة". وبعبارات أوضح: "لِيُصَيِّرنا تناولنا من أسرارك المقدسة واحداً معك إلى النهاية أو إلى الانقضاء"، ثم: "لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً معك"، وماذا يمكن أن يُقال أكثر مما تُعبّر عنه صلوات الكنيسة نفسها.

الإنحدار نحو الموت الأبدي:

إذن، لو كان لنا نحن الكنيسة جسداً آخر ثالثاً غير جسد المسيح، فيلبي أين يقود هذا؟

١ - لصار لنا نحن طبيعة آدمية ليس لها علاقة بالثالوث، ولَصارت المسيحية رسالة أخلاقية مثل سائر الديانات الأخرى. ولبقينا غرباء عن الله، ولنا وجود لا علاقة له بالمسيح. إلى أين يقود هذا؟ ليس إلى الحياة الأبدية، بل إلى الاغتراب الأبدي؛ لأن الحياة التي فينا ليس لها علاقة بالابن ولا بالروح وبالتالي ليس بالآب.

٢ - وكما هو واضح أن التعليم بثلاثة أجساد سواء عند البطريك أو عند المطران يدْمُر السرائر: المعمودية - الميرون - الإفخارستيا عندما نضع المرأة تحت شريعة موسى، وبذلك دَمَر التقديس الأبدي الذي يُوهَب في السرائر.

٣ - كما أن مقاومة سكنى الروح القدس فينا تعني أن أيّاً منا لم يعد "هيكل الله"، أو "هيكل الروح القدس"، وأصبحنا هياكل لطاقة أو قوة، كما أننا لم يعد المسيح فينا، ولا نحن فيه، وانتهى التدبير، وضاع الاتحاد بالرب؛ لأننا لم نعد ملكاً للروح القدس، ولا ميراثاً للرب، ولا حتى ورثة الله (رو ٨: ١٧).

هكذا يمر سكين القطع، ليس فقط بفصل الكنيسة عن الروح القدس، فقد سبق أن فُصلت عن جسد المسيح باعتبارها جسد ثالث لا نعلم من أين وكيف أتى، وبالتالي صار وجودنا هو وجود مؤسسة اجتماعية لا علاقة لها بالرب، سوى العلاقة اللفظية في الصلاة والوعظ...

إن نتائج هذا الفصل لا تقع تحت حصر، لا نريد أن نثقل عقل وضمير
القراء بها، ولكن ها قد سقط القناع عن وجه مزيف.

إنكار "تأليه الإنسان" هو سقوط من نعمة الحياة الأبدية

أصدر الأنبا شنودة الثالث كتيباً من الحجم الصغير في ٣٢ ص بعنوان "تأليه الإنسان"، وفيه يمارس هوايته المفضلة، وهي اللعب بالكلمات، وتجاهل الموضوع المحوري أو الأصلي الذي من أجله دبّ الخلاف بيني وبينه، وبالتحديد حول كل مؤلفات القديس أنثاسيوس الرسولي، وليس فقط تجسد الكلمة، بل الرد على الأريوسيين.

هل الشركة في الطبيعة الإلهية بدعة؟

تأمل أيها القارئ عبارة الأنبا شنودة التي يضعها في صيغة سؤال استنكاري: هل الله صار إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً؟ ويشرح هو بنفسه (ص ١٦ من الجزء الثاني تأليه الإنسان، شركاء الطبيعة الإلهية) (نوفمبر ٢٠٠٤).

ويقول هو بنفسه: "لو أخذت هذه العبارة على ظاهرها، لكان غرض التجسد هو تأليه الإنسان!! بينما المعروف أن الله صار إنساناً لفداء الإنسان وليس لتأليهه. وهذا واضح جداً في كتاب تجسد الكلمة للقديس أنثاسيوس. وواضح أيضاً من قول الرسول عن الآب إنه أرسل ابنه كفارةً لخطايانا (١ يو ٤: ١٠). وأضاف بعد ذلك (يو ٣: ١٦)، وشرح الحياة الأبدية على أنها "رفع عقوبة الهلاك الأبدي" (المرجع السابق ص ١٧).

سؤال قاطع:

١- هل حصر القديس أنثاسيوس عطية الحياة الأبدية حسب (يوحنا ٣: ١٦) برفع العقوبة؟ غريب جداً. كيف رُفعت عقوبة عن الإنسان الميت دون رد الحياة له؟

٢- هل الفداء هو رفع العقوبة فقط؟ هل كتب أنثاسيوس الرسولي أكثر من ذلك؟ وإذا كان قد كتب، وهو فعلاً كتب ما هو أكثر، فلماذا تجنب الأنبا شنودة تقديم صورة كاملة لما كتبه أنثاسيوس؟ إما أنه يجهل ما كتبه المعلم الكنسي، وإما أنه يسيء القصد، والحكم هو للديان العادل. لكن ماذا نجد في كتاب تجسد الكلمة؟ يذكر المعلم الكنسي في كتاب تجسد الكلمة أن: "الإنسان فإن بطبيعته لأنه خُلِق من العدم، إلا أنه بسبب خلقته على صورة الله الكائن، كان ممكناً أن يقاوم قوة الفناء الطبيعي ويبقى في عدم فناء لو أنه أبقى الله في معرفته" (تجسد الكلمة ٤: ٦). وحاول أيها القارئ أن تقرأ اللعب بالكلام على (ص ٧)، فقد كان كمن يلعب بكرة. هو يكتب: هل الله أراد تأليهننا منذ خلقه لنا؟

ولأن الأنبا شنودة يجب أن ينطلق من الخطية كمفتاح لما يشرحه، يسأل لو كان هذا قصد الله، فلما أخطأ الإنسان، زال هذا القصد! ثم يضيف: وطبعاً هذا الكلام غير مقبول للأسباب التالية:

١- لو كان قصد الله أن يؤله الإنسان منذ البدء، ما كان قد خلقه قابلاً للموت ... أي أنه بطبيعة قابلة للموت وقد مات فعلاً". إذن مطلوب من الله - حسب فكر الأنبا شنودة- أن يفرض الخلود وعدم الموت على الإنسان، فلا يختار الإنسان حراً أن يظل صورة الله، وهو ما غاب من الاعتراضات الباقية وهي:

٢- لو كان قصد الله تأليه الإنسان منذ البدء لخلقته معصوماً غير قابل للخطية، لكنه كان معرضاً للخطأ. وبالفعل قد أخطأ.

ولكن الأنبا شنودة لا يعلم إن خلق الإنسان معصوماً غير قابل للخطية، هو ضد الخلق من العدم؛ لأن الخلق من العدم هو دعوة للنمو والنضوج بحرية اختيار جعلت القديس إيريناوس يقول إن آدم خُلِق في حالة الطفولة (شرح الإيمان الرسولي). لأن العصمة تعني بالنسبة للإنسان المخلوق من العدم عدم قدرته على تمييز الخير؛ لأن التمييز هو ثمرة حرية الاختيار.

٣- "لو كان قصد الله تأليه الإنسان، ما كان قد خلقه من تراب ..".

ولست أدري ما هو القصد من الاعتراض، هل أن ينسب الجهل إلى الله، أم إنكار أن الخلق من تراب كان بمثابة دعوة لأن ينمو الإنسان ويصير روحانياً حسب شرح بولس الرسول، وليس أثناسيوس فقط (١ كو ١٥ كله).

حياة حسب الله (تجسد الكلمة ٥ : ١):

يقول أثناسيوس إن الله "وهبنا أيضاً بنعمة الكلمة إمكانية أن نعيش حسب الله ... وبنعمة اشتراكهم في الكلمة كان يمكنهم أن يفلتوا من الفساد الطبيعي (العدم) لو أنهم بقوا صالحين. وبسبب أن الكلمة سكن فيهم، فإن فسادهم الطبيعي لم يمسه كما يقول سفر الحكمة" (٢ : ٢٣-٢٤) (تجسد الكلمة ٥ : ٢). الملاك إذن هو الموت، وهو فقدان "نعمة مماثلة صورة الله" (تجسد الكلمة ٧ : ٤)، فهل كان الخلاص رفعاً للعقوبة، أم أن أثناسيوس يكتب بكل وضوح:

١ - "أن يأتي بالفساد إلى عدم فساد" (٧ : ٥).

٢ - "الجميع ماتوا فيه .. لأن سلطان الموت قد استنفد في جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر".

٣ - "وبنعمة القيامة يبيد الموت ... كما تبيد النار القش (٨ : ٤).

٤ - "ألبس الجميع عدم الفساد بوعده القيامة من الأموات" (١٠ : ٢).

وقبل ذلك يؤكد العظيم أثناسيوس: "وهكذا باتخاذ جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر وابتحاده بهم، فإن ابن الله علم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعده القيامة من الأموات (٩ : ٢).

وختم أثناسيوس شرحه في نهاية فصل ١٠ بأن إبادة الموت وقيامة الإنسان هو السبب الأول لتجسد المخلص (١٠ : ٦).

خلقتنا من تراب الأرض، ومع ذلك على صورة الله ومثاله:

خلقتنا من تراب الأرض تعني أن الإنسان بالطبيعة عاجز عن يدرك خالقه (١١ : ١)، ولكن؛ لأن الله صالح في ذاته، فقد جعل لهم (البشر) نصيباً في صورته الذاتية (الذي هو) ربنا يسوع المسيح، وخلقهم على صورته ومثاله حتى انه - بسبب تلك النعمة (الصورة والمثال)، فإنهم يرون تلك الصورة، (أي كلمة الآب)، يمكنهم عن طريقه أن يصلوا إلى معرفة الآب، وإذ يعرفون خالقهم فإنهم يحيون حياة حقيقية سعيدة ومغبوطة (١١ : ٣).

ولاحظ أن "على صورة الله" لا تعني شيئاً غير ما ورد في السبعينية: "حسب صورة الله"، وفي الانجليزية In the image. أما القتال الشرس حول حروف الجر، فهو قتال عبيد الحرف، إذ لا يوجد فرق لاهوتي بين "على" أو "في" أو "حسب"؛ لأن لكل لغة خصائصها. ولكن الجدير بالاهتمام هو أن الإنسان نال "نصيباً في صورة الابن الذاتية" بخلقه على صورة الله ومثاله. هو القوة العاقلة أو الإدراك (اعطاهم شركة في قوة اللوغوس) (٣ : ٣)، وصار الإنسان يتبع اللوغوس مثل تبعية الظل للنور، فهو ليس ظلاً - حتى لا يتوه المعنى، بل وُهب أن يعيش "حياة حسب الله"، أي حياة متأهبة لأن هذه هي "نعمة اشتراكهم في الكلمة" (٥ : ١).

"تأليه الإنسان" هو إبادة الموت

في الحلقة السابقة قلنا إن أثناسيوس ختم شرحه لأسباب تجسد الكلمة في نهاية الفصل العاشر بأن إبادة الموت وقيامه الإنسان هو السبب الأول لتجسد المخلص (١٠: ٦).

أما السبب الثاني لتجسد الكلمة، فقد حدده القديس أثناسيوس في استعلان الآب. وبدقة المعلم السكندري، فإن معرفة الآب هي معرفتنا نحن بالابن، ومعرفتنا نحن بالابن مصدرها الأول شركتنا نحن في اللوغوس خالقنا؛ لأننا "خُلقنا حسب صورته الذاتية"، ولنا "شركة في اللوغوس" كما ذكرنا من قبل، ويمكن مراجعة ذلك في تجسد الكلمة على التوالي: (٣: ٣ - ٤: ٦ - ٥: ١ - ٦: ٤ - ٧: ٤ - ١١: ٣ - ١٢: ١ - ١٣: ٢ - ١٤: ٢ - ٢٠: ١).

ولأن المعرفة الحقيقية نابعة من الصورة، لذلك جاء تجديد وإعادة خلق الإنسان ليكونوا على صورة الله، وأن ذلك لم يكن ممكناً إلا بواسطة "الذي هو صورة الآب" (٢٠: ١)، هكذا عرفنا أبوة الله "لأجل هذا السبب وُلِدَ وَظَهَرَ كإنسان ومات وقام .. ويعلم البشر عن أبيه الحقيقي، كما يقول هو عن نفسه "أنا جئت لكي أطلب وأخلص ما قد هلك" (١٥: ٧).

لأنه لما غابت معرفتنا بالآب من خلال صورة الآب، يسوع المسيح وصورتنا نحن، وهو التشبيه القوي الذي يقدمه أثناسيوس في الفصل ١٤: ١ - ٢، فقد جاء صاحب الصورة لكي يعيد رسم صورته التي "تلطخت"، وكان هو نفسه صاحب الصورة لكي يمكن إعادة تجديد الصورة، ولذلك يشرح أثناسيوس نفسه: "وعلى هذا النحو، فقد أتى إلى عالمنا الكلي القداسة ابن الآب، إذ هو صورة الآب، لكي يحدد الانسان الذي خُلِقَ مرةً على صورته، ويخلص ما قد هلك بمغفرة

الخطايا، كما يقول هو في الأناجيل ... بل قصد التحدث عن إعادة ميلاد النفس وتحديد خلقها بحسب الصورة" (١٤ : ٢). فالخلاص ليس رفع العقوبة فقط، ولا هو غفران الخطايا فقط؛ لأن ذلك هو التعليم الشائع عند طوائف الإنجيليين الذي تبناه الأنبا شنودة الثالث.

تحول كيان المسيح الإنساني:

كيف شرح الأنبا شنودة اتحاد اللاهوت بالناسوت؟

قدم الأنبا شنودة في كتابه (تأليه الإنسان، الجزء الثاني، ص ١٩ وما بعدها) بعض عبارات صحيحة عن عدم تغيير اللاهوت إلى ناسوت وعدم تغيير الناسوت إلى لاهوت، وهذا حق يُحسب له، ولكنه لم يناقش ما هو الاتحاد؟ هذا موضوع غائب تماماً، ولكنه يقصر كلامه - في عمومية شديدة - عن ثماني أمثلة يشرح بها عدم تغيير اللاهوت، لا علاقة لها بما حدث من تحول في كيان المسيح، وهي حسب عباراته هو:

- اللاهوت لا ينمو ولا يتقدس.
- اللاهوت لا ينقل من مكان لآخر.
- اللاهوت لا يصعد إلى السماء ولا يرتفع عن الأرض.
- اللاهوت لا ينعس ولا ينام.
- اللاهوت لا يتعب ولا يتألم.
- اللاهوت لا يجوع ولا يعطش.
- اللاهوت لا يموت.
- اللاهوت لا يؤكل ولا يُشرب (ص ٢٠).

وبالرغم من أن هذه العبارات تبدو جيدة، إلا أنها - كما قلنا - لا علاقة لها بما حدث من تحول في كيان المسيح، بل هي في النهاية، جعلت المسيح الإله المتجسد بعيداً جداً عن حياة البشر. فأين على الأقل "ذاق الموت بالجسد أو في الجسد" حسب كلمات صلاة الساعة التاسعة؟ وأين قول الرب للسامرية: "الماء الذي أنا

أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يوحنا ٤ : ١٤)، أو: "وقف يسوع ونادى قائلاً إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي، قال هذا عن الروح القدس" (يوحنا ٧ : ١١-١٩).

وهنا نلفت النظر إلى أن الاستنكارات الثمانية التي أوردها الأنبا شنودة، كانت هي سبب رفض نسطور للقب والدة الإله. صحيح أن الأنبا شنودة لم يرفض لقب والدة الإله، لكنه يسير في ذات اتجاه الهرطقة النسطورية، وبالذات حينما يستنكر أن اللاهوت لا يؤكل ولا يُشرب، وهو ما قاده إلى ذات تعبير نسطور الذي كان أحد أدلة الحكم عليه في مجمع أفسس ٤٣١ وهو قول نسطور إن الرب لم يقل "خذوا كلوا هذا هو لاهوتي، بل هذا هو جسدي".

وبالطبع، فإن رفض الأنبا شنودة تأله ناسوت الرب، هو رفض للإيمان الرسولي نفسه؛ لأن تعبير رسول المسيح: "جسد مجده"، هو تحول جسد تواضعنا لكي يكون على صورة جسد مجده، فهو الذي غير جسده (فيلي ٢ : ٢١). وكلمات رسول المسيح هي: "ننتظر مخلصاً من السموات هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء".

فقد غير يسوع جسده الذاتي أولاً، لكي يعطي لنا هذا التغيير:

- فقد "أعطى الحياة لجسده البشري" (تجسد الكلمة ١٧ : ٢).

- وعندما وُلِدَ من العذراء "قَدَّس الجسد" (تجسد الكلمة ١٧ : ٥).

- هو الحياة ذاتها: "ولم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت إلا

ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (تجسد الكلمة ٢٠ : ١).

والإنسان المائت ليس نحن فقط، بل ناسوت الرب نفسه؛ لأن المسيح لم يموت موته هو، بل موت الإنسانية (٢٢ : ٣)، ولذلك أخذ جسداً قابلاً للموت:

- "لا يختلف عن جسدنا" (٨ : ١).

- "قابلاً للموت" (تجسد الكلمة ٩ : ١ ، ١٣ : ٩).

ولكن تحول ناسوت الرب هو أن يظل هذا الجسد بعد القيامة من الموت بلا فساد، لا يسود عليه الموت، فأعلن "جسده عديم الموت لأنه باكورة القيامة" (تجسد الكلمة ٢٠ : ٢).

- لقد تم موتنا نحن في الذي هو "الحياة عينها" (٢١ : ٤).

- ولذلك، يؤكد معلمنا العظيم: "ولأنه هو الحياة والقوة فقد نال الجسد منه قوة" (تجسد الكلمة ٢١ : ٥).

- ويكرر "فقد قام جسده سليماً تماماً، إذ لم يكن سوى جسد ذلك الذي هو الحياة عينها" (٢١ : ٧).

كيف دَمَّرَ الجهل سر الشكر؟

أولاً: إذا لم يكن ناسوت المسيح قد تحول إلى عدم فساد، وهو ذاته الوصف الإنساني لحقيقة تأله الجسد، لما أمكن لنا تناوله في سر الإفخارستيا. وتأله الجسد حسب دقة القديس أنثاسيوس في شرح فيلبي ٢ : ٦-٩: "لأن المسيح مات ولذلك رُفِعَ كإنسان لكي يأخذ ما يخصه كإله، وما كان له على الدوام، حتى توهب لنا نحن هذه النعمة، لأن الكلمة لم يفقد ما له عندما أخذ جسداً، بل بالحرى أَلَّهَ الجسد عندما لبسه، وبالإضافة إلى ذلك أعطى هذا (التأله) بفيض صلاحه للجنس البشري" (الرد على الأريوسيين ١ : ٤٢).

فالجسد الذي نأخذه في العشاء السري ليس جسداً بشرياً مثل أجسادنا. وقد حرصت الليتورجيات الأرثوذكسية كلها على أن تؤكد أن هذا هو ذبيحة الرب في سر الإفخارستيا:

- ذبيحة إلهية.

- ذبيحة سمائية.

- ذبيحة غير مائتة.

فلو عاد الناسوت، أي ناسوت الرب بعد القيامة إلى الحياة الطبيعية، يحيا على الماء والهواء والشمس وطعام الأرض الخ. أي حياة إنسانية بلا مجد الألوهة .. لتحوّل العشاء السري إلى وليمة أكل لحم بشري، وهو أحد اعتراضات القديس كيرلس الكبير على فصل اللاهوت عن الناسوت في العظات ضد نسطور (المقالة الخامسة فقرة ٤-٥). والفقرة الخامسة بالذات، رداً على ادعاء نسطور بأن الجسد والدم يعطى لنا، ولذلك، إذا كان الناسوت وحده، أو الناسوت غير المتأله، ألا نصبح نحن نأكل طعاماً قابلاً للفساد: "أليس هذا الادعاء هو افتراس بشري Cannibalism وإلا كيف أصبح هذا السر سمائياً فائقاً إلا إذا ذكرنا بأن الكلمة من الله الآب هو الذي أرسل ونعترف بأن الإرسالية هي التجسد؟ وهنا نقول بكل وضوح إن الجسد الذي اتحد به لم يكن جسداً آخر قادراً على أن يعطي الحياة لأنه صار جسده الخاص، أي جسد ذاك القوي الذي يحيي كل الأشياء. لأن النار المنظورة تثبت Infuses قوتها الطبيعية في طبائع الأشياء التي تتصل بالنار، وتحول الماء نفسه البارد بالطبيعة إلى ما هو ضد طبيعة الماء (ساخن)، فما هو العجب، وكيف لا نؤمن بأن الكلمة الذي من الله الآب الحياة عينها وبالطبيعة قد حول الجسد الذي اتحد به إلى جسد محيي؟".

أليس تعبير "الجسد المحيي" هو ما تعلنه الليتورجية القبطية بالذات؟ وإذا كان وصف "المحيي" هو صفة الألوهة، فكيف صار الجسد محيياً، ألا إذا كان قد تأله بالقيامة من الأموات ولبس مجد الابن؟

ثانياً: ولعل اعتراض الأنبا شنودة الثالث، ثم مطرانه بعد ذلك، بأن الدم الذي يخرج من جسم المتناول هو دم المسيح، ولذلك يمنعون تناول المرأة الطامث، نقول لعل هذا الاعتراض يكشف عن النسطورية النائمة في الضمائر؛ لأن دم المسيح - طبقاً لهذا الاعتراض - يعود بعد أن صار محيياً إلى دم طبيعي لا ألوهية فيه، ولذلك يعود إلى الفساد ويُسكب خارج الجسد (لا داعي للاسترسال وتدني عقل القراء بما يقولون). ولكن، يسوع رب المجد الجالس على الشاروبيم إله المجد الذي رآه أشعياء في مجده الإلهي قبل تجسده (يوحنا ٨: ٥١)، يتحول إلى كائن ميت يُسكب

كسائل خارج جسم المتناول^(١) يعني في النهاية أنه لم يقم من بين الأموات.

ما هو مصير الإنسان في نظرية الأجساد الثلاثة؟

وقد كشف الهروب إلى ثلاثة أجساد عن التمزق، وكشف طريق الانفصال الذي دمر الكنيسة، والسرائر، والأهم هو الإنسان.

كيف ضاع الإنسان المؤمن بالمسيح الذي سمع من الرب نفسه: "أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرام، كل غصن فيّ لا يأتى بثمر" (يوحنا ١٥ : ١)؟ فقد حذف الوعاظ العلاقة الكيانية بيننا وبين المسيح، وسلط المتكلمون الضوء على ثمر الغصن، وسكبوا نار الدينونة على الأغصان، وهكذا ضاع علينا المعنى التاريخي^(٢) ودخلنا العالم المغلق بما أسموه القانون الكنسي الذي ساد على الإيمان، وأصبح القانون يُجَبُّ ما أسس الإيمان نفسه. والمأساة هنا هي تلك القوانين التي حاكها ترزية العصر الوسيط.

كيف صاغ القانون، لا الإيمان، علاقة شركة صار الثالث نفسه يخضع فيها لأحكام القانون، فلا يعطي ولا يتحرك ولا يجب إلا بالقانون؟
عندما ساد القانون على الثالث نفسه، تم ما يلي:

١- إبعاد جسد المسيح عن الإنسان وعن الكنيسة. وصار القانون هو أعظم من الإنسان، وبالتالي هو أعظم من المتجسد يسوع ابن الله وابن الإنسان، وتم إلغاء حرية الشخص باسم القانون، وباسم الكنيسة. ولعل من المهازل التي ظهرت في مواقع كثيرة، هو اعتبار الإكليروس والأنبا شنودة بالذات هو الكنيسة. هذا اختزالٌ جعل البحث عن الاختلافات مع الأنبا شنودة هو اختلاف مع الكنيسة، بل نقل البعض من الإعلام المصري كلمة "شخصنة"، واعتبروا أن الرد

(١) علق صديق عزيز بأنه لا يجوز إعطاء السر المجيد للمرأة الحامل لأن دم الأم يصل إلى دم الجنين، والجنين لا يمكن أن يحصل على الدم قبل المعمودية. هكذا تسير شطحات الفكر وخیالات خرافية إلى نفي الشركة.

(٢) لأن الكرمة الحقيقية هي المسيح، ولم تعد شعب اسرائيل القلعم.

على شخص الأنبا شنودة الثالث هو ابتعاد عن الإيمان، وهم ربما لا يعرفون أنه ذكرني بالاسم د. جورج حبيب على صفحات (٥، ٦، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥ من الكتاب المذكور). ألا يكفي هذا، وهو يذكر الاختلافات ساخراً من الإيمان نفسه لكي يحرض الأقباط عليّ بأني محروم وهرطوقي ... الخ ولم يحدد لا هو ولا مطرانه ما هي هرطقات جورج بباوي أو هرطقات الأب متى المسكين. اتهام عام وليد النشأة ومحبة النظام الشمولي السياسي "أنت عدو نظام الحكم".

٢- وتحولت العلاقة مع الله، وهي علاقة شخصية إلى علاقة نصّية، أي Textual مبنية على نصوص لا على العطية.

عزيزي القارئ، حاول أن تقرأ جيداً نتائج الهروب من تمجيد ناسوت الرب:

أولاً: بعدم الفساد.

ثانياً: بعدم الموت.

ثالثاً: بالقيامة وإبادة الموت.

رابعاً: بالحياة إلى الأبد.

لقد صارت الحياة الأبدية هي صفة الناسوت بعد أن كانت صفة اللاهوت وحده. ولكن الاتحاد وغلبة الموت على الصليب، وعدم الفساد في القبر ثم القيامة، جعل صفة من صفات اللاهوت هي صفة للناسوت، وبالتالي عندما ينقل إلينا الرب هذه، نتأله نحن أيضاً؛ لأننا "سنصير مثله" (١ يوحنا ٣: ٢).

لقد شرحنا تأله ناسوت الرب في دراسة مطولة عن الشركة في الطبيعة الإلهية^(١) ولكن تأمل -عزيزي القارئ- الخداع اللفظي القاتل، حيث يعترض على الشركة في الطبيعة الإلهية بقوله: "ونحن لا يمكن أن نقبل الاشتراك مع الله في طبيعته ولاهوته مهما حاولوا تبرير هذا الأمر بمعان واقتباسات" (تأليه الإنسان،

(١) د. جورج حبيب بباوي، الشركة في الطبيعة الإلهية، دراسة للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص، القديس أنثاسيوس وآباء الكنيسة الجامعة، الطبعة الأولى، القاهرة فبراير ٢٠٠٧.

الجزء الثاني، ص ٦، ٧). كأن الخلاف هو حول "مع"، أو "في"؛ لأنه إذا كانت لنا شركة مع الله، أي شركة أبدية معه، فكيف صرنا نحن معه دون حياة أبدية؟ ما هو مصدر هذه الأبدية؟ هل هي طبيعتنا المخلوقة من العدم؟! هل هي قدرتنا الذاتية على أن نكون أبديين؟! هل الخلاف هو على "مع"، أو "في"؟!!!! الخلاف إذن ليس على حروف الجر، سواء "مع"، أو "في"، الخلاف هو على الحياة الأبدية.

الإفخارستيا، السر الغائب عن مجال الدراسة:

في ص ١٥ من كتاب تأليه الإنسان، الجزء الثاني، وتحت عنوان: هل نشترك في الطبيعة الإلهية بالإفخارستيا؟ يقتبس الأنبا شنودة ما ورد في كتابنا "القديس أثناسيوس في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي"^(١) ص ٢١٤:

+ "التناول من الإفخارستيا كشركة في الطبيعة الإلهية". ويقول (د. جورج) حقيقة الاشتراك في اللاهوت بسبب حصولنا على السر السمائي واهب الحياة.

ويقول (د. جورج) في ص ٢١٦ "هنا تصل الشركة في الطبيعة الإلهية إلى غايتها وهي حصول الإنسان .. على الأسرار الإلهية غير المائنة السمائية".

ونلاحظ أن الأنبا شنودة لم يعلق على ما اقتبسه من كتابنا، بل انتقل ببراعة الصحافي وعجز اللاهوتي إلى ما ورد في كتاب "الأصول الأرثوذكسية الآبائية ج ٢ ص ٢٤)، وكعاداته -ساخراً من قول الرب يسوع المسيح نفسه- يقتبس: "يقولون عجيب! ها نحن نشرب اللاهوت طبعاً سرائياً... الخ ويعلق منكرًا: "ولكن السرائر الإلهية في سر الإفخارستيا، لا تعطي لنا الاشتراك في اللاهوت حاشا! وإنما تُعطي "خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه" (ص ١٦ من كتاب تأليه الإنسان)، وتذكر عبارة القداس الإلهي السابقة، ولكنه أنكر أن الحياة الأبدية

(١) هذا الكتاب منشور على موقع الدراسات القبطية، وتم إصدار طبعة ثانية له بالقاهرة ٢٠١٥.

هي شركة في اللاهوت، وعاد إلى تعليم نسطور بأن التناول ليس شركة في اللاهوت، وأنكر ذلك بقوله: "حاشا"، وكأن كل ما ورد في قداس القديس كيرلس، أو في رسائل وحرم القديس كيرلس الاثني عشر لا وجود لها. ومن الليتورجية يكتب القديس كيرلس:

"إذ نكرز بموت ابن الله الوحيد حسب الجسد، أي موت يسوع المسيح، ونعترف بقيامته من الأموات، وصعوده إلى السموات، فإننا نقدم الذبيحة غير الدموية في الكنائس، وهكذا نتقبل البركات السرية ونتقدس، ونصير مشتركين في الجسد المقدس والدم الكريم للمسيح مخلصنا جميعاً، ونحن نفعل هذا لا كأشخاص يتناولون جسداً عادياً، حاشا، ولا بالحقيقة جسد رجل متقدس ومتصل بالكلمة حسب اتحاد الكرامة، ولا كواحد قد حصل على حلول إلهي بل باعتباره الجسد الخاص للكلمة نفسه معطي الحياة حقاً، لسبب أنه صار واحداً مع جسده الخاص، أعلن أن جسده معطي الحياة لأنه حتى وإن كان يقول لنا "الحق أقول لكم، أن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه" (يوحنا ٦: ٥٣) فلا نستخلص من هذا أن جسده هو جسد واحد من الناس مثلنا، لأنه كيف يكون جسد إنسان ومحياً بحسب طبيعته الخاصة (الإنسانية)؟" (راجع رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، رسالة ١٧ فقرة ١٢).

ويتابع القديس كيرلس نفس الشرح في نفس الرسالة (فقرة ١٨):

"لقد ولد لكي يبارك بداية وجودنا نفسه، وإذ قد ولدته امرأة موحداً نفسه بالجسد فسوف تُرفع اللعنة إذن عن كل الجنس البشري. وهذه (اللعنة) كانت ترسل أجسادنا التي من الأرض إلى الموت، وبواسطته أبطل القول "بالوجع تلدين أولاداً".

هل الحياة الأبدية ليست شركة في اللاهوت؟

عندما يقول الرب يسوع نفسه بغمه الإلهي: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتبني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد" (يوحنا ١: ٢٧-٢٨)، وهي ليست فقط حياة أبدية، بل كما يقول رسول الرب: "وإله كل نعمة (مصدر النعمة) الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعدما تألمتم يسيراً هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم. له المجد والسلطان إلى الأبد" (١ بط ٥: ١-١١)، فهل غاب المجد الأبدي عن هذه الحياة، أم أنه هو الذي قال عنه الرب نفسه: "أنا ممجد فيهم" (يوحنا ١٧: ١٠)، وهو "المجد الذي كان لي عند ذاتك (أقنومك) قبل خلق العالم" (يوحنا ١٧: ٢٠) هو الذي قال عنه الرب: "وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً فينا" (يوحنا ١٧: ٢٢)؟ لقد وعدنا الآب بأن يكون لنا هبة وعطية لا نملكها، وهي الحياة الأبدية حسب نص يكرره البعض في بلاهة غالباً، أما الفاهمون فهؤلاء يدركون أن "الله أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦)، وهو إيماننا، وهو سبب إيمان بولس "لكنني رحمت ليظهر يسوع المسيح فيّ أنا أولاً كل أناة مثلاً للعتيدين أن يؤمنون به للحياة الأبدية" (١ تيمو ١: ٦)، فهي هبة الإيمان: "أما هبة الله فهي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ٢٣). وقد أخذنا الجزء الأول "أجرة الخطية هي موت" وتركنا الجزء الثاني عن "هبة الله حياة أبدية!!"

وعندما قال العظيم أثناسيوس إن السبب الثاني لتجسد الكلمة هو استعلان الآب، فقد أسس هذا على شهادة يسوع ذاته: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ١٧: ٣). وإذا كانت معرفتنا بالآب ونوالنا المجد الأبدي هي جوانب الحياة الأبدية، فإننا نعرف أن هبة الله في المسيح (رو ٦: ٢٣) هي أيضاً هبة الروح القدس؛ لأن رسول المسيح يقول: "من يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غلا ٦: ٨)،

وهي أبدية غير قابلة للانفصال، ولذلك أنشد رسول الرب تلك الأنشودة الخالدة في رومية ٨: ٣٨-٣٩ حيث حسب كل الكائنات التي خلقها الله: الموت - الحياة - الملائكة - رؤساء - قوات - أمور حاضرة - أمور مستقبلية - علو - عمق - خليفة أخرى، كل هذه لا تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي لنا في المسيح يسوع ربنا "لأننا حسب وعد الرب يسوع، هو والآب سوف يأتي إلينا ليجعل إقامته معنا (يو ١٤: ٢٣).

الحياة الأبدية توهب في سر الشكر:

لم أشهد هجوماً على هذا السر من داخل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كما شهدته في زمان الأنبا شنودة الثالث، فهو الذي بدأ وسار معه بعض الإكليروس في ذات الطريق، وعلموا بما علم به هو: "بأننا نأكل الناسوت فقط"، وحنة هؤلاء في ذلك أن اللاهوت لا يؤكل!! وهي حنة تجوز على السذج؛ لأن الرب لم يفصل بين اللاهوت والناسوت، فقد أشار إلى حقيقة عطاء جسده ودمه في يوم الاحتفال بالفصح، حيث يتذكر اليهود نزول المن والسلوى وقال لهم: "أنا هو خبز الحياة، من يقبل إلي لا يجوع ومن يؤمن بي لا يعطش" (يو ٦: ٣٥)، وأن هدف الأكل هو "الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (٦: ٤٠). وعند السؤال كيف يعطينا هذا جسده عاد الرب مرة ثانية لكي يؤكد: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان (الناسوت) وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم"، فهل كان يقصد الناسوت فقط - حسب ادعاء الأنبا شنودة ونسطور من قبله؟ بكل تأكيد لا؛ لأن العبارة التالية: "من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (٦: ٥٤)، ولذلك حتماً يجب أن يكون جسد المسيح أبدي أي إلهي.

وما هو معنى "جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق" (٦: ٥٥)؟ والموقف يلزمنا بالعودة إلى شرح انجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير، وهذه مجرد مقتطفات من شرح الإصحاح السادس، وعلى المعاندون العودة إلى الأصل:

"هو يقول (الرب نفسه) أنا أموت عن الجميع لكي أعطي الحياة لكل في". لقد جعلت جسدي فديةً لجسد الكل. الموت سوف يموت بموتي، والطبيعة الإنسانية الساقطة سوف تقوم معي. لهذا السبب صرت مثلكم (إنساناً) من نسل إبراهيم لكي أشبه كل إخوتي".

"لقد قدم المسيح جسده الخاص لحياة العالم"، هذا ما نعرفه من الكلمات: "أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك" وأيضاً من أجلهم أقدم ذاتي. وهو يقول "أقدس" في هذه العبارة، ويعني بذلك "أقدم ذاتي ذبيحة بلا عيب رائحة ذكية لأن كل ما كان يقدم على المذبح الإلهي كان يتقدس ويدعى "قدوس" حسب الشريعة. لذلك قدّم المسيح جسده الخاص لحياة الكل؛ لكي بهذه التقدمة، تعود إلينا الحياة من جديد (مرة ثانية) وكيف فعل هذا -سوف أشرح على قدر استطاعتي- لأن الكلمة الواهب الحياة قد جاء وسكن بيننا بالجسد، وحوّل جسده، فصار للجسد الصفة الصالحة الخاصة به (الكلمة)، أي الحياة. وبالاتحاد الفائق الذي وحّد الاثنين جعل الجسد واهب الحياة؛ لأنه هو الحياة بالطبيعة، لذلك السبب يعطي جسد المسيح الحياة لكل من يشترك فيه، ويطرد جسده الموت عندما يعطي ذلك الجسد لكل الذين يموتون ويمحو الفساد لأنه (جسد الرب) مملوء بالكلمة الذي أباد الفساد"^(١).

(١) راجع الجزء الأول من شرح انجيل يوحنا ص ٢٣١ - ٢٣٢ السلسلة 2013 - Ancient Christian Texts والتي حلت محل الطبعة القديمة التي نُشرت في أوكسفورد تحقيق Dr. Pusey وتمت المراجعة على الأصل اليوناني للتدقيق لأن الذين يزعمون أننا لا نقدم ترجمات صحيحة عجزوا عن تقديم الصحيح من الترجمات للأباء. في نفس شرح الفصل ٦ يشرح القديس كيرلس خبز الوجوه الذي كان يوضع على المائدة في خيمة الاجتماع ويواصل الشرح بجد أنه يشرح شكل القرابة كما هي في الكنيسة، إذ يقول إن الرب في الوسط وحوله الاثنى عشر رسولاً في صفين حول الوسط، وإن هذا كان رمزاً لما سوف يتم في الكنيسة (راجع الشرح ص ٢٣٣-٢٤٣).

شرح يوحنا ٦: ٥٤ "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ":

يقول القديس كيرلس:

"هنا يجب أن نعجب بالإنجيلي القديس بشكل خاص؛ لأنه يصرخ بوضوح: "الكلمة صار جسداً ولم يتوان أن يكرر هذا إنه لم يأتِ إلى جسد، بل صار جسداً لكي يؤكد الوحدة. وهو بكل يقين لم يقل إن الله الكلمة الذي من الآب قد تحول إلى طبيعة الجسد، أو أن الجسد تحول إلى طبيعة الكلمة، بل كلُّ ظل في طبيعته والمسيح واحد من الاثنين. ولكن بهذا الأسلوب الفائق الذي يعلو على الفهم اتحد الكلمة بجسده ونقل كل ما لجسده إليه - كما يمكن أن نقول - لنقل كل ما يعطي الحياة لكل من لا حياة له لأنه طرد الفساد من طبعنا وأباد الموت الذي ساد علينا مع الخطية" (المرجع السابق ص ٢٣٨).

ويكمل الشرح:

"لذلك كل من يأكل الجسد المقدس للمسيح ينال الحياة الأبدية؛ لأن الجسد فيه الكلمة الذي هو الحياة بالطبيعة، ولذلك يقول (المسيح) أنا أقيم في اليوم الأخير وبدلاً من أن يقول "جسدي" هو يقيمهم (الذين يأكلونه)، فقد نطق "أنا" على أساس أنه ليس آخر مختلف عن جسده لأنه ليس من طبيعة مختلفة" (المرجع السابق ص ٢٣٨).
والعبارة الأخيرة عن طبيعة الجسد بأنها ليست مختلفة، تؤكد كلمة الحياة، كما هو واضح من سياق الكلام.

وعندما يشرح القديس كيرلس الكبير كلمات الرب: "جسدي مأكلاً حق ودمي مشرب حق" (يوحنا ٦: ٥٥)، فهو يقارن بين البركة السرية (عشاء الرب) ونزول المن المؤقت، ويقارن بين شرب الكأس والماء الجاري من الصخرة، فيقول:

".. جسد المسيح المقدس هو الذي يغذي لعدم الموت، وللحياة الأبدية، فهو الطعام الحقيقي .. إنه ليس مجرد دم بشر مثلنا، بل دم مَنْ هو الحياة ذاتها. ولذلك، بالشركة، دُعينا جسد وأعضاء المسيح؛ لأننا نأخذ الابن نفسه في كيانه بواسطة هذه البركة (الإفخارستيا)" (المرجع السابق ص ٢٣٨).

ولك عزيزي القارئ أن تقارن بين ما قاله عمود الدين وختم الآباء، وتلك الحجة الخيالية والبعيدة عن الواقع والتي وردت في كتيب الأنبا شنودة، إذ يقول:

"وإن كانوا يحتجون بالاتحاد بين اللاهوت بالناسوت، فهذا لا يعني أن الإنسان يأكل اللاهوت. وأماننا مثل الدم: يقول الكتاب نفس الجسد هي في الدم (لا ١٧: ١١ و ٤٧)، ومع ذلك فالذي يأكل ويشرب الدم لا يأكل النفس معه" (تأليه الإنسان، الجزء الثاني، ص ١٧).

وكان العهد القديم ينفي الشركة في دم المسيح!!!

إذن، غاب التعليم عن الاتحاد تماماً، وبالتالي غاب أيضاً التعليم عن هبة الحياة والقيامة، وحلَّ محل ذلك تلك التأملات الاستنكارية، التي يحاول الأنبا شنودة أن يفرض فيها رأيه الخاص على التعليم، لكي يصبح بعد ذلك رأيه هو العقيدة .. أمّا ما هو غريب حقاً ويشير العجب، فهو ذلك الاستدلال المعوج الذي يستعين به البابا شنودة الثالث تدليلاً على صحة رأيه، فإذا كانت النفس في الدم، فهذا خاصٌّ بطعام أرضي، وهو تناول اللحوم وذبح الحيوانات، لكن عبارات الرب عن "الخبز الذي نزل من السماء، ليس كما أكل آباؤكم المن في البرية وماتوا"، تؤكد لنا أنه طعام سماوي لا علاقة له بأي طعام أرضي. وعبرة "أنا هو خبز الحياة، من يأكلني يحيا بي"، وكل ما ورد في يوحنا ٦، يؤكد لنا أننا لسنا بإزاء وجبة تؤكل حسب ما نعرفه عن الأطعمة الأرضية. وعلى ذلك، فأن يحشر الأنبا شنودة شريعة موسى في تناول جسد الرب ودمه، فهو أمر غريب لا معنى له إلا إذا كان الأنبا شنودة يظن أن جسد الرب هو طعام أرضي، يُقاس على ما هو أرضي، وهذا في حد ذاته يفتح الباب للتساؤل عن منهج التفكير الذي يتبعه الأنبا شنودة برمته.

المسيح هو الحياة الأبدية:

عند إقامة لعازر يقول الرب: "أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يوحنا ١١: ٢٥). فقد جاء الرب وأعلن لنا الحياة التي "كانت عند الآب وأظهرت" (١ يوحنا ١: ٢)،

لكن هذه الحياة التي كانت عند الآب منذ البدء، لم تكن حياةً مخلوقةً مثل أي حياة خلقها الله، بل هي حياة الآب والابن، ولذلك، بالحب، نحن ننتقل من الموت إلى الحياة (١ يوحنا ٣: ١٤). ولاحظ أن مَنْ لا يحب أخاه يبقى في الموت .. وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه (١ يوحنا ٣: ١٤-١٥). وحتى لا نخطئ، فإن شهادة الرسول الإنجيلي: "الله أعطانا حياةً أبدية وهذه الحياة هي في ابنه" (١ يوحنا ٥: ١١)، فليس هناك كيان مخلوق له وجود أبدي في ذاته.

إن الرسول بولس هو الذي دعانا لأن نكتب؛ حتى لا يفقد أحد الإيمان، فهو الذي يقول: "أنت يا إنسان الله. جاهد الجهاد الحسن وأمسك بالحياة الأبدية التي دُعيت إليها" (١ تيمو ٦: ١٦)، فقد صار المسيح حياتنا (كولوسي ٣: ٤).

لقد جاء واحدٌ من الذين يمارسون المحاماة حسب الشريعة، وسأل الرب يسوع: ماذا يصنع ليرث الحياة الأبدية (لوقا ١٠: ٢٥)؟ وجاء الرد بما لا يتوقعه أحد، وهو محبة الله، ومحبة القريب. وعندما سأل الناموسي أو المحامي: مَنْ هو قربي؟ سَمِعَ مثل السامري الصالح من الرب نفسه، وهو أعظم ما قيل عن محبة القريب. فما هي علاقة المحبة، أي محبة الله ومحبة القريب، بالحياة الأبدية؟ والجواب هو أن الله نفسه محبة (١ يوحنا ٤: ٨). وتحذير الرسول خطير جداً؛ لأنه يقول: "أيها الأحباء لنحب بعضنا بعض لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله، ومن لا يحب لم يعرف الله؛ لأن الله محبة" (١ يوحنا ٤: ٧-٨). وجماع التعليم كله في العبارات التالية مباشرة: "بهذا أظهرت (استُعلنَت) محبة الله فينا (ليس في القضاء ولا في الشريعة) أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به (لا لكي يدفع الثمن وينال العقوبة ويغفر الخطايا، وهو حصار العصر الوسيط الذي امتد إلى الفكر الإنجيلي)، ويكمل الرسول "أننا نحيا به"، ولكن كيف؟ ليس بنظرية أو بفكرة الأجساد الثلاثة، أو بإنكار الشركة أو بإنكار الحياة الأبدية، بل يقول "في هذا (أي نحيا به حسب سياق الكلام) هي المحبة، ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا (١ يوحنا ٤: ١٠).

ولكنهم غيَّروا معنى كلمة "كفارة" إلى حكم قضائي شرعي بالعدل الإلهي المنتقم من الابن، بينما في كل الفقرة يؤكد التعليم الرسولي: "الله محبة. مَنْ يحب يعرف الله، بل: مَنْ يحب فقد ولد من الله (لأنه يحيا بالابن هبة ومحبة الآب للعالم) لأن الآب أرسل ابنه إلى العالم لكي نحيا به" (١ يوحنا ٤ : ٩).

فما معنى كلمة "كفارة" في الرسالة نفسها؟

- دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية (١ : ٧).
 - لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو (أي يسوع نفسه) كفارة لخطايانا (٢ : ١).
 - عُفِرَتْ لكم الخطايا من أجل اسمه (٢ : ١٢).
 - ونحيا به لأن الوعد الذي وعدنا به هو الحياة الأبدية (٢ : ٢٥).
- فالولادة من فوق بدون محبة الله، ليست ولادة حسب التعليم. والتطهير هو كفارة؛ لأن يوم الكفارة في العهد القديم هو يوم نزع الخطية من الشعب. ودم الذبيحة للتطهير^(١). ونحن نحيا به؛ لأننا أخذنا في المحبة ما يكتبه رسول المسيح: "أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله .. نحن الآن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أُظهر (استُعلن) نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (٣ : ١-٢). فهل هذا يقود أي إنسان إلى أن يخرج من التناول وقد صار إلهاً - حسب تصور الأنبا شنودة- ولا يسجد للأسرار المقدسة، إنما يسجد الناس له (تأليه الإنسان، الجزء الثاني، ص ١٦)؟

ولكن ماذا يقول الإنجيلي: "وكل من عنده هذا الرجاء (يصير مثله) به يُطهَّر نفسه - كما هو طاهر (لأنه نال التبني)" (٣ : ٣).

(١) راجع كتابنا: موت المسيح على الصليب، القاهرة، ٢٠٠٩، الفصل الثاني: الكفارة والغدية ومدلولاتها في الكتاب المقدس، ص ١٨٧ وما بعدها.

ماذا وراء إنكار الحياة الأبدية؟

يبدو أن حماس واندفاع الأنبا شنودة الثالث في الرد قد جعلته لا يرى أية خطورة التعليم بوجود حياتين كلاهما أبدي - حياة الشالوث الأبدية، وحياة المؤمنين الأبدية، وأن الأولى لا علاقة لها بالثانية؟

لكننا لم نسمع بالمرّة ولم نقرأ في الأسفار المقدسة عن حياة أبدية أخرى غير الحياة الأبدية المستعلنة في المسيح الذي قال إنه هو القيامة والحياة، وأنا هو الحق والحياة، ليقول الإنجيلي بعد ذلك: "ونحن نعلم ان ابن الله قد جاء واعطانا بصيرة لنعرف الحق ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (١ يوحنا ٥ : ٢٠).

- لقد قاده الخوف من الشركة، إلى المجاهرة بأن الشركة شرك بالله.
- وقاده العدا، إلى انكار الحياة الإلهية التي فينا في سر الشكر.
- وقد أملى هذا عليه أن يقف موقف المعارض للحياة الأبدية.

ولكن، لنسير معه الميل الثاني. ماذا لو أن لنا حياة أبدية ليست هي حياة الله؟

أولاً: لن نعرف الله الآب؛ لأن الحياة التي فينا -عندئذٍ- ليس لها علاقة بالله الآب، ويظهر أن كلام الرب هو خداع وكذب، فهو الذي علّمنا هذه الحقيقة الجديدة الغائبة عن الوعي الإنساني في كل فكر وثقافة وهي أن: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧ : ٣).

وحسب شرح الرسول يوحنا السابق في الرسالة: الله محبة ونحن نولد من الله ونعرفه بالمحبة، بل يؤكد رسول المسيح بولس أن هذه المحبة ليست فكرة، بل "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو ٥ : ٥). وقد أدّى إنكار سُكنى أقنوم الروح القدس فينا إلى إنكار سُكنى محبة الله، وتحلّى هذا بشكل ظاهر في حملات الكراهية ضد الأب متى المسكين، وضد كاتب هذه السطور، وصار الخطاب الديني مرتعاً للعداء والكراهية والحض على عداء كل من يختلف معه ومع مطرانه الأنبا ييشوي.

ثانياً: إذا كان لنا حياة أبدية غير حياة الله، فكيف صار المسيح حياتنا، وهو ما نطلبه في أوشية الإنجيل؟ فهو القيامة والحياة، وهو ما يؤكد الرسول: إنه هو حياتنا (كولوسي ٣: ٣-٤). وما يحياه رسول الرب في الإيمان هو أن يحيا المسيح فيه، حياة أبدية وإلا هلك الرسول (غلاطية ٢: ٢٠)، ويصرخ بولس: "لي الحياة هي المسيح والموت معه ربح" (فيلبي ١: ٢١)، بل عندما ينظر إلى الماضي بكل ما فيه، يقول عنه بعد أن حسب كل ما كسبه في اليهودية: "ما كان لي ربما فقد حسبته خسارة من أجل المسيح، بل إني أحسب كل شيء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية (زبالة)؛ لكي أربح المسيح، وأوجد فيه، وليس لي بري (مؤهلات اخلاقية)، الذي من الشريعة، بل الذي بإيمان يسوع المسيح، البر الذي من الله بالإيمان، لأعرفه وقوة قيامة وشركة آلامه متشبهاً بموته" (فيلبي ٢: ٧-١٠).

وبعد هذه الملحمة البولسية يقول رسول المسيح: "نتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا (التراي الحقيق) ليكون على صورة جسد مجده بحسب استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء" (٣: ١١).

ثالثاً: خسارة الميراث الأبدي. ولعل تلاميذ شريعة موسى يجدون تفسيراً أعوج لكلمات الوعد الإنجيلي عن سُكنى وقيادة الروح القدس لنا لكي نصرخ مع الابن أباً أيها الآب؛ لأننا أولاد الله، ثم:

- فإن كنا أولاداً،

فإننا ورثة أيضاً

ورثة الله

وارثون مع المسيح (رو ٨: ١٤-١٧)

فهل ميراثنا هذا هو ميراث مؤقت مثل الميراث الأرضي؟ نحن نسأل المدافعين عن الكذب والباحثين عن حرف وكلمة.

غير أن رسول الرب يقطع على هؤلاء وأولئك الطريق، فيقول: "ولدنا ثانية

لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات (١ بط ١ : ٤٣).

ولذلك نحن نصبر على حملات الكراهية والمطاردة بالاتهامات الكاذبة، وكل أعمال الشيطان التي يزرعها بعض الإكليروس؛ لأننا نسمع البشارة السارة: "إن عُيِّرْتُم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم، أما من جهتهم فيجذف عليه، وأما من جهتكم فيمجد" (١ بط ٤ : ١٤).

وهذا هو التجديف على الرب نفسه:

- هو يسكن فينا بالناسوت فقط.

- أعطانا حياة مخلوقة غير حياته لأنه ليس محب البشر.

- اشتركنا في موته وقيامته ولكن شركتنا ليست للحياة الأبدية.

- أغلق علينا حياةً أبديةً مخلوقةً من العدم. وهو تناقض صارخ؛ لأن ما هو

أبدي لا يمكن أن يكون مخلوقاً. وسوف تظل هذه الدائرة مغلقة علينا

إلى الأبد بلا شركة، وبلا معرفة في حياة الله الثالث نفسه.

تُرى هل بقى لنا شيء آخر نفقده؟

نعم:

- فقدنا البنوة

- فقدنا الميراث الأبدي

- فقدنا سكنى الروح القدس

- فقدنا سر الإفخارستيا

- فقدنا القيامة والحياة الأبدية

فهل كان من الممكن أن نصمت أمام هذا الهدم المنظّم، أم كان لابد لنا أن

نصرخ، أما من لا يسمع الصراخ، فهو إما أصم أو يهودي.

متى يا رب يشرق علينا الفجر، فقد طال ليل البهتان.

الكنيسة

استعلان إلهي جديد على ثقافة كل عصر

الكنيسة جسد المسيح الذي يملأ السماء والأرض

اتخذ البعض من هذه العبارة مدخلاً للهجوم على كتاب "العنصرة" للأب متى المسكين. لأن عند هؤلاء، جسد المسيح هو جسد ابن الله الكلمة، وهذا حق، ولكن الكنيسة هي جسد المسيح، ولا يوجد ثنائية، أي جسدين ولا ثلاثة أجساد كما هو شائع في نظرية الأجساد الثلاثة، وهي الفكرة التي أشاعها الأنبا شنودة ومن بعده الأنبا بيشوي، والتي لا وجود حتى لظل لها في التسليم الكنسي.

لا يوجد كم Quantity في التدبير:

عندما يقول رسول الرب: "إن في المسيح يحل كل ملء اللاهوت جسدياً"، ويكمل القول: "وأنتم مملوؤن فيه" (كولوسي ٢: ١٩-٢٠). فالملء ليس بمقياس جسدي حسب قول الرب نفسه: "لأنه ليس بكييل يعطي الله الروح" (يوحنا ٣: ٣٤). جاء هذا في حديث هام جداً عن الفرق بين ما هو سمائي وما هو أرضي (يوحنا ٣: ٣١) "الأرضي من الأرض يتكلم" (٣: ٣١)، لكن "الذي من السماء هو فوق الجميع" (٣: ٣١)، وفوق جميع الذين يتكلمون عن الأرضيات، وفوق كل مكيال نعرفه؛ لأن أي مكيال هو خاص بالأموار المادية التي لها طول وعرض وارتفاع ووزن .. الخ.

وليس في الأمور السمائية نوع Quality:

ولا تندهش لأن "النوع" مثل الجمال، والمجد، والشهرة وكل ما هو حسن وعظيم، ولكنه يوصف بأنه نوع لكي لا يُنسب إلى ما هو كم أو منظور، مثل الذكاء لا يقاس بحجم الجسد ولا يقاس حتى بالقدرات. قد يكون للمنطق Logic قدرة قياسية مثل منطق سقراط في المحاورات، ومنطق "كانط" أبو حركة التنوير، ولكن أيهما أعظم وأهم، ذلك نوع quality له مجال في الفلسفة وحسب الموضوع، فليس في الفلسفة، ولا حتى في اللاهوت المسيحي الأرثوذكسي عموميات، أي قضايا عامة. ولماذا ننفي النوعيات؟ السبب هو أن الثالوث تعليم خاص دقيق. حقاً قال رسول المسيح عن حلول المسيح فينا إنه أمرٌ يجب أن يتأصل بالمحبة، وقدّم الرسول أبعاد الإدراك: العرض - الطول - العمق - العلو، وهي: الإنسانية - السماء - إبادة الجحيم والموت - النعمة، أي نعمة الشركة، ولكنه حذّر: "وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله"، ولم يتوقف عند ذلك، بل قال في دقة: "والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب (حتى في الأواشي)، أو نفتكر (حسب قدرتنا)، بحسب القوة التي تعمل فينا (قوة حلول الروح القدس الساكن فينا لأننا امتلأنا من كل ملء الله)" (أفسس ٣: ١٩ - ٢٠)، ثم ينتهي الرسول بذكصولوجية: "له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور" آمين (أفسس ٣: ٢١)، فكيف نفهم على قدر استطاعتنا "الجسد الذي يملأ السموات والأرض"؟

الملء ليس كما ولا هو نوع؛ لأن الله هو فوق الكم والنوع. والكلمة اليونانية πλήρωμα يمكن أن تُستخدم للملء، كما يذكر إنجيل مرقس: "اثنتي عشرة قفة مملوءة من السمك" (٦: ٤٣). ويبدو أن "ملء الأمم" في (رومية ١١: ٢٥)، هو الشعوب كلها، والعدد هنا مقصود ضمناً.

والإنسان الكامل في (أفسس ٤: ١٣-١٤) هو الخلقة الجديدة التي لا ينقصها الحياة، وهو ما يذكره الرسول بولس بنفسه: "وهو أعطى البعض أن

يكونوا رسالاً .. ومعلمين. لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعاً إلى الإيمان الواحد ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامته ملء المسيح". هذا ما نطلبه في أول القديس: "سلاماً وبنیاناً لكنيسة الله"، تلك التي وُهِبَتْ: "بمجد وكرامة للثالوث" الساكن فيها. والإنسان الذي ينمو نحو الرأس، أي المسيح، هو عضوٌ في الجسد، ولأن الرسول نفسه يتابع تقديم التعليم، فهو يؤكد أن "كل الجسد ينمو معاً"، إذ ينال كل عضو "مؤازرة كل مفصل"، وهو ما يميّز العضو عن العضو الآخر "حسب عملٍ على قياس (المسيح) كل جزء يحصل نحو الجسد لبنيانه في المحبة" (أف ٤ : ١٥-١٦).

المسيح هو ملء النعمة:

هو ملء النعمة أو المملوء نعمة (يوحنا ١ : ١٦). ونحن نأخذ من هذا الملء. هنا، النوع والكم يختفيان؛ لأن (يوحنا ١ : ١٦)، لا يمكن فصلها عن: "ملء الألوهة" في (كولوسي ١ : ١٩). وعبارة رسول الرب: "فيه سُرَّ أن يحل الملء"، لها أصل عبراني ورد في الترجوم، عن حلول الشاكيناه سحابة المجد الإلهي في العهد القديم، وهي ذات السحابة التي ظللت أم النور: "قوة العلي تظلللك"، وهي ذات السحابة المنيرة في تجلي الرب، وهي أيضاً ذات السحابة التي دخلها المسيح رب المجد عند صعوده.

ولكن هذا الملء هو المحبة الإلهية الفائقة المعرفة، التي -بدقة الرسول بولس نفسه- هي ليست فقط الملء، بل "كل ملء الله" (أفسس ٣ : ١٨). لا يمكن أن يكون ملء، أو بدقة بولس "كل ملء الله" هو كم، ولا حتى نوع، إذ لا يوجد مقياس من أي نوع للمحبة الإلهية. ولذلك، الكنيسة هي "ملء الذي يملأ الكل في الكل" (أفسس ١ : ٣)، هي جسد "الملء"؛ لأنها جسد "الرأس" الذي "أخضع كل شيء تحت قدميه" (أفسس ١ : ٢٢). فالمسيح يعمل بالقوة القادرة على كل شيء التي تحقق "قياس ملء قامته المسيح"، أي الحياة الكاملة الظاهرة الأبدية، وهي التي رسم لها القديس بولس صورة كاملة في (رو ١٢ : ٥-١١) عن

حياة الكنيسة، وختَمَ بعد ذلك، بأن المحبة هي ملء، أو كمال الشريعة: "المحبة لا تصنع شراً بالقرب، فالمحبة هي تكميل الشريعة" (رو ١٣: ١٠). الملء إذن، ليس عملاً ميكانيكياً يتم فينا.

ملء الزمان (غلا ٤: ٤):

ملء الزمان ليس قياساً زمانياً، رغم وجود كلمة "الزمان". "كمال الزمان" هو وصول الزمان إلى النهاية، إلى حيث لا يعمل؛ لأن اتحاد اللاهوت بالإنسان قد حذف الزمان والمكان والفصول وكل الشرائع التي تقدّم الإنسان إلى الله؛ لأن الله هو الذي جاء بنفسه إلينا. ولذلك، جاء روح الابن في "ملء الزمان" لكل الذين عاشوا قبلاً تحت الشريعة، ولكنهم الآن صاروا أحراراً يصلُّون إلى الآب مع الابن: "أباً أيها الآب" (غلا ٤: ٤-٦).

جسد المسيح في السماء:

نراه في سفر الرؤيا مع الجموع التي حول عرش الحَمَل ابن الله. ونراه في صلاة المجمع في التسبحة السنوية، وفي الهيئات قبل قراءة البولس، وفي المجمع عندما نقدّم الذبيحة الالهية.

لقد أباد الربُّ كلَّ الموانع والفواصل التي مرَّقت الجنس البشري، أولاً: بإبادته للموت، وثانياً: بتأسيسه للمصالحة الأبدية، وثالثاً: بدخوله إلى السماء -وهو الموضوع الذي شغل رسالة العبرانيين- لكي من السماء، يمارس كهنوته، ويعطي جسده الحياة، ويخدم احتياجات جسده الكنيسة. رابعاً: الرأس الواحد لجسد واحد، هو ما عبّر عنه الرب نفسه بمثال أو تشبيه معروف لنا: "الكرمة" (يو ١٥: ١-١١)، وهو من أجمل ما ذكره الرب عن اتحاده بنا، وعاد الرب وشرحه بنفسه بعد ذلك في (يو ص ١٧) عن وحدة الآب والابن ووحدة الكنيسة التي مثلها الآباء الرسل والتي نحن فيها حسب الاعتراف بالإيمان: "نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية". "هذه الكائنة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها"، هي

أيضاً في السماء حيث الحمل ابن الله، ولذلك يذكر الرسول أن الفرق بين اجتماع الله مع الشعب القديم في (عب ١٢ : ١٨-٢٤) هو تحذير المؤمنين بأنهم لم يأتوا إلى جبل ملموس (حسي) مضطرب بالنار وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق ... وهو استعلان الله على جبل الشريعة (١٢ : ١٨ - ٢١)، بل أتيتهم إلى جبل صهيون (جبل الله) وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السماء، وحيث لا توجد سلسلة أنساب، وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح أبرار مكملين وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رش دم العهد، (وهي إشارة إلى كأس الرب نفسه) يتكلم أفضل من دم هايل" (عب ١٢ : ٢٤).

الرّدة عن سمائية الكنيسة:

الكنيسة كائنة في تدبير الله قبل خلق العالم. هكذا يكتب أغناطيوس الشهيد إلى كنيسة أفسس: "المعيّنة قبل بدء الزمان" (الرسالة إلى أف ١ : ١١).

وفي شرح سفر النشيد للعلامة أوريجينوس: "لم توصف الكنيسة بأنها عروس المسيح عندما جاء المخلص في الجسد، بل هي عروس المسيح منذ بدء الجنس البشري عند تأسيس العالم، بل أستطيع -تحت إرشاد بولس- أن أنظر إلى ذلك السر الفائق، وهي أنها كائنة قبل خلق العالم. لأنه يقول: "اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه" (أف ١ : ٤-٥)" (شرح سفر النشيد ٢ : ٢٨).

وفي لمحة شعرية لمار افرام السرياني يقول عن الكنيسة:

- بنى موسى خيمة الاجتماع
- في البرية من أجل الله
- لأن الله لم يسكن بعد في القلوب
- الآن يسكن في قدس الأقداس
- من أجل الأمم بنيت الكنيسة
- اجتماع من أجل الصلاة

- في نفوسنا تسكن القوة
- التي تقود كل الكائنات
- بمعمودية الروح القدس؛
- نشترك في غفران الخطايا
- وبالقوة التي تحل على الخبز؛
- يدخل الرب ويستريح فينا.
- (نشيد ٤٨ : ١٣-٢٤).

الذي يُكوّن الكنيسة هو المسيح نفسه، ولذلك سُمّيَت باسمه الشخصي "جسد المسيح". هذا التكوين هو عمل الابن الذي نراه بشكل واضح في السرائر، وهو كما وصفه شاعر السريان العظيم مار إفرام، وما تغنّى به كل الآباء، وتُفوق فيه أوغسطينوس على معاصريه، وهو ما جعل قانون الإيمان يؤكد: "كنيسة واحدة"، فالجسد واحد، والرأس واحد، والجسد والرأس هما معاً ينبوع المسيح.

سمائية الكنيسة ووجودها في السماء، هو أساس شفاعة القديسين، فكيف حدثت الردة عن البُعد السمائي للكنيسة؟
يكنم الجواب في:

أولاً: في رئاسة الجسد، وتقسيم الجسد الواحد إلى منظور على الأرض يرأسه البابا، وغير منظور يرأسه المسيح رب الكنيسة. وهكذا تُترك تدبير الكنيسة لمن هم على الأرض دون مرجعية إلهية سمائية، فقد انتزعوا مكان الرب، واخذوا مكانه. كان هذا التقسيم معروفاً في العصر الوسيط في الكنيسة الرومانية، وقاومه الأستاذ حبيب جرجس في كتاب "الصخرة الأرثوذكسية".

ثانياً: وصارت أحد مضاعفات هذا التحول هو حلول الشريعة محل الإيمان. ونمو السلطان الكهنوتي، وهو سلطان خاضع لعمل وتدبير الرب نفسه بواسطة الروح القدس، ولكن حتى الروح القدس نفسه استُبعد وصار أقنوماً منفصلاً بعيداً يعطي مواهب ولا يسكن ولا يحل فينا، وبات عمله في السرائر غامضاً. لم يعد

الخطاب القبطي المعاصر يصف الكهنوت بأنه كهنوت الرب يسوع؛ لأن هذا يحدد سلطان الكهنوت بحدود التدبير ويجعل الكهنوت خدمة. ولعل من يدرس جيداً صلوات الرسامات في كنيستنا يجد أنها لا تحتوي بالمرّة على كلمة "سلطان"، بل حتى في صلوات التحليل/ لا سيما صلاة: "أيها السيد الرب يسوع المسيح الذي قطع كل رباطات خطايانا .. أنعمت على الذين يعملون في الكهنوت ..."، لا وجود لأي سلطان؛ لأن البذل لا يتم بسلطان، بل هو عطاء. وقول الرب نفسه هو منارة لنا: "لأن ابن الانسان لم يأت لكي يُخدّم بل ليخدّم ويبدل نفسه فدية عن كثيرين".

كنيسة سماءٍ وأرضٍ، كنيسةٌ واحدة:

يدور خادم السرائر بالبحور مقدّماً للرب يسوع، ولوالدة الإله، وليوحنا المعمدان، وشفيع الكنيسة، وكل الذين نراهم في الأيقونات، وللشعب كله .. هؤلاء هم معنا يشتركون في خدمتنا، ويطلبون من الرب معنا، طلباً لكي ننال معهم ذات المجد.

لكن جاء تعليم العصر الوسيط بما يسمى الكنيسة المنتصرة والكنيسة المجاهدة، وصنع بذلك كنيستين، وبذلك فصلَ وهَدَمَ وحدة الجسد الواحد. من هذا الفصل جاء الاستبداد بالرأي ومطاردة الذين اختلفوا مع الرئاسة وصدرت قرارات الحرمان، ونمت حملات الكراهية ضد الذين اختلفوا مع الرئاسة وصدرت قرارات الحرمان، ونمت حملات الكراهية؛ لأن البُعد السمائي غاب كما غاب أيضاً أن الكنيسة هي جسد المسيح، وغاب أيضاً أن الإفخارستيا هي التي تجعلنا جسد المسيح، إذ حُسِبَت الكنيسة الجسد الثالث الذي لا نعرف من أين جاء، حسب ادعاء الأنبا شنودة بوجود ثلاثة أجساد، وهو لم يشرح لنا العلاقة بين هذه الأجساد الثلاثة.

هذه الرّدة هي التي حوّلت الكنيسة إلى مؤسسة، جعلت أيّ نقدٍ لأيّ من الإكليروس هو نقد للكنيسة، فقد تم اختزال الكنيسة في الإكليروس المعاصر،

وبالتالي انفصل الواقع المعاصر عن الأساس التاريخي.

إن إدارة المؤسسة هي التي جعلت الشريعة مصدر حياة المؤسسة، لا الإيمان، ولا شركتنا في الثالوث، ولا أيٌّ من النعم التي نأخذها في السرائر.

هذا الانحدار نحو هاوية الموت الروحي؛ لأن لنا وجوداً اجتماعياً وبيولوجياً، أي أننا أحياء نأكل ونشرب ونتزوج وندخل حلبة الحياة السياسية، ولكن الشهادة الحية لمكانة الإنسان وعزّته عند خالقه غابت؛ لأن الشريعة هي ما هو جائز، وما هو مسموح، وهذا ليس من المحبة ولا من الإيمان.

إن ما دار من حوار حول تناول المرأة في أسبوعٍ معيّن من الشهر، كَشَفَ عن جسامه خطأ عقيدي، وهو أن الدفاع عن المنع تسنده قوانين، لا أريد أن أناقش مصدرها التاريخي، فقد ناقشنا ذلك بالتفصيل في كتابنا عن التطهيرات الجسدية، ولكن تبقى الحقيقة السافرة، وهي أن الذين يمنعون المرأة بسبب وظيفة جسدها، هم الذين جعلوا الشريعة لا المسيح يسوع أساساً للحياة، وهو هنا أساسٌ زمنيٌّ بائدٌ؛ إذ لا توجد شريعة موسوية في السماء، فهي موضوعة للأرض ولزمانٍ انقضى (عب ٩ : ١٠)، بل حسب نفس الرسالة: "أمّا عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب ٨ : ١٠) ينزع الأول لكي يثبت الثاني (عب ١٠ : ٩). لكن الإصرار على بقاء الشريعة هو خطية مع سبق الإصرار والترصد لبقاء الشريعة وحذف من قال لنا: "أنا هو القيامة والحياة".

أقول في كل ما أكتب: لقد طال ليل الاغتراب، ولكن الرب يسوع حيٌّ حاضرٌ، سوف يرسل الأحياء الذين أساس حياتهم هو هو ولا أحد آخر؛ لكي يكونوا كما كانوا في تاريخنا الطويل خيمة الحياة الجديدة.

المسيح قام

الهجوم على أساسات التدبير^(١)

- ١ -

على موقعه الرسمي نشر نيافة الأنبا بيشوي مقالاً بعنوان "ما بين الحلول الأقتصادي والاتحاد الأقتصادي"، ليس أسوأ ما فيه لغته العربية الركيكة جداً، ولكنه يدور حول:

الجوهر - النعمة (الإرادة) - الأقوم.

والغاية التي يضمهرها من وراء هذا المقال والتي يستشفها القارئ هي إنكار وجود ذلك الأساس الأبدي: "تأله الإنسان في المسيح". وليس الأمر بجديد على نيافته، فقد استطاع من قبل أن يستصدر حكماً من مجمع الصامتين من الأساقفة باعتبار أن "الشركة في الطبيعة الإلهية، وتأله الإنسان" تعني تحوُّل الإنسان وصيرورته إلهاً، وبناءً على ذلك سار في ركابه عدد من الأساقفة والآباء القسوس.

على أنه لم يكتفِ بذلك، فهذا هو قد عاد للكتابة ضد موضوع "تأله الإنسان" رداً على ما ورد في كتاب الأب كونيارس "الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور"، رغم أن ترجمة الكتاب مر عليها زمن ليس بقليل، وتناول أيضاً ما نُشر بعد ذلك للأرثمندريت جيورجيوس من جبل آثوس بعنوان "التأله هدف الإنسان"، ترجمة الأب ابراهيم خليل دبور.

ويبدو أن الأنبا بيشوي يعيش لحظة رعب اكتشاف الخطأ الجسيم الذي ارتكبه في عام ١٩٨٢ بدفع المجمع لإصدار قرار بحرم كل من يُعلِّم بالشركة في الطبيعة الإلهية، بعد ظهور أن هذا التعليم هو تعليم الآباء جميعاً، وأنه ليس هرطقةً بيزنطيةً كما زعم. ولذلك ورغبةً منا في أن يشوب إلى رشده، ننهبه إلى أن قرار

(١) مقالان نُشرا على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٤، ٢١ أغسطس ٢٠١٦.

الحرم هذا، إنما هو معلقٌ على رأسه هو لا على رأس كاتب هذه السطور الذي نشر دراسةً في القاهرة رداً على قرار مجمع الصامتين تحت عنوان "الشركة في الطبيعة الإلهية"^(١) يعرض ما سلّمه الآباء أناسيوس وكيرلس وغيرهما من أعمدة الكنيسة الجامعة، في هذا الخصوص.

وكان الأنبا بيشوي قد كتب بحثاً لم يُنشر في القاهرة في الحوار مع الكنيسة الانجليكانية ٣-٧ أكتوبر ٢٠١٣ بعنوان انبثاق الروح القدس، هاجم فيه أيضاً أساسات العقيدة الأرثوذكسية، وانطلاقاً من أمانتنا تجاه التسليم الكنسي قمنا بالرد عليه في كتاب بعنوان "أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال" (القاهرة ٢٠١٤). ولكن يبدو أن المطران لا يريد الهدوء ولا حتى الحوار، هو يجد في اعتراف الكنائس الأرثوذكسية (الخلقيدونية) ما يزعمه ويعكر عليه صفو حياته التي لا تعرف إلاّ البحث عن أعداء يطاردهم. ويهمنا أن نلفت النظر إلى أن هناك عدة مشاكل خلف كل ما يكتبه المطران:

المشكلة الأولى: هي أنه لم يدرس في أي معهد لاهوتي أرثوذكسي أو غير أرثوذكسي.

المشكلة الثانية: هي أنه لم يدرس التاريخ الكنسي، ولا كتابات آباء الكنيسة، لا سيما أناسيوس الرسولي وكيرلس عمود الدين.

المشكلة الثالثة: هي أنه لم يستلم الإيمان المودع في حياة وصلوات الكنيسة الأرثوذكسية.

المشكلة الرابعة: هو لم يدرس الكتاب المقدس، وبالذات أسفار العهد الجديد.

المشكلة الخامسة: إنه يعيش على تراث سماعي سمعه من الراحل الأنبا شنودة الثالث، وهو تراثٌ غير موثَّق بالمرّة.

(١) د. جورج حبيب بباوي، الشركة في الطبيعة الإلهية، دراسة للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص، القديس أناسيوس وآباء الكنيسة الجامعة، الطبعة الأولى، القاهرة فبراير ٢٠٠٧.

وبالرغم من ذلك سطرَّ الزمان في كتابه أن يتولى مسئوليات أكبر منه بكثير؛ لأنه كان شديد الولاء للبطريك الراحل الأنبا شنودة.

والخلاصة التي انتهينا إليها نتيجة خبرة الـ ٤٠ سنة الماضية، هي أن الاختلاف عند الأنبا شنودة الثالث ومعه الأنبا بيشوي هو حرب وعداء، وليس حوار من أجل الوصول إلى ما هو مشترك وواضح، ولا هو حتى بحثٌ عن خلاف.

الأنبا شنودة درس في مهمشة وأخذ ما استطاع أن يأخذه عن د. وهيب عطا الله والقمص متى المسكين، ثم انفصل عنهما، وحارب كليهما بلا هوادة بعد أن صار بطريكاً، وتحول الاختلاف عنده إلى عداء علني نُشِرَ في مقالات في مجلة الكرازة، ثم تحولت المقالات إلى كتاب بدع حديثة. وقد احتوى هذا الكتاب على فصل بعنوان "بدعة تأليه الإنسان". وتعبير "تأليه" هو ادعاء على الذين يكتبون عن هذا الموضوع أنهم يؤلهون الإنسان، ورغم الردود التي نُشرت، إلا أنه لم يتراجع أو يعترف بالخطأ، ذلك أن التراجع والاعتراف بالحق، هو من شيمة الرجال فقط، وليس ما يسعى إليه طالبو الزعامة والسيطرة على عقول الناس وضمائهم، وهو ما يخلق فيهم التعنت ورفض الحق ونشر الكراهية والعداء وجمع الأتباع وإشاعة الفرقة والتقسيم ...

هذه بعض ملامح الصراعات التي عشناها طوال ٤٠ عاماً.

ملاحظات على مقال الأنبا بيشوي الأخير:

لم يستخدم الأنبا بيشوي كلمة "بدعة"، فقد تراجع عنها، رغم خطأ مجمع سنة ١٩٨٢ الذي حكم بمرطقة الشركة في طبيعة الله. ولكنه عاد إلى الأسلوب الصحفي الذي اشتهر به أستاذه السابق الأنبا شنودة، فقال إنها "الكارثة الكبرى"، وأنها تقترب من "التجديف". وذلك بعد أن جمع خياله مثل حصان بلا لجام، حيث تصور أن سكنى أُنقوم الروح القدس تجعلنا الله (ص ٥ من المقال). وهنا نذكر لأستاذنا د. وليم الخولي أستاذ وطبيب الأمراض العقلية والنفسية رأياً نقدمه كما هو دون أي تعليق: "الله شخص له حرية، لا يمكن أن ينزع أحد

ألوهيته بدون رضاه، والذين يقولون إن سكنى الله فينا تحولنا إلى الله، هم مرضى لديهم مشاعر جنسية عدوانية، هي مشاعر هتك العرض والاعتصاب. الله لا يمكن أن يُغتصب".

الاقتراسات التي وردت من الرد على الأريوسيين:

أي قراءة ولو سطحية للرد على الأريوسيين، تؤكد لأي قارئ أن المعلم السكندري لم يكن يكتب مفنداً أو شارحاً عن الجوهر - النعمة - الإرادة، بل كان يشرح الفرق بين الرب يسوع الكلمة الذي من جوهر الآب، والكائنات الأخرى التي جاءت من العدم بالإرادة الإلهية.

وكل الذين درسوا التاريخ الكنسي، يعرفون أن التمييز بين الجوهر والنعمة، لم يكن مطروحاً في زمان الصراع مع الأريوسيين، وأنه لم يتم تحديده بشكل دقيق قبل القديس غريغوريوس بالاماس (١٢٩٣-١٣٥٩). ونقطة التحول هي تعبير "النعمة غير المخلوقة"، وتأله الإنسان هو ذات ما تصل إليه هذه النعمة غير المخلوقة (لأن ما هو إلهي هو غير مخلوق)، لكن المطران يحارب ما هو إلهي؛ لأن حتى الطاقة - حسب تعبيره - إذا كانت إلهية، فإن الإنسان في النهاية أو حسب القصد، ينال نعمة الشركة في الحياة الإلهية.

إذن، فقد فشل المطران في إدراك لب الموضوع بسبب عدم دراسة اللاهوت. إن تعبير الجوهر والأقنوم، هو تعبير دفاعي لشرح الثالوث، استُخدم ضد الهرطقات، ولم يكن تحديداً للكينونة الإلهية. وفي الحقيقة لا يوجد فرق حقيقي بين جوهر وأقنوم، لا حسب استعمال آباء القرن الرابع ولا ما بعد ذلك، وإنما الجوهر الواحد هو الحياة الواحدة للثالوث والأقانيم هم الكيان الخاص الذي نميِّزه في الجوهر الواحد حسب رسالة القديس باسيليوس للتمييز بين العام والخاص، وبين ما هو شركة بين الثلاثة، وما هو خاص بكل أقنوم^(١).

(١) الرسالة رقم ٣٨ إلى أخيه غريغوريوس.

نحن لا نشترك في جوهر الله حقاً، ولكن بمعنى واحد دقيق لم يفهمه المطران وهو أننا لن ندرك سر الكينونة لأن الشركة هي معرفة مجد الله بوجه مكشوف، من مجد إلى مجد كما من الرب الروح حسب تعبير القديس بولس في (٢ كو ٣: ١٨).

ولأننا سوف نغير إلى ذات صورة الابن، وهو التأله الذي يرغب المطران، فسوف ندرك ما جاء به تجسد الكلمة وحلول الروح القدس فينا، سوف يمجداً بما استعلن لنا، ولكن سيبقى الكيان الإلهي (لا أريد أن استخدم كلمة الوجود الإلهي لأن كلمة "الوجود" غير دقيقة إذا أضفناها إلى الله، وهي خاصة بما هو مخلوق، لأن ما هو مخلوق هو موجود) فوق الإدراك. فما هو إلهي له كيانه الغير مستمد من آخر، ولا هو مخلوق بواسطة آخر.

النعمة والإرادة الإلهية ليست مخلوقة:

ورغم أن المطران ينقل عن المقالات ضد الأريوسيين للقديس أثاناسيوس، وزجَّ به في عراكه الوهمي، فدون أن يدري سقط في تعليم أريوس؛ لأنه زعم أن الإرادة الإلهية هي النعمة، وأن النعمة مخلوقة، في حين أن النعمة استُعلنت لنا في خالق كل الدهور ربنا يسوع المسيح، وهي سابقة على كل زمان ومكان حسب عبارة لا يمكن الالتفاف حولها وهي: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة إرادته لمجد مجد نعمته التي انعم بها علينا في المحبوب". ولم يتوقف الرسول عند ذلك، بل أكد أسبقية التدبير الإلهي على كل الدهور ونواها في الزمان، فكتب عن الرب لا عن الزمان: "الذي فيه لنا القداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته .. إذ عرفنا بسر ارادته حسب مسرته التي قصدتها في ذاته، لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً (قبل خلق العالم) .." (أفسس ١: ٣-١١). وهكذا يكون المطران قد طعن

نفسه، إذ اقتبس كلمات الرسول بولس ليؤكد أن الإرادة هي النعمة، وأنها مخلوقة، في حين أن كلمات الرسول جاءت لتؤكد عكس ما حاول أن ينفيه: "فلا تحجل بشهادة ربنا .. المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله، الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة .. بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأثار الحياة والخلود" (١ تيمو ١ : ٨-١٠). فقد ظهرت أو استُعلنت حسب إرادة وقصد الله السابق على خلق العالم.

فالابن من ذات جوهر الآب وليس مثل الكائنات التي جاءت من العدم (ضد الأريوسيين ١ : ٩) وعند مقارنة الله بالمخلوقات يقول المعلم:

"عندما أراد (بولس) أن يلزم الأمم بالصمت قال: إن ما نراه في خلق العالم هو منظور لنا، ومن ذلك نفهم أن ما خُلِقَ، بقوته الأزلية وألوهيته (راجع رو ١ : ٢٠)، وما هي قوة الله؟ هو يعلمنا في موضع آخر: "المسيح هو قوة الله وحكمة الله" (١ كو ١ : ٢٤). وهذه الكلمات (كلمات الرسول) لا تعلن الآب كما تدَّعون (الأريوسيون) همساً كلُّ لآخر مؤكدين أن الآب هو قوته (قوة الابن) الأزلية. هذا لم يقصده الرسول لأنه لم يقل إن الله نفسه هو قوته (الابن)، بل كان يقصد أن (الابن) هو قوة الله، فهو ليس غريباً عنه" (ضد أريوس ١ : ١١). فالابن هو قوة الآب الذي جاء لكي يعلن الآب، ولا يمكن أن يعلن الآب مَنْ هو غريبٌ عن الآب، فلا يوجد مخلوق يستطيع أن يعلن الله الآب" (ضد أريوس ١ : ١٢).

القوة يا سيادة العلامة، أو الطاقة، هي قوة الله، وجاء الابن لكي يعلن لنا الآب لكي يجدد ويفدي الخليقة:

"الابن نفسه تشترك فيه حسب نعمة الروح التي تعطى به" (المرجع السابق ١ : ١٦). وعطية النعمة التي يخاف منها المطران هي عطية التبني التي صارت لنا "تبني وتألُّه بواسطة اللوغوس" (المرجع السابق ١ : ٣٩). ولكن كما يسأل المعلم

السكندري: "ماذا وهب أو أعطى واهب أو عاطي النعمة؟" (١ : ٣٩). كانت طبيعة الانسان فقيرة وضيعة وحقيرة وميتة (١ : ٤١)؛ لذلك جاء الابن وأخذ صورة العبد ومات وقام لكي يحدد كيان الإنسان فيه هو، ولكي يكون السابق الذي يدخل السماء قبلنا نحن لكي ندخل نحن بعده:

"ولأن المسيح مات وُزِفِع كإنسان، كُتِبَ أنه كإنسان أخذ ما يخصه كإله دائماً لكي تصل إلينا نحن النعمة" (١ : ٤٢). فقد مات على الصليب، وهو "مجد الألوهة" (١ : ٤٢)؛ لأن "مجد الله الآب هو أن الإنسان الذي خلقه وضل الطريق يعود من جديد وإن مات يحيا ويصبح هيكل الله" (١ : ٤٢).

جاء تجسد الابن بأساس النعمة التي تُوهب لنا بالابن نفسه ومن كيانه، وهذه هي صدمة المعلم الكنسي لمن قبع في ثقافة غير مسيحية منذ طفولته، ولم يدرك ما هو مجد الإنجيل، إذ يقول أثاناسيوس: "وبسبب صلتنا بجسده (الابن) صرنا نحن أيضاً هيكل الله وتبعاً لذلك فإننا نحن فينا يُعبد الرب، ومن يرى يجاهر - كما يقول الرسول - أن الله بالحقيقة فينا (١ كو ١٤ : ٢٥) وأيضاً يوحنا يقول في الانجيل: "أما كل الذين قبلوه أعطاهم القوة لأن يكونوا أبناء الله" (١ : ١٢) .. لأن واهب النعمة هو الرب الذي تجسد لأجلنا (١ : ٤٣).

تحول الإنسانية في المسيح من الموت إلى الحياة:

بدأ التحول بالميلاد البتولي، ميلاد من هو الحياة (١ : ٤٤)، وهو ما جعل الرب يخلي ذاته ويتواضع ويأخذ جسداً قابلاً للموت (١ : ٤٤ راجع تجسد الكلمة ١٣ : ٩ - ٢١ : ٥)، ولكنه صار الإنسان الثاني لكي -عندما يتجسد- إذا مات بالجسد، يحيي البشر بقوته" (١ : ٤٤). ولكن المطران جعل القوة التي تعطي الحياة والقيامة، بل والحياة الأبدية قوة مخلوقة. ولكن الرب ضمن لنا البقاء الأبدي عندما أباد الموت (١ : ٤٥) فصارت نعمة التجديد هي ذاتها نعمة الحياة، وهي ذاتها نعمة القيامة "والنعمة التي يعطيها الابن هي من الآب ولذلك قيل إن الابن أخذها .. لأنه ابن الإنسان ويعطي من الآب، لأن كل ما يعملها الآب

يعطيه هو (الابن) .. لأن جسده هو جسده هو الذي قَبِلَ النعمة، وهو قَبِلَ لكي يمجّد طبيعة الإنسان فيه لأنها تألّمت" (١ : ٤٥). فقد منحنا الرب يسوع الروح القدس بعد أن مُسح هو "لكي يمنح الإنسان ليس فقط الرفعة والقيامة بل سكنى الروح القدس والعلاقة الحميمة (أو الشخصية جداً)" (١ : ٤٦)؛ لأن الرب "لأجلنا قدّس ذاته، وحدث هذا عندما تجسّد، ومن الواضح أن الروح نزل عليه في الأردن كان نزولاً علينا لأنه حمل (لبس) جسّدنا" (١ : ٤٧) ولم يكن هذا حادثاً عرضياً، بل نحن الذين اغتسلنا فيه" عندما اغتسل الرب في الأردن كإنسان لأننا نحن اغتسلنا فيه وبه" (١ : ٤٧).

وعندما قَبِلَ الرب مسحة الروح القدس بدأ يعطي الروح القدس لنا "نحن الذين قبلنا هذه المسحة والختم" (١ : ٤٧). الختم هو الاسم الطقسي لمسحة الميرون، وهكذا تُمسح الإنسانية فيه" لكي يصل إلينا التقديس" (١ : ٤٧).

فالتحول من موت إلى عدم الموت هو سبب تجسّد الكلمة الذي "رُفع" لأجلنا والذي مُسح بالروح القدس والذي نالت فيه الإنسانية "البدء" الجديد (١ : ٤٨) فلم يُمسح الابن بطاقة، بل بالروح القدس؛ لأن المسحة، بحسب كلمات المعلم السكندري واضحة: "لقد نزل إلينا ومسحة الروح تمت فيه لأجلنا .. أنت مُسحت (يسوع) لأنه لا يوجد آخر يستطيع أن يوحدنا بالروح القدس إلا أنت يا من أنت صورة الآب" (١ : ٤٨).

لقد جلبت الخطيئة الموت، وهو الموت الذي جلبناه نحن على أنفسنا، ولكن رغم ذلك، فإن النعمة التي أعطاهها الخالق لم تسمح بعودة الإنسان بالذات إلى العدم (١ : ٥٨).

الابن هو إرادة الآب:

المخلوقات أتت من العدم إلى الوجود بإرادة الخالق. هذه الإرادة، هي القوة الإلهية الخالقة التي لا يمكن تكون بدورها مخلوقة، بل هي قوة الله الخالقة وهكذا

الابن خالق:

"لأن كلمة الله هو الصانع والخالق وهو إرادة الآب Bouλη الآب" (٢: ٣١). فالابن هو: "مولود من جوهر الله ... وكل المخلوقات تبقى بإرادة ومسرة (الله) لأن كل الخليقة خلقت بالإرادة وبولس دُعي رسولاً بإرادة الله (١ تيمو ١: ١) ودعوتنا قد صارت بالمسرة الإرادة (أفسس ١: ٥)، وكل المخلوقات قد أتت إلى الوجود بالكلمة، فهو إذن ليس من ضمن المخلوقات التي وُجدت بالإرادة، بل بالحري هو نفسه مشورة الآب الحية" (٣: ٦٣-٦٤).

وبعد ذلك يؤكد أثناسيوس جنون هرطقة أريوس "الجنون الذي لا حدود له" (٣: ٦٤) لأنهم يستخدمون كلمة الإرادة الخاصة ببقاء الخليقة للابن؛ لأنهم يحسبون الابن من ضمن المخلوقات، ولكن الابن هو "رب الكل لأنه واحد مع الآب في الربوبية والخليقة كلها خاضعة له لأنها ليست واحداً مع الآب لأنها لم تكن موجودة وجاءت إلى الوجود" (٣: ٦٤). هكذا سقط المطران في الأريوسية عن جهل.

ولأن المطران لديه غرام قديم بحروف الجر وأداة التعريف الـ نجد في فقرة ٣٧ من المقالة الثانية ذات اتجاه المطران حيث يذكر أثناسيوس أن أريوس ذكر في شعره التالي: "لم يقل بولس المبارك إنه كرز بالمسيح قوة الله وحكمة الله، بل "قوة الله وحكمة الله" بدون أداة التعريف، وكرز بأن قوة الله الذاتية هي آخر (غير الكلمة)، وهي قوته الكائنة فيه بالطبيعة بغير ولادة، وأنها هي التي ولدت المسيح وخلقت العالم" (٣: ٣٧)، وهكذا يتم العبث، ذات العبث الصبباني الجنوني بالكلمات من أجل هدم الإيمان.

وإرادة الآب تعني أن "النعمة التي يعطيها الآب يعطيها الابن" (٣: ٤١). ويقدم أثناسيوس الاختبار الليتورجي؛ لأن الآب خلق كل الأشياء بالكلمة "المولود منه وبختم المعمودية المقدسة بالابن، وحيث الآب يكون الابن .. وهكذا عندما تعطي المعمودية فإن من يعمره الآب يعمره الابن أيضاً، ومن يعمره الابن، فهذا

يكمل بالروح القدس" .. لذلك عندما وعد القديسين قال "إليه نأتي أنا والآب وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤ : ٢٣) وأيضاً "لكي يكونوا هم أيضاً واحداً فينا .. كما أنني أنا وأنت واحد" (يوحنا ١٧ : ٢١ ، ٢٢) والنعمة المعطاة هي واحدة وهي معطاة من الآب بالابن .. " (٣ : ٤١ - ٤٢).

هنا بالذات يظهر وجه الأريوسية القدام في شكله القبيح على وجه المطران نفسه، إذ يقول أثناسيوس العظيم عن الأريوسيين القدامى: "إنهم إذ يربطون (يوحدون) أنفسهم بالمخلوق، فلن ينالوا من المخلوق أي معونة. وإذ يؤمنون بمن هو مختلف عن الآب وغريب عن جوهره، فإنهم لن يتحدوا مع الآب طالما ليس لهم الابن الذاتي المولود (من الآب) منه بالطبيعة، الذي هو في الآب، والآب كائن فيه كما قال هو نفسه" (٢ : ٤٣). وقبل هذا السطر قال المعلم السكندري: "إن الأريوسيين لن يحصلوا على شيء ما دام إيمانهم في معموديتهم هو على اسم مَنْ هو غير كائن" (٢ : ٤٣)، والسبب هو أنهم لم ينالوا التبني لأن هؤلاء "التعساء خُدعوا .. فقد ظلوا هكذا مقفرين وعراة من الألوهة، لأن خيالات الأمور الأرضية (التي تخيلوها) لن تتبعهم عندما يموتون (لأنهم تخيلوا أن الابن مخلوق)، وعندما يرون الرب الذي أنكروه وهو جالس على عرش الله لكي يدين الأحياء والأموات، فلن يستطيع أي من هؤلاء (الذين أنكروه) أن يلتمس مساعدة .." (٢ : ٤٣).

جسد الرب المخلوق والمتأله:

ظل جسداً، حتى بعد القيامة هو جسد؛ لأن القيامة فعلٌ خاص بالجسد، ولكنه كما يقول أثناسيوس في الرد على عبارة سفر الأمثال (٨ : ٢) الرب خلقتني: "إذا سمعنا في سفر الأمثال كلمة "خلق"، فلا يجب أن نفهم أن الكلمة مخلوقٌ بحسب الطبيعة (الإلهية)، بل إنه لبس الجسد المخلوق وأن الله خلقه لأجلنا" وهياً له جسداً مخلوقاً من أجلنا كما هو مكتوب (عب ١٠ : ٥) لكي نتجدد ونؤله (٢ : ٤٧). وتأله ناسوت الرب، بل ناسوت كل مسيحي هو ما يزعم المطران

الذي شرب ثقافة غير مسيحية.

وهو ما يؤكده أثناسيوس بعد ذلك بأن التآله هو التبني "الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطان أن يصيروا أبناء الله، لأنه لم يكن في إمكانيهم - حيث أنهم مخلوقات بالطبيعة أن يصيروا أبناء بأي وسيلة أخرى، سوى أن يقبلوا روح الابن الحق بالطبيعة- لذا، فلكني يتم هذا "صار الكلمة جسداً"، لكي يجعل الإنسان قادراً على تقبل الألوهة .. لسنا أبناء الله بالطبيعة، أما الذي جاء وسطنا فهو ابن بالطبيعة، وأيضاً فإن الله ليس أبانا بالطبيعة، بل هو أب الكلمة الموجود فينا والذي به (الابن) نصرخ "أبا أيها الآب" (٢: ٥٩).

تأله ناسوت الرب هو مصير كل مسيحي يريد ميراث الملكوت، أما الذي لا يقبل ذلك ويريد أن يبقى "الإنسان الترابي" (١ كو ١٥: ٤٨، ٤٩) دون تجديد، فهو كافر بنعمة الخلق الجديد.

هكذا يشرح المعلم الإيمان الأرثوذكسي:

"لو كان الكلمة مخلوقاً، فالشيطان إذ هو مخلوق، فإنه يواصل الحرب دائماً ضد المخلوق، ولأن الإنسان كائن في هذا الصراع، فهو خاضع للموت، إذ ليس له من بواسطته وعن طريقه يتحد بالله لكي يتحرر من كل خوف. الكلمة لا ينتمي إلى المخلوقات، بل بالحري هو نفسه خالقهم، ولذلك فقد لبس الجسد البشري المخلوق، لكي بعد أن يجدده كخالق بأن يؤله في ذاته، وهكذا يدخلنا جميعاً إلى ملكوت السموات على مثال صورته، لأنه إن اتحد إنساناً بمخلوق، فهو لن يتأله، أو لو أن الابن ليس إلهاً حقيقياً، وما كان الإنسان يقف في حضرة الآب لو لم يكن الذي لبس الجسد هو بالطبيعة كلمته الحقيقي" (٢: ٧٠).

ولاحظ -أيها القارئ الفطن- إن هذه الفقرة بالذات تجعل:

- التحرر من الخوف - التجديد - التأله - الوجود في حضرة الآب،

هي كلها من ثمار اتحادنا بالابن الإله الحق.

ويؤكد القديس أنثاسيوس ذلك في السطور التالية:

"لو لم يكن الجسد الذي لبسه الكلمة جسداً بشرياً، ما كنا قد تحررنا من الخطيئة واللعنة ..
هكذا لم يكن الإنسان يؤله لو لم يكن الكلمة الذي صار جسداً هو ابن طبعي حقيقي
وذاقي للآب، لهذا صار الاتحاد هكذا: أن يتحد ما هو بشري بالطبيعة بهذا الذي له طبيعة
إلهية، ويصير خلاص الإنسان وتألهه مؤكداً" (٢: ٧٠).
"لأن ألوهية الرب هي التي تهب لنا "التبني والحرية" (٢: ٧٢).

تأله ناسوت الرب هو الذي جعلنا مشابهين له:

يقول أنثاسيوس العظيم:

"وحيد الجنس عندما صار إنساناً، صار له مماثلون (من البشر) وهم الذين لبس جسدهم
المماثل لجسده. وتبعاً لذلك، فإنه قد تأسس (أمثال ٨: ٢٢) بحسب بشريته، لكي يمكننا
نحن أيضاً أن نُبنى فوقه كحجارة كريمة ونصير هيكلاً للروح القدس الساكن فينا، وكما أنه هو
أساسٌ حقاً، فنكون نحن الحجارة التي تُبنى عليه، وأيضاً يكون هو الكرمة ونصير نحن
أغصانه، ليس بحسب جوهر اللاهوت -لأن هذا مستحيل حقاً- بل بحسب بشريته، لأن
الأغصان، يلزم أن تكون مشابهة للكرمة حيث أننا نحن مشابهون له بحسب الجسد" (٢: ٧٤).

هذه المشابهة هي أن نظل غير مائتين وغير قابلين للفساد (٢: ٧٤)، وهو ما
يؤكدده رسول الرب أيضاً في (أفسس ١: ١-٥): إن اختيارنا قد تم في المسيح
"قبل خلق (تأسيس) العالم"، وذلك حسب القصد والنعمة التي أعطيت لنا في
ربنا يسوع المسيح قبل الأزمنة الأزلية التي أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع
المسيح الذي أبطل الموت وأثار الحياة (٢ تيمو ٨: ١٠). فالنعمة التي وصفها
المطران بأنها إرادة، وأن الإرادة مخلوقة هي سقطة كبيرة جداً.

وكان أنثاسيوس قد رأى ما سوف يُقال في أيامنا فكتب:

"كيف اختارنا قبل أن نُخلق؟

كيف سبق فعيننا للتبني قبل أن يخلق البشر؟
كيف أضاف الرسول قائلاً: "لننا نصيباً معينين سابقاً؟
كيف حصلنا على النعمة قبل الأزمنة الأزلية، بينما لم نكن قد خلقنا
بعد؛ لأننا خلقنا في الزمان؟

والإجابة هي أن: "النعمة التي وصلت إلينا كانت مودعة في المسيح" (٢: ٧٦).
وأيضاً كل هذا: التبني والنعمة والنصيب قد تم تأسيسه (في الرب الذي هو كائن
منذ الأزل والذي به قد خلقت العالمين لكي نستطيع أن نرث نحن أيضاً الحياة
الأبدية لأنها كانت فيه" (٢: ٧٧).

ميراثنا يتبدد إذا كانت النعمة مخلوقة والإرادة مخلوقة؛ لأن مصدرها هو
مخلوق. وهكذا شرح أناسيوس التديير: الخلق والخلاص هما معاً عمل واحد ربّه
الله:

"المهندس الحكيم يريد أن يبني منزلاً
يخطط في نفس الوقت كيف يمكن تجديده مرة أخرى لو أصابه دمار
هو يعد ذلك عندما يضع الخطة .. ويكون استعداد مسبق للتجديد قبل بناء
المنزل" (٢: ٧٧).
ويطبق أناسيوس المثال على تدبير الله في الابن:

"تجديد خلاصنا قد تأسس في المسيح قبل (خلقنا) لكي يمكن إعادة خلقنا من جديد فيه،
فالإرادة والتخطيط قد أعدا منذ الأزل، أمّا العمل فقد تحقق عندما استدعت الحاجة وجاء
المخلص إلى العالم، لأن الرب نفسه سيكون في السماء لأجلنا أجمعين، وسيجمعنا معه إلى
الحياة الأبدية" (٢: ٧٧).

لذلك لا تعليق، فالشرح يكفي.

"التأله" هو مماثلة البشر للابن المتجسد:

التشبه برحمة الله الآب مستحيل، لماذا؟ يقول أثناسيوس: "مستحيل علينا نحن المخلوقين الذين خُلقنا من العدم أن نصير مثل الآب" (ضد الأريوسيين ٣ : ١٩). نحن مثل الابن المتجسد، "لكن ليس مثله بالطبيعة وبالحق (الولادة من جوهر الآب أزلياً)، بل بحسب النعمة التي دُعينا إليها. ورغم أننا بشر من الأرض، مع ذلك نصير آلهة، ليس مثل الإله الحقيقي أو كلمته، بل كما قد سُرَّ الله الذي وهبنا هذه النعمة، هكذا أيضاً نصير رحماء مثل الله، لا بأن نصير مساويين لله (في الجوهر) ولا بأن نصير صانعي الخيرات (لأن هذا من طبعنا) بالطبيعة والحق، لأن عمل الخير في ذاته ليس من ذواتنا، بل هو من الله؛ لأنه يوزَّع على الآخرين الخيرات التي وهبت لنا من الله بالنعمة" (ضد أريوس ٣ : ١٩).

الشرح واضح. المماثلة لا تسمح بأن نكون مثل جوهر الله، بل بالحياة حسب النعمة، نحن (بالمسيح) نصير أبناء بالتبني وبالنعمة، مشتركين في روحه .. (المرجع السابق ٣ : ١٩). هو عودتنا إلى الوحدة، فالابن مثل الاب، ولكن لسنا مثل الآب، ولسنا آلهة مثل الابن" (المرجع السابق ٣ : ٢٠). العلاقة الجوهرية لا يمكن أن تكون مثل علاقتنا نحن بالآب؛ لأن الابن من ذات جوهر الآب، أما نحن فلا وجود لنا بدون تجسد الابن (المرجع السابق ٣ : ٢١).

ويؤكد القديس أثناسيوس بعد ذلك أن الابن والآب واحد بالطبيعة، وأن ما طلبه في (إنجيل يوحنا ١٧ : ٢٣) هو أن يكون الابن فينا؛ لأنه لبس جسدنا (٣ : ٢٢) فهو فينا "بسبب الجسد ومنك (أيها الآب) يتحقق خلاص البشر فيّ، لذلك أسأل أن يصيروا هم أيضاً واحداً بسبب الجسد الذي فيّ، وبحسب كماله، لكي يصيروا هم أيضاً كاملين، إذ يكون لهم وحدة مع الجسد، ولأنهم صاروا واحداً في هذا الجسد .." (المرجع السابق ٣ : ٢٢). الذي جعل شركتنا حقيقة، هو تجسد

الابن، بل يؤكد أناسيوس: "لن نصير مثل الابن، ولن نكون مساويين له، لأن الابن ونحن موضوعان متوازنان" (المرجع السابق ٣: ٢٣). التوازي الذي يقصده هنا القديس أناسيوس هو كمال إنسانية المسيح والبقاء في الحياة الأبدية؛ لأن الفداء من الخطية هو تأله الإنسان (المرجع السابق ٣: ٢٣) وهو أننا نصبح "حاملين الله" (المرجع السابق ٣: ٢٣) وهذا يعني أننا بالتجسد وبنعمة الروح الذي اعطى لنا نصير نحن فيه وهو فينا .. هكذا يكون الله فينا" (المرجع السابق ٣: ٢٤).

نحن في الآب بطريقة أخرى (٣: ٢٤)، ليست لأننا "نصير مثل الكلمة أبداً، ولا الكلمة سيصير مثلنا" (٣: ٢٤)، ولكن عندما نصير بالروح القدس في الابن، ولأن الروح كائن في الله بينما نحن لسنا كذلك، ولكن الكلمة جاء وتجسد وجعلنا أبناء وسكن فينا، فصرنا في الآب بواسطة الكلمة وبواسطة عطية الروح القدس لنا عند ذلك يمكن أن نقول "إننا صرنا أبناء وآلهة" (٣: ٢٥).

التأله ليس قدرة إنسانية، ولا هو استيلاء على الله، ولكن عندما جاء الابن إلينا متجسداً وحمل ضعفات الإنسان لكي يلاشيها وتألم ومات وقام (٣: ٣١)، وكل هذه الأعمال تمت في الجسد "جسد ذاك الذي له الانتصار والغلبة" (٣: ٣١) على كل ضعفات الجسد. هذه الأمور هي أعمال الكلمة الإلهية والتي تؤكد ألوهيته من شفاء المرضى وإقامة الموتى. وقيل الكلمة هذه لكي يشفي الإنسان، ولكي يؤله الإنسان "لو كانت أعمال ألوهية الكلمة لم تحدث بالجسد، لما كان الإنسان قد تأله، وظلّت الخطية وظلّ الفساد باقيا في الإنسان" (٣: ٣٣). ويقدم القديس أناسيوس نموذجي أرميا ويوحنا المعمدان، هذين قد تقدسا وتطهرا من كل خطية .. ومع ذلك .. ظلّ البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرضين للأوجاع" (٣: ٣٣)، أما وقد جاء الكلمة وتجسد "وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصة به، فلم تعد تلك الأمور (الفساد والموت) تستعبد الجسد بسبب الكلمة الذي جاء في الجسد، فقد انهزمت الأوجاع بواسطته .. بل قاموا بقوة الكلمة وصاروا غير مائتين وغير فاسدين" (٣: ٣٣).

التأله هو بدايتنا الجديدة في المسيح:

جاء الرب لكي ينقل بدايتنا من آدم إلى كيانه الإلهي المتجسد، تجسد "لكي ينقل بداية تكويننا إلى نفسه، ولكي لا نرجع فيما بعد كمجرد تراب إلى تراب، ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحْمَل إلى السماء بواسطته .. لأننا لم نعد نموت حسب بدايتنا الأولى في آدم، بل لأن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبْطِلَتْ بسبب ذاك الذي هو كائنٌ فينا، والذي قد صار لعنةً لأجلنا، وكما أننا نحن جميعاً من الأرض وفي آدم نموت، هكذا نحن إذ نُولد من فوق من الماء والروح، فإننا في المسيح سُحِّيا جميعاً، فلا يعود الجسد فيما بعد أرضياً، بل يصير إلهياً كالكلمة، وذلك بسبب الله الذي لأجلنا صار جسداً" (٣: ٣٣).

وفي الرسالة إلى أدلفوس الفقرة ٤ يشرح الإيمان، هكذا:

"إذا كان الله قد أرسل ابنه مولوداً من امرأة، فهذه الحقيقة لا تسبب لنا حرجاً، بل على العكس، تبعث فينا المجد بسبب عِظَم النعمة؛ لأنه تأنس لكي يؤلِّمنا في ذاته، وولد من امرأة عذراء لكي ينقل إلى كيانه جنسنا العاصي، ولكي نصبح جنساً مقدساً وشركاء الطبيعة الإلهية .. كما قال بطرس المبارك (٢ بط ١: ٤). هذه هي مماثلة جسد الكلمة، وهي ليست فكرة، بل هي ما يحدث في سر المعمودية (راجع أيضاً ضد الأريوسيين ٣: ٣٣)، وأساس ذلك هو تجسد ابن الله، وانتقال أصل الإنسان من آدم إلى المسيح^(١).

(١) عندما قال الأب متى المسكين إن "بيت لحم هو مسقط رأس الانسانية المفتداة"، فإن القصد ظاهر، وهو ما نراه هنا عند القديس أثناسيوس، وهو ما تعبر عنه ثيوطوكية الاثنين: "السلام لبيت لحم مدينة الأنبياء التي وُلِدَ فيها المسيح آدم الثاني. لكي يرد آدم الإنسان الأول الترابي إلى الفردوس ويحل قضية الموت ..". هنا نسمع صوت أثناسيوس نفسه، وهنا نسمع نفس تعليم الكنيسة يقال في قصيدة البشارة لما إفرام (قصيدة رقم ٢٥) وكلمات رسول الرب في (أفسس ٥: ٢٢-٢٣) عن الرجل والمرأة وعن الزواج لا عن ميلاد الرب بالجسد، ولا يجب أن نخلط بين بدء الخلقة الجديدة، وبين تكوين الكنيسة واتحادها بالرب، رغم تداخل الصورتين: صورة البدء في آدم الثاني، وصورة اتحاد الكنيسة بالرب، وهو الاتحاد الذي بدأ في بيت لحم وعُتِبَ مواعن الخطية - الموت - الدينونة، إلى الحرية والحياة والقيامة.

الفكرة اليهودية، هي ذات الفكرة الأريوسية التي تهدم أساس الكنيسة:

في الفقرة ٣٩ من المقالة الثالثة ضد الأريوسيين يدافع أثناسيوس عن ألوهية الرب يسوع مؤكداً أن زعم الأريوسيين بأن الكلمة كان يحتاج ويجهل، يعني أن البشر "كانوا سيظلون كما كانوا عرايا وتعساء ومائتين" (٣: ٣٩)، ولكن الجسد هو الذي نال رفعةً، وليس الكلمة، فقد جاء الكلمة بيننا لكي يفدي البشر ويؤهلهم" (٣: ٣٩)، ذلك هو الذي جعل البشر "شركاء للطبيعة الإلهية" (٣: ٤٠). والنعمة والقوة ليست من الجسد، بل هي خاصة بالكلمة (٣: ٤١).

ولم يكن اتهامنا لهؤلاء بالردة عن الأرثوذكسية المسيحية غريباً. فمحاولة الرد على تأمل الأب متى المسكين عن "مسقط رأس البشرية المفتداة" والتهكم بأننا لم نولد من العذراء، والذي امتد بصورة أخرى إلى نص (أفسس ٥: ٢٢-٢٣)، تكشف عن مقدار الجهل بالتدبير الإلهي المستعلن في ربنا يسوع المسيح، والذي وُهب لنا بالروح القدس. لأن الأمر لو كان كذلك، لكان قولنا: "السلام لك يا بيت لحم مدينة الأنبياء التي ولد فيها آدم الثاني" قولاً عابثاً، في حين أن بيت لحم (بيت القربان) له مكانه الثابت في طبوغرافية كل كنيسة، وقد أضافت نفس الطبوغرافية، الأردن (جرن المعمودية)؛ لأن أحداث واستعلانات الخلاص قد نُقلت الآن إلى جماعة الرب الكنيسة، حيث يسكن الثالوث في وسط الجماعة.

الجسد خلع الموت وتأله:

وفي نفس المقالة (٣: ٤٨) في الرد على الأريوسيين الذين قالوا إن الرب لا يعرف اليوم ولا الساعة، يشرح أثناسيوس ما دُكر في انجيل مرقس (١٣: ٣٢): "من جهة اليوم والساعة، فهو لم يُرد أن يقول "أعرف" بحسب طبيعته الإلهية، ولا "أعرف" بحسب الجسد، وذلك بسبب الجسد الذي كان يجهل - كما قلت سابقاً، لغلا يسأله (التلاميذ أكثر)، وعندئذ إما أن يحزن التلاميذ بعدم إجابته لهم، أو أن يخبرهم بما هو غير نافع لهم وغير نافع لنا نحن، لأن كل ما يعمل، إنما

يعمله لأجلنا؛ لأن الكلمة صار جسداً لأجلنا. أيضاً "صعد إلى السماء كإنسان ورفَعَ الله إلى السماء الجسد الذي لبسه .. لأن الجسد عندئذ كان قد قام وخلع عنه الموت وتأله".

الابنُ كاملٌ في الآب (٣: ٥٢)، ولكنه "تخلّى (أنقص) نفسه لأجلنا، لكي بتواضعه نستطيع نحن أن نتقدم وننمو"، ذلك التقدم هو تألهُ جسد الرب "التقدم ليس للكلمة كما أن الجسد لم يكن هو الحكمة، ولكن الجسد صار جسد الحكمة .. الناسوت هو الذي تقدم في الحكمة وهو الذي ارتفع فوق الطبيعة البشرية وتأله" (٣: ٥٣)، ولكن ذلك التقدم لم يكن من أجل الكلمة بل هو "للطبيعة البشرية" (٣: ٥٣).

التأله هو تحرير الجسد من الموت (٣: ٥٦)، بل الخوف من الموت قد أُبِيد وأعطى الرب لنا شجاعةً أمام الموت (٣: ٥٧). لقد نزع المخلص "خوفنا وأباد الموت .. وأعطى البشر أن لا يعودوا يخافون الموت" (٣: ٥٧).

المسيح قوة الآب:

نعود مرة ثانية إلى هذه النقطة الهامة جداً؛ لأن أعمال الكلمة في الجسد هي استعلان الابن، وأن القوة التي سوف تعطي لنا هي قوة الابن، ولكن ما هي أو بالحرى من هو؟

ويجيب أثناسيوس: "المسيح هو قوة الله، والكلمة الله" (٣: ٤٨). وحتى عن موت الرب المحيي، ذلك الموت الذي قال الرب إن له السلطان أن يضع نفسه وأن يأخذ حياته التي قدمها (يوحنا ١٠: ١٨)، يعلّق المعلّم السكندري ويقول إن هذا ليس "خاصاً بطبيعة البشر، بل بقوة الكلمة لأن الإنسان لا يموت بسلطانه الذاتي (حسب حرية الإرادة)، بل حسب (تسلط الطبيعة)، بل باضطراب الطبيعة رغم إرادته، أما الرب، فلأنه هو ذاته غير مائت، ولكن لأنه أخذ جسداً مائتاً، فله السلطان كإله أن يفصل نفسه عن جسده وأن يعيد نفسه حينما يريد (مزمور

١٦ : ١٠ س ١٥ : ١٠) (٣ : ٥٧). لقد أباد الموت وجعل جسده غير متألم وغير مائت (٣ : ٥٨). الرب هو "قوة الآب المؤلّمة والمنيرة التي بها يتم تألّه وإحياء الجميع، فلا يكون غريباً عن جوهر الآب، بل من ذات جوهره" (المجامع ٥١). وبعد، هل إرادة وقوة الآب المؤلّمة هي قوة أو إرادة مخلوقة؟ أم أن الأنبا بيشوي، وقد خضع لخمّي رفض تألّه الإنسان، فسقط في الأريوسية دون أن يدري.

هل يمكن أن يُختزل التاريخُ في شخصٍ ما؟^(١)

بدايةً، أتمنى أن أرى قاموس المصطلحات اللاهوتية الذي كانت التوصية بإيجازه، هي إحدى الثمرات الحلوة للمؤتمر الذي عقده قداسة البابا تواضروس الثاني في الخامس والعشرين من الشهر الماضي بدير الأنبا بيشوي بوادي النطرون. لأن هذا القاموس سوف يكون هو أول مشروع قبطي في العصر الحديث، لم يسبقه إلا معجم كلمات المزامير الذي أنجزه الآباء، والتي لا تزال بقاياها قابعة في المتحف البريطاني، فضلاً عن أنه سوف يعد بمثابة قاعدةٍ تستند إليها الدراسات اللاهوتية، تسهم في ضبط عملية التعليم اللاهوتي في الكنيسة القبطية وتناهى بها عن خبط العشواء والآراء الشخصية المنبئة الصلة بالتسليم الرسولي، الأمر الذي نراه قد استشرى في كنيستنا القبطية منذ ما يزيد عن أربعين سنة مضت، وقد حان زمان الكفّ عن هذا الهزل.

شعبة جديدة يدعو إليها الأنبا بيشوي مطران كفر الشيخ:

حول نيافته اجتمعت مجموعة من الذين يعلمون أبناء وبنات الكنيسة كيف يهاجمون، بل ويشتمون وينشرون الكراهية، ولو باختراع الأكاذيب. فباسم البابا شنودة الثالث يحركون عواطف الذين أحبوهم، ظانين أنه يمكنهم أن يعودوا مرةً أخرى إلى مركز الصدارة والقيادة الذي فقدوه بنيافة البابا شنودة، حتى وإن جاء ذلك على حساب الإيمان! في حين أنه لو كان الأنبا شنودة الثالث بين ظهرانينا الآن، لرفض هذه الشيعة الجديدة.

كيف يسوغ لإنسان عاقل، ولا أقول مسيحياً، أن يصف الأخوة في مركز دراسات الآباء بأنهم دعاة لاهوت غربي؟! وإذا سايرنا هذا المتقوّل على قدر

(١) مقال نُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٩، ٢٦ سبتمبر ٢٠١٦.

عقله، فأى لاهوت غربي يقصد؟ هل هو الكاثوليكي؟ أم البروتستاني بكل فروعهم؟ أم أنه الأنجليكاني الذي يعشقه الأنبا موسى حبيب أنسلم وتابعه في شرح أسباب موت الرب؟ أم لاهوت يوحنا كالفن الذي لا يريد الأنبا بيشوي أن يتخلى عنه في تعليم ينطوي على تحديفٍ ظاهرٍ، مؤداه أن الآب عاقب ابنه وصبَّ عليه جام غضبه وهو على الصليب؟!

الذين يترجمون نصوص الآباء ويضعونها بين أيدي شعب الكنيسة آملين في نهضة تأخذ الكنيسة القبطية في العصر الحديث من وهدة التعليم البروتستاني، إلى قمة التسليم الرسولي، يُوصفون -هكذا- بأنهم دعاة لاهوتٍ غربي؟! فبماذا إذن يُوصف الأنبا بيشوي وتابعيه ومن قبلهم البابا شنودة الثالث؟

التسليم الكنسي الذي يرفضه الأنبا بيشوي:

في أواخر القرن الرابع، وبعد أن انتشرت البدع بشكل أصبح يهدد وحدة الكنيسة، كتب Vincent of Lerins كتابه المشهور Commonitorium أو Commonitory أي "إحياء الذاكرة"، والعنوان هو: فحص الإيمان المسلّم إلى الكنيسة الجامعة، وفرزه من سُمّ الهرطقات. وقد أشار إلى هذا الكتاب جناديوس المؤرخ، وقد توقف الكتاب والكاتب عند بدعة نسطور، مما يدل على أنه لم يعاصر مجمع خلقيدونية.

في هذا الكتاب وضع فنسنت ثلاث علامات للتسليم الكنسي، وهي:

١- ما هو معروفٌ في كل مكان، أي في كل كنيسة Universal.

٢- ما هو قديمٌ ومسلّمٌ عبر أجيالٍ عاشت قبلنا Antiquity.

٣- ما هو مقبولٌ ومعروفٌ في كل مكان Consent.

ومن هذه المبادئ الثلاثة، وعلى أساسها انطلق في البحث في تاريخ الهرطقات؛ لأنه أراد من إحياء الذاكرة، أن يؤكد فساد وزيف الهرطقات كلها؛ وقد اكتشف فنسنت أنها جاءت نتيجة ل:

١- تفسيرٍ محلي ملتوي.

٢- شرحٍ جديدٍ احتوى على إنكار ما هو ثابت.

٣- تعليمٍ غير مقبول في كل مكان، ولا معروفٍ على مستوى الكنيسة الجامعة.

عرض جنون الشيعة الجديدة على قواعد فنسنت

إذا درسنا ما ذكره Vincent بل وما هو ثابت في وثائق التاريخ الكنسي، وطبقناه على التعليم الذي يشيعة الأنبا بيشوي وأتباعه، لظهرت الحقائق الواضحة التي لا يمكن وصفها بأنها رأي واحد من الناس، بل هي شهادة التاريخ:

١- لا يوجد تعليم عام مسكوني يفصل أقنوم الروح القدس عن المواهب. وبالتالي فإن عبارة "حلول مواهي" ليست إلا عبارة حديثة لا هدف لها إلا التستر على خطأ في التعليم.

٢- لا يوجد في ممارسات الكنيسة، أي في كل الليتورجيات الأرثوذكسية، استدعاءً لمواهب أو لقوة أو لطاقة، بل استدعاء للروح القدس، لا سيما في خدمة سر الإفخارستيا. هذا معروفٌ شرقاً وغرباً، وتشهد له القداسات، ورسائل القديس أثناسيوس إلى سراييون عن الروح القدس.

"البديلة" تعليمٌ جديد:

يعرف الذين عاصروا الدولة المصرية منذ نشأتها في العصر الحديث على يد محمد علي أن الذين كانوا لا يرغبون في تأدية الخدمة العسكرية كانوا يدفعون ما يسمى بـ "البديلة"، وهي على ما أذكر كانت ٢١ جنيهاً مصرياً فيما قبل ثورة يوليو. وبالرغم من أن الأنبا بيشوي لم يعيش هذه الفترة، إلا أنه استدعى هذه الكلمة المهجورة الآن في الثقافة المصرية، وأحيائها من جديد -في غير موضع- معبراً بها عما تصوّر هو أنه التعليم المسيحي عن تدبير الخلاص، وقد عني بها حسب ما نشره في كتيب "عقيدة الفداء والكفارة":

١- أن المسيح احتمل عقوبة خطايا البشر بديلاً عنا.

٢- أن الآب سكب غضبه عليه.

وقد عرفت مصادر اللاهوت الإنجيلي بكل فروعه، هذا التعليم باسم "البديل العقابي"، وهو التعليم الذي بدأه أنسلم، واكتمل على يد لوثر وكالفن. والفعل المشتق منه الاسم "البديل" Substitute هو فعلٌ أُضيف إلى اللغة الانجليزية من اللاتينية عبر ما يُعرف باسم Later Middle English حسب دراسة تاريخ الكلمات الإنجليزية في قاموس جامعة أوكسفورد طبعة ٢٠٠٢ ص ٤٩١-٤٩٢. وهذا المصطلح "البديل العقابي" يعني أن المسيح له المجد قد حلَّ محل الخطاة. وقد تناول أساتذة لاهوت حركة الإصلاح هذا التعليم بالشرح على مر السنوات الـ ٥٠ الماضية، فرفضه بعضهم، بينما تمسك به البعض.

وقد صلنا هذا التعليم في مصر عن طريق كتاب "اللاهوت النظامي"، وهو كتاب التعليم الخاص بالكنيسة الإنجيلية المصرية، كما وصلنا عن طريق تفاسير ماكننوش ومتى هنري، وهي الكتب التي تربى عليها جيلٌ من أقباط الأربعينات.

الأخطاء الظاهرة فيما يسمى بـ "البديلة":

١- لم يفهم هذا التعليم أن الابن هو خالق البشر وليس مجرد إله آخر جاء لكي يرضي الآب، بل الآب هو الذي أرسله لأنه أحب الخطاة (يوحنا ٣: ١٦).

٢- لم يؤكد هذا التعليم علاقة موت المسيح على الصليب، والذي اعتبره عقوبة، بتجديد الإنسان الخاطئ، وبهذا تفصل "البديلة" موت الرب عن سر المعمودية الذي فيه يجوز المعمد الصلب والدفن والموت والقيامة مع المسيح (رو ٦: ١-٨).

وبالتالي تنثور عدة تساؤلات:

أ- أين ما يسميه الأنبا بيشوي بـ "البديلة" من قول رسول المسيح: "مع المسيح صُلبت"؟ وكيف يتفق تعبير "البديلة" مع حياة "لباس الصليب"، الذين تغلغل الصليب في كيانه؟ ولماذا تسميهم الكنيسة "لباس الصليب" إذا كان

المسيح صُلب "بدلاً"؟

ب- لماذا نعترف نحن بشركتنا في موت الرب وقيامته وصعوده إلى السموات، في كل مرة نتناول فيها الإفخارستيا في القداسات، ما دام هناك بديل؟

ج- وإذا كان الصليب بدلاً أو ثمناً دُفع، فكيف نرشم الصليب باسم الثالوث، وهي صيغة التعميد على قربانة الإفخارستيا التي يتوسطها صليب كبير "الإسباديقون" يجمع حوله اثنا عشر صليباً هم جماعة الرسل؟

اختزال التاريخ، والعودة إلى فنسنت Vincent:

إذا أردنا أن نتحقق من مدى صحة واتفاق التعليم بالبدلية، وهو تعليم الأنبا بيشوي الخاص، كما سبق وأوضحنا، مع التسليم الرسولي، فعلينا أن نختكم إلى تلك القواعد التي صاغها فنسنت، وأن نعرض هذا التعليم لضوء التاريخ الكنسي، وبالتالي علينا أن نسأل:

أولاً: هل عرفت الكنائس الأرثوذكسية فكرة "البديل العقابي" قبل عصر الأنبا بيشوي؟ هل هذا معروفٌ عند الروم والسريان والأرمن؟ أبداً.

ثانياً: هل هذا التعليم له شهادة من التاريخ القديم عند الآباء اثناسيوس وكيرلس الكبير؟ أبداً.

ثالثاً: هل ورد هذا التعليم قبل ميمر العبد المملوك الذي لا زال يُقرأ حتى الآن في المهجر، وكان يُقرأ في دير السريان إلى عهد قريب بالرغم من منع البابا شنودة لقراءته؟ هل انشق الثالوث إلى رحيم وعادل، فاختص الآب محب البشر بوصف "العادل"، واختص الابن بوصف "الرحيم"، وبذلك يكون تدبير الخلاص عبارة عن صراعٍ بين الآب والابن!!!

هل يصح لنا أن نعتبر عوض سمعان وماكتنوش وسبرجن وغيرهم من أقطاب النهضة الإنجيلية في القرن التاسع عشر، أنهم آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، بينما يصبح أبونا ساروفيم البراموسي، وأبونا اثناسيوس المقاري، والأنبا أنجيلوس

وباقى ال ١٩ اسماً الموضوعين على قوائم أنبا بيشوي بغرض الشتم والتشهير،
بروتستانت؟

هل يصح أن نعتبر الأنبا بيشوي واتباعه الغارقين في زبالة النهضة الإنجيلية هم
المعبرون عن الأرثوذكسية، فيما يوصف الأرثوذكس الحقيقيون بالبروتستانت؟
إنه حقاً زمنٌ عجيب.

مرة ثانية: "لأجلنا وعنا"

بين (بدلية) الأنبا بيشوي، والتسليم الكنسي

أمانة التسليم الكنسي

في معرض الدفاع المستميت عن تعليم العصر الوسيط الذي يتوهمون أنه التعليم الأرثوذكسي، واستمراراً للحملات المأجورة التي يقف خلفها بعض أساقفة كنيستنا القبطية، يتهمني البعض ممن يزعمون -زوراً وبهتاناً- أنهم حماة الإيمان، بأنني أنا جورج حبيب بياوي، أهاجم الكنيسة، وأني أقوم بمحاولات مستميتة لتشويه تعليم الكنيسة الأرثوذكسية، وإهانة الكنيسة وتعليمها واتهامها بالابتعاد عن تعليم الآباء والقرون الأولى. وهو اتهامٌ عجيب لا هدف له إلا حشد الرعاع والدهماء^(١) وراء من يدمرون التعليم الرسولي ويسعون إلى خلق جيل من العبيد لا يمكنهم تمييز الحق من الباطل، فقط لأن الأنبا فلان قال كذا أو كذا. ولعل القارئ يلاحظ أن الاتهام جاء من العمومية بحيث يكشف عن خلل بيّن في ذهنية هؤلاء المدعين. فأنا -من وجهة نظرهم- أهاجم الكنيسة! أية كنيسة؟ الكنيسة الأرثوذكسية! هكذا سحب هذا البعض نقدي الموجه للتعليم الذي يشيعه الأنبا شنودة والأنبا بيشوي في الكنيسة القبطية عن تدبير الفداء والخلاص، ليشمل الكنيسة الأرثوذكسية، وكأن الكنائس الأرثوذكسية في كل العالم تعلّم بما يعلم به الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، وهو وهمٌ يثبته واقع التعليم في الكنائس الأرثوذكسية في العالم كله إلا في كنيستنا القبطية.

وقد جاء هذا الاتهام الباطل على خلفية مقالنا الأول عن استحالة اختزال

(١) عائلَةُ الناس وشَوّادهم (الذين لا وعي لهم).

التاريخ في شخص أو في حقبة، وكانت النقطة التي انطلقنا منها هي أن الذين أشاعوا تعليم العصر الوسيط في الكنيسة القبطية متوهمين أنه التعليم الرسولي، إنما انساقوا وراء هذا الوهم لأنهم لم يدرسوا التاريخ، لا تاريخ الكنيسة القبطية، حتى في العصر الحديث، ولا التاريخ الكنسي بشكل عام، وبالتالي فقدوا الصلة تماماً بالتسليم الرسولي. ذلك لأن التاريخ هو أحد عناصر الأرثوذكسية، فلا أرثوذكسية بدون تاريخ، وبالتالي ليس من حق أي أحد أن يدعي الأرثوذكسية إذا لم يستند إلى ما تراكم عبر السنين من خبرة روحية توجت هامة الكنيسة وظهرت في الزخم الليتورجي المتنامي والمتنوع، وفي قرارات المجامع محلية كانت أو مسكونية، وفي كتابات الآباء المعترين أعمدة في الكنيسة جغرافياً أو تاريخياً.

ومن هنا، فإن كنت لم تدرس التاريخ، فأنت لا تكتب إلا من أجل كسب الأصوات، وحشد من لا وعي لهم بما ينتمون إليه، وبالتالي لا يشكل ما تقوله أنت أو ما يقوله غيرك لديهم أي فرق. فقط لن تجنِ إلا نشر الكراهية دفاعاً عن قيادات دخلت الكهنوت في غفلة من الزمن والوعي، استطاعت أن تحول خدمة الكهنوت إلى سيطرة وهيمنة واستبداد، ظهر أقل ما ظهر في أن كل ما يقولونه هو الحق، فقط لأنهم هم من قالوه بغض النظر عن أي شيء آخر. ولذلك كان سهلاً عليهم أن ينشروا ما شاءوا من فتاوى، وأن يصدر ما يشفي صدورهم من قرارات بالحرمان لا تهدف إلا إلى حماية مكاسبهم وزعامتهم السياسية في زمن غيَّبوا فيه عمداً مع سبق الإصرار، القيادات العلمانية التي كانت تتصدر الحياة القبطية فضاقوا بهم ذرعاً، فنحوهم جانباً لصالح قيادات كهنوتية تجهل التاريخ وتجهل أيضاً التسليم الرسولي.

تلك حقبة دامت أربعين عاماً سبقها استبعاد المجلس الملي العام، والقضاء على العلماء الذين أسسوا معهد الدراسات القبطية مثل سامي جبرة ومراد كامل، وغيرهم، وحرقوا أرض مدرسة اللاهوت الوحيدة (الكلية الإكليريكية) التي كان يقوم عليها حتى عام ١٩٦٥ اساتذة أجلاء بلغ عددهم ٢١ مدرساً كان بعضهم من أساتذة الجامعات مثل زاهر رياض وغيره، فأقصوهم واحداً وراء واحدٍ وحرصوا

على عدم إتاحة الفرصة لجيل جديد يخلف هؤلاء الرواد لصالحهم هم، فأصبح من يتولى قسم اللاهوت فيها من لم يدرس اللاهوت بالمرّة، بل وبلغت به الجرأة أن يمنح شهادات دكتوراه لا ترقى حتى إلى مستوى الدبلوم في أية جامعة تحترم العلم وتعترف بها الأوساط العلمية العالمية.

وتمكنوا من خلق رأي عام لا يعرف إلا العمامة والميكروفون وإنفاق المال على الجهلة والمأجورين الذين لا يجيدون إلا الشتائم والقدح. ولو حاولنا تتبع الآلية التي يعتمد عليها هؤلاء المدّعون، لوجدنا أنفسنا أمام ذات آلية حروب الجيل الرابع التي جاءت مع شبكة المعلومات الدولية، وتعتمد ذات عناصرها:

١ - خلق اتهام عام يمس المشاعر بلا دليل، ولكنه يهدف إلى إقصاء شخص معين أو جماعة معيّنة على أساس أن هذا الشخص أو تلك الجماعة تدفع حركة التحديث والاستنارة بالعودة إلى تراث الكنيسة القبطية الذي لا يعرفه هؤلاء الغوغاء.

٢ - إثارة الشك ومحاولة إيهام عامة الشعب بأن هناك خطراً محدقاً بالكنيسة القبطية يجب توحيد كافة الجهود ضده.

٣ - اختيار المفردات التي تؤكد الكذبة الأولى والاتهام العام، كأن يقال عن شخص ما إنه بروتستانتي، أو خلقيدوني إلخ لمجرد إيهام عامة الشعب بأنه يخالف إيمان الكنيسة.

والتابع هؤلاء المدعين يرى أنه لم يفلت من هذه الاتهامات من هم أبعد من أن يوصفوا بهذه الصفات، أو تلتصق بهم تلك التهم: مركز دراسات الآباء - كاتب هذه السطور - دير الأنبا مقار ورهبانه - الأب متى المسكين المؤسس الحقيقي للنهضة القبطية في العصر الحديث، والصوت الصارخ في برية الجهل بالعودة إلى عناصر التسليم الكنيسي، الكتاب المقدس والآباء والليتورجية والتاريخ، وغيرهم من الأحرار أصحاب الوعي بحقيقة التسليم الرسولي.

تلك نظرة سريعة موجزة لما حدث وما يحدث لدينا من تجاوزات تغمر بعض المواقع والصفحات القبطية والتي يتوهم أصحابها أنهم حماة الإيمان. وقد أردنا بهذه النظرة أن نمهد لمتحivصنا لما اهتمنا به هذه الصفحات تعليقاً على مقالنا الذي أشرنا إليه سابقاً والذي تناولنا فيه ما أسماه الأنبا بيشوي بـ "البدليه"، وهو يقصد بها نظرية "البديل العقابي"، فأصبح التعبير خاصاً به في دلالة على تعليم العصر الوسيط.

ويذكرني ما ساقه أصحاب هذا الاتهام من نصوص في معرض دفاعهم عن التعليم الخاص بالأنبا بيشوي، بالنكته القديمة التي كانت تقال عن ذلك القروي الساذج الذي بخرته أضواء المدينة حتى ظن أن كل شيء أحمر هو صندوق البوسطة. فكلما وجد هؤلاء نصاً -سواء في الكتاب المقدس، أو عند الآباء- يتضمن كلمة "عنا"، أو كلمة "لأجلنا"، يتوهمون أنهم وجدوا ضالتهم التي تؤيدهم، فيصيحون في جهل: ها هم الآباء يقولون ما يقوله الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، فلماذا تتهموهمما بغير الأرثوذكسية؟

والحقيقة أنه سبق لنا أن كتبنا أن المسألة ليست في رصّ نصوصٍ أياً كانت، أو التعلق بمفرادات بغض النظر عن معناها في لغتها الأصلية أو في سياقها المعرفي، وإلا نكرر نكته القروي الساذج. وبالرغم من أنه سبق لنا أن نشرنا دراستنا التي تزيد صفحاتها عن ٧٥٠ صفحة بعنوان: "موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء"، مطبوعة بالقاهرة في مارس ٢٠٠٩، وعلى موقع الدراسات القبطية، وتعرضنا فيها للتسليم الرسولي لموت المسيح على الصليب، وبالرغم من أن هذه الدراسة قد احتوت على فصلٍ كاملٍ بعنوان: "الإيمان المسيحي بين فقه اللغة والتسليم الآبائي"، تناولنا في المبحث الأول منه تحديداً التسليم الكنسي عن موت المسيح عنا أو لأجلنا، تحت عنوان "لأجلنا وعنا، وقضية الإعراب وفقه اللغة"، ورغم أن ما كتبناه في هذه الدراسة كافٍ ليقطع دابر أي خلاف، إلا أنه من الواضح أنهم لا يقرأون، ولا يبذلون أيَّ جهدٍ في سبيل أن يكونوا أمناء مع أنفسهم ومع كنيستهم في قضية التعليم. ولكننا وبالرغم من ذلك، بل ومن أجل

ذلك تحديداً، فإننا لن نكل ولن نمل من تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقنا بشأن شرح وتوضيح التسليم الرسولي في هذا الخصوص، وسوف نعتبر أي اتهام يوجه لنا بمثابة دعوة للمزيد من الشرح والتوضيح، دون الوقوف لكثير أو قليل عند الاتهامات والشتائم. ونسبق فنؤكد أن التعليم بـ "البديلة" على أنه التعليم الأرثوذكسي، إنما هو عارٌ وتجديف.

"عنا"، و"لأجلنا":

يظن هؤلاء أن العهد الجديد كُتب باللغة العربية، وأن الآباء كتبوا بذات اللغة. ويظن هؤلاء أيضاً أن الترجمة من اللغة الإنجليزية وحدها، هي نصٌ إلهي موحى به من الروح القدس مثل ترجمة فان ديك، التي أُعيد ترجمتها أخيراً ونُشرت باسم الترجمة الموحدة، والتي تم تجنب بعض الأخطاء التي وقع فيها فان ديك وتركت الباقي؛ لأن بعض الكلمات العربية في ترجمة فان ديك تُخدم الفكر السائد، بينما هي لا تعبر عن العهد الجديد نفسه. تلك هي الكلمات التي خلّفتها حركة النهضة الإنجيلية التي جاءت بفكرة معاقبة الآب للابن على الصليب، وهو جوهر ما يندرج تحت اسم "البديلة" بحسب تعبير الأنبا بيشوي.

وقبل أن تدفع العواطف بعض هؤلاء، فينخرطون في سيلٍ من الشتائم والاتهامات، نلفت نظرهم إلى أنه يجب ملاحظة أن الاسم نفسه "البديل – البديلة" لا وجود له حتى في العهد الجديد المترجم إلى اللغة العربية، ولكن الوعاظ استخدموا كلاً من حربي الجر في اليونانية δια والآخر υπερ ويعني "عنا أو لأجلنا" على أنه يعني "البديل". ولذلك، وجب علينا تقديم مسح شامل للعهد الجديد نفسه حسب الأصل في المواضع التي تشتمل على حربي الجر هذين، ومقارنة الأصل اليوناني بالترجمة العربية مع ملاحظة الاختلافات التي تراها بين العربية والإنجليزية، وتقديم بعض أمثلة على ذلك.

من أجل δια:

- (١ كور ٨ : ١١) حسب ترجمة فان ديك: "الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله"، فالنص حسب الترجمة الانجليزية "for whom Christ died" وهي ذات الترجمة الحرفية "δί ὃν χριστός ἀπέθανεν"، فمن أجلي ولأجل كل الشائعين مات المسيح لكي لا نشتم ونكذب. وهنا حرف الجر "δί" لا يعني "البديل"، بل سبب الاهتمام بالأخ الضعيف الذي قدّم المسيح حياته لأجله، فالمسيح قدّم حياته للخطاة، وهو أحد جوانب موت الرب وسوف نعود إليها فيما بعد.

- (٢ كو ٨ : ٩) حسب ترجمة فان ديك: "إنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره". عندما افتقر الرب، أي صار في صورة العبد؛ صرنا نحن أغنياء. هنا ليس للبديل مكان، بل "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"؛ لأن الغنى الذي جاء بفقر الابن هو الحياة الأبدية والقيامة من الأموات، ليس لأنه حلّ محلنا كما شاع، بل لأنه "لأجلنا" جاء بهذا التغيير.

- (رو ٤ : ٢٥) حسب ترجمة فان ديك: "الذي أُسليم من أجل خطايانا .."، هنا أيضاً لم يكن الرب بديلاً للخطية ولا حتى للخطاة، بل بسبب الخطايا، ثم بقية النص: "أقيم من أجل تبريرنا"؛ لأنه العمل الواحد للرب الواحد أن يبيد الموت ويمنح القيامة.

- (متى ٥ : ٤٤) "صلوا لأجل" Pray for وعندما نصلي "لأجل الذي يسيئون إلينا"، فنحن لسنا البديل، بل لأن إلزام المحبة يجعلنا نطلب لهم ولنا ذات ما نطلبه لأنفسنا: "اغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضاً"

لأجل أو عن υπέρ:

وهو أكثر استعمالاً في العهد الجديد، وهو يؤكد تنوع عمل الرب يسوع، فهو ليس الموت وحده، بل والقيامة أيضاً. والقيامة هي التي أطاحت بفكرة البديل؛

لأن من مات كبديل لا قيامة له، بل يجب أن يبقى في قبضة الموت إلى الأبد، وهو ما لم يحدث للرب يسوع. ونقدم بعض أمثلة لاستعمال هذا الحرف دون أن يعني "البديل":

- (مرقس ١٤ : ٢٤) كان الرب يمسك بالخبز والكأس وقال فيما يختص بالكأس بالذات: "هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين"، وقدم دمه للتلاميذ. هنا لم يكن دم الرب بديلاً، بل من أجلنا. وهو ما نردده في كل قداس؛ لأننا نعرف أنه قدم حياته وجسده ودمه "من أجل العالم" (يوحنا ٦ : ٥١).

- (قال يسوع هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله) (يوحنا ١١ : ٤)، فهل كان المرض هنا بديلاً؟ طبعاً لا، وإنما كان سبب استعلان مجد الله. وفي موضع آخر قال رئيس كهنة اليهود: "إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها" (يوحنا ١١ : ٥٠)، وقال الإنجيلي عنه إنه "تنبأ أن يسوع مزعم أن يموت .. ليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (١١ : ٥١)، فلم يأت الرب لكي يموت عنا أو لأجلنا ثم ينتهي عند الموت، بل مات لكي يجمع، وجاء لكي يُحيي؛ لأنه هو القيامة والحياة.

- ولأن ذات حرف الجر لا يعني البديل يقول بولس: "لماذا يفترى عليّ لأجل ما أشكر عليه" (١ كو ١٠ : ٣٠)

ὕπέρ σου εὐχαριστῶ

For which I give thanks.

- التعليم الرسولي في (١ كو ١٥ : ٣): "أنني سلمت اليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب - Christ died for our sins". أي مات بسبب خطايانا، ولا يمكن أن يستقيم المعنى في المجال الذي يقدمه العهد الجديد، وهو أن الرب ليس بديلاً، وإلا فقد كان يجب أن يكتب رسول رب المجد أن "المسيح مات بديلاً عن الخطاة"، ولكن عن خطايانا، أو

لأجل خطايانا لا تغيّر المعنى الحقيقي لما فعله الرب لأجلنا وهو:

١- أنه ليس بديلاً عن خطايانا.

٢- ولم يدفع ثمن خطايانا.

فكلاهما غائب عن العهد الجديد، وإنما يعودان إلى العصر الوسيط الأوروبي.

لقد افترضنا "بالدم الكريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح" (١ بط ١: ١٩). والحمل المقصود هنا هو حمل الفصح الذي لم يقدم من أجل خطايانا، بل لكي يبدد الموت كما حدث في الخروج من أرض مصر، ثم بعد هذه العبارة يؤكد رسول الرب: "معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكنه قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (١ بط ١: ٢)، ذلك لأن التدبير سبق خلق الإنسان، وهو بنص صريح قاطع عند بولس رسول المسيح وهو ينشد:

- مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح

الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح.

كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة؛

إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرته

لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب

الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا

حسب غنى نعمته .. (أفسس ١: ٣-٦).

وهنا أدعو جميع المدّعين -زوراً وبهتاناً- أنهم حماة الإيمان أن يلاحظوا أن التدبير:

١- قبل خلق آدم وحواء، بل قبل خلق الكون.

٢- تم اختيارنا في المسيح، ليس بعمل خارجي يقدمه الابن للآب، بل بإرادة أزلية أظهرت في الزمان.

٣- لكي يكون لنا فيه، أي في يسوع، غفران الخطايا بدمه.

٤ - قبل ان يخطئ آدم وحواء، لمدح مجد نعمته، عيننا للتبني.

هل يجب أن يُطمس كل هذا لكي نظل ندور حول محورية ومركزية الخطية،
ولكي تدور عجلة السلطان الكهنوتي بالحل والربط؟!!!

"عنا" أو "لأجلنا" حسب الأصل اليوناني للعهد الجديد

يقول الرسول: "طلبتني إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص" (رو ١٠ : ١).
هنا ليست الطلبة "بديلاً"، وإنما هي تجيء بمعنى التوسل مثلما نصليه في الأواشي
في الكنيسة: "صلوا من أجل سلامة الواحدة". فاستخدام "لأجل" في حالة
الأواشي هي طلب استمرار نعمة ورحمة الرب. واستخدام نفس الكلمة في حالة
إسرائيل فهي توسل عن إسرائيل ولأجل إسرائيل لأن إسرائيل كان في حالة رفض
الإيمان. راجع نفس المعنى في (أع ٨ : ٢٤).

وفي سفر الأعمال بعد أن جُلِد الآباء الرسل "حُسيبوا مستأهلين أن يهانوا من
أجل اسمه" (أع ٥ : ٤١)، هنا لا تعني "من أجل" أنهم أُهينوا بديلاً عنه، وإنما
"بسبب"، وهو نفس المعنى في (أع ٢١ : ١٣) "لأجل اسم الرب".

شفاعة الروح القدس لأجلنا ليست بديلاً:

وعلى الرغم من أن فان ديك ترجم الأصل اليوناني إلى "يشفع في القديسين" (رو
٨ : ٢٧)، وهي ترجمة لا بأس بها، ولكنها حرفياً "ὕπερ ἁγίων" لأجل أو عن.
وبعد ذلك يقول الرسول: "إذا كان الله معنا - Oυθεός ὑπὲρ ἡμῶν - God for us"،
وهي حرفياً "عنا أو لأجلنا"، وهي هنا لا يمكن أن تكون بديلاً عنا.

وجاءت ترجمة فان ديك بعد ذلك "يشفع فينا" عن الرب يسوع الذي لا
يدين أحداً، بل يشفع لأجلنا أو عنا. ومن يحشر فكرة البديل هنا يُسقط عن
عمدٍ حقيقتين كلاهما غير قابل للنقاش:

١ - المسيح رأس الجسد الكنيسة (كو ١ : ١٨)، فهو لا يحل محل الكنيسة بديلاً،

بل هو الواهب الحياة لكل جسده.

٢- ويتعذر علينا قبول شفاعة الرب كبديل، بل لأجلنا؛ لأننا نلنا به المصالحة، والمصالحة هي عودة شركتنا في حياة الله الآب، ونوال عطية التبني التي أفرد لها رسول المسيح مكاناً خاصاً باستخدام حرف الجر "في"؛ لأننا "في المسيح"، وبدونه نحن لا شيء.

فما شفاعة الرب نفسه، سوى الوساطة، ليس لدى الآب الغاضب والمنتقم، بل لدى الآب الذي يريد أن تأتي إليه الإنسانية كاملة، كمال الخلود وبلا فساد، حرة من الموت بعد أن تحررت من الدينونة. وبيان الكنيسة روحياً هو ما يسعى إليه الرب نفسه، وهو ما يشير إليه الرسول (٢ كو ١٢ : ١٩).

المسيح أسلم نفسه لأجلنا (أفسس ٥ : ٢):

نشير بدايةً إلى أنه ساد عندنا قطع سياق الكلام أو النص لخدمة الشر، بل ولتدمير الإيمان. من أجمل النصوص البولسية (أفسس ٥ : ١-٢)، وهو إشارة إلى السلوك الإلهي الذي يجب أن يتحلى به المسيحي: "كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء" (٥ : ١) مثل الآب السماوي ومثل محبته، وهذا وجهٌ من تأله الإنسان، لكي يقول الرسول بعد ذلك: "اسلكوا في المحبة"، والنموذج الذي يقدمه هو: "كما أحبنا المسيح"، والدليل الدامغ على هذه المحبة هو أنه: "أسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة".

التشبه أو التمثل بالله $\mu\mu\eta\tau\alpha\iota$ هو ما نراه عند أغناطيوس الأنطاكي (أفسس ١ : ١ - ترالس ١ : ٢ - رسالة ديوجينيتوس ١٠ : ٤-٦)، وهو أول الإشارات المسيحية إلى تقدم الذات. وعبارات الرسول قاطعة وصارمة: "اسلكوا في المحبة" حرفياً "لتصبح المحبة هي الطريق"، نفس محبة المسيح. هذا سلوكنا كلٌّ تجاه الآخر، وهو سلوكٌ جعل المسيح يقدم نفسه بإرادته الحرة: "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي" (يوحنا ١٠ : ١٨)، وهي كلمات

الحر الذي لم يخضع لشرعية أو قانون يلزمه بأن يقدم ذاته، بل قدّم ذاته بمحبة، وهو تقدّم عائداً إلى الآب نفسه (يوحنا ٣: ١٦). ولم يحدد الرسول نوع الذبيحة لسبب واحد، وهو أنها ليست محددة حسب الشرعية الموسوية، إذ لا توجد شرعية تطلب أن يموت الابن المتجسد على الصليب. وهنا ننبه إلى أن محاصرة ذبيحة الرب برموز وإشارات وُضعت أساساً للفهم، أدى إلى عدم فهم خطة الله في خلاص الإنسان بالتقديم الأبدي الحقيقي الذي سيأتي مع الابن الوحيد، والذي لا مثيل ولا شبيه له في العهد القديم كله.

إذن "أسلم نفسه عنا أو لأجلنا ὑπὲρ ἡμῶν"، لا تعني أنه بديل، وهنا يجب أن يتوقف هذا الهزل الرخيص الذي يشوه محبة الثالوث العظمى، لأن نفس الرسول يقول:

- "محبة المسيح تحصرنا،

إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع،

فالجميع إذاً ماتوا" (٢ كو ٥: ١٣).

فكيف مات الجميع بموت الواحد؟ فهذا ما لا يمكن أن نفهمه بالمرّة إن كان موت المسيح بديلاً، بل لأجلنا. ويجب أن نلاحظ العقل المركب: "صُلبت معه" في (غلا ٢: ١٩-٢٠): مع συν - صُلب εσταύρωμαι، فهل كان الرسول على صواب عندما رفض وساطة الشرعية وكتب: "مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غلا ٢: ١٩-٢٠)؟ ولم يكن هذا اعتراف الرسول وحده، بل هو ما يقدمه في (رو ٦: ١-٨):

- "اعتمدنا ليسوع المسيح ...

اعتمدنا لموته ...

دُفنا معه بالمعمودية للموت ...

متحدين معه بشبه موته ...

نصير ايضاً بقيامته ...

إنساننا القديم قد صُلب معه ليطل جسد الخطية".

وعلى ذلك، فكلمة "البديل" كما وردت في العصر الوسيط، وكما سادت في عصر الإصلاح ودخلت مصر مع جهود المبشرين من الإنجليين، تعني بكل أمانة ودقة:

- فداءً تم بتقديم البديل بلا سرائر.
- فداءً تم يوم الجمعة الكبير لا يعطي للمعمودية أيّ مكانٍ، بل يقلع المعمودية من جذرها، الذي هو اتحادنا ليس ببديلٍ، بل بالذي مات لأجلنا، لكي نموت نحن فيه^(١).

لقد سبق ودرسنا الأفعال المركبة، أي إضافة مقطع لفعل ما بغرض تأكيد الشركة^(٢)، ولكننا إزاء الصلف والعناد والكبرياء والكذب، ثم اتهام التعليم الرسولي نفسه بأنه خداعٌ للقراء، نضع بين يدي القارئ العزيز بعض استخدامات حرف الجر "في":

- "في الرب" - "في الرب يسوع" (رو ٦: ٣٣ - رو ٨: ٣٩ - ١ كو ١٥: ٣١).
- "في المسيح" (رو ٣: ٢٤ - رو ٦: ٢٣ - رو ٨: ٨ - رو ٨: ٣٩ - ١ كو ١: ٤ - ١ كو ١٥: ٢٢ - ٢ كو ١٥: ٢٢ - ٢ كو ٣: ١٤ - ٢ كو ٥: ١٩). فقد كان الله في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، ولم يكن المسيح بديلاً؛ لأن "الله كان في المسيح مصالحاً" والتبرير هو في المسيح غلا ٣: ١٤ وبركة الله لإبراهيم هي في المسيح غلا ٥: ٦ - وغنى مجده في المسيح يسوع (أفسس ٥: ١٨).

(١) سوف نعود إلى هذا الموضوع عندما ندرس كتابات أناسيوس الذي حوِّله دعاة التشييع إلى إنجليي بروتستانت بالكللمات، لا بدراسة ما كتبه هو.

(٢) راجع دراستنا بعنوان: الكنيسة جسد المسيح، المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد، القاهرة، يناير ٢٠١٤، ص ١٣ وما بعدها - والدراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

• "مع المسيح" (٢ كو ٤ : ١٤ - ٢ كو ١٣ : ٤) ونموت مع (٢ كو ٧ : ٣ - نملك مع ١ كو ٤ : ٨) "ومع المسيح" هي الواقع الحي "في المسيح"؛ لأنه هو الرأس الذي منه كل الجسد مركباً ومقتزناً .. يحصل نمو الجسد لبنانيته في المحبة" (أفسس ٤ : ١٦)؛ لأننا في المسيح ومع المسيح "جسد واحد" (أفسس ٤ : ٣)، لأننا "متنا مع المسيح" (كولو ٢ : ٢٠)، ولما متنا معه، لم يعد لفرائض الشريعة القديمة أي سلطان علينا. ولكن نحن أيضاً "قمنا مع المسيح وحياتنا مستترة مع المسيح في الله" (كولو ٣ : ١-٣).

فهل أدرك القارئ العزيز أن "البديلية" هي ابتعاد تام عن شركتنا "في المسيح - مع المسيح - واتحادنا بالمسيح"، وقضاء تام على المعمودية والمسحة والميرون؟ وهل يعلم المدافعون عن هذه الفكرة السائدة في العصر الوسيط، أن البديلية هي التي دُمِّرت سرائر الكنيسة؟ أم أن التعنت والدفاع عن خطأ قيل وكُتب عن جهل، وصار الذين كتبوا يملكون "عصمة إلهية" لا تناقش ولا تقبل التصحيح، بل قيم الهجوم على الذين حاولوا اعادةهم إلى التعليم السليم.

تقديم ثنائي للآب وللموت

قدّم الربُّ جسداً قابلاً للموت (راجع تجسد الكلمة ١٣ : ٩ - ٢١ : ٥) وللكلمة حضور متجسد (١٨ : ٢) هو الحضور الذي به "أحيا الجسد المائت وطهره" (١٧ : ٧). وأسلم الربُّ "هيكله للموت عن الجميع" (٢٠ : ٢)، وهذا التعبير هام جداً لأن ق أنثاسيوس قال في نفس السطر عن الرب إنه: "قدم ذبيحته عن الجميع"؛ لأن الإنسان المائت لا يمكن أن يصبح غير مائت إلا بما فعله يسوع المسيح لأجلنا لأنه "هو الحياة ذاتها" (٢٠ : ١). وبتقدم جسده لأجلنا أباد الرب الموت. هنا "عنا ولأجلنا" ليست ما نراه في كتابات حركة الإصلاح، ولا ما ذكره الأنبا بيشوي عن تشقّي الآب بجلد ابنه "بجلدات حارقة" تكشف عن نفسية المطران، بل تعني "سلم الرب جسده للموت" (٢١ : ٣)، وهو الحياة عينها (٢١ : ٣)، ولذلك فهو ليس ثمناً، بل جسد ذاك الذي هو الحياة (٢١ : ٧).

ذبيحة حياة لا ذبيحة موت:

يقول أثناسيوس: "كان من الضروري أن يتم الموت عن الجميع. ولهذا لأنه الحياة والقوة فقد نال الجسد منه القوة" (٢٢: ٥)، هي ذات الكلمات الربانية التي تفوه بها الرب نفسه: "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها"، وعندما ختم الرب كلماته بقوله: "هذه الوصية قبلتها من أبي"، وقبل ذلك "لذلك يحبني الآب لأنني أضع نفسي" (يوحنا ١٠: ١٧-١٨).

الموت لا يفدي الموتى ولكن الحياة هي التي تفدي الموتى. الفداء ليس بموت، بل بحياة تقدم تُبيد الموت وتغلبه "لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده" (٢٢: ٣). ولذلك، إذا كان الموت قد سبق القيامة (٢٣: ١) "لأنه لا يمكن أن تكون قيامة ما لم يسبقها موت" (٢٣: ١). وقد اختار القديس أثناسيوس مثال "المصارع النبيل، العظيم في المهارة والشجاعة" (٢٤: ٣) الذي اختار أن يواجه الموت على أرض الموت وأباد الموت.

نعم "عنا"؛ لأنه "حملنا في جسده" (٢٥: ٦)، وأبيد الموت في جسد الرب بقوة المخلص (٢٦: ٢) ويا لروعة هذه العبارة:

"الموت قد أبيد"

الصليب صار هو الغلبة عليه

الموت لم يعد له سلطان بالمرة

بل قد مات حقاً" (٢٧: ١).

إذن، مات الموت، وعجز عن أن يسود علينا بسبب قيامة الرب. وعلى الصليب "هزمه المخلص وشهر به على الصليب وربط يديه ورجليه .. أين غلبتك يا موت .." (٢٧: ٤).

"لأجلنا" هي نشيد الانتصار؛ لأن المسيح أبطل الموت وأوقف فساد الموت وأباده" (٢٩: ٦).

ذبيحة الحياة هي التي أماتت الموت (٣٠ : ١ ، ٤).

هيكل الحياة (٣١ : ٤ - ٤٤ : ٥ - ٤٥ : ١ - ٤٦ : ١) في هذه العبارات البالغة الدقة يجب أن نفهم ما يلي:

١- لبس الكلمة جسداً لكي يلاقي الموت في الجسد ويبيده لأنه كيف كان مستطاعاً البرهنة على أن الرب هو الحياة ما لم يكن قد أحيى ما كان مائتاً" (٤٤ : ٥) لقد أبيد الموت من الجسد، من ذات جسد الرب نفسه.

٢- مات لكي يحيي الجسد لأنه الحياة (٤٥ : ١) ولذلك حفظ الرب الجسد الذي اتخذه غير فاسد كبرهان على قوة الحياة التي بها قدم الجسد (٤٦ : ١).

قدّم جسده للآب لأجلنا:

"كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت عن الجميع وقدمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر" (٨ : ٤). إنها المحبة الغائبة تماماً من لاهوت عصر الإصلاح، ولذلك يقول أثناسيوس: "تمم المخلص بتأنسه وجهي المحبة (عمليتي المحبة): (١) أباد الموت من داخلنا وجددنا. (٢) أعلن ذاته.

وعندما تجسد كان في نفس الوقت "كائناً مع أبيه" (٨ : ١). وعندما كان على الصليب كان حاضراً في الأشياء لأنه "كائنٌ مع أبيه" (١٧ : ١). فهو كما تقول قسمة عيد تجسد الرب: "الكائن في حضنه الأبوي كل حين" لأنه حتى وهو "مع وجوده في جسد بشري معطياً الحياة (لهذا الجسد)، فقد كان من الطبيعي أن يمنح الحياة للكون كله (١٧ : ٢). "كان في الجسد ولكن لم يكن" مقيداً بالجسد (١٧ : ٤) كان يحيا كإنسان، ولكنه كان أزلياً" كائناً مع أبيه" (١٧ : ٥)، بل كان في الجسد، وكل الكائنات تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها (١٧ : ٦).

مشابهون له حسب الجسد (ضد الأريوسيين ٢ : ٧٤)

كنا نتمنى على الأنبا بيشوي أن يكون أكثر أمانة فيعود إلى التسليم الآبائي، بدلاً من اللف والدوران حول ما أسماه "البديلية"، غاية الأمر أنه حوّلها من البديلية العقابية إلى البديلية الخلاصية، وبالتالي فهو لم يبرح مكانه حتى وإن غيّر الكلمات، فما زال مفهوم البديلية قابلاً في ذهنه راسخاً في عقله، وإن كان يظن أن هذا الاستبدال قد ينطلي على القراء، فالفطن منهم لا بد وأن ينتبه إلى ذلك الأسلوب الأفعواني.

وسيلنا إلى فضح هذا الأسلوب هو دائماً اللجوء إلى العظيم أثناسيوس الذي يقدم الدواء لجنون الأريوسية الجديدة، تلك البارعة في اللف والدوران وفي تزوير الحقائق.

كيف تم الاتحاد بالرب؟

إذا كان القديس أثناسيوس يقول: "لأنه اللوغوس حقاً، فلا يوجد من يماثلونه حتى يمكن أن يتحدوا معه" (الأريوسيين ٢ : ٧٤)، فما الذي يقصده بالمماثلة، وما الذي يعنيه بالاتحاد الممكن الذي تم بالفعل؟

يجيب أثناسيوس: "لأنه وحيد الجنس، ولكن عندما صار إنساناً، فقد صار له مماثلون، من هم؟ ويجب "هم الذين ارتدى جسدهم المماثل لجسده" (٢ : ٧٤).

"هو الكرمة ونحن أغصانه، ليس بحسب جوهر اللاهوت؛ لأن هذا مستحيل حقاً، بل بحسب بشريته، لأن الأغصان يلزم أن تكون مشابهة للكرمة حيث أننا مشابهون له بحسب الجسد" (٢ : ٧٤).

لقد أخذ الرب والمخلص ما يخصنا وجعله ما يخصه "لكي باتحادنا معه في الجسد وارتباطنا به بسبب مشابهة الجسد نبقي غير مائتين وغير قابلين للفساد، وبه (يسوع) نصل إلى الإنسان الكامل" (٢ : ٧٤).

المشابهة ليست بالتجسد وحده، بل بتجديد جسد الرب:

صحيح أن التجسد وحده هو اتحاد حقيقي، ولكنه لا ينزع الموت عنا نحن؛ ولذلك فقد لبس الجسد البشري المخلوق، لكي بعد أن يجدده كخالق، فإنه يؤهّله

في ذاته، وهكذا يُدخلنا جميعاً إلى ملكوت السموات على مثال صورته" (٢: ٧٠). وعلينا أن نلاحظ أن التجسد وحده لا يكفي؛ لأن العائق الذي يمنعنا من الاتحاد بالثالوث هو "الموت"، ولذلك كان جسد الرب نفسه "القابل للموت"، قابلاً للتجديد "كلمة الله المحب للبشر لبس الجسد المخلوق بإرادة الآب لكي يحيي بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه" (٢: ٦٥).

لبس الربُ "الجسد الناقص" الذي ينقصه الخلود (٢: ٦٦)، وعندما لبس الجسد وكان هو الذي "أصدر الحكم: أنت تراب، هو ذاته الذي صفح عن الخطايا" (٢: ٦٧) هو الذي رد للإنسان الحياة وهو "الدين" لأنه "فيه وبه صار إبطال للدينونة" (٢: ٦٦).

هكذا بالحقيقة صار "لأجلنا"، كما سلّمنا أثناسيوس:

- صار المخلص بحسب الجسد أول الذين خُلِقوا من جديد (٢: ٦٦).
- لبس الجسد الناقص لكي يوفي الدين عنا ويكمل بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان، فالإنسان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس (٢: ٦٦).
- صار الرب بداية الخلقة الجديدة "لكي لا يحيا الإنسان فيما بعد بحسب الخليقة الأولى إذ توجد بداية خليقة جديدة، والمسيح هو بدء الخلقة" (٢: ٦٥).
- صار المسيح هو البكر؛ لأن "جسده" كان هو أول ما تم خلاصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه، وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده، فقد خلصنا على مثال جسده" (٢: ٦١).
- فالخليقة الأولى التي كُؤنت به، صارت الآن في التجديد تتكون فيه" (٢: ٦٤).
- نحن حسب الخلقة الأولى بشرٌ، ولكننا في التجديد أخذنا روح الابن الحق بالطبيعة، لكي يجعل الإنسان قادراً على تقبل الألوهة" (٢: ٥٩). لأن الله "ليس أبانا بالطبيعة، بل هو آب الكلمة الكائن فينا، والذي به نصرخ "أبانا الذي في السموات" (٢: ٥٩).

- وفي الخلقة الجديدة يخلقنا الآب في المسيح يسوع من جديد؛ لأن الذين يخلقهم يتحدثون به ويكون هو فيهم مثلما يكونون هم فيه" (٢ : ٥٥).
- نحن صورة الله ومجده ليس من ذواتنا .. "بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقي الساكن فينا الذي هو كلمته والذي صار جسداً لأجلنا فيما بعد، لكي ننال نحن نعمة هذه التسمية (الأريوسيين ٣ : ١٠).

لأجلنا:

في إيجاز شديد يشرح القديس أثناسيوس أن الجنس البشري قبل التجسد (ضد أريوس ٣ : ٣٣) ليس هو الجنس البشري بعد التجسد. لقد أباد الرب كل ضعفات الجسد، ولولا التجسد والموت على الصليب والقيامة، لَمَا تحرر الإنسان من الخطية والفساد. فالتطهر من الخطية ليس هدف الإله المتجسد؛ لأن أرميا تقدس من الرحم (أرميا ١ : ٥)، ويوحنا أيضاً، ومع ذلك "ظل البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا" (ضد أريوس ٣ : ٣٣)، ولكن بعد أن تجسد الرب وحرر الإنسان، صار البشر غير فاسدين وأحياء إلى الأبد. والسبب هو أن الرب "نقل بداية تكويننا إلى ذاته لكي لا نرجع فيما بعد كمجرد تراب .. ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء فإننا نُحْمَل إلى السماء بواسطة" (٣ : ٣٣)، بل عندما تحرر جسد المخلص نفسه وفداه المخلص بدم نفسه، "فإننا نحن البشر نتأله بالكلمة باتحادنا به بواسطة جسده، ولهذا فنحن نرث الحياة الأبدية" (٣ : ٣٤).

مناجاة للرسولي أثناسيوس:

يا سيدنا حقاً، يبدو أن محبتي لك التي دامت منذ أن صرت مسيحياً - ليس بالوراثة، بل بالحق - قد أعطت لي نصيباً في عذابك: حرماناً مثل الحرمان في مجامع أريوس. ونفياً مثل نفيك، واتهامات باطلة لم تصل بعد إلى ذات القائمة التي اتهمك الأريوسيون بهتك عرض امرأة وقتل إنسان، ولكن روح الحق تكلم في ضمائر حرة.

عشتَ معظم أيامك في المنفى، وهكذا أشاركك بعض قطرات من كأس المصلوب، ولكن لا بد وأنت طلبت لي نعمة الاستنارة لكي أفهم التسليم الكنسي في مكان متواضع لم يعرفه إلا قلة نادرة، في كنيسة مار مينا مصر القديمة، لكي يحمل خادم هذه الكنيسة القمص مينا المتوحد أوراق سفري إلى إنجلترا أثناء زيارته للرئيس جمال عبد الناصر، وأحصل على تأشيرة خروج في ١٩٦٥ وأعود لكي أواصل رحلتي معك.

صلِّ لأجلي يا ساكن مجد الثالوث لكي أشهد كما شهدت.

كيف تحولت المحبة الإلهية الثالوثية من علاقة شركة الجوهر بين أقانيم الثالوث إلى طاقة وقوة؟^(١)

من آنٍ لآخر تجود علينا مخيلة الأنبا بيشوي بما رَسَبَ في حياته من معرفة وتذوقٍ خاصٍّ به. هذا شأنه، له حسابٌ عند ربه ومخلصه، لكن المشكلة الحقيقية هي أنه يظن أن ما لديه من معرفة وخبرة، هو إيمان الكنيسة الجامعة.

آخر اختراعات نيافته هي انفصال الطاقة والقوة عن الأقانيم، وأن ما يوهَّب لنا هو طاقة وليست الله. وهو بذلك يريد أن يستر عورته التي كشف عنها منذ عام ١٩٨١ - ١٩٨٢ عندما تزعم ونَشِط في تحريم الشركة في طبيعة الحياة الإلهية، وصار يلعب بالكلام عن الفرق بين الجوهر والأقنوم والطاقة، وهو ما أوصله في نهاية لعبته إلى أن الطاقة هي غير الله، وأن أي تعليم غير ذلك، هو تعليم غير أرثوذكسي.

القفز من على سور التأله:

تنشر صحافتنا المصرية من آنٍ لآخر صوراً لتلاميذ مدارس يهربون من الدراسة بالقفز من فوق سور المدرسة، هكذا يقفز المطران من على سور التسليم الكنسي هرباً من ادِّعاءٍ بأن التأله شركٌ وهرطقة، وهو ما تزعمه منذ عام ١٩٨٢م. فقد أدرك خطورة ما حدث باعتبار أنه يمس وجوده في الكنيسة بعد أن تصدى له رئيس أساقفة سمولنسك (روسيا) عندما نطق المطران في اجتماعٍ خاص بالكنائس الشرقية، بأن التأله بدعة بيزنطية. عندئذٍ أدرك المطران -بعد فوات الأوان- أنه دخل طريقاً مسدوداً، وأصبح عليه أن يتراجع، ولو بغير انتظام. فوجد

(١) مقال نُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ أكتوبر ٢٠١٦.

في الطاقةِ سوراً آخر يقفز من فوقه، ليدعم تعليمه الذي ينكر ألوهية حلول الثالوث فينا؛ وهو التعليم الذي أكَّده الرب نفسه طبقاً للقول الرباني في (يوحنا ١٤: ٢٢-٢٣) عن استعلان أفنوم الرب يسوع رداً على سؤال يهوذا، ليس الاسخريوطي: "يا سيد ماذا حدث حتى أنك مزعم أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟ أجاب يسوع وقال له إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً"، وأضاف الرب مؤكداً إن الكلام الذي سمعه يهوذا وغيره من الرسل رداً على استعلان الابن، سوف يعلمه الروح القدس، بل يذكّر الرسل بكل ما قاله يسوع نفسه (يوحنا ١٤: ٢٤-٢٦). ولم يقل الرب -معلناً محبة الآب- إن هذه المحبة هي طاقة، بل هي العلاقة الأقتومية الخاصة بين الابن والآب، فالابن هو "الابن المحبوب". ويصفه الرسول بولس بأنه: "ابن محبة الآب"، لا طاقة ولا قوة؛ لأن الله نفسه هو محبة، بل في صراحة يوحنا: "كل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله. ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة" (١ يوحنا ٤: ٧-٨).

ومحبة الله ليست طاقة، بل هي انسكاب روح الله فينا؛ لأن الله محبة -كما قال بولس: "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا" (رو ٥: ٥)، فكيف وبأي قوة تحوّلت محبة الله لنا إلى طاقة وقوة؟ الرب يقول بنفسه إن المحبة المتبادلة بينه وبين الآب، سوف تكون من نصيب البشر: "عرّفتهم اسمك (كآب)، وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم" (يوحنا ١٧: ١٦)، أليست هذه هي سكنى الثالوث فينا: "إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً"؟

القفز من على سور الأريوسية:

عن جهلٍ وليس عن معرفة -هذا بكل يقين- ما أصاب المطران الذي لم يدرس اللاهوت ولا التاريخ. عند أريوس، المسيح هو قوة الله الآب، ولكنه ليس مساوياً للآب. وعند أريوس، المسيح يعرف الآب كما تعرفه المخلوقات، هذا شُرح بكفاية في المقالات الأربع للقديس أنثاسيوس ضد الأريوسيين. والمسيح هو قوة الآب وحكمة الآب، ولكن الفرق بين "قوة الله وحكمة الله"، وبين "قوة الآب"،

و"كلمة الآب" هو أن الأولى تنفي خصوصية العلاقة مع الآب، وتجعل العلاقة مع الله مثلها مثل العلاقة مع كل الكائنات. أما الثانية، فهي تجعل المسيح هو "ابن الآب حسب الجوهر"، وليس حسب الإرادة وحدها، والشريك للآب في كل صفات الجوهر، فالابن ليس صفةً من صفات الآب؛ ولكن ما شاع طوال ٤٠ سنة بأن الثالث هو صفات الوجود والعقل والحياة: الآب هو الوجود، والابن هو العقل، والروح القدس هو الحياة، هو الذي حوّل التعليم عن أقانيم الثالث، إلى صفات. ورغم محاولة أستاذنا الكبير د. وهيب عطا الله، إنقاذ الموقف بقوله إن الأقانيم ليست مجرد صفات، بل هي صفات ذاتية وجوهرية بدونها تنعدم الذات الإلهية، إلا أن هذا لا يكفي بالمرّة؛ لأن الأقنوم هو "تعيينٌ خاص في الله"، والأقنوم شخصٌ وليس صفةً؛ لأنه يتحرك ويحيا ويتكلم ويعمل إرادة الآب حسب أقوال الرب نفسه. أما حصار الثالث في ثلاث صفات، فهو بدعة سابليوس، وإن أتت في شكل عربي جديد ينكر خصوصية الأقانيم وتمايزها باعتبار أن كل أقنوم هو كائن وحي وعقل، وهي الصفات التي يشترك فيها الثلاثة. أمّا المحبة، فهي ليست صفة من صفات الله مثل القوة والحكمة، بل هي الله نفسه، هي حياته؛ لأن محبة الله الثالث ليست صفة، وبذل الابن الوحيد لنفسه بسبب محبة الآب (يوحنا ٣: ١٦)، ليس بذل صفة. وانسكاب محبة الله فينا بالروح القدس ليس انسكاب صفة، بل دخولنا في شركة هذه المحبة لنكون فعلاً أبناء الله (رو ٨: ١٤-١٦).

الطاقة غامضة، والقوة أكثر غموضاً، وكلاهما يفتقر إلى وضوح الإنجيل. أما المحبة، فهي واضحة كالشمس؛ لأنها تعطي للإنسان ما لا يشوبه أي غموض: "نحن الآن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه متى أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١ يو ٣: ٢). وهذه ليست رؤية طاقة أو قوة، بل شخص وأقنوم الرب: "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف ... نتغيّر إلى تلك الصورة عينها" (٢ كور ٣: ١٨)، فالرب هنا ليس طاقة ولا قوة، بل هو ابن الله الأقنوم الثاني الذي له صورة مجد وليس صورة طاقة.

أمّا تجنّب شركة المحبة هذه بمقولة إن الله يشمئز من الخطاة، حسب تعبير

المطران؛ ولذلك ما فينا ليس هو الله، بل طاقة، فهو ليس إلا إبادةً تامةً للمحبة الإلهية الثالوثية؛ لأن المحبة هي محبة شخصية، وهي لا تسندها العقوبة، كما قال أحدهم، بل تسندها النعمة الغالبة لفساد الإنسان.

يا رب ارحم

الشیطان، الحیة القديمة، دائماً ما يأخذ أشكالاً جديدة^(١)

يقول رسول الرب معلمنا القديس بطرس: "اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسدٍ زائرٍ يحول ملتصقاً من يتلعه هو" (١ بط ٥ : ٨).

ليس الشرُّ قديماً فقط، بل هو أيضاً دائماً جديد. والشیطان، الحیة القديمة ليس قديماً فقط، بل هو دائماً جديد، يخترع الكلام والأوصاف، فيجعل العقل لا يكفُّ عن الدوران، بل يظل في متاهة الفكر إلى ما لا نهاية. وكما يأخذ الشيطان شكل أسدٍ، يمكنه أيضاً أن يتخفى في شكل فكرةٍ، يصيغها في عبارةٍ قد تبدو منطقية فيبتلعها أحدهم، ومن ثمَّ يحاول هذا سكبها في عقول آخرين، فيباعد بينهم وبين خلاصهم بالمسيح يسوع ربنا.

هكذا تأخذ الحیة القديمة شكلاً جديداً، فتهاجم اتحادنا بالثالوث القدوس، بإنكار الشركة في الطبیعة الإلهية، بمقوله أن الشركة في الطبیعة الإلهية تحول الإنسان إلى إله غير محدود موجود في كل مكان، وأن الشركة في الطبیعة الإلهية هي نوعٌ من الشرك الذي يحاربه الإسلام. ولأن ذلك غير صحيح، بل وغير منطقي، فقد تجد هذه الحجة طريقاً إلى البعض، وتضیع عليهم حياتهم الأبدية. ولأنه يريد أن يحرم الإنسان من خيارات الثالوث، ينكر حلول روح الله فينا، فتختبئ الحیة الجديدة في "الحلول المواهبي". ولأنه يريد أن يحرمنا من شركتنا في الحياة الأبدية وعدم الفساد، يمرر ذلك بالقول بأننا لا نتناول اللاهوت، بل الناسوت فقط، فاللاهوت لا يؤكل، وتتمادى الحیة الجديدة، فتقول: "يؤكل ولا يؤكل".

(١) مقال نُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢ أكتوبر ٢٠١٦.

لكل ذلك علينا أن نعي كم الخداع الذي يختفي وراء هذا المنطق المتهافت، وأن نكتشف دائماً الشكل الجديد الذي تتخفى فيه الحية القديمة، وأن نطبق وصية رسول الرب: أن "اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسدٍ زائرٍ يجول ملتصقاً من يبتلعهُ هو".

ولأن الحقيقة تسبق اللفظ، كما علّمنا العظيم في القديسين أنثاسيوس الرسولي بحق، أرجو أن تنتبه عزيزي القارئ إلى أن ما يأخذ حدوده بواسطة الكلام في وقتٍ ما، لا يلبث أن يأخذ حدوداً أخرى بكلامٍ آخر لا نهاية له. وأن ما يقدمه أيُّ خطابٍ عند نقطة فارقة في الزمان، ليس هو القول الفصل، فما يلبث أن يتغير إما بخداع اللفظ، أو بصراعٍ مع الحقائق.

والمثال الحي على خداع الألفاظ في زماننا، هو ما اتخذهُ الشيطان أو الحية القديمة، من شكل جديد تحت مسمى "الحلول المواهبي". والخداع هنا ظاهرٌ، فهناك تسليمٌ بالحلول، ولكن الثمرة، أي ثمرة هذا الحل، هي المواهب، أما "الحياة الأبدية"، وهي العطاء الحقيقي لهذا الحل، فقد ضاعت في متاهات اللفظ.

ولأن مكر الشيطان ظاهرٌ، فإن الحية القديمة لا تقول أنا الشيطان، وهكذا أيضاً تتخفى الحية الجديدة خلف ما هو مقدسٌ، فلا ينكر الشيطان ألوهية الروح القدس، ولكنه يحارب الشركة في قداسة الروح القدس. فيصير الإيمان بالروح القدس مفرّغاً من عطية ذاتية خاصة.

الحية القديمة لا تقول جهراً: ابتعد عن الروح القدس، ولكنها حديثاً تقول: لا شركة لك في الروح القدس؛ لأن هذه الشركة سوف تجعلك مساوياً لله، وهو يعلم -أي الشيطان- أن هذه المساواة مستحيلة تماماً، ولكنه يريد أن يُرعبك، ويُدخل فيك الخوف مما قيل عن الله في العهد الجديد، في حين أن الابن له المجد عندما تجسد، لم يحترق ناسوته باللاهوت، ولم يتحول ناسوته إلى ألوهة، بل تألّه بالخلود والمجد وعدم الألم وعدم الفساد، وصار، ليس فقط حياً، بل محيياً أيضاً.

وإمعاناً في الخداع، تلجأ الحية القديمة إلى النصوص العديدة من أسفار العهد القديم التي تتحدث عن الله كنار آكلة، وأن من يراه لا يعيش ... الخ. ولكن الحية الجديدة تفعل العكس تماماً، إذ تتجاهل العهد الجديد، فهي لا تريد أن تقول إن "الكلمة صار جسداً"، ولا تريد أن تقول إن "الذي كان في صورة الله أخلى ذاته، وأخذ صورة العبد ووجد في هيئة البشر" (راجع فيلبي ٢ : ٦-٨)؛ لأن إنكار إخلاء الذات الإلهي هو الشغل الشاغل لدى الشيطان.

ولأن إهلاك الإنسان هو في الابتعاد عن الله، وخلاص الإنسان هو في الاتحاد بالثالوث؛ لذلك يجب إبعاد الإنسان عن الثالوث، وفي سبيل ذلك، تقدم الحية الجديدة كل الحجج التي يمكن أن ينخدع بها البسطاء، بما فيها الخطية التي قتلها الابن بالخشبة، فطالما أننا نخطئ، فلا شركة لنا مع الله. بينما الإنجيل يحرص على تأكيد محبة الله المستعنة في الابن الوحيد للخطاة. إلا أن إنكار أو تجاهل هذه الحقيقة الإلهية، يخدم تجدد مكر وحيل الحية القديمة.

والحية القديمة التي دُحِرت وهُزِمت على الصليب تأخذ شكلاً جديداً في فكرة تضمنتها مقدمة رسالة دكتوراه أشرف عليها العلامة مطران دمياط، تقول: إن المسيح صلب الشيطان على الصليب. وهكذا يكون بولس قد صلب مع الشيطان، وأصبح كلاهما معاً على الصليب. وكأن صلب الشيطان - بفرض صحته - أخرج الشيطان من معركة النور والظلمة، وبالتالي لم يعد الصليب هو سلاح الغلبة.

ولأن الكلام لا يصنع الحقائق، فقد تفوّقت الحية القديمة الجديدة على نفسها في تزيف الحقيقة على المفكرين. فلا مانع من تأكيد صلب المسيح، ولكن مع التعليم بأن هذا الصلب هو ثمن دُفِعَ لله الآب، وبالتالي لم يعد صلب المسيح يخص الإنسانية إلا في إبعاد نار العدل الإلهي والغضب الإلهي عن الإنسان. وتكون المحصلة النهائية لهذا التعليم أنه قد تم فداء الآب من الغضب، لا الإنسان الخاطئ، وبالتالي لا داعي لدم الرب في سر الشكر.

هكذا تمضي الحية القديمة لتدوس كأس الشكر تحت وطأة تلك التخرُّصات، وبالتالي يضيع السر المجيد.

فالشيطان لا ينكر أن سر الشكر، هو جسد الرب ودمه، فهو يعلم أن كل صلوات القداسات تؤكِّد أنه جسد ودم الرب، ولكن -في خبثٍ شديد- تقول لك الحية القديمة الجديدة: "لا، أنت تأكل الناسوت؛ لأن اللاهوت لا يؤكل"، ثم تستدرك الحية الجديدة في خبثٍ أشد: "يؤكل ولا يؤكل"، فيدخل القارئ أو المستمع في حيرة شديدة، فما يؤكل هو الناسوت، وما لا يؤكل هو اللاهوت، وبالتالي تخلص إلى القول: أنت لم تأخذ اللاهوت ولست شريكاً فيه ولا تتناوله.

وهنا نلاحظ أن الحية الجديدة تستعيد تاريخها القديم، فتسلط الانتباه على "الأكل"، وهو أول الأفعال الإنسانية التي ذكرها سفر التكوين؛ لأن الإنسان لا يحيا بدون طعام. ويمكننا أن نقول إن السقوط قد تم بحصول الإنسان على معرفة من شجرة معرفة الخير والشر، أي قبول الوعي الإنساني لمعرفة مزدوجة. ولكن الحياة بذاته، يسوع المسيح الحي، جاء ليعطي لنا ذاته: "شجرة الحياة"، وصار الأكل هنا "شركة" و"تناولاً"، وليس مجرد مضغ طعام. ولكن، ولأن الشيطان - كما نقول - شاطر، فقد نقل الشركة في الجسد الإلهي والدم الإلهي إلى ما هو بيولوجي، وهكذا تكاثرت الفتاوى عن مصير الجسد والدم بعد التناول، ما بين الأسنان، والهضم... إلخ، وهكذا ضاع في وسط زبالة العصر الوسيط وخرافته، أن الجسد المحيي لا يمكن أن يعود إلى الموت، ولا أن يسود عليه الموت؛ لأن هذا إنكارٌ صريح للقيامة.

ماذا يمكن أن نقول يا أحبائي أكثر من الذي قلناه؟ ولكن لكي لا نترك القارئ للحيرة تنهيه، نضع أمامه رابعة التمييز والإفراز:

أولاً: كلٌّ من ينكر اتحادنا بالرب يسوع في السرائر، هو خادم يخدم الشيطان الذي يسعى لأن يفصلنا عن الرب.

ثانياً: كلٌّ من يضع عوائق أمام نعمة الله الغنية، ويعلم بأن الإنسان يجب أن

يكون مستحقاً للنعمة، وأن الاستعداد هو هذا الاستحقاق، هو مُعلّم الكذب.

ثالثاً: كلُّ مَنْ يحوّل عمل الابن المتجسد إلى عملٍ إنساني، أو يجرده من العطاء الشخصي، مثل أن يجعل جسد الابن ودمه قابليْن للموت إذا وُضِعَا في الفم، أو دخلا إلى الجوف، فهو ينكر ألوهية الرب وقيامته، ويتوقع على عطاء النعمة الإلهية التي تعطي الحياة الأبدية وغفران الخطايا والقيامة من الأموات، ويشترّ بهلاكٍ مستتر.

رابعاً: كلُّ مَنْ ينكر حلول روح الرب الأقنوم الثالث، فهو ينكر العطية الأبدية التي توحّدنا بالرب يسوع، باعتبار أن الروح القدس هو الذي ينير ويقود ويعلم ويقدّس، بل هو الذي يجعلنا نعتزّ بألوهية الربّ والمخلّص (١ كو ١٢: ١-٣)، يكون متحالفاً مع الشيطان، العدو الحقيقي لروح الرب.

هذه تحذيرات لا ينكرها إلّا مَنْ كان عديم الخبرة في كلام البر، أو مَنْ كان مبشراً بالهلاك، لا بالخلاص.

الرب يسوع يحفظنا، ويدمّ علينا نعمة الإفراز لكي نرى النور، ولا نسير في طريق الظلمة. له المجد إلى الأبد.

السياق التاريخي

لمؤتمر العقيدة القبطية الأرثوذكسية ٢٠١٦^(١)

ملاحظة أولية

الاسم "مؤتمر العقيدة القبطية الأرثوذكسية"، اسمٌ يحمل طابع الانفصال عن التسليم الكنسي الذي تؤمن به وتقبله الكنائس الأرثوذكسية "الكائنة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها". ولذلك، وحسبما نُشر على مواقع التواصل الاجتماعي، لم يقدم هذا المؤتمر سوى الإسفاف والجهل التام بالتاريخ، حتى التاريخ القبطي نفسه.

إهمال التاريخ

نلح في مساهماتنا الأخيرة على قضية دراسة التاريخ وعدم اختزاله في عصرٍ أو في شخص، ذلك أن شخصاً بذاته ليس معيار الحقيقة، سوى ربنا يسوع المسيح. وحقبةً بعينها ليست هي الزمن الجميل؛ لأن التجسد فتح الزمان والتاريخ والبشرية على الأبدية، فأصبح إهمال التاريخ ترفاً لا نقدر عليه.

ولذلك، إذا أردنا أن نفهم ما هي الأسباب التي يستند إليها هذا المؤتمر في انعقاده، أو إذا أردنا أن نحلل ما خلص إليه من نتائج، لا بُد لنا وأن نضعه في سياقه التاريخي، فهو في الحقيقة التطور الطبيعي لحقبة امتدت أكثر من أربعين عاماً كان عنوانها الرئيس هو التجريف والإقصاء، ولذلك لم يكن يمكن للمتأمرين القائمين على هذا المؤتمر أن يختاروا عنواناً أكثر مصداقيةً من هذا العنوان، ولا يمكنهم أن يخرجوا بنتائج تخالف ما انتهوا إليه من سفهٍ وتناقضٍ كان محلاً للسخرية والنكات على صفحات شبكة المعلومات الدولية.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٧ أكتوبر ٢٠١٦.

باختصار، هذا المؤتمر بمعديّه ونتائجهِ هو الخلاصة اللاهوتية لحالة التعليم في الكنيسة القبطية في الأربعين عاماً الماضية، لا عن العقيدة القبطية الأرثوذكسية، رغم اعتراضنا على العنوان.

الحقيقة السافرة:

والحقيقة الواضحة، أنه لا خلاف إيماني بين كل الفرقاء: الكل يؤمن بالثالوث - ألوهية الرب - ألوهية الروح القدس - السرائر السبعة - الحياة النسكية - الترتيب الطقسي، وغيرها من أمور خاصة بأُم الشهداء، لا خلاف عليها. إذن، ما هي أسباب هذه الحرب الخفية والمعلنة في آن؟

١- العداة الشخصي للقمص متى المسكين، وهو عداة تحول إلى عداة لكل من يحاول أن يقول كلمة حق، لا من أجل الدفاع عن رجل أمين صادق وباحث قدّم أفضل ما عاش وما اختبر، فكان الجزء هو الشتائم في أعز ما يملك، وهو إيمانه بالرب.

ولو بحثنا عن الأسباب الإيمانية، لوجدنا أنها غير موجودة بالمرّة، بل فقط العداة الشخصي الذي بدأ به الأنبا شنودة الثالث.

٢- ومع أنه يوجد إيمان واحد يجمع الأنبا شنودة الثالث والقمص متى المسكين، إلّا أن شرح هذا الإيمان وعلاقته بالحياة الشخصية، هو موضوع الخلاف الحقيقي. العقيدة واحدة، والشرح مختلف، وتقبع الأسباب خلف المناهل التي شرب منها كل منهما، والحياة الشخصية التي عاشها من يبحث عن زعامة سياسية للأقباط، ومن يرى أن الاتحاد بالمسيح الرب هو جوهر وقلب الإنجيل.

٣- كشف القمص متى المسكين عن عوار العصر الوسيط، وهو تمكين الشريعة والقانون من الحياة المسيحية، فصارت الشريعة هي الوسيط بين المؤمن والمسيح الرب. هنا طبعاً، انتفض جيل حماة الشريعة لا حماة الإيمان، وعادوا إلى العهد القديم بكل ما فيه من ظلال لكي يُطبّق ويُطبّق على عروس المسيح

الكنيسة، ولما جاءت الكتب والمقالات التي تحاول أن تعيد للقارئ مكانته في علاقته الشخصية بالمسيح وبالروح القدس، هنا أدرك عشاق السلطة -وهي نتاج التمسك بالشرعية- أن زمام القيادة السياسية سوف يفلت، وهنا أيضاً بدأت الحرب: الاتهامات الكاذبة التي شملت حتى الذين حاولوا التهدة من أجل سلام الكنيسة، فصاروا هم من أتباع متى المسكين، وأسقطوا اللقب "القمص" عن عمد إمعاناً في عدم الاعتراف به، وإنكار دوره في النهضة القبطية المعاصرة.

٤- وتطبيقاً لما ذكرناه الآن، فالأنبا شنودة الثالث والقمص متى المسكين كلاهما يؤمن بالروح القدس. ولكن، لما كان لروح الآب ترتيب ليتورجي في كل الصلوات، لا يمكن إنكاره أو تجاوزه، فالخطة إذن هي: كيف يمكن فتح ثغرة في هذه الصخرة الإلهية وشقها إلى نصفين؟ هنا تفتق ذهنهم عن:

أولاً: إنكار حلول الروح القدس فينا. ولما جاء الرد بأن هذا ضد ما جاء في الأسفار، تحوّل الهجوم إلى أن حلول الروح القدس هو حلول مواهب لا أقنوم، وبالتالي إنكار أن الروح القدس نفسه هو العطية.

ثانياً: عندما تحول الخلاف من إنكار الحلول بالأقنوم إلى الحلول بالمواهب فقط، كان صمت القمص متى المسكين هو صمتٌ مَن أدرك أن جوهر الصراع هو السلطة، لا الروح القدس، والزعامة، لا التسليم الكنسي.

٥- ومن ثمّ فجّر موضوع العلاقة الشخصية بالرب كل ما كان كامناً في الوثنية المصرية من أفكار قديمة لم تمت، فعاد إلى السطح الاعتقاد بخلود النفس الإنسانية خلوداً طبعياً، وهنا دخل خلود النفس -حسب الفرعونية المصرية- كبديل للحياة الأبدية والخلود الذي وُهبَ لنا بالتجسد والصلب والقيامة، والذي يعطى لنا في المعمودية والميرون والإفخارستيا. وتمحور الخلاف حول المعنى الصحيح لكلمة قديمة غابت في عصر التأليف بالعربية الذي بدأ بأسقف الأشمونين بن المقفع، وهي "التأله بالشركة في حياة الله". ومع أن زكريا بن سباع الذي جاء بعده ليقول إننا ننال "أخلاق الله"، أو "أخلاق الألوهة"، إلا أن

أسلمة الثقافة المصرية أوجدت عند الذين عشقوا السلطة والزعامة، اتهاماً بأن "التأله" هو "جريمة الشرك" التي لا يقبلها اخوتنا من المسلمين، حسب تعبير الأنبا شنودة الثالث، فينتقل الخلاف عندئذٍ من دائرة الخلاف السياسي إلى دائرة الخلاف الدموي، وكأنه يومئٍ للإرهاب المسلح أن اقتلوا هؤلاء، فقد أعلننا أنهم مشركون. وإن كانت إيماءتهم قد بائت بالفشل لأن صراع الجماعات المسلحة بالدين مع الدولة ومع نظام الحكم، أهم بكثير من حفنة من رهبان دير الأنبا مقار، ومن كاتب هذه السطور.

أثر سيامة البابا تواضروس الثاني:

بعد رسامته نادى قداسة البابا ولا زال بنداء التجديد، وقد بدأ ذلك في مؤتمر أنافورا الذي دُعي إليه كل الأطراف، وهنا أدرك الوارثون للزعامة أن الزمام بدأ يفلت، وأن القيادة الجديدة لا يمكن أن تحتوى، وهكذا جاءت المعركة الثانية، وكانت وسائلهم:

أولاً: اعتبار أن كل ما نشره الأنبا شنودة الثالث هو المقياس الأول والأخير لتاريخ وحياة وإيمان وعقائد كنيسة عمرها لا يقل عن ٢٠٠٠ سنة. وأن من يخرج على هذا هو هرطوقي لا غش فيه!

وبكل يقين، لو كان الأنبا شنودة الثالث حيّاً، لرفض هذا، ولكن الوارثين يدركون أن الاحتماء به هو طريق النجاح.

ثانياً: توجيه الاتهام بأن ما جاء في حراك العودة إلى الآباء، هو لاهوت الغرب، وهو اتهام سبق للأنبا شنودة الثالث أن روجّه عن غير دراية. هكذا، بشكل عام، تحولت كلمة "الغرب" الوافدة من الثقافة المصرية السائدة إلى فزاعة قبطية للشك في صحة وأصالة ما يُترجم ويُنشر. كل ذلك فيما كان هو غارقاً في عشقٍ خاص للمؤلف المعمداني سيرجن، القائد الصارم للنهضة الإنجيلية في القرن الماضي. ومن سيرجن، دخلت عقيدة الفداء والكفارة في التعليم عن طريق محاضرات الأب أوجين دي بليسي التي نُشرت في مجلة الكرمة، ومن كتب سيرجن

نفسه، لتجد في أهواء الزعامة المدد الذي يجعل كل من يعود إلى أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير بروتستانتياً! وهنا العجب كل العجب، فالمدافع الأول عن تعليم البروتستانت، يتهم الأرثوذكسي بأنه بروتستانت، وما ذلك إلا لأنه يجهل أثناسيوس. بل، وفي مرحلة لاحقة، تحول أثناسيوس إلى توأم لشخص آخر غريب عنا، هو أنسلم رئيس أساقفة كانتربري، صاحب فكرة "ترضية العدل والكرامة الإلهية"، الذي حوّل الفداء من فداء للإنسان إلى فداء كرامة وعزة وعدل الله. ووجد أنسلم مكانةً أثيرةً عند الأنبا موسى أسقف الشباب، فساند ما جادت به قريحة الأنبا شنودة عن: خطية غير محدودة - عقاب غير محدود - مخلص غير محدود. وهكذا صارت الخطية والعقاب مساويين لابن الله، إذ أضاف إليهما وصف "غير المحدود"، وهو من وجهة نظريهما صفةً إلهيةً.

وراثه ذنب وخطية آدم:

لم يسأل العقلاء عندنا كيف يمكن لمن أذنب وأخطأ، أن يورث ذات الخطأ وذات الذنب لغيره؟ "خطية الطبيعة"، وهو تعبير نيافة مطران دمياط ورئيس قسم اللاهوت، هو تعبير منقول من هرطقة ماني ومدارس الغنوسية. فالطبيعة لا تخطئ إلا إذا انطوت تحت إرادة حرة. فلا خطأ ولا خطية إلا بالإرادة الحرة. وفقدان الحرية يحدث لشخصٍ مستعبد، وهي حالة سيادة الطبيعة على الشخص، وهو ما ورثناه من آدم، أي الموت.

فالأم التي تُصاب بفيروس فقدان المناعة HIV يرث الطفل المولود منها ذات الفيروس، ولكنه لا يرث زنى الأم أو زنى الأب. والأب السكير يورث الفقر، ولا يورث فعل شرب الخمر. وكم من قاتلٍ وزانٍ أُنجبوا أولاداً وبناتاً شرفاء عظماء.

ولكن ها هي حركة الإصلاح البروتستانتية تعيد إلينا منهجها بالعودة إلى نصوص الكتاب المقدس من خلال القراءة الشخصية، لا من خلال قراءة تاريخية صادقة أمينة. ولأن لوثر بالذات، كان مرجعه أوغسطينوس وحده، وكالفن بالذات كان مرجعه ذهبي الفم وحده، فقد ظهر أثر ذلك في أنه لم يكن لدى أيهما

النظرة الشاملة لمجال التعليم الآبائي، فانحصر ذلك التعليم بالنسبة إليهما في انتقاء ما كان يحوز رضى كل منهما.

عيبٌ، بل عارٌ أن يقرأ كاهنٌ كلمات القديس أنثاسيوس الخالدة: "كل ما هو شر فهو عدم، وكل ما هو خير فهو موجود" (تجسد الكلمة ٤ : ٥ - الرسالة إلى الوثنيين ٦)، ثم يعود ليقول بعد ذلك إن الخطية صار لها كيان يُنقل بالزواج والتناسل. وعيبٌ، بل عارٌ أن يزور مطرانٌ نص القديس أنثاسيوس في الفصل ٢٠ من كتاب تجسد الكلمة، من الخطية الجدية، أو من المعصية الأولى، ليصبح "الخطية الأصلية".

وكأن لسان حالهم: ماذا نفعل؟ لا بُد من إحداث ثغرات للبقاء في القيادة، ولو على حساب الإيمان والتسليم الكنسي!!

لو كانت الخطية تورث فعلاً، فقد صار لها وجودٌ، وبالتالي يصير للعدم وجودٌ، وبالتالي يصير الإنسانُ خالقاً من العدم. هل يدرون ماذا يقولون؟

أيُّ هراءٍ هذا، ومن أين جاء هذا الغضب العارم الذي يهدد سلام الكنيسة؟ إن تلك الحرب الدائرة لا تهدف إلا إلى جر قداسة البابا تواضروس الثاني إلى صف المقاتلين، خصوصاً بعد أن صدرت توصية بوضع معجم للكلمات اللاهوتية، لم يشترك في اللجنة المنوط بها إنجازه، قادة هذه الحرب المستعرة وجنرالاتها. إذن، فلنعد إلى المربع الأول، مربع الكراهية والحسد والنزاع على الزعامة، وليكن ما يكون. هذا لسان حالهم.

أيُّ ضميرٍ هذا الذي يسوقهم؟ أيُّ روحٍ تلك التي تسيطر عليهم؟
ارحمنا يا رب.

إن الكبير حقاً هو من يؤمن بما أعطاه الله من عطايا ومواهب، لا من يقف عند أبواب الزعامة يشحذ ويستجدي القبول.

كان كيرلس كبيراً بما أعطاه وسلّمه.

وكان مكاربوس كبيراً بما عاشه وسلّمه.

وكان أناسيوس رسولياً بما شَهِد به وكَلَّفَه نفية خمس مرات.

لم يكن لدى أيّ من هؤلاء ميكروفونات، ولم يقف أحدهم يستجدي رضى الشعب، ولكن "الحرص - حقاً- أذل أعناق الرجال"، وجعل السيد يركع كعبدٍ عند عبدٍ مثله.

المعارك العقائدية المفتعلة^(١)

- ١ -

مرةً أخرى، لن تكون الأخيرة، نجد أنفسنا مضطرون للغوص في ملف التاريخ، فالأمانة للرب نفسه تطلب منا الشهادة الصادقة على ما هو جوهر وحقيقة المعارك العقائدية التي دامت طوال ٤٠ عاماً، وهذا يضطرنا للرجوع إلى الخلف قليلاً.

ما هي الحقائق التي لا خلاف عليها بالمرة؟

يؤمن كل من الأنبا شنودة الثالث، والقمص متى المسكين، وكاتب هذه السطور، بما ورد في قانون الإيمان النيقاوي ٣٢٥-٣٨١: الله الثالوث - ألوهية الابن - تجسده - موته على الصليب - قيامته وصعوده - حلول الروح القدس الملك السمائي - يوم الدينونة - قيامة الأموات - حياة الدهر الآتي - الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية.

ولا خلاف بالمرة حول الإيمان، ولا حتى السرائر الكنسية، وشفاعة القديسين. وكل ما يُقال أو يُكتب عن إنكار أيٍّ من العقائد السابقة هو لغوٌ وتشويشٌ وبهتان.

إذن، ما هو سبب هجوم الأنبا شنودة الثالث على القمص متى المسكين؟

إذا استبعدنا الكراهية والصراع على القيادة والاحتفاظ بالصدارة، من نطاق البحث، وإذا تركنا العوامل النفسية والشخصية جانباً، ونظرنا فقط إلى حقيقة ما حدث، وإلى محاولة الإبقاء على نارٍ خصامٍ مشتعلة امتدت لتشمل ١٩ اسماً،

(١) سلسلة مقالات نُشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في أكتوبر ونوفمبر ٢٠١٦.

بعضهم لم يكتُب في أمور عقائدية مثل الأستاذ كمال زاخر، أو الأستاذ سينوت، فماذا نجد؟

أنا أكتب؛ لأنني عشت فصول هذا الصراع وكنت شاهداً عليه. فمنذ عُدت إلى مصر ١٩٧٠ بعد بعثة الحصول على درجة الدكتوراه من جامعة كمبريدج، وجدت أن الكلية الإكليريكية كانت ممزقة الأوصال بين أسقف البحث العلمي، وأسقف التعليم، وقد استمر هذا الوضع إلى أن تنيح قداسة البابا كيرلس السادس، واشتعلت معركة الخلافة، التي انتهت بإقصاء الأنبا غريغوريوس والقمص متى المسكين. وجاء الأنبا شنودة أسقف التعليم، وكان أمامه لائحة مطالب قَدِّمها كل من الأنبا صموئيل - الأنبا أثناسيوس - القس شنودة السرياني، وكان الثلاثة يجتمعون أسبوعياً في كنيسة مار جرجس كوتسيكا، ولكن هذه اللقاءات انتهت إلى لا شيء، فقد كنت أعرف ما دار في هذه الاجتماعات، وما حدث من خلاف. ويكفي أن أقول إن العقيدة لم تكن هي أحد أسباب الخلاف بين الأنبا شنودة الثالث، والقس شنودة السرياني الذي رُسم أسقفًا على طنطا من جهة، وبين الأنبا صموئيل الشهيد والأنبا أثناسيوس مطران بني سويف من جهة أخرى.

وقد ظهر موضوع الأب متى المسكين لأول مرة، بعد العودة من رحلة وفد الكنيسة القبطية إلى روما ١٩٧٣ فقد حدث لقاء أول وأخير في مكتب سكرتارية الأنبا شنودة الثالث، وكان الموضوع المطروح هو كتابة ردود على كتب: الكنيسة الخالدة، والعنصرة الباركليت في حياة الناس. وكان رأي الحاضرين وهم: الأنبا غريغوريوس - الأنبا صموئيل - الأنبا أثناسيوس - كاتب هذه السطور أن الأفضل هو إصدارات عقائدية لا ترد على أحد، بل تشرح إيمان الكنيسة. ورفض الأنبا شنودة الاقتراح، وانتهى اللقاء إلى لا شيء. ولم يكن لدى الحاضرين أي قناعة بأن كتابة رد على القمص متى المسكين له أي جانب إيجابي، وكان السبب الظاهر الذي تمسك به حتى الأنبا غريغوريوس نفسه هو أن الإيمان ثابت وأن الخلاف على شرح الإيمان لا يُهدد الإيمان، إلا إذا كان الشرح يؤدي إلى إنكار أو تزيف الإيمان نفسه. وكان المثال الواضح هو أن الاعتراف بألوهية الرب يسوع

كواحدٍ مع الآب في الجوهر، أو مساوي له في الجوهر، أو من ذات جوهر الآب، هو اعترافٌ يتضمَّن الدفاع عن ألوهية الرب بشكلٍ واضح، ولكن ما جوهر العلاقة مع الرب؟ وجاء الرد بأنه هو ما سُلِّم في الليتورجيا، وأن ما يُقال عن محبة الرب لنا هو صحيحٌ، طالما أنه لا يتعدى وحدة جوهر الآب والابن، وأن شرح التدبير يجب أن يكون حسب الاعتراف، ولا يتعدى هذا الاعتراف.

هذا هو الحق كله، ولا يجب أن يُعتَبَر شرحاً ما، مهما كان، هرطقةً، إلا إذا كان ينزل إلى مستوى الأريوسية، وهو تحديداً، إنكار وحدة جوهر الألوهة للآب والابن.

ملف التجسد الغائب عندنا منذ القرن الخامس:

وهذه الغيبة تعود إلى الأحداث التاريخية الآتية:

أولاً: الانفصال عن شركة الكنيسة الجامعة بعد ٤٥١ وفشل محاولات الوحدة التي باءت بالفشل لا سيما بعد ٦٨٠-٦٨١ في مجمع القسطنطينية، وزيادة تبادل الاتهامات بالنسبورية والأوطاخية - رغم أن مجمع نيقية في ٧٨٧ الذي أعاد مكانة الأيقونات قُبِلَ دون تحفظ في الكنائس التي رفضت مجمع خلقيدونية ٤٥١. وكان المحور الرئيسي هو طبيعة المسيح.

ثانياً: الانفصال السياسي عن الإمبراطورية الرومانية الشرقية بعد الفتح العربي في ٦٨٢، ولاحظ تقارب الأحداث بعد ٤٥١، ثم الانشغال بقضايا الداخل، أي بقاء الكنيسة، ونهاية وجود مدرسة اللاهوت في الإسكندرية، التي لم نعد نسمع عنها بلمرة بعد نهاية القرن الخامس.

ثالثاً: تغيير لغة مصر من القبطية / اليونانية إلى العربية في القرن العاشر، وبذلك انعدم تدريجياً التواصل مع كتابات آباء الاسكندرية. وخير مثال هو أننا لم نسمع منذ القرن الخامس - السادس عن كتاب "تجسد الكلمة" لأثناسيوس الرسولي، ولا عن "حوار عن الثالوث" لكيرلس الكبير.

رابعاً: كان انهيار البنية التعليمية (مدرسة الإسكندرية) هو أحد أسباب ضعف الفكر اللاهوتي.

منابع النهضة القبطية في عصر الأرشيدياكون حبيب جرجس

الأستاذ والقديس حبيب جرجس، هو بلا شك رائد النهضة القبطية في مطلع القرن العشرين، وهو المؤسس الحقيقي للكلية الإكليريكية - اللجنة العليا لمدارس الأحد - مجلة الكرمة. فهو صاحب مشروع نهضوي حقيقي.

ترك لنا الأستاذ حبيب جرجس كتابين: أسرار الكنيسة السبعة - الصخرة الأرثوذكسية - مع عدد من الترانيم.

جاء ليعمل في وقت كانت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فيه تقبع تحت حصار حركة الإرساليات الإنجيلية والكاثوليكية معاً. فقد أدرك الكاثوليك ضرورة خلق كنيسة قبطية كاثوليكية موازية لكنيسة مصر الأرثوذكسية، ونجحوا. ولم يفهم المرسلون الأمريكيان التكوين الروحي والليتورجي للكنيسة القبطية، فخلقوا كنيسة غربية إنجيلية لا تختلف عن الكنيسة المشيخية الأمريكية إلا في اللغة.

وجاء الهجوم من الطرفين على كنيسة مصر القبطية الأرثوذكسية، وتبادل الطرفان الهجوم كل على الآخر، ودارت المطابع في القاهرة وفي بيروت معقل المطبعة الأمريكية، فجاءت سلسلة وليم أدي لشرح كل الأسفار، وغيرها من كتب، كان تحتوي هجوماً مقنعاً أو مُعلنًا على العقائد والطقوس والسرائر والكهنوت، ودخلت الكنيسة الأسقفية الحلبة لتؤكد وجودها، وباتت ساحة الكنيسة القبطية مسرحاً لا تجد البطل الذي يدافع عنها إلى أن جاء الأستاذ حبيب جرجس، وبدأ نشاط اللجنة العليا ثم الإكليريكية، وكان الجهد المبذول في سبيل ذلك جهداً محلياً.

ماذا أثمرت حركة الإرساليات في مصر؟

واقع الحال

أولاً: كثرة المطبوعات الصادرة عن: مطبعة النيل المسيحية - منشورات الأخوة - دار نشر الكنيسة الأسقفية - المكتبة الشرقية - المطبعة الأمريكية (بيروت) التي أصدرت تفاسير وليم أدي، بل صدرت تفاسير للعهد الجديد لمؤلف إنجليزي أجاد العربية، وهو جاردنر.

أمام هذا السيل الجارف، كانت هناك مكتبة المحبة، وبعض كتب شحيحة: تاريخ الكنيسة للقمص منسى يوحنا، وغيره من مؤلفات تُعدُّ على أصابع اليد الواحدة. كان أول كتاب في علم اللاهوت، هو كتاب الأب ميخائيل مينا. وقد نُقل عن كتاب صدر في بيروت لكاهن ماروني. وجاء كتاب الأسرار السبعة للأرشيدياكون حبيب جرجس نقلاً تاماً عن كتاب الأنوار في الأسرار لمطران الروم جراسيموس مسرة.

كان هناك هجوم إنجيلي شنه بنيامين شنيدر عن أصل العقائد والطقوس، وكانت هناك ردود كاثوليكية. ولكن جاء كتاب علم اللاهوت النظامي للكنيسة الإنجيلية، وأسهم في رد أقباط أرثوذكس على نقد وهجوم المرسلين الكاثوليك.

ثانياً: كان المصدر التاريخي الوحيد الذي نُشر هو تاريخ الكنيسة لمؤرخ ألماني الأصل هو موسهيم، ووجد فيه المدافعون المادة التاريخية، وبدأت حركة ترجمة الآباء، فنشرت مجلة الكرمة ترجمة عربية لرسائل القديس أغناطيوس. كما نشرت دار نشر الكنيسة الأسقفية أول ترجمة عربية لتجسد الكلمة للقديس أناسيوس. ونشرت أيضاً حياة أنطونيوس، بل وُجدت طبعة نشرتها مطبعة النيل المسيحية في ١٩٢٧ تعريب روفائيل الطوخي.

كانت العودة إلى الآباء قد ظهرت بعنف في إنجلترا، وقادها قسٌ إنجليزي انضم إلى الكنيسة الكاثوليكية، وعُرف باسم Newman وذلك في أعقاب حركة نهضة آباءية بدأت في جامعة أوكسفورد قادتها مجموعة بقيادة دكتور Pusey وعرفت باسم Oxford Movement وإلى هذه المجموعة بالذات تعود سلسلة آباء ما قبل نيقية ونيقية وما بعد نيقية، وهي الـ ٣٨ مجلد التي وصلت إلى دير السريان بعد عودة القمص متى المسكين من الإسكندرية، وساهمت في دعم ما ورد في كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية. كان الراهب القس مكاري السرياني هو الذي أرسل هذه المجموعة إلى دير السريان، ومن هذه المجموعة ظهرت ميامر عيد التجسد وعيد القيامة التي كان يصدرها الدير.

كُتب بدون تخصص:

كانت أول مرة أمسك فيها بمجلد يحتوي على: الرسالة الى الوثنيين - تجسد الكلمة - المقالات الأربع ضد الأريوسيين - بعض رسائل عيد الفصح - حياة أنطونيوس - تاريخ الأريوسية - تاريخ المجامع ومقالات أخرى للقديس أناسيوس في سنة ١٩٥٩ وكان المجلد استعارة من د. نصحي عبد الشهيد.

ولم يكن القديس أناسيوس يُدرّس في الإكليريكية إلا في مذكرة اللاهوت المقارن للأستاذ د. وهيب عطا الله. ولكن ما أعظم الفرق بين دراسة للأريوسية ودراسة شاملة للتعليم اللاهوتي كله عند أناسيوس. ولم تظهر ترجمة عربية للرسائل إلى سريايون عن الروح القدس، إلا بعد أن قام القمص مرقس داود بنشر ترجمة طبعها مدارس أحد الجيزة بفضل فهم أمين المكتبة الأستاذ جرجس صبحي لقيمة الكتاب.

لم يكن لدينا مدرس لآباء الكنيسة، والفرق الكبير بين من يقرأ ويدرس معروف، ولكن اكتفى بنقطتين:

١- من يدرس يتمكن من معرفة الخلفية التاريخية بكل ما فيها من تفاصيل، ويدقق في دراسة المصطلحات والكلمات التي استُخدمت، وتاريخ هذه الكلمات، واستعمال هذه الكلمات عند السابقين والمعاصرين. أما من يقرأ فهو يقرأ ليفهم

ويعرف ويكشف على قدر ما لديه من قدرات ومعرفة، تتحكم فيها الدراسة الأكاديمية السابقة والمؤهلات، ومقدار التحصيل، بينما الدارس يطّلع على النقد، وعلى التقييم اللغوي والتاريخي، وما صدر من أبحاث.

٢- الدارس لا يختزل الأفكار في نصوص مهما كانت؛ لأنه يعرف لماذا كُتب هذا النص بالذات، والهدف أو الأهداف التي يسعى إليها الكاتب، ومقدار معرفة الكاتب نفسه برأي من يكتب ضده، ومدى صحة ما يكتب، وهذا غير متوفر لمن يقرأ لأنه يحب اثناسيوس ويريد الإلمام بما دوّنه المعلم السكندري الكبير. ولم تكن معرفتنا باللغة اليونانية جيدة. كان الأستاذ يسى عبد المسيح ثم د. برومستر كلاهما يدرسان اللغة اليونانية وكان د. برومستر مسئولاً عن جمعية الآثار القبطية، وكان يعرف العربية والقبطية، وكان الأستاذ يسى عبد المسيح هو ذراعه الأيمن، وبعد أن رحل، فقد برومستر الدعم العلمي. ولكن كان لديه رغبة في أن يقدم كل مساعدة ممكنة لمعرفة اللغة اليونانية، ودرست معه إنجيل يوحنا على الأصل اليوناني، وكان هو الذي أخبرني عن الأصل الآرامي للإنجيل، ولما سألت أستاذنا العظيم د. مراد كامل، قال إنه لا مانع لديه من مساعدتي، فقد أتقنت العبرانية معه، وبدأت أدرس الآرامية في وقت كان د. مراد كامل قد مُنع فيه من التدريس في الكلية الإكليريكية بقرار من أسقف التعليم.

النص في اللغة الأصلية والنص المترجم:

نحن تحت حكم كل النصوص المترجمة إلى العربية، والعيب ليس في اللغة العربية، ولكن في قدرة المترجم نفسه الذي قد يخاف من اختيار كلمة عربية غير شائعة، فيضطر إلى استخدام الكلمة الشائعة والتي لا تعبّر عن الحقيقة، والمثل على ذلك كلمة "عبادة" التي لا وجود لها في اليونانية أو القبطية، بل هي معروفة في العبرانية والعربية فقط، ولا وجود لها حتى في الإنجليزية على سبيل المثال؛ لأن كلمة *worship* تعني حسب قاموس أوكسفورد الكبير: "تقديم الإكرام والهبة لمن له الإكرام". وكانت بصيرة د. مراد كامل هي أول نور كشف عن حقيقة غائبة،

وهي أن الوعي المرتبط بنصٍ مُترجمٍ يجب أن يعود إلى الأصل. والمثال الصارخ هو رو ٨: ٣٢ "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله"، والترجمة الأدق هي "الذي لم ييخل، ولم يضمن"، فلا مجال لعدم الشفقة عند الآب، وهو التعليم الذي ضرب المحبة الإلهية في القلب في القرن الـ ١٦، وانتقل إلينا عبر مؤلفات الإنجيليين. وحتى في أقدم ترجمة إنجيلية "*He that spared not his Son*" والعودة إلى النص الأصلي تعني اكتشاف ذات المفردات عند بولس ويوحنا ومتى الخ والتي قد لا يجد المترجم أن لها أهمية بالمرة. وكم من عقائد بُنيت على أخطاءٍ في الترجمة؛ لأن لكل لغة تاريخ وتطور وقدرات خاصة الخ قد لا نجد لها في غيرها.

غياب دراسة الآباء عن التعليم العقيدي

بكل أمانة ودقة، كانت لدينا نصوص آباءية قليلة، تجدها في كتاب أسرار الكنيسة السبعة، وفي مذكرات اللاهوت العقيدي لأستاذنا د. وهيب. وفي القسم الخاص بالبدعة البيلاجية لم يذكر أستاذنا د. وهيب، تعليم آباء الكنيسة الشرقية بالمرّة، وأول هؤلاء أثناسيوس، فقد اختار أستاذنا العظيم أن يسير على هدى المرجع الوحيد الذي عاد إليه، وهو كتاب تاريخ العقيدة المسيحية لأستاذ التاريخ الكنسي في جامعة كامبريدج Buthen Baker ولم يكن في تلك الفترة، أي في الخمسينيات من القرن الماضي في جامعة كامبريدج أي اهتمام بالآباء الشرقيين، حتى جاء الأستاذ G. H. Lampe وعاد الأخوة تشادويك إلى التدريس. وتأثر أستاذنا د. وهيب عطا الله بالمؤرخ الإنجليزي الذي أغفل تماماً أي ذكر لما دونه أثناسيوس السكندري عن سقوط الإنسان، وأصبح من السهل الوقوع في ذلك الخطأ الشائع، وهو قراءة كتاب تجسد الكلمة لأثناسيوس من خلال أوغسطينوس المؤلف الحقيقي والناشر الفعلي لمصطلح الخطية الأصلية. والوقوع في خطأ تاريخي ليس هو المشكلة، بل المشكلة هي التمسك بهذا الخط والدفاع عنه واعتبار أن أي محاولة للتصحيح هي خروجٌ عن الإيمان، وكُفر، وهو ما شاهدناه في السنوات الماضية، بل قال أحد الباحثين: صحيح أن مصطلح "الخطية الأصلية" غائب عن كتابات أثناسيوس تماماً، ولكن المعنى موجود، ولكنه لم يشرح لنا كيف يكون المعنى موجوداً بدون كلمة أو سطر يعبر عنه ويصرح به؟!!!

والسبب الأساسي هو الظن بأن السقوط هو سبب الفداء، لا محبة الله. وأن وراثة ذنب وخطية آدم هي سبب التجسد، بينما فقدان الحياة وسيادة الموت هو أحد أسباب تجسد ابن الله، وهو ما أسهب المعلم أثناسيوس الرسولي في شرحه.

رفض العودة إلى تاريخ العقائد:

أولاً: هو رفضُ مَنْ يجهل هذا التاريخ. وعلاج الجهل هو الدراسة.

ثانياً: اعتبار أن حقبة الـ ٤٠ سنة الأخيرة من تاريخ الكنيسة، هي المصدر الحقيقي للتعليم، ولكن هذا ظنٌ يصل إلى درجة هذيان التشيُّع لأسماء ولعبارات رنانة تتكرر من أجل تأكيد الهذيان، مثل القول بأن هذا كان هو تعليم الكنيسة القبطية منذ أن نشأت بواسطة كرازة مار مرقس، وعندما نطلب البرهان والدليل التاريخي على ذلك من كتابات آباء الإسكندرية، يلجأ البعض منهم إلى تزوير نصوص القوانين الكنسية، وإلى تزوير نصوص كتاب "تجسد الكلمة".

ومن هنا بدأت الحرب الشعواء ضد الدارسين.

وأذكر واقعةً لا زال الشاهد عليها على قيد الحياة، فقد ضحَّى الأخ وهيب قرمان بأربع سنوات من عمره في جامعة *Durham* ليكتب رسالة دكتوراة هي الأولى في العالم عن "النعمة في كتابات القديس أنثاسيوس"، وعند عودته إلى مصر ذهب ليقدم نسخةً من رسالة الدكتوراة للأنبا شنودة الثالث، فرفض قبول الهدية من د. وهيب قرمان، بحجة أنه، أي الأنبا شنودة، لم يرسله إلى إنجلترا للدراسة. هذا فضلاً عن أن الهجوم المتواصل على كتابات الأب متى المسكين، أدَّى إلى ظهور الخوف بشكل أفضح.

ويبقى السؤال: هل آن لهذه الحرب الشعواء أن تتوقف؟

والجواب: أبداً؛ لأن ما يُكتب ويُنشر يهدد مَنْ يجهل، ومَنْ لا يعرف يظن أن عمامة الأسقفية هي دائرة معارفه.

الحلول الكنسية المقدسة:

أولاً: العودة إلى منهج الأستاذ حبيب جرجس الذي ظهر مبكراً في مجلة الكرمة كمجلة أبحاث للدارسين، ويجب ضم كل الدارسين في هيئة تحرير واحدة، والتخلي عن حلم القيادة من أجل إنقاذ التعليم الأرثوذكسي، بحيث يشترك مركز

الآباء - بناريون - مدرسة الاسكندرية معاً في عدد واحد كل سنة، مجلد واحد يضم أفضل الأبحاث، أو ترجمة نصوص لم تُنشر من قبل.

ثانياً: عقد ندوات سنوية يُدعى إليها الدارسين، ولا مجال فيها لمعاملة أحد على حساب الإيمان.

هذه ملامح الحل لمشكلة مزمنة يجب حلها من أجل الآتين بعدنا إلى الأبد كما تقول أوشية الاجتماعات. والرب قادر أن يحرك القلوب.

بين ما على السطح، وما رَسب في العمق

على السطح مبارزات بالنصوص، ووقاحة تستهدف فرض البعض رأيه وشرحه حتى على نصوص واضحة صريحة لا تقبل التأويل من نصوص العهد الجديد، مثل "ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي" (يوحنا ١٥ : ٢٦). فالذي جاء إلينا هو روح الحق، وليس طاقة أو قوة فقط؛ لأن الانبثاق من الآب حسب اعترافنا الذي يتردد في كل صلوات الكنيسة منذ القرن الرابع على الأقل، وإن كان قبل ذلك، هو ما ذكره قانون الايمان النيقاوي (٣٢٥-٣٨١): "نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب ..". ولا يقتصر الأمر على الوقاحة فقط، بل والكذب أيضاً عندما يحشر البعض كلمة "العدل الإلهي" في شرح كتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس، رغم عدم وجودها بالمرّة في الأصل اليوناني، وكأن موت الرب المحيي على عود الصليب لإرضاء العدل الإلهي هو عماد وجوهر المسيحية، وليس موته المحيي لإعلان محبة الله للخطاة.

فإذا كان هذا حال السطح الدائم الفوران بالأكاذيب والوقاحة، فماذا يكمن في الأعماق؟ ولماذا تراجع التعليم إلى مربع التزييف والتدليس؟ هل انكشف أمام القارئ عمق الهاوية المخيفة، وهي جهنم ذاتها؟ نقول هو جهنم ذاتها لأن ما هو كامنٌ في الأعماق هو تغييبٌ عن عمدٍ أو جهل،

أولاً: للوعي بالبُعد الأبدي لما يُقال ويُكتب ويدافع عنه الوقحون، ويطالبون بقطع من يختلف معهم من شركة الكنيسة، لأنهم لا يحتملون الصوت النبوي الذي يشرح التعليم، ويكشف ما تحت القناع المزيف.

وثانياً: تغييب متعمد للإنسان نفسه، ومحاولة إفقاده لكرامته التي نالها في المسيح يسوع.

ما هو المقصود بالبُعد الأبدي؟

لا شك أن البُعد الأبدي، هو الحياة الأبدية التي كانت عند الآب ثم أُظهرت لنا (١ يوحنا ١ : ٣-١)، والتي صار لنا شركة فيها في يسوع المسيح. ولاحظ - عزيزي القارئ- على سبيل المثال لا الحصر هذا الكذب: إذا جاء الرب لكي يعطي لنا كما يقول الرب نفسه: "أنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد" (يوحنا ١٧ : ٢٢)، يقولون إن مجد المسيح هذا هو مجدٌ بشري، وليس المجد الإلهي الذي له عند الآب، أي المجد الذي كان له عند الآب قبل خلق العالم (يوحنا ١٧ : ٥)، ذلك لأنه أخلى ذاته وأخذ صورة العبد (فيلي ٢ : ٦)!!!! كيف يكون للرب نوعين مختلفين من المجد، واحداً إلهي والآخر إنساني؟ ومن أين جاء المجد الإنساني؟ وكيف يمكن أن ينقسم مجد الرب إلى "مجدين"؟ هل ترى عزيزي القارئ فظاعة الخداع؟ لأنه إذا كان الرسول يقول: "ونحن جميعاً نأظرين مجد الرب بوجه مكشوف .. نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢ كو ٣ : ١٨)، فكيف لا يكون هذا المجد هو مجد الحياة الأبدية، أي الحياة التي لا فساد ولا موت فيها؛ لأنها رغم كل الحجج الباطلة، هي حياة متألمة، وإلا ما هو معنى الكلمات السابقة في (٢ كو ٣ : ١٨)، والتي تخص القيامة والمصير الأبدي؟ لأن الرسول يقول: "الذي سوف يغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فيلي ٣ : ٢١)، فهل جسد الرب الممجد بكل مجد اللاهوت، له مجدٌ بشري غير إلهي؟ أليس "عدم الفساد" هو اسمٌ خاصٌ بالحياة الإلهية؟ أوليست "الأبدية" هي اسمٌ لحياة الله "العظيم الأبدي الذي جبلنا على صورته ومثاله" (تكوين ٢ : ٢٦)؟

كيف ضاع الإنسان في وطيس تلك المعارك؟

الوجه الآخر لتغييب البُعد الأبدي هو تغييب الإنسان، ف"الإنسان"، عزيزي القارئ هو ذلك المجهول الآخر الكامن في أعماق ما يفور على السطح، يضربونه مرةً بالفتاوى، ومرةً بقوانين، وثالثةً بنصوص مزورة!!!

مأساتهم الحقيقية هي عدم إيمانهم "بالإنسان وكرامته في يسوع المسيح" كما لاحظ شيخ الإسقيط القمص متى المسكين، وحاول أن يمد شبكة الملكوت لكي تصطاد الذين يبحثون عن محبة الله ورحمته.

وبالرغم من أن سؤالنا عن كيفية ضياع الإنسان في العراك بالنصوص، قد يبدو سؤالاً صامداً، غير أنه حقيقي. فالواقع ينطق بصوتٍ يسمعه كل من له إذنان للسمع:

- ألا يعد تضييعاً للإنسان إذا منعنا المرأة الحائض من تناول استناداً إلى ما ورد في أسفار اللاويين والثنية، في الوقت الذي نضع فيه أجساد الشهداء والقديسين في الكنائس للتبرك بها دون أي اعتبار لما ورد في أسفار العهد القديم عن ما كُتب عن نجاسة الموت، وعن لمس أجساد الموتى؟ لماذا نأخذ بعض النصوص ونترك البعض الآخر؟ ما هو معيار أعمال بعض هذه النصوص وإهمال الآخر؟ إما أن ننزع ما تقوله الشريعة الموسوية، وإما أن نبقي في الشريعة الموسوية، أما الانتقاء فهو يفضح طوية نفوس هؤلاء.

- أليس باختيارنا نصوصاً دون غيرها، نكون قد هدمنا قداسة الجسد التي أُعطيت في المعمودية والميرون؟

- أليس باختيارنا نصوصاً دون غيرها نكون قد جعلنا بعض أعضاء جسد المسيح أفضل، وهم هنا الرجال، وأعضاء أخرى أقل في القداسة، بل أعضاء نجسة، لمجرد أنهن نساءٌ يَحْضُن؟ ويُمنع هؤلاء من تناول بحجة الـ "فطر"، أي فطرٍ هذا، ومن ذا الذي شرّع أن الفطر يمنع من تناول؟ وقبل أن تغضب عليّ اسأل

نفسك: هل الصوم قبل تناول قانون أم اختيار؟ إن ما يحرمه القانون، فهو ممنوع دائماً، أما إذا كان المنع مؤقتاً، فهذا اختيار وليس قانوناً. مَنْ يختار أن يأكل "طعام الخلود" قبل ثمار الأرض، فهو إنسانٌ ناضجٌ عَرَفَ النعمة. المحبة لا تنمو بلا حرية، والحرية من الإيمان: "وحيث روح الرب هناك حرية" (٢ كو ٣: ١٧). حرية من الفساد، ومن شهوات عابرة. أما إسقاط الحرية وإخضاع الإنسان إلى القانون، فهو إنكارٌ للحرية وللمحبة والإيمان، وما محاولة تحديد الحرية بالنصوص إلا إلغاءً للإنسان تماماً.

- وإذا جئنا إلى تلك المعارك المفتعلة حول الأَقْنوم والمواهب، نجد أن ما يرسب في قاعها هو حذف، بل إلغاء العلاقة الشخصية، أو الأَقْنومية بين الإنسان والثالوث، لا الإنسان والروح القدس، أو الابن وحده. لأن إنكار حلول الأَقْنوم علينا يفرِّغ عطية هذا الأَقْنوم لنا من معناها، لأننا إذا أخذنا قوةً فقط، ولم تحوّلنا هذه القوة؛ لنكون على صورة المسيح، فإن حياتنا بقوة أو طاقة هي حياة بلا هدف. فالقوة أو الطاقة تعطى ليس كقوة غامضة، بل هي قوة حياة، ولذلك عندما يقول الرب لنا: "مَنْ يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧)، لا يحيا الإنسان في "انفصال أو عزلة"، أو مع طاقة ليس لها صورة، أو مع قوة تعمل بشكل مستقل عن الأَقْنوم، بل يحيا مع طاقة وقوة حياة مَنْ قال لنا: "مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يكون فيَّ وأنا أكون فيه" (يوحنا ٦: ٥٦) حسب الترجمة القبطية.

هل إنكار وراثه الخطية الأصلية، هرطقة؟ (أسئلة مشروعة)^(١)

تاريخياً، نصادف شخصاً أو أكثر استخدم تعبيرات خاصة، وُصفت بأنها من قبيل إنكار الإيمان أو تزيفه، وذلك مثل التعابير والكلمات التي أدت إلى إنكار ألوهية الرب في التعليم الكاذب للأريوسية، أو تزيف الاتحاد الأقنومي في التعليم النسطوري. ولكن اعتبار أن إنكار “وراثه الخطية الأصلية” بمثابة هرطقة، أو إنكار للإيمان أو تزيفه، فهو ما لم يقل به أحد. خصوصاً، وأن التعليم بوراثه الخطية هو تعليم غربي كان بطله الأساسي القديس أوغسطينوس، وأن هذا التعليم لم يُعرف في الشرق، ولم يُعقد مجمع مكاني أو مسكوني في الشرق لتأييد هذا التعليم الغربي الروماني.

في ضوء ذلك، هل يصح أن يُوصَف بالهرطقة أو بإنكار الإيمان أو تزيفه مَنْ يقول إن سقوط آدم جاء بالموت، وأن الموت لا الخطية هو الذي يورَث، وهو ما نراه ونلمسه كل يوم، وتشهد به المقابر التي تملأ الكرة الأرضية في كل مكان، في الوقت الذي فيه ليس لدينا تعليم شرقي أرثوذكسي عن وراثه خطية آدم، وإنما لدينا التعليم بوراثه الفساد والموت؛ لأن الأفعال الإنسانية - مهما كانت شريرة أم مقدسة - لا تورَث، وهو ما سجَّله لنا الآباء الكبار: أثناسيوس الرسولي - كيرلس عمود الدين - ذهبي الفم؟

وهل يمكن أن يعد هؤلاء الآباء بدورهم هرطقة أيضاً؟

أوليس الاتهام بالهرطقة هو اتهامٌ في أعز ما يملكه أي مسيحي، وهو الإيمان؟
أوليس هذا التعسف في الاتهام هو ما يخلق الانقسام والفرقة؟

هل صارت العودة إلى منابع الأرثوذكسية، أي تعليم آباء الكنيسة الشرقية

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٩ نوفمبر ٢٠١٦.

الأرثوذكسية، ممنوعةً علينا وغير مسموح بها إلى درجة أن نتهم كل من يقدم بحثاً تاريخياً عن الخطية الأصلية، مثبتاً فيه ومؤكداً أن المصطلح نفسه غير معروف عند الآباء الذين كتبوا باللغة اليونانية من العصر الرسولي حتى يوحنا الدمشقي، وأن وراثـة الخطية التي تظهر عند أوريجينوس وديديموس الضرير هي أصلاً تعود إلى الاعتقاد بتناسخ الأرواح الذي ساد ثقافة العالم القديم، والقائل بأن آدم خلُق روحاً محضاً، وأنه سقط من العالم الروحي، ولذلك حُبس وسُجن في الجسد، وهو التعليم الذي فنّده القديس كيرلس الكبير في شرح إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول، وخصص له ٢١ اعتراضاً؟

لماذا التشدد والتعسف في استخدام كلمات ومصطلحات لها استعمال خاص في تاريخ الكنيسة، يصبح استخدامها ضاراً جداً، لا سيما وأنها تستخدم بواسطة أناسٍ لم يدرسوا التاريخ الكنسي جيداً؟

تُرى هل سنكون دعاة بحث وسلام واحترام لكل من يختلف معنا طالما أنه لم ينكر الإيمان الذي تعبّر عنه صلاة الصلح الباسيلي بقولها: “الموت الذي دخل إلى العالم هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد”، وأنه مع إبادة الموت، تمّ أيضاً إبادة الدينونة والخطية التي تحمل الموت في داخلها؟

ليعطِ الربُّ لنا القلب المحب الذي لا يُسرّع إلى اتهام من يختلف معنا، لا سيما إذا كان يردد تعليم أناسيوس وكيرلس الكبير.

عودة الوعي اللاهوتي^(١)

منذ سنوات حذر الأنبا شنودة الثالث من خطر "استخدام الآية الواحدة"، ولكن كما هو واضح من كتاب "بدع حديثة"، وقع هو نفسه في نفس الفخ الذي سبق وأن حذر الآخرين منه.

عبر ما يربو على ربع قرن من الزمان أتقن جيلٌ حشد الاعتراضات بالآيات، أو إبراز فكرة معينة تبدو بَرّاقة سليمة رائعة دون أدنى محاولة ربط هذه الفكرة أولاً: بثوابت الأرثوذكسية، تلك التي أقرها الإيمان النيقاوي وعبر عنها قانون الإيمان بكلمات قاطعة. وثانياً: بما حدث من إلغاء تام للتعليم الشامل الذي يضم الخلق والخلاص وتدبير تجسد الابن وسكنى الروح القدس وقيامه الجسد .. يبدو للبعض أن الاعتراض من أجل الاعتراض هو الأرثوذكسية، وهذا في حد ذاته يكشف كثيراً عن سياق أفكار عامة غامضة، وذلك مثل الاعتراض بنص واضح: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"؛ بغرض إلغاء الشركة في الطبيعة الإلهية .. وهو إلغاء يهدف عطية التبني والحياة الأبدية وسكنى الروح القدس.

الفكرة الواضحة في عقل المعارض هي الاعتراض فقط، ولو بسوء استخدام نصوص الكتاب المقدس، أو مجرد تصور شخصي، ونعرض هنا مثلاً عن ثقافة جيل فقد الوعي اللاهوتي – تعليقاً على مقالنا: "جبل طابور، والجلجثة والقبر – وهو اعتراض يسجل صاحبه فكرته (نُقلت حرفياً) ظناً أنها صائبة:

"إذا كان التجديد قد حدث في إنسانية يسوع كحدث تراكمي يبلغ قمته بالصليب والقيامة، أفهل يعني ذلك أن الهيكل البيولوجي (اللحم والدم) قد تحوّل وتغيّر إلى الطبيعة الروحية الجديدة، وبالتالي لم يترك الرب بقيامته إلا قبراً فارغاً؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فلماذا يترك القديسون حينما ينتقلون إلى السماء جثثاً يعتبرها الفساد الطبيعي والتحلل الرمي؟ ألا يعني ذلك أن موت المسيح وقيامته

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٢ إبريل ٢٠١٣.

كانا خاصين به؟ وحينئذ ألا يكون مفهوم الخلاص قد ضُرب في مقتل؛ إذ قد فقدنا اشتراكنا معه موتاً وقيامة؟".

إن عودة الوعي اللاهوتي، ليس فقط لصاحب هذا الاعتراض، بل لجيل فقد الرؤيا الشاملة، هي في الإيمان بأن بداية التجديد كانت في "البكر" في "رأس الجسد" (كولو ١: ٢٨) الذي تحول جسده الى "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١) لكي يحوّلنا نحن فيه؛ لأن التحول هو خاص بالإنسانية. وصاحب الاعتراض لم يدرس رسالة رومية الإصحاح الثامن، حيث يؤكد رسول المسيح أن الخليقة التي "أخضعت للبطل" ... سَتُعْتَق من عبودية الفساد" (٨: ٢١).

الآن في زماننا هذا "كل الخليقة تن"، وفي حالة مخاض الولادة. أمّا نحن الذين آمنّا بالمسيح "الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نحن في أنفسنا متوقعين التبنّي فداء أجسادنا" (٨: ٢٢)، فالجسد نال العربون فقط.

وعندما يقول رسول المسيح: "هوذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت" (١ كو ١: ٥١ - ٥٣).

الثوابت هي خاتمة قانون الإيمان، وهي: "نتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي". ويضاف إلى هذا أننا لا نزال كلنا - حتى رسول الرب بولس - في مخاض سوف ينتهي يوم القيامة، ولذلك يقول إننا نحن، وهو معنا "نتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء" (فيلبي ٣: ٢٠ - ٢١). لقد غاب من الاعتراض الثوابت الأرثوذكسية وفي مقدمتها قيامة الأموات، كل الأموات.

غاب من الاعتراض أن تحديد ناسوت المسيح يُمنَح في السرائر، في المعمودية والميرون والإفخارستيا، وهذه أهم ثوابت الأرثوذكسية.

غاب من الاعتراض أيضاً أن "اللحم والدم"، هو أبلغ تعبير عن التجسد الإلهي: "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشارك هو (يسوع) أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالمولود ذاك الذي له سلطان الموت .." (عب ٢: ١٤). فالتجسد ليس قاصراً على الرب من أجل الرب، بل لأن أحد الثابت "هذا الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم ... وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه" (قانون الإيمان).

وهكذا عندما نحاصر حياة الرب بهذا الشكل، فإننا ننسى أن القيامة هي لنا؛ لأن الصلب كان لنا، كما أن التجسد كان لنا "نحن البشر" ولأجلنا.

القبر الفارغ حسب بشارة الملائكة للنسوة هو هزيمة الموت، وليس مجرد قبر فارغ، هو فقدان الموت لسلطانه؛ لأن الموت جاء باختيار الرب الحر (يوحنا ١٠: ١٨). ولأن أهم ثوابت الأرثوذكسية هي: "بالموت داس الموت"، فقد قبل الموت في جسده لكي يعطي لهذا الجسد حياةً غالبية الموت. لقد كنا أمواتاً بالخطايا، ولكن "الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح .. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أفسس ٢: ٥ - ٦). لكن هذا كله لا يلغي ما أكّده رسول المسيح عن قيامة الأموات؛ لأننا لم نأخذ بعد "فداء الجسد" من التحلل والفساد والعودة إلى تراب الأرض إلى أن يأتي يسوع في مجده، ولذلك يقول رسول المسيح: "لا أريد أيها الأخوة أن تجهلوا من جهة الراقيين ... لأننا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيَحْضُرُهُمُ اللَّهُ مَعَهُ .. لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً .." (أفسس ٤: ١٣ - ١٦).

ولاحظ دقة تعبير الرسول: "الأموات في المسيح"، هؤلاء مثل أنطونيوس الكبير وأثناسيوس وكيرلس وكل الآباء والشهداء والذين كان لنا شرف معاينة

شهادتهم في أيامنا في الإسكندرية والفكرية والكشع وماسبيرو وقوافل شهداء أم الشهداء، لن تقف عند محطة واحدة في زمان واحد .. تُرى هل يؤمن صاحب الاعتراض بأن يسوع قد دخل إلى مجده لأنه وُضع قليلاً عن الملائكة لكي يحررنا نحن (راجع عب ٢: ٩) مع حديث الرب مع تلميذي عمواس لوقا ٢٤: ٢٦ حيث يقول الرب نفسه إنه "ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده"؟ لو أن صاحب هذه الأسئلة الاعتراضية فكّر ملياً في أن الخلاص يسير حسب التدبير من الولادة الجديدة ومثالها، ولادة يسوع نفسه من العذراء والروح القدس، وهي أساس ولادتنا من الماء والروح، وهي - ما سبق وذكرناه عدة مرات - نقل الجنس البشري من آدم إلى المسيح آدم الأخير، وأن مسحته هي مسحتنا نحن، وأن موته هو تحرير إنسانيتنا فيه هو أولاً لكي نتحرر نحن، وأن قيامته هي قيامتنا نحن التي لن تعطى إلا للكل في يوم القيامة أقول لو كان صاحب الاعتراض فكّر ملياً في خطوات تدبير الخلاص، لَمَا انتهى إلى ما سطره.

ومع التدبير تسير الليتورجيا معلنة كل الثوابت التي نعترف بها في صلوات التقدمة (الأنافورا) لكي نصل إلى استدعاء الروح القدس المحيي لكي يعطي لنا "جسد ودم عمانوئيل الهنا".

خطوات عملية لاسترداد الوعي اللاهوتي:

أولاً: دراسة شاملة ودقيقة لكتاب "تجسد الكلمة" للقديس أنثاسيوس - "المسيح واحد" للقديس كيرلس السكندري - "المقالات الأربع ضد الأريوسيين"، وإعادة ربط الشرح اللاهوتي بالصلوات الليتورجية.

ثانياً: "نحن نمارس ما نصلي ونصلي ما نمارسه"، وهي أقرب ترجمة لرد القديس إيرينيئوس على الغنوسيين، ولذلك؛ ولأننا نصلي على الراقدين -أرجو قراءة- ويا ليت إعادة نشر كتاب أستاذنا سمعان ساليديس: القول اليقين في الصلاة على الراقدين)، فإننا نعلن إيماننا بالقيامة الآتية، وبشركتنا معهم في ذات

الحياة الواحدة التي نعبر عنها، ليس فقط في قانون الإيمان، بل أيضاً في صلوات المجمع وما بعد المجمع في القداس الإلهي.

أتمنى للجميع -قبل الاعتراض- الدراسة، واسترداد الوعي اللاهوتي الشامل بكل العقائد قبل تقطيع الإيمان إلى أفكار متباعدة لا علاقة بينها ..

ولو قال أحد ما -مهما كان- إننا نتناول الناسوت فقط، فهو في حقيقة الأمر لا يؤمن بالتجسد إلا كفكرة في عقله، ولم يضع التجسد في مكانه الصحيح وهو أن يسوع صار بالتجسد رأس الجسد الكنيسة .. البكر بين أخوة كثيرين .. المتقدم علينا في كل شيء فهو البداءة (كولوسي ١ : ١٨)؛ لأننا -كما قال رسول الرب يسوع - قد متنا "وحياتنا مستترة مع المسيح في الله، متى أُظهر المسيح حياتنا؛ فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كولوسي ٣ : ٣-٤).

*** **

يا يسوع لقد وهبت حياتك لنا

بهذه الهبة نقدم حياتنا الترابية لك

بهذه الهبة ننال الحياة الأبدية فيك وبك

نُصَلِّب معك ونموت معك لكي نقوم معك

وقيامتنا عربون أخذناه سيكمل في يوم مجدك، يوم قيامتنا بالجسد.

ماذا بعد هذه الحرب المعلنة على التاريخ والعقيدة ولمصلحة مَنْ تدور رحى هذه الحرب؟^(١)

- ١ -

أهمية دراسة التاريخ

يعرف كل الذين تمكنوا من دراسة التاريخ المسيحي واللاهوت المسيحي، المكانة العالمية لعدد من المؤلفين والباحثين من الأرثوذكس في كنائس اليونان وفرنسا وإنجلترا وأمريكا وألمانيا، وأخيراً روسيا. فقد حظى بعضٌ منهم بوظائف في أعرق الجامعات مثل كالستوس وير أستاذ اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي في جامعة أوكسفورد، والدكتور القس الأرثوذكسي ياروسلاف بليكان Pelikan أستاذ تاريخ العقيدة المسيحية في جامعة هارفارد. والأسماء كثيرة لمن أراد أن يتعرف على تراث الأرثوذكسية الممتد إلى ما يقرب من ألفي عام.

وقد شغل هؤلاء هذه المكانة بفضل الأمانة والدقة في عرض قضايا الإيمان، وهي أمانة ودقة تصبُّ في خدمة أصالة الأرثوذكسية، لا سيما وأن ملفات التاريخ القديمة كلها منذ القرن العشرين، أصبحت في متناول الباحثين، ولم يعد لأحد قدرة على التستر أو الغش أو إخفاء معلومات دُوّنت ونُشرت، وحقق أساتذة اللغات القديمة صحتها ونشروا الطباعات العالمية في أوكسفورد وبرلين وباريس، وأخيراً بعد أن نالت اليونان حريتها من الحكم العثماني، بدأت مطابع جامعات اليونان في نشر كتب الآباء والمؤلفات اللاهوتية التي لم تكن قد نُشرت في فترة الحكم العثماني.

فمن يحاول الغش أو يخطئ، لا ترجمه بالمرّة أعلام الباحثين. فقد حدث أن أخطأ

(١) سلسلة من ستة مقالات نُشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في الفترة من نوفمبر ٢٠١٦ إلى ديسمبر ٢٠١٦.

محاضرٌ في تاريخ الكنيسة، كان يُدرّس في جامعة كامبريدج، ونشر مجموعة من الدراسات تحت عنوان قيام إمبراطورية أصحاب الطبيعة الواحدة، وكانت هذه الدراسات محشوة بأخطاء تاريخية، وكان مصير د. W. Friend أن مُنع من التدريس، وأُعيد نشر الكتاب باسم The Rise of the Monophysite Movement لأنه لم يقرأ الحفريات الخاصة بمملكة النوبة التي لم تكن إمبراطورية، ولم تكن قد قامت إلا على النوبة وجزء من صعيد مصر، ولم تدخل في صراع مع الإمبراطورية الرومانية، كما حفل الكتاب الأول قبل التصحيح بأخطاء تاريخية فادحة، لا سيما وأن الإمبراطورية التي ادّعى هذا المدرس وجودها، لم تمتد شمالاً إلا في جزء محدود من صعيد مصر، ولم تمتد جنوباً نحو القارة حيث الحبشة أو إلى شمال إفريقيا.

وعلى هذا، فأخطاء المدرسين في الجامعات مرصودة، وتواجه بنقدٍ لا يرحم في الدوريات والمجلات التي تخصصت في نشر الأبحاث مثل Journal of Theological Studies الذي تصدره دار نشر جامعة أوكسفورد، وصدر ابتداء من عام ١٨٩٩. طبعاً، لا مجال لعرض الدوريات التي تصدر في فرنسا وألمانيا.

وقد شهد القرن التاسع عشر، والعشرون إصدار دوائر المعارف الكبرى: تاريخ العقيدة - الحياة الروحية - الليتورجية - قواميس العظات القديمة - العبرانية - الآرامية - اليونانية - اللاتينية - القبطية - السريانية، ثم العربية، بل أكتب في خجل ودهشة؛ لأن أول قاموس ومعجم لكلمات القرآن، صدر في هولندا - جامعة ليدين.

كانت سلسلة شرح أسفار العهد الجديد والتي خصص لها الأب متى المسكين حياته، وشملت معظم الأسفار، هي أول عمل علمي استند على ما ينشر من دراسات عالمية غير طائفية لأنها:

أولاً: دراسات تاريخية.

ثانياً: تتمسك بإيمان الكنيسة الجامعة قبل الانقسام الذي بدأ في ٤٥١ لكي يسير بعد ذلك في عدة اتجاهات أولاً بين الكنائس البيزنطية وروما، ثم بين روما وحركة

الإصلاح، ثم انقسام حركة الإصلاح نفسها. ولكن لدينا ألف سنة من تاريخ الكنيسة كان الإيمان، بل كانت معظم الممارسات شرقاً وغرباً، تكاد تكون واحدة، وكان الاعتراف بالإيمان حسب قانون إيمان نيقية – القسطنطينية في ٣٢٥-٣٨١ هو اعتراف واحد، وحين دخل الاعتراف بانثاق الروح القدس من الآب والابن، لم تُصَف هذه الزيادة إلا بعد ١٠١٤ وظلت منذ ذلك الحين موضع نقاش.

الفكر الأرثوذكسي العالمي:

ووصف الفكر الأرثوذكسي هنا بـ"العالمي"، يُقصد به ما يعرفه أساتذة اللاهوت الأرثوذكسي في كل العالم، أي ما ليس قاصراً على الروس أو اليونان، بل ما يمتد من الكنائس البيزنطية في آسيا وروسيا واليونان وأوروبا الغربية كلها، ويعبر إلى الولايات المتحدة.

وبالتالي، فإن استخدام بعض الأقباط –الذين لا دراية لهم بهذا الجهد الفكري والدراسي- لفزاعة الفكر الغربي بغرض تفزيع الأقباط من هذا الجهد العالمي، لا غرض له إلا استمرار البقاء في التدني والكسل والإهمال والجهل. يكفي أن تلقي نظرة فاحصة على دائرة المعارف القبطية التي أفنى د. عزيز سوريال عطية حياته من أجل نشرها، لتجد أن غالبية الأبحاث قد نشرها أساتذة من الغرب من كل الطوائف، وجاء الإسهام القبطي فيها محدود لا يقاس بما قدمه غير الأقباط. هذا وضعٌ مخجل، وعندما تطوع الأنبا بيشوي بمحاولة إصدار دائرة معارف قبطية، كان رد الفعل عند الذين تخصصوا في الدراسات القبطية مخجلاً حقاً.

محاكاة القردة والأحزاب السياسية الهابطة:

في كتاب المطالعة الذي كنا نقرأه في الدراسة الابتدائية قرأنا قصةً عن نجار كان لديه قرودٌ يحبه ويعيش معه، وكان القرد مغرم بتقليد النجار إلى أن جاء يوم أخذ القرد منشاراً وتسَلَّق شجرةً وجلس على فرعها، حاول النجار أن يستعيد منشاره، ولكن بلا جدوى، ولأن القرد يحب المحاكاة والتقليد، وعلى غرار ما يصنع

النجار بقطعة الخشب، بدأ القرد ينشر فرع الشجرة التي يجلس عليه إلى أن سقط على الأرض ومعه المنشار. الذين يشيعون الفرع باسم الغرب ولاهوت الغرب والكفرة من الخلقيدونيين الأرثوذكس، هم من يقطعون الفرع الذي يجلسون عليه، وهو خدمة الكهنوت التي سوف تعاني الرفض، والتي تتعرض لأول مرة لثورة عارمة لا أدري ماذا ستكون نهايتها.

الأحزاب السياسية التي مر التاريخ من أمامها، ولم تدرك معاني ما يحدث وخطورته، هبطت، ولم يعد لها إلا الاسم والماضي المجيد، أما الحاضر، فقد لفظها لأنها فقدت صلتها بالواقع.

أخاف أن ينتشر عداء الإكليروس، ويلوث كل ما هو جميل ومقدس عندنا. فقد بدأت حركة التلوث في ثلاثة اتجاهات:

الأول: نشر كم من الفتاوى خاصة بالسرائر، أصبحت معروفة لكل من يقرأ، وكلها تدور حول طقوس لم تُشرَح بعناية عن الاستعلان الإلهي للثالوث الذي تعبّر عنه الطقوس.

الثاني: تقديم شرح للعقيدة لا يعمس، لا الحياة الأرثوذكسية ولا الحياة الليتورجية، بل ما هو أغرب من هذا، أن يسير هذا الشرح وذلك التفسير في اتجاهٍ مضاد لما يمارَس في الحياة الليتورجية، مثل اعتبار الصليب، بل والمصلوب، ثمناً يقدم لله الأب، لا تحريراً للإنسانية؛ ما أدّى إلى ضياع الصلة بين الصليب والمصلوب، إذ تحول الصليب إلى فكرة، لا بذل الشخص، أي يسوع ربنا، وبالتالي يضع علينا استمرار نهر الغفران في سر الشكر.

الثالث: إشعال حربٍ شعواء على كتابات الآباء التي نُشرت باللغة العربية، مرةً بدعوى خائبة بأن الترجمة ليست صحيحة، وأخرى بأن صحة هذه الكتابات مشكوكٌ فيها، إلى غير ذلك من سخافات لا تستحق الإشارة إليها هنا.

الهجمة الأخيرة:

تبدو الهجمة الأخيرة التي كُرسَتْ بمؤتمر العقيدة القبطية الأرثوذكسية، هجمةً بريئةً تلعب على وتر الانتماء إلى الكنيسة القبطية أم الشهداء، والادعاء بأنها تتعرض لفقدان تراثها الروحي واللاهوتي. وإن كنا نلاحظ أن قادة هذا الهجوم قد فقدوا الاتزان، فصاروا بين مريضٍ بالحمى يهذي، أو مترنحٍ نتيجة شرب قدر هائل من الخمر. ويمكننا أن نرى هذا الهذيان أو ذلك الترنح واضحاً في ثلاثة معالم لا يدرك المهاجمون عن أخطارها شيئاً:

١- التقرير بأن ما يُنشر هو ضد إيمان الكنيسة وعقائدها، هكذا دون تحديد ما هو هذا الضد بالنصوص والأدلة.

٢- الخلط بين العقيدة وشرحها، فلم يحاول أحد أن يقول إن الأنبا شنودة الثالث والأب متى المسكين كلاهما يؤمن بالرب والمخلص الذي مات عن الخطاة، وإن كان كلاهما يختلف عن الآخر في شرح أسباب ونتائج هذا الموت، وهكذا تحول الشرح إلى عقائد يروجها دعاةٌ ليس لهم معرفة بالتاريخ، ولا يهدفون من هذا الترويج إلا خلق الانقسام.

٣- انتشار المحاكمات الإعلامية في الفضائيات والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي، بدلاً من أن يكون هناك حوارٌ جاد، أو حتى الرد بدراسات على قدر من الرصانة. بل نجد أن نيافة المطران يكتفي بأن يجمع الكتب ويعرضها على المشاهدين ليصدر عنها حكمٌ عام بأنها ضد تعليم الكنيسة، دون أن يستعرض ما فيها مفنداً ما ادعاه عليها زوراً وبهتاناً، مترفعاً عن أن يردُّ عليها، أو حتى ينشر بحثاً يحفظ له كرامة المدقق والباحث.

ولكن، ليعلم القارئ العزيز إن القيادة بواسطة الإعلام، هي قيادة سياسية الهدف منها تحريك الجماهير، أما الحوار بين المتخصصين، فهو العمل والجهد الذي قامت به المجامع المسكونية والمكانية لحسم ما يختلف عليه البشر، وهو ما لا طاقة للمطران عليه، ولذلك يكتفي بالبرامج الحوارية من طرف واحد التي تذيبها القنوات القبطية.

تفسير وشرح العقائد ليس عقائد، بل محاولة للفهم:

بالطبع، الشرخ مطلوبٌ في كل زمان وحسب احتياجات الكنيسة، ولكن هناك من الأسباب ما يجعلنا لا نعتقد، بل ونرفض أن يصبح الشرخ عقيدة، من تلك الأسباب ما يأتي:

١- الشرخ هو جهد من يشرح، فإذا كان موفّقاً ويسير في ذات طريق الحياة الليتورجية، فهو يعبر عن الحقيقة الإيمانية، أما إذا حاد عن هذا الطريق، فإنه يلقي بنا إلى غياهب الغموض والضبابية، والأمثلة على ذلك كثيرة، لعل أشهرها هو شرح الأقبوس على أنه صفة لجوهر الله. هذا الشرخ ينقل الأقبوس من مجال الاستعلان الشخصي، أي الأقبوسي، إلى مجال غامض غير محدد هو مجال الصفات، لا سيما إذا وُصف الابن بأنه العقل، عندئذٍ يضع علينا ذلك الارتباط الوثيق الكياني بين الابن المتجسد، وبين كياننا نحن، وهو ما نلناه بتجسد رب المجد، وهو ما جعل تبني البشر علاقة شخصية في الابن مع الآب بالروح القدس.

٢- لأي شرح هدف أو أهداف حددها التسليم الكنسي المودع في الحياة الكنسية الذي تعبّر عنه الليتورجية، فإذا خاصمت الليتورجية هذا الشرخ، عندئذٍ يكون التساؤل عن أهداف هذا الشرخ مشروعاً. ونقدم هنا مثلاً من واقع الهجمة الأخيرة، هو ذلك الهراء والهذيان الذي يكتب باسم الخطية الأصلية، في هجوم على التاريخ الكنسي لمصلحة أشخاص معينين.

فأولاً: القضية ليست قضية غياب مصطلح عُرفَ أولاً في المصادر اللاتينية، وصار أحد علامات الفكر والشرح الخاص بالقديس أوغسطينوس، بل هي قضية إلصاق خطية أو ذنب آدم ببشر لم يخطئوا قبل أن يكون لهم وجود فعلي أو إرادة، في حين أن كل دارسي التاريخ يعرفون أن هذا هو اتجاه مدارس الغنوصية والمناوية التي كان أوغسطينوس من أتباعها في شبابه. والمشكلة تبدو في أننا عندما نجرد إنساناً من إرادته الحرة، وننسب إليه خطية شخص آخر هو آدم، ونعود به إلى تاريخ قديم لم يعيشه، فإننا بذلك نحرمه من الحرية الشخصية، ونلقي

به في بئرٍ من غموض لا يعرف له سبباً حقيقياً. في حين أن التعليم الشرقي الدائم الذي لم ينقطع طوال ما يربو على ألفي عام هو سيادة الموت على الإنسان وعلى فكره وإرادته، وهي السيادة التي جعلت الإنسان يطلب الخلود الذاتي من أعماله وخطاياها، والفرق واضح بين التسليم الكنسي، وما علمت به مدارس الغنوصية والمناوية.

وثانياً: عندما يصبح ما يكتبه البعض وكأنه "تنزيل من التنزيل"، وهو مستوى من الكتابة لا تعرفه المسيحية، ويتشيع لهذه الكتابة بعض أشخاص يطالبون بقصاص كل من يختلف معهم، فقد صار كل واحد من هؤلاء بمثابة نبي نزل عليه وحي لا يمكن حتى بحثه، وهنا تغلق كل أفق الحوار، ويتكرس الاستبداد، وبالتالي تنمحي الشخصية الإنسانية وتنزوي صورة الله في البشر، وهي نتيجة أعتقد أن المهاجمين لم يفتنوا إليها، وأحسن الظن بهم فأقول ولا كانوا إليها راغبين.

حال الدراسة لدينا

كانت مذكرات اللاهوت المقارن لأستاذنا العظيم د. وهيب عطاالله قد أعطت مساحة كبيرة لشرح رد القديس أغسطينوس على هرطقة بيلاجيوس، وذلك اعتماداً على كتاب أستاذ التاريخ الكنسي بجامعة كمبردج J.F.Bethune – Baker والذي نُشر تبعاً منذ عام ١٩٠٣ بعنوان:

An Introduction to the Early History of Christian Doctrine

ولم يكن المؤرخ الإنجليزي قد اهتم بتقديم التعليم الشرقي؛ لأن هذا الفصل بالذات لم يكن مطلوباً في قسم التاريخ في جامعة كمبردج، وظل الوضع كذلك حتى شغل الأستاذ G. Lampe مكان الذين سبقوه، وتغيرت المناهج. والأستاذ G. Lampe هو نفس الأستاذ الذي قدّم القاموس اليوناني للكلمات اليونانية في كتابات الآباء والذي نشر بعنوان Patristic Lexicon وكنت قد عرضت على هذا الأستاذ ترجمة إنجليزية لنص بردية قبطية من القرن السادس، نشرها W. Crum

واضع القاموس القبطي، وتُعرف باسم برديات ستراسبورج ونشر المجلد في عام ١٩١٥ بعنوان:

.Der Papyrus Codex Sqec VI – VIII der Phillipps Bibliothek in Strassburg p. 20
قال الأستاذ أنها تسيّر في ذات اتجاه لاهوت الإسكندرية، وأشار إلى مقالة لأستاذ التاريخ Enrhard كانت قد نُشرت في نفس المجلد ص ١٤٨، وهو ذات التعليم الذي نجده في تعليق القديس كيرلس على معجزة عرس قانا الجليل (يو ٢: ٢-٣) Pusey النص اليوناني مجلد ١: ٢٠ - ٢١). وكان نص البردية هو إجابة القديس كيرلس على سؤال لشخص اسمه أنثيموس Anthemous وكان السؤال هو: هل الأطفال الصغار الذين يموتون قبل أن ينالوا المعمودية، هل سيدخلون الملكوت؟ وجاءت إجابة القديس كيرلس: بكل تأكيد الملكوت هو لهم منذ أن تكوّنوا في أرحام أمهاتهم، فقد حُسِبوا لملكوت السموات. وأيضاً إذا كان الأصل مقدساً، فهكذا الأغصان؛ لأن المقدّس والذين يتقدسون هم من واحد (عب ٢: ١١).

وقد أشار القديس كيرلس أكثر من مرة إلى تقديس بداية الجنس البشري، ليس فقط في شرح معجزة قانا الجليل الذي ذكر في شرحها أن الرب قد جاء "لكي يجدد الطبيعة الإنسانية ذاتها ويعيدها إلى جمالها الأول وأن يمنح بركة ليس فقط للكائنين، بل يهيئ نعمَةً للذين دُعُوا إلى الوجود بالولادة ... وأن يجعل دخولهم إلى الوجود مقدساً" (شرح يوحنا، المرجع السابق، ص ٢٠١).

ويؤكد القديس كيرلس "أن كل مولود امرأة قد تحرر لأن ميلاد الرب من المرأة؛ لأن ميلاد الرب من امرأة قد حرر الولادة من اللعنة القديمة التي لصقت بالمرأة (تك ٣: ١٦). فقبل تجسد الرب كانت النساء تحبل للموت، وكانت الحياة باباً يؤدي للموت، ولكن عندما تجسد ابن الله رفع اللعنة التي لصقت بالمرأة الأولى" (راجع عظة ٢ على إنجيل لوقا، مجلد ٧٢: ٤٨ - شرح إنجيل متى ٢٨: ٩، مجلد ٧٢: ٤٦٩).

ولكن في الوقت الذي كان أستاذنا العظيم د. وهيب عطاالله - نيافة أنبا

غريغوريوس يدُرّس رد القديس أغسطينوس على هرطقة بيلاجيوس ضمن مقرر اللاهوت المقارن، ثمّة حدثٍ مازال الشهود عليه أحياء، فقد قدّم الطالب ماكس ميشيل، بحثاً عن الخطيئة الأصلية للأستاذ وهيب عطاالله - نيافة الأنبا غريغوريوس، وكان البحث مختلفاً عن العرض الذي قدمه أستاذنا في مذكرات اللاهوت المقارن، وكانت أهم فقرات البحث ما ورد في كتاب تجسد الكلمة للقديس أثاناسيوس، وبردية سترسبوج التي أشرت إليها قبلاً، وكنت أنا المسئول عن هذه المعلومات التي جاءت على عكس ما ورد في دراسة البيلاجية؛ لأنّ تعليم شمال إفريقيا هو ذاته تعليم روما، ولم يكن معروفاً في الإسكندرية إلا عند أوريجينوس وديديموس الضيرير، وكلاهما - كما هو ثابت من الدراسات التي نُشرت - اعتقد بأن السقوط حدث في العالم الروحي السمائي، وأن العقوبة كانت هي نزول الإنسان من العالم العلوي إلى الجسد. هذا التعليم لا يختلف عن تعليم تناسخ الأرواح الشائع في ثقافة ذلك العصر، وهو أحد سمات مدرسة أفلاطون أشهر مدرسة إغريقية في الشرق.

وكان أن رُفِضَ البحث المقدم من الطالب ماكس ميشيل، ورسب الطالب، وشمل القرار كاتب هذه السطور، إذ تغيّر برنامج التدريس، وطلب مني الأنبا شنودة تدريس اللغة الإنجليزية، ولكنني اعتذرت عن عدم القيام بذلك لأنه ليست لديّ خبرة بتدريس اللغة الإنجليزية، ومع أن أستاذنا الأنبا غريغوريوس عرض عليّ أن أقوم بتدريس نصوص الآباء باللغة الإنجليزية، فقد أدركت أنني سوف أواجه ذات المشكلة، خصوصاً وكانت قد ثارت زوابع حول كتاب تجسد الكلمة للقديس أثاناسيوس، بعد أن نشرت مقالاً بمجلة مرقس بعنوان: لماذا اعتمد يسوع؟ ذلك لأن المقال جاء على عكس كل ما كان يقال عن معمودية الرب، ولم يكن المقال أكثر من نصوص أثاناسيوس وكيرلس. وهنا دبّ الخلاف بين القطبين: أنبا شنودة وأنبا غريغوريوس، وإذا بالأنبا شنودة يصدر قراراً ليس فقط بعودتي إلى التدريس، بل وتولي وكالة القسم المسائي الجامعي. وكان الوسيط الحقيقي في هذا التغيير هو نيافة الأنبا يؤانس الذي رُسم أسقفًا على طنطا، ودعاني للتدريس في

فرع الإكليريكية في طنطا وكان من أشد أنصار العودة إلى التاريخ ودراسة الوثائق.

الحداثة في كنيسة اليونان الأرثوذكسية:

لا أكتب هذه السطور عرضاً لبحث تاريخي رائع للأستاذ C. Yanaras في كتابه الرائع Orthodoxy and the West والذي نُشر عام ١٩٩٢ ولا عرضاً للبحث الذي سبقه، والذي كتبه الأب Jugie عن الحوار اللاهوتي بين أساتذة اللاهوت في اليونان بعنوان:

Une Nouvelle Dogmatique Trios Theologians Grecs en Presence, 1908.

ولكني أريد أن أشير إلى تجربة الكنيسة اليونانية التي كانت تزرع فيها تحت سطوة اللاهوت المدرسي، والتي أسماها بعض أساتذة اللاهوت هناك "فترة السبي البابلي". فقدت بدأت حركة العودة إلى الآباء بصدام بداهة اللاهوتي C. Androutsos بتصحيح الأخطاء التاريخية عند الأستاذ Trembelas الذي تربّت أجيالاً على كتبه، وجاءت حركة الحداثة من مصدرين:

الأول: نشر كتب الآباء كلها.

الثانية: الأبحاث التاريخية واللاهوتية التي رفضت ما نُقل عن الخلاصة اللاهوتية لتوما الأكويني، في مرحلة ما أسماه جيلٌ من الباحثين بمرحلة "السبي البابلي"، والعودة إلى ما كتبه الآباء مهما كان، وشمل البحث كل ما لدى الأرثوذكسية من تراث، كان آخر ما نُشر هو اللاهوت العقيدي ليوحنا Karmiris.

النهضة الآبائية في كنيسة اليونان:

يضيق المجال هنا عن أن نقدم ما لا يقل عن مئة اسم من أسماء رجالٍ عُرف عنهم البحث والأمانة، ولكن نكتفي بالإشارة إلى الأستاذ Nellas أو Nisslotis الذي شغل رئيس المعهد المسكوني في جنيف. ولكن جاءت نهضة الكنيسة اليونانية بما قدّم من أبحاث ورسائل قُدمت إلى جامعات أثينا وتسالونيكى ونُشر

بعضها. وفيما يخص الهجمة الأخيرة عندنا نشير إلى أن الأب يوحنا Romanides قدّم بحثاً عن الخطية الجديدة عند بولس الرسول^(١). غير أن ما نلفت إليه النظر بشدة، هو أنه عندما يُنشر بحثٌ فلا شتائم ولا ميكروفونات ولا مصادرات بل الالتزام بالأمانة المسيحية ونشر الردود.

وأذكر واقعة كنت أحد شهودها لها دلالتها، تكشف عما تنطوي عليه النفوس من مشاعر، وعن مدى اهتمامنا بالبحث العلمي والتحديث، كان السفير اليوناني قد زار دير الأنبا مقار، وطلب الأب متى المسكين منه تزويد الدير بما صدر من دراسات، لا سيما ما يشمل التاريخ الكنسي والكتاب المقدس والآباء، وحدث أن سُلّمت الكتب إلى البطريكية في ١٠ صناديق رأيتها بنفسني، ولكنها بدلاً من أن ترسل إلى دير الأنبا مقار نُقلت إلى مقر الأنبا شنودة الثالث، بعد أن قدمت لائحة باللغة العربية عن محتويات الكتب عندما كان لا زال بيننا ود.

طبعاً لم تمر حركة الحداثة في كنيسة اليونان دون معاناة، فقد مُنِع Yannaras من التدريس في قسم اللاهوت، ولكن قسم الفلسفة أفسح له المجال، فخرجت دراسات رائدة في اللاهوت والفلسفة. ولكن ما يجب أن نسجّله هنا هو أن منعه من التدريس لم يشتمل على قرار حرمان؛ لأن الكنيسة اليونانية لا تفرط في أبنائها، حتى الذين اختلفوا مع بعض القيادات من الإكليروس.

هذا عكس ما حدث عندنا، فبعد أن عاد الأستاذ الدكتور وهيب قزمان - مَنَّ الله عليه بالشفاء - من الدراسة في إنجلترا، قدّم بحسن نية نسخة من أول رسالة دكتوراه عن "النعمة عند القديس أثناسيوس"، غير أن الأنبا شنودة الثالث رفض قبول الهدية، وكانت حجته في ذلك أنه، أي الأنبا شنودة لم يرسله للدراسة! وما ناله الدكتور وهيب، ناله أيضاً د. مجدي وهبه - المتنيح القس صموئيل وهبه الذي مُنِع من التدريس لأنه قال في إحدى المحاضرات إن يهوذا اشترك مع باقي التلاميذ في العشاء الرباني^(٢) وهو عكس ما كان يقول به الأنبا شنودة.

(١) وهو ما سوف يُنشر قريباً.

(٢) ملاحظة: "العشاء الأخير" تعبير غير أرثوذكسي يمس استمرارية عشاء الرب في الكنيسة الجامعة.

لا أريد أن أفتح كل ملفات الذين يدعون أنهم أصحاب "تنزيل"، وأن من ناقش هذا التنزيل أو عارضه، فهو حتماً من الكافرين. ولكني أعود وأطلب من جديد، أن تخصص مجلة الكرازة عدداً سنوياً واحداً لنشر أبحاث الدارسين والرد عليها، علماً نهض من كبوة الاستبداد والتسلط الذي لا طائل منه إلا تخريب العقول، وهدم الإيمان نفسه. والكف عن مطاردة أبناء الكنيسة، حتى وإن كان ما يقولونه محل بحث أو خلاف؛ لأن مطاردة هؤلاء ونشر صورهم الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما حدث مع ١٩ اسم منهم، ليس إلا هجوماً يتمثل هجوم الدواعش، لا هدف له إلا حشد الرعاع ونشر الكراهية للفكر والبحث.

ماذا بعد العودة إلى السرد؟

السرد المجرد هو تأصيلٌ للجهل، وهو أكبر إساءة لدراسة التاريخ القديم؛ لأن غياب الوثائق يعطي من يسرد الجراءة على أن يقدم رؤى شخصية غير تاريخانية، وهو ما نراه في الحرب المعلنة على الباحثين، كما نراه أيضاً في تتابع سلسلة من الأخطاء التي صدرت عن المخيلة وحدها. وتجد الدليل على ذلك في قائمة الأخطاء التي تُسبَت للأب سيرافيم البراموسي، فقائمة الأخطاء هذه وليدة الخيال، وليست إلا ثمرة من ثمرات الجهل بالتاريخ الكنسي. ولذلك تجد هؤلاء السردة ضيوف وحيدون في برامج الحوار في الفضائيات القبطية، ومحاربون أشاوس على صفحات وموقع شبكة المعلومات الدولية، ولكن للأسف تفتقر عباراتهم الرنانة إلى الحد الأدنى من الأمانة التي يُفترض أنها من قوى الشهادة، لذلك تجد أن تصدّروهم لشاشات الفضائيات يزدحم بالعام من الاتهامات التي يعوزها الدليل، أما أن تجد لهم انتاجاً مكتوباً يُسهم في إذكاء الحوار الجاد، فهيئات هيئات؛ فهم لا يبرعون إلا في حشد الجماهير وبث الكراهية والتكفير.

لقد سار مشروع نهضة الأستاذ حبيب جرجس إلى الأمام، وتقدم هذا المشروع بتولي د. وهيب عطاالله التدريس بالإكليريكية. ولكن المسيرة توقفت، بل وهبط مستوى التدريس إلى الحد الذي يرأس فيه قسم اللاهوت في معهد

الدراسات القبطية من لم يدرس اللاهوت ولا الكتاب المقدس، بل ولم يلتحق حتى بالإكليريكية، وينضم إليه المسئول عن المركز الثقافي القبطي الذي تنحصر خبرته في الإعلام والكاميرات والميكروفونات، وهي مؤهلهم الوحيد لخوض هذا الحرب.

إن التصدع الحادث عندنا سوف يخلق مع التمزق الداخلي تمرداً وثورةً قد تدمر ما هو عزيز وغال علينا. في النهاية، لا أملك إلا أن أُعيد مرةً أخرى طرح السؤال الذي كان مفتّحاً وعنواناً لهذا المقال:

ماذا بعد هذه الحرب المعلنة على التاريخ والعقيدة،

ولمصلحة من تدور رحى هذه الحرب؟

أسلوب القنص:

مَن يعتقد أنه باقتباسٍ نصٍّ واحدٍ، أو حتى عدة نصوص، يمكنه البرهنة على فكرةٍ أو تعليمٍ، يظن أنه تعليم الكنيسة الأرثوذكسية، فليعلم أنه يوقع نفسه في وهمٍ عظيم، ذلك لأن هناك فرقاً بين أسلوب القنص وأسلوب التعليم. التعليم له مجالٌ معروف، لمن درس التاريخ الكنسي، وهذا المجال ظاهر لمن تمكّن من معرفة الخلفية التي جعلت أياً من الآباء يكتب مثل كتاب "الروح القدس" للقديس باسيليوس الذي يشرح فيه التسليم أو التقليد الخاص بتمجيد الثالوث، وأهمية العقيدة الخاصة بالثالوث في الليتورجيا والحياة المسيحية، أو مثل رسائل القديس أثناسيوس عن الروح القدس إلى سرايون، أو كتابيه عن تجسد الكلمة والرسالة إلى الوثنيين، الذي يشرح فيهما التسليم الخاص بتدبير الخلاص.

أما من يلجأ إلى أسلوب القنص، فهو الجاهل الذي اكتشف أنه وقع في خطأ، واحتار في تبريره، ومن ثمّ يحاول أن يستر عورته بالاحتماء وراء نصٍّ من هنا ونصٍّ من هناك، دون العودة إلى الخلفية التاريخية والسياق العام، والموضوع الأصلي، فيكشف بالأكثر عن جهله.

ما ينطبق على غياب الخلفية التاريخية لشرح التسليم الخاص بالثالوث كما عبّر عنه القديس باسيليوس، أو عن الروح القدس، أو عن سر تدبير الخلاص كما عبّر عنه أثناسيوس، ينطبق أيضاً على موضوع الخطية الأصلية. فليس باقتناص نصٍّ من هنا، وتزوير نصوصٍ من هناك - كما يفعل مطران دمياط - يمكن البرهنة على صحة التعليم بوراثة الخطية. ولكن علينا أن نأخذ في اعتبارنا غياب الاسم نفسه "الخطية الأصلية"، وغياب فكرة "الوراثية" نفسها، التي تتم بواسطة الزواج، وقبل هذا وذاك، كيف شرح القديس أثناسيوس نفسه السقوط، فهو لا يتكلم عن آدم إلا قليلاً، واعتبر القصة كلها قصةً رمزيةً (راجع الرسالة إلى الوثنيين، الفصل

الأول)، ولذلك فهو يتحدث بصيغة الجمع. وأكد أن الموت - كما سبق وشرح - هو سبب الخطية. وأن بعد السقوط، صار الموت هو المحرك لكل شهوات الإنسان، لذلك توغل الإنسان في الشرور بحثاً عن الخلود.

هذا هو تعليم الشرق الأرثوذكسي الذي هُجِرَ في زمان انقطاع التواصل مع تعليم الآباء بعد أن فقدنا اللغة اليونانية.

الصورة الكاملة لأي موضوع خاص بالعقيدة

إذن، يجب أن تكون لدينا صورة كاملة عن التسليم الخاص بأي موضوع عقيدي، وإلا وقعنا في المخطو. وعلى سبيل المثال، إذا ذكر أحدهم أن تجسد الله الكلمة كان بسبب "تعدّي آدم"، فإنه بذلك يكون - عن جهلٍ - قد حذف صلاح ومحبة الله، كسبب من أسباب التجسد، وبالتالي صارت الصورة ناقصة، رسمت فيها الكلمات صورتنا نحن التي يحركها الرعب والخوف والشعور بالذنب.

والحرب التي تدور الطاقة والأقنوم والجوهر، إنما هي تستعر بسبب أنها تدور في فراغ جهل مطبق غابت عنه الصورة الكاملة. فاتحاد اللاهوت بالناسوت في المخلص الواحد، وتبادل الصفات في المتجسد، هو ما يجعل الحديث أو الخطاب عن نوال طاقة بدون الأقنوم بمثابة إنكارٍ تامٍ لتجسد ابن الله. ولأن الحرب والهذيان أفقدت المحاربين الاتزان، نضع هنا النقاط فوق الحروف:

١ - ما هو الشر أو الخطأ الذي يريد المحاربون أن يقاوموه؟ هل هو الاتحاد بالمسيح حسب (رو ٦ : ١-٨)، أي اتحادنا بالرب في المعمودية؟ أليس هذا هو اتحاداً بشخص الرب، وهو مصدر قوة بولس: "مع المسيح صُلبت"؟ فهو لم يُصَلب مع طاقة أو قوة، بل مع الرب نفسه. وعندما يقول: "أحيا لا أنا بل يحيا المسيح في"، فالمسيح ليس طاقةً، بل هو ابن الله. وإذا تحول المسيح ابن الله - بقدرات المطران - إلى طاقة، فليعلم أن هذا أشد من الأريوسية؛ لأن حتى أريوس، احتفظ بشخص الرب كإله، رغم إنكاره أنه من جوهر الآب. فهل المطلوب ألا

تكون لنا شركة شخصية في الابن (لا شخصية Impersonal)؟

٢- هذه الحرب المستعرة على أقنوم الابن، جعلتني أعود إلى الكتابة^(١)؛ لأن الطاقة ليست فقط فكرة غامضة تخدم أعمال الرب الشخصية، بل هي أيضاً محاولة شيطانية تهدف إلى هدم كل ما أخذناه ونأخذه من المسيح بالروح القدس؛ لأننا لا نأخذ من طاقة هي المسيح يسوع، وبواسطة طاقة هي الروح القدس؛ لأننا عندما نرى "مجد الله في وجه يسوع المسيح" (٢ كو ٤: ٦)، نجد أن الرسول سبق أن كتب قبل هذه العبارة أننا نرى مجد الرب وأننا نتغير إلى صورة الرب، وليس إلى طاقة "تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢ كو ٣: ١١). الصورة الكاملة هنا غابت؛ لأن القنص لم يسمح بالعودة إلى "صورة الله"، العطية الإلهية التي كانت ولا تزال سبب شركتنا في صورة الآب يسوع المسيح. هكذا صار كل شيء بلا شركة شخصية، غامضاً تماماً.

٣- لقد تسبب الشر في تزييف كيان الإنسان، ودخل مع الشر، الغموض، غموض له اسمٌ مخيف، هو الموت. هذا الغموض مصدره انغلاق العقل والوعي على الذات. والذات التي تترك الله تتوه عن ذاتها، عندئذٍ تضطر هذه الذات إلى خلق "هوية" أو "صورة" لها، فإذ بها ليست صورة الله، بل صورة الذات الساقطة.

هكذا، من غموض الشر إلى غموض الطاقة، يدخل هلاك الإنسان.

٤- كانت الليتورجيا ولا تزال -عند أبي الرجل العظيم القمص مينا المتوحد - قداسة البابا كيرلس السادس - هي مدرسة اللاهوت. ولكن للأسف لم نلتفت إلى ذلك، بل اكتفينا بأن نهيل عليه تراب الخوارق من المعجزات، وتركنا أعظم ما في حياته: الصلاة الدائمة. هذا لا ينفي المعجزات، ولكن قنص المعجزات، والاكتفاء بها للطعن في التعليم بمقولة أن الرجل كان بسيطاً وغير متعلم، أضاعت علينا صورة ومسلك رجل الصلاة. وهكذا ظهرت وقاحة القنص في سلوك العظمة والأبهة وإضفاء الألقاب التي لا معنى لها وجعلوا من كل ذلك الصورة الحديثة لما

(١) راجع كتابنا بعنوان: الطبيعة والجوهر والقوة الأتومية لأفانيم الثالث الواحد، القاهرة، ٢٠١٤.

يجب أن يكون عليه الأسقف، وبالتالي غابت صورة مَنْ كان يصلي كل يوم عشية - نصف الليل - باكر، ثم القداس .. غابت تلك الصورة؛ لأن غياب الصلاة هو غياب القوة التي تعيد الإنسان إلى الله وإلى ما في كُتب الكنيسة من تعليم.

ولعلنا هنا نكتفي بما سُلّم في الليتورجيا:

أ) هل نحن نستدعي طاقة الروح القدس أم أقنوم الروح القدس؟ إذا كانت صلواتنا لطاقة؛ لَصارت الطاقة هي الإله الجديد الذي جاء به مَنْ ترك التسليم!!!

ولكن، قد يقول شيطانٌ صغير، نحن فعلاً نستدعي الروح القدس الأقنوم، ولكن الروح لا يعمل إلا في صورة طاقة، أما هو ذاته كأقنوم، فهو لا يحل على المذابح .. فكرة تبدو براقّة وسهلة، ولكنها كالسُّم في العسل؛ لأنهم عن جهلٍ، وربما عن خوفٍ، لا يريدون استعلان شخص الثالوث، بل قوّته فقط، وهذا هو أخطأ ما جاءت به الوثنية القديمة؛ لأن آلهة العالم القديم كانت قوى غيبية، لها قدرات وطاقات تحدثت عنها الأساطير، وذكرها معلمنا أثناسيوس في كتابة (الرسالة إلى الوثنيين)، عندما تحدث عما فعلت الوثنية بالبشر، عندما جعلتهم يطلبون القوة، وعلمتهم الاغتصاب الجنسي، والوقاية من الشر بالبحث عن أيام السعد وتجنب أيام النحس، إلى غير ذلك من ضلال وأضاليل. أما بالنسبة لنا، فإذا تحول عمل الروح القدس من فعل الأقنوم إلى مجرد طاقة، وجدنا أنفسنا في غير "شركة الروح القدس"، بل شركة في طاقة. وإذا أمعنا النظر في كلام الجاهل السائد بهذا الخصوص على لسان المطران واتباعه، لوجدنا أن تخرصاتهم تلك، أقل كثيراً من مستوى كلام الوثنية القديمة؛ لأن الوثنيين القدامى كانوا -على الأقل- يبحثون عن طاقات وقوى معينة لخدمة الأغراض الشخصية مثل الإنجاب أو النصر في الحروب، أما الوثنيون المحدثون، فما هو دور الطاقة عندهم؟ أليس تناول جسد الرب ودمه، هو شركة في "حياة وموت وقيامة الرب"، وأن هذه هي حياته الشخصية التي قدمها لنا في سر الشكر بالذات؟

ب) كيف نفهم اتحاد زيجة الرب بالكنيسة في إطار التسليم الرسولي (أفسس ٥ : ٢٨ - ٣١)؟ هل محبة الرب للكنيسة هي محبة طاقة لطاقة، أم محبة أقنوم لأشخاص، أي محبة شخص لأشخاص؟ وإذا كان الاتحاد يعني أن "يكون الاثنان جسداً واحداً"، فهل يجوز لنا أن نترك هذا الاتحاد الكياني الذي جعل الكنيسة "جسد المسيح"، والذي فيه أخذ كل إنسان موهبةً مختلفةً، فصار مثل عضو مع باقي الأعضاء في الجسد الواحد؟ هل ننفي كل ذلك لأن شيطاناً صغيراً قال إن اختلاف المواهب دليل على أن ما يعطى، ليس هو الروح القدس، بل قوى وطاقات؟!!!

هذه سخافة فعلاً؛ لأن التنوع الذي يوزعه أقنوم الروح القدس، هو الذي يحفظ وحدة الجسد، إذ يصبح كما يقول الرسول نفسه: وحدانية الروح - جسد واحد - روح واحد - لأننا دعينا إلى رجاء دعوة واحدة: "ربُّ واحد إيمان واحد معمودية واحدة"، هذه الدعوة تَجدُ أساسها في إله وآبٍ واحدٍ للكل، الذي على الكل (في الابن) وبالكل وفي الكل (بالروح القدس) (أفسس ٣ : ٤-٥).

القياس الصحيح:

يظن من يتابع الحرب الإعلامية الدائرة أننا كمن يشاهد فريقين في ملعب كرة قدم يقذفون الكرة ويهاجمون حسب "شطارة" أو "مهارة" التصويب، وأننا إزاء تسجيل أهداف تُحسب على فريقٍ ضد آخر .. نسينا أنهم ما يجب أن نحرص عليه، وهو أننا في "كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية".

كان معلمنا العظيم أثناسيوس يكتب سائلاً عن المعنى الكنسي أو الشرح الكنسي للأسفار، وهو الشرح الذي غاب عن هجوم الأريوسيين (راجع ضد الأريوسيين ١: ٣٧ عن التفسير الخاص، ثم ١: ٤٤ عن المعنى الكنسي، ثم قاعدة التفسير الأريوسي ١: ٥٢)، وهي تحديداً اعتبار الرأي الخاص هو الرأي الذي يجب أن يسود حتى على ما جاء في الأسفار، وأن الشرح الكنسي هو "بحال الأسفار" (الرد على الأريوسيين ٣: ٢٨، ٢٩، ٣٥).

القياس الصحيح والقياس المكسور

القياس الصحيح هو استعلان الله الكلمة في الجسد، وهو شهادة الأسفار، وما طُبِع في حياة الكنسية من ممارسة؛ لأننا نمارس تجسد ابن الله، ليس فقط في القُدَّاسات، حيث "جسد ودم عمانوئيل إلهنا" بين أيدينا، بل وجودنا ذاته في مبنى الكنيسة، حيث "الاجتماع بالرب"؛ لأننا "أعضاء جسده من لحمه وعظامه". ولذلك السبب كانت دراستنا عن "تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية"^(١) بشكل عام، وإلى نصف أعضاء الجسد، وهؤلاء هن السيدات من الأمهات والأخوات والزوجات "الوارثات معنا نعمة الحياة الأبدية"، وهؤلاء لسن أقل ولا

(١) راجع كتابنا: تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية في الطقوس والقوانين الكنسية من العصر الرسولي حتى العصر الحديث، القاهرة ٢٠١٣.

أعظم، ولا هن في نجاسة؛ لأن القياس هو "كنيسة واحدة مقدسة" قُدِّست أولاً: باتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص الرب، ومن هذا الاتحاد وُلِدَت السرائر. وثانياً: لأن التقديس لا ينبع من الكنيسة، أي اجتماع المؤمنين، بل من الروح القدس الذي يعطي "قداسته لنا" (عب ١٢ : ١٠).

أما القياس المكسور، فهو ذلك الذي انفرد بالمرأة، ونسى عن جهلٍ أو عن عمدٍ -الرب يعرف القلوب- أننا إزاء عضوٍ في جسد المسيح. والكسرُ جاء من تعليمٍ مزيفٍ شيطاني ينكر تقديس الجسد الذي وُضِعَ الربُّ أساسه بتجسده، والذي يُوهَب في "حميم الميلاد الثاني"، ويقَدَّس بمسحة الميرون. وكسرُ القياس، هو كسرُ "الإفراز"، هو محاولة وضع عوائق لا علاقة لها بالتعليم المسيحي، ولا هي من الإيمان، أي من البشارة السارة التي قَدَّمها لنا الرب يسوع بنفسه.

هل القانون فوق الإيمان؟

عندما نسمع صراخَ فريقٍ في ملعب الحرب الدائرة، يصرخ: الدسقولية، دون أن يقول لنا أية دسقولية؟ هل هي الوثيقة التي أفنى د. وليم سليمان حياته في بحثها، أم النص المختصر الذي تُرجم ونُشر عدة مرات، أم الدسقولية السريانية؟ ومع احترامي الشديد لهذه الوثائق مجتمعة، أعود إلى القياس الصحيح: هل القانون الكنسي فوق الإيمان، وفوق الممارسة الإيمانية؟ فإذا جاء قانونٌ وحذف أو ألغى تقديس الجسد، وهو تقديسٌ أبديٌّ، ليس من صُنع الإنسان، بل هبة الله الآب في يسوع، ويعطى بالروح القدس، فهل يجب أن نأخذ بما جاء في القانون، مهما كان مصدره؟ ألم ينشأ الإيمان المسيحي بالإله المتجسد باستعلان يسوع المسيح، لا بقانون أو بشرية؟ وإذا وضع هذا الاستعلان تحت أحكام القوانين، مهما كانت، فهل هذا يعد فهماً سليماً؟

وقد سمعت شيطاناً صغيراً يقول: ولكن الإيمان نفسه له اسم "قانون الإيمان"، ودُهِشت؛ لأن الاسم الليتورجي هو: "الأمانة"، حسب كل ما لدينا من مخطوطات وكتب طقسية. وقد نقلنا اسم "قانون الإيمان Creed" من كثرة مطالعنا

لآداب الغرب وتركنا الاسم القبطي "الأمانة" (راجع مثلاً خولاجي الدير المحرق، ص ٢٣٤: يقول الشعب الأمانة الأرثوذكسية، ثم أضاف بعد ذلك بين قوسين (أي قانون الإيمان). وحتى مع الاحتفاظ باسم "قانون"، فهو ليس شريعة، بل سبق الإيمان القانون؛ إذ لم يؤسس القانون الإيمان، بل استعلان يسوع المسيح الله الذي ظهر في الجسد (١ تيمو ٣: ١٦).

الترتيب الكنسي:

غاب القياس الذي يجعل الإيمان فوق القانون، وكُسِرَت الأيقونة بمحذف تقديس الكنيسة بالروح القدس، ثم جاءت الكارثة الثالثة، وهي غياب الترتيب الكنسي. والترتيب أي ἀκολουθία وتعني ترتيب فصول كتاب (راجع النيسي ضد أنوميوس ١١)، بل تعاقب الفصول (النيسي عظة ١٣ على سفر النشيد)، ولكن الأهم هو ترتيب تدبير الخلاص من الخلق من العدم إلى التآله (النيسي عظة ٥ على سفر النشيد وتعليم الموعوظين ٢٤) لأن أصل الكلمة ἀκολουθοῦς تعني ما هو موافق (كيرلس الكبير شرح إنجيل يوحنا ٤: ١)، فما هو موافق وملاءم حسب مجال الأسفار وحسب تجسد ابن الله وحسب ما نعترف به في الإيمان، أي حسب الأمانة (قانون الإيمان) أن ما لدينا وسُلم إلينا هو شريعة. ألم يكن ترتيب الأسفار نفسه هو الذي جعل سفر النشيد يُشرح رمزياً؛ لأن الإنسان ارتفع فوق ما هو حسي ومادي وأصبح "عشق الجسد" له دعوة إلى أن يُقدَّس بالروح القدس، وعند ذلك يصبح "الترابي" علامةً ورمزاً يجب أن يُفهم سمائياً؟ ألم يقل رسول الرب إن العهد القديم هو عهد الظلال (عب ١٠: ١)، وإنه عهدٌ قديم شاخ ولم يعد صالحاً للاستعمال (عب ٨: ١٣)؟

ألم يأت الترابي (الجسداني أولاً، ثم بعد ذلك الروحاني أو السمائي)؟ ثم أليس هذا هو ترتيب التدبير: أن الكل مات في آدم: "كما في آدم يموت الجميع"؛ لأنه دعي إلى حياة أعظم: "كذلك في المسيح سيُحيا الجميع" (١ كو ١٥: ٢١ وأيضاً ١٥: ٤٧-٤٩)؟ وعلى أي أساسٍ إلهي أبطل الآباء الرسل شرائع التطهيرات،

وشرائع النجس والطاهر في الطعام والشراب (أع ١٥ : ٢٨-٢٩)؟ وعبارة "قد رأى الروح القدس ونحن" ليست شريعةً وُضِعَتْ، بل اعترافٌ بما استُعِلن في يسوع المسيح، وقبول الأمم للإيمان بالإنجيل حسب شهادة يعقوب الرسول (أع ١٥ : ١٣-٣١). ولذلك، عندما يقول اليهودي المتنصّر شاول الطرسوسي بولس الرسول إن كل ما كان له مكسباً حسب الشريعة، وهو:

+ الأصل العرقي من سبط بنيامين عبراني.

+ التمسك بالشرعية فريسي.

+ حافظ عهد ابراهيم محتون في اليوم الثامن.

+ من جهة البر الذي حسب الشريعة بلا لوم.

ويختتم بهذه الصرخة التي لا يجب أن تضيع في زحمة مباراة الكرة التي يلعبها فريق يلاعب نفسه: "لكن"، أي بعد أن حَسِبَ الريح، فقد حسبته "خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية (زبالة) لكي أريح المسيح وأوجد فيه". ولعل تلك الكلمات تصدم ضمائر تكاد تموت بسبب سخونة الحرب: "وليس لي بري الذي من الشريعة قبل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان" (فيلبي ٣ : ٨). والسبب: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته لكي أصل إلى قيامة الأموات" (فيلبي ٣ : ١٠).

التجسد والنص:

تقابلت مع الراحل الكريم د. نصر حامد أبو زيد، وكان آخر لقاء لنا في جامعة نوتردام - انديانا في مؤتمر عالمي عن علوم القرآن، عُقد في ٢٠٠٦. وكنت قد قرأت بدقة كتابه "مفهوم النص"، فقد حاولت أن أعرف ما هي أبعاد مشكلة د. نصر حامد أبو زيد. كما حاولت أن أعرف أيضاً ما أحاط بكتاب د. محمد خلف الله "القصص الفني في القرآن"، وكان كلاهما صادقاً لا يهاب الحوار.

والسبب الوحيد هو العودة إلى دراسة الثقافة العربية الإسلامية التي امتدت مثل شجرة كبيرة يجلس تحتها الأقباط والمسلمون معاً. والثقافة الوطنية المصرية إسلامية التكوين والهدف، وتحتوي على أنماط فكرية وإنسانية ونظرة توافقية. ومهما اختلف مؤرخو الثقافة المصرية حول ما كتبه د. نصر حامد أبو زيد، إلا أنه كان ثاقب الرؤيا عندما كتب: "ليس من قبيل التبسيط أن نصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة "النص" بمعنى انها حضارة اثبتت أسسها وقامت علومها وثقافتها على أساس لا يمكن تجاهل مركز النص فيه. وليس معنى ذلك أن "النص" بمفرده هو الذي أنشأ الحضارة، فإن النص أياً كان لا ينشئ حضارة ولا يقيم علوماً وثقافةً. إن الذي أنشأ الحضارة وأقام الثقافة جُدل الإنسان مع الواقع من جهة، وحواره مع النص من جهة أخرى. إن تفاعل الإنسان مع الواقع وجدله معه - بكل ما ينتظم في هذا الواقع من أبنية اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية- هو الذي ينشئ الحضارة " (مفهوم النص، الناشر المركز الثقافي العربي - الطبعة الثانية، ص ٩).

الثقافة العربية الإسلامية ولدت بميلاد الإسلام، فقد وُحِدَ الإسلام قبائل الجزيرة وخلق تحالفاً واسعاً ضم كل أملاك الإمبراطورية الرومانية الشرقية في مُلك الأمويين والعباسيين. وبعد عدة نكسات، جاء مُلك الأتراك العثمانيين، واستطاعت الشعوب أن تضع تراثها الفارسي والمصري والآرامي في إطار عربي بدأ في دمشق وبغداد والقاهرة، ونقل السريان كتب أرسطو، فلم يكن بين العرب من أتقن اليونانية، بل كان السريان هم الذين قاموا بالتعريب؛ لأنهم كانوا يعرفون اللغتين اليونانية والعربية. وحتماً في فيض المعرفة الوافد من الحضارات القديمة، كان نص القرآن هو المرجع الأول والأخير. أمام زحف الفكر الفلسفي اليوناني والفارسي والمصري، ظلَّ نص القرآن هو حصن الدين الحنيف، وهو هنا الوضع الطبيعي والتاريخي؛ لأن القرآن جاء بقراءة متعددة لما جاء في المسيحية وفي اليهودية أيضاً، وظل نص القرآن مع تعدد الخطاب الديني المسيحي واليهودي في عصر الأمويين والعباسيين والعثمانيين هو القول الأول والأخير. ورغم اختلاف

مفسري القرآن، إلا أن عصمة التنزيل جعلت من النص المحور الأساسي.

والسؤال الحاسم: كيف نُقل هذا إلى تراثنا المسيحي؟

حدث ذلك عبر تطورٍ بطيء غير ملحوظ:

أولاً: هجوم على الكتاب المقدس، واتهام عام بأن الكتاب تم تحريفه، مما دفع الذين كتبوا دفاعاً عن أسفار العهدين، الوصول إلى ذات المعتقد الإسلامي، أي الاعتقاد بتنزيل الكتاب المقدس، وترى ذلك في استخدام كلمة "آية" عند اقتباس كلمات الوحي، وهو بلا شك من تأثير الثقافة الإسلامية؛ لأن ما ورد في القرآن هو "آيات"، و"تنزيل من رب العالمين"، ولذلك يجب أن يكون الكتاب المقدس في ذات المنزلة.

ثانياً: إن استخدام كلمة "آية" لنص من الكتاب المقدس، لم يظهر إلا مع القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وفي منشورات المبشرين الإنجيليين، وليس قبل ذلك. ومع هؤلاء، جاءت فكرة عصمة الكتاب المقدس، وهو ما لا تجده عند علماء الأقباط والسريان والروم في العصر الوسيط.

ثالثاً: القراءة المغلوطة للتاريخ الكنسي، وبالذات مواجهة الكنيسة للهرطقات، التي رأى الذين كتبوا ولا زال يكتبون، أن صراع الكنيسة مع الأريوسية كان صراعاً على شرح أو تفسير نصوص معينة في أسفار العهدين، ولم يفتن هؤلاء إلى أن الخلاف كان على:

+ استعلان الثالث وليس الآب وحده.

+ مصير الإنسان الأبدي.

+ الشركة الكيانية بين الثالث والإنسان صورة الله.

+ السرائر والصلاة والحياة الروحية.

هذه البنود الأربعة هي استعلانات أو أفعال عبّرت عنها النصوص، ولكن لم ننشئها النصوص. الحدث يسبق النص، والنص يشهد للحدث. الحدث فعل، وقد

يكون فعلاً دائماً مثل تجسد ابن الله، أو انسكاب الروح القدس. هذه أفعال إلهية لم تنشأ بنصوص.

التجسد هو فعلٌ إلهيٌّ دائمٌ، وهو الذي أسس الكنيسة، وهو الذي جعل الكنيسة جسد المسيح. كان الفعل هو سبب وأصل وجود النص، ولم يؤسس النصُّ فعلاً. في مواجهة الرب مع التلاميذ كان وجوده بينهم هو الذي جعله يقول: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، ولولا العطاء بيديه، أي الفعل، لفقدت الكلمات معناها، ولكن الأهم هو أن الفعل هو الذي أسس الليتورجيا: "اصنعوا هذا لذكري".

"الكلمة صار جسداً"، ولم يقف استعلان الكلمة عند التجسد، بل حرفياً: "وسكن فينا"، أو "سكن، أو حل بيننا"، أي صار كواحدٍ مِنَّا، ليس كما قيل في التكوين: "صار كواحد منا عارفاً الخير والشر"، بل صار كواحد منا "رأس الخلقة الجديدة، وبداية تكوين جديد بآدم جديد". ولذلك، صار معنى الكلمات: "في البدء خلق الله السموات والأرض"، هو "في البدء كان الكلمة .. والكلمة صار جسداً". كما لاحظ العلامة أوريجينوس في افتتاحية شرح إنجيل يوحنا أن البدء الجديد صار يشرح البدء الحقيقي الذي به صار للبدء القديم دخولٌ في شركة جديدة.

ربما حدث التحول نحو سيادة الشريعة مع الاتجاه القانوني لأبي الفرج ابن الطيب صاحب كتاب "فقه النصرانية"، وهو المرجع الذي اعتمد عليه أولاد العسال في وضع القالب القانوني للعصر الوسيط، والمجموع الصفوي. ولكن لم يكن الشرق وحده هو الذي دخل نفق سيادة القانون على الإيمان، إذ حدث نفس الشيء في كنائس لم تكن لغتها العربية مثل كنيسة اليونان التي صار "الشرع الكنسي" المصدر الأول لديها.

ودخلت الحياة الليتورجية نفق الشريعة في تصنيف كتب مثل "الميناون"، والأهم هو كتاب "التيكون" Τυπικόν، وكلاهما قنن ما يُخدم، وما يُقال، فصارت الليتورجية خدمةً ثابتةً انعدمت فيها الحرية، رغم الغنى اللاهوتي الفائق في الأناشيد

والصلوات التي هي صوت الآباء القديسين.

في عصرنا الحديث، ومع اشتعال حرب النصوص، بدأت ملامح الأسلمة بظهور عهد الأئمة، وأهم هؤلاء: الأنبا شنودة الثالث، ثم الأنبا بيشوي، والأب متى المسكين. والأول والثالث لم يكن لديه أي رغبة أو تطلع لأن يكون إمام شيعية، ولكن المحاربون قسّموا الكنيسة إلى مذهبين: مذهب الأنبا شنودة، احتل فيه الأنبا بيشوي منصب الإمام الأكبر، ومذهب الأب متى المسكين الذي انضم إليه ١٩ اسماً، كان كاتب هذه السطور واحداً منهم.

وحرب النصوص هي منهج حركة الإصلاح. فقد قام لوثر وغيره، بنقدٍ حادٍ عنيفٍ للكنيسة روما، وكان شعار هذه الحركة، كما صيغ في عبارة لاتينية موجزة هو: Sola Scriptura, Sola Fide, Sola Gratia.

أي: الكتاب المقدس وحده — الإيمان وحده — النعمة وحدها. وإذ كانت كلمات "الإيمان وحده"، و"النعمة وحدها" قد سقطت، فقد بقيت الكلمتين: "الكتاب المقدس وحده". من هنا اشتعلت حرب النصوص منذ القرن السادس عشر.

الأخطاء القاتلة لحرب النصوص:

أولاً: فقدان الأيقونة الكاملة لموضوع البحث، والانحصار في محاور تدمير جمال الأيقونة. خير مثال على ذلك، هو حرب النصوص الدائرة عن الخطيئة الأصلية. ما الذي فُقد من الأيقونة؟

ما فُقد هو "الصورة الإلهية" التي لم تُمَت مطلقاً، بدليل أن إبراهيم ويوسف وأنبياء وبعض ملوك العهد القديم، كان لهم إيمان ومعرفة بالله، ونالوا هبات الروح القدس حسب شهادة سفر القضاة وباقي الأسفار التاريخية. ولكن لم نحاول أن نشرح تاريخ هؤلاء الأبطال الذين مُدحوا بشكل فائق في (عب ص ١١)، وهكذا ضاعت أيقونة تدبير الخلاص باللف والدوران حول "البديلة" "والموت العقابي"

و"دفع الثمن"، وغيرها من أفكار تجديفية، هدمت صلاح ومحبة الله. وصار حشد النصوص للدفاع عن أيٍّ من هذه المحاور، هو فقدان للصورة الكاملة.

ثانياً: الفصلُ بين الإيمان، وما يُمارَس في الليتورجية. وخير مثال على ذلك هو كيف يكون الابن ثمناً يُدفع للآب، في ذات الوقت الذي يمسك فيه أحد أعضاء هذا الفريق الكروي، بالصينية حاملاً جسد الرب، وأمامه الكأس على المذبح، ليقول إنه يعترف "إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه ربنا من والدة الإله، وجعله واحداً مع لاهوته، وأسلمه عنا على خشبة الصليب بإرادته وحده عنا كلنا"، ثم يُعلِّم بغير ذلك؟ ألا يكون بذلك قد هدم الممارسة بتعليم افتراضي لا وجود له؟

ثالثاً: التشيُّع، إما للأنبا شنودة الثالث، وإما للآب متى المسكين، والذي انضم إليه قائمة أخرى معروفة نُشرت اسمائهم مقرونةً بالصور، من أجل مزيد من التحريض. وصار أي نقد لتعليم الأنبا شنودة الثالث، هو نقد لتعليم الكنيسة. صار الأنبا شنودة الثالث = الكنيسة. وهو ما أصبحنا نراه في ختام طقس الرسامات، إذ يؤدي كل كاهن وأسقف هذا التعهد بالولاء للبابا، وهو ما لم يكن معروفاً في طقسنا، ولا وجود له لدى الكنائس الأرثوذكسية الأخرى (حسب كتب الخدمة).

رابعاً: صارت العقائد أفكاراً بلا ممارسة؛ إذ كيف تمارَس دفع الثمن للآب؟ وهو ما يجعلني أرى في هجوم بعض المتطرفين من الإنجيليين على رشم الصليب، تطوراً طبيعياً لاعتقادهم بفكرة دفع الثمن، إذ صار الصليب علامة اللعنة، وعلامة إرضاء العدل الإلهي عندهم.

قائمة الخسارة تطول، ولكن يجب أن نتوقف أمام أهم خسارتين:

الخسارة الأولى: خسرنا أن ما أعلن هو ما نشارك فيه؛ لأننا دُعينا إلى شركة حياة الثالوث في الابن وبالروح حسب التسليم الذي ذكره معلمنا اثنايوس في رسائله إلى سريايون. وصار ما أعلن مجرد فكرة لا شركة فيها في الثالوث؛ لأن الشركة أضحت شركة في قوة أو طاقة حسب تعليم المطران، وليست شركة في الله

الثالوث، إذ يظل الثالوث بعيداً عنا مثل آلهة الديانات الأخرى.

الخسارة الثانية: خسرنا رؤيتنا للتحول الكياني الذي يجعلنا أخوة الرب، باعتباره هو "البكر". ذلك التحول الذي يجعل الرب رأس أعضاء جسده بالمعنى الحقيقي، الذي نمارسه في قبوله هو بالذات أقنوماً وقوةً وطاقةً ونعمةً ونوراً وخلاصاً وفداءً وقيامةً وحياةً أبديةً؛ لأن القوة والطاقة والنعمة والخلاص والفداء والقيامة والحياة الأبدية هي صورة أو أيقونة المسيح نفسه.

أولاً

الحرب بالنصوص وفقدان الهدف

ما هو هدف الإيمان المسيحي الأرثوذكسي؟

سؤال كان يشكّل قلب الإفراز والتمييز في التعليم المسيحي، ولكن للأسف، ربما لم يعد هذا السؤال في بؤرة الوعي المعاصر.

الهدف الأبدي من الإيمان المسيحي هو شركتنا في حياة الثالوث. هذا هو غاية الإيمان المسيحي. كانت الغاية أو الهدف من الشريعة هو أن تكون شريعة موسى وتشريعات العهد القديم - كما قال رسول الرب: "مؤدبنا إلى المسيح"، ولم يقف رسول الرب عند هذه العبارة، بل أكمل القول: "ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب" (غلا ٣: ٢٤ - ٢٥). وذكر الرسول السبب: "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" (غلا ٣: ٢٦). هذا الإيمان هو ما يُمارَس في المعمودية: "لأن كلكم الذين اعتمدتم في المسيح قد لبستم المسيح"؛ لأن البنوة للثالوث تحدث فعلاً، وتفوق كل ما هو سابقٌ عليها:

- "ليس يهودي ولا أممي (يوناني)"، فقد انتهى دور الفارق العرقي؛ لأن المسيح هو ابن الإنسان لا ابن إبراهيم وداود فقط.

- "ليس عبداً ولا حُرّاً"، وهي الفوارق التي جاء بها المجتمع القديم، حيث كان البشر يُباعون مثلما يُباعون اليوم في أسواق العراق.

- "ليس ذكر ولا أنثى"، فالاختلاف البيولوجي الذي فُرض على المرأة، ليس له وجود في الخِلقة الجديدة.

- "لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع"، ويخاطب القديس بولس دعاة اليهود في زمانه: "فإن كنتم للمسيح، فأنتم نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة" (غلا ٣: ٢٧-٢٨).

هذه هي الفقرات التي لا نريد أن ندرسها، ولا حتى نقرب من الواقع الجديد في المسيح يسوع، واقع الحياة الجديدة أو الخلقة الجديدة. ولعل صرخة بولس رسول المسيح تدخل عقول صار الحصن الوحيد الباقي لها في هذه الدنيا، ليس المسيح، بل النص، إذ يقول رسول الرب لنا جميعاً: "جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان. امتحنوا أنفسكم. أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح فيكم إن لم تكونوا مرفوضين" (٢ كو ١٣: ٥). تُرى هل فقدنا الهدف ولم نعد - كما قال بولس - "نحيا معه بقوة الله" (٢ كو ١٣: ٥)؟ وكيف انزلق المطران إلى اعتبار المسيح الرب قوة و طاقة، وهو "يحل بالإيمان في قلوبنا" (أفسس ٣: ١٧)؟ لأن هذا الحل هو حلولٌ لأهم أهداف المحبة الثالوثية: "وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفون محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أفسس ٣: ١٧-١٩)، ويمكنني أن أضع هنا شرح الآباء على عبارة "ملء الله"، ولكني أكتفي بأنها تعني الشركة الكاملة في حياة الثالوث القدوس. هذه الشركة تبدأ معنا هنا وتكمل في الدهر الآتي. ولكن واضح أن الفقر الروحي والفكري الذي وضع الإنسان تحت الشريعة، هو الذي جعل هؤلاء الفقراء يجدون في النصوص الحصن الذي يدافعون فيه عن فقرهم.

الخلقة الجديدة:

هي خلقة الإنسان الجديد الذي لا يتكون من حفظ الشريعة، بل هو مخلوقٌ من جديد، "مخلوقٌ بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أفسس ٤: ٢٤)، مخلوقٌ في المسيح، في آدم الجديد أو الثاني "الرب من السماء" (١ كو ١٥: ٤٧). مخلوقٌ حسب كلمات الرسول التي غابت في صراخ اللعب بالنصوص: "إن كان أحدٌ في

المسيح، فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً"، وهذا الجديد -حسب كلمات رسول الرب نفسه: "ولكن الكل هو من الله" (٢ كو ٥: ١٧-١٨)، هو الذي صرنا نحن فيه في يسوع "بر الله" (٢ كو ٥: ٢١)، ليس بر الناموس، أو بر الشريعة، بل بر يسوع، بر الله نفسه الذي يُوهب ويُعطى، لا بما يمارسه الإنسان، بل بما أنجزه رب المجد.

خلفية تاريخية لم تُدرس بعد:

لا يعرف الصارخون في الفضائيات، والمبارزون بالنصوص أن الإسكندرية كانت معقلاً هاماً من معاقل يهود الشتات. وفي الإسكندرية تُرجم العهد القديم إلى اليونانية (الترجمة السبعينية)، وكانت قراءة أسفار العهد القديم في الكنيسة أساسية منذ بداية العصر المسيحي، وشهادة العلامة أوريجينوس تؤكد لنا أن العظات، وشرح أسفار العهد القديم، كانت أحد مكونات مدرسة الإسكندرية اللاهوتية العظيمة. في هذا المجتمع كان اختلاط اليهود بالمسيحيين أمراً حتمياً وصل إلى حد الزواج والمصاهرة، حسب شهادة ذهبي الفم. وكانت مشكلة الإسكندرية هي ذات مشكلة أنطاكية مع فارق هام، وهو أن في أنطاكية كان اليهود والمسيحيون يتكلمون الآرامية (السريانية) بجانب اليهودية. والدليل هو ما ورد بوفرة في عظات ذهبي الفم نفسه، وبالذات العظات الخمسة ضد المتهودين.

من هذه الخلفية التاريخية جاء هجوم الدسقولية على حركة التهود، وجاءت أيضاً الوثائق المنحولة مثل قوانين أبوليدس العربية، التي ربما كان لها أصل قبطني اندثر. ولعل ما كان يحدث في برية الإسقيط، وهو ما أشار إليه القديس أناسيوس الرسولي في رسالته إلى آمون عن إفرازات الجسد، يؤكد أن القراءات الحرفية والسطحية لأسفار العهد القديم كانت خلف ما دار من حوار في الإسقيط. ثم يأتي بعد ذلك خاتمة الوثائق التاريخية، وهو كتاب القديس كيرلس عمود الدين: "السجود والعبادة بالروح والحق"، وهو الشرح المسيحي لشريعة موسى. ومن أسئلة بلاديوس للقديس كيرلس ومن إجابات القديس كيرلس نفسه، ندرك أن حركة

التهود كانت حركةً حيَّةً. فإذا جاء من التاريخ كلاً من رسالة أنثاسيوس الرسولي إلى آمون، وكتاب السجود والعبادة بالروح والحق للقديس كيرلس، فإننا يجب أن نفهم أن محور الشريعة أو الناموس لم يعد قائماً، وهو ما سبق وشغل:

- الرسالة إلى رومية.

- الرسالة إلى غلاطية.

- الرسالة إلى كولوسي.

- الرسالة إلى العبرانيين.

أي بواقع ٤ رسائل من جملة ١٤ رسالة من رسائل القديس بولس، بجانب ما ورد في باقي الرسائل، لذا فالأمر لا يحتاج إلى إعادة نظر فيما نقول.

كانت دهشتي أكبر في مناسبتين:

- الأولى، وهي أهم بكثير من الثانية، هي حجة المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية بأن الرب لم يترك لنا وصايا خاصة بشرائع التطهير^(١). وهي حجة واهية تؤكد لنا أننا إزاء مدرسة فقهية نصوصية دخلت وسيطرت على المجمع المقدس نفسه؛ لأن هذه النظرة، وتلك الحجة، لو طُبِّقَت على كل الممارسات الكنسية مثل تقديم البخور، ووضع الأيقونات، وخدمة الليتورجيا، الصلوات، والملابس، والأصوام، ومباني الكنائس، بل وإقامة خدمة القديس في يوم الأحد؛ لزال أساس المسيحية نفسه. فأين هي وصايا الرب في كل هذا وغيره، واضح تماماً أن الأساس، وهو يسوع المسيح نفسه "حجر الزاوية"، قد غاب، ولذلك فَتَّشُوا عن النصوص!!!

أما دهشتي الثانية، فكانت من هذا الذي رفض رسالة أنثاسيوس إلى آمون بحجة أن تناول الإفخارستيا لم يرد في نص الرسالة. وكان مثار دهشتي أنهم حولوا

(١) راجع مقالنا بعنوان: "المجمع المقدس يبحث عن وصية"، منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية بتاريخ ٢٨ ديسمبر ٢٠١٤.

الرسالة إلى دراسة فقهية، بينما محور الرسالة يدور على أن الله هو خالق الجسد، وأنه لا يوجد دنس أو خطية في وظائف الأعضاء التي خلقها الله. ونتيجةً لتلك النظرة الفقهية للرسالة، غاب تقديس الجسد، وكأن الجسد وُضِعَ تحت أحكام الشريعة القديمة، شريعة موسى.

ولا يفوتني قبل أن أنهي الحديث عن الخلفية التاريخية، أن أسجل كلمة شكرٍ للأستاذ الدكتور جورج عوض على ترجمة جيدة جداً لكتاب "السجود والعبادة بالروح والحق"، وعلى ما بذله من جهد في المقدمة التي افتتح بها الترجمة، وعلى الحواشي الهامة التي أضافها إلى الترجمة. وبهذه المناسبة ألفت النظر إلى أن المقالة الثانية عن التبرير بالإيمان، تحتاج إلى توثيق تاريخي سكندري لموضوع لم يدرسه سوى الأب متى المسكين في شرح غلاطية، وفي دراسة موجزة للدكتور موريس تاووضوس في شرح رومية؛ لهذا يبقى علينا فتح الملفات التاريخية.

ثانياً

المحاور التاريخية الكبرى

في الحوار اليهودي - المسيحي في الإسكندرية

من المؤسف حقاً أن خضعت دراسة هذا الموضوع بالذات لاعتبارات سياسية ومذهبية.
كانت دراسة:

R. L. Wilken, Judaism and The Early Christian Mind, 1971.

وما تلاها من دراسات أخرى تطول بما قائمة المراجع، تؤكد أن حوار الشهيد يوستينوس: "الحوار مع تريفو"، وما سبقه من رسائل اغناطيوس الأنطاكي، تقدم لنا أربعة محاور أساسية، هي أولاً تاريخية، وثانياً عقائدية، مع الأخذ في الاعتبار أنه لا يوجد فصل بين التاريخي والعقدي.

- المحور الأول هو: يسوع المسيح آدم الثاني.

- المحور الثاني هو: استعلان الله لبني البشر في يسوع المسيح بالروح القدس.

- المحور الثالث هو: فهم دور الشريعة أو الناموس في نور شخص وعمل الوسيط يسوع المسيح.

- المحور الرابع هو: الكنيسة أو الشعب الجديد، أو الجنس الثالث الذي ليس هو يهودي ولا أممي، بل الجنس الجديد المولود من الله.

وحسب ما أراه في المعارك الإعلامية الدائرة، أجد أن هذه المحاور الأربعة غابت عن الهجوم، والهجوم المضاد.

أولاً: إذا كان المسيح هو آدم الثاني، وهو ما سبق وأشرنا إليه في عدة دراسات سابقة، بل وعدة مرات، بات من الحتمي أن نسأل عن أية إنسانية

نتحدث: القديمة، أم الجديدة؟ القديمة نعرفها جيداً، والجديدة -التي تنال ضربات من كل جهة تحاول نسفها بديناميت الغيظ- هي التي خلقت ليس بفكرٍ ما ولا بعملٍ ما، بل بالميلاد الجديد في سِرِّي المعمودية والميرون، وتنال الخبز السمائي يسوع المسيح نفسه في الإفخارستيا.

إذا كان لنا إيمانٌ صادقٌ بأننا فعلاً خليقة جديدة، فكيف نعود إلى شريعة الظلال، أي شريعة موسى التي وُضِعَتْ من أجل الخليقة القديمة (عب ١٠: ١ وغيرها)؟

ثانياً: إذا كان الله قد استُعِلنْ ثالوثاً هو الآب والابن والروح القدس، وأننا ننال شركة في حياة الثالوث هي هبة ونعمة الحياة الأبدية من الآب بالابن في الروح القدس، فكيف يمكن أن يدخل وسيطٌ بيننا وبين الثالوث، إذا كان الوسيط نفسه هو يسوع المسيح الكلمة المتجسد الأتوم الثاني، هو الذي جاء بهذه الشركة فيه هو، وهو الذي نقل أصل الإنسان من آدم الأول إلى آدم الثاني؟ ولسنا في حاجة للتأكيد على أن استعلان الثالوث في تجسد الابن، وفي انسكاب المعزّي، جعل أركان التدبير ثابتةً على أساس الهي. فعند الشهيد أغناطيوس الأنطاكي، الظهور الإلهي لذات الله أو الأبيفانيا $\phi\alpha\nu\epsilon\rho\acute{\omega}\sigma\sigma\alpha\varsigma \ \acute{\epsilon}\alpha\upsilon\tau\acute{\omicron}\nu$ في يسوع المسيح (مغنسيا ٨: ٢) هو تدبير $O\acute{\iota}kono\mu\acute{\iota}a$ "الإنسان الجديد يسوع المسيح" (أفسس ٢٠: ١). وهنا نجد عبارة تشرح التدبير الذي تم في آخر الدهور، ولذلك، كانت البداية الأزلية هي التي ظهرت في نهاية الدهور، فصارت البداية هي النهاية؛ لأن البداية ليست زمانية، بل هي الابن، وهو النهاية، أو الغاية $\tau\acute{\epsilon}\lambda\omicron\varsigma$ حيث تم تجديد القديم. من هنا جاء التعليم بأن المسيحية ليست هي التي آمنت باليهودية، بل اليهودية هي التي آمنت بالمسيحية، ولذلك جاءت كلمات أغناطيوس الأنطاكي عن حركة اليهود بأنهم ذئاب شريرة أو خاطفة (فيلادلفيا ٢: ٢)، وزوان شرير (٣: ١) وشواهد قبور (٦: ١). وجاء كل هذا بالطبع استمراراً لما حدث في مجمع الرسل (أع ص ١٥)، وهو المجمع الذي فتح باب التآويل الرمزي لأسفار العهد القديم، ولم يكن تآويل الأسفار رمزياً استمراراً لمنهج التآويل الرمزي عند

فيلون الاسكندري، بل هو بقاء الأسفار القديمة كظلال للنور الحقيقي الذي أشرق، وصار النور هو سبب وجود الظل.

ثالثاً: من هو الوسيط؟ هل هو الرب يسوع، أي الله نفسه، أم شريعة موسى؟ كيف أجاب الرسول بولس على هذا السؤال؟

يسأل الرسول بولس: لماذا الشريعة أو الناموس؟ (غلا ٣ : ١٩) والإجابة: "قد زيد بسبب التعديت". فلم يعد هو "من كل شجر الجنة تأكل ما عدا شجرة معرفة الخير والشر"، بل كما هو ظاهر في سفر التثنية، امتد إلى كل مناحي الحياة؛ ولذلك "زيد" (غلا ٣ : ١٩) إلى أن يأتي النسل الذي وُعد له (بالبركة) (غلا ٣ : ١٩) مرتباً بملائكة، أي برسل في يد وسيط (المسيح) (غلا ٣ : ١٩). ويضع الرسول عبارات ذات دلالة: "أما الوسيط فلا يكون لواحد"؛ لأن الوساطة هي بين اثنين: الله والناس. ثم يسأل في عبارة اعتراضية: "ولكن الله واحد" (غلا ٣ : ٢٠)؛ لأن العهد الجديد لم يكن عهداً قُدِّم على جبل حوريب، وكان الوسيط هو موسى، بل عهداً اختياراً لمحبة وصلاح الله قَدِّمه الله نفسه في ابنه الوحيد، ولم نكن نحن طرفاً فيه، بل قَبَلناه بعد أن أكمل الرب التدبير.

لكن تلك الأصوات الشاردة المزعجة، تريد أن تعود بنا إلى شريعة موسى، وبينما يريدون أن يحذفوا كل ما قيل عن سائر قواعد التطهيرات الجسدانية، يريدون أن يحفظوا تلك الخاصة بالنساء فقط. وبينما كان لمس جثة ميت نجاسةً، صارت عظام الشهداء تملأ الكنائس، وصارت أماكن صلاة وتطهير للقلب. لقد ختم رسول الرب ما ذكره بعبارة ذات دلالة: "لأنه لو أعطى شريعة قادرة على أن تُحيي الكل لكان بالحقيقة البر بالشريعة" (غلا ٣ : ٢١)، ألا تفهمون؟

رابعاً: الكنيسة هي جسد الرب نفسه، وليست جسداً آخر، فليس للرب إلاَّ جسدٌ واحدٌ. ولما سقط كل من: ١- الانتساب العرقي. ٢- بركة الولادة البيولوجية، تحوَّل الأصل الإنساني من آدم إلى المسيح؛ لذا جاء الرسول بولس بما هو صادم فعلاً لليهود، فهو يصف اليهود الذين ولدوا من نسل ابراهيم ولادة

جسدانية (بيولوجية) بأنهم هم أولاد هاجر، بينما كل مَنْ يؤمن بالمسيح، فهو الابن الحقيقي لإبراهيم لأنه ولد "حسب الموعد"، أي حسب الروح القدس.

هكذا خضع الترتيب التاريخي والتناسل البيولوجي لما استُعْلِنَ في المسيح. لذا أرجو من القارئ أن يدرس دون استعجال (غلا ٤ : ٢١-٣١).

- كان لإبراهيم ابنان: واحدٌ من الجارية (هاجر)، والآخر من الحرة (سارة).

- الذي وُلِدَ من الجارية وُلِدَ حسب الجسد (ولادة بيولوجية).

- وأما الذي من الحرة، فقد وُلِدَ حسب وعد الله.

المحصلة:

الولادتان رمزٌ لعهدين:

- العهد الذي من جبل سيناء الوالد للعبودية، وهو هاجر (غلا ٤ : ٢٤)، وبنص قاطع: "لأن هاجر جبل سيناء (حيث نزلت الشريعة على موسى) في (صحراء) العربية، فإنها مستعبدة مع بنيها، ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة.

- العهد الجديد: "أما أورشليم العليا (السماء) التي هي أُمنا جميعاً، فهي حرة"، ثم يقتبس نبوة عن المرأة العاقر التي سيكون لها أولاد أكثر من التي لها زوج (أش ٥٤ : ١).

التطبيق:

"إذا أيها الأخوة لسنا أولاد جارية (هاجر)"، لسنا مثل اليهود بل أولاد الحرة (الولادة الجديدة).

كيف حدث هذا التحول؟

أولاً: بولادة الرب من أُم النور بالروح القدس راجع (غلا ٤ : ٤-٦)، إذ أسس الربُّ الحياةَ الجديدة، فكيف يمكن أن نعود إلى العبودية، وأن نصبح مثل أولاد الجارية، أي أولئك الذين نالوا ولادةً جسدانيةً؟ ولذلك يصرخ رسول المسيح:

"اثبتوا في الحرية التي قد حررنا المسيح" (٥ : ١). ثم يقول عن علامة العهد بين الله وابراهيم، أي الختان: "أقول لكم إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً" (٥ : ٢). ماذا إذن تعني العودة إلى الناموس أو شريعة موسى؟ "السقوط من النعمة" (غلا ٥ : ٤)، ويؤكد بولس قبل ذلك أننا تحت الشريعة كنا مثل الابن القاصر "لكن بعد ما جاء الإيمان لسنا تحت مؤدب" (غلا ٣ : ٢٥).

أولاً

الكنيسة، الموضوع الغائب لأسباب معروفة

كنيسة واحدة

نقول في اعترافنا العالمي: "نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية"، ورغم ذلك جاء الانقسام في ٤٥١م وتلاه عدة انقسامات لم تهدد فقط وحدة الكنيسة، بل جعلت الحديث عن "كنيسة مقدسة" شبه معدوم لأسباب معروفة لا أريد الإسهاب في عرضها ولا في شرحها. يكفي أن أذكر القارئ بأن أول كتاب معاصر لنا عن الكنيسة كان ولا يزال هو "الكنيسة الخالدة" للأب متى المسكين، ثم تلاه كتابين للرد على كتاب الأنبا شنودة "بدع حديثة"^(١). ذلك أن رد فعل الأنبا شنودة الثالث قد تطرف في اتجاهين: الأول: سخرية لاذعة عن الكنيسة جسد المسيح، وفي عبارات لا تليق أن يتفوه بها موعوظ: الكنيسة تسجد لنفسها - الكنيسة ... الخ. والثاني: تعليقه الساخر على ولادة آدم الجديد، أو الثاني في بيت لحم مسقط رأس البشرية المقتداة، بأننا نحن لم نولد من العذراء ... الخ.

الغائب، بل البعيد تماماً عن الوعي، هو جسد المسيح، الذي قسّمه دون أن يدري الأنبا شنودة الثالث إلى ثلاثة أجساد قال عنها: جسد المسيح المولود من العذراء - جسد المسيح في الإفخارستيا - جسد المسيح الكنيسة. وأطلق على هذا التقسيم، نظرية "الأجساد الثلاثة"، وهي نظرية شاعت في العصر الوسيط

(١) د. جورج حبيب بباوي، الرد على كتاب بدع حديثة، الكتاب الأول بعنوان: حقيقة وجوهر ما يُشاع باسم العقيدة الأرثوذكسية، القاهرة ٢٠٠٨. والكتاب الثاني بعنوان: هل هذه بدع، وهل هي حديثة، القاهرة ٢٠٠٩.

الأوروبي، ولم يعرفها الشرق الأرثوذكسي من أكلمنضس السكندري حتى يوحنا
الدمشقي وغيغوريوس بالاماس آخر عمالقة اللاهوتيين الأرثوذكس، إلى أن
أحيّاها الأنبا شنودة من جديد!

لم يدّر الأنبا شنودة أن هذه النظرية تهدم الوجود المسيحي كله، نفساً
وجسداً. لأن السؤال الحاسم الذي يفرض نفسه عندئذٍ: إلّا م ينتمي المسيحي -
الذي نال سر دخول شركة جسد المسيح في المعمودية وفي المسحة، وأين يجد
نفسه (١ كو ١٢: ١٢-١٣)؟ إلى أي جسد من هذه الأجساد الثلاثة ينضم؟
حسب صلوات المعمودية، هو يصبح عضواً في جسد المسيح الكنيسة "شجرة
الزيتون المثمرة"، وهو أحد معاني الدهن بزيت الابتهاج "الغاليلاون"، دهن قبول
المتغرب عن الحياة الإلهية ليكون عضواً في جسد الرب الكنيسة. وبعد ذلك يشترك
في الذبيحة الإلهية جسد الرب ودمه، فاذا حدث تقسيم جسد المسيح إلى ثلاثة
أجساد، انهار تماماً قبوله في الكنيسة؛ لأن الكنيسة أصبحت جسداً آخر غير
جسد الرب، هي الجسد الثالث. وبالتالي لم ينضم المسيحي إذن إلى الإله
المتجسد، وإنما انضم إلى جسد ثالث، غير ذلك الجسد الذي ولد من البتول.
وإذا تناول، فهو لا يشترك في المسيح الواحد، بل في مسيح آخر ثانٍ له جسد ثانٍ
هو في الإفخارستيا، لا علاقة له بجسد الرب المصلوب والحي.

والخلاصة: ماذا أخذ المسيحي من نظرية الأجساد الثلاثة إلا اغترابه عن
الرب والمخلص؟ وماذا نالت المرأة بعد أن دفعت الكراهية لها إلى منع النساء من
لمس أجساد القديسين في الكنائس؛ لأن هكذا صارت ذخائر القديسين، تنتمي
إلى كنيسة أخرى، ليست هي الكنيسة الواحدة، التي صارت تجمع الرجال
والنساء، ليس حسب التكوين العضوي Gender بل حسب "الخلقة الجديدة"،
أساس تكوين الكنيسة الذي يوصف بأنه: الكنيسة الواحدة المقدسة "المعيّنة قبل
الدهور لمجدٍ باقٍ غير متغير، والمتحدة والمختارة بالآلام الحقيقية حسب مشيئة الله

الآب ويسوع المسيح إلهنا"^(١). لأن "الجسد هو للرأس، ليس فقط في الكنيسة المحلية، بل في المسكونة كلها" (أوغسطينوس في شرح مزمو ٩٠ : ١٠). وحسب القصد الإلهي يقول أوغسطينوس: "ميلاد الكنيسة قدم؛ لأنها كائنة حيثما يوجد الذين دُعوا قديسين" (شرح مزمو ١٢٨ : ٢)، بل إن خلق آدم وحواء هو إشارة إلى اتحاد الرب الرجل، بجواء الكنيسة" (أكليمنضس الروماني، الرسالة الثالثة ١٤ : ١ - ٤). وقد أسهب العلامة أوريجينوس في شرح هذا الاتحاد في شرح سفر النشيد (٢ : ٨)، وهنا نضع قطوف من عند الآباء في الكنيسة:

- "الفردوس الذي عُرسَ في المسكونة" (إيريناوس، ضد الهرطقات ٥ : ٢٠ : ٢).
 - الكنيسة فردوس الله (أثناسيوس، ضد الأريوسيين ١ : ٢).
 - "المحبة، العروس، مجد المسيح" (أوغسطينوس ٢٦٢ : ٥).
 - "أنها الحمامة التي بشرت نوح بالسلام" (ترتليان المعمودية: ٨).
 - "وهي فلك نوح" (كبريانوس رسالة ٧٥ : ٢).
 - "بناء الله" (أغسطينوس عظة ٣٦١ : ٢١).
 - "هيكل الله" (كبريانوس رسالة ٧٤ : ٢).
 - "بيت الله ليس مكاناً، بل اجتماع المؤمنين لأن المسيح على بيته كابن ونحن بيته" (عب ٣ : ١) (ديديموس الضير، شرح زكريا ٣ : ٧٤).
- وعندما نقول في القداس الإلهي: "ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى" (٢) تيمو ٣ : ١٦)، يشرح ذهبي الفم عبارات الرسول:

"الكنيسة هي عمود الكون. لنفهم هذا السر الذي يدهشنا لأنه حقاً عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد"، الخالق ظهر متجسداً، وتبرر بالروح كما هو مكتوب "الحكمة تبررت بأفعالها" (متى ١١ : ١٩)؛ لأن أفعال الحكمة كانت بلا حث أو شر، ويقول النبي إنه لم يغش بفمه (أش ٥٣ : ٩)، وشاهدته الملائكة؛ لأن الملائكة يجتمعون معنا لرؤية ابن

(١) د. جورج حبيب بباوي، رسائل الشهيد أغناطيوس الأنطاكي، القاهرة، يناير ٢٠١٦، أفسس ١ : ١، ص ٢٣.

الله الذي لم يشاهدوه (متجسداً) ... ويصف هذا التدبير بأنه "سر" لأنه لم يُعلن لكل البشر، ولا حتى للملائكة؛ لأنه قال بكل صواب: "صار معروفاً بواسطة الكنيسة" (أفسس ٣: ١٠). ولذلك يقول: "وبلا شك عظيم هو سر التقوى". حقاً عظيم؛ لأن الله صار إنساناً والإنسان صار إلهاً" (عظة ١١ على تيموثاوس الأولى ٤: ٣٧).

الجسد الواحد:

وعن شركتنا، نطلب في القداس الإلهي أن نكون "جسداً واحداً وروحاً واحداً ونجد نصيباً وميراثاً مع القديسين". ولا يمكن فصل الرأس عن الجسد؛ لأن الجسد بلا رأس هو جسدٌ ميّتٌ، قُطِعَ رأسه. ولذلك يقول ذهبي الفم:

"الجسد والرأس واحد لأن الكنيسة والمسيح واحد" ولذلك أخبرنا الرسول عن المسيح بدلاً من أن يخبرنا بالكنيسة، إذ قد أعطى نفس الاسم لجسده حينما قال: وجسدكم واحد، رغم أنه مكوّنٌ من أعضاء متنوعة، هكذا أيضاً الكنيسة لأننا نحن جميعاً واحد" (عظة ٣٠: ١ على كورنثوس الأولى).

مقدسة:

لا يحتاج هذا الوصف إلى برهان؛ لأن جسد المسيح هو الذي يكوّن، ولا زال يكون، ويقدّس الكنيسة. مصدر التقديس هو الرأس الذي مُسح بالروح القدس، فصار "المسيح"، لكي "نمسخ نحن فيه" كما سلّمنا ق أثناسيوس الرسولي (الرد على الأريوسيين ١: ٤٧).

قضية جيل خُدع:

١ - تم خداع هذا الجيل بإشاعة أن الخطية تفصل الخاطئ عن الرب، وهو تعليم ضد كل ما في الأسفار المقدسة، وهو تعليم يجعل الخطية أقوى فاعلية من النعمة. الرب هو الكلمة Logos الخالق الذي خلقنا، وهو يقول عنا في مثل الراعي في (يوحنا ١٠: ٢٩ - ٣٠) "خرافي في يدي ولا يقدر أحد أن يخطف من

يد أبي أنا والآب واحد أبي أعطاني إياها وهو أعظم من الكل"، ولكن للأسف، هكذا صارت الخطية أعظم من الآب والابن الروح القدس.

ونتيجةً لهذا الخداع، ظل أحد الأخوة المضللين بهذا التعليم المزيف، يجادلني بكل عنف على مدى ساعتين من الزمان في شرح (يوحنا ١٥ : ١-٢)، مصرراً على أن الآب ينزع الأغصان، بالرغم من أنني ذكرت له أن مناسبة هذا المثل هي إسرائيل كرمة الرب التي نُقِلَتْ من أرض مصر (تكوين ٤٩ : ١-١١ مزمور ٨٠ : ٨-١١ - ارميا ٢ : ٢١ - ارميا ٥ : ١٠ - زكريا ٨ : ٨٢)، ولذلك قال الرب إنه هو الكرمة الحقيقية، وصار تجسده هو استعلان هذه الحقيقة، ولذلك كان الرب يوبّخ اليهود الذين لم يكن لهم وجود خاص بعد تجسده؛ لأن الكرمة الحقيقية التي عُرسَتْ وأنجبت، صارت هي أُمُّ النور حاملةً عنقود الحياة، وصار تجسد الرب هو الذي يحمل تحذيراً لكل مَنْ يرفض الإيمان، وضعف الخطية ليس هو رفض الإيمان: "كل غصن في لا يأتي بثمر" ومع ذلك يقول لبطرس ولباقي التلاميذ الذين هربوا ساعة القبض عليه "أنا الكرمة وأنتم الأغصان".

٢- كما تم خداع هذا الجيل بتزييف معنى "مقدس، ومقدّسين"، أولاً باعتبار أن ما هو مقدس هو بلا خطية. وهذا خطأ فادح؛ لأن أجزاء خيمة الاجتماع مثل "القدس"، التي توصف بأنها مقدسة، هي بلا إرادة. والمولود البكر فاتح الرحم يُدعى "قدوس"، و"قدس الأقداس" في الهيكل القديم، مقدس أيضاً، بل دُعيت ذبيحة الخطية "قدس أقداس" (لاويين ٦ : ٢٩). وقد طلب الرب بنفسه إلى الآب: "قدسهم في حقلك. كلامك (استعلانك) هو حق" (يوحنا ١٧ : ١٧)، بل يقول الرب نفسه: "لأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا مقدسين في الحق" (يو ١٧ : ١٩). فالتقديس تخصيص، والتقديس يرزق إلى ما هو أعظم، وهو نوال تقديس الروح القدس، ليكون لنا شركة في قداسة الله نفسه (عب ١٢ : ١٠)؛ لكي يكون لنا هذه النعمة العظمى، أي رد ما هو خاص وفريد؛ لأن الله القدوس هو الله الذي لا مثيل له، وعندما نشترك في قداسة الله نرى الرب (عب ١٢ : ١٤) لأننا بدون القداسة نحن خارج الشركة.

على هذا الأساس دُعي الذي دخلوا الإيمان قديسين (رو ١ : ٧) "مدعوين قديسين" (١ كو ١ : ٢) "كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح"، "لأن المسيح صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداءً" (١ كو ١ : ٣٠). ومن يدرس الرسالة الأولى إلى كورنثوس يدرك أن هذه الكنيسة كانت تعاني من انقسامات وخطايا كثيرة، ومع ذلك ظلّ بولس في الرسالة الثانية يكتب إلى "القديسين أجمعين" (٢ كو ١ : ٢ راجع أفسس ٢ : ١؛ لأن القديسين هم المؤمنون في المسيح يسوع (فيلبي ١ : ١) "إلى جميع القديسين" (كولوسي ١ : ١).

لقد دخل إلى الكنيسة الفكر الطبقي والرئاسي العسكري، أي طغمت لها رتب أعلى وأعظم، وهو ضد ما حاول الأريوباغي أن يثبت عكسه في الرئاسة السماوية ورئاسة الكهنوت؛ لأن المتقدم هو متقدم حسب النعمة، وليس حسب قدرة شخصية، أو امتياز. ونفس الكلام ينطبق على "رئاسة الكهنوت" في الأوشية؛ لأن أسقف الإسكندرية متقدم، لا لكي يسود، بل لكي يحفظ وحدانية القلب التي للمحبة. وما يناله أحد بنعمة من الثالوث، لا تجعله النعمة أعظم أو أهم أو أكبر؛ هذا ضد تكوين الجسد الواحد المتنوع الأعضاء، مما جعل الرسول يكتب: "وأعضاء الجسد التي نحسب أنها بلاكرامة نعطيها كرامة أفضل، والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل .. لكن الله مزج الجسد معطياً الناقص كرامة أفضل" (١ كو ١٢ : ٢٣-٢٤). وهنا أدعو القارئ إلى تأمل المسرة والتفاخر بنشر الأخطاء والخطايا وإطلاق الألقاب .. الخ من أمور لا تجوز أصلاً، ولكنها صارت متعة عند الذين غاب عنهم الوعي المسيحي الأرثوذكسي بأنهم مسيحيين. فمن يصف كاتب هذه السطور بالمطرود والمحروم، يُظهر مدى قبح حياته.

ثانياً

الاستعداد الجسدي للتناول

الاستعداد الجسدي هو باستعداد القلب:

التعليم بأن إفرازات الجسد "فطر"، هو تعليم متأخر، والعبرة ليست في قدم أو حداثة التاريخ؛ لأن التاريخ -رغم أهميته- لا يحكم على الإيمان. اعتبار أن إفرازات الجسد فطر، أي أن الجسد غير مستعد، هو كلام غير صحيح، والتخويف من التناول بمقولة إن "للسر مهابة"، هو كلام حق يراد به باطل لأن المهابة لا يفرضها قانون ولا تُزرع في النفوس بتدخل سافر سافل يتجلى في أن يعطي بعضهم لنفسه الحق في أن يسأل النساء عن الدورة الشهرية، أو عن العلاقات الزوجية. هذا سلوك حقير سافل، ليس من حق أي إنسان أن يسأل عنه. وأن نترك الأمر لضمير المتناول، هو التعليم الذي يجب أن يُقال علناً، لا أن يفعل البعض كما يفعل أحد مطارنة الوجه البحري الذي كان يطوف ليسأل زوجات الكهنة عن أسرار مخدع الزوجية؛ الأمر الذي يكشف عن اشتياقات هذا المطران التي سحقت ومُنعت، ليس بسبب فيض المحبة الإلهية، بل لأسباب أخرى لا تخفى على القارئ.

الفطر هو عدم الاستعداد حسب فهم الاستعداد في العصر الوسيط، الذي حدد "مهابة السر" في التناول فقط، لا فيما بعد التناول أيضاً، وهو الاتحاد بالرب يسوع، وهو هدف التناول لانطلاق القلب في آفاق الاتحاد بالرب التي لا يقوم الجسد فيها بأي دور؛ لأن الاتحاد هو الاستنارة التي يمنحها الروح القدس للنفس. وربط إفرازات الجسد بالصوم هو تشريع غريب عن عطية الشركة؛ لأن الصوم هو صوم العقل قبل أن يكون صوم الفم والبطن. وفي القرن الرابع وحسب

شهادة القديس باسيليوس في الرسالة (٩٣) كان التناول يومياً في منازل المؤمنين وكان يؤخذ خبز الحياة لكي تشترك الأسرة كلها فيه^(١). ولعلنا نلاحظ أن وجود قراءات يومية في القطماس، لهو دليل تاريخي يؤكد الاحتفال اليومي بالسر المقدس.

خطأ في التدبير:

الجسد لا يستعد بالصوم الجسداني، بل نقاوة القلب وطهارة الفكر توحد الجسد بالروح، ويصبح الجسد مرآة للروح. أمّا الاستحمام وغسل الأسنان، فهي نظافة تحتّمها الحياة، ولا دخل لها بالمرّة في علاقتنا بالله، أي علاقة الشركة؛ لأن هذه الشركة بدأت في المعمودية وفي مسحة الميرون، وصارت كاملةً بالتناول. ووحدة الأسرار الثلاثة هي التي تجعل الاستعداد القلبي هو تحقيق الاتحاد بالرب الذي بدأ في أسرار الانضمام إلى جسده .. أمّا تقوى العصر الوسيط التي اهتمت كثيراً بنظافة الجسد والصوم قبل التناول، فقد أهملت تماماً حياة الشركة، والاتحاد الذي ينال زخم وقوة الخلاص.

(١) انظر ملحق هذا المقال.

ثالثاً

الرسالة إلى آمون

القراءة التاريخية والقراءة الفردية

الذين ينكرون قداسة الجسد، هم الذين يمارسون "القنص"، ويجاولون أن يجدوا في الوثائق القديمة التي تشهد للتعليم الصحيح، فجوةً يتسللون منها للانقضاض على قداسة الجسد، والمثال على ذلك رسالة القديس أثناسيوس إلى آمون أب رهبان نتريا.

أولاً: ماذا تقول الرسالة: "كل الأشياء التي صنعها الله جميلة وطاهرة؛ لأن كلمة الله (الابن) لم يصنع شيئاً عديم النفع أو غير طاهر". هكذا رد القديس أثناسيوس الرسولي طهارة الخليقة إلى الخالق الابن الكلمة، ويؤكد: "لأننا رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون" (٢ كو ٢: ١٥).

ثانياً: ولكن، رغم ذلك يؤكد الرسولي: "إن سهام الشيطان متنوعة وماكرة، وهو يتحایل لإزعاج البسطاء، ويجاول أن يعيق الإخوة عن الممارسات العادية ملقياً فيما بينهم سراً أفكاراً عن النجاسة والدنس.

ثالثاً: يسأل أثناسيوس نفسه ذات السؤال الذي طُرح منذ أكثر من ٤٠ عاماً: "ما هي الخطية أو النجاسة التي توجد في أي إفراز طبيعي؟" والجواب الذي يقدمه الرسولي جواباً شافٍ: "نؤمن - كما تقول الكتب الإلهية - أن الإنسان هو من عمل يدي الله، فكيف يمكن أن يتكون عملٌ دنس من قوة نقية؟ وإذا كنا نحن ذرية الله (أع ١٧: ٢٨) "فليس في أنفسنا شيءٌ نجس. ولكننا حينما نرتكب خطية، وهي أكثر الأشياء قذارةً، فعندئذ فقط، نجلب الدنس. ولكن عندما يحدث أي إفراز جسدي بدون تدخل الإرادة، فإننا نعرف بالخبرة أن هذا يحدث كما في أشياء أخرى بضرورة الطبيعة". ثم يختتم: "ولكن بأكثر اختصار .. من

المعقول أن نقول إن أي إفراز طبيعي لنا لا يقدمنا أمامه للعقاب". وبعد أن يقدم رأي الأطباء يقول: "فباسم الله أسألك أيها الشيخ المحبوب جداً من الله، أي خطية إذن هناك إن كان الرب الذي صنع الجسد أراد، وصنع هذه الأجزاء لتكون لها مثل هذه المسالك"^(١).

الخلفية التاريخية:

ما ذكره الرسولي يكفي، ولكن بسبب القنص وحشر ادعاءات لا تليق بمن هو أمين وصادق، علينا أن نلقي نظرةً موجزةً على كتابات القديس أنثاسيوس نفسه؛ لنرى كيف استطاع أن يقدم هذه الرؤيا المسيحية الأرثوذكسية.

أولاً: التجسد قدّس الجسد الإنساني، وهو ما ورد بوفرة في كتاب تجسد الكلمة^(٢) حيث ذكر الرسولي أن جسد الكلمة جسداً مماثلٌ لطبيعة أجسادنا نحن البشر (تجسد الكلمة ٨: ٤ - ٩: ٢ - ٩: ٤ - ١٠: ٤).

- جسد قابل للموت (٩: ١ - ١٣: ٩ - ٢٠: ٤ - ٣١: ٤).

- فقد كان جسد الله الكلمة جسداً بشرياً (٢٠: ٤).

ولكن الأهم هو: تقديس الجسد (١٧: ٥). وذلك الجسد المقدس هو الذي تنادي به الليتورجيا: "جسد مقدس ودم كريم"، فقد مُسِحَ جسد الرب بالروح القدس عندما اعتمد في الأردن (ضد الأريوسيين ١: ٤٧)، والأهم "والآن قيل إنه تقدس لأنه الآن صار إنساناً (الجسد الذي تقدس هو جسده)، ومنه هو بدأناً نأخذ المسحة والختم، يوحنا قائلاً "أنتم لكم مسحة من القدوس" (ضد الأريوسيين ١: ٤٧). فقد مسح الرب لأن التقديس الذي تم في الرب كإنسان يصل إلينا نحن البشر منه (يسوع المسيح) (ضد الأريوسيين ١: ٤٧). وفي المقالة

(١) راجع النص الكامل، نشره د. وليم سليمان في الدسقولية، ص ٧٥٠-٧٥٤. راجع أيضاً بشكل عام كتابنا: تطور النظرة إلى التظاهرات الجسدية في الطقوس والقوانين الكنسية من العصر الرسولي حتى العصر الحديث، القاهرة ٢٠١٣، وعلى الأخص ص ٣٩ وما بعدها.

(٢) راجع كتابنا: محاضرات في تجسد الكلمة، الجزء الأول، القاهرة ٢٠١٠، ص ٩٠ وما بعدها.

الثانية فقرة ١٠ يقول عن تجسد الكلمة: "لكن كلمة الله تأنس لكي يقُدّس الجسد، ورغم كونه الرب، إلّا أنه أخذ صورة العبد" لقد تقدمت الانسانية.

ثانياً: جاء الرب إلينا متجسداً لكي يحول الجنس البشري من آدم إليه هو. وفي عبارة لا تحتمل القنص يكتب الرسولي: "وُلِدَ الجسد من مريم والدة الإله، ولذلك قيل إنه هو نفسه الذي وُلِدَ مع أنه هو الذي يقُدّم لكل المخلوقات أصل وجودها، ولكن لكي يحول أصلنا Origin إلى ذاته، فلا نعود بعد بشراً من تراب ونعود إلى التراب، بل التصقنا بالكلمة الذي من السماء ولُنَحْمَلْ به إلى السماء .. لأننا لا نموت حسب أصلنا السابق أي آدم" (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣، وراجع نفس الشرح في الرسالة إلى أدلفوس فقرة ٤). فإذا كان الأصل، أي أصل الوجود قد نُقِلَ في المسيح من آدم إلى الرب المتجسد، فكيف نعود بعد ذلك إلى آدم حيث شريعة موسى الخاصة بالخلقة القديمة؟

ويبقى سؤال هام وضعه القانصون: هل ذكر القديس أناسيوس في رسالته إلى آمون التناول أو الدورة الشهرية؟ وحسب النص والقنص، طبعاً لا توجد عبارة واحدة أشار فيها المعلم السكندري إلى ما يجول في عقول القناصة. لكن السؤال الكنسي الذي لا يسمح بالإجابة الشخصية الفردية التي تهدم ما كان يدافع عنه أناسيوس هو:

هل تكلم عن قداسة الجسد؟ وهل قداسة الجسد خاصة بالرب وحده، أم بالرب رأس الجسد وبالأعضاء، أي نحن؟

هل ذكر أن وظائف الأعضاء هي من صنع إله الخير الخالق؟ حتماً؛ لأن تعليم الغنوسية والمناوية وثنائية أفلاطون والثقافة اليونانية السائدة بأن الجسد هو سجن الروح، جعل تأكيد صلاح الخليقة، كعمل الخالق الصالح، وصلاح التكوين الإنساني، أي الجسد، لا يسمح بأن تكون وظائف الأعضاء شريرة أو نجسة.

القنص لا يجدي؛ لأن انتقال أصل الإنسان من آدم إلى المسيح الرب هو "نقله" العهد الجديد التي يجب أن نحرص عليها إن كنا لا نزال مسيحيين.

ملحق

- ١ -

الاستعداد للتناول

رسالة موجزة للأب صفرونيوس

صفرونيوس خادم بشارة الخلاص،

محبةً في ربنا مؤسس المحبة، وسلامٌ في يسوع رب المجد سلامنا الأبدي.

جيدٌ أن نسهر في عشية ونصف الليل وباكراً، والسهر هنا هو حفظ القلب وحراسة الحواس من كل ما هو غريب عن ربنا يسوع. الأعظم -يا أخوة- هو أن يكون لنا حراسةً ونقاوةً بعد شركتنا في الجسد والدم. هذه الشركة التي تجعل جسدنا هو جسد الرب؛ لأننا فعلاً "من عظامه ولحمه"، كما قال الرسول. وبعد التناول علينا أن نترك المائدة في هدوء ونختلي بالمخلص طالبين نار المحبة الإلهية التي لها جذوة حية لا تموت في داخلنا، ولنطلب اشتعال هذه النار لكي نذوق قوة الاتحاد بالرب.

الجسد ليس له كيانٌ خاصٌ مستقلٌ عن الروح، ومن يظن أن جسده له كيان وأهواء ذاتية خاصة بالجسد، فهو من أساء استخدام جسده، وظنَّ أنه كيانٌ آخر يلجأ إليه لطلب الملذات. أمّا من تاب بقوة الروح القدس، فهو من صار جسده عقله، ونفسه المحسوس والمرئي؛ لأن تحديد الإنسان يجعل من الجسد صورةً (حرفياً) أيقونةً للروح. ولذلك بعد شركتنا في السر، علينا ملازمة القلاي والهدوء، وطلب البقاء الدائم في الرب بالاسم الحي الواهب الخلاص، اسم ربنا يسوع الذي عندما نقوله نصل إلى كمال سر الإفخارستيا، أي الشكر الدائم على عطية الحياة

الأبدية، وعلى أننا صرنا متّحدين بالرب. الاستعداد قبل تناول الصلاة والصوم كلَّ حسب احتياجه، يجب أن يقودنا إلى حفظ القلب ليسوع وحده، فهذا هو غاية تناول من جسد الرب ودمه، متوقعين أن ننال فيه قيامةً في يوم مجد ربنا يسوع عندما يأتي لكي يدين الكل.

اذكرونا في صلواتكم عندما تقفون عند مذبح الرب، والشركة في السر الإلهي. أنتم شركاء معنا في ميراث الحياة الأبدية.

.....

(الرسالة غير كاملة وربما ضاعت صفحة)

قام بالترجمة نيافة المتنيح الأنبا مكسيموس مطران القليوبية

رسالة القديس باسيليوس رقم ٩٣ عن تناول

"حسنٌ ونافعٌ أن نتناول كل يوم، وأن نشترك في الجسد المقدس ودم المسيح. فقد قال هو بشكلٍ خاص: "من يأكل جسدي ويشرب دمي له حياةٌ أبدية" (يو ٦ : ٥٤). ومن ذا الذي يشك في أن الاشتراك الدائم في الحياة هو ذاته الحياة الأفضل؟ أنا نفسي أتناول أربع مرات في الأسبوع: في يوم الرب، ويوم الأربعاء، ويوم الاستعداد (الجمعة)، ويوم السبت، وفي الأيام الأخرى في تذكار أيٍّ من القديسين.

ولا تدعونا الحاجة إلى أن نقول إنه في أيام الاضطهاد نفطر إلى أن نتناول بأيدينا بدون وجود قس أو خادم (دياكون)، فهذا ليس خطأً شنيعاً؛ لأن عادةً قديمةً سمحت بهذه الممارسة بسبب ما يحدث.

وكل النساك في البرية، حيث لا يوجد قس، يتناولون ويحفظون تناول في بيوتهم. وفي الإسكندرية، في مصر، كل واحدٍ من الشعب (العلمانيين) في معظم الأماكن (في الإسكندرية) يحفظ تناول في منزله، ويتناول عندما يريد؛ لأنه عندما يكمل القس الذبيحة ويقدمها، فالتناول يشترك فيها دائماً لأنه يؤمن بثبات أنه يأخذ ويتناول من الواهب. وحتى في الكنيسة، عندما يقدم القس نصيب المتناول، فهو يأخذه بإرادته وبيده ويقدمه إلى فمه. هذا (التناول) هو تناول صحيح سواء أكان نصيباً واحداً أو عدة أنصبه أُخذت من القس في ذات الوقت".

قبل أن أعود إلى ذلك الصراع الذي تخطَّى ثوابت الأرثوذكسية؛ لأن الذين دخلوا حلبة الصراع كانوا أقل دراية بالتاريخ والعقيدة، وكانت مرجعيتهم الوحيدة هي العمامة السوداء التي لا تعرف إلا نوايا صاحبها وتطلعاته. أقول، قبل أن أعود إلى هذا الصراع، أطلب تعزيات السماء لكل مَنْ فَقَدَ قريباً أو صديقاً في الحادث، الإرهابي البشع الذي لمس أقدس ما نملك، وهو الصلاة ومباني الكنيسة. وكلاهما، الصلاة هي شركتنا في حياة الثالوث، ومباني الكنيسة هي الدليل الصادق على حرية الإيمان وحرية العبادة.

التاريخ الكنسي الأرثوذكسي:

+ لا يعرف التاريخ الكنسي الأرثوذكسي ما يسمى بعصمة البابوات، ولا حتى عصمة المجامع المسكونية أو المكانية، وإنما يعرف صحة الشهادة لِمَا سُلِّمَ. كان عقد مجمع نيقية ٣٢٥ ضرورياً؛ لأنه أكَّد لنا أن مساواة الابن والآب هي التي تصنع المصير الأبدي للإنسان من حيث تبني الإنسان في أقنومٍ هو مساوي للآب. والمقياس هنا هو ما سُلِّمَ في الحياة الكنسية، أي المعمودية ومسحة الميرون؛ لأن التبني ونوال نعمة الروح القدس، ليس فكرةً، بل هي نعمة الثالوث التي تُعطى لنا في السرائر.

+ وعلى ذلك، فما نراه من تشريعات -مهما كان مصدرها أو تاريخها- يجب أن تُراجع عقائدياً؛ لأن هذه التشريعات خاصة بالممارسة، لا بالإيمان نفسه. لقد حاول التطرف إخفاء فقه العصر الوسيط بدعوى أن إفرازات الجسد (دم الحيض - احتلام الرجال) تنال من مهابة واحترام السر. لكن هؤلاء تعدَّوا على كلامٍ صريحٍ مباشرٍ للرب يسوع نفسه بأن كل ما يخرج من الإنسان من إفرازاتٍ، لا ينجِّس الإنسان، وأن الذي ينجِّس الإنسان هو ما يخرج من القلب. وقد قدَّم

الرب نفسه لائحةً محددةً بالأفعال الشريرة الصادرة عن أفكار الشر التي توجد وتدنس الإنسان، وهي ما يجب أن تُعالج روحياً، وأن نسلط عليها الضوء، وليس الإفرازات الجسدية؛ لأن العداوة والحسد وفكر القتل والزنى، هذه أمورٌ أخطر بكثير من إفرازات الجسد. وثمة أمر آخر هام، ليس فقط ما يحاول هؤلاء التستر عليه تحت اسم "احترام السرائر"، هو أن إفرازات الجسد قانون طبيعي لا يمكن التحكم فيه، ولا يخضع للإرادة، وأن إفرازات الجسد تحدث بعد التناول أيضاً، فهل يمكن لهذه الإفرازات أن تلغي مفاعيل السر؟ بالطبع، سوف يمنع الخجل هؤلاء من الإجابة بنعم، ولكن ما لا يجب أن نتركه هنا تحت رحمة التشريع -مهما كان مصدره- هو: قداسة الإنسان جسداً وروحاً، وهي قداسةٌ تعطى من الثالوث، لا من الإرادة الإنسانية التي يقتصر عملها على القبول فقط؛ لأن التقديس هو عمل روح القداسة، روح يسوع، وأن هذه الهبة هي هبة أبدية لا يمكن أن تزول إذا مارس الجسد وظائفه البيولوجية.

تميز الصحيح في تراثنا القانوني:

+ كلُّ قانونٍ لا يعبر عن الإيمان هو تشريعٌ بشرٍ قابلٌ للنقض، مثل تحريم زواج القس بعد وفاة زوجته؛ لأن شريعة الزوجة الواحدة ليست خاصة بالأرامل، ولا توجد علاقة بين سر الكهنوت وسر الزيجة، بحيث أن من نال الأول يُمنع من الثاني؛ لأن الزيجة من الله حسب سفر التكوين، وهي مؤكدة بقول الرب نفسه، وإذا انحلت بموت طرفٍ، فالطرفُ الحي لا يُمنع من الزواج، مهما كانت التشريعات، ومهما كان مصدرها.

+ كلُّ قانونٍ لا يعترف بقداسة الجسد والروح، هو بمثابة عودةٍ إلى مدارس الغنوسية، وتعليم ماني جاحد نعمة الحياة الإنسانية الجسدانية.

+ كلُّ قانونٍ لا يرى أن المرأة عضوٌ في جسد المسيح الكنيسة، ويبعد مكانة المرأة في المسيح إلى الخلقة الأولى القديمة، هو قانونٌ ضد الكنيسة جسد المسيح،

لأن كرامة أي عضو هي كرامة كل الأعضاء؛ لأن الأعضاء متساوية في الكرامة.

+ كلُّ قانونٍ يتمسك بما هو كائنٌ في الخليقة الأولى التي جُدِّدت في ربنا يسوع المسيح، وصارت خليقةً جديدةً، هو قانونٌ يهدم تدبير الرب نفسه. وبالتالي فإن إلغاء أو تجاوز هذا القانون، هو أمرٌ ضروري لمن شاء أن يحيا حسب الإيمان، وليس حسب الشريعة.

نكتة "التأصيل الآبائي"

في تعليم قداسة الأنبا شنودة الثالث^(١)

"وَكَمْ ذَا يَحْصِرُ مِنَ الْمُضْجِكاتِ، وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكا.."

لم أجد أبلغ من هذا البيت بالذات الذى نظمه المتنبى قبل أكثر من ألف عام، للتدليل على ما يحدث من بعض أساقفة مجمع كنيسة القبطية الذين يصرون على إثارة البلبلة وتصفية الحسابات وإثارة الانقسام والفرقة. هكذا يجب أن نقرأ ذلك الإعلان المريب الصادر عن لجنة العقيدة القبطية الأرثوذكسية بأسقفية الشباب عن لقاء بعنوان: موضوعات عقائدية معاصرة Dogma 4 بالمركز الثقافي القبطي بالأنبا رويس بالعباسية ١٨ مارس ٢٠١٧. لأنك حين تستعرض موضوعات هذا اللقاء، وتجد نفسك أمام موضوع عنوانه: التأصيل الآبائي في تعليم قداسة البابا شنودة الثالث، عندئذ لا تملك نفسك من الدهشة والاستغراب! هل يمكن حقاً تأصيل كتابات البطريك الذي كتب كتاب "تأملات في أسبوع الآلام"، وكتاب "بدع حديثة"، تأصيلاً آباءياً؟

[والغريب المريب حقاً هو أن قداسة الأنبا شنودة الثالث لم يؤصّل ما كتبه من الآباء، ولم يدّع يوماً أن ما يكتبه أو يقوله له مرجعية آباءية، فلماذا يتحمل البعض منا عناء هذه المسؤولية الضخمة أمام التاريخ وأمام نصوص الآباء؟!!!]

وعندما نجىء بعد ذلك للمؤصّلين، الآباء الأجلاء الأساقفة، وعلى رأس هؤلاء الأنبا موسى، نجد أنهم يفتقرون إلى الحد الأدنى من العلم اللاهوتي، فلم يدرس أحدهم التاريخ الكنسي ولا اللاهوت ولا حتى الكتاب المقدس بعهديه، وما نشره يشهد بذلك، فمن أين سيجيئون بالنصوص المرجعية لتعليم قداسة الأنبا شنودة؟!

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٢ مارس ٢٠١٧.

هل يمكن تأصيل نظرية الأجساد الثلاثة؟

لكن دعونا نتحاور في مسألة التأصيل الآبائي هذه: هل ذكر الآباء شرقاً وغرباً أن للرب يسوع ثلاثة أجساد: واحداً من العذراء، وثنان في الإفخارستيا، وثالث هو الكنيسة^(١)؟ سؤال اعترض عليه عدد قليل من أساقفتنا الأرثوذكسيين، ولزم الصمت عنه عدد آخر بما فيهم سكرتير المجمع المقدس الأنبا بيشوي، وربما سوف يلزم الصمت عنه أيضاً السكرتير الحالي للمجمع المقدس، الأنبا روفائيل كما فعل الأنبا بيشوي، وإن كان كلاهما مع الأنبا موسى يدافعون حتى الموت عن تعليم غربي عصر أوسطي، هو البدلية العقابية، ولم يشعر أيهما بالخجل من نفسه وهو ينسب هذا للقديس أثناسيوس، الذي لم يستخدم بالمرّة كلمة "بديل"، وكلمة "عقاب". وأما كلمة "نيابة عن" كما وردت في الترجمة العربية وحدها، فلا مكان لها في "تجسد الكلمة" بما يعني "البديل"، بل لعجز الإنسان عن فداء نفسه، ولذلك فالترجمة الأصح هي كلمة "الأجل".

هل يمكن تأصيل نظرية البديل العقابي، واحتراق الابن في نار العدل الإلهي؟

أما "البديل العقابي"^(٢)، فهو تعليم أنسلم الذي يفصل بينه وبين القديس أثناسيوس ما يزيد على ٦٠٠ سنة.

دعونا نتساءل: هل يمكن تأصيل ما ورد عن احتراق الابن رب المجد في يوم الجمعة وتحول رب المجد إلى رماد؟^(٣) وهو تعليم الأنبا شنودة الثالث، وهو تحديف

(١) راجع في ذلك كتاب سنوات مع أسئلة الناس.

(٢) راجع كتاب الأنبا شنودة الثالث: تأملات في أسبوع الآلام، خمس كتب، حيث يقول: "وقف أمام الناس كخاطئ، وأمام الآب كخاطئ .. وأمام الآب وقف نائباً عن البشرية الخاطئة، يحمل خطاياها كلها ليقدم ثمنها للعدل الإلهي، وبهذا يرضي الآب".

(٣) المرجع السابق، حيث يقول: "في يوم الجمعة، كان الله الآب قد أعد مذبح المحرقة على جبل الجلجثة .. وتقدم السيد المسيح وهو يحمل حطب المحرقة ... تقدم السيد المسيح وصعد على مذبح المحرقة من ذاته واتقدت فيه النار. وأتت نيران كثيرة، أحاطت به نيران من أفطار قريبة وبعيدة. ونيران من أجيال عديدة كلها كانت تخص خطايا الناس في كل مكان، وعلى مدى الأزمان. إنما نار العدل الإلهي الواقع على كل هذه الخطايا. وظلت النار تنقد، ثلاث ساعات كاملة. من الساعة السادسة حتى التاسعة. كانت النار تلتهم هذه المحرقة الإلهية وصعد دخانها إلى فوق. وتنسم الآب رائحة الرضا، ولم يرفع يده عن المحرقة، كما حدث مع اسحق. لذلك صرخت المحرقة "إلهي إلهي لماذا تركني". إنه -تبارك اسمه- لم يترك محرقة ابنه الوحيد لحظة واحدة ولا طرفة عين. إنما ترك نار العدل الإلهي تنقد فيها حتى النهاية لإرضاء الآب ومصالحته عن كل خطية. وعن كل أثم وكل سهو لكل أحد، في كل مكان، في كل الأزمان. وقيل أن

على رب المجد الذي "يجل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢ : ٩).

هل يمكن تأصيل أن ما سُلّم في العلية كان رمزاً؟

وهل يمكن تأصيل ما ورد عند الأنبا شنودة عن أن العشاء الرباني كان رمزاً لما سوف يحدث يوم الصليبوت^(١)؟

الغريب حقاً هو وجود نيافة الأنبا أغاثون، ضمن الآباء الأجلاء الذين سوف يقومون بعملية التأصيل المدعاة، وهنا نوجّه له سؤالاً باعتباره إكليريكياً قديماً: هل ستحاكم أستاذنا د. وهيب عطا الله، الأنبا غريغوريوس صاحب بطاقة معاييدة عيد الميلاد والتي كتب فيها: قال الآباء: الله صار إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً، أم أنك سوف تحاكم أثاناسيوس نفسه صاحب هذه العبارة في تجسد الكلمة (فصل ٥٤ : ٣)؟

وعندما يُذكر في الإعلان عن هذا اللقاء بأنه يتم تحت رعاية قداسة البابا تواضروس الثاني، عندئذٍ يكون المطلوب هو أن يصبح قداسة البابا الجسر الذي

تتحول المحرقة إلى رماد، قالت للآب: قد أكمل .. وإذ استودعت روح السيد المسيح في يدي الآب، أخذ الآب رماد المحرقة - حسب الناموس - ووضعه في مكان طاهر في الفردوس أولاً ثم عن يمين الآب. وفي نفس الوقت. وعلى نفس الجبل، جبل الجلجثة قدم السيد المسيح ذاته كذبيحة خطية. ليحمل خطايا العالم كله سواء الخطايا المعاصرة لوقت الصلب، أو خطايا الماضي منذ آدم، أو خطايا المستقبل حتى آخر الدهور لكل من يؤمن به ويتوب ... لهذا، فإن كل الراقدين على رجاء في الجحيم، ملؤا أيديهم ووضعوها على رأس هذه الذبيحة، لتتوب عنهم، وقد قبلوها ذبيحة عن خطاياهم. وكل الذين آمنوا بالسيد المسيح في جميع الأجيال، يضعون أيديهم أيضاً على هذه الذبيحة لتتوب عنهم وهم يقبلونه لفدائهم. - ودم ذبيحة الخطية هذه، رُش مستديراً حول الكرة الأرضية. وعندئذ حدث أن الملاك الذي كان يحرس الطريق إلى شجرة الحياة بسيف من نار .. هذا الملاك رأى الدم نازفاً من ذبيحة الخطية، ليمحو كل خطية، فقال "عندما أرى الدم أعبر عنكم". - "إن عبارة "تركنتي" تعني أن آلام الصليب كانت آلاماً حقيقية، وآلام الغضب الإلهي كانت مبرحة .. في هذا الترك تركزت كل آلام الصليب. وكل آلام الفداء .. هنا يقف المسيح كذبيحة محرقة، وكذبيحة إثم تشتعل فيه النار الإلهية حتى تتحول الذبيحة إلى رماد، وتوفي عدل الله كاملاً". - "وبهذا أعلن أن الطَّرَق أخذ سبيله إلى الحديد المحمى بالنار، أو أعلن أن النار بدأت تلتهم ذبيحة المحرقة .. أو أعلن أن العدل يتقاضى أجره .. فكان للملاك، تنسم منه الآب رائحة الرضى". - "وكما كمل عارة كملت آلامه بالجسد، وكمل الغضب الواقع عليه دفع الثمن كله، وقدم نفسه فدية، وظلت النار تشتعل في ذبيحة المحرقة حتى حولتها إلى رماد ولما رأى الرب أنه أكمل عمل الكفارة والفداء، وانه أعطى العدل الإلهي كل ما يطلب ولم يعد له شيء بعد، صاح في نصرة قائلاً: "قد أكمل".

(١) المرجع السابق، حيث يقول: "نلاحظ هنا أنه قال دمي الذي يسفك وليس الذي سفك. وكذلك قال جسدي الذي يُبذل وليس الذي يُبذل ... ذلك لأن دمه قد سُفك يوم الجمعة، وجسده قد بُذل يوم الجمعة، اليوم الذي تم فيه الخلاص ... إن حديثه يوم الخميس، كان عن الخلاص الذي سيتم يوم الجمعة. والفصح الذي احتفل به يوم الخميس، كان رمزاً للفصح الحقيقي الذي للعهد الجديد الذي يُذبح عنا يوم الجمعة. وكأن الرب أراد أن يقول: إن هذا الفصح الذي تأكلونه اليوم يرمز إلى جسدي الذي يُبذل عنكم غداً، وإلى دمي الذي يسفك عنكم غداً. هذين اللذين أقدمهما لكم على صورة الخبز والخمر. وعلى هذه الصورة ستصنعون هذا السر للذكرى."

من تحته تمر الحرب على مركز الآباء - دير الأنبا مقار - مدرسة الإسكندرية -
باناريون - موقع الدراسات القبطية، وكل الذين يحاولون العودة إلى الآباء.

وإذا كانت الدهشة كبيرة لأسباب وظروف انعقاد هذا اللقاء والموضوعات
المطروحة فيه، فالدهشة أكبر من الأنبا روفائيل الذي ألقى محاضرة بعنوان "البديل
العقابي عند أناسيوس ولماذا تحسد الله"، دافع فيها عن الباطل -سوف نتناولها بالرد
قريباً- في الوقت الذي كنا نرجو منه أن يعود إلى ما في قلبه من جذور تقوى، ولكن
يبدو أنه لم يصمد أمام الإغراء. عموماً كان الله في عونك.

وأرجو مخلصاً ألا ينساق قداسة البابا المثقل بقضايا أهم من هذه الألاعيب
الحزبية لكي يُستقطَب ويدخل معركة التأصيل الخاسرة هذه.

أرجوكم اغلقوا كل الملفات القديمة. لقد حرصنا على أم الشهداء، وعلى دم
وحياة أبناء وبنات الكنيسة، ولم يعد لدينا رغبة في أن ندخل الملعب معكم، ولكن
إذا سارت الأمور كما كانت، فلا سلام لكم.

البديلة العقابية

آخر معقل للأريوسية والنسطورية^(١)

تقديم

اتحفنا نيافة الأنبا روفائيل سكرتير المجمع المقدس بمحاضرة في مهرجان الكرازة المرقسية الرابع عشر ٢٠١٧ بعنوان "البديلة العقابية في فكر القديس أثناسيوس"، شَرَحَ فيها سر الفداء من خلال مَثَل أن ولدًا دخل بَعَجَلَةٍ في محل فانكسر الزجاج، وأُصِيب الولد، فأصبح لدينا مشكلتان: تعويض صاحب المحل، ومعالجة هذا الولد. وذكر فيها أن اللاهوت السكندري جمع بين الجانب القضائي (إن الله جاء لكي يسدد الديون) السائد في الغرب اللاتيني، واللاهوت الشرقي الذي يمثله الآباء الجريك (اليونانيون)، والذي رَكَّز على الشفاء، وأن القديس أثناسيوس الرسولي قال بالاثنتين: يوفي الدين ويشفي الطبيعة البشرية، وأن أثناسيوس قال إن هناك ديناً سيُدفع إلخ

وأول ما يثيره هذا الكلام هو الأساس الذي بناءً عليه عزل نيافته، اللاهوت السكندري عن اللاهوت الشرقي؛ لأنه إذا كان اللاهوت السكندري هو أحد منابع اللاهوت الشرقي، فكيف يمكن التمييز بينهما على أهما مختلفان؟

ثانياً: الادعاء بأن اللاهوت الشرقي (السكندري) جمع بين الجانب القضائي والجانب الشفائي هو ادعاء غير صحيح، ويفتقر إلى الدليل. لأنه إذا كان اللاهوت الشرقي لا يعرف هذا النظر، وأن أياً من الآباء الشرقيين لم يتبنى الجانب القضائي في شرحه للخلاص، فلا شك أن هذا الادعاء يحمل في طياته اتهاماً زائفاً للاهوت الشرقي بالنقص، وهو ما يعني أن اللاهوت الشرقي كان عليه أن ينتظر

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١١ يونيو ٢٠١٧.

العصر الوسيط حتى يكتمل شرحه لسر الفداء، وأن التعليم السائد شرقاً كان ناقصاً، وأن اللاهوت الغربي هو من أكمل هذا النقص! وهذا كله محل نظر؛ لأن هذا الاتهام لا يطال فقط الآباء، وإنما الليتورجية أيضاً؛ لأنه إذا افتقدت الصلوات الليتورجية إلى تعبيرات مثل الدين والشراء والتعويض ... إلخ وهي المفردات المستخدمة في شرح الجانب القضائي، فإن صحة التعليم المسيحي كله تصبح على المحك، وهو أمر في غاية الخطورة لا يمكن أن يبرره حسن النية أو نقص المعلومات، وعلى ذلك، فعلى نيافته مراجعة موقفه وإعادة دراسة الموضوع دراسة مجردة دون أفكارٍ مسبقة.

وفي الحقيقة نحن نستغرب هذا الإصرار على تعليم لا يستند على التسليم الرسولي، وإنما هو نتاج بيئة الثقافة الإقطاعية في العصر الوسيط الأوربي.

ومن ناحية أخرى، هذا الكلام محل نظر تاريخياً؛ لأن مصطلح "البديلة العقابية" هو مصطلح غربي أساساً مثله مثل مصطلح "الخطية الأصلية"، ولم يكن معروفاً لدى القديس أنثاسيوس، أو لدى الآباء الشرقيين على الإطلاق، وبالتالي فإن الكلام على بديلة عقابية عند القديس أنثاسيوس هو مجرد ادعاء لا يسنده لا التاريخ ولا التسليم الرسولي للاهوت الإسكندرية، ولا الوثائق، ويصبح هذا الكلام من قبيل دس ما لا يعرفه أنثاسيوس عليه لمجرد أن هناك تشابهاً في بعض الكلمات يسمح لطرفٍ أن يُسقط فكره المسبق على شرح أنثاسيوس لتدبير الخلاص، فيتخيل ما لم يكن يعرفه أنثاسيوس أصلاً، في الوقت الذي تتطلب فيه دراسة تجسد الكلمة تجريد الذهن من أية أفكار مسبقة حتى لا نصل إلى النتيجة التي وصل إليها نيافة الأنبا روفائيل فاعتقد خطأً أن أنثاسيوس جمع بين النظريتين وأنه صالح اللاهوت الغربي على اللاهوت الشرقي في الوقت الذي لم يكن فيه الشرق أيام أنثاسيوس يعرف ما نشأ في الغرب بعده بعدة قرون.

وأنه وإن كان القديس أنثاسيوس قد ذكر كلمة "الدين"، وإن كان الكتاب المقدس قد تكلم عن إننا اشترينا بثمان، فإن هذا لا يسمح بالقول بأنه يمكن

مصالحة الشرق على الغرب لمجرد استخدام ذات الكلمات، وإلا كان ذلك تلفيقاً من التلفيق، وتقديم نموذج من الخفة في تناول الأمور لا تعرفه رصانة العلم، وهو أمرٌ في غاية الخطورة أيضاً.

والأمر لدينا أن ندع أثناسيوس وحده يتكلم دون أن نقحم عليه ما هو بريء منه ولا يعرفه.

الحقائق الإيمانية التي لا خلاف عليها:

هناك من الحقائق الإيمانية التي لا خلاف عليها، ما يحكم وجهة النظر إلى الموضوع، بحيث أن الرجوع لهذه الحقائق، يستوجب مراجعة ما يقال في هذا الخصوص. من هذه الحقائق نكتفي بحقيقتين:

أولاً: الابن له المجد من ذات جوهر الآب، ولم يفقد ألوهيته عندما تجسد، بل -بدون جدال- يقبل الكل أن "فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢: ٩)، وهو أعظم ما يُقال عن ألوهية الرب يسوع، بل يعادل هذا النص كلمات الإنجيل: "الكلمة صار جسداً" (يوحنا ١: ١٤)؛ لأنها تؤكد ملء ألوهية الابن الكلمة.

ثانياً: الابن له المجد هو خالق مع الآب، وهو ما تؤكد افتتاحية إنجيل يوحنا والإصحاحات الأولى من كولوسي والعبرانيين. هو خالق الإنسان والكون وكل ما فيه، وهو ما نعترف به في قانون الإيمان، وفي صلوات القداسات الأرثوذكسية: "هذا الذي خلقت الكل به..." (القداس الباسيلي)، فإذا اكتفينا بالحقيقة الأولى والثانية التي لا خلاف ولا جدال حولهما؛ أصبح من الضروري مراجعة ما نقول عن التجسد والصلب:

المراجعة الأولى: إن من هو مساو للآب لا يمكن أن يكون ثمناً يُقدّم للآب؛ لأن الاعتداء الموجه لله، حسب الادعاء السائد بأن الخطية كانت اعتداءً على كرامة ومجد الله... الخ، هو اعتداءً موجهٌ ضد الآب والابن والروح القدس، وليس ضد

الآب وحده. وهو ما فشل في إدراكه تماماً، أنسلم رئيس أساقفة كانتربري، وغيره من قيادات العصر الوسيط، إضافةً إلى واضع ميمر العبد المملوك في حوارهِ عن العدل والرحمة. وهو فشلٌ في إدراك عمل الثالوث الواحد في تدبير الخلاص.

ولا شك أن مسؤولية الوقوف أمام جهل المدافعين عن العصر الوسيط عندنا، تقع علينا نحن الذين درسنا تاريخ عقائد المسيحية، وها نحن نحاول الحوار مع الذين تحصنوا في مواقع العصر الوسيط لأسباب شخصية بحتة لا علاقة لها بالتاريخ أو الإيمان، وهم يدافعون بكل أساليب الكذب والمراوغة كأن الإيمان هو أشخاصهم.

١ - فإذا كانت الخطية هي اعتداءً على الابن كما هي اعتداءً على الآب والروح القدس، فلماذا يقصر تلاميذ العصر الوسيط -الاعتداء- على الآب فقط، ويطلبون من الابن تقديم الترضية؟ فإذا كان الجواب هو: لأن الابن تجسّد، فهذا أسوأ ما يمكن أن يُقال؛ لأن التجسد لم يكن من أجل رد كرامة الله، ولا من أجل دفع دينٍ كما يصرخ البعض في انفعالٍ شديد، بل كان تجسده، ولا زال هو استعلان محبة الله للبشر، وهو الذي جعل صلواتنا تصف الله والابن بالذات، بأنه "مُحب البشر"، وهكذا تم وضع محبة الله في قفص الدفاع عن الله، لا في حركة التدبير لخلاص الإنسان.

٢ - وإذا كانت الخطية أو سقطة آدم هي دين، فهي دينٌ للابن والروح، وليست ديناً لله الآب وحده؛ لأن كل أعمال الثالوث هي عمل الله الواحد المثلث الأقانيم.

المراجعة الثانية: "الدين" كلمةٌ وردت فعلاً في تجسد الكلمة للقديس أنثاسيوس: "الدين المطالب به الجميع، أو المستحق على الجميع" (٢٠: ٢)، ولكن قصص وخطف النصوص لا يبيّن الإيمان. لأن "الدين" لا يمكن أن يكون هو دين الإنسان لله؛ لأن الدين كما ورد في (الفصل ٩: ٢)، وفي عبارة لا تحتمل الجدل، وتعلو على كل احتمالات التشبّه بصبي كسر زجاج محلٍ مثلاً، فأصبح عليه غرامة؛ لأن الذي كُسِر لم يكن زجاج المحل، بل كيان الإنسان الذي استُعبد

للموت، وبحكمٍ صادرٍ من الثالث وليس من الآب وحده. يقول القديس أثناسيوس: "ولأن كلمة الله هو فوق الجميع، فقد كان لاثقاً أن يقدم هيكله الخاص وأداته الإنسانية فديةً عن / من أجل حياة الجميع، موفياً دين الجميع بموته". ولم يقف أثناسيوس عند هذه العبارة، بل أكمل الشرح: "وهكذا باتخاذ جسدًا مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد ألْبَسَ الجميع عدم الفساد بوعده القيامة من الأموات، ولم يعد بعد الفساد الفعلي بالموت له سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة جسده" (٩: ٢). ولكي تكون كل الأمور واضحة، يجب أن نسأل أثناسيوس نفسه: ماذا يقصد بكلمة دين؟

١ - يؤكد أثناسيوس أنه "طالما نتحدث عن مشورة الله الصالحة نحونا، فيجب علينا أن نشرح المعنى الواحد بطرقٍ عديدة، حتى لا يبدو كأننا تركنا أي شيء بدون تفسير" (٢٠: ٣)، ولذلك نجد حين ذكر "الدين" في فصل ٩، يقدم مثلاً عن ملكٍ عظيم دخل مدينةً وسكن فيها، فلا يجرؤ عدوُّ أو عصابةٌ أن تدخل إليها .. لأنه قد جاء وسكن في جسدٍ مماثل لأجسادنا، فقد بطلت منذ ذلك الحين كل مؤامرة العدو ضد البشر" (٩: ٣ - ٤). وهنا نلفت النظر بشدة إلى نتيجة هذه السكني: "وأبطل فساد الموت الذي كان سائداً عليهم من قبل" (٩: ٤). وبالطبع فقد أبطل الرب الموت كحكمٍ نهائيٍّ؛ لأنه وضع حداً للموت بالقيامة.

٢ - ما معنى عبارة: "موفياً دين الجميع بموته" (٩: ٢)؟ يعود أثناسيوس لذات الموضوع في الفصل ٢٠ فيقول: "لكي يتم تم وفاء الدين المستحق على الجميع .. قدّم ذبيحته عن الجميع، فأسلم هيكله للموت عن الجميع. أولاً: لكي يبررهم ويحررهم من المعصية الأولى (وليس الخطية الأصلية حسب تزوير الأنبا بيشوي) وثانياً: لكي يثبت أنه أقوى من الموت مظهراً أن جسده الخاص به عديم الفساد" (٢٠: ٢). هكذا يقودنا أثناسيوس إلى موضوع الموت. وهذه هي عبارات أثناسيوس نفسه: "من غير الممكن أن يموت الكلمة لأنه غير مائت لأنه هو ابن الآب غير المائت (مساوي للآب) (٩: ١)؛ لذلك "اتخذ لنفسه جسداً

قابلاً للموت حتى أنه عندما اتحد هذا الجسد بالكلمة الذي هو فوق الجميع، يصبح جديراً ليس فقط أن يموت عن الجميع، بل ويبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به" (٩: ١). وهنا بالذات، نجد أن اتحاد الألوهة بالناسوت هو الذي حفظ الناسوت بلا فساد لكي يمنح الرب عدم الفساد لنا (٩: ١). ولذلك لا يوجد هنا مجال لتقدم تعليم العصر الوسيط عن (الناسوت) المحدود، و(اللاهوت) غير المحدود؛ لأن هذا التقسيم ليس فقط تقسيماً متعسفاً، بل هو نسيان لحقيقة هامة هي أن المقصود باتحاد اللاهوت بالناسوت هو مقدمة حياة تبيد الموت، بسبب عجز الموت عن أن يبيد حياة الناسوت نفسه لأن سلطان الموت قد استنفد في جسد الرب فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر" (٨: ٤). ولذلك، فإن موت الرب لم يكن موته هو نفسه، أي موتاً عن خطية (٢٢: ٣)، ولكن لكي يُبطل عن البشر ناموس الموت والفناء، ولذلك "رَفَعَ حكم الموت" (٩: ١)، بل أباد الموت (١٣: ٩ - ٢٠: ٦). ولم يترك أثناسيوس المجال للخيال، فيؤكد "أباد الموت بنعمة القيامة" (٢١: ٢) وهي النعمة التي أحيا بها "الجسد المائت" (١٧: ٧)، بل لذلك "أمات الرب الموت" (٣٠: ٢).

هذه الصورة ليست صورة مَنْ يدفع الدين، بل مَنْ ينتصر. ولذلك، فإن مصطلح "البديلة العقابية"، يحمل قدراً من التعسف يوحي بأن الابن فَقَدَ ألوهيته وسقط تحت حكم الموت الذي أصدره هو مع الآب والروح، ولما فَقَدَ ألوهيته، صار ثمناً يُدفع!!!

المراجعة الثالثة: لو كان القديس أثناسيوس قد استخدم الكلمتين: "البديل - العقاب"، لكان أمر التعامل مع ما يمكن أن يُشتق منهما، هيئاً، ولكن يجب أن نضع أمام أعيننا الملاحظات الآتية:

١ - الفرق الكبير بين "عنا" أو "لأجلنا" كما وردت عند أثناسيوس، وبين "بديلاً لنا" ظاهر لمن يدرس تجسد الكلمة بأمانة، لا لكي يبحث عن سطر هنا أو كلمة هناك لكي يؤكد فكرته هو:

يكتب أناسيوس إن الرب بذل جسده عن الجميع "لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت" (٨ : ٤)، فكيف مات الجميع فيه، وهو بديلٌ أو حتى عوضاً عنا؟ إن عبارة "إذ مات الجميع فيه"، تعني أنه لا بدلية ولا عقاب، بل - كما يشرح أناسيوس نفسه: "باتخاذ جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم فإن ابن الله علم الفساد ألْبَسَ الجميع عدم الفساد بوعده القيامة من الأموات" (٩ : ٢). فقد كان للرب وحدةٌ أو اتحادٌ بنا، وهو الناسوت الذي مات الجميع فيه. ويؤكد أناسيوس شرحه بعبارة مشهورة للرسول بولس: "إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذن ماتوا. وهو مات لأجل الجميع لكي لا نعيش فيما بعد لأنفسنا بل للذي مات لأجلنا وقام" (٢ كو ٥ : ١٤-١٥).

٢- كانت إبادة الموت تتم في جسد الرب نفسه، ذات الجسد الذي أخذه من القديسة مريم، وهو ما يؤكد أناسيوس نفسه. وهذا ليس مجرد استنتاج ونفي لرأي آخر، بل هذه هي كلمات المعلم نفسه: "بذبيحة جسده الذاتي (الخاص به) وضع نهايةً لشريعة الموت الذي كان قائماً ضدنا ... ولهذا فبسبب تأنس كلمة الله، فقد حدثت إبادةٌ للموت وتمت قيامة الحياة" (١٠ : ٥). ويقول أيضاً: "كان من اللائق أن يأخذ جسداً قابلاً للموت حتى يمكن أن يُبىد الموت فيه" (١٣ : ٩). وفي عبارة لا تقبل التأويل، وهو بصدد صراعه مع الأريوسية، وتأكيد كيف صار الابن له المجد البكر، يكتب: "هو أخونا بسبب مشابهة الجسد ولذلك يُدعى بكرنا - ودعي كذلك لأن كل البشر هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان هو أول ما تم تخليصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه. وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده، قد خلصنا على مثال جسده" (ضد الأريوسيين ٢ : ٦١). لقد تم تحرير الإنسان من الموت بموت الرب؛ لأن الموت - كما يذكر أناسيوس - لم يكن خارج الجسد، بل في الجسد، ولذلك أُبىد الموت فيه (في الجسد) بقوة المخلص" (تجسد الكلمة ٢٦ : ٦).

والصلب قوة، قوة حياة الكلمة، ولذلك السبب يكتب أناسيوس: "إن كلمة الله محب البشر لبسَ الجسد المخلوق بإرادة الآب لكي يحيي بدم نفسه هذا الجسد

الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه" (ضد الأريوسيين ٢: ٦٥). لقد تم الفداء في تحرير جسد الرب نفسه بواسطة دمه، والحياة التي صارت لهذا الجسد، برهنت عليها القيامة، وقبل ذلك عدم فساد ناسوت الرب؛ لأن جسده لم يرَ فساداً حسب شهادة القديس بطرس في يوم العنصرة (أع ٢: ٢٧).

وإذا كنا قد متنا في آدم، وهو موت الجميع حتى الذين لم يرثوا خطية آدم (رو ٥: ١٤) بسبب وحدة الجنس البشري، فقد مُتْنَا فيه أيضاً، أي في الابن المتجسد بسبب هذه الوحدة عينها، وهو ما جعل وحدة الجنس البشري في آدم يقابلها وحدة الجنس البشري في المسيح: "كما في آدم يموت الجميع"، وهو اختبار كل إنسان، ولكن في التدبير، وحسب كلمات الرسول: "سيُحيا الجميع" (١ كو ١٥: ٢٢) والمقارنة ظاهرة:

– الموت بإنسان

– بإنسانٍ قيامة الأموات (١ كو ١٥: ٢١).

المراجعة الرابعة: إن ما يُقدِّمه أصحاب البدلية العقابية من أمثلة يزعج الضمير حقاً؛ لأنها تنزع السرائر من تدبير الخلاص، ليس المعمودية وحدها، بل الإفخارستيا أيضاً. فلا شك أن البدلية العقابية تُدَمِّر "سر المعمودية"؛ لأنه كيف تكون المعمودية موتاً مع المسيح إذا كان المسيح الربُّ بديلاً يُعاقَب؟ إن كلمات (رو ٦: ١-١٤) تصرخ منذ العصر الرسولي، تحتج بقوة: "كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمد لموته" (رو ٦: ٢)، إذا كان الأمر هكذا، فكيف أعتمدُ أنا بموتٍ بديلٍ؟ أين الانسجام والمنطق؟ لقد غاب في سخونة الدفاع عن النفس! إن كان المسيح قد مات بديلاً عني، فلماذا أموت معه؟ ألم يقل بولس: "صرنا متَّحدين معه بشبه موته" (رو ٦: ٥)؟ ولا يجب أن نعثر في كلمة "شبه موته"؛ لأنها تعني أننا لم نُصَلَّب بمسامير على صلبان، ولم نذهب إلى الجلجثة، بل صُلبنا ودُفنا معه في مياه المعمودية: "دُفنا معه في المعمودية للموت" (رو ٦: ٤). ولا يقف الأمر عند الموت والدفن، "بل كما أُقيم المسيح من الأموات، هكذا نسلك نحن أيضاً

في الحياة الجديدة جداً" (رو ٦ : ٤)، فأين البديل إذن، وأين العقاب؟

كيف يمكن للرسول أن يقول بعد صلب الرب على الجلجثة "إن إنساننا العتيق قد صُلب معه" (رو ٦ : ٥)؟ وكلمة "معه" ليست كلمة شاذة، لأن القديس بولس يستخدمها في كثير من النصوص، حيث يقول: "مع المسيح صُلبت" (غلا ٢ : ٢٠). وأيضاً يقول: "إذا كنتم قد متم مع المسيح" (كو ٢ : ٢٠). وكلمة "معه" تجعل المسيح فينا: "المسيح فيكم رجاء المجد" (كو ٢ : ٢١).

كيف يجوز لمسيحي أن ينطق باسمٍ غريبٍ عن الكتاب المقدس وعن الآباء وعن صلوات الليتورجيا: "البديلة العقابية"؟ وكيف نصالح هذا مع ما يقوله الرسول لنا: "وإذا كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف أجسادكم معه أحياءكم معه" (كو ٢ : ١٣)؟ فقد جاز فينا حكم الموت، ليس لأنه بديل، بل لأن الرب قَبِلَ لأجلنا الموت لكي يتحول هذا الموت إلى فداء، لا إلى دفع ثمن، بل كما يكتب أثناسيوس المتهَم بأنه إنجيلي: "كان من الضروري أن يتخذ كلمة الله جسداً ويستخدم أداة بشرته لكي يحيي الجسد" (تجسد الكلمة ٤٥ : ١).

كما يقول: "لهذا السبب كان من الصواب أن يلبس المخلص جسداً لكي إذا اتحد الجسد بالحياة لا يعود يبقى في الموت كماتت (وهو ما تقتضيه فكرة البديل العقابي)، بل إذ قد لبس عدم الموت فإنه يقوم ثانية، ويظل غير مائت فيما بعد (وهو ما يتعارض تماماً مع فكرة البديل العقابي) .. لذلك لَيْسَ الكلمةُ جسداً لكي يلاقي الموت في الجسد ويبيده .." (تجسد الكلمة ٤٤ : ٦).

كما يقول: "كان الموت في الجسد وليس خارج الجسد ... وصار داخل نسيج الجسد" (٤٤ : ٥)، ولذلك لبس الجسد الحياة كثوب، وهكذا "أبيد منه الفساد الذي كان فيه" (٤٤ : ٨).

كيف أبطل الرب الموت؟

بالاتحاد بالجسد، "ولأنه هو الحياة؛ صار جسده هيكل الحياة" (٣١ : ٤ -

٤٤: ٥ - ٤٥: ١ - ٤٧: ٢ - ٥٤: ٢). وفي عبارة موجزة: ما الذي كان الرب سيصنعه بهذا الجسد؟: "جسدٌ قابلٌ للموت وأن يقدم للموت عن الجميع ولأجل هذه الغاية أعده المخلص لنفسه. لكن كان من المستحيل أن يبقى هذا الجسد ميتاً بعد أن جُعِلَ هيكلًا للحياة، ولهذا إذ مات كجسدٍ مائتٍ، فإنه عاد إلى الحياة بسبب الحياة التي فيه" (٣١: ٤). حقاً "المسيح قد أمات الموت" (٣٠: ٢).

معنى كلمة الدين في ضوء علاقة الابن بالبشرية

استخدم القديس أنثاسيوس تعبير "الدين" مرتين فقط في كتاب تجسد الكلمة (٩: ٢ - ٢٠: ٥). ومن خلال هذين النصين وغيرهما، ندرك أن علاقة الابن الكلمة بالخلقية ومسئوليته هذه الخليفة هي التي تحدد ما الذي يعنيه أنثاسيوس بهذه الكلمة.

يهمنا أولاً أن نؤكد على أنه لم يكن في التسليم الكنسي حسب وثائق التاريخ الخاصة بما قبل أنثاسيوس - وأنثاسيوس - وما بعد أنثاسيوس، وجود لفكرة أو إجماع دفع ثمن الله الآب. والسبب التاريخي واللاهوتي لذلك، هو الإيمان بمساواة الابن للآب، وأن الابن هو خالقٌ مع الآب، فهو اللوغوس، وحكمة الآب. وخالقُ الإنسان لا يقف أمام الآب كمن هو أقلُّ من الآب، أو كغريبٍ عن الحياة الإلهية، يقدم ترضيةً أو يدفع ثمناً للآب. فهذه صورةٌ وفدت إلينا - كما قلنا - من عصر الإقطاع، ووجدت رواجاً لها في العصر الوسيط، ولكنها تحولت إلى سلاحٍ لهدم لاهوت العصر الوسيط، فقد ناظر قادة الإصلاح في القرن الـ ١٦ كنيسة روما بأن "دفع الثمن" يهدم فكرة وتعليم "المطهر"، بل يلاشي ذبيحة القداس، وهكذا أصبحت وساطة المسيح رب المجد هي السكين الحاد الذي شقَّ السلطان الكهنوتي.

ورغم أنه سبق لي أن حذرتُ أسقف التعليم، وبابا الإسكندرية فيما بعد، من الانسياق وراء تعليم عصر الإقطاع، والعصر الوسيط بدفع الثمن وترضية الآب؛

لأن هذا سوف يتطور إلى هدم أرثوذكسية التعليم في الكنيسة القبطية، إلا أن غواية الزعامة وعدم شجاعة التراجع عن الخطأ، جعل التمسك بالخطأ، أبشع من الخطأ نفسه؛ لأن الإنسان إذا عرف خطأ ما ولم يتراجع عنه، صار تمسكه بالخطأ عن معرفة وإصرار، لا عن جهل.

ونؤكد ثانياً على أن مَنْ ينادي بأن الابن دفع "دين" الإنسانية لله الآب، لم يدرس ما ذكره أثناسيوس نفسه عن علاقة الإنسانية بالابن، فهو -أثناسيوس- قبل أن يذكر "الدين"، يؤكد أن اللوغوس الخالق كان هو الذي أشرك الإنسان في قوته (٣: ٣). حيث يقول أثناسيوس:

- "الله صالح .. ولذلك خلق كل الأشياء من العدم بكلمته يسوع المسيح ربنا .. خلقهم على صورته وأعطاهم شركة في قوة كلمته" (٣: ٣).

وحرفياً: صار الإنسان يتبع اللوغوس مثل تبعية الظل للنور.
- "الله الكلمة سَكَنَ فيهم" (٥: ٢)، وسُكِنَ الله الكلمة في الإنسان تعني أنه خُلِقَ على صورة أزلية الله (٥: ٢).

ثالثاً: جاء سقوط آدم بكارثة حدّدها أثناسيوس نفسه، بأن الجنس البشري "نُزِعَتْ منهم نعمة ماثلة صورة الله (اللوغوس)" (٧: ٤). ومن هنا جاء ضياع النعمة التي بدّدها الإنسان، وأصبح تجسد الكلمة هو كما يقول أثناسيوس: "مَنْ ذا الذي يستطيع أن يرد للإنسان تلك النعمة، ويرده إلى حالته الأولى (الصورة) إلا كلمة الله الذي خُلِقَ في البدء كل شيء من العدم" (٧: ٤).

رابعاً: يجب أن ننقش هذه الكلمات على حجرٍ، ولا نكتفي بأن تُكتب على ورق: "رَحِمَ جنسنا وأشفق على ضعفنا وتراءف على فسادنا، وإذ لم يحتمل أن يرى الموت وقد صارت له السيادة علينا .. فقد أخذ لنفسه جسداً لا يختلف عن جسدنا (٨: ٢).

أقول ننقش هذا الكلام على الحجر؛ لأننا لم نسمع هذا التعليم بعد القديس اثناسيوس والقديس كيرلس، بل ذابت المحبة الإلهية في بحر لاهوت العصر الوسيط،

ثم موجة غواية ما نشرته جمعيات المبشرين الإنجليين والكاثوليك، وهو ما سبق وأشرنا إليه في دراستنا بعنوان: "القديس أثناسيوس في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي".

ويعود القديس أثناسيوس إلى نفس الأيقونة الإلهية، إذ يذكر: "اتخذ جسداً مماثلاً بطبيعة أجسادنا .. بذل جسده للموت عن الجميع وقدمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر" (٨ : ٤). هذه المحبة التي جعلت الرب: "يُبطِل شريعة الموت والفناء؛ لأن سلطان الموت قد استُنفذ في جسد الرب" (٨ : ٤)، ولم يقف عند ذلك، بل لأن "الجميع قد ماتوا فيه" (٨ : ٤)، فقد صار فداء الكل عاماً وللكل، ثم إعادة البشر للحياة بنعمة القيامة (٨ : ٤).

خامساً: وبين ما هو مستحيل على الله الكلمة، وما هو ممكن، يتوضح لنا جانبٌ مما يقصده القديس أثناسيوس بكلمة "الدين":

١ - "من غير الممكن أن يموت الكلمة لأنه غير مائت" (٩ : ١). ومع استحالة موت الله الكلمة، يبقى الجواب واضحاً، لقد أخذ "جسداً قابلاً للموت"، وهو يذكر هذا في نفس الفصل (٩) الذي وردت فيه كلمة: "الدين"، و"جسداً قابلاً للموت".

أما إذا اتحد الكلمة بالجسد، فهو كما يذكر أثناسيوس يصبح "تقدمة مقدسة وذبيحة خالية من كل عيب" (٩ : ١).

٢ - وعندما يبذل اللوغوس، فهو لا يقدم فقط؛ لأن فعل البذل هو فعل تضحية، ولذلك فهو "يرفع الموت فوراً عن جميع نظرائه من البشر" (٩ : ١)، لأننا كما سبق ولاحظنا "استنفذَ" (٨ : ٤) الموتُ سلطانه في جسد الرب ولم يعد له سلطان بعد"، بل لاحقاً يذكرنا أثناسيوس بأن "الموت نفسه مات" "المسيح أمات الموت" (٣٠ : ٢).

الفدية ἀντιψυχον والدين:

إذن، ماذا يقصد القديس أنثاسيوس نفسه بكلمة فدية؟

من الصعب إقناع الذين لم يدرسوا تاريخ العقيدة المسيحية بأن الكلمات، أي كلمات، تتغير معانيها واستعمالاتها من شعب إلى شعب، بل ومن عصر إلى عصر. ولأن هذه سكة سفر طويلة، فسوف نكتفي بأن نضع أمام القارئ الفطن صياغة أنثاسيوس نفسه:

"ولأن كلمة الله هو فوق الجميع فقد كان لائقاً أن يقدم هيكله الخاص وأداته البشرية فديةً عن حياة الجميع موفياً الدين بموته" (٩ : ٢).

وهنا يجب أن ننتبه إلى ما يأتي:

١ - لا يجب أن نهمّل -في قراءة سريعة- ألوهية الكلمة الذي "هو فوق الجميع" كإله خالق مع الآب. فهذا لا يمكن أن يصبح ثمناً لخطايا البشر الذين خلقهم.

٢ - إن الأداة البشرية التي قدّمها عن حياة الجميع هي هيكل جسده الذي قدّم للموت، ولكن هذا الهيكل هو "هيكل الحياة"؛ لأنه هو الذي يعطي الحياة لجسده (١٧ : ٢). وهو الذي "صوّر هذا الجسد" (١٨ : ٥). ولذلك، وهو على الصليب، لم يكن ثمناً، بل كانت "الخليقة كلها خاضعة كعبدٍ له وأنها شهدت برعها لحضور سيدها" (١٩ : ٣).

٣ - إن الرب هو "الحياة ذاتها"، ولذلك -بدقة- "لم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت، إلا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها (٢٠ : ١). وهو هنا يؤكد مقابلة الحياة للموت، وهو موضوعٌ لم نسمعه في زماننا عن "موت الرب المحيي" السائد في كل أدبيات أم الشهداء؛ لأن رد الحياة هو للمائت، أي الإنسان. إذن، فالأمر ليس قضائياً، بل هو هبة الصلاح والمحبة الإلهية.

٤ - كان الجميع مستحقين الموت (٢٠ : ٢)، وكانت الهبة التي أُعطيت في البدء كنعمة، وهي الصورة الإلهية، قد نُزِعَت من الإنسان، وهو ما يشرحه القديس

أثناسيوس في الفصل السابع مؤكّداً عدم جدوى التوبة؛ لأن "نعمة مماثلة صورة الله نُزِعَتْ" (٧: ٢).

"الدين" إذن، هو فقدان الصورة، وهو لا يقابل بمن يدفع الثمن، بل "من ذا الذي يستطيع أن يعيد للإنسان تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى إلا كلمة الله الذي خَلَقَ في البدء كل شيء من العدم" (٧: ٤)، بل وأيضاً: "هو وحده القادر أن يأتي بالفساد إلى عدم فساد" (٧: ٥)؛ لأنه الكلمة الخالق، وهو فوق الكل كخالق، كما سبق وأشرنا، وهو ما يؤكده أثناسيوس نفسه: "هو كلمة الآب ويفوق الكل، كان هو وحده القادر أن يعيد خلق كل شيء" (٧: ٥).

٥ - لو كان الموضوع الأصلي هو دفع الثمن، فكيف كتب القديس أثناسيوس: "إن موت الجميع قد تم فيه، أي في جسد الرب" (٨: ٤ - ٢٠: ٥).

"الدين"، هل هو إبادة الموت أم دفع الثمن؟

لا شك أن كلمة "الدين" إذا ظهرت في نفس الفقرة مع كلمة "فدية"، فإنها تغري الذين يفتشون عن ما يعتقونه من آراء ونظريات، في التراث الكنسي القديم. ولكن هؤلاء يواجهون بإشكالية واضحة، وهي أن كتاب تجسد الكلمة لم يقدم نظريةً عن الفداء، أو الكفارة، بل كان يشرح سبب التجسد على أنه صلاح ومحبة الله.

والدليل الأول على ذلك هو كلام أثناسيوس عن إبادة الموت لا دفع الثمن. وهو ما يكرره القديس أثناسيوس مؤكّداً أن الكلمة "انتظر إلى أن يأتيه الموت ليبيده" (٢٢: ٢). ولو كان هناك ثمنٌ، فكيف استطاع أثناسيوس أن يكتب: "المخلص لم يأت لكي يتمم موته هو، بل موت البشر .. قبل في الجسد ذلك الموت الذي أتاه من البشر لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده" (٢٢: ٢-٣).

لقد كان للموت سيادةً شرعيةً لأنه جاء بحكم (فصل ٦ كله)، ولكن لو كان

موت البشر هو ذاته موت المخلص، فكيف أمات الرب الموت، وكيف أباد الموت؟

والدليل الثاني هو تأكيد القديس أنثاسيوس على أن جسد الرب نال قوة حياة من الكلمة، أي من الأقيوم، ولذلك لم يرَ جسده فساداً (٢١: ٥)؛ لأنه جسد الحياة ذاتها (٢١: ٧). كانت إبادة الموت تعني عدم فساد الجسد، إذ لم يستطع الموت أن يسيطر على الرب، فقد انتظر الرب الموت (٢٢: ٢). وعندما جاء الموت، أباده تماماً، وهو ما لا يتفق بل يناقض تماماً فكرة دفع الثمن التي وردت في مصادر العصر الوسيط الأوروبي.

الدليل الثالث لقد مات الموت حقاً (٢٧: ١). وموت الموت يعني نهاية سلطان الموت، أو كما نقول في صلاة القسمة: "أبطل عز الموت". وقد "مات الموت لأن الرب أنتظر الموت ليبيده" (٢٢: ٢)، والتقى بموت البشر في جسده، ولذلك أباد الموت من جسده، وأظهر علامة الظفر على الموت أولاً بعدم تألم جسده، ثانياً بعدم الفساد (٢٦: ١). لقد هزم المخلص الموت وشهّر به على الصليب (٢٧: ٤).

وقد حدث هذا التحول، أي إبادة الفساد -وبدقة القديس أنثاسيوس- أبيد الفساد؛ "بنعمة القيامة" (٢١: ١)؛ لأن الرب لم يكن على الصليب ضعيفاً، بل "هو قوة الله وكلمة الله (اللوغوس) وهو الحياة عينها" (٢١: ٣). فالتحول هنا، ليس حكماً قضائياً، حسب تعليم العصر الوسيط؛ لأن الحكم إذا صدر لمحو عقوبة - كما هو جاري في المحاكم - أو لتوقيع عقوبة، فإن الحكم بالموت لا يعني قيامة المحكوم عليه.

خاتمة

لا بد للقارئ الفطن أن يكون قد لاحظ أن هناك كثير من الحقائق غاب عن نظريات الفداء في فكر العصر الوسيط. وهي حقائق لا يستقيم بدونها تعليم يُطرح على أنه تعليم أرثوذكسي يقوم على الإيمان الرسولي، هذه الحقائق هي:

١- إن الابن من ذات جوهر الآب، وهو خالق مع الآب والروح القدس. ولذلك، لا يمكن أن يكون ثمناً، أو مذنباً، ولا يُحاكم كخاطئ.

٢- الابن هو الحياة، وهو كذلك على الصليب وفي القبر، وقد قُبِلَ الموت لأجلنا لكي يبيد الموت، لا لكي يقع هو تحت سلطان الموت.

٣- مات الرب لأجلنا بسبب عجز البشر عن فداء أنفسهم، ولذلك جاء المخلص لكي يرد للإنسان ما ضاع منه وما فقده.

في ضوء تقدم، يمكننا أن نحدد معنى "الدين"، و"الفدية" من واقع ما كتبه أثناسيوس نفسه بأنه:

١- رد الصورة الإلهية، وهو ما أشرنا إليه من قبل، فقد بدّد الإنسان النعمة، وأصبح مديناً لله بما فقده.

٢- كان الإنسان تحت حكم الموت: "موتاً تموت"، وجاءت الفدية، أي قوة الرب لتحرير، ليس آدم وحده، بل الجنس البشري كله. وقد صار هذا حقيقة واقعة، أولاً بسبب تجديد الطبيعة الإنسانية التي تم تجديدها في ناسوت الرب نفسه الذي صار بلا ألم وبلا فساد، وحيّاً بقوة الاتحاد بالكلمة. وثانياً بنقل ما حدث في ناسوت الرب لنا، بشكلٍ خاص في السرائر: المعمودية - المسحة - الإفخارستيا.

كلمة عتاب لنيافة الأنبا روفائيل:

لماذا دخلت نيافتكم هذا الصراع الذي لا يؤدي إلى شيء مفيد ونافع؟ لو كان أثناسيوس نفسه استخدم كلمة "بديل"، أو كلمة "عقابي"؛ لقلنا لك: معك كل الحق في الاستشهاد به كشاهد، ولكن "البديل العقابي" تعبير أو عبارة لم تُسمع في أديبات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قبل الأنبا بيشوي مطران دمياط. ولذلك يا سيدنا الكريم كنا نرجو أن تنأى بنفسك عن هذا الخضم الآسن، وألا تساير مطران دمياط في ترجمته بين قوسين تعبير "الخطية الأولى" في كتاب تجسد الكلمة إلى "الخطية الأصلية"، وذلك لأن تعبير الخطية الأصلية غير معروف عند الآباء الذين كتبوا باليونانية.

محنة أم الشهداء^(١)

تعيش كنيسةنا بين حقبة امتد فيها تعليم الإرساليات الإنجيلية مع بقايا تعليم الإرساليات الكاثوليكية، وحقبة نشأت داخل الحقبة الأولى، حيث بدأت بواكير دراسات الآباء تدخل حياتنا في دائرة محصورة في حياة الذين شُغِفُوا بدراسة تراثنا الأرثوذكسي الذي أفاق بظهور كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية" للأب متى المسكين، ثم بالترجمات العربية للآباء، وبالذات أنثاسيوس وكيرلس الكبير.

والمراقب لواقع كنيسةنا لا بد وأن يكون قد لاحظ دخول عناصر غير مسيحية، بعضها عن الفقه الإسلامي، وبعضها من تقليد الجماعات الإسلامية، وصار بعض الأساقفة والكهنة أمراء عوضاً عن أن يكونوا آباء.

دخل أيضاً التعليم الإنجيلي: دفع ثمن الخطية - معاقبة الابن على الصليب.

ولما كان التعليم الإنجيلي يصطدم بالاختبار الليتورجي، وتعذر التوافق، ولما كان هذا التعليم يصطدم بما نُشر من كتابات الآباء، كان حرص الرعامة على مكانتها هو المحرك الأول، وليس البحث عن الحقيقة، لذا بات الصدام محتملاً لكل من عرف سير الأحداث، وتم تسليط سيوف الاتهام:

أولاً: الاتهام بعدم دقة الترجمة من اليونانية.

ثانياً: الاتهام بالبروتستانتية.

ثالثاً: وهذه أكبر كذبة في التاريخ القبطي المعاصر، إشاعة القول بأن هناك تعليم للأب متى المسكين، أو جورج بياوي، وكأن لأيهما تعليمٌ خاص يختلف عن التسليم الكنسي المدون في مصادر المسيحية الأرثوذكسية. ونقول إن هذه أكبر كذبة في

(١) ثلاثة مقالات نُشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في الفترة ما بين سبتمبر وأكتوبر ٢٠١٧.

التاريخ القبطي المعاصر لأن الكذابين صدّقوا أنفسهم ووقعوا في شرك كذبتهم عندما رفعوا راية الدفاع عن "تعليم قداسة البابا شنودة الثالث" في مؤتمر Dogma 4 الذي نظّمته لجنة العقيدة القبطية الأرثوذكسية بأسقفية الشباب بالمركز الثقافي القبطي بالأنا رويس بالعباسية ١٨ مارس ٢٠١٧ بعنوان: "التأصيل الآبائي في تعليم قداسة البابا شنودة الثالث"!!!

هنا يكون السؤال الذي يفرض نفسه: ما هو الحل؟

والجواب: لا يوجد حلٌّ واحد، بل عدة حلول. من هذه الحلول:

١- المثابرة على نشر كتابات الآباء.

٢- إعادة تأصيل التعليم على الأساس الأرثوذكسي، وهو الممارسة؛ إذ لا يمكن أن يكون الصلْبُ دفعَ ثمن الخطايا، ثم نقوم نحن برشم الصليب، بل ورشم الصليب أثناء استدعاء الروح القدس، بل وضع ٣٦ صليباً أو رشماً في مسحة الميرون، فلا يمكن أن يتفق رشم الصليب في الطقوس الكنسية مع فكرة أنه أداة للعقاب ودفع الثمن.

٣- إعادة تأصيل أساس المسيحية الأرثوذكسية، وهو المحبة الثالوثية؛ لأن تناول الناسوت وحده في سر الشكر، يعني شركة في محبة المسيح الإنسانية فقط، وحرمان المؤمن من الشركة في المحبة الإلهية. كما أن الادعاء الكاذب بأننا نأخذ طاقةً، لا الروح القدس نفسه، يدعونا إلى إعادة كتابة أسفار العهد الجديد؛ لأن الرب يسوع لم يقل إن الآب سوف يرسل طاقةً، بل الباركليت. ونحن لسنا هياكل طاقة، بل هيكل الروح القدس.

يجب أن نشابر على كشف الخسارة الفادحة التي تحل بنا، إذا قبلنا التعليم السائد الشعبي الذي لا علاقة له بالمسيحية.

كيف، ولماذا تحول الظل إلى نور؟

لا تزال أسفار موسى الخمسة (التوراة) تحكم مخيلة بعض الذين لم ينالوا استنارة ونعمة العهد الجديد. ورغم أن الرسول بولس اليهودي المنتصر الذي قدّم كل ما يملكه كيهودي:

— محتون في اليوم الثامن.

— من سبط بنيامين.

— عبراني من العبرانيين.

— من جهة الشريعة فريسي (أفسس ٣: ٥-٦).

واعتبر أن الانتماء والممارسات التي كان يظن أنها "ريح"، يقول: "فهذا قد حسبته خسارة"، بل يقول: "وأنا أحسبها زبالة أو نفاية لكي أربح المسيح وأوجد فيه وليس لي بري (صلاحي وصدقي وإيماني) الذي حسب الشريعة بل الذي بإيمان المسيح البر الذي من الله بالإيمان" (فيلي ٣: ٨-٩) .. هكذا كان بولس قد دخل الخليقة الجديدة؛ لأن "الأشياء القديمة قد مضت والكل صار جديداً" (٢ كو ٥: ١٧). الأشياء القديمة هي بعينها كانت رمزاً لما سيحيى، وهي كما كتب "قائمة بأطعمة وأشربه وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعه لوقت الإصلاح" (عب ٩: ١٠).

زال الختان، رغم أنه كان علامة العهد مع إبراهيم؛ لأن المعمودية صارت ليس قطع جزء من الجسد بل خلع الإنسان القديم، وصارت ختان المسيح بالدفن مع المسيح في المعمودية (كولوسي ٢: ١٢)، وزالت الذبائح "لأن الشريعة لها ظل الخيرات الآتية لا نفس صورة الأشياء"، ولذلك لم يسر بها الله، بل "ذبائح خطية لم ترد"، وفي إصرار أكثر "ولا سُررت بها تلك التي تقدم حسب الشريعة"؛ لذلك

نزع كل ما يخص الذبائح بسبب ذبيحة ربنا يسوع المسيح (عب ١٠: ١-١٠)،
وتغيّر الكهنوت اللاوي، وعبرة الرسول قاطعة: "لأنه إن تغيّر الكهنوت فبالضرورة
يصير تغيير للشرعية أيضاً" (عب ٧: راجع ١١: ١٢).

شطحة وفتوى أسقف محبوب:

ذكر الأسقف أن شريعة تطهير الأم هي ٤٠ يوماً إذا ولدت ذكراً و ٨٠ يوماً
إذا ولدت أنثى. وجاءت الشطحة صادمة، إذ فسّر ذلك بأن خطية حواء
مضاعفة، وخطية آدم أقل، ولذلك ولادة الذكر ليست مثل ولادة الأنثى، لأن
الأم ولدت أنثى، أي حواء أخرى.

والمأساة هنا أن هذه الشريعة وغيرها، الموضوعية إلى وقت الإصلاح، أي
الآتية من الظلال، صارت هي التي تفسر الخلق الجديد وتجديد الطبيعة
الإنسانية!!! والمأساة الأشد أن تصبح الخطية هي قاعدة تفسير يشمل المرأة
بالذات، كأن ولادة الابن الوحيد من العذراء لم تشمل المرأة بأي تجديد، بعكس
ما نردده أحياناً دون وعي في الشيئوتوكيات في التسبحة السنوية، إذ تحولت رموز
وظلال الشريعة: الهيكل وتابوت العهد والعليقة إلى رموز لتنازل الابن الوحيد
 واتحاده بنا، أي بالطبيعة البشرية. وقد شرح القديس كيرلس الكبير في المقالة ١٥
من كتابه السجود والعبادة بالروح والحق (راجع الترجمة العربية د. جورج عوض ص
٦١٢-٦١٤) بأن نجاسة المرأة هي "أنها تغدّي الفساد"، أي ولادة بشر للموت.
وقدم القديس كيرلس فقرات من سفر حكمة سليمان: "الله لم يخلق الموت لأن
هلاك الأحياء لا يسره". ثم "خلق الله الإنسان حياة أبدية، وصنعه على صورته
الخالدة، ولكن بحسد إبليس دخل الموت الى العالم .." (حكمة سليمان ٢:
٢٣-٢٤ ص ٦١٣ من كتاب السجود والعبادة بالروح والحق)، وقدم القديس
كيرلس الرأي الطبي الشائع في زمانه، وهو أن الذكر "يتشكل في ٤٠ يوماً، أو لو
كانت بنتاً فإن تشكيلها يتأخر باعتبار أن بنية البنت ضعيفة، لأجل ذلك يقولون
إن البنت تحتاج إلى ٨٠ يوماً حتى تتشكل تشكيلاً كاملاً .." (المرجع السابق ص

٦١٤). ولا يقف القديس كيرلس عند ذلك بل يقول: "بما أننا صرنا شركاء الطبيعة الإلهية، صرنا على صورة المسيح .. ولادتنا لا تغدّي بعد الفساد بسبب معصية آدم، لكن تصير نبعاً للحياة وعدم الفساد بفضل تبريرنا بالمسيح .." (المرجع السابق ص ٦١٤).

لماذا نسير في طريق الفتاوي، دون أن ندري أن مثل هذا الشرح:

- ١- يهدم تجديد الجنس البشري الذي يتم في المعمودية المقدسة.
 - ٢- يضع حمل الخطية على التناسل وعلى المرأة بالذات، تاركاً -عن عدم معرفة- تجسد عمانوئيل وصلبه الذي رفع الموت واللعنة والفساد.
 - ٣- وما أفضح أن تكون الخطية هي قاعدة تفسير أي شيء، فنتجاهل أن تجسد الابن له المجد كان بسبب محبة الله الآب للعالم (يوحنا ٣: ١٦).
- نحن إزاء محنة حقيقية لها جذور لا بد من أن نكشف عنها.

التعليم الكاذب

من الداخل لا من الخارج يأتي الهجوم الخطير على أم الشهداء. وهو هجوم يتحصن في التعليم الكاذب الذي يقدمه معلمو الكذب الذين اعتلوا - في غفلة من الزمن - منابر التعليم في الكنيسة.

المتابع لما يقوله وينشره هؤلاء المعلمون لا بد وأن يصل إلى نتيجة مؤداها أن روح الرب قد فارق كنيسة مصر أم الشهداء.

هل في هذا مبالغة؟ أدعوك قارئ العزيز أن تتأمل:

١ - نحن نؤمن بأن الابن المتجسد لا يمكن فصل جسده عن ألوهيته ولا عن الآب والروح القدس، فإن كنا نأخذ مواهب الروح القدس، لا الروح القدس نفسه، كما يشيعون، ألا يصبح جسد المسيح الواحد الكنيسة خلواً من الروح القدس؟ ألا يضرب هذا التعليم الكاذب وحدة جوهر الثالوث!!! هكذا يفترون ويكذبون، وفتاوى مطران دمياط تقدم الدليل والبرهان على الفصل بين الابن رأس الكنيسة، والروح القدس مؤسس ومعطي الحياة لجسد الرب أي الكنيسة.

٢ - نحن نؤمن بأن جسد المسيح الواحد لا يموت لأنه حي بسبب قيامة الرب، ولأن الروح القدس أقام يسوع من الأموات وأعطى حياة لجسده ووهب السرائر لحياة أبدية. فإن كنا نأخذ مواهب الروح القدس لا الروح القدس نفسه كما يدعون، ألا يعني هذا أن المسيح قد مات دون أن يقيم؟ أليس هكذا - عن جهل - ينكرون القيامة والحياة الأبدية التي تجمع أجساد المؤمنين، وتجعل الكل جسد المسيح الواحد الذي يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد!!!

هكذا ينصب الشيطان شبكة الموت، وهكذا يدعي معلمو الكذب على أم الشهداء أنها أفقرت من الروح القدس، بالرغم من أنهم يعلمون أن أم الشهداء

تطلب الروح القدس في كل الصلوات، وتستدعي الروح القدس في كل قداس، وترفع يديها في صلاة الساعة الثالثة إلى الملك السمائي المعزي الروح القدس أن "هلم تفضل وحل فينا ..."، ولكن لأنهم بشفاههم يرددون ما يقولون، هكذا بالجهل ينطقون.

أعان الله أم الشهداء على ما تعانيه من محنة قاسية أوقعها فيها بعض من النغول.

أستاذنا د. موريس تواضروس

هل نسى التاريخ المعاصر؟^(١)

ألقى أستاذنا الدكتور موريس تواضروس محاضرة في مؤتمر لجنة العقيدة والإيمان رقم ١٧ والمنعقد في العجمي بالإسكندرية وانتهت أعماله يوم الخميس ٢٨ سبتمبر ٢٠١٧ تجدد -عزيزي القارئ- ملخصاً لها في نهاية هذا المقال أرجو الرجوع إليه.

وعطفاً على ما جاء بهذه المحاضرة أقول له: لا يختلف معك يا سيدي أحدٌ بالمرّة فيما ذكرته حول دعوتك للوحدة والانسجام في التعليم، وهو لب ما جاء في حديثك المشار إليه. فتقول مستكراً: "في القرن الواحد والعشرين سنبدأ لنكون عقيدة الكنيسة!.. ويأتي أناس ليقولوا لنا آراء لم نسمع بها طيلة الـ ٢٠٠٠ سنة!

هذا يعني أنك استندت إلى التاريخ فيما تقول، وهو اتجاه محمود ولكنه يثير الكثير من التساؤلات، أولها إذا كان هذا المؤتمر هو عن العقيدة والقضايا اللاهوتية المعاصرة، فهل هناك عضو واحد من أعضاء لجنة العقيدة والإيمان ومنظمي المؤتمر، سبق له أن درس التاريخ أو الكتاب المقدس، أو تاريخ العقيدة، أو حتى اللاهوت الأرثوذكسي؟ يأتي على رأس هؤلاء الأنبا بيشوي وهو خريج كلية الهندسة جامعة الاسكندرية، وهو لم يدرس حتى في الكلية الإكليريكية، مثله في ذلك مثل الأنبا موسى خريج كلية الطب ... إلخ

يؤسفني أن أضع أمامكم وأمام القراء حقائق التاريخ المعاصر، وأتحدّى أي شخص في الكنيسة القبطية أن يذكر خلافاً:

أولاً: تكلمتم عن موضوع الخطية الأصلية، حسنٌ جداً، والسؤال: هل كان لدينا على مدى ٢٠٠٠ سنة كتابٌ واحد ذكر أن الخطية الأصلية هي تعليم

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٩ سبتمبر ٢٠١٧.

كنيسة مصر الكنيسة القبطية، قبل مذكرات اللاهوت المقارن لأستاذنا العظيم د. وهيب عطالله (نيافة الأنبا غريغوريوس)، الذي ذكر في مذكرات اللاهوت المقارن أن الذي أدخل هذا التعليم هو القديس أغسطينوس؟

وسوف أقصّر عليك فترة البحث ونكتفي بالفترة من البابا كيرلس الرابع أبي الإصلاح إلى الأنبا شنودة الثالث، هل تستطيع أن تقدم لنا يا سيدي د. موريس اسم كتاب أو بحث أو قرار مجمع قبطي ذكر أن الخطية الأصلية تعليم ثابت في كنيسة مصر الأرثوذكسية؟

إذا كان هذا هو أمر التاريخ، فعلى أي أساس هوجم البحث الفريد في رسائل القديس ساويرس الأنطاكي الذي قدمه الباحث د. جورج فرج، وعلى أي أساس قبول هذا البحث بالاستهزاء والشتائم، بدلاً من أن يقدموا بحثاً يفند ما جاء فيه على أساس من إيمان كنيسة مصر القبطية وعقيدتها على مدى ألفي عام؟

وماذا عما قدمناه نحن مدعماً بالمراجع الثابتة في كتابات الآباء أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير (الذين -ونحن معك- اكتفيت بهما)، فما كان من الأنبا شنودة الثالث واتباعه إلا أن حولوا تعليم الآباء -في أكبر كذبة أذاعوها- إلى أن هذا هو تعليم جورج بباوي؟

لقد قدّم الباحثون ما لديهم من مراجع آبائية، لا آراءهم شخصية، ولم يرد عليهم أحد بالمرّة. بل ولا حتى نيافة العلامة الدمياطي السكرتير السابق واللاهوتي الأوحد، استطاع أن يكتب مقالاً واحداً يؤكد فيه أن تعليم الخطية الأصلية هو تعليم الآباء الشرقيين إلا بتزوير نص كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي في فصله العشرين؟

وهكذا في ظل انعدام الدراسة الذي يهيمن على أعضاء لجنة العقيدة والإيمان الذين يأخذون على عاتقهم تنظيم هكذا مؤتمرات، وفي ظل الصمت أمام حقائق التاريخ الكنسي، يصعدون قرارات وتحذيرات ضد هذا وضد ذاك مستترين مرّة تحت اسم هذا تعليم أبونا متى، ومرّة أخرى هذا تعليم جورج بباوي، وهو ليس

أكثر من ادعاء كاذبٍ يستر عورة الجهل والسير في مواكب الزعامة والقتال حتى النفس الأخير للحفاظ على المصالح الشخصية.

ثانياً: التاريخ المعاصر هو حقبة عصر الأنبا شنودة الثالث، ولا شك أنك أنت تعلم كم التهكم والهجوم الأسبوعي على الأب متى المسكين، والذي انتهى بأسوأ كتاب كان يمكن أن يُكتب في تاريخ الكنيسة القبطية، وهو مجموعة المقالات التي دمجها الأنبا شنودة في مجلة الكرازة، ثم نشرها باسم "بدع حديثة"، وهي ليست إلا رأيه الخاص الذي يفتقر إلى التوثيق من الآباء وصلوات الكنيسة، بل وحتى من أي بحث تاريخي، فقط هو هجوم على اثنين: الأب متى المسكين وجورج بباوي كاتب هذه السطور.

وكنت بصدد نشر ردٍ على هذا الكتاب في سبعة كتب، ولكنني اكتفيت باثنين تلبيةً لتدخل الأب متى المسكين الذي قال لي إن الإفراط في الهجوم من ناحية الأنبا شنودة والرد عليه من ناحيتي لن يخلق إلا التطرف، وساق -تديلاً- على كلامه- المثل الشعبي: "العند يورث الكفر".

ثالثاً: لنأخذ الاتهام بأن الشركة في الطبيعة الإلهية هي جريمة الشُّرك التي يحاربها أخوتنا المسلمون، وهي العبارة التي احتج بها الأنبا شنودة على هذه العقيدة، فلعلك تعلم أن جماعة الأنبا شنودة مازالت تقدم كل ما هو ضد الأرثوذكسية في هذا الموضوع بالذات على كل وسائل التواصل الاجتماعي، رغم ما نُشر من نصوص الآباء، فهل تظن أن تعليم خمسين شاباً اليونانية كفيلاً بالقضاء على هذه الجريمة؟ ولماذا لا تقدمون أنتم نصوص الآباء التي تقدم التعليم المضاد؟

وإذا كنا ما نزال في إطار التاريخ المعاصر، أين كنتم يا سيدي الدكتور عندما تزعم الأنبا موسى حملته ضد كتاب "أقوال مضيئة"، وهو ليس إلا مجموعة من أقوال اثني عشر أباً من آباء الكنيسة المعترين، فمنع الكتاب من المكتبات؟ أليس هؤلاء هم الآباء الذين تريد أن تعلم خمسين شاباً اللغة اليونانية لترجمة أعمالهم؟

حسننا تطالب بالوحدة، وقد كان لديّ كبير أمل في أن تأخذ توصيات وأبحاث مؤتمر التعليم الذي عُقد في "أنافورا" مسارها الطبيعي، ولكن كان رد الأنبا بيشوي أن أسس جماعته المضادة باسم "حماة الإيمان"، وفتحوا صفحتهم للهجوم على الكل وقدموا مجموعة من ٢٢ شخصاً بالأسماء والصور، شملت حتى العلمانيين الذين توجههم اسم الأستاذ كمال زاخر، وآخرين، قالوا فيهم ما قاله مالك في الخمر.

أخيراً: ما هي -لديكم- معايير صحة الادعاء (الكاذب) بالحلول بالمواهب، وما هو الأساس الأرثوذكسي -الذي يمكن أن تقدموه- عن حلول الطاقة والقوة؟ هل يمكن يا سيدي أن نجد مرجعاً واحداً على مدى ألفي عام في كنيستنا القبطية، أو حتى في فترة التاريخ المعاصر يقول إن هذه هي عقيدة الكنيسة القبطية قبل أن يكتب أنبا بيشوي تراياته في هذا الأمر؟ بل أين وردت هذه الأفكار الغريبة في صلواتنا الخاصة باستدعاء الروح القدس، سواء في القداسات أو صلوات الخدمات الليتورجية الأخرى؟ أليست هذه الصلوات هي إحدى معايير الأرثوذكسية؟

وبعد، مَنْ هو أو هم الذين يعملون على هدم الكنيسة من الداخل؟ سؤال أطره على ضميرك وقلبك الذي أعرف أنه لا يقبل الكذب.

هل يتراجع خريج هندسة الاسكندرية، وأصحابه عما تجرأوا عليه دون علم أو دراسة؟ ألا يعلمون أنه لو امتدت يد وزارة التعليم العالي إلى ما أشرفوا عليه ومنحوه مما أسموه رسائل ماجستير ودكتوراه، وراجعت آليات ومراجع ومؤهلات أعضاء هذه اللجان، لشطبت اسم معهد الدراسات القبطية من سجل المعاهد العلمية، نظراً للعيوب والأخطاء التي تكتنف هيكل الأطروحات والمرجعيات، وانعدام الأدلة التاريخية وعدم قدرة الباحث على تقديم حجة تاريخية تسند رأيه؟ تلك أمورٌ يعف عنها القلم، لأني أراها بمثابة فضائح.

كان علينا أن نأخذ بتوصيات مؤتمر التعليم الذي أشرنا إليه سابقاً، ولكنه

حالما اشتعل، احتفى تحت وطأة الأحداث التي سُفِكَ دماء اخوتنا وأبنائنا وأقاربنا، تحت ثقل الدعاية الكاذبة التي تنشر وتقال كل يوم ضد شخص ربنا يسوع المسيح، والتي يدفع ثمنها أهلنا في قرى صعيد مصر وغيرها من بلادنا. وتحت وطأة الحرب الشعواء التي يقودها الرجل الحديدي وأتباعه من (الأسود) الجدد على الخطوات الإصلاحية التي تمخض عنها هذا المؤتمر.

لست أطلب منك أستاذنا أكثر من مراجعة التاريخ. لست أطلب منك أن تدافع عن أحد أو عن عقيدة معينة، بل أطلب منك أن تكون "حقاني"، فلا تنسى التاريخ إذا تحدثت. فالويل لشعبٍ يحيا يومه بلا تاريخ؛ لأنه حتما سوف يفقد باب المستقبل، وسلامٌ على أُم الشهداء وسلامٌ على مصرنا الحبيبة.

نيافة الأنبا بيشوي

بين الإصرار على "الخطية الأصلية"

والادعاء بأن روح الإنسان هو الروح القدس^(١)

لم يدرس الأنبا بيشوي التاريخ ولا اللاهوت ولا يعرف حتى تاريخ المصطلحات اللاهوتية، لذلك تجد التخطئ والتشويش هو العنصر الغالب فيما يقوله، تلك حقيقة يكشف عنها كلما تكلم أو كتب.

الخلط بين "الخطية الجدية" و"الخطية الأصلية"

لا يعرف نيافة الأنبا بيشوي أن "الخطية الجدية" تعبيرٌ موجود عند كل الآباء، وهو سقوط آدم الذي أدَّى إلى لعنة الموت، الذي نُقِلَ إلينا بسبب وحدة الطبيعة البشرية: "في آدم يموت الجميع" (١ كور ١٥ : ٢٢). ويكفي أن رسول الرب يقول إن الموت سرى في الجنس البشري: "ملك الموت من آدم إلى موسى (فترة ما قبل الشريعة) وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم (أي ذات تعدي آدم) ... " (رو ٥ : ١٤).

ولأنه لا يعرف ولم يدرس، تجده يخلط بين "الخطية الجدية"، و"الخطية الأصلية"، وهو المصطلح اللاتيني السائد في الغرب اللاتيني، والذي أبرزه القديس أغسطينوس مؤكداً أننا ورثنا ذات ذنب آدم واشتركنا في ذات الخطية، ولذلك هي "أصلية". أما مصطلح الخطية الجدية، فهو يعني شركتنا في نتائج السقوط وأولها لعنة الموت والطرده من الفردوس والحرمان من عطية الروح القدس.

إذن، فالمصطلحان ليسا مترادفين، ولا يمكن إحلال أحدهما محل الآخر، لأن الفارق بينهما ببساطة هو الفارق بين التسليم الرسولي الذي عبّر عنه الآباء

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٥ أكتوبر ٢٠١٧.

الشرقيون، والرأي الخاص للقديس أغسطينوس الذي بني عليه العصر الوسيط الأوربي لاهوت الفداء. لذلك، فعلى نيافته إما أن يختار التسليم الرسولي، فيبقى في الأرثوذكسية، أو يترك الأرثوذكسية للأرثوذكسيين.

المطران والانتقائية الفجة

تملكني العجب فعلاً عندما سمعتك بنفسك يا نيافة المطران في محاضرتك التي ألقيتها في مؤتمر العقيدة ٧ تقول إن آدم لم يأخذ الروح القدس في تك ٢: ٧، وبلغة شخص فقد الوعي تماماً بجلال الله وحرите وقداسته، تقول لو إن آدم أخذ الروح القدس لتحول إلى "أقنوم رابع"، وهو ما يعني أول ما يعني أنك تقبل الزيادة والنقص في الثالوث الواحد، وتهدم وحدة الجوهر، وهو الأمر الذي يطرح على بساط البحث صحة إيمانك بالثالوث القدس!!!

والغريب حقاً، بل والمدهش -يا نيافة المطران- هو أنه يبدو أنك نسيت أنك أنت أخذت هذه النفخة في رسامتك قساً وأسقفاً، وهي ذات النفخة التي تعطى في سر مسحة الميرون عندما ينفخ الكاهن ويقول: "أقبل الروح القدس". والأغرب من ذلك، أنه وفي محاولة منه لخداع المستمعين له، والإيحاء لهم بأن ما يقوله صحيح، يلجأ أولاً إلى سلاح اللغة، فيقول إن الأصل اليوناني يقول "روحاً قدساً"، لا "الروح القدس"، وبالتالي فإن ما أخذه التلاميذ من الرب هو موهبة الكهنوت والشرطونية لا الروح القدس ذاته، وبذلك وبحسب تعبير القديس كيرلس، فإن نيافة المطران "يكذب المسيح". وكنا قد أصدرنا دراسةً عن أداة التعريف (أل) وأثرها على التسليم الرسولي الخاص بالروح القدس، بعنوان أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال^(١)، نحيل إليها لعدم التكرار.

ولم يكتف نيافة المطران بإشهار سلاح اللغة، بل لكي يوهم المستمع بأن ما يقوله له مرجعية عند الآباء، نحده يستشهد بالقديس كيرلس الكبير في شرحه

(١) دكتور جورج حبيب بباوي، أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال، دراسة في الكتاب المقدس والآباء والطقس، القاهرة، جذور للنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٤.

لإنجيل يوحنا، ويستخدم منه -في انتقائية فجّة- ما يحقق له هذا الهدف الشرير، متغافلاً عن أن القديس كيرلس في شرح كلمات إنجيل يوحنا (يو ٢٠: ٢٢)، يؤكد على أن هذه النفخة إنما هي عطية الروح القدس التي فُقدت بسبب سقوط آدم، والتي رُدَّت إلينا مع باكورة الخلقة الجديدة، تلاميذ الرب، وأن من يقول غير ذلك يكذب المسيح.

يقول القديس كيرلس:

"ولكن كان من الضروري بالنسبة لنا أن نرى الابن يمنح لنا مع الآب الروح القدس. لأن الذين آمنوا به كان ضرورياً لهم أن يؤمنوا أنه قوة الآب الذي خلق العالم كله وخلق الإنسان من العدم ... وأناره بنصيب من روحه "ونفخ في أنفه نسمة الحياة" ولكن عندما سقط الإنسان بعصيانهِ واستعبد لقوة الموت وفقد كرامته القديمة أعاده الله الآب وجدده إلى الحياة الجديدة بالابن كما كان في البدء ... ولكي نعلم أنه هو الذي في البدء خلقنا وختمنا بالروح القدس لذلك يمنح مخلصنا الروح القدس من خلال العلامة المنظورة أي "نفخته للرسول القديسين لأنهم باكورة الطبيعة البشرية المحددة. وكما كتب موسى عن الخلق الأول أن الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة، يحدث نفس الشيء الذي حدث في البدء عندما يجدد الله الإنسان. وكما خلق الإنسان في البدء على صورة خالقه، كذلك الآن بالاشتراك في الروح القدس يتغير إلى صورة خالقه ويصبح على مثاله، ولا يوجد لدينا أدنى شك في أن الروح القدس هو الذي يختم صورة المخلص على قلوب الذين يقبلون المخلص ... ولذلك يؤسس المسيح من جديد روحه في تلاميذه باعتبارهم باكورة ثمار الخليقة التي ولدت لعدم الفساد وللمجد في صورة الله وهكذا اشتركوا في الروح القدس عندما نفخ قائلاً: "اقبلوا الروح القدس"، ومن المستحيل أن يكذب المسيح ... أما في أيام العنصرة المقدسة ... لم يكن هذا بالنسبة للتلاميذ بداية نعمة الروح القدس الذي سكن في قلوبهم، ولكن بداية نعمة التكلم بالألسنة" (شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير، مؤسسة القديس أنطونيوس، المجلد الثاني، ص ٥٠٤ - ٥٠٨).

المطران يحارب طواحين الهواء

لا يفتأ نيافة المطران عن اختراع أعداء وتخيل حروب ينتصر فيها وحده، ففي

محاضرته السابق الإشارة إليها والتي ألقاها في هذا المؤتمر البائس، يقول لو أن آدم أخذ الروح القدس، لأصبح روح آدم هو الروح القدس، وأن هناك البعض الآن يقولون هذا، ولكنك يا نيافة المطران لم تقل لنا من هو أو هم هذا البعض الذين يقولون الآن إن روح آدم هو الروح القدس. وهو ما يعني أنك تخرع حروباً وتتوهم أعداءً تثبت عن طريقهم -لمستمعك مستغلاً في ذلك حسن نيتهم- أنك اللاهوتي الأوحى والمدافع الذي لا يبارى.

وهذا الأمر يؤكد لنا أولاً أن الخلط والتشويش هو سيد الموقف لديكم، وأن ما تدعونه على البعض، إن هو إلا أوهاماً تجوس في خاطرك وحدك، وإلا لقدمت لنا ما يؤكد اتهاماً ألقيته على عواهنه، وكان يكفي أن تميز معنى كلمة "روح" من سياق الكلام، وما إذا كان المقصود بها "النفس الإنسانية"، أو "الروح القدس".

ويؤكد ثانياً على عدم دراستكم وعدم درايتكم بتراث الآباء. ولن نبتعد عن القديس كيرلس في شرح إنجيل يوحنا أيضاً، الذي لو كنتم قرأتموه لاستبان لكم أن القديس كيرلس أجهز مبكراً على مثل هذه الأكاذيب، وكان أخرى بك أن تحبب مستمعك البلبلة والتوهمات، ولكن يبدو أن صورة البطل الأسطوري تملك عليك نفسك ولا تستطيع منها فكاًكاً.

يقول القديس كيرلس:

"لا يضع أحدٌ كلمات أي تعليم زائف بأن يفترض بأننا قلنا إن النفخة الإلهية قد صارت نفساً للمخلوق الحي؛ لأننا نكر هذا الكلام منقادين في أفكارنا بالتعليم الحق. فإذا افترض أحدٌ أن النفخة الإلهية صارت نفساً، فليخبرنا هل هي تحولت عن طبيعتها الخاصة وصارت نفساً أو أنها ظلت كما هي في طبيعتها؟ لأنهم إن قالوا إنها تغيرت وإنها تعدت قانون طبيعتها الخاصة فإنهم يكونون مجدفين لأنهم بهذا يقولون إن الطبيعة التي لا تتحول ولا تقبل التغير أزلياً وإلى الأبد، قد صارت متغيرة، بينما لو أنها لم تتحول، بل ظلت دائماً كما كانت على الدوام بعد خروجها من الله، أي النسمة الإلهية، فكيف انحرفت إلى الخطية وصارت معرضةً لهذا العدد الكبير من الشهوات؟ لا يوجد إنسان ذو تفكير سليم يمكن أن يفترض أن النسمة التي صدرت من الجوهر الإلهي صارت نفساً مخلوقة، بل إنه بعد أن صار

للمخلوقِ نفسٌ، أو بالحري بعد أن بلغ إلى كمال طبيعته بوجود النفس والجسد معاً، فإن الخالق طبع عليه ختم الروح القدس، أي ختم طبيعته الخاصة، أي نسمة الحياة والتي بواسطتها صار المخلوق مشكلاً بحسب الجمال الأصلي واكتمل على صورة ذاك الذي خلقه" (المرجع السابق، ص ٢١٤ وما بعدها)

لا شك أن اختراع المعارك، وإيهام المستمعين بأمور على خلاف الحقيقة، لا شك يكشف عن مدى احتقار وازدراء هؤلاء المستمعين، والاستهانة بهم وبعقليتهم، واستغلال حسن نياتهم وثقتهم واحترامهم للكهنة. كما أن انتقاء فقرات أو كلمات للآباء وإخراجها من سياقها، لا شك يكشف عن عناد وتصلف يفوق الحد، لذلك أطلب لك -يا نيافة المطران- استنارة من الرب يسوع، لكي يزيل هو وحده الكراهية والخوف من قلبك ويردك إلى درجة الأسقفية التي لُوِّثت بالعداوة والكراهية؛ وأن تعود لتكون أباً لا خصماً، وراعٍ لا جزاراً، وحملاً حقيقياً للحمل الحقيقي ربنا يسوع المسيح لأن عكس ذلك يعني الهلاك الأبدي.

الابنُ له المجد، هو قوة الآب والقوة لا يمكن فصلها عن الأقنوم دراسة موجزة^(١)

الابنُ قوة الله وحكمته

القوة حسب مفردات اللغة اليونانية δυναμις ليست كلمة شاردة، بل حسب التعليم الرسولي: "المسيح قوة الله وحكمة الله" (١ كو ١ : ٢٤). ليست قوة الله قوة غامضة، بل هي شخص الرب الذي لم يتحول إلى قوة غامضة، بل ظلَّ هو شخص أو أقنوم الله الكلمة. وتعبير "قوة الله" هو تعبيرٌ يعود أصلاً إلى سفر الحكمة (٧ : ٢٤)؛ لأنه الكلمة أو الحكمة "بهاء مجد الآب"، وهو "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب ١ : ٣).

ومن الأدب المسيحي الباكر وصلَّنا عن هذا الموضوع نصٌّ فريد هو حوار العلامة أوريجينوس مع هيراقليدس، والذي اكتُشِفَ ضمن برديات طره - مصر^(٢).

أوريجينوس: الآب هو الله؟

هيراقليدس: تماماً.

أوريجينوس: هل الابنُ متميّزٌ عن الآب؟

هيراقليدس: كيف يمكن أن يكون الابنُ كائناً إذا كان هو ذاته الآب؟

أوريجينوس: إذا كان الابنُ متميّزٌ عن الآب، أليس هو الله؟

هيراقليدس: نعم هو الله.

أوريجينوس: وأليس في وحدتهما هما إلهين؟

هيراقليدس: نعم.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ أكتوبر ٢٠١٧

(٢) راجع النص الكامل لهذا الحوار في كتابنا: التمييز بين العقيدة والمروعة والرأي، جذور للترجمة والتوزيع والنشر، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٣٩ وما بعدها. وعلى موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

أوريغينوس: هل نعتزف بإلهين؟

هيراقليدس: نعم، ولكن القوة واحدة^(١).

تعبير "القوة الواحدة" يؤكد التمايز ويحفظ الوحدة. وقد شرح العلامة هذه النقطة الهامة في كتاب المبادئ (١: ٢-٢٥). في هذه المرحلة التاريخية بالذات، كان تعبير "القوة الواحدة" يعبر ليس فقط عن وحدانية الثالوث، بل عن حقيقة تمايز الابن عن الآب؛ لأنه "قوة الله" حسب (١ كو ١: ٢٤).

الجنون الأريوسي:

سبق أريوس، السفسطائي Asterius وهو ما يؤكده لنا أنثاسيوس نفسه في الرد على الأريوسيين ١: ٢، ٥. وكلاهما أريوس وأستاذة يؤكدان: أنه "توجد حكمتان، الأولى خاصة بالله وهي كائنة فيه، والأخرى هي الابن الذي جاء من هذه الحكمة "الخاصة بالله"، وجاء بالشركة في حكمة الله، ولذلك دُعي الحكمة والكلمة، فهو الحكمة الذي جاء إلى الوجود بواسطة الحكمة بواسطة إرادة الله..". (الرد على الأريوسيين ١: ٢-٥). ويلاحظ أن كل ألقاب المسيح -لدى أريوس وأستاذة- مثل "الكلمة" و"الحكمة" و"القوة"، ليست إلا مصطلحات تعبر عن شخص مخلوق اشترك في ألوهية الآب. وقد لاحظ بعض علماء التاريخ أن هذا التعليم يعود أصلاً إلى الأفلاطونية التي فصلت تماماً بين ما هو إلهي وما هو إنساني^(٢).

إذن، فالحكمة الخاصة بالله -حسب جنون أريوس- هي في الله وحده، ولا يمكن أن توجد في آخر. وإذا كان هناك في الأسفار من دُعي "حكمة الله أو قوة الله"، فهذا نوعٌ من شركة هذا المخلوق في الله؛ لأن صفات الله لا يمكن أن تُعطى أو تُوهب لمخلوق.

التعليم الرسولي في كتابات القديس أنثاسيوس:

هكذا يشرح أنثاسيوس الإيمان:

(١) الحوار مع هيراقليدس ٢: ١٥-١٧ - نشر النص في Sources Chretiennes vol 67 p56-59

(٢) راجع على سبيل المثال Ephrem Boularand هرطقة أريوس والإيمان النيقاوي، ١٩٧٢، المجلد الثاني ص ٧٥.

"الله له ابنٌ هو الكلمة، والحكمة والقوة، أي صورة صورته وشعاعه، وهو ما يعني أن الابن كائنٌ دائماً، وأنه من الآب، وأنه مثل الآب، وهو المولود الأزلي منه، من جوهره الآب" (الرد على الأريوسيين ٢: ١٨: ٤٣).

نجد الأساس الكتابي لهذا التعليم في (١ كو ١: ٢٤): "وَأَمَّا لِلْمَدْعُوعِينَ: يَهُوداً وَيُونَانِيِّينَ فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ" وقد سبق أناسيوس، فأكد -قبل البدعة الأريوسية- أزلية قوة الله الآب وحكمته في الرسالة إلى الوثنيين:

"وإذ هو الكلمة الصالح للآب الصالح، فقد أبدع نظاماً لكل الأشياء ... وإذ هو قوة الله وحكمة الله، فإنه يجعل السماء تدور" (ف ٤٠: ٥).

كما أعاد ذات التعليم بأن الابن هو قوة الآب في الفصل: ٤٦: ٨:

"هو المولود الصالح من الآب الصالح

وهو الابن الحقيقي

هو قوة الآب وحكمته وكلمته،

ليس بالشركة.

.....

هو الحكمة ذاتها

والكلمة ذاته

وذات قوة الآب

النور ذاته

والحق ذاته

والبر ذاته والفضيلة ذاتها، وهو يقيناً رسمه وبهاؤه وصورته. وبالإجمال هو قوة الآب الفائقة

الكمال وهو وحده الابن صورة الآب غير المتغيرة" (رسالة إلى الوثنيين فصل ٤٦: ٨).

النقطة الحاسمة هنا ليست في تكرار الألقاب، بل في تأكيد أن الابن هو "القوة

الذاتية *idiotis* لله الآب"، فهو ليس مجرد قوة، أي صفة، بل هو الأقنوم (المرجع

السابق، الرسالة إلى الوثنيين: ف ٤٦).

وفي الدفاع عن تعبير "الواحد مع الآب في الجوهر" في مقالة نادرة عُرفت

باسم: "عن المجامع - *de synodis*" في الفقرات ٥٣-٥٤ يشرح أناسيوس

العظيم حقاً، ليس فقط المصطلحات وحدها، بل أيضاً استعمال هذه المصطلحات:

"علينا أن نفحص معنى من ذات جوهر (الآب)؛ لكي نعرف هل يمكن أن نستعمل هذه الكلمة، وهل هي مصطلحٌ دقيق، وهل يمكن أن تُستعمل في الحديث عن الابن؟ نحن جميعاً نعرف -ولا جدال حول هذه النقطة- أن استخدام التعبير "مثل - Like" لا يجب أن يُنسب إلى الجوهر، بل إلى هو خاص بالعادات والصفات، أما في الخطاب الخاص بالجوهر، فنحن لا نتكلم عن المماثلة Likeness بل عن الكينونة Identity فالإنسان -على سبيل المثال- يشبه Like إنساناً آخر مثله، ولا تقول إنه يشبهه في الجوهر، بل حسب العادة والصفات؛ لأن جميع البشر من جوهر واحد وطبيعة واحدة. وأيضاً، الإنسان لا يشبه الكلب؛ لأن الإنسان والكلب كلاهما من طبيعة مختلفة .." (فقرة ٥٣).

ويتابع المعلم الشرح:

"وإذا تحدثنا عن جوهرٍ مثل جوهرٍ، فإننا نقصد "الشركة"؛ لأن المماثلة Likeness هي خاصة أو صفة تُنسب للجوهر، وهو ما يناسب البشر؛ لأننا نحن البشر بالشركة نصبح مثل الله، ولذلك قيل: "وعندما يُظهر سنكون مثله" (١ يوحنا ٣: ٢)، أي أننا مثله Like ليس في الجوهر، بل في التبني الذي نشترك فيه" (المرجع السابق)^(١).

لكن مشكلة الأريوسية تبدو ظاهرة لنا من اللعب بالألفاظ، وهو ما يجعل القديس أثناسيوس يؤكّد:

"إننا عندما نتحدث عن الابن أنه ابنٌ بالشركة في الآب، فإننا إذا قلنا إنه مثل الآب في الجوهر، فإننا ننكر أنه الحق، أو أنه النور، أي أنه ليس الله بالطبيعة" (المرجع السابق).

الفصل الدقيق في هذا الأمر هو "الشركة"، وهو ما يجعل معلمنا يتابع شرحه:

"إن الكائنات التي تنال شركة هي "مثل"، ولكنها ليست في الجوهر، بل بالمشاهدة بالذي يشتركون فيه .." (المرجع السابق).

وطبقاً لما أشار إليه المعلم، الابن ليس مثل الآب، بل هو له ذات الطبيعة، وهو من ذات الجوهر.

(١) يا ليت هذه الكلمات تكون كافية لصرف غضب وكرهية الذين يهاجمون الشركة في حياة الثالوث.

وفي الفقرة التالية (٥٤)، يدافع عن الواحد في الجوهر:

"لهذا السبب كان مجمع نيقية على صواب عندما كتب أن الابن مولودٌ من ذات جوهر الآب، وأنه واحدٌ مع الآب في الجوهر".

وما هو معنى "الواحد مع الآب في الجوهر"؟ يشرح أثناسيوس العظيم حقاً:

"إن الابن ليس من جوهرٍ آخر غير جوهر الآب، وليس واحداً من المخلوقات الذي قُدِّم إلى الآب لينال التبني كابنٍ .. بل نؤمن أنه مولودٌ فعلاً من ذات جوهر الآب".

التمييز الدقيق لجوهر الألوهة الواحد غير المنقسم:

في المقالة الثانية (فقرة ٣٤) لا يتردد أثناسيوس في أن يرد على جنون الأريوسية، فيقول:

"إن الكائنات التي خُلِّقت والتي لها أجساد، لها مواليد ولكنها لا تأخذ أجزاء من الجواهر التي ولدت منها. فإذا كان هذا هو الواقع والحق، وأن الانقسام في الجوهر لا يحدث على مستوى المخلوقات -يسأل أثناسيوس: "كيف لا يكونوا قد أُصيبوا بالجنون وهم يتصورون وجود تجزئة، بل وألم في الله الحقيقي الذي ليس له جسد يجعله ينقسم".
فאלله لا ينقسم بولادة الابن.

وتأكيداً لشركتنا نحن في الحياة الإلهية، يعود أثناسيوس ويؤكد في الفقرة (٥١) من مقالة المجامع De Synodis فيقول:

"الابن ليس ابناً بالشركة -كما ذكرنا من قبل- لأنه بينما كل الكائنات المخلوقة تشترك حسب نعمة الله، إلا أن الابن هو كلمة الآب، وهو الكلمة الذي فيه تشترك كل المخلوقات، ولذلك هو قوة الآب الذي يؤلّه وينير، والذي فيه الكل يتألّه، بل ويقوم. ولذلك، فالابن ليس غريباً عن جوهر الآب، بل واحدٌ معه في الجوهر، لأننا بالشركة فيه؛ (الابن) نشترك في الآب، لأن الكلمة هو كلمة الآب. وتبعاً لذلك، لو كان الابن ابناً بالشركة وليس من ألوهة جوهر الآب، لما استطاع أن يؤلّهنا نحن لأنه سيكون هو في حاجة إلى التألّه".

ويؤكد ذلك أيضاً في الرد على الأريوسيين (مقالة ٢: ٧٠) حيث يقول:

"لَتَعَذَّرَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَلَّهَ لَوْ أَنَّهُ اتَّحَدَ بِمَخْلُوقٍ، لَوْ أَنَّ الْإِبْنَ لَمْ يَكُنْ إِلهًا حَقِيقِيًّا، وَلَعَجَزَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَقِفَ فِي حَضْرَةِ الْآبِ، لَوْ لَمْ يَكُنِ الَّذِي لَبَسَ الْجَسَدَ هُوَ بِالطَّبِيعَةِ كَلِمَتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ".

مؤسسة الأنبا بيشوي مطران دمياط

للكذب والتدليس^(١)

يأبى الأنبا بيشوي وكتائبه الإليكترونية إلا أن يكونوا متواجدين على الساحة. يخافون الأفول ولا يرتعبون من الدينونة المخيفة والنار العتيدة أن تأكل المضادين؛ لذلك تجدهم وقد أفلسوا، يبحثون في أوراقهم القديمة، فلا يجدون إلا ما أثبت به أيديهم، وما سبق وافتروه. فلأننا كتبنا في مقال سابق بمناسبة قرارات المجمع المقدس الأخيرة "أن الأنبا بيشوي لا يصلح لتولي مسئولية أي حوار في الكنيسة لأنه لا يتصرف كأب، بل اعتاد -قراءة أربعين عاماً- على أن يقوم هو بدور الخصم، وهو بحكم تكوينه الروحي والثقافي لا يقبل رأياً، بل ويرفض أن يسمع"، فلأننا كتبنا هذا، انبرى أستاذ اللاهوت الدفاعي عن الأنبا بيشوي، يمارس وظيفته، انطلاقاً من منصة "العقيدة القبطية الأرثوذكسية" المدشنة بيد صاحب النيافة الأنبا موسى، فلم يجد إلا إعادة نشر لائحة الكذب والتزوير والاتهام الباطل الذي لا يسنده دليل، والتي تحوي ٣٣ اتهاماً تكشف بحد ذاتها عن التلفيق والتدليس، مصرين بذلك على الاعتراف أمام الملأ بأنهم هم من صاغوا الزور محاولين إلbasه ثوب اليقين وهما وإيهاماً لبسطاء الشعب بأنهم حراس العقيدة وحماة الإيمان، وهم ليسوا إلا ذئاباً خاطفة.

ولنعد خطوة إلى الوراء، فلم يقنع الأنبا بيشوي بقرار الحرمان الأول الذي صدر عن لجنة العقيدة والطقوس في ٢٠٠٢ لأنه كان يتضمن حرمان التعليم بالشركة في الطبيعة الإلهية، وكل من ينادي أو يعلم به، ولكن الوضع اختلف كثيراً بعد نشر مقالات ودراسات عن الموضوع عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ولذلك

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣ يونيو ٢٠١٨.

سعى لأن يستصدر قراراً آخر في ٢١ فبراير ٢٠٠٧، أي بعد خمس سنوات من القرار الأول، بتوقيع ٦٦ أسقفاً فقط، دون باقي الأساقفة، ليضمن سريان القرار السابق، ولكن عن طريق سلسلة من الأكاذيب يأتي على رأسها أنني انضمت إلى الكنيسة الروسية، ثم الأنجليكانية. ولم يسأل هو ولا الموقعون معه، الأنبا شنودة الثالث عن الحقائق التي تقف خلف بعض الاتهامات الواردة في هذه اللائحة، والتي تجعل منها كذباً صريحاً وتدليساً فاضحاً، فقد زارني الأنبا شنودة أثناء الدراسة في إنجلترا ١٩٦٨ كأسقف للتعليم، وكان يعلم أنني أخذت تصريحاً بالتناول في الكنيسة الروسية من قداسة البابا كيرلس السادس. فيما بعد، وفي سعيه الحثيث إلى أن استجدي رغيف الخبز أنا وأسرتي، حاول منع جامعة برمنجهام من حصولي على وظيفة بعد سفري إلى إنجلترا في ٢٠٠٢، ولكنه لم يجد آذاناً صاغية تقبل شكايته بدون دليل. ولما انتقلت للتدريس في كلية اللاهوت في جامعة نوتنجهام ٢٠٠٤، بعث بشكوى ضدي إلى الأسقف الإنجليزي، لم تجد لها مكاناً في بلد لا يحكم إلا بدليل، وجاء الأسقف وحضر محاضراتي للطلبة وانتهى الأمر عند هذا الحد. لا أعرف لماذا كانت لديه رغبة جامحة عبر عنها صراحة للبعض في أقف على أبواب الكنائس لكي استجدي لقمة العيش، ولكن -شكراً للرب- ما كان لي من تقدير في العمل المسكوني والدراسة الأكاديمية في جامعة كمبردج، أعطاني الحصانة الكافية ضد كل اعتداء على حريتي.

وكان الأنبا شنودة يعلم، أنني وأنا مقيم في مصر، كانت معاهد اللاهوت تدعوني -تحت سمعه وبصره- للتدريس، ولذلك فالاتهام بأنني انتقل بين معاهد اللاهوت، يحمل في طياته تجاهل أنني كنت سكرتيراً لرابطة معاهد اللاهوت في مصر وسوريا ولبنان، وكان هو نفسه مع الشهيد الأنبا صموئيل قد اختار لي هذه الوظيفة قبل حضوري إلى القاهرة بعد انتهاء سنوات البعثة ١٩٧٠.

وإذا جئنا إلى ما يحتويه دفاع استاذ اللاهوت الدفاعي عن الأنبا بيشوي، من تدليس، فإننا نواجه أولاً ما ادعاه كذباً بصحة قرارات المجامع التي حرمت هراطقة مثل سابيلوس ونسطور غياييا؛ لأن هؤلاء وغيرهم لم يحاكموا غياييا؛ لأن حتى

أريوس ونسطور لم يجرما من حق الدفاع عن النفس وهو الحق الكنسي والقانوني الذي حُرمتُ أنا منه، ولذلك فإن كل قرار مبني على محاكمة غيائية هو قرار باطل لا قيمة له، والادعاء بغير ذلك كذبٌ لا يليق بمسيحي، إلا أن يكون قد باع قلبه للكذاب وترك مسيحيتَه.

أما قائمة الاتهامات التي حوت ٣٣ اتهاماً بلغت من الفجاجة والسداجة، بل والغباء حداً يجعلها لا تصدر إلا ممن حُرِمَ من العقل، وتعذّر عليه التفكير السليم. فجميعها اتهامات بلا أدلة، وسخافات لا مثيل لها، نرجو من القارئ العزيز أن يعذرنا في التعليق على بعضها:

- الادعاء بأنني قلت إن الإنسان يصير أقنوماً، هو اتهام يفضح جهلهم، لأن الإنسان عند هؤلاء ليس شخصاً ولا هو صورة الله ومثاله، والكنيسة لديهم ليست جسد المسيح لها حياة واحدة هي يسوع الرب (وليس السيد المسيح كما يقولون خوفاً من الاعتراف بالرب)، ولذلك فإن الكذب الواضح، لا يبدو فقط في غياب الدليل الموثق، بل لأنه لم يوجد بعد عاقل واحد قال أو كتب إننا نصبح مثل أقانيم الثالث.

- مهاجمة سر الإفخارستيا حسب معتقد الكنيسة في الوقت الحاضر مع الادعاء ببطلان تعليم التحول الجوهرى تحت أعراض الخبز والخمر. وهو هراءٌ يقطع بجهلهم بالتاريخ وبنصوص الصلوات الليتورجية؛ لأننا لا نؤمن بالتحول الجوهرى، بل بالاستحالة السرية، أو بالحري بنقل الروح القدس للخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه، وهكذا أثبت هؤلاء أنهم لا يعرفون حتى صلوات القداسات القبطية التي يصلونها على الأقل في أيام الآحاد.

- ما ورد في الادعاء رقم ١٣، لا يقطع فقط بالجهل بالتاريخ، بل يحول لاهوت الكنائس الإنجيلية إلى صيغ عقائدية تجعل كل من ينكر ما ورد في الاتهام بأنه غير أرثوذكسي، وهي حسب صياغة الأنبا بيشوي: "مهاجمة فكرة إيفاء العدل الإلهي بالصليب، ورفضه فكرة العقوبة ... إلخ". وقد تعذّر على الأنبا

بيشوي أن يقدم نصاً واحداً من العهد الجديد عن إيفاء العدل الإلهي، وهو ما يقطع بأن القرار الذي استصدره الأنبا بيشوي في عام ٢٠٠٧ هو جهل وفضيحة وُقِعَ عليها ٦٦ أسقفاً دون علم أو دراية.

- أما الادعاء الوارد تحت رقم ١٦ - ١٧ بعدم أهمية طلب معونة الله، وأن من ينقاد لإرادة السيد المسيح يكون مثل مطية، فهو لغو من اللغو، وادعاءً أعمى لا يمكن أن يصدر منا، وما أسهل القص واللصق ونقل عبارات مبتورة من سياقها، وهو أسلوب سبق وأن تفوق فيه الأنبا بيشوي على نفسه.

- أما الادعاء رقم ١٨ عن أن مارتن لوثر لم يهاجم الكهنوت كما تقدمه المسيحية الحقيقية، ولكنه فقط يهاجم أخطاء الباباوات في عصر الإصلاح، وبذلك يكون مارتن لوثر لم يرفض الكهنوت السليم، فهو ادعاءً مثير للدهشة؛ فلو كان المطران قد درس حركة الإصلاح، لعلم أن لوثر بالذات لم يرفض الكهنوت، بل كان الرفض ينصرف إلى رئاسة بابا روما، وهذا ثابت في مراجع وأدبيات حركة الإصلاح. والدليل على ذلك أنه بعد أن وُلدت كنائس لوثرية انشقت على روما، أقامت هذه الكنائس أساقفةً وقسوساً، وبذلك يجب أن يتجه البحث الحقيقي ليس عن رفض الكهنوت، بل عن شرعية وقانونية الكهنوت في الكنائس اللوثرية.

- أما الاتهام الوارد تحت رقم ٢٠ بأنني قلت إن الإنسان أقدس من مياه المعمودية، فهو اتهامٌ غريب يكشف عن التلفيق والجهل بأن؛ لأنه ليس في التقديس درجات، ولكن إذا كان الإنسان مقدساً بالروح القدس إلى الأبد، فإن مياه المعمودية، حسب طقسنا القبطي، تعود إلى طبعها الأول ميهاً عاديةً، وبالمثل المذبح، فبالرغم من أنه مدشن بالميرون، إلا أنه لن يدخل حياة الدهر الآتي، فقط الإنسان هو من سيقوم بمجد المسيح نفسه، وهو ما ينكره الأنبا بيشوي الذي دأب على إنكار سكنى وحلول الروح القدس فينا.

- بالنسبة لما ورد تحت رقم ٢١، فلا شك أن تأله الإنسان في المسيح كان

أحد براهين القديس أنثاسيوس الرسولي نفسه في المقالات الثلاثة ضد الأريوسيين. أما اختزال قرابة ١٩٠٠ من عمر الكنيسة وحصرها في عصر الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، والقول بأن التعليم الصادر عنهما هو التعليم الذي كان سائداً في الكنيسة طوال هذا الزمن، فهو دليل قاطع على الكذب الذي تفضحه المراجع ونصوص الآباء، وهو دليل كاشف عن الاستبداد والتسلط؛ لأنه لا يوجد شخصاً ما مهما كان يمكنه أن يقول أنا الكنيسة، خصوصاً وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه لا مرجعية آبائية لما قاله الأنبا شنودة أو كتبه، وقد اضطرت إحدى المدافعات عن الأنبا شنودة وتعليمه إلى الإقرار بهذه الحقيقة مؤخراً على صفحتها على مواقع التواصل الاجتماعي.

- ما ورد تحت رقم ٢٩، أي قبول المعمودية باسم الثالوث، وعدم إعادة المعمودية الخارجين عن الإيمان هو قرار مجمع القسطنطينية في ٣٨١ وفي الرسالة الثانية للقديس باسيليوس الكبير. وبالتالي فالاتهام الموجه لي يقطع بجمل كاتبه.

- ما ورد في الادعاء رقم ٢٨ هو ضد كلام الرب يسوع نفسه عن عدم قلع الزوان، بل تركه ينمو مع الحنطة إلى يوم الحصاد، وهو يوم الدينونة، إلى هذا الحد بلغت موجة الحق؟!!

- الادعاء رقم ٢٣، وهو الادعاء بمحاولة إثارة مشاعر الأنسات والسيدات ضد الكنيسة بسبب منع الكنيسة للمرأة عموماً من دخول الهيكل، والمناداة بإمكانية دخولها أثناء القداس الإلهي في الهيكل الذي توجد فيه الذبيحة، ومحاولة إزالة الفوارق بين وضع المرأة في الكنيسة ووضع الرجل، هو ادعاء ظاهر الخلط والتلفيق، وهو ادعاء يهودي لا مجال له في كنيسة أرثوذكسية، وإلا لوجبت محاكمة الرسول بولس الرسول لأنه هو من قال: "في المسيح يسوع ليس ذكر ولا أنثى". ولكن يبدو أن يهودية هؤلاء تبدو في شحن ذكراهم بأيام الطمث وإنكار قدسية المرأة، في حين أنه لا توجد فوارق لا في العقيدة ولا في القانون الكنسي بين الرجل والمرأة، ولم أكن أنا الذي رسمت ١٢ سيدة شماسة، بل الأنبا شنودة الثالث.

- أما الادعاء رقم ٢، فلا شك أن صادر عن شخصٍ فقد الإدراك تماماً، والحوار بشأنه والرد على مجنون إضاعة للوقت والجهد؛ لأننا بكل يقين على مثال المسيح هو الرأس ونحن أعضاء جسده.

- ما ورد تحت رقم ٣٠ بخصوص الأجساد الثلاثة، لا شأن لي به، فهو من اختراع الأنبا شنودة نفسه، وقد نقله عن كتب للدفاع عن الجسد الواحد، وكيف شاعت هذه القصة في العصر الوسيط لكي تبرهن على رئاسة البابا الروماني لجسد المسيح، وتمزيق الكنيسة الواحدة إلى كنيسة منتصرة يرأسها المسيح، وكنيسة مجاهدة يرأسها بابا روما. وحينما ينسب هذا المدعي تعليم البابا شنودة عن الأجساد الثلاثة إليّ يكون التدليس قد بلغ آخر مداه!!!

- أما ما ورد في الادعاء ٣٣ عن أن تعليم كالفن مأخوذ من ذهبي الفم، فالثابت أن كالفن تأثر بما درسه عند ذهبي الفم، وهو ما يظهر من مراجعة مؤلفات كالفن، أما أن كالفن قد اتبع ذات التعليم الرسولي، فهو ما لم يقل به أحد بالمرة سوى المجانين.

- الادعاء رقم ٩ عن القول بخلاص الشيطان، فهو ما هو منسوب إلى العلامة أوريجينوس، ولم أقل مطلقاً إن هذا هو رأي أوريجينوس، بل هو كذب الغنوسيين وافترائهم عليه.

- الادعاء رقم ١٥ عن حالة الإنسان الروحية وقت انتقاله هو ادعاء كاذب، يدحضه اللص اليمين وديماس، الذي قال للرب كلمات معدودة: "اذكريني يا رب متى جئت في ملكوتك"، وهو الإنسان الوحيد الذي وعده رب المجد بالفردوس دون باقي البشر. من يعرف حالة الإنسان الروحية سوى الله؟ ولذلك ينضم إلى هذه الكذبة ما ورد تحت الادعاء رقم ١٤ عن مصير غير المؤمنين، وهو حق الخالق وحده؛ لأن من يعرف نهاية كل إنسان سوى خالقه؟ وكأن المطران صار إلهاً يملك أن يحكم على غيره من البشر، وينزع من اله حق الدينونة.

- تأمل حجم وقسوة وفساد الاتهام رقم ٢٤، وهو أن موهبة الكهنوت

للمدعوين أما مواهب الروح القدس فهي لكل الشعب. كهنوت شعب المسيح هو كهنوت ملوكي حسب تعبير الرسول بطرس (١ بط ٢: ٩)، عندما يقول القديس بطرس الرسول: "أما أنتم فأمة مقدسة وكهنوت ملوكي"، فإن هذا الكهنوت لم ينزع الكهنوت الخاص، وحضور الشعب القداسات هو شرط لإقامة الذبيحة الإلهية لأننا نسمح بالميراث مسحة ملوكية إلهية. ولكن هذا لا ينفي بالمرّة نعمة الكهنوت التي تعطى للمدعوين من الرب لخدمة الشعب، وتنوع مواهب وعطايا الروح القدس حقيقة ثابتة لأن من أخذ من الرب عطية معينة، لا يترتب عليها أن تنفي العطايا الأخرى التي وهبت لكل جسد المسيح. وبالتالي فهو ادعاء لا يصدر إلا ممن فقد الإدراك.

- أما عدد أسرار الكنيسة السبعة، فهو عددٌ لم يُقرّر في مجامع شرقية بالمرّة، ولكن الكنيسة البيزنطية نقلت هذا التعليم عن الغرب الكاثوليكي الذي وثّق هذا الاعتقاد في مجمع ترانت (ق ١٦)، وعنه نقل الشرق كله. والمطالع للطقس القبطي يعرف أن غسل الأرجل (اللقان) هو سر من الأسرار حسب الصلوات الطقسية، وبالتالي فهذا الاتهام هو اتهام للطقس القبطي نفسه وليس لي شخصياً. هكذا بلغت ذروة الكذب إلى الحد الذي يعمى فيه كاتب الاتهام رقم ٣١ عن دراسة طقس الكنيسة التي أقامته مطراناً في غفلة من الزمان.

- ما أغرب كذب المطران، فهو يعلم جيداً إن إعادة كرامة صلوات الإكليل هي في العودة إلى المصادر الطقسية القديمة مثل طقس البابا غبريال الثامن، والصلوات القبطية التي دوّنت في خولاجي الدير الأبيض، وهو الطقس المثالي الذي أرده الراحل الكريم الأنبا يونس مطران الغربية المتنيح في زواج د. يوسف مع د. هدى في طنطا، وقامت الدنيا لأنه لم يقل: "استلم يا عريس عروستك وحلالك (الإسلامية)"، ولا: "أنت الرئيس عليها من بعد والديها"، وهي عبارة سبق أن رفضها الرجل الفاضل القمص صليب سوريال، ولكن لا مانع من حشد أكبر قدر من الأكاذيب ضد كاتب هذه السطور .

- ما ورد في الادعاء رقم ١١ بشأن التحريض على مشاهدة الأفلام وقراءة كتب غير روحية، فهو قمة ازدواجية المعايير. فقد كنا قد تعرضنا لقصص دنيا الله، وأولاد حارتنا للأستاذ نجيب محفوظ ونقد ما ورد فيهما عن الله والإيمان. ولكن السؤال: كيف يوجّه لنا اتّهام كهذا في حين أن الأنبا شنودة الثالث كان هو من سارع فأرسل برقية تهنئة للأستاذ نجيب محفوظ بعد أن نال جائزة نوبل!!! مَنْ يقبل الحجر على العقل إلا الجماعات الإرهابية؟

- إن عدم الخوض في تجربة الزواج يعدم الإحساس بوجود آخر مختلف، والذين لم يتزوجوا، أغلق عليهم التحرق فهم وجود الآخر، وتعذر عليهم أن يحبوا الآخر كأنفسهم حسب الوصية. أما الذين نالوا البتولية من الرب نفسه، فهم الذين فهموا المحبة وعاشوها، ولذلك فإن ما ورد بالادعاء رقم ٣ ليس إلا تدليس الكراهية التي تنكر علينا أن التمايز ضروري للمحبة، وهو ادعاء كاشف عن حقيقة نرجسية كاتبه.

- يكشف الادعاء رقم ٢٧ عن الخوف والرعب من دراسة اللاهوت في معاهد متخصصة، وهو الخوف الذي ركب عقل البابا شنودة ومن أحاط به من حرس كنيافة المطران. كان الدكتور وهيب قزمان قد قدم نسخة من رسالته للدكتوراه عن النعمة عند القديس أثناسيوس إلى الأنبا شنودة، ورفض الأنبا شنودة الهدية خوفاً ورعباً؛ وكانت الحجة أن الأخ وهيب درس في إنجلترا دون أن يرسله الأنبا شنودة للدراسة. كان البابا شنودة يخاف الدراسة المتخصصة، ولا زال الأنبا بيشوي يرهّب الذين نالوا قسطاً من المعرفة لم يحصل هو عليه، والدليل على ذلك هو هذا الحشد من الأكاذيب والتدليس الذي فضح فيه نفسه عندما أنكر "أبوة العلمانيين"، وهو حال كل رهبان الشركة في عهد الأنبا باخوم الذي منع رسامة الرهبان لدرجات الكهنوت في قوانين الرهبنة (راجع الادعاء رقم ١٥).

ما الذي يقبع في الخلفية الذهنية لهؤلاء؟

لم نشأ أن نعرض لباقي الادعاءات، فهي ليست إلا تفاهات عقل فارغ من المعرفة، وإن كان محشواً بالكراهية والحقد. ولكن تلح علينا بعض الأسئلة التي تثير دهشتنا وتعجبنا: لماذا يصر هؤلاء على الإمعان في الكذب والتدليس إلى هذا الحد؟ ولماذا يحرصون على اللدد في الخصومة إلى هذه الدرجة؟ هل لذلك علاقة بإصرار كل من الأنبا شنودة والأنبا بيشوي على التعليم بمعاقبة الآب للابن له المجد على الصليب؟ هل لأن كلمة العقوبة أصبحت هي الكلمة المفتاح والمدخل الرئيس في مدرسة الأنبا شنودة والأنبا بيشوي؟

لا شك أن تلك الأسئلة تجد إجابتها الشافية في انعدام الأبوة وتأليه السلطة والاستبداد النابع من عدم فهم صحيح وحقيقي، لا للعلاقة بين أقانيم الثالوث، ولا لتدبير الخلاص، بل الولاء لتعليم فاسد صار له مصطلح جديد: "البديلة العقابية"، وهو مصطلح لا تعرفه الأسفار المقدسة، ولا ليتورجية الكنيسة. وهنا لا يمكن الاحتجاج بعبارة القديس الغريغوري: "أنت الذي حولت لي العقوبة خلاصاً"، لأن الفهم الصحيح لهذه العبارة يتطلب أن توضع في سياقها الصحيح وترتيب الصلوات، فهي أولاً لا تعني الكلام على العقوبة بمعناها المستخدم عند الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، والسائد في القوانين المدنية، بل هي تعني الحكم، والدليل على ذلك أن القطعة السابقة في القديس الغريغوري تنتهي بـ "أنا اختطفت لي قضية الموت، أو حكم الموت"، ولذلك تجيء القطعة التالية لتقول لنا إن الله في صلاحه قد تدخل ليصحح الحالة التي وضع فيها الإنسان نفسه، وهي حالة الموت، أو حكم الموت، فحوّل الموت إلى فعل خلاص^(١).

بالإضافة إلى ذلك، فإنه لا يمكن مصالحة كلمة عقوبة مع الله كلي الصلاح؛ لأن كلمة العقوبة تعبر عن صورة لفظية للسادية، وهي تلذذ من يقوم بالعقاب بما

(١) ولذلك تقول بقية الصلاة: كأبٍ حقيقي تعبت معي أنا الذي سقط. ربطتني بكل الأدوية المعطية الحياة (أو حسب الترجمة المعاصرة: المؤدية إلى الحياة)، والجميل: "كراغ صالح سعت في طلب الضال" (كل هذا الجمال يتركه الساديون، ويتعشقون العقاب ولدد الخصومة)!!!

يحدثه من ألم ووجع يضرب به عدوه، في حين أن الله لا يعرف العداوة؛ لأن "الله محبة" تنفي عن الله ظلمة العداوة، وهو نفسه -حسب القداس الغريغوري أيضاً- هو الذي حل عداوة البشر، لا عداوته هو لنا.

ومراجعة العهدين القديم والجديد، تجد أن كلمة العقوبة لم ترد في أيهما، ولكن نقلاً عن اللغات الأوربية، وتحديدًا الإنجليزية جاءت كلمة Punishment من القانون الروماني، أما الكلمة المستخدمة في العهدين، فهي كلمة تأديب، وهي كلمة لا أثر فيها لسادية الله، بل التهذيب: "تأديباً أدبني الرب وإلى الموت يسلمني" حسب قول المزمور، وهو الرسالة إلى العبرانيين يؤدب كأب لا كخصم (عب ١٢: ٤ - ١١)؛ لأنه لو تحول الله إلى خصم لنا لانعدم الرجاء في صلاحه ومحبته. ومن هنا بالذات يجب أن نفهم معنى أو بالحري معاني كلمة "غضب"؛ لأنها تعني الرفض بسبب انتهاك العهد الذي قُطِع بين الله والشعب، ومع هذا يأتي ميخا النبي ليقول لنا مخاطباً الله: "مَنْ هُوَ إِلَهٌ مِثْلَكَ غَافِرُ الإِثْمِ وَصَافِحُ عَنِ الذَّنْبِ لِبَقِيَّةِ مِيرَاثِهِ! لَا يَحْفَظُ إِلَى الْأَبَدِ غَضَبَهُ فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ. يَعُودُ يَرْحَمُنَا يَدُوسُ آثَامَنَا وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ" (ميخا ٧: ١٨ - ١٩).

وعندما نترك الكلمات عن الغفران ونسيان الخطايا، ونتمسك بالغضب وحده، يكشف هذا عن عوراتنا، وعن سوء الفهم لأن مكونات هذه الصورة هي: الخوف من اله الغاضب - الشعور بالذنب الذي يفسد مخيلتنا، ويجعلنا نظن أن الله مثلنا.

بالطبع سوف يعارضنا الساديون، ولكن فيما يعارضوننا، يكشفون لنا عن خبايا أنفسهم. فقد نسي المطران وتابعوه أنهم مسيحيون قبل كل شيء، ونسوا أن "من لا يحب لم يعرف الله"، حسب عبارة الرسول يوحنا الإنجيلي.

غفر الله لك، ولكل حراس أكاذيبك، فإن كنتم قد تركتم الحق، فإن العودة إلى روح الحق ليست متعذرة، والرب يسوع ينير بصائر كل من يريد الاستنارة.

إلى الأنبا بيشوي والأنبا موسى

ماذا فعلتم بالرب يسوع المسيح؟^(١)

الخدعة الكبرى

هكذا تسير الأمور في اتجاه مضاد، فبالرغم من انتشار الترجمات العربية لمؤلفات الآباء: أناسيوس وكيرلس الكبير، لكن لا زال الكذب والخداع يُقال علناً في مؤتمرات تتجاهل تماماً قدرة ووعي جيل لا يمكن خداعه؛ لأن ما كتبه الآباء أصبح متوفراً لدى القراء بالعربية والإنجليزية وغيرها، وأصبحت كذبة "تعليم القمص متى المسكين" من السخافة والتدجيل الذي لا يتفق مع الإيمان والأخلاق المسيحية، ولكن الصلف والعناد وكبرياء الكراهية، يمنع بعض الإكليروس من التراجع عن الخطأ، والكف عن حملات التشهير التي يظن البعض منهم أنه عن طريقها يمكنه أن يربح معركةً فاشلةً أصلاً؛ لأن الحق الذي دُؤن منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة يشهد على كذبهم.

بالطبع عشرة أربعة، وربما أكثر من الإكليروس في إنكار معنى شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١ : ٣) أدت بهم وبمن يدافع عن كذبهم وإنكارهم لهذه الحقيقة إلى السقوط في بدعة نسطور دون دراية؛ لأنهم بعد أن أدركوا خطأهم لم يتراجعوا بل تبادوا في الكذب.

خلود مخلوق!!

تلك فرية كبرى ووهم صارخ وجهل فاضح؛ لأنه لا يوجد ما يسمى بخلود مخلوق. ذلك لأن كل مخلوق، حتى الملائكة، خلقوا من العدم، كما أن فكرة

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١١ يونيو ٢٠١٨.

الخلود تتناقض منطقياً مع العدم، فكيف لمن خُلِق من العدم أن ينال الخلود؟ طبعاً، نحن لا نناقش قدرة الله وقوته؛ حتى لا يخرج مهرجٌ ليقول إن الله الخالق من العدم، قادرٌ على أن يعطي خلوداً يخلقه للإنسان؛ لأن تهريجاً مثل هذا ينكر أن كل عطايا الثالوث في التدبير أُعلنت، وتعطي من المسيح يسوع ربنا بالروح القدس، وأنه بدون المسيح يسوع ربنا لا يوجد خلود.

الجدور

جاءت النسبورية بفصلٍ تامٍّ للطبيعتين. هذه حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها. فهل كان في الرب المتجسد نوعين من الخلود، خلودٌ إلهي وآخر إنساني مخلوق؟ هذه السقطة لنيافة المطران يجب أن تقوده إلى محكمة كنسية.

تأمل عزيزي القارئ، نوعين من الخلود في الرب يسوع نفسه، المصدر الوحيد لخلود وقيامة الإنسان وبقاء الإنسان حياً خالداً في الدهر الآتي. النوع الأول خلود إلهي غير مخلوق، وهو خلود الألوهة، والنوع الثاني خلودٌ مخلوق، وهو خلود الناسوت، أي إنسانية ربنا يسوع نفسه، والنتيجة أن صار الناسوت خالداً بدون اللاهوت، وصار بذلك منفصلاً انفصلاً تاماً عن اللاهوت!!!!

بالطبع لا مجال هنا لهرطقة اوطاخي؛ لأن هذه الهرطقة تقول علانيةً بأن الناسوت ذاب واختفى تماماً، فلا مجال لبحث هذا الجنون، ولكن ماذا حدث لناسوت الرب بعد أن اتحد بلاهوت الله الكلمة؟ حسبما ساد في الأربعين سنة الأخيرة ظل الناسوت، كما هو مجرد طبيعة إنسانية متحدة بلاهوت الله الكلمة. أما تأله الناسوت، أي ناسوت ربنا يسوع، فهو الموضوع الذي ورد بوفرة عند القديس أثناسيوس، ولكن ينكره الأنبا بيشوي، ومن قبله الأنبا شنودة الثالث إلى درجة التهور بالقول بأننا في العشاء السري نأخذ الناسوت وحده، وكرر نيافة الأنبا شنودة الثالث عبارة نسطور: "إن الرب لم يقل خذ كلوا هذا هو لاهوتي، بل هذا هو جسدي".

نقطة البدء عند المطران هي عدم التراجع عن اتّهامه بأن التألّه تعليمٌ مرفوض، رغم أنه معروف عند الآباء أوريجينوس - أثناسيوس - كيرلس الكبير وغيرهم، ولا توجد مدرستان - كما يدّعي المطران - مدرسة القمص متى المسكين ومدرسة الروم الأرثوذكس. هذا هراءٌ لمحاولة إبعاد الخطأ والخطيئة التي وقع فيها مع غيره بجرمان التعليم بالشركة في الطبيعة الإلهية، ويمنع كتاب "أقوال مضيئة"؛ لأنه احتوى على فصلٍ كامل عن شركتنا في ألوهية الثالوث.

ومن نقطة البداية امتد الخيال إلى الاعتراضات التي تقف أمامه، وهي:

١ - حلول الروح القدس فينا.

٢ - تناول المسيح الإله المتجسد.

٣ - الخلود والحياة الأبدية.

٤ - القيامة من الأموات وعدم الفساد في الدهر الآتي.

ولما كان حلول الروح القدس على القديسة مريم، راح يفصل ويداور حول أداة التعريف "ال" الخاصة بالروح القدس، ولما أدرك ضعف بيانه، ذهب به الخيال بأن حلول الروح القدس على القديسة مريم يعني تجسد الروح القدس، وهكذا يبقى في الحشا البتولي اثنان متجسدان: الابن والروح القدس، كأن الروح القدس بلا إرادة وأنه متى حلّ على إنسان انعدمت الإنسانية وسيطر الروح القدس، ولم يعد الإنسان إنساناً، بل إلهاً موجوداً في كل مكان قادراً على كل شيء ... الخ مكرراً ما سجّله المتنيح الانبا شنودة الثالث بنفسه من ترهات في مقالات "بدع حديثة".

متهاتات الخيال واستعلانات التدبير:

لم يكن تجسد الابن الوحيد ثمرة خيال بشري، بل هو صدمة للخيال البشري الذي لا يقوى على تصور اتحاد اللاهوت بالانسوت في شخصٍ واحدٍ، هو ربنا يسوع المسيح، اتحاد طبيعتين: إلهية والأخرى إنسانية في أقنوم واحد هو ربنا يسوع المسيح.

فما هو مصدر متاهات الخيال؟

كيف يتوه مطرانٌ وأساقفة معه بعيداً عن أساسات التدبير؟ والجواب هو إنكارٌ بائنٌ لمحبة الله للبشر. أحبنا وأخذ الذي لنا، وأحبنا فأعطانا الذي له. هذا السطر الواحد الذي نردده في التسبحة السنوية هو خلاصة التدبير (الإيكونوميا)، خطة المحبة الإلهية لخلاص الإنسان؛ لأن العبد وهو الإنسان إذا ظل عبداً، لم يتقدم ولا تحرر، ولكن الابن الوحيد أخذ صورة العبد لكي يحرر العبيد (فيلبي ٢: ٦ وبعدها)، وعندما تمجّد لم يحفظ مجده لذاته فقط، بل أعطى لنا شركة فيه. هذه هي عشرة تجسد الابن وصلبه لكي يمحو كل العوائق التي تقف حائلاً بين الإنسان والثالوث القدوس.

نظريات خارج سياق التسليم الرسولي

وثمة مصدر آخر لمتاهات الفكر، وهو خلق نظريات لا وجود لها في الأسفار المقدسة. فقد كانت نظرية أنسلم ولا زالت هي إنجيل الأنبا موسى، ذلك التعليم المزيف الذي يبدو -من الخارج- وكأنه "الخبر السار"، في حين أنه كما نقول: "السّم في العسل".

كيف تمكن إنسانٌ أن يتطلب شروطاً يجب أن تتوافر في المخلص؟ من أين جاءت هذه الشروط؟ والأمر المثير للدهشة والتعجب هو أن هذه الشروط خضع لها الآب والابن، دون أن نسمع شيئاً عن أقنوم الروح القدس، وما إذا كانت له علاقة بهذه الشروط من عدمه. وما يجب أن نلاحظه ونلفت إليه الانتباه بشدة هو أن الروح القدس هو الأقنوم الغائب تماماً عن كل ما يُسمى بنظريات الفداء والكفارة، هو غير كائن لا في فكر الذين وضعوا الشروط الواجب توافرها في الفادي، ولا في ما ينشره هؤلاء.

الرب والمخلص تحت شريعة تعليم مزيف

تأمل عزيزي القارئ المواصفات التي تبدأ بأن "خطية الإنسان (آدم) هي خطية غير محدودة"^(١) لأنها موجهة ضد الله غير المحدود.

هذا أغرب ما يُقال، ليس فقط لأن الإنسان محدود، بل أيضاً لأن الخطية هي تدمير لكيان الإنسان. فـ "موتاً تموت"، قيلت عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر.

والخطية غير المحدودة هي قراءة "مغلوبة" تماماً لعبارة المزمور ٥٠: "لك وحدك قد أخطأت"؛ لأن خطية داود كانت ضد دعوة الله ومسحته كملك دُعي لكي يكون ملكاً على إسرائيل. وهي نقض للمسحة، وهدم للرسالة أو الدعوة التي دُعي إليها، وهو العهد بين الله وداود، ولم تكن موجهة إلى ذات الله؛ لأن أفعال جميع البشر لا يمكن أن تمس ذات الله، لأن الله كما يُقال في العامية المصرية "ليس ملطشة" لكل معتدٍ.

وقد كتب الأنبا موسى نقلاً عن الأنبا شنودة إن الكلمة "حينما تجسد وتأنس، استطاع أن يوفي كل مواصفات الفادي - تلك التي عددها كلاهما - وكل مطالب العدل الإلهي"، كأن للعدل الإلهي كياناً آخر غير كيان الله، يجب أن يلي الله نفسه شروط ومواصفات ذلك العدل، وأضاف الأنبا موسى: "والحب الإلهي بأن واحد"، وترك كلاهما العدل والحب دون إيضاح.

فالعدل يعاقب - حسب الأنبا شنودة والأنبا موسى - والحب لا يعاقب (١ كو ١٣: ١-٨).

(١) وصف غير المحدود يُقال عن الألوهة فقط، ولكن ما يزال تلاميذ أنسلم ثم أوجيني دي بليسي (محاضرات في اللاهوت النظري) يرددونها بالرغم من ذلك. من الجدير بالذكر أن الأنبا بيشوي كان قد أعاد كتابة هذه المحاضرات وطبعها على الاستنسل، وكتب على الغلاف أنه هو المؤلف - لا زالت هذه المذكرة لديّ - وحينما اعترضت عليها اشتعلت نار العداوة ولم تَمُتْ منذ هذه المواجهة التي تَمَّتْ في مكتب الأنبا شنودة الثالث، على أساس أن إعادة النشر بهذا الشكل يُعد سرقة محاضرات آخر. وثانياً: ما تقدمه هذه المحاضرات من أساسيات الأرثوذكسية. لأن نشرها في مجلة الكرمة التي أسسها الأستاذ حبيب جرجس، لم يكن بقصد أن تصبح تعليماً عقائدياً؛ لأن الكرمة نشرت العديد من مقالات الأنجليكان وغيرهم كجزء من ثقافة تلك الحقبة من ذلك الزمان.

وحتى يتم مواجهة الخطية غير المحدودة، جاء الفادي غير المحدود، أي ألوهية الرب والمخلص لكي يدفع الثمن من كيانه الإلهي غير المحدود. ولا مانع عند كل الذين زاغوا وسقطوا في بالوعة ذلك التعليم المزيف بأن يقولوا إن دم يسوع المسيح، كان هو الثمن الذي دُفِعَ إلى الآب. وهكذا ترك هؤلاء الطريق القديم، وجعلوا الرب والمخلص الابن الأزلي ثمناً يُدفع لشر الإنسان. وبعد أن عجز هؤلاء عن شرح ماذا فعل غير المحدود، أي الفادي، عاد الأنبا موسى ليكتب "أن الفادي بناسوته، كان إنساناً قابلاً للموت"! (أين "غير المحدود" في هذه العبارة؟) وسفك الدم بالصليب. وهكذا ارتفع الرب يسوع على الصليب ليحمل عقاب خطايانا"^(١).

الله تحت شريعة الأنبا شنودة والأنبا موسى:

كانت شهادة القديس بولس في (فيلي ٣: ١-١٦)، ثم (غلا ٢: ١١-٢١) مثل زئير أسد أمام عصافير اليهودية الذين عادوا بعد ٢٠ قرناً من تحول بولس من اليهودية إلى الإنجيل، إلى "زفرقة" على قدر ما يصل صوتهم العالي الذي لا يقوى على تغطية زئير أسد الإنجيل، أي البشارة.

فيلي ٣: ١-١٦

- ما تعلّمه الشريعة القديمة - حسب وصف بولس - هو الاتكال على الجسد، أي ما يمكن أن يقوم به من أعمال صالحة تطلبها الشريعة، ولذلك حدد بولس ما هو الاتكال على الجسد:

- ١- مختون في اليوم الثامن - عهد الله مع ابراهيم.
- ٢- من جنس اسرائيل من سبط بنيامين ... الخ - أي من شعب الله.
- ٣- من جهة الشريعة فريسي - ملتزم بكل ما فيها.

(١) هذه العبارات تجدها في مقال رديء جداً بعنوان "تجسد ليفندي" نُشر على موقع الحق والضلال.

٤- من جهة الغيرة على تطبيق الشريعة مضطهد الكنيسة لأن قتل المرتدين مطلوب في شريعة اليهودية.

٥- من جهة ما هو حق، أي البر الذي حسب الشريعة - بلا لوم وتوقف الرسول ليقول في عبارات قاطعة: "ما كنت أعتقد أنه ربح، فهذا قد حسبته خسارة". كيف صار الربح خسارة؟

- أولاً: من أجل المسيح حسب الرسول أن كل ما سبق خسارة.
- ثانياً: إني أحسب كل شيء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربّي الذي من أجله حسبت كل الأشياء "زبالة" أو "نفاية" لكي أربح المسيح.

هنا تقف كل محاولات الإنسان أن يكون صالحاً ومقبولاً عند الله عندما يقوم بأعمال تطلبها الشريعة، وهو ما يؤكد الرسول نفسه في (عدد ٩)، وهو "الوجود في المسيح"، أي "الخلقة الجديدة"، وأضاف: "وليس لي ما هو (صحيح أو حق أو صواب) بري الذي من الشريعة"، بل بإيمان المسيح، وهي عبارة مزدوجة تقول إن ما أعلنه يسوع المسيح ربنا من قبول بلا شريعة، وهو أيضاً "البر وما هو صحيح وحق الذي من الله بالإيمان"، إن ما أعلن في المسيح يسوع ربنا هو حق.

أما باقي اعتراف بولس (٣: ١١-١٦) فهو يحتاج إلى مقال آخر ولكن ما جاء في (غلاطية ٢: ١١-٢١) جدير بأن يُقرأ أكثر من مرة.

- نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال تطلبها الشريعة.

وعندما أدخل فان ديك عبارة البر والتبرير، غاب المعنى الأصلي، وهو حسب لغة كنيسة الأقباط "الحق - $\alpha\epsilon\theta\omega\mu\iota$ " أي ما هو صحيح. ولذلك، تكفي عبارة بولس نفسه في (غلا ٢: ١٦) "لأنه بأعمال الشريعة لا يتبرر جسد ما"، أي لا يقبل أي إنسان مهما كانت أعماله صالحة.

تحدّي الرسول في (غلا ٢ : ١٧):

حسب ترجمة فان ديك: **المعضلة الأولى**: "إن كنا ونحن طالبون أن نتبرر في المسيح، نوجد نحن أنفسنا أيضاً خطاة". وهي حالة جميع ما تطلبه الشريعة وما يرفضه الرب يسوع. الشريعة تطلب الطهارة - السلوك الفاضل كله لكي يقبل الله الإنسان. أما المسيح فيطلب من الإنسان أن يقبل محبة الله للخطاة، وهو ما نراه حسب أعمال المسيح نفسه، حيث رفض معاقبة الزناة - رغم وجود شريعة الرجم. (راجع موقف الرب من الذين جاءوا بالمرأة التي أمسكت في الفعل (يوحنا ص ٨)، بل والمرأة الزانية في بيت سمعان الفريسي).

شريعة تحكم ومخلص يغفر:

المعضلة الثانية: "هل المسيح خادم للخطية" (٢ : ١٧) حاشا. غفران الخطايا هو عمل ضد الشريعة - هذا ما يخاف منه أساقفة العقوبة الذين وضعوا الله نفسه تحت حكم الشريعة.

وبرهان الرسول: هذه صرخة بولس في (عدد ١٨) "إن كنت أبني هذا الذي هدمته". ويجب أن نلاحظ أن ما هُدم هنا، ليس الشريعة، بل وساطة الشريعة كوسيط لقبول الله للإنسان. هذه "هُدِمت" بوساطة أعظم، خصّص الرسول لها الرسالة إلى العبرانيين (عب ٧ : ١١ - ٧ : ٢، ٨ : ١) "ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل"، بل العهد الأول صار عتيقاً أي قديماً وشاخ (عاجز) وهو قريب من الاضمحلال" (راجع عب ٨ : ١٣).

- "فإني وقد هدمت وساطة الشريعة، فإنني أظهر نفسي متعدياً". هذه عبارة يجب أن تهدم كل ظن وفكر يرى أن الله نفسه يعمل من خلال الشريعة لا من خلال الوسيط يسوع ربنا؛ لأنه بعد وساطة الرب لا توجد وساطة أخرى، فهو "الوسيط الواحد".

كيف عاد هؤلاء إلى شريعة خلقوها من لا شيء:

١- من الذي أعطى هؤلاء شروط يجب أن تكون متوافرة في الفادي؟

٢- لماذا غاب شرط "محبة الله للبشر"؟

٣- كيف عملت المحبة مع العدل (العدل العقابي)؟

لم نسمع من هؤلاء منذ أن أطلقوا هذا التعليم الفاسد رداً، أي منذ قرابة ٣٠ عاماً وأكثر، ولن نسمع، ولكن العدل (هو ما هو حقيقي) ليس هو العدل العقابي الذي كُتب في كل شرائع الأرض؛ لأن عدل الله هو ما هو حق وصحيح عن الله، وهو ما دون في شريعة العهد الأول أو العهد القديم. والحق أو البر هو جانب من العهد.

الكتاب المقدس الموجود وغير المعروف:

يغيب عن هؤلاء نص الكتاب المقدس، فهو غير معروف، والذي يعرفونه هو "التأويل"، وكل حلقات الشجار هي في دائرة التأويل، ولا يوجد لدينا تأويلٌ قرأ أصحابه التاريخ الكنسي نفسه، وإلا كيف وضع هؤلاء هذه الشروط الواجب توافرها في الفادي؟ وغياب نص الكتاب أهدر حقيقة هامة في التعليم الرسولي، وهي أن الرب يسوع هو "آدم الثاني" الذي منه وفيه، وليس منه فقط، بل فيه تقوم وتحيا الخليقة الجديدة. ولديهم أن دائرة التأويل دائرة مغلقة ممنوع فحصها، ومن يتجاسر يجد عداوةً وتهديداً بالمنع من الخدمة أو التناول. هي دائرة خاصة بالعبيد الذين لا يتجاسر واحدٌ منهم على طرح سؤال، وهي دائرة لها اسم غريب على المسيحية، وهو "ابن الطاعة"، وعندما نقول إنه غريب عن المسيحية؛ فلأننا أولاد الله ولسنا أبناء لصفة مهما كانت. وبالتالي فهو اسمٌ يهدف إلى تغيير "الهوية"، والويل لمن يحاول أن يخرج من هذه الدائرة، فقتل مثل هذا الشخص سهل جداً؛ لأنه هرطوقي ومبتدع، وهو نفس سلاح التكفير استعاره الارهاب من الجماعات المسلحة.

الفجوة بين جيل وجيل:

الذي صنع هذه الفجوة هو جيل تولى القيادة ولديه:

١- فراغٌ معرفي، فهو لا يعرف إلا ما طفا على سطح التعليم المعاصر الذي بلا تاريخ.

٢- تحول الكهنوت عند القيادات إلى ولاء لمن أعطى الكهنوت، فسقط كهنوت الرب يسوع نفسه وحل محله كهنوت الأنبا شنودة، ولذلك سقط كل من أخذ الكهنوت من الأنبا شنودة، وليس من المسيح، في تجربة الولاء لمن وهبه الكهنوت، وصار هؤلاء ينادون بـ "تعليم الأنبا شنودة" وهو بالفعل تعليم آخر، غير التسليم الكنسي.

٣- واستخدم هؤلاء اسماً آخر: "العقيدة القبطية الأرثوذكسية" لخداع البسطاء، وهكذا حلَّ الانتماء العرقي، لا إلى المسيح نفسه معلم الأرثوذكسية ورأس الكنيسة ومؤسس التسليم الكنسي نفسه.

إن نمو واتساع جيل الباحثين هو أمل من آمال الخروج من بالوعة عصر الفضائح، وعصر هجوم الإسفاف والجهل على رموز الأرثوذكسية. وحرب اليأس التي تمارس ضد هذا الجيل، هي مثل زوابع أمشير سوف تنقضي بخراب، ولكن من هذا الخراب سوف يتم ما نصلي لأجله دائماً: "سلاماً وبنیاناً لكنيسة الله".

هل من نهاية لهذا الخراب الذي يقوده الجهل لغرس الكراهية والبغضة؟^(١)

فليعلم الذين يعترضون على إقامة قداس كاثوليكي بدير السريان العامر أنه في سنة ١٩٧٣ زار أول بابا للإسكندرية، روما، وحضر القداس الكاثوليكي، واستلم ذخائر القديس أثناسيوس، وجلس أمام المذبح مع قداسة البابا بولس السادس. وفي يوم الأحد صلى الوفد قداساً قبطياً في كنيسة القديسة مريم في روما، وهي أحد كبرى الكنائس الكاثوليكية. وسبق ذلك أن صلى قداسة البابا شنودة في كنيسة القديس اسطفانوس الكاثوليكية في فيينا، وكان عيد نياحة القديس الأنبا بولا أول السواح، أثناء انعقاد اجتماع الكنائس الشرقية. في هذا الوقت لم تقم الدنيا ولم تقعد لأن بطريرك الكنيسة القبطية صلى في كنيسة كاثوليكية، فلماذا هذا التمييز والفرز؟ ألا يعرف هؤلاء المتباكون زوراً وبهتاناً أن العرف المتبادل قبل بناء كنائس قبطية في المهجر، هو الصلاة في كنائس الروم أو الكاثوليك.

لا أدري سبب ذلك الافتراء وتحويل الأمور، إلا أنه حسب المكتوب عن ربنا يسوع نفسه، أنهم "كانوا يراقبونه بمكر لكي يصطادوه بكلمة"، وهكذا بدأ عصر اختراع الأخطاء لا تصيدها؛ لأنها لا وجود لها إلا في عقل الصائد أو الصيادين.

ماذا حدث لدير السريان، أو أحد مذابح دير السريان، عندما صلى الوفد الكاثوليكي قداسهم، هل كفَّ الدير عن أن يكون ديراً، ومذبحه عن أن يكون مذبحاً؟ هل أصبحت الممارسة الطقسية نافية للإيمان؟ في المسيحية، الإيمان "هو عطية الله" كما قال رسول رب المجد بولس، أما الطقس فهو الانضباط العقلي والإرادي الذي ينقلنا إلى مجالات استعلان الثالوث القدوس "من الآب بالابن في الروح القدس" حسب تسليم الآباء أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير، فهل ممارسة الإنسان تُبطل نعمة الثالوث؟ هل صارت لنا القوة أن تُبطل نعمة الله؟ هذا فكر

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ يونيو ٢٠١٨.

الجماعات الإرهابية الذي هو خراب حقيقي للضمير والقلب الذي يعتبر الممارسة الإنسانية أكبر وأقوى من نعمة استعلان الثالوث وهبة الايمان!!!

وثمة أمر آخر حزين، وهو المبارزة بكلمات الوحي بين الأنبا أبانوب والأب مكارى يونان. ليس بجمع نصوص من الأسفار تظهر الحقيقة، فهذا ما يعود بنا إلى الشريعة، ولكن الغائب عندنا هو الوعي بأننا أبناء الله وأخوة الرب يسوع وورثة الملكوت، حتى وإن كانت لنا خطية أو خطايا؛ لأن خطية الانسان لا تُسقط بنوتنا لله الآب في يسوع المسيح. إن نفي هذا الوعي بالترديد الدائم لعبارات مثل: "أنا خاطئ"، هو بمثابة تدمير للوعي؛ لأن "أنا" هي صورة الله فينا، و"أنا" هي أنا البنوة، ولأن الخطية مهما كانت، ليس لها وجود أبدي؛ لأن الوجود الأبدي هو هبة الله في يسوع المسيح: "هبة الله هي حياة أبدية في المسيح يسوع".

ويبقى السؤال: متى يتوقف هذا الخراب الذي يقوده الجهل، ويجعل من الكنيسة، ليست الكنيسة المقدسة، بل التي ترفض التقديس، وتضع مكانه الخطايا لكي يستقر الوعي في الذنب والاثم، فلا يتقدم إلى نعمة الله التي مُنحت لنا جميعاً؟ ما أفطع أن يحل الطقس محل الإيمان، وأن يحل ما هو إنساني محل ما هو إلهي، وهو ما نراه في عراقٍ آخر عن طقس رشم الصليب؛ لأن وضع اليد على اليمين عندنا هي الانتقال من الظلمة والدينونة إلى يمين الآب، وعند الروم ينتهي رشم الصليب بوضع اليد على اليسار حيث القلب؛ لأن عطية الروح القدس هي في القلب. الإيمان واحد، والطقس مختلف، ولكن حلول الطقس محل الايمان هو عودة إلى الشريعة لتنفى نعمة الله الآب بالابن في الروح القدس.

صورة الله في الإنسان

عند العلامة مطران دمياط^(١)

مقدمة

في مايو ٢٠١٦ كتب الأنبا بيشوي مطران دمياط رداً على كتاب اللاهوت الأرثوذكسي في القرن الحادي والعشرين، نشره على موقعه الرسمي، جاء في ص ٤ منه: "الإنسان ليس هو صورة الله، بل "على صورة الله"، لقد خلق الله الإنسان على صورته. "على صورة الله خلقه" (تك ١: ٢٧)، أما المسيح فهو الوحيد صورة الله غير المنظور" (كو ١: ١٥). كيف يتجرأ أحد ويقول أن الإنسان غير مُدرك؟! هذا ضلال شيطاني؟!"

وهكذا، بجرة قلم شطب العلامة الأنبا بيشوي كلمات سفر التكوين حسب العبرانية. ولكن بما أن المطران يؤمن بأن النص هو ما يصنع الحقيقة، وأن ترجمة فان ديك هي بمثابة تنزيل؛ لذلك فهو لا يعرف لهذا الترجمة بديلاً، ولذلك كان سهلٌ عليه الانزلاق في الأخطاء. وبمراجعة الأصل العبراني والترجمة اليونانية ندرك أن استخدام «على» أو «في» لا يغيّر، لا المعنى ولا الحقيقة بالمرّة:

- "على صورة الله" هي ترجمة فان ديك،

- و"في صورة الله" هي الأصل العبراني: «خلق في صورة الله ومثاله» (تكوين ١: ٢٧ - בבלם - ب ص لام ميم).

وحسب النص اليوناني في رسالة يعقوب: "حسب شبه الله - καθ Ομίωσιν" (٣: ٩)، وعاد سفر التكوين ليؤكد: "على صورة الله خلقه" (تك ١: ٢٧). حسب ما هو ثابت في الفقه الإسلامي النص يؤسّس كل شيء، وحسب ما هو ثابت في المسيحية الأرثوذكسية الحقيقة تسبق الحدث، وبالتالي

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٣ يوليو ٢٠١٨.

الكلمة أيضاً، وعلى ذلك النص يعبر عن العلاقة؛ لأن تجسد ابن الله لم يكن نصاً، بل علاقةً وشركةً وحياءً عبّر عنها النص، ولذلك لا تؤخذ الحقيقة من النص، أو من النصوص، وإلا لماذا التجسد؟!

فالإنسان صورة الله لأنه دُعي إلى حياة أسمى من الحياة البيولوجية.

ونلاحظ أن نيافته أهمل كلمة "مثال"، والمثال تعني أن الله "أعطاهم، أي البشر شركة في قوة كلمته" (تجسد الكلمة ٣: ٣) بل هكذا كتب العظيم أثناسيوس: "الإنسان فإن بطبيعته لأنه خُلِق من العدم، إلا أنه بسبب خلقه على صورة الله الكائن، كان ممكناً أن يقاوم قوة الفناء الطبيعي" (تجسد الكلمة ٤: ٦) وحسب الأصل اليوناني لنص أثناسيوس: "κατὰ εἰκόνα - حسب صورته".

نفي "الصورة" حسب الترجمة:

لا يُنقذ نيافته الاحتماء بأي ترجمة، ولا حتى بالعودة إلى الأصل العبراني أو اليوناني؛ لأن الجدير بالبحث هو لماذا وردت كلمة "صورة"؟ النفي حسب الترجمة لا يشرح سبب استخدام كلمة "صورة"، وهي مرادف لكلمة "مثال"؛ لأن الإنسان أُعطى حياة إلهية تجعله مثل ظل الكلمة أو اللوغوس (تجسد الكلمة ٣: ٣). وتأكيد أن الرب هو "صورة الله غير المنظور" هو تأكيد سليم، ولكنه كُتب من أجل نفي خلق الإنسان على صورة الله. منهج النفي هذا أخذه نيافته عن الأنبا شنودة الثالث الذي كان ينفي ما يتعارض مع فكره بأسلوب ساخر أحياناً، مثل لو كانت الكنيسة جسد المسيح، فهل تسجد الكنيسة لنفسها حسب كلمات القداس، أو هل تأكل الكنيسة نفسها، وعبارات أخرى مماثلة سبق أن تعرضنا لها في مقال نشرناه على موقع الدراسات القبطية بعنوان: "الكنيسة جسد المسيح ..".

الإيمان الذي يبدأ بالنفي هو مثل الشهادة الأولى "لا إله إلا الله"، وهو من ثوابت الدين الحنيف، لكن الإيمان في المسيحية استعلان، وليس نفيًا. وذلك ليس لأن الاستعلان هو فقط ضد النفي، بل لأن الاستعلان دائماً إيجابي: "أنا هو

الطريق والحق والحياة"، أو: "الذي رأيناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١ يوحنا ١ : ٣-١)، أو عبارة رسول المسيح: "الايمان هو الثقة بما يُرجى والايقان بما هو غير مرئي أو بأمور لا تُرى. بالايمان نفهم أن العالمين أُتقنت بكلمة الله ... " (عب ١١ : ٣-١)، و"الفهم" المشار إليه في النص السابق، ليس سلباً أو نفياً؛ لأن التجسد لا ينفي إلا في حالة واحدة، وهي نفي التعليم الأوطاخي، أو نفي إنكار اتحاد الطبيعتين "بلا اختلاط أو امتزاج أو تغيير"، ومع ذلك فقد جاء نفي شُبّهات الإنكار بما هو إيجابي، أي لم يحدث اختلاط، بل اتحاد، ولم يتغير اللاهوت إلى ناسوت حسب أي نصوص أخرى تتعارض مع الإيمان المسيحي.

التعدد ليس رقماً، بل تنوع الطبيعة الوالدة:

كتب رسول الرب: "الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا نشترك في الجسد الواحد (١ كو ١٠ : ١٧).

هل لاحظ القارئ عبارة "نحن خبزٌ واحد"، أم أن التأويل المعاصر سيضرب النص؟ ولكن ليست العبرة في النص، بل "نحن خبز واحد" لأن ابن الله تجسد وصلب وقام "لكي يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١ : ٥٢). وتأمل -عزيزي القارئ- اعتراض الأنبا شنودة الساخر: هل أخذ الرب يسوع جسد يهوذا وجسد قيافا .. الخ. ثم يسأل: وهل كل أعضاء الكنيسة قد ولدوا بغير أب مثل المسيح بعمل الروح القدس؟! هل صار للمسيح أخوة أشقاء بالملايين؟ (جسد المسيح ص ١١). حتماً نحن نولد بدون أب في المعمودية بالروح القدس، وصرنا فعلاً أخوةً كثيرين حسب قول الرسول بولس في (رو ٨ : ٢٩). ونلاحظ أن قداسته أضاف كلمة "أشقاء" من عنده لكي تزداد حلقة السخرية والاستنكار.

يقول الرسول: لأننا "مشابهين صورة ابنه" (رو ٨ : ٢٩)، ونلاحظ هنا أن المشابهة هي في "الصورة" التي أنكر وجودها نيافة المطران، والشَّبّه ليس هو الأصل، بل هو "ملامح الأصل" مع تمايز الأشخاص. هذه الملامح هي:

- جسد مجده (فيليبي ٣ : ٢١).
- جسد عدم فساد (١ كو ١٥ : ٤٢).
- جسد القوة (١ كو ١٥ : ٤٣).
- جسداً روحانياً (١ كو ١٥ : ٤٤).

ومهما كان عدد البشر، فإن الرقم ليس هو المقياس أو المرجعية؛ لأننا يجب أن نقارن الروحيات بالروحيات حسب وصية رسول المسيح: "نحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يُعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات"، ثم أضاف الرسول: "الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة" (١ كو ١٢ : ١٢-١٤). وكم حُكِمَ بعض الذين اختلسوا الأسقفية بما هو حسب الإنسان الطبيعي؟ رحم الرب أستاذنا الجليل بقطر شحاتة، الأستاذ السابق في تفسير الكتاب المقدس؛ لأنه نقل إلينا هذا التسليم الرسولي، الذي قدّم لنا مقارنة عن الانسان الطبيعي الذي يحكم بمنطق العالم، لا بقوة ومنطق الروح القدس القائم على مقارنة ما هو جديد بما هو جديد، إلى الروحيات بالروحيات، لا سيما هو قدم وماتت في الحلقة الأولى بالجديد في الحلقة الجديدة في المسيح يسوع.

المسيح صورة الله غير المنظور (كولوسي ١ : ١٣-١٦):

هذا هو أساس تحديد الصورة الذي قدّم الرسولي مثلاً عنه في (تجسد الكلمة فصل ١٤ : ١-٢) وهو الصورة المرسومة على قماش ... ثم تلطخت هذه الصورة من الخارج بالأقذار مما أدى إلى اختفاء ملامحها، ففي هذه الحالة لابد من حضور صاحب الصورة نفسه ثانية لكي يمكن إعادة تحديد الصورة على نفس قماش اللوحة .. بل يجدد الرسم عليه مرةً أخرى .. فقد أتى إلى عالمنا كلي القداسة ابن الآب، هو صورة الآب لكي يجدد الإنسان الذي خُلِقَ على مثاله (وليس "على صورته" حسب الأصل اليوناني رجع النص ص ١٦٦ الذي نشرته جامعة أوكسفورد 1971 Oxford Early Christian Texts) ويخلص ما قد هلك بغفران

الخطايا". ثم يضيف القديس أناسيوس إن الولادة من الله ليس كما ظن اليهود، ولادة من امرأة، بل "قصد التحدث عن ميلاد النفس وتجديد خلقها حسب الصورة *κατὰ εἰκόνα*".

وعندما قدم الرسول بولس تأكيد ما هو خاص بالابن، فقد حدد عدة نقاط هامة تحتاج إلى دراسة (قادمة):

- الآب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور، والنور هو شركة الألوهة حسب تعبير رسول الرب يوحنا "الله نور وليس فيه" "ظلمة بالمرّة" (يو ١ : ٥).

- الذي أنقذنا من سلطان الظلمة (حسب فان ديك) (الفعل اليوناني يعني أيضاً حررنا)، وسلطان الظلمة هو الموت والدينونة.

- ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، وابن المحبة الأبوية لله الآب لا يجعل المحبة مجرد صفة، بل هي حياة الله الآب نفسه.

- الذي لنا (في المسيح ليس المسيح يسوع فكرة، بل أقنوم أي شخص) الفداء (وليس مجرد فدية دُفعت لله الآب) بدمه (أي بحياته الفاعلة فينا) غفران الخطايا وهو ليس مجرد العفو بل *ατίσλῶρσιν* التحرر من سلطان الخطية.

- الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة وصورة الله غير المنظور هي "من رأي فقد رأى الآب"، و"أنا والآب واحد" (يو ١٠ : ٣٠) هو استعلان الآب لنا "أنا في الآب والآب فيّ" (يوحنا ١٠ : ٣٨)، والذين عرفوا يسوع صاروا أبناء النور (يو ١٢ : ٣٦) لأنه هو نور العالم (يو ١٢ : ٤٦).

- البكر ليس فقط البكر، بل "بكر كل خليقة"، وهو ليس من الخليقة كابن وكصورة الآب أو رسم جوهره [وحرافياً رسم أقنومه] (عب ١ : ٣٠) والتمييز "بين الجوهر والأقنوم" هو تمييز لفظي دفاعي يعبر عن حقيقة أزلية (أزل سريرية الأصل وتعني عربياً ما هو أبدي)، ولأن الرسول كتب: "فيه خُلِقَ الكل"، وبعدها "الكل به وله قد خُلِقَ"، فهو ليس من هؤلاء الكل، أي العروش أم السیادات ... الخ

لأن فيه كانت الحياة"، وهو مصدر الحياة، هو البكر الوارث حسب التسليم العبراني لكل ما للآب، وهو ما نقله الرب إلينا "دفع إليّ كلّ سلطانٍ مما في السماء وعلى الأرض" (متى ٢٨ : ١٨). وحقاً هو البدء "متقدم علينا في كل شيء، ولكن نحن من ملئه جميعاً أخذنا والملاء هو الكمال، ولا علاقة للملاء بالمحدود أو غير المحدود، فهذا جهلٌ بمعنى كلمة "ملاء"، ولذلك عندما كتب الرسول: "ونحن جميعنا ناظرين بمجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢ كو ٣ : ١٨)، ولأننا صورة الله فعلاً، فإننا نتغير إلى صورة المسيح نفسه "الصورة عينها".

كم هو مريعٌ أن نهدم الأساس الإلهي لحياة الدهر الآتي، ونتهور في الكلام على أنها حياة مخلوقة، كما سبق وأن أفتي نيافة المطران بأن الحياة الأبدية نفسها حياة مخلوقة، وإضافة "مخلوق" إلى مخلوق، هي بلا فائدة وبلا قيمة؛ لأن تلك "الصورة عينها"، أي صورة الابن ليس مخلوقة إلا في الأريوسية.

اللعب بحروف الجر:

تلك لعبةٌ قديمةٌ تكلم عنها القديس باسيليوس في كتابه الروح القدس، وهي لعبة سيادة النصوص التي لا تُفهم إلا من خلال العلاقة والاستعلان (سبق لنا أن نشرنا هذا الموضوع) وهي لعبة تغنن فيها المهرطقة، ولكن حروف وكلمات مثل: "على" أو "في" أو "حسب"، و"حسب - κατά" هي كلمات يسمعه كل قبطي إذا سمع الإنجيل يقرأ باللغة القبطية؛ لأن الإنجيل هو "حسب متى"، أو "حسب لوقا" .. الخ. و"حسب" لا تضرير بالمرة الشهادة، كما أن "على" إذا قُدِّمَت كدليل على أن الانسان ليس صورة الله، فهي تحذف تجسد الله الكلمة كما مر بنا، وأظن أن نيافة العلامة -غفر الله له- لم يدرك هذا.

تُرى هل هناك أحد يمكنه أن يقدم نصيحة حكمة لنيافة الأنبا بيشوي؟ أتمنى ذلك له لخيره الخاص وخير أم الشهداء.

هل أصبح التأويل عقائد؟^(١)

لعل الجيل الذي تربى في زمان رئاسة الأنبا شنودة، تربى على التأويل الأحادي، أي الرأي الواحد؛ لأنه راية الولاء، وهو الجيل الذي رفع راية "تعليم الأنبا شنودة الثالث"، لكي يخلق أكبر قدر من الصدام والإقصاء لكل من لا يشاركه ذات التأويل الشنودي الواحد.

الولاء والبراء ليس سوى شعاراً سياسياً يحاول أن يأخذ من الدين الحنيف ستاراً يمنحه الشرعية، وهو ما سار عليه من تربى تحت شعار "تعليم الأنبا شنودة الثالث"؛ وقياساً على الواقع المعاش بعد ظهور حسن البنا وقطب وآخرين، يرفض كل من اختلف معه إلى حد أنه لا مانع من قتله، لأن الولاء للمرشد أو لأمير الجماعة، هو ولاءٌ لله الخالق، وبالتالي لا يجوز لرأي آخر أن يُطرح لأنه سيكون عندئذٍ بمثابة خروج عن الولاء.

العقيدة والتأويل

لا خلاف حقيقياً بين الأب متى المسكين، والأنبا شنودة الثالث من حيث الإيمان، فكلاهما يؤمن بما جاء في قانون الإيمان. كلاهما يؤمن بأن الرب يسوع هو الفادي الوحيد، والمخلص الذي لا مخلص سواه. ولكن الخلاف يقع في منطقة التأويل أو الشرح، وهي منطقة تتعدد فيها الآراء. وإذا أردنا تتبع متى وكيف نشأ تعدد الآراء حول صلب المسيح على سبيل المثال، لوجدنا الجواب في كتب تاريخ العقيدة المسيحية، وهي تلك الكتب التي تُدرّس في كل معاهد وجامعات العالم إلا معاهدنا. وكون أن المسيحية الأرثوذكسية لا تعرف الرأي أو التفسير الأحادي، فتلك حقيقة تجاهلها الذين ولدوا وعاشوا عصر الإصلاح في القرن السادس عشر في أوروبا، ولذلك قدّم لنا هؤلاء -على قاعدة رفض تعليم كنيسة روما الكاثوليكية-

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٧ أغسطس ٢٠١٨.

تعليم "التبرير بالإيمان" (رو ٣ - ٥)، بمثابة قانون إيمانٍ آخر يشرح كل ما جاء في العهد الجديد، واعتبر هؤلاء أن كل من لا يتفق معهم غير مسيحي. من هذه الفجوة التاريخية وُلِدَ ما صار يُعرف بلاهوت القديس بولس Pauline Theology والذي بُني بشكل منحازٍ على بعض رسائل القديس بولس: رومية - غلاطية - كولوسي، بل ودار صراعٌ حول نسبة الرسالة إلى فيليبي والرسائل الأخرى إلى الرسول بولس نفسه، وهو انتقاءٌ افتقر بالدرجة الأولى إلى ما ساد في التاريخ الكنسي، وبالتالي صار دعاة لاهوت بولس يفرضون تأويلهم ورأيهم بكل عنف فكري حتى على التاريخ نفسه! دون أن يكون هؤلاء يجهلون التاريخ ولا شهادة البرديات ولا شهادات آباء الكنيسة في العصر الرسولي وما بعده.

هكذا وُلِدَ الولاء لمدارس لاهوتية لا تسمح بالرأي الآخر، إلى أن جاء القرن العشرون بمراجعات شاملة لكل ما بُحِثَ ونُشِرَ، وأدى التجديد إلى الاعتراف بالأخطاء السابقة. أما عندنا في مصر، حيث وقعت الكنيسة القبطية بين فكي الإرساليات الإنجيلية والكاثوليكية، فقد انتهى بنا الأمر إلى الولاء بالتمسك بالتأويل الواحد.

الأمثلة الصارخة

لعل الجدل الذي يعرفه أغلب القراء حول التحول الجوهرى، والتحول السري، كشف عن رفض اللذين اعتنقوا التعليم الكاثوليكي للتحول الجوهر استناداً إلى ما سَطَرَ في القداسات الأرثوذكسية قاطبةً، وما ورد في كتابات الآباء الشرقيين. وبالمناسبة، فقد كان هذا الموضوع هو محور أول حوار مع الأنبا شنودة وأسقف دمياط وكلاهما معاً رفضا حتى ما جاء في كتاب الصخرة الأرثوذكسية للأستاذ حبيب جرجس، وما ورد في عظات القديس كيرلس الأورشليمي للموعوظين. وأصبح التمسك بالتعليم الكاثوليكي هو علامة الولاء للمعلم، أو لمن أطلق عليه أحد التابعين: "معلم الأجيال"، وأصبح مجرد تقديم الرأي التاريخي الموثق من الليتورجيات والآباء الشرقيين، بمثابة هرطقة.

ونفس ما حدث في موضوع التحول الجوهري، حدث في موضوع الخطية الأصلية، وفتح الأنبا بيشوي النار على كتاب وبحث ممتاز عن القديس ساويرس الأنطاكي للدكتور جورج فرج لأن ما ورد عند ساويرس الأنطاكي يخالف تأويل المطران، وهو تأويل يجب أن يُفرض بكل عنف حتى على التاريخ نفسه.

القمص متى المسكين يرد على القمص متى المسكين

هذا عنوانٌ ورد في كتابات من يكره ويعادي الأب متى المسكين، بل وصل جفاف العقل وانعدام المعرفة حتى باللغة العربية إلى درجة أنه لا يعرف أن فعل ينقض يعني الإلغاء لا الاختلاف. وإذا كان الأب متى قد أفلت من قصص الرأي الأحادي، وقدم عدة آراء أو تأويلات لموت الرب المحيي، فهو لم يفرض على القارئ الذي لا يؤيده الإقصاء والتشهير، وهو ما درج عليه الذين رفعوا راية "تعليم الأنبا شنودة". ذلك أن التعدد سمة من سمات النضوج والحرية، وهو ما يتعارض بشكل واضح مع الهوة التي سقط فيها دعاة الرأي الأحادي؛ على اعتبار أن من لا يقبل تأويل الأنبا شنودة يعد هرطوقياً، ولم يلاحظ الذين رفعوا راية "تعليم الأنبا شنودة" أن محاكمات الإعلام والفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي ليست هي مجمع أي كنيسة لها تاريخ وتسليم ثابت. وتعدد الآراء في كتابات الأب متى المسكين لا تجعل من الأب متى هرطوقياً، أو أنه يناقض نفسه؛ لأنه مر بمراحل نضوج كل ناسك ومعلم، وهو لم يفرض شرحاً معيناً على القارئ، بل قدم أكثر من رؤية مختلفة لحقيقة إيمانية واحدة، وهي موت الرب عنا أو لأجلنا. وعندما شرح موتنا نحن مع المسيح، فقد شرح رؤيا الرسول بولس نفسه التي استغرقت رسالة غلاطية كلها، وعندما اجتهد لتقريب الكلمة القرآنية التي دخلت عندنا مع ترجمة فاندليك: "البر - التبرير"، وقال إنها تعني البراءة من حكم الموت، فقد كان يعيد ما سبق أن كتبه القديس بولس نفسه: "لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع" (رو ٨: ١). وكان الرسول بهذا قد حدد موقفه من حركة التهود التي نقدها في (رو ٧). ورغم ذلك، فقد فتح عليه الأنبا شنودة باب النقد في محاضرات القسم المسائي، وجاء التابعون له ورفعوا راية "تعليم الأنبا شنودة".

متى يصبح التأويل خطأً يجب الرد عليه؟

أولاً: إذا هدم عقيدة أخرى، مثل وحدة جوهر الثالوث القدوس، ومساواة الأقانيم في الثالوث القدوس أساس إيماني لا يمكن المساس به. فإذا كان دفع ثمن الخطايا البشرية على الصليب يهدم وحدانية جوهر الثالوث ومساواة الابن بالآب، أصبح التأويل مرفوضاً لا يجب الدفاع عنه؛ لأن الولاء الحقيقي هو للإيمان لا للأشخاص.

ثانياً: إذا نقض التأويل ما هو ثابت في الممارسة، أي ما يمارس من صلوات وطقوس الكنيسة أم الشهداء وغيرها من الكنائس الأرثوذكسية.

الدم في ذبيحة سر الشكر هو دم ربنا يسوع المسيح. هذه هي عقيدتنا، ولكن عندما يتحول دم الرب -في تأويلهم- إلى ثمن يُدفع للآب، يترتب على ذلك:

١- هدم تأكيد إعطاء الدم للمؤمنين في سر الشكر؛ لأن ما في الكأس هو ثمن الخطايا لا الحياة الأبدية.

٢- إغفال الرؤيا الثابتة بأن الإفخارستيا هي عطاء الجسد والدم، لا الدم وحده، في حين أن هؤلاء لم يذكروا أي شيء عن إعطاء جسد الرب نفسه؛ لأن الابن له المجد لم يتجسد ليكون دماً بلا جسد. والقداستات الأرثوذكسية تحرص على تأكيد: "جسد حقيقي ودم حقيقي"، فلماذا أهملوا الجسد؟ أعتقد أنه جهل التأويل الذي لم يستلم الإيمان من الممارسة، أي من صلوات الكنيسة والسرائر.

٣- يفقد رسم الصليب معناه الثابت -بغير ترتيب- في الكتابات النسكية، وقبل ذلك في صلوات المعمودية ومسحة الروح القدس التي تعطى بـ ٣٦ صليباً، وفي لبس الإسكيم الرهباني، وفي رسم الذبيحة عند استدعاء الروح القدس. لأن الصليب ليس علامة لعنة، ولا هو علامة دفع ثمن للآب. ومراجعة دورة عيد الصليب تؤكد لنا المصالحة بصلاح الآب والابن والروح القدس.

كان يمكن مراجعة أي تأويل مهما كان قائله في اتزان ومحبة، ولكن الولاء

لأمير الجماعة لعب دوره السياسي في خلق شيعة تدافع عنه في الكنيسة ؛ لأنه كان يشعر في أعماق قلبه أنه اغتصب كرسي مار مرقس، وأن اتهامه بالهرطقة - وهو سهل" وميسور - يهدد جلوسه عليه، وقد ظهر ذلك من عدم الرد على كاب "القدّيس أثناسيوس الرسولي في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي"، ولكن اشتعلت نار حملات الميكروفونات، ولم يظهر رد واضح سوى أن ما ورد في الكتاب مخالف لتعليم الكنيسة، والمعنى الحقيقي أنه مخالف لرأي الأنبا شنودة، لا سيما ما ظهر بعد ذلك في كتاب "بدع حديثة"؛ الذي حكم على كل من يخالفه بالابتداع دون أي مواجهة في مجمع، وعندما حانت الفرصة جاءت الأحكام الغيابية بالحرمان والقطع.

ولكن كان حرق بعض كتب الأب متى المسكين أمام الكنيسة الأثرية للقدّيس الأنبا رويس، علامة واضحة على أن ما يردده الأنبا شنودة هو التعليم الأرثوذكسي. وبالتالي يكون ما ورد في كتب الأب متى عن حلول الروح القدس بمثابة تعليم غير أرثوذكسي. وهكذا يكون الأنبا شنودة قد حذف تماماً ما ورد في الممارسات القبطية وبالذات في الأسرار، لا سيما أسرار الانضمام إلى الكنيسة: المعمودية - المسحة - سر الشكر، حيث يتم استدعاء أقنوم الروح القدس في هذه الأسرار، ولا توجد صلاة واحدة يستدعى فيها قوة الروح القدس أو غيرها من ألفاظٍ شكلت أكبر حركة اعتداء على الروح القدس نفسه، وهو الادعاء بأن ما يعطى لنا هو حلول مواهب لا الأقنوم نفسه.

وفصل الروح عن المواهب هو ما أدى بالمطران إلى الادعاء بأن الحياة الأبدية هي حياة مخلوقة، بل جعله هذا الفصل يتمادى في التعبير فيكتب -تعليقاً على نص عب ١٢ : ١٠ أن شركتنا في قداسة الروح القدس هي شركة نسبية، وبذلك يكون قد فرض تأويله حتى على نص رسالة العبرانيين، وأصبح لدى الله قداسة مطلقة، وأخرى نسبية، وإذا كانت شركة الإنسان في قداسة الله هي تعبير واضح عن شركتنا في حياة الله، وبالتالي عندما يقول الرب (يو ١٧ : ١٧): "قدسهم في حقك. كلامك هو حق"، يكون الحق نفسه قد تحول إلى حق نسبي. وعندما

يقول الرب عن نفسه إنه هو "الطريق والحق"، فهو ليس الحق المطلق، بل الحق النسبي، والنسبي عند المطران هو الإنسان، وبذلك يكون المطران قد سقط في البدعة الأريوسية دون أن يعرف.

وإذا مددنا الخط على استقامته، تصبح شركتنا في محبة الله حسب قول الرب نفسه: "ليكون فيهم الحب الذي أحببني به وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦)، هي بدورها محبة نسبية. وتصبح بشارة الآب لنا: "هذا هو ابني الحبيب" بشارة نسبية، وموت الرب على الصليب موت نسبي، وسر الشكر سر نسبي؛ لأن الابن لا يعطي ذاته لنا في السر المجيد إلا عطاءً نسبياً. فهل أدرك المطران ظلام وعمق الهاوية التي سقط فيها، والتي يدعوننا لأن نسقط فيها معه؟ لا أدري إن كان قد أدرك فظاعة ما ينشره.

ثالثاً: الأنبا بيشوي ومؤسسته الأليكترونية هي التي نشرت ٢٠ اسماً تضمنت كاتب هذه السطور وبعض الأخوة من العلمانيين، جاء في مقدمتهم الشهيد الأنبا أيفانيوس الذي عُذِرَ به في قلب ديره. أتمنى أن يتقدم واحد من هؤلاء العشرين ببلاغ إلى النائب العام المصري باعتبار هذا تحريض على القتل. وهو تحريض يجب أن يؤخذ بكل جدية، وكنت قد طلبت من محام أمريكي تخصص في القانون الدولي تقديم شكوى إلى لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، ولكنه أفادني أن هذه الشكوى سوف تقيّد ضد مصر وحكومة مصر، وهو أمر لا أقبله لأنني أفضل أن أقتل عن أن أشتكي الوطن المحاصر بالإرهاب في الوقت الذي تقوم فيه قواتنا المسلحة بخوض حربها (سيناء ٢٠١٨) ضد الإرهاب. أموت ولا أعادي الوطن مهما كانت الشتائم والاتهامات لأننا جميعاً راحلون وستبقى مصر.

أخيراً: يحرصون على أن تظل القضايا الخاصة بالإيمان عالقة، لا يتم حسمها باعتبارها نار يجب أن تظل مشتعلة لكي تخدم زعامات الإكليروس الفاشلة والكاذبة، ولكي يظل من لا يقبل تأويلهم مطارداً دائماً ومحاصراً بالتهديد بالحرمان، خصوصاً وقد أصبح الحرمان من سر الشكر سيفاً مسلطاً على رقاب

أبناء وبنات الكنيسة، فيسود الكذب ويصبح الصمت هو السند الذي يحمي التعليم الكاذب من أجل أن ينال هؤلاء من البقرة الحلوب ما شاء لهم من عطايا وأموال ومتع على حساب الفقير والذي هُجّر والعاطل الذي لا يجد قوت يومه، وضحايا طلب الزواج الثاني وتأثيم هذا الزواج إذا تم مدنياً. وهكذا يُفرض الحصار على الأحرار حتى يصبحون عبيداً لا بنوة حقيقة لهم عند الآب، وذلك على اعتبار أن عطية التني علاقة شرفية كما يكذبون.

غير أن هذا الحصار سوف يفجر الكنيسة أم الشهداء من الداخل، وهو ما تطمع فيه حركات التبشير التي ترى الأقباط الأرثوذكس غير مسيحيين.

سوف تأتي أيها المخلص، حتى لو في الهزيع الأخير من الليل.

فالقيامة هي بشارة حياة والكنيسة حية بقيامتك ولن تتركها لغيرك؛

لأنك أنت وحدك المخلص والرأس،

ولك وحدك يجب السجود.

تأله ناسوت الرب يسوع المسيح^(١)

سؤال نسمعه من آنٍ لآخر: ما هو المقصود بالضبط، وعلى وجه الدقة بأن ناسوت الرب يسوع قد تأله؟ ما هي مظاهر أو علامات هذا التأله؟ وهل يمكن إثبات هذا من الكتاب المقدس (العهد الجديد)؟

والشطر الأخير من السؤال هو أكثر ما يزعج كاتب هذه السطور؛ لأن الأرثوذكسية تعاني من فيروس أدخله في جسدها قادة عصرنا، وهو أن الكتاب المقدس هو المرجع الأول، وهي فكرة لا أصل لها في تاريخ وكتابات الأرثوذكسية؛ لأن الكتاب المقدس هو أساس التسليم الكنسي، ولكنه لا يؤخذ حسب فكر القارئ أو الباحث، وإنما حسب التسليم الكنسي الذي تقدّمه الليتورجية؛ لأن صلوات الكنيسة هي نبضات قلبها. ولذلك وعلى الرغم منه، نريد أن نسأل أصحاب هذا السؤال الذين يقدّمون الشطر الأخير من السؤال عن الكتاب المقدس: كيف تفهمون هذه العبارات التي وردت على فم الرب يسوع المسيح نفسه:

* "اعْمَلُوا لَا لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمْ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ هَذَا اللَّهُ الْآبُ قَدْ خَتَمَهُ" (يوحنا ٦: ٢٧).

* "خُبِرَ اللَّهُ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ" (يوحنا ٦: ٣٣).

* "أَنَا هُوَ خُبِرُ الْحَيَاةِ" (يوحنا ٦: ٣٥ - ٦: ٤٨ - ٦: ٥٠).

لقد حاولت الشيعي أن تزيّف كلام الرب وتدّعي أن الرب كان يقصد الإيمان به. حسناً. لنسمع كلمات الرب ونسأل:

* هل الإيمان يوصف بأنه خبر؟ هل توجد قرينة واحدة في العهدين تدل على ذلك؟

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٥ أغسطس ٢٠١١.

* هل يجوز لنا أن نقول إن الإيمان "نازلٌ من السماء"، أم أن الذي نزل من السماء هو ابن الله نفسه.

* بعد أن قال الرب: "أنا هو خبز الحياة" وكرر هذه الكلمات، كيف نفهم الضمير "أنا"؟ هل يمكن لشخص أن يقول: "أنا الإيمان"؟ لو قال ذلك لتعذّر علينا أن نقول إن لنا إيمان. نحن نؤمن والإيمان هو خضوع القلب وقبول الإرادة وهو عمل الله بكل حق فينا، ولكن الإيمان ليس هو شخص المسيح؛ لأننا نؤمن بشخص المسيح، وإيماننا هو ما يتحرك فينا إرادياً ويدفعنا نحو الخضوع والتسليم لشخص المسيح، فهو عمل خاص بنا لم "ينزل من السماء".

* ثم عندما يقول الرب: "أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ"، فهو يقصد شخصه وليس الإيمان، ثم يشرح هو بنفسه هذه الحقيقة: "إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ". ولو توقف يسوع عند هذه الكلمات لوجدنا في افتراض الشيع مجالاً، ولكنه أضاف قائلاً: "وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يو ٦ : ٥١). وهنا يجب أن نلاحظ:

١ - أنا الخبز الحي.

٢ - أنا أبذل نفسي.

٣ - أنا أعطي هذا الخبز.

٤ - هذا الخبز هو جسدي.

وخاتمة هذه الاستعلانات قول الرب: "إِنْ مِنْ يَأْكُلْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ" (يو ٦ : ٥١، ٦ : ٣٣، ٦ : ٤٠)، فقد جاء الوعد بالقيامة (يو ٦ : ٤٠)، ثم بالحياة الأبدية.

وأخيراً يقول الرب نفسه: "إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ"، وهي عبارة دالة على تجسده؛ لأن لقب "ابن الإنسان" هو لقبٌ خاص بتجسد الرب، ثم "وَتَشْرَبُوا دَمَهُ"، فهو كلام عن سفك الدم. ولكن علينا أن ندقق في قول الرب: "فَلْيَسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ" (يو ٦ : ٥٢). ويضيف الرب نفسه: "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي

وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ" (يو ٦ : ٥٥).

وطبعاً سوف يطفو في وعي القراء أصحاب هذا السؤال عن تأليه ناسوت الرب يسوع، سؤال عن ما علاقة هذا الكلام بتأليه ناسوت الرب؟ وهو سؤال سمعته من أساقفة وكهنة عاشوا تحت وطأة تعليم العصر الوسيط. ولكي نجيب عن هذا السؤال، يجب أن نتوقف عند هذه الحقيقة:

هل يمكن أن يعطي جسد ابن الإنسان الحياة الأبدية؟

حسب لاهوت العصر الوسيط المتجذر في الفلسفة اليونانية، الإنسان خالدٌ بالطبيعة، له طبيعة خالدة لا تقبل الموت. هذا تعليم شائع. وإذا سألنا عن خلود الطبيعة الإنسانية: كيف يمكن لمن هو خالد أن يموت؟ قالوا لنا إن الجسد هو الذي يموت، أمّا الروح فهي حيّةٌ إلى الأبد.

عجيبٌ حقاً أن ينقسم الكيان الإنساني إلى مائت، وخالد. وطبعاً موت الجسد هو الموت الذي يقصده هؤلاء. ولكن لا توجد فقرة واحدة في الكتاب المقدس بعهديه تقول إن الإنسان خالدٌ، وإن الموت قاصرٌ على الجسد وحده. صحيح أن الرسول يقول: إن الجسد ميت بسبب الخطية (رو ٨ : ١٠)، ولكن هذه العبارة يجب أن تُقرأ مع استعلان الرب يسوع: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي (الآب) فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (يو ٥ : ١٤)، فالموت يشمل الجسد والروح. لأن الخطية جاءت بالموت إلى العالم (رو ٥ : ١٢)، ولاحظ عبارة الرسول: "وَهَكَذَا اجْتَازَ (عَبَرَ) الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ" (رو ٥ : ١٢)، وَمَلَكَ الْمَوْتُ مِثْلَ مَلِكٍ king وعرشُ هذا الملك هو الخطية. "مَلَكَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْمَوْتِ" (رو ٥ : ٢١). بل لعل كلمات الرسول تدق بعنفٍ أذان الذين وقعوا في براثن التعليم اليوناني القديم – القائل بخلود الإنسان بالطبيعة – والذي قبلته الثقافة الإسلامية، إذ يقول الرسول: "وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَاَنَا مَعَ الْمَسِيحِ" (أف ٢ : ٥)، وأيضاً: "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا"

فِي الْخَطَايَا أَحْيَاكُمْ مَعَهُ" (كول ٢ : ١٣).

عجيب حقاً، الخطيئة نابعة من القلب والإرادة والفكر حسب قول الرب نفسه: "لَأَنَّهُ مِنَ الدَّاحِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الْأَفْكَارُ الشَّرِيرَةُ: زِنَى، فَسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَاةٌ، عَيْنٌ شَرِيرَةٌ، تَحْدِيفٌ، كِبْرِيَاءٌ، جَهْلٌ" (مرقس ٧ : ٢٢). والعجيب أن الخطيئة النابعة من الروح تقتل الجسد، دون أن تصيب المصدر ينبوع الخطيئة، أي القلب والعقل والروح نفسها؟! ولذلك السبب قال الرب يسوع للفريسيين: "تموتون في خطاياكم" (يو ٨ : ٢١).

الموت ليس هو الفناء؛ لأن الإنسان حسب الطبيعة فانٍ، وهي عبارة المعلم العظيم أثناسيوس (تجسد الكلمة ف ٤)، لكن الله لم يسمح بالفناء، بل سمح بالموت؛ لأن الإنسان ليس خالداً، بل هو تحت الخطيئة. والموت هو أول ثمار الخطيئة.

هنا تفترق الطرق:

الطريق الأول: هو طريق الفلسفة اليونانية والثقافة السائدة، وهو ينادي بأن الإنسان خالدٌ بالروح ميتٌ بالجسد. ولذلك، فالتوبة والتجديد قاصران على الأعمال الجسدانية التي ترضي الله من صوم وصلاة ... إلخ

الطريق الثاني: هو تعليم الله نفسه في الكتاب المقدس، والمعلن بواسطة ربنا يسوع المسيح: الإنسان خاضعٌ للموت بالروح والجسد، والمسيح جاء لكي يحدد الروح والجسد معاً. ولذلك، الحياة الأبدية هي لكيان الإنسان كله الجسد والروح. وقيامه الجسد بقوة قيامة المسيح هي قيامة خاصة بالجسد وبالروح أيضاً؛ لأن الروح بدون جسد ليست كيانياً إنسانياً كاملاً، بل كيانياً إنسانياً مشطوراً، ولذلك، فإعادة الوحدة الإنسانية، أي إقامة الإنسان كاملاً تتم في اليوم الأخير. وهكذا نلنا عربون القيامة هنا للجسد والروح، ولكن فداء الجسد هو في اليوم الأخير حسب عبارة الرسول بولس: "نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَحْنُ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَيُّي فِدَاءَ أَجْسَادِنَا" (رو ٨ : ١٣). ولاحظ أن التبيني هو

أيضاً خاص بالجدس وليس بالروح وحدها، وهو ما يجعلنا نصل إلى غاية هذه النقطة بالذات: كيف ننال الحياة الأبدية؟

أليست الحياة الأبدية هي إحدى صفات الله؟ أليس الله هو "مَلِكُ الدُّهُورِ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا يُرَى، الإلهُ الْحَكِيمُ وَحْدَهُ" (١ تيمو ١ : ١٧). ويقول الرسول عن الرب يسوع الإله الحق: "مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ، الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ ... لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبَدِيَّةُ. آمِينَ" (١ تيمو ٦ : ١٥). وإلى جوار ذلك، يجيء صوت الكنيسة واضحاً أيضاً: "قدوس الله قدوس الذي لا يموت".

هكذا يجب أن نفهم عبارة واضحة: "هبة الله هي حياة أبدية"؛ لأن كلمة هبة χάρισμα هي العطية الحرة. وإلاً فكيف يهب الله أو يعطي عطية موجودة بالفعل — حسب فكر العصر الوسيط — أي أن يكون الإنسان أبدي غير قابل للموت؟ ولذلك سأل الشاب الغني الرب: "أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونِ لِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ؟" (مت ١٩ : ١٦). ويقول الرب نفسه عن الدهر الآتي إن من قدّم شيئاً لله "يَأْخُذُ مِئَةً ضِعْفٍ الْآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ ... وَفِي الدَّهْرِ الْآتِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (مر ١٠ : ٣٠). وجاء استعلان الرب يسوع بأن من يؤمن به له "حياة أبدية" (يو ٣ : ١٥ — ٣٦). وقال عن عطية الروح القدس إنها سوف تكون ينبوع حياة أبدية (يو ٤ : ١٤)، وهو كراع صالح سوف يعطي حياةً أبديةً للخراف التي تتبعه (يو ١٠ : ٨). وجاء قانون التلمذة بأن من يبغض نفسه في هذا العالم "يحفظها إلى حياة أبدية" (يو ١٢ : ٢٦). وإذا عدنا إلى فعل يعطي حياة أبدية لوجدناه يرد في: (رو ٢ : ٧ — ٦ : ٢٢ — ١ تيمو ١ : ١٦ — يو ٥ : ٢١). كما أن الدعوة هي للحياة الأبدية: (١ بط ٥ : ١٠ — ٢ بط ١ : ١١).

محصلة هذا كله هي أن هبة الحياة الأبدية تُعطى في الإفخارستيا، وبالإيمان، بل ويسكني الروح القدس نفسه الذي يقَدِّسنا للحياة الأبدية (رو ٦ : ٢٢ — غلا ٦ : ٨). هذه هي شركتنا في ألوهية الابن المتجسد، وهي شركة جاء بها التجسد،

وصارت ثابتة بالصليب وبالقيامة؛ لأن الرب يسوع أشركنا في جسد مجده، أي جسده الذي يُجَدُّ بالقيامة بحسب النص الطويل للرسول بولس في (١ كور ١٥: ٤١ - ٥٠)^(١). وقيامة الرب يسوع هي محور هذه الاستعلانات.

لقد كررنا هذا الكلام عدة مرات وفي مناسبات عديدة، ولكن الذي لا يسمع ولا يريد أن يفهم هو تلميذ الثقافة المعاصرة، وليس تلميذاً للرب يسوع. ولا حظ كيف يشبّه الرسول القيامة بـ "الزرع":

+ يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ،

وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ.

+ يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ،

وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ.

+ يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيًّا،

وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيًّا.

+ صَارَ آدَمُ، الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ، نَفْساً حَيَّةً،

وَأَدَمُ الْأَخِيرُ رُوحاً مُخَيَّيًّا.

+ الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَرْضِ تُرَابِيٌّ.

الْإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ.

+ وَكَمَا لَبَسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ،

سَنَلْبَسُ أَيْضاً صُورَةَ السَّمَائِيِّ.

ويختتم الرسول التعليم:

(١) "يُجَدُّ الشَّمْسُ شَيْءٌ، وَيُجَدُّ الْقَمَرُ آخَرُ، وَيُجَدُّ النُّجُومُ آخَرُ. لِأَنَّ جُحْماً يَتَنَازَرُ عَنْ جُحْمٍ فِي الْمَجْدِ. هَكَذَا أَيْضاً قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمٍ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيًّا وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيًّا. يُؤَخَذُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُؤَخَذُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ. هَكَذَا مَكْتُوبٌ أَيْضاً: «صَارَ آدَمُ، الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ، نَفْساً حَيَّةً، وَأَدَمُ الْأَخِيرُ رُوحاً مُخَيَّيًّا». لَكِنْ لَيْسَ الرُّوحَانِيُّ أَوَّلًا بَلِ الْحَيَوَانِيُّ، وَيَعْدُ ذَلِكَ الرُّوحَانِيُّ. الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الْإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ. كَمَا هُوَ التُّرَابِيُّ هَكَذَا التُّرَابِيُّونَ أَيْضاً، وَكَمَا هُوَ السَّمَائِيُّ هَكَذَا السَّمَائِيُّونَ أَيْضاً. وَكَمَا لَبَسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضاً صُورَةَ السَّمَائِيِّ. فَأَقُولُ هَذَا أَتَيْهَا الْإِخْوَةُ: إِنَّ لَحْماً وَدَمًا لَا يَتَغَيَّرَانِ أَنْ يَرْتَابَا مَلَكُوتَ اللَّهِ، وَلَا يَرِثُ الْفَسَادُ عَدَمَ الْفَسَادِ".

فَإِنَّهُ سَيَبُوقُ، فَيَقَامُ الْأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لِأَنَّ هَذَا الْفَاسِدَ لَا بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهَذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ" (١ كور ١٥: ٥٢ - ٥٤).

لقد جاء الموت بإنسانٍ، هو آدم (١ كور ١٥: ٢١)، ولكن قيامة الأموات جاءت بإنسان هو آدم الأخير: "لأنَّه كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ" (١ كور ١٥: ٢١ - ٢٢).

السؤال الحاسم الذي لا يمكن لأحدٍ أن يتهرب منه هو: هل المسيح في السماء الجالس عن يمين الآب يحيا الآن حياةً جسدانية مثل حياته قبل القيامة، حياةً قابلةً للموت والشيخوخة؟ لقد مضى على حياة ناسوته ٢٠١١ سنة، فهل هذا ناسوت طبيعي بيولوجي مثل أي إنسان، أم ناسوت يحيا في مجد اللاهوت؟

في عبارة الرسول بولس: "إِنَّ مَوَاتِنَتَنَا (سِيرَتَنَا^(١)) نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخْلَصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُعَيِّرُ شَكْلَ جَسَدٍ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدٍ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (فيلبي ٣: ٢٠ - ٢١).

وهكذا رأى يوحنا الإنجيلي الرب في مجده في الرؤيا، بل علينا أن نفهم هذه العبارات اللاهوتية التي وردت في الأناجيل، وهي كلها تقول إن الرب يسوع أظهر ذاته بعد القيامة:

- ظهر أولاً لمريم المجدلية (مر ١٦: ١٩).
- ظهر بهيئةٍ أخرى (مر ١٦: ١٢).
- ظهر للأحد عشر (مر ١٦: ١٤).
- ومع تلميذي عمواس "أمسكت أعينهما عن معرفته" (لو ٢٤: ١٦).
- أظهر أيضاً يسوع نفسه لتلاميذه (يو ٢١: ١ وما بعده).

لقد أكل الرب يسوع بعد القيامة ليؤكد أنه ليس شبحاً، أو مجرد روح بلا

(١) وردت ترجمة هذه الكلمة سيرتنا، وهي ترجمة غامضة.

جسد، وهو ما يؤكده الرسول بطرس: "هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِرًا (مُسْتَعْلَنًا)، لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ، بَلْ لِشُهُودِ سَبَقِ اللَّهِ فَانْتَحَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ" (أع ١٠: ٤٠ - ٤١).

ولاحظ أن اختيار شهود القيامة من الرسل له عدة أسباب، أهمها (في الوقت الحاضر) أن يكون تلميذاً للرب، وتبع التعليم، واستلم الخدمة من الرب يسوع نفسه، وهو ما نلاحظه في التدقيق في اختيار من يخلف يهوذا من "الرَّجَالِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا مَعَنَا كُلِّ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ إِلَيْنَا الرَّبُّ يَسُوعُ وَخَرَجَ" (أع ١: ٢١ - ٢٢).

الجسد الطبيعي البيولوجي هو عودة وثنية للحياة بعد الموت في جنّة ملؤها ثمار الأرض واستمرار للحياة الآدمية لآدم الأول، وإلغاء لحبة آدم الأخير.

أرجو ألا نكون قد سقطنا في هوة حياةٍ خالدةٍ أرضيةٍ فيها نعيم الأرض وثمار الأرض والزواج ... إلخ هذه صورة تطالعنا في أدبيات ديانات ما قبل المسيح. لكن المسيح هو رأس الجسد، وهو البكر الحي، وهو بداية حياة جديدة سماوية لا يمكن أن تكون لثمار الأرض أو للدورة البيولوجية: الولادة - النمو - الشيخوخة دورٌ فيها.

عجيب حقاً أن يكون عمر المسيح بحسب التاريخ ٢٠١١ سنة، أمّا حسب التعليم الإلهي، فهو بلا بداية أيام ولا نهاية لحياته (عب ٧: ٣). البدء الأزلي دخل في بدء الخليقة الجديدة ورفع الإنسان إلى حياة تبدأ بالله، وغايتها أو منتهاها هو الله. فالمسيح يسوع ربنا هو صورة أو أيقونة الحياة الجديدة التي يشرق فيها الخلود من الألوهة، وعدم الموت من الشراكة في الطبيعة الإلهية، وعدم الفساد بالاتحاد بالرب بحلول الروح القدس وبالتناول من جسد مجده (فيلبي ٣: ٢١).

هل يكفي هذا؟ وهل جاءت كراهية تعليم الآباء برد فعل مضاد للتسليم الكنسي، ولأن بعض القادة لا يعرف ما كتبه الآباء، فصار الكتاب المقدس - وهو حسب زعمهم مجال لرأي فردي - هو المرجعية الوحيدة.

صدقني يا من تقرأ هذه السطور أننا بذلك نعتنق المذهب البروتستانتي دون أن نعرف. وحقاً قال الرب يسوع إن الأعمى الذي يقود أعمى كلاهما - القائد والمقود - يسقطان في حفرة واحدة.

المجد كتعبير عن الألوهة في العهد الجديد

سوف يأتي الرب في مجده في اليوم الأخير (مت ٢٥ : ٣١)، وهو ذات مجد الآب (مر ٨ : ٣٨)، وهو تعبير عن الملك kingdom ولذلك ظهر الرب بمجد الألوهة على جبل طابور (لو ٩ : ٣١ - ٣٢)، وهو مجد الابن الوحيد (يو ١ : ١٤)، وقد أعلن الرب مجد ألوهيته في تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (يو ٢ : ١١)، وبالمناسبة فقد كانت أول معجزة في عرس زواج. الابن هو أيضاً إله العهد القديم الذي رأى أشعياء مجده (يو ١٢ : ٤١).

المجد سيعطى لنا كنعمة من الله؛ لأن المدعويين لهذه النعمة سبق الله ودعاهم ثم برهم ثم "هؤلاء مجدهم" (رو ٨ : ٣٠)، ولذلك قال الرب يسوع: "أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي ... أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (يو ١٧ : ٢٢ - ٢٤). ولما كان بولس يعرف تعليم الرب، لذا نجده يكرر ذات معاني طلبه الرب يسوع في إنجيل يوحنا ص ١٧ فقال: "وَنَحْنُ جَمِيعاً نَظَرِينَا مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (٢ كور ٣ : ١٨)، ولاحظ أن التغيّر في الشكل أو الصورة هو تغيّر لصورة الرب المجيدة "مجد المسيح" (٢ كور ٤ : ٤). المسيح فينا، وهو "غَيَّيْ مَجْدِ هَذَا السَّرِّ فِي الْأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فَيْكُم رَحَاءُ الْمَجْدِ" (كو ١ : ٢٧).

لاحظ أن الإنجيلي في بشارة الرعاة يقول إن "مجد الرب أضاء حولهم" (لو ٢ : ١٠)، وهو ذات المجد الذي ظهر على جبل طابور، حتى أن ثياب الرب

يسوع كانت تلمع "بَيَضَاءٍ جِدًّا كَالثَّلْجِ، لَا يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذَلِكَ" (مر ٩ : ٣). واستعلان الرب في اليوم الأخير سيكون "بمجد أبيه" (مت ١٦ : ٢٧). والاعتراف بألوهية الرب يأتي في ذكصولوجية الصلاة الربانية التي وردت بشكل خاص في إنجيل متى ٦ : ١٣؛ لأن الصلوات الآرامية والعبرانية تنتهي بالذكصولوجيات. والمثلث kingdom والقوة والمجد هي علامات مُلك الله واستعلان ألوهيته. وحلول واستعلان الله في وسط الشعب هو مجد هذا الشعب (لو ٢ : ٣٢). ولعل نشيد الصبية في دخول الرب أورشليم يكشف عن صحة ما نذكره "سلام في السماء ومجد في الأعالي" (لو ١٩ : ٣٨)؛ لأن المجد في الأعالي هو استعلان ألوهية الرب. "سلام في السماء واستعلان الله كملك"، وهو المقصود بعبارة "مبارك الآتي باسم الرب"، وهي عبارة تُذكر في صلوات القداس مؤكدة استعلان ألوهية يسوع المسيح الذي يجيء باسم = شخص، والرب = يهوه، فهو الآتي لكي يملك؛ لأنه مجد الابن الوحيد الذي له ذات مجد الآب (يو ١ : ١٤). ومن لا يطلب مجد الله، أي من لا يعترف ولا يقبل أبوة الآب السماوي هو من لا يعترف بيسوع (يو ٥ : ٤١ - ٤٤)، بل أن مرض وموت لعازر هو "لمجد الله" (يو ١١ : ٤)، ولذلك يقول الرب نفسه لمرثا: "إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ" (يو ١١ : ٤٠)، أي استعلان قوة اللاهوت في إقامة لعازر بعد أن أنتن. وتعبير "إله المجد" (أع ٧ : ٥٥)، هو تعبير يؤكد استعلان الله؛ لأن "مجد الله لا يفنى" (رو ١ : ٢٣)، أي هو القوة الإلهية، ولذلك السبب يقول الرسول إن الذين يطلبون هذا الاستعلان وهم "بَصَبِرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ (لِلَّهِ) وَالْكَرَامَةَ (الإلهية) وَالْبَقَاءَ، (هؤلاء ينالون ذلك) بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" (رو ٢ : ٧). ومعرفة الإله الحقيقي هي التي يعبر عنها الرسول بـ "مجد الله" (رو ٣ : ٢٠)؛ لأن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم معرفة الله الحقيقية.

شركة ألوهية مجد الرب يسوع

يقول الرب يسوع إننا إذا أخذنا "رُوحَ التَّبَيُّ الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: "يَا أَبَا abba الآب". الرُّوحُ نَفْسُهُ (ذاته) أَيْضاً يَشْهَدُ لَأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ ... إِنْ كُنَّا نَتَّأَمُّ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ" (رو ٨: ١٦ - ١٨)؛ ولذلك قيل عن المؤمنين إنهم "آيَّةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ" (رو ٩: ٢٣). والرب يسوع الذي عُلق على عود الصليب هو "رب المجد"، الإله الحقيقي الذي استعلن مجده في الصليب (١ كور ٢: ٨). ولأننا لننا صورة الله عندما خلقنا ولأن هذه الصورة جُددت في المسيح، يقول رسول المسيح إن الإنسان هو "صورة مجد الله" (١ كور ١١: ٧)، ولذلك نحن نغير من صورة إلى صورة، صورة الترابي الآدمي الميت إلى المجد الذي يوهب في المسيح (٢ كو ٣: ١٨)؛ لأننا قبلنا "إنجيل مجد المسيح" (٢ كور ٤: ٦). هذا المجد "يُعطي"؛ لأننا لا نراه لمجرد الفرحة والمشاهدة مثل أي أمر من الأمور الزمنية العابرة، بل نراه لكي نشترك فيه وهو مستعلن من أجل الشركة "لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ" (أف ٣: ١٦)، هذا الغنى هو ما يطلبه الرسول لكي يملأ الله كل احتياجات الكنيسة "بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. وَلِلَّهِ وَأَبِينَا الْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ. آمِينَ" (فيلبي ٤: ١٩ - ٢٠).

لقد جاء المسيح إلينا الذي هو "بهاء مجد الله" (عب ١: ٣)، وهو الذي سوف يأتي بأبناء كثيرين إلى عطية التبني (عب ٢: ٩ - ١٠). لقد قام الرب بمجد الآب (فيلبي ٢: ٦)، ونحن الذين نؤمن بمجد قيامة الرب ننال شركة في هذا المجد؛ لأن الروح القدس سوف يقيم أجسادنا كما أقام ناسوت الرب (رو ٨: ١١). وبهذه القيامة وشركتنا التي دعينا إليها بالتبرير هي شركة مجد المسيح (رو ٨: ٣٠)؛ لأن الذي مات عنا سوف يعطي لنا "الآب ومعه كل شيء" (رو ٨: ٣٢). ورغم اعتراض الأنبا شنودة الثالث على عبارة "كل شيء"، إلا أنها وردت في العهد الجديد نفسه. فحسب النص اليوناني لدينا كلمة *άπας* وقد وردت عدة مرات مثل متى ٦: ٣٢ والأكثر استعمالاً كلمة *όλος* مثل متى ٢٢: ٤٠ أمّا

كلمة $\pi\acute{\alpha}\varsigma$ فقد استُعملت حوالي ٣٠٠ مرة، وهي التي وردت في رو ٨ : ٣٢. وعندما يقول الرسول "كل إنسان"، فهو يقصد كل البشر. وكذلك "كل ملء الله" (أف ٣ : ١٩) - ولنا عودة إلى تعبير "كل"، لكن تبقى القضية الأكبر التي لا بد من إدارة حوار شامل عنها، وهي هل شركتنا في يسوع المسيح ابن الله المتجسد هي شركة محدودة، أم هي شركة المحبة الفائقة التي تعلو على كل أبعاد الإدراك، أي: "العرض والطول والعمق والعلو"؟ (أف ٣ : ١٨)، التي يطلب الرسول أن نكون "متأسسين في المحبة"، ونعرف "محبة المسيح الفائقة المعرفة" (أف ٣ : ١٨)؛ لكي "نمتلئ إلى كل ملء الله"، ذلك الملء المعلن في يسوع المملوء نعمة (يو ١ : ١٤). هذا الملء هو ما يريد جيل ثقافة الفصل والتغريب (من الاغتراب) أن يطمسوا معالمه وأن يحاربوه لكي يبقوا هم القوة التي تسود الكنيسة، وليس الرب يسوع المسيح نفسه.

تأله ناسوت الرب يسوع حسب العهد الجديد

تُرى بعد هذه الرحلة القصيرة مع العهد الجديد، هل يمكن فصل ألوهية الرب عن ناسوته؟ هذا الناسوت الذي لما لمستته المرأة نازفة الدم شُفِيَتْ، ولما تفل على الأرض وصنع طيناً وضعه على عيني الأعمى شفيت (لاحظ تعبير الإنجيل: "طلى بالطين" (يو ٩ : ١٦)، أي غُطِّي بالطين عيني الأعمى، ولم يكن مجرد قطعة صغيرة وضعت على عيني الأعمى، بل هو مثل دهن كامل).

لقد سمعنا ملايين المرات عبارة: "دم يسوع"، وهي عبارة إنجيلية (نسبةً إلى الإنجيل) وبالرغم من ذلك لم نسأل ما هي قوة هذا الدم؟

١- هو دم العهد الجديد (مت ٢٦ : ٢٨)، ولكن لاحظ أنه ليس عهداً مؤقتاً خاصاً بالزمان الحاضر وحده، وإنما هو دم العهد الأبدي (عب ١٣ : ٢٠)، هو دم عهد القيامة حسب تعبير الرسول نفسه: "ولكن الذي أقام يسوع بدم العهد الأبدي"، فهو الراعي الصالح الذي يبذل حياته، أي دمه.

وقد جرى تزييفٌ عن جهلٍ مؤداه أن الدم نَزَفَ على الصليب، وأنه يستمد قوته من هذا، ولكن وبكل أسفٍ، هذه قطعة من رغيف كبير اسمه الحياة التي قُدِّمَتْ، الشخص الإلهي الذي قدَّم ذاته وبذلها لأجلنا، ولذلك يقول رسول الرب: "صانعاً سلاماً بدم صليبه" (كو ١ : ٢٠)، فالدم الذي صنع السلام الأبدي هو دم العهد الأبدي، الدم الذي تبرر به الخطاة ونالوا القبول الأبدي (رو ٥ : ٩).

٢- هذا الدم لنا شركة فيه حسب عبارة رسول الرب نفسه: "كَأَسُّ الْبَرَكَةِ الَّتِي تُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرَكَةُ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْرُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرَكَةُ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟" (١ كور ١٠ : ١٦). هو دم الفداء (أف ١ : ٧)، وبه، أي بهذا الدم، أي بالحياة التي بُذِلَتْ، صار لنا مع الكل، نحن الذين كنا قبلاً "بعيدين صرنا قريين بدم المسيح" (أف ٢ : ١٣)، ولم يقف الرسول عند هذه العبارة، وكأنه رأى بروح النبوة تزييف التعليم، فقال: "لأنه هو سلامنا" (أف ٢ : ١٤)، والضمير "هو" عائد على الشخص وليس على مجرد سفك الدم.

٣- وبالمقارنة بدم ذبائح العهد القديم الذي كان يطهّر الجسد، يقول الرسول: "فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحِ أَنْبِيَاءٍ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللَّهَ الْحَيَّ" (عب ٩ : ١٤)؛ لأن هذا التطهير هو عمل اللاهوت الذي بذل لأجلنا حياته الخاصة به، وهو العمل الدائم الذي قُدِّمَ واستُعلن في الناسوت، (وهنا أحذّر الأخوة الكذبة من نقل هذه العبارة مبتورة؛ لأنني أعرف "مكر الحية")، فكل استعلانات ألوهية الرب تمت في جسده، أي في حياته، في ميلاده ومعموديته وانتصاره في البرية ثم بموته ودفنه وقيامته وصعوده. ولاحظ: الولادة في بيت لحم - المعمودية في الأردن - الصلب على الجلجثة - الدفن في القبر - القيامة في اليوم الثالث - الصعود إلى السموات، هذه كلها استعلانات تمت بناسوت الرب ومن خلال حياته المتجسدة، أي الإلهية المتأنسة.

إن كل الأعمال الإلهية تمت في الجسد، وبواسطة الجسد والدم، أي في يسوع الإله المتأنس؛ لأنه هو الذي جاء "بالماء والدم". ولم يُقَسِّمَك يا يسوع تلميذك

الذي قال: "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسْتُهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ" (١ يو ١ : ١)، فقد رآه بالعينين، ولمسته اليدين، لكنه رأى ولمس "الحياة"، فيسوع قد "أُتي بماء ودم" (١ يو ٥ : ٦)، وهي شهادة يسوع وشهادة الروح القدس، وهي شهادة الآب عن ابنه (١ يو ٥ : ١٠). ولعل القارئ الذي لا يزال لديه إيمان بيسوع المسيح كله، يسمع هذه الشهادة: "أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ" (١ يو ٥ : ١١)، فهل كان الدم والماء والروح والحياة الأبدية مجرد عناصر متباعدة تفصل بينها الحروف والكلمات ونظريات العقل الماهر في التقسيم؟!

تأله ناسوت بطرس الذي أنكر الرب يسوع

حقاً قال الإنجيلي: "كَانُوا يَحْمِلُونَ الْمَرَضَى خَارِجاً فِي الشَّوَارِعِ وَيَضَعُونَهُمْ عَلَى فُرْشٍ وَأَسِرَّةٍ، حَتَّى إِذَا جَاءَ بُطْرُسُ يُخَيِّمُ وَلَوْ ظَلُّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ... وَكَانُوا يُبْرِأُونَ جَمِيعَهُمْ" (أع ٥ : ١٥ - ١٦). لقد امتلأ رسول الرب بالروح القدس، وتأله ناسوت الرسول، أي صارت فيه قوة اللاهوت. وهل يشفي ظل إنسان؟ وهل تشفي مناديل وعصائب؟ أليست هذه هي قوة الشركة في المسيح التي صارت تتجلى في حياة هؤلاء الذين امتلأوا من الروح القدس، وتجلى هؤلاء مثل سيدهم لكي ترى البشرية كيف يُستعلن "مجد" اللاهوت في البشر.

الإفخارستيا وتأله ناسوت الرب يسوع

إن تأله ناسوت الرب يسوع يعد صدمة كبرى لمن لا يفهم سر الإفخارستيا. تُرى من الذي استلم من الشيوخ "تسليم السر المجيد"؟ ونقصد على وجه التحديد استعلان سر المسيح في الوليمة السماوية، أي ظهور الرب يسوع الذي تؤكد صلاة استدعاء الروح القدس في طقسنا القبطي الأرثوذكسي، حيث ينقل الروح القدس الخبز والخمر ويحولهما إلى جسد الرب ودمه، و"يظهرها قدساً لقديسيك"؛ لأن الفعل "يُظهر" هو ذات الفعل الخاص بظهور الرب بعد القيامة واستعلانه حياً للتلاميذ.

وجديرٌ بالذكر أنه حيثما تذكر الصلوات "الجسد الخبي"، وهو تعبير فخيم، فإن ذلك يعني أن هذه الصلوات لا تؤكد فقط قيامة الرب والمخلص، بل تعني أنه هو ذاته الرب يسوع الذي يهب الحياة لكل من يتناوله. يؤكد ذلك صلاة قبل تناول: "يا رئيس الحياة وملك الدهور كلمة الله الآب ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الخبز الحقيقي الذي نزل من السماء، واهب الحياة لمن يتناوله" (يو ٦: ٣٣، ٤٨، ٥٨)، وهو ما تؤكدُه أيضاً صلاة بعد تناول: "فمنا امتلاً فرحاً ولساننا تهللاً من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية غير المائتة".

ولأننا دخلنا الوليمة السماوية، واشتركنا في الأسرار الواهبة الحياة، فإن الرب يسوع — حسب آخر الصلوات: "عبيدك يا رب ... حل فيهم وسر بينهم" — هو بيننا بحلول الروح القدس علينا وعلى القرايين؛ لأننا نتحول في الإفخارستيا كما نتحولنا في المعمودية من العبودية إلى البنوة، نتحول إلى ذات شكل المسيح الحي القائم من بين الأموات، وذلك كما تقول صلاة الخضوع للآب قبل تناول في القداس الكيرلسي: "يا الله الذي أحبنا هكذا وأنعم علينا برتبة البنوة ... طهّر إنساننا الداخلي **εἰσαδόν** كطهر ابنك الوحيد، إذ نصير شركاء في الجسد وشركاء في الشكل وشركاء في خلافة مسيحك".

هذه النقلة إلى المجال الإلهي هي التي ترفعنا إلى فوق حيث "قلوبنا عند الرب"؛ لأن السر يبدأ بـ: "مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث القدوس"، وهذا المجد هو استعلان ألوهية الرب، واستعلان تأله ناسوته الذي يعطى في الإفخارستيا حاملاً فيه اللاهوت؛ لأن المسيح "غير منقسم من بعد الاتحاد إلى طبيعتين".

أولاً: طعام لا ينفذ.

هل توقف هؤلاء عند السؤال الجريء: لماذا لا ينفذ جسد الرب، إن كان ناسوتاً فقط؟ ولكن الخبز الحي النازل من فوق من عند الآب هو الخبز الواهب الحياة، أي أنه غير خاضع للموت؛ لأنه يحمل قوة حياة اللاهوت، وهو يعطي هذه القوة لمن يأكله.

ثانياً: جسدٌ لا ينقسم.

نقلت الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية التسليم الكنسي الذي عبّر عنه القديس كيرلس السكندري الكبير: "يُقَسَّم ولا ينقسم، ويوزَّع ولا ينفد، بل يقدَّس المتناولين"؛ لأن الانقسام والتقسيم هو خبرة الموت، هو عمل الفساد، أمّا يسوع فهو يُعطى كله لكل متناول.

ثالثاً: طعام الخلود وترياق عدم الموت.

والعبارة للقديس أغناطيوس الأنطاكي. ومع كنيسة الرسل يقول كل من يؤمن: "جسد ودم عمانوئيل إلّنا. هذا هو بالحقيقة آمين". إنه جسد الإله، الواهب الحياة الأبدية.

رابعاً: هبة القيامة من الأموات.

وما أكثر ما تقوله الليتورجيات الأرثوذكسية: القبطية واليونانية والسريانية والأرمينية عن الإفخارستيا هبة القيامة والشفاء والحياة الأبدية.

وأخيراً: أرجو مراجعة كلمات أبينا البار القديس أناسيوس الرسولي عن تأله ناسوت الرب في ملحق هذه الدراسة. ولكن تبقى مسألة أو قضية خطيرة جداً:

ماذا يريد المعاندون من الإكليروس؟

١- هل يريدون يسوع ابن الإنسان الذي عاش كإنسان ومات وقام كإنسان لكي يكون عمله - فقط - إنسانياً؟ وهذا هو لبُّ هرطقة نسطور!

٢- هل يدافعون عن التقسيم لكي يبقى ملكوت الرب ملكوتاً أرضياً؟ لأننا إن لم نشترك في حياة الله، تعدّز علينا أن نحيا بدون الشركة في اللاهوت إلى الأبد، وهذه هي دعوة الإسلام!

٣- هل -عن جهلٍ- يقاومون تأله ناسوت الرب خوفاً من الشُّرك، كما قال أحدهم؟ حسناً، وهل أنت يا مَنْ تخاف الشُّرك، هل تريد يسوع النبي، أو ابن الله الذي احتاج إلى الولادة والمسحة والموت والقيامة، أم نحتاج فعلاً إلى مَنْ فعل هذا

لأجلنا لكي ننال فيه وبه حياة عدم الموت التي تعطى بالشركة في حياته؟

٤- يا من تفصلون الناسوت عن لاهوت الرب يسوع، هل سألتكم أنفسكم كيف تتحدون بالرب يسوع؟ وهل اتحادكم به هو اتحاد أدبي كما قال واحد منهم، أي مجرد تشبُّه بالسلوك الاخلاقي الإرادي؟ فكيف قال الرب: "أنا هو القيامة والحياة"، وكل من يتشبه بي أخلاقياً سيقوم في اليوم الأخير بدوني.

غفر الله لكل من يجهل، وأنار عقل كل من يسأل، وسكب نار محبته الإلهية في قلب كل مشتاق لأن يعرف ويطلب الرب يسوع.

مرثاة

* ماذا فعلنا بك يا ربي يسوع؟

لقد وضعنا حولك نظريات وأفكاراً مستوحاة من ثقافتنا لكي نمنع الناس من الوصول إليك.

* ماذا فعل بك الذين دعوتهم لخدمتك؟

وضعوك في جيوب سلطان لا تعرفه، ولا استعلن فيك، ولا سلّم منك. فأَي سلطان هذا الذي يزعمون أنهم أخذوه منك، وأنت الذي قدّمت ذاتك عن أحقر الخطاة، وفتحت الفردوس للصّ آمن بك دون أن نعرف له خيراً واحداً في حياته؟

* كيف قيّدنا محبتك للبشر يا محب البشر؟

وضعنا حول محبتك إطاراً أسميناه بـ "العدل"، ولم تبارح عيوننا عدل الأرض ومحاكم البشر، وتركنا عنا العدل الذي يعدل المائل، أي ما يعيد الأشياء والبشر إلى ما كانوا عليه.

قسّمناك إلى صليب وأسرار وذبيحة، وجعلنا فواصل بين كل هذه، وكأنّ تجسّدك لم يكن أول مسمار ثبّت محبتك في لحمنا. وكأنّ معموديتك في الأردن التي أتت بالروح القدس مسحةً جديدةً، كانت غريبةً عن تجسّدك. وكأنّ اتحاد اللاهوت بالناسوت لم يكن هو قوة الصليب، بل كان موتك (المحيي) غريباً وحدثاً عبر وانتهى في طيات الزمان.

* لا أملك إلاّ هذه المرثاة، وما خفي منها تعرفه وتسمعه أنت؛ لأنّ العودة إليك والشركة في حياتك ممنوعة، وهكذا خدعت الحية السدّج، فقالت عن جسّدك ودملك: "يؤكل ولا يؤكل"، وكأنّ هناك من قال إن اللاهوت يؤكل، في حين أنك يا رب المجد لم تقل شيئاً عن لاهوت أو ناسوت، بل قلت: "أنا هو

الخبز النازل من فوق". نعم أنت هو دون أن نقسّمك؛ لأن خدعة التقسيم لها غرض واحد، هو ألاّ نتناول حياتك، وأن نحول الإفخارستيا إلى مجرد لحم يؤكل، كأن الدنيا لم يعد فيها ما يكفي من لحم ولكنك أنت هو خبز الحياة، ومن لا يأكل هذا الخبز، يظل قابلاً في قاع الموت.

ارحمنا يا محب البشر.

هل ورث الرب يسوع الخطية أو الموت؟^(١)

لم تعرف الكنائس الأرثوذكسية قاطبةً موضوع وراثة الخطية، ببل منذ بداية العصر المسيحي حتى القرن الثامن عشر كان السائد في الشرق الأرثوذكسي هو: وراثة الموت.

وقد كان أول من استخدم تعبير "الخطية الأصلية" هو القديس أغسطينوس، وهو أول من قرأ النص اللاتيني لرومية ٥ : ١٢ حيث أضاف إلى نهاية النص عبارة: "إذ أخطأ الجميع فيه"، أي في آدم. وهكذا علّم أغسطينوس بوراثته ذنب Guilt آدم وليس خطية آدم وحدها (مقالة حرية الإرادة ٣ : ١٢١).

وقد قبلت كنيسة روما هذا التعليم في عدة مجامع مكانية.

تعد مقالة الخطية الأصلية في الموسوعة الإنجيلية الخاصة بالقديس أغسطينوس هي أكمل وأشمل ما صدر في العصر الحديث:

Augustine Through The Ages; An Encyclopedia, General editor
Allan D. Fitzgerald, 1999

راجع ابتداءً من ص ٦٠٧ وما بعدها.

وقد وضعت المقالة كل المراجع والشواهد الخاصة بهذا الموضوع في كل كتابات القديس أغسطينوس.

التجسد الإلهي ووراثة الموت ووراثة الخطية

السؤال عن وراثة الرب يسوع للموت أو الخطية يؤكد عدم تأصل واستيعاب التسليم الأرثوذكسي الخاص بالتجسد، وإن كان يؤكد في نفس الوقت تأصل

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣١ أغسطس ٢٠١١.

التعليم القبطي المعاصر عند شريحة كبيرة من ضحايا الفولكلور، أو التراث الشعبي السائد في هذا التعليم.

وإذا عدنا إلى التسليم الأرثوذكسي الخاص بالتجسد، نجد أن تجسد ربنا يسوع المسيح هو تجسد طوعي حر، جاء بالإرادة الإلهية الواحدة للثالوث القدوس (يو ٣: ١٦ - غلا ٤: ٤)، فهو مجيء حر غير مقيد بالتسلسل الجسدي من آدم، أي أن الرب يسوع ليس ثمرة الولادات المتعاقبة مثل البطارقة وملوك بني إسرائيل. لذلك يجب وضع كلمات القديس كيرلس السكندري موضع الاهتمام. فقد ذكر القديس كيرلس في الفصل الخامس من كتاب المسيح واحد، وتحت عنوان: لماذا وُلِدَ من عذراء؟ سبب الحبل البتولي بالرب، وهذا هو شرح ق كيرلس^(١):

(أ) قال المسيح في موضع معين "ألم تقرأوا أنه في البدء خلقهما ذكراً وأنثى" (متى ١٩: ٤) والرسول بولس الإلهي يكتب "ليكن الزواج مكرماً عند الكل، الفراش نقي" (عبرانيين ١٣: ٤). فكيف استطاع الكلمة الابن الوحيد أن يدخل عالمنا متجسداً؟ وكيف أخذ شكلنا بدون السماح للقوانين الخاصة بالطبيعة الإنسانية أن تظل سارية المفعول في ميلاده وتجسده؟ لماذا لم يأخذ جسده من زواج، فهو ليس ثمرة عرس، بل هو من العذراء الفاتكة تجسد بالروح القدس، حسب ما هو مكتوب "قوة العلي تظلللك" (لوقا ١: ٣٥). فإله لم يحتقر الزواج، بل حفظ له بركة خاصة، لكن لماذا عندما تجسد الكلمة الله من عذراء، تجسد بالروح القدس وليس من الزيجة؟

(ب) لا أعرف.

(أ) غريب ألا يبدو هذا واضحاً لكل من يدرس الإيمان؟ لقد جاء الابن وصار إنساناً لكي يحول طبيعتنا فيه هو، وابتدأ أولاً بالميلاد الذي جعله مقدساً وعجيباً، إذ جعله ميلاداً للحياة، فوُلِدَ هو أولاً من الروح القدس، وأنا أعني طبعاً جسده، لكي ننال نحن هذه النعمة، وتصل إلينا منه لكي نولد ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله

(١) القديس كيرلس السكندري: المسيح واحد - ترجمة د. جورج حبيب بباوي - مركز دراسات الآباء بالقاهرة، يناير ١٩٨٧، ص ٢٩ - ٣٠. ويلاحظ أن هذا النص صاغه القديس كيرلس في صورة حوار بينه وقد رمز لنفسه فيه بحرف (أ)، وبين شخص آخر رمز له القديس كيرلس بحرف (ب).

(يوحنا ١: ١٣). وبالروح القدس تولد نفوسنا ميلاداً جديداً روحياً، مشابهاً لميلاد ذاك الذي هو بالطبيعة وبالخلق الابن، وبذلك ندعو الله أباً. ويؤهلنا هذا الميلاد الجديد أن نبقي في عدم انحلال لأننا امتلكننا ليس طبيعة آدم الأول الذي فيه انحللنا، بل طبيعة آدم الثاني. وحقاً قال المسيح مرة: "لا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد وهو الذي في السموات" (متى ٢٣: ٩). ففيه هو قد ولدنا ميلاداً جديداً عندما نزل إلى حالتنا لكي يرفعنا إلى كرامته الإلهية، ولذلك قال: "أنا صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ٢٠: ١٧). والآب الذي في السماء هو أبوه بالطبيعة، ولكنه هو إلهنا نحن، والابن يدعوه كذلك لأن الابن بالطبيعة وبالخلق صار إنساناً مثلنا. ويقول عن الآب إنه إلهه حسب إخلائه لنفسه، ولكنه أعطانا أيضاً أباه السماوي كآب لنا كما هو مكتوب: "وأما كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله أي الذين يؤمنون باسمه" (يوحنا ١: ١٢). أما إذا أنكرنا — بسبب جهلنا — ميلاد كلمة الله الآب بالجسد مثلنا، والذي صار "متقدماً في كل شيء" (كولوسي ١: ١٨). فعلى شبه من سوف نتجدد وسوف نولد من الله بالروح؟ ومن سيصبح الباكورة بالنسبة لنا؟ ومن يستطيع أن يمنحنا كرامة البنوة؟

(ب) أعتقد أنهم سيقولون الكلمة المتجسد.

ما هو تجسد الكلمة:

(أ) كيف تحقق التجسد، إلا إذا صار الكلمة جسداً أي إنساناً، جاعلاً الجسد جسده باتحاد بلا افتراق لكي يكون فعلاً جسده وليس جسد آخر سواه؟ هكذا أعطانا نعمة البنوة وأصبحنا نحن بذلك مولودين من الروح لأن فيه هو أولاً حصلت الطبيعة الإنسانية على هذا الميلاد الروحي، وبولس الإلهي كان يفكر في نفس الموضوع فقال بكل صواب "وكما لبسنا صورة الترابي، سوف نلبس صورة السماوي" وقال أيضاً "الإنسان الأول من التراب ترابي، والإنسان الثاني من السماء. ولكن كما الترابيون مثل الترابي، كذلك سيكون السماويون مثل السماوي" (١ كورنثوس ١٥: ٤٩ و ٤٧ و ٤٨). ونحن ترابيون، فينا التراب من آدم الأول الترابي، أي اللعنة والانحلال اللذين بهما أيضاً دخل ناموس الخطية في أعضاء جسدنا. ولكن نحن صرنا سماءيين، وأخذنا هذا في المسيح، لأنه بالطبيعة الله وهو الكلمة من فوق، أي من الله، ونزل إلينا متجسداً بطريقة فائقة. فوُلِدَ بالجسد من الروح، لكي يجعلنا مثله ونصبح قديسين وبلا فساد، وتزل إلينا النعمة من فوق، ويصبح لنا بداية ثانية وأصلٌ جديداً فيه".

من هذا النص يتضح لنا الآتي:

١- كان التجسد حسب كلمات القديس كيرلس هو "تحول في الطبيعة الإنسانية"، وهو تحول حدث في الطبيعة الإنسانية التي ولدت من القديسة مريم.

٢- كان ميلاده هو "ميلاداً للحياة ... لكي ننال نحن هذه النعمة وتصل إلينا"، وبقية الفقرة ذات دلالة هامة "وتصل إلينا منه لكي نولد ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله (يو ١ : ١٣)".

٣- "وبالروح القدس تولد نفوسنا ميلاداً جديداً".

إذن ماذا حدث للطبيعة القابلة للموت التي ماتت على الصليب؟ بالعودة إلى محاضرات شرح تجسد الكلمة، يجد القارئ ما يأتي:

أولاً: القبول الإرادي لابن الله الكلمة لأن يتجسد، يجعل تجسده خاضعاً لقوة وإرادة اللاهوت. فالمسيح ليس محصلة أو ثمرة اتحاد طبائع يتم حسب قوانين الطبائع، بل هو أقنوم الكلمة الذي بإرادته الحرة قبل الطبيعة المائتة واتحد بها بقوة ومحبة ألوهيته للآب وللبن، وهي أيضاً محبة واحدة لا تقبل الانقسام أو الفصل.

ثانياً: كان للرب إرادة حرة إنسانية، ولكنها لم تكن إرادة الطبيعة الإنسانية التي تحيا بدون اللاهوت مثل إرادتنا نحن قبل المعمودية، بل الإرادة الحرة الإنسانية لأقنوم الكلمة المتجسد التي تأخذ حريتها من الطاعة للآب ومن محبة الآب، المحبة الكاملة، إنسانياً وإلهياً أيضاً. هذه المحبة لا تسمح بالابتعاد عن الله.

ثالثاً: في نص جميل شعري - حسب الإيقاع اليوناني - يقول الرسول بولس في فيلبي ٢ : ٦ - ٨ :

الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ،
لَمْ يَحْسِبْ خُلُوسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ.
لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ،
أَخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.
وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَمَا إِنْسَانٍ،

وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتَ الصَّلِيبِ".

هذه حركة ديناميكية للمحبة الإلهية التي لا تجعل للذات مكان المركز، بل إخلاء الذات، واتخاذ صورة العبد، والحياة كإنسان، والطاعة حتى الموت.

كل هذه معاً تجعل المسيح بلا خطية لأننا نحن العبيد لدينا العكس: مركزية الذات، رفض صورة العبد، الحياة تحت عبودية الأهواء، واختيار الذات وسيلة وغاية، العصيان حتى الموت، موت العصاة، ولذلك يقول الرسول:

"لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضاً،

وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ (يهوة)؛

لِكَيْ يَجْتَنُوا بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ،

وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ".

لأن المجد الذي أخذه من الآب هو ذات مجد الآب.

رابعاً: كلمات فيلبي ٢: ٦ - ٧ هي عكس ما حدث في تك ٣: ١ -

١٩)^(١)؛ لأن الذي خُلِقَ حسب صورة الله، أي آدم، رفض الصورة والمثال، بينما الذي هو صورة الله الحقيقية (عب ١: ٣)، لم يجعل هذه الصورة عائقاً أمام

(١) "وَكَانَتْ الْحَيَّةُ أُخِيتَ جَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الْإِلَهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَخفاً قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللَّهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمْسَسْهُ لَعَلَّ تَمُوتَا». فَقَالَتْ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللَّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَعُ أَغْشِيَتُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضاً مَعَهَا فَأَكَلَ. فَانْفَتَحَتْ أَغْشِيَتُهُمَا وَعِلِمًا أَتَاهُمَا عَنْثَانَانِ. فَخَاطَبَا أَوْرَاقَ تَيْنٍ وَصَنَعَا لِنَفْسِهِمَا مَازَرَ. وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَا أَدَمَ وَامْرَأَتَهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَتَنَادَى الرَّبُّ الْإِلَهِ أَدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَتَنْت؟» فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لِأَنِّي عَنْثَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عَنْثَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ أَدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهِ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَوَّيْتَنِي فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهِ لِلْحَيَّةِ: «لَأَنَّكَ فَعَلْتِ هَذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وَحُوشِ الْبَرِّ. عَلَى بَطْنِكَ تَسْعَيْنَ وَثَرَاباً تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَأَضَعُ عِدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرُ أَكْثَرِ أَثْعَابِ حَيَاتِكَ، بِالْوَجْعِ تَلِدِينَ أَوْلَاداً. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيفَاكَ وَهُوَ يَسُوذُ عَلَيْكَ». وَقَالَ أَدَمُ: «لَأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لَا تَأْكُلَ مِنْهَا، مَلْعُونَةُ الْأَرْضِ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكاً وَخَسَافَةً تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ غُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقٍ وَجْهَكَ تَأْكُلُ خُبْزاً حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لَأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ».

الخلاص وطاعة الآب كعبد.

طلب آدم الحياة حسب صورته الذاتية التي اختارها، فسقط في فراغ الأنا، أي جحيم النفس والذات التي تحيا حسب مركز الوعي والحياة بدون الله. طلب المسيح الحياة حسب محبته ومحبة الآب، لذلك نال المجد وبذلك غلب الخطية والموت.

أخيراً: تؤكد تجارب الرب في البرية أثناء صومه الأربعيني أن ما حدث في تك ٣: ١ - ١٩ قد انقضى، فقد رفض الرب الحياة الآتية من الخبز وحده. وكلمة "وحده" هامة، فهي مصدر الحياة الذي جعله آدم فوق مصدر الحياة الأبدي، أي الله نفسه.

ورفض المسيح السيادة على العالم بالسجود لمن يملك العالم، وبذلك كسر شوكة الكبرياء.

رفض أن يجرب أمانة الله، وعاش في طاعة كاملة؛ لأن الطاعة الكاملة هي طاعة المحبة^(١).

وبسبب طاعة ومحبة الرب: قَبِلَ الرب الموت طوعاً (يو ١٠: ١٨)، ومات وهو في سرور المحبة (عب ١٢: ٢)، فلا مكان للخطية بسبب المحبة والطاعة. وقبل الموت الاختياري بالإرادة الحرة، هو ما يجعل كل الكنائس الأرثوذكسية تنشد: "بالموت داس الموت".

لأن الإرادة الحرة لأقنوم الله الكلمة قَبِلَت الموت لكي تثمر الحياة. خضعت للموت بحرية وليس بسبب قوانين الطبيعة؛ لكي تقوم الحياة ظافرة بالخلود.

لعل كلمات الرب يسوع: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذْهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ دَاثِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيْضاً" (يو ١٠: ١٨)، هي التي

(١) يوجد أربعة أنواع للطاعة: ١- طاعة العبيد للسيد. ٢- طاعة المتساويين في الكرامة. ٣- الطاعة للقوانين المدنية. ٤- طاعة المحبة، حيث يقبل الأعظم أن يخدم ويقدم ذاته لمن هو أقل، وهو ما أعلنه ربنا يسوع في حياته وموته (عب ١٢: ٢) من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب ...".

تجعل هذا السلطان يهدم الجحيم، ولذلك يقول الرسول بطرس: "لم يكن ممكناً أن يمسكه الموت" (راجع أع ٢: ٢٢ - ٢٥ - ٢٦). لقد نقض أوجاع الموت (أع ٢: ٢٤)؛ لأنه كان حراً. وليس تحت دينونة الموت؛ لأنه لم يخطئ. وهو لم يخطئ؛ لأنه عاش حراً في حرية محبته وحرية طاعته للآب.

هل قاوم المسيح الخطية مثلنا؟

نعم ولا. نعم، أي المقاومة التي فيها شعلة المحبة للآب.

لا؛ لأنه لم يكن يعاني من الانقسام في الإرادة وفي المحبة مثلنا؛ لأنه في تجاربه في البرية كان الرد سريعاً وحاسماً وبلا تردد. وحتى في البستان كانت الصلاة هي لطلب إرادة الآب، وهذا يؤكد أن له ذات إرادة الآب، وإلا فكيف استطاع أن يطيع هذه الإرادة؟ يقول الرسول في العبرانيين: "إذ هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين أيضاً"، لكن يظل الفرق الواضح هو القلب المنقسم الذي تسوده المشاعر والانفعالات.

في الأدب النسكي الأرثوذكسي: "من تسود إرادته على ميوله وعواطفه ومشاعره، هو من يحمل الصليب بوعي، ولكن من تسود عواطفه وميوله ومشاعره على إرادته هو من ترك الصليب، ويظن أنه يحمله عندما يريد".

هل لنا شركة في الفداء؟^(١)

لم تنتظر منابر الذين لا حس لهم، ولا شعور حتى تجف دماء الشهيد الأنبا أيفانيوس الذي قُتِلَ غدرًا بجرمة وحشية تُعبّر عن كراهية شيطانية، فانطلقت - بغير حق، بل زورًا وبهتانًا - تسفّه وتهدم إنساناً سُرقَت حياته وهو في قمة العطاء والمساهمة في التنوير الذي بدأه الأرشيدياكون حبيب جرجس، ودفعه الأب متى المسكين إلى الأمام بالعودة إلى آباء الكنيسة، مدعيةً عليه ما لم يقله، بل ما لا يمكن لعقل على صلة بالإيمان المسيحي ومحتواه المسلّم لنا من القديسين أن يفكر فيه. فقد نشر نيافة المطران، متخفياً تحت اسم "مسيحي أرثوذكسي" مقالاً - لا علاقة له بالمسيحية أو الأرثوذكسية - بعنوان: "الرد على تعليم غير مستقيم ضد الفداء للأسقف أيفانيوس رئيس دير القديس مكاريوس الكبير، بدعة اشتراك البشر في الفداء"، لم يورد فيه مرةً واحدة عبارة واحدة - للراحل الكريم - يقول فيها باشتراك البشر في الفداء، لكنه إمعاناً في الحقد وإذكاءً للانقسام يستعير هذا العنوان من محاضرة للأنبا شنودة الثالث يتهم فيها القمص متى المسكين - زوراً وبهتاناً وليّاً لعنق الكلام واصطناعاً للأخطاء وتزويراً للإيمان المسيحي - بأنه يقول باشتراك البشر في آلام المسيح الفادية!!

يبدو أنهم لم يهتموا أن يصير الرجل شعلة نور تضيء لعددٍ من شباب وشابات الكنيسة، فيعيدون بثّ أشعتها في أرجاءها، فتكشف زيفهم وتُظهرهم على حقيقتهم ذئاباً خاطفة، وإن تزوّوا بفراء الحملان. ودون أن يكون لنا تواصل شخصي مع هؤلاء الشباب سوى الدراسات والمقالات، كان لهم نفس الحنين إلى استدعاء آباء الكنيسة الذين كنا نسمع أسماءهم في مجمع التسبحة السنوية وفي القداسات، ليقودوا الكنيسة في هذا الظرف كما سبق لهم أن قادوا الكنيسة الجامعة في أخطر مراحل سيرها، وكنا نتساءل عن مؤلفات هؤلاء الآباء. وبالرغم

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٦ أغسطس ٢٠١٨.

من أن هذه الكتابات قد جاءت إلينا أولاً باللغات الأوروبية، إلا أن اكتشاف الأصول اليونانية، كان بمثابة موجة عارمة دفعها حب اكتشاف حقائق الإيمان والارتباط العضوي بأمر الشهداء.

مزج الفكاهة بالإيمان:

لا شك أن الأنبا شنودة الثالث كان يملك روح الدعابة والقدرة على التواصل مع الجماهير. كان صورةً جديدةً لبابا الإسكندرية الذي لم يكن يحتجب ويختفي. لذلك فإن المدقق المحيد لن يجد في ردوده التي نُشرت على ما تصور أنه بدع أو أخطاء، سوى فكاهات بلا تاريخ، ونوعٍ من الدعابة التي تحولت في عقول السامعين إلى حقائق إيمانية، عُرفت بعد نياحته باسم "تعليم البابا شنودة"!!

وإذا كان التعليم هو تقرير وعرض حقائق لا تقدم أسئلة استنكارية تضرب جذور أو أساسات الإيمان، فالسؤال الذي يفرض نفسه هو كيف تحول الهذُر إلى تعليم؟

أليس من قبيل السخرية والدعابة أن يسأل: هل تسجد الكنيسة لنفسها، أو تأكل نفسها عندما نصلي: نسجد لجسدك المقدس؟

وهل أجاب الأنبا شنودة، ولو مرة واحدة على ما طرحه من الأسئلة الاستنكارية التي كان يطلقها في محاضراته ويحشد لها مقالات الكرازة، والتي نُشرت بعد ذلك في كتاب "بدع حديثة"؟

فيما يخص موضوعنا، سأل مستنكراً هاذراً: "هل أخذ الرب جسد يهوذا وبيلاطس ..؟" دون أن يعلم أن سؤاله هذا إنما يضرب أساس تجسد الكلمة الذي صار "آدم الثاني، أو آدم الأخير" حسب تعبير بولس الرسول نفسه؛ لأنه إذا لم يكن الرب يسوع قد أخذ جسد الإنسانية، لا جسد فردٍ أو شخصٍ واحدٍ، فكيف إذن تم فداء البشر؟ ألم يكن يعلم أن الفداء ليس من أجل أفراد، بل من أجل كل البشر؟!

وفي مقالته "كيف تم فداء البشر؟" يذكر قداسته أن بولس الرسول لم يكن قد آمن

بالرب عندما صُلب الرب. هذا صحيح، وتلك حقيقة بيولوجية، ولكنها ليست حقيقة استعلان الخلق الجديدة، وإلا فكيف - كما يذكر قداسته - كتب بولس أنه صُلب مع المسيح (غلا ٢: ٢٠)؟ ولكن يبدو أن قداسته قد نسي بقية الاعتراف الرسولي: "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غلا ٢: ٢٠). والإيمان هو ما ذكره بولس نفسه: "إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي"، والإيمان ليس قفراً فوق التاريخ؛ لأن الزمان هو عنصر جوهرى في الخلقة القديمة، ولكن "ملء الزمان" قد تم، لأن الرب نفسه قال بعد أن هزم الشيطان في البرية: "قد كمل الزمان واقترب ملكوت السموات، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مرقس ١: ١٥). فإن كان للزمان قدرة على أن يفصل بيننا وبين المسيح، فكيف قال الرب نفسه: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠)؟ وإن كان المسيح رب المجد "لم يسلم جسده في العلية، بل سلم رمزاً"، بحسب ما ورد في كتاب قداسته "تأملات في أسبوع الآلام، ٥ كتب"، وأن الفداء تم يوم الجمعة، مصداقاً على ما يقول به المذهب الإنجيلي المشيخي، وإن كان الزمان يستطيع أن يفصل ما حدث في العلية، حيث سلم الرب جسده، عن حقيقة استعلان تقديم الرب قرباناً محبة، فما معنى أن نردد ما حدث في العلية في كل القداسات الأرثوذكسية، وهو ما سلم إلينا، بل ما كتبه بولس بنفسه: "لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً" (١ كو ١١: ٢٣)؟ لأن التسليم، وإن كان يتم بواسطة أشخاص، فهو عودة كل الأشخاص إلى الرب نفسه الكائن والحاضر دائماً في وسط جماعته، وهذه ليست فكرة في عقولنا، بل هي الحقيقة التي يعود إليها الوعي بالاعتراف وبالصلاة.

كيف اشتركنا في الفداء؟

إلى حوار الأسلوب الاستنكاري الهاذر، يمكنك عزيزي القارئ أن تلاحظ أن الأساس في كل ما كتبه قداسة البابا شنودة عن الفداء، والذي أعاد كتابته الأنبا بيشوي في كتابه "عقيدة الفداء والكفارة"، لا يخرج عن دائرة تشفي الآب وإشباع رغبته في عقوبة الابن المصلوب لأجل خلاصنا!! .. الأول جعل الرب يسوع ذاته يتحول إلى رماد، فيتسمم الآب رائحة الرضا، والثاني جعل الجلادات الحارقة هي

سبب الخلاص والفداء، وهو ما جعل كلاهما يردد ذات العبارات والألفاظ: إن المسيح وحده مات لفداء البشر، فقد صُلب وحده، ومات وحده، وهنا تصبح عبارة "مات لأجلنا - أو مات عنا" هي الأساس الواحد الذي يجعل كلاهما يتهم كاتب هذه السطور والأب متى المسكين ونيافة الأنبا أيفانيوس ببدعة لا وجود لها إلا في عقليهما معاً، وفي عقول كتائب الأنبا بيشوي من أتباعه الذين يحصلون على مرتبات من أسقفية الشباب، والمركز الثقافي القبطي، ومطرانية كفر الشيخ ودمياط. ولكن يبقى السؤال الجوهرى: ما هي علاقتنا نحن بالمصلوب والحي معاً، الإله المتجسد؟

١ - لقد غاب عن قصدٍ أو عن جهل، الحديث والكتابة عن شركتنا في آلام المسيح، فبعد أن اعترف رسول الرب بالإيمان وتحوله من الشريعة إلى نعمة الإنجيل، وبعد أن سرد حياته الماضية وقرر أنها "نفاية" (فيلي ٣: ٨)، كتب:

"لكي أوجد فيه (المسيح)".

ولم يكتفِ، بل زاد: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته" (فيلي ٣: ١١)، فهل يمكن لنا - بناءً على ذلك - أن نقول إن بولس كان شريكاً في الفداء، وأنه دفع الثمن للآب إرضاءً للعدل الإلهي، تلك الفكرة المزيّقة التي وصلتنا من أنسلم، مروراً بأوجين دي بليسي، واستقراراً عند الأنبا شنودة والأنبا بيشوي؟

طبعاً الإجابة بالنفي، ولكن شركة بولس مثلها مثل شركتنا نحن أيضاً في دم المسيح (١ كور ١٠: ١٦)، هي شركة الكأس، وشركة الجسد في سر الشكر، وبالتالي لم يعد جسد المسيح خاصاً به وحده حسب تزييف شرير يقال عن جهل، بل جسده الذاتي الواهب للحياة للعالم طبقاً لخطاب الرب في (يو ٦: ٣٣ - ٦٥)، وأننا "إن لم نأكل جسد ابن الإنسان ونشرب دمه، فليس لنا حياة فينا، أي حياة ذاتية" (يو ٦: ٥٣)، ولكن بسبب سر الشركة، أصبحت لنا حياة أبدية وقيامة أبدية هي قيامة الرب نفسه، وهو ما جعل الرسول يكتب: "لأعرفه وقوة قيامته".

وبالتالي فإن فكرة البديل العقابي، وهو تعبير لم يرد بالمرة لا في صلواتنا ولا في العهد الجديد ولا عند الآباء، بل يحاول نيافة الأنبا رافائيل أن يفرضه عنوةً على أثناسيوس، هي فكرة تدبّر بكل وضوح العلاقة بيننا وبين المصلوب الحي؛ لأننا لا نزلنا نرتل "المسيح قام من الأموات بالموت داس الموت"، ولم يكن الموت الذي مات به المسيح هو موتٌ خاصٌّ به، بل خاصٌّ بنا نحن البشر حسب الاعتراف: "هذا الذي من أجلنا نزل من السماء وتجسد .. وصلب .. وقام"، وهو ما نرتله في قانون الإيمان.

٢- كما أن القول بأن دم المسيح دُفِعَ للآب ثمناً لخطايا البشر، ليس إلا محاولة لإبعادنا عن المسيح، ليس لأننا ندفع مع المسيح حسب ادعاء الجهل، بل لأن معموديتنا ومسحنا بالمسحة الإلهية، صرنا الهيكل الجديد الأعظم من هيكل سليمان؛ لأن الله لم يعد يسكن في بيوت من الحجارة (راجع أع ٧: ٤٨ - ٥٠)، بل يحيا فينا بالابن في الروح القدس.

فالمسيح ليس خبزاً فقط، بل هو الخبز الحي (يو ٦: ٥١)، وكما أنه حيٌّ بالآب "فمن يأكلني يحيا بي" (يو ٦: ٥٧)، وبالتالي فقد صرنا -بالمسيح- "أحياء لله" (رو ٦: ١١)، ولأننا في المسيح لا نعيش لأنفسنا، بل للمسيح الذي مات من أجلنا وقام (٢ كور ٥: ١٥).

هل هذه هي كلمات الأنبا أبيفانيوس، أم كلمات رسول المسيح: "قدموا أجسادكم ذبيحة حيّة..." (رو ١٢: ١)، فهل يجوز -إلا عند الذين يحاولون قطع الشركة التي بيننا وبين الرب- أن نكون غير ذلك؟ ولكن مدأ لمنطق الجهل على استقامته، فقد يسأل الجاهل: هل حلت ذبائح حياتنا محل ذبيحة الرب؟ حاشا؛ لأن الرب جاء لأجل أن تكون لنا حياة وافرة به (يو ٥: ٤). ألا يصرخ رسول الرب: "نحن الأحياء نسلّم للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت" (٢ كور ٤: ١١). فهل توقف دعاة الكراهية والنبد والتقسيم أمام هذا التعبير: "حياة يسوع"؟

أليس ما ذكره رسول المسيح هو الرد الواجب والصارم أيضاً: "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غلا ٢ : ٢٠).

وفي ضوء ما ذكرناه هل يمكن أن يكون اعتراض الأنبا شنودة على أن بولس لم يكن موجوداً عندما صُلب المسيح، اعتراضاً لاهوتياً حقيقياً؟

وعندما يسأل الأنبا شنودة: مَنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ موجوداً ساعة صلب الرب على الصليب؟ لا أحد، فهل يجوز أن تُكتب هذه الكلمات التي تقطع شركتنا في المسيح لمجرد أن شرح غلاطية للأب متى المسكين لم يعجب الأنبا شنودة وتلاميذه؟

وكيف يتفق ما كتبه اثناهما مع كلمات الرسول: "فما أحياه في الجسد (الآن) فإنما أحياه في الإيمان (ليس بحذف التاريخ أو القفز فوقه، بل بامتداد قوة وعمل المصلوب القائم من الأموات لنا نحن) إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (فيلي ٣ : ٨)؟

ما هو هذا الإيمان؟

الإيمان بالله الآب كآب لنا أرسل روح الابن إلى قلوبنا صارخاً: "أبأ أيها الآب" (غلا ٤ : ٤ - ٦).

إيمان من قال إن حبة الحنطة إن لم تقع في الأرض وتموت، فهي تبقى وحدها، فقد سبق للرب أن قال: "الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتموت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بشمرٍ كثير"، ثم شدد الرب: "من يحب نفسه يهلكها (يقدمها ذبيحة) ومن يبغض نفسه (لأنه حمل الصليب وأنكر وجوده الخاص المستقل) في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية .. وحيث أكون أنا يكون خادمي" (يو ١٢ : ٢٤ - ٢٩).

الخلقة الجديدة عندما مات الكل فيه (٢ كور ٥ : ١٥)

يسير أصحاب مدرسة الفصل والتقسيم -متوهمين- بخطئ واسعة لهدم الإيمان، وتدمير الأساس الذي لا يمكن تدميره، غير مدركين أنهم إنما يدمرون أنفسهم.

كتب رسول الرب: "محبة المسيح تحصرنا

إن كان واحد مات لأجل الجميع

فالجميع إذن ماتوا

هو مات لأجل الجميع

لكي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم

بل للذي مات لأجلهم وقام."

كيف مات الجميع كما شرح أثناسيوس الرسول بحق:

"موت الجميع تم في جسد الرب" (تجسد الكلمة ٢٠ : ٥).

وعن إبادة الموت والفساد يقول: "أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به.

فقد كان الموت حتمياً" (تجسد الكلمة ٢٠ : ٤).

ولأن الكلمة غير مائت وأخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت، ففي هذا الجسد

تمت إبادة الموت (عب ٢ : ١٤) " (تجسد الكلمة ٢٠ : ٦).

وقبل ذلك في الفصل الثامن من تجسد الكلمة: "من أجل محبته للبشر بذل جسده

للموت عن الجميع أولاً: لكي إذا كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر شريعة

الموت والفناء لأن سلطان الموت قد استُنفذ في جسد الرب ... " (٨ : ٤).

لقد تم الحكم في الكل في الرب لكي نتحرر نحن، وفي الرب لكي لا يبقى

للموت سلطاناً علينا لأن الرب أعادنا إلى الحياة ولم يكن الموت وحده هو طريق

الخلاص، بل الموت والقيامة واتحاد ألوهية الكلمة بنا، أي بالناسوت مما جعل

موت الرب وقيامته هو موتنا وتحريرنا نحن.

حقاً إن كان أحدٌ في المسيح، فهو يعرف شريعة الحياة، أي "شريعة روح الحياة في المسيح" (رو ٨: ٢)، وهي شريعة تعود إلى التجسد والصلب والقيامة والصعود، أساسات التدبير التي جعلت من الرب رأس الجسد الواحد الكنيسة.

فمن الرأس "الذي منه كل الجسد بمفاصل ورُبط متوازراً ومقترباً ينمو نمواً من الله" (كولوسي ٢: ١٩)، وهكذا بسر الانضمام للجسد، ومن الرأس الواحد يسوع، يجمعنا الروح القدس "بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد.." (١ كو ١٢: ١٣). وفي سر المعمودية ومسحة الروح القدس وشركتنا في جسد الرب ودمه لا نعود إلى أحداث تاريخية فقط، بل يعود بنا الرب نفسه إلى ما حدث له من معمودية وصلب وقيامة لكي نموت معه ونُصَلب معه ونُدفن معه ونقوم معه لكي نعود إلينا الحياة الجديدة، وهي ليست عودة بالعقل والوعي وحده، بل عودة الكيان الإنساني كله إلى مصدر وواهب الحياة ربنا يسوع المسيح الذي يعمل كل هذه فينا بالروح القدس لا حسب الذكاء الانساني بل حسب روح الحياة "الرب المحيي".

تُرى هل كان الأنبا أيفانيوس قد هرطق عندما أعاد التعليم الرسولي؟ أم أن منابر الصغار التي لا تراعي الحس والآداب المصرية، ناهيك عن الآداب المسيحية التي تشعر وتشارك في آلام وأحزان وأفراح الغير، أم أن الاتهام بالهرطقة موجّه لبولس الرسول، ومن قبله المسيح يسوع ربنا - وأصبح كل من اعتمد ليسوع واعتمد لموته وقيامته هرطوقي لأنه يتبع مؤسس هرطقة، وهو يسوع المسيح نفسه (راجع رو ٦: ١-٨)؟

حاشا لنا أن نقول للراعي الصالح ربنا إنك أخطأت عندما وهبت لنا حياة جديدة أبدية، لا حياة أبدية مخلوقة حسب ادعاء المطران الأنبا بيشوي، الذي لا يجد من يرد على مزاعمه من الإكليروس الصامت، في حين أن الذي سكت كان هو الصوت الوحيد القادر على الرد برصانة المؤرخ والعالم اللاهوتي الأب الأنبا اييفانيوس الذي حرّض عليه المطران في قائمة الـ ٢٠ بالاسم والصورة، وكان الأول في القائمة، ورحل إلى الثالث مصدر الحياة مؤسس الكنيسة وواهب كل رباط مع وفي الابن بالروح القدس.

الوسيط والشفيع، ليس بديلاً لأحد^(١)

أخطر ما يحدث في أي مجتمع هو استخدام الإعلام بكل أنواعه، وتجاهل الأبحاث التاريخية الموثقة من دفاتر التاريخ. كان الأستاذ عبد الله العروي قد نشر كتاباً هاماً بعنوان "العرب والفكر التاريخي" يؤكد فيه أن الابتعاد عن دراسة التاريخ هو أكبر تحول في الثقافة العربية إلى ثقافة سماع والاكتفاء بمشاهدة ما تقدمه وسائل الإعلام، ذلك أن نسيان التاريخ هو أخطر ما يحدث لأي جماعة، فهي لا تستطيع أن تراجع ما حدث في سابق الأزمنة ولا تملك مراجعة الأخطاء التي يقع فيها الإعلام والتي يمكن مراجعتها من وثائق التاريخ. ولعل أفزع ما قيل عن حرب ١٩٦٧ هو عبارة موشيه ديان الذي طَبَّق خطة العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ مع تعديل طفيف، وعندما قيل له إن هذا خطأ كان يمكن أن يكتب نهاية إسرائيل، قال هذه الكلمات: "العرب لا يقرأون التاريخ وإن قرأوا التاريخ، فهم لا يفهمونه". وكانت دراسة الأستاذ محمد عابد الجابري: "نحن والتراث - مدخل إلى العقل الأخلاقي العربي" بمثابة خطاب جديد يدعو إلى العودة إلى التاريخ.

الصدمة الحقيقية في الفكر الكنسي القبطي المعاصر هو ما يقدمه الإعلام القبطي عبر قنوات لا تسمح إلا بعدد معروف من الإكليروس يجيد استخدام الميكروفون، ويمزج الفكاهة والهزل بقضايا إيمانية لها مكانتها في التسليم، ومن ثمَّ حشد أخطاء قاتلة تُقال دفاعاً عن فكر شعبي يستند إلى زعامة الأنبا شنودة الثالث، لا إلى الأسفار المقدسة - الآباء - الممارسة الكنسية، وإبعاد التاريخ تماماً لأنه شبحٌ يهدد ما يُقال ويكتب باسم العقيدة الأرثوذكسية التي يعرفها هذا النفر القليل دون غيرهم.

أولاً: كيف يجوز لمن درس التاريخ أن يقول إن القديس أناسيوس مزج بين

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٥ سبتمبر ٢٠١٨.

اللاهوت الشرقي واللاهوت الغربي؟ التعبير نفسه لم يولد إلا بعد الانفصال الكبير بين روما والقسطنطينية في القرن ١١ أي بعد نياحة القديس أناسيوس ب ٥٠٠ عام. وتاريخياً كان أول من رسم بشكل واضح التعليم بالموت العقابي على الصليب لرد كرامة الله الآب هو أنسلم رئيس أساقفة كانتبري (توفي ١١٠٩) في كتابٍ نال شهرةً طوال العصر الوسيط الأوروبي: "لماذا تجسد الله؟". ودخل إلينا فكر أنسلم مع محاضرات اللاهوت النظري للأب أوجين دي بليسي ومع كتاب علم اللاهوت الخاص بالكنيسة الإنجيلية، وكان محور هذا التعليم هو وفاء ما يطلبه العدل الإلهي من الابن. وللذين يريدون أن يفرضوا فكر العصر الوسيط الأوروبي على القديس أناسيوس، نلفت نظرهم إلى الآتي:

- ١- الوسيط والشفيع -لغويًا- قبل أن يكون الأمر تاريخياً، لا تعني البديل.
 - ٢- وأن كلمة "عقاب"، أو "عقابي" لا وجود لها في كتابات القديس أناسيوس، وقبل ذلك في العهد الجديد برمته.
 - ٣- اللعب على معاني الكفارة والفداء، وخلط معاني الكلمتين بدفع الثمن، ثم ترضية العدل الإلهي، لا يعرفه حتى العهد القديم كله، وقد سبق ونشرنا دراسة موسعة بعنوان: "موت المسيح على الصليب"^(١) لشرح معاني هذه الكلمات.
- ثانياً: على الرغم من أن الترجمة العربية التي نشرها د. جوزيف فلتس لكتاب "تجسد الكلمة" للقديس أناسيوس هي أدق ترجمة عربية، إلا أن أي نص مترجم مهما كانت دقة المترجم، تحتاج دائماً إلى إيضاح لبعض الفقرات التي وردت فيها كلمة معينة مثل "نيابةً عنا"، ومراجعة ما ذكره المعلم العظيم أناسيوس في كل الكتاب، وليس قنص عبارات أو كلمات.

لاحظ: "بسبب صلاح أبيه ومحبه للبشر ظهر في جسد بشري لأجل خلاصنا" (٢: ٤).

- "ولكي تعلم أن نزوله إلينا كان بسبينا، وأن تعدينا استدعى تعطف الكلمة" (٤: ٢).

(١) يمكن مراجعة هذه الدراسة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

- وفي الفصل السادس بالذات من أول سطر حتى نهاية الفصل:
"من غير اللائق طبعاً أن الله بعدما تكلم ... يتضح أنه كاذب .. الخ

- "من غير اللائق أن تهلك الخليقة (ترجع إلى العدم والفساد).

ويضع المعلم حقيقة تجسد الكلمة في (فقرة ٨ - ١٠):
"لو أن الله أهمل الإنسان، لكان هذا ضعف من الله - أما وقد خلقه .. فقد كان
سيصبح من غير اللائق بالمرّة أن تغنى المخلوقات أمام عين الخالق"،
وأيضاً:

"كان يجب إذن أن لا يترك البشر ينقادوا للفساد لأن هذا عملاً غير لائق
ويتعارض مع صلاح الله".

في الفصل السابع يؤكد المعلم أن التوبة "كانت غير كافية" (٧: ٤) لأن
القضية الأكبر هي إعادة الصورة الإلهية والنعمة التي فقدتها الإنسان. من كان
يمكنه أن يفعل ذلك؟ والجواب:

"كان الكلمة هو وحده القادر أن يأتي بالفساد إلى عدم فساد وأن يصون
صدق الآب ... كان هو وحده القادر أن يعيد خلق كل شيء، وأن يتألم عوض
الجميع وأن يكون شفيعاً عن الكل لدى الآب" (٧: ٥).

وقد تركنا ترجمة د. جوزيف كما هي لأن السياق كله في الفصل السابع لا
توجد فيه إشارة واحدة لإرضاء العدل الإلهي، ثم أن الشفيع ليس بديلاً، ومهما
كان تأويل "عوض الجميع" والأصح "عن الجميع" لأن كل مسيحي لا زال يتألم،
وقد امتد خط الدماء من الجلجثة إلى الإسكندرية والقاهرة ومدن صعيد مصر.

٤ - "بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع وقدمه للآب" (٨: ٤)، ولكن
لاحظ السياق كله: "كل هذا فعله من أجل محبته للبشر أولاً: لكي إذ كان
الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل من البشر شريعة الموت والفناء، ذلك لأن
سلطان الموت قد استنفذ في جسد الرب، فلا يعود للموت سلطاناً على أجساد

البشر. ثانياً: وأيضاً فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد الذي جعله جسده الخاص وبنعمة القيامة يبيد الموت .. " (راجع ٨ : ٤)، فهل هنا يوجد مجال للعدل والانتقام من الرب، أم هي المحبة؟

٥ - لم يكن ممكناً أن يقضي على فساد البشرية .. سوى الموت نيابةً عن الجميع .. لهذا اتخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى عندما يتحد بالجسد .. يصبح جديراً ليس فقط أن يموت نيابةً عن الجميع .. ويبقى الجسد في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به " (٩ : ١-٢).

وبقاء الجسد في عدم فساد ليس مثل إشعال نار العدل الإلهي حتى يتحول الجسد إلى رماد (كما ذكر الأنبا شنودة الثالث في تأملات في اسبوع الآلام ٥ كتب).

تقديم الرب لجسده:

هكذا علّم القديس أنثاسيوس: "لذلك قدّم للموت ذلك الجسد الذي اتخذه لنفسه كتقدمة مقدسة وذبيحة خالية من كل عيب. وببذله لهذا الجسد كتقدمة مناسبة، فإنه رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه من البشر" (٩ : ١).

ما الذي يجب أن نراه في شرح القديس أنثاسيوس؟

مع تحفظي على ما حُشر في الترجمة العربية، ودون أن يضيع الوقت في جدل حول دقة الترجمة، إلا أننا سوف نعتمد على ترجمة د. جوزيف فلتس؛ لأن سياق الكلام نفسه يُبطل تماماً فكرة البديل، ويؤسّس التعليم الرسولي عن الوسيط والشفيع ورئيس الكهنة يسوع مخلصنا كلنا حسب العهد الجديد، لا سيما الرسالة إلى العبرانيين.

أولاً: رفع حكم الموت عن كل البشر لأن هذا كان مستحيلاً علينا؛ لأن:

١ - التوبة لا تكفي.

٢ - ضرورة رد نعمة الصورة الإلهية، التي لا تُذكر في كل شرح البدلية العقابية.

٣ - هبة أو نعمة القيامة.

ثانياً: ما غاب تماماً عن البدلية العقابية هو أن الوسيط هو اللوغوس كلمة الله خالق الكل، وهو كخالق، كان وحده الذي يملك بقوته الإلهية أن يرفع حكم الموت؛ لأن اتحاد الكلمة بالناسوت هو الذي حفظ الناسوت من عدم الفساد (٩: ١)، وهو الذي بمحبته للبشر بذل جسده (٨: ٤) ورد البشر إلى عدم الفساد (٨: ٤)، ولذلك في وضوح شديد، كتب المعلم: "نزل إلى عالمنا اللوغوس الله الذي بلا جسد، الخالد (عدم الفناء) وغير المادي .. أتى إلينا في تنازله ليُظهر محبته لنا ويفتقدنا" (٨: ١).

ثالثاً: يعود القديس أثناسيوس في الفصل ١٧ مؤكداً قوة وحضور اللوغوس وهبة الحياة لكل الكائنات (١٧: ١) وأنه هو الذي أعطى الحياة لجسده البشري (١٧: ١) الذي منه "كل الأشياء تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها" (١٧: ٦) وهو لأنه الكلمة الخالق "أحيا الجسد المائت (أي جسده) وطهره (١٧: ٦).

رابعاً: تحول جسد الرب - بالاتحاد وبمواجهة الموت - إلى الجسد الحي، الذي باتخاذ جسداً ماثلاً لجسد جميع البشر، وباتحاده بهم وبالناسوت الذي أخذه من والدة الإله، فإن ابن الله عدم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعده القيامة من الأموات. ولم يعد بعد الفساد الفعلي (الحادث عندنا نحن البشر) بالموت له أي سلطان على البشر بسبب اللوغوس الذي جاء وسكن بينهم في جسده (أو بواسطة جسده) (٩: ٢).

الفدية والدين:

القنص والقفز لا يفيد الباحث عن شمولية التعليم. "الفدية" من كلمات العهد الجديد نفسه. والفداء هو عمل إلهي، وهو ما يفعله الله ويعجز عنه البشر:

"الأخ لن يفدي الإنسان" (مز ٤٩ : ٧). "لأن الله هو يفدي البشر" (مز ٤٩ : ١٥ - مز ١٠٣ : ٤) ولذلك كتب أرميا النبي إن الله هو الذي يفدي (أر ١٥ : ٢١). وصرخ المزمور: "يا الله افد إسرائيل" (مز ٢٥ : ٢٢)، ولذلك سأل الرب يسوع نفسه عن عجز الإنسان عن فداء نفسه فقال: "ماذا يعطي الإنسان فداءً لنفسه" (متى ١٦ : ٢١ - مرقس ١ : ٣٧). ونحن لا زلنا نتوقع "الفداء"، أي فداء الجسد يوم القيامة، عندما نقوم بمجد المسيح ربنا (رو ٨ : ٢٣)، وفي الرب وحده "لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته التي أجزأها لنا بكل حكمة وفطنة" (أفسس ١ : ٧-٨). في المسيح لنا فداء، وهو ليس ثمناً دُفِعَ للآب، بل حياة أبادت الموت الذي فينا وجعلت الرب "يبدل ذاته فدية عن كثيرين" (متى ٢٠ : ٢٨)، فالذي "بذل نفسه فديةً" والفدية، هي عمل الوسيط الواحد الذي لا وسيط آخر غيره حسب كلمات رسول الرب: "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والبشر، يسوع المسيح الإنسان الذي بذل نفسه فديةً عن الجميع" (١ تيمو ٢ : ٦). والإنسان الذي فدى هو الإنسان الذي جدد كياننا الإنساني فيه.

في "تجسد الكلمة" الفصل التاسع: "لأن كلمة الله (اللوغوس) الذي هو فوق الجميع (لأنه الإله الخالق)، فقد كان لائقاً به أن يقدم هيكله الخاص وأداته البشرية (الإنسان يسوع) فديةً عن حياة الجميع" (٩ : ٢) ومن هنا يصبح معنى "الفدية عن حياة الجميع"، هو شرح أناسيوس نفسه "عوضاً أو نيابة عن الجميع".

الدين:

عبارة القديس أناسيوس نفسه: "موفياً دين الجميع بموته" هل تركها أناسيوس بغير شرح؟ بل شرحها بعد ذلك في العبارة التالية، إذ كتب المعلم:

"وهكذا باتخاذ جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر (لاحظ تحكم الأنبا شنودة بسؤال استنكاري، هل أخذ جسد يهوذا وبيلاطس؟)، وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعده القيامة من الأموات .. الخ". أليس الدين هو الموت وفقدان نعمة الصورة؟ ولكي نتأكد من أن هذا هو المضمون

الواضح، فإن المعلم عاد في الفصل ٢٠ ليؤكد كعاداته في التكرار:

١- "لم يكن ممكناً أن يحول الفاسد إلى عدم فساد إلا المخلص نفسه، الذي خلق (لأنه اللوغوس الخالق) منذ البدء كل شيء من العدم" (٢٠: ١).

٢- "ولم يكن ممكناً أن يعيد خلق البشر ليكونوا على صورة الله إلا الذي هو صورة الآب" (٢٠: ١).

٣- "ولم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت إلا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (٢٠: ١).

وبعد ذلك التقديم لنفس المعلم في النقاط الثلاثة السابقة، هل يمكن أن تقرأ كلمة "دين"، و"فدية" بذات قراءة كالفن ولوثر قادة العصر الوسيط الذي يُسمى عصر الإصلاح، وهو لم يترك العصر الوسيط إلا في دحر البابوية الرومانية وإعادة تشكيل السرائر من أجل تأكيد أن الفداء تم يوم الجمعة، وأن ما حدث قبل ذلك هو تذكّار ورمز.

٤- وبعد أن دَعَمَ أثناسيوس التعليم بقدرة اللوغوس الخالق، كتب:

"ولما كان من الواجب وفاء الدين المستحق على الجميع، إذ - كما بيّنا سابقاً - كان الجميع مستحقين الموت، فلأجل هذا الغرض جاء المسيح بيننا. وبعدما قدّم براهين كثيرة على ألوهيته بواسطة أعماله في الجسد، فإنه قدّم ذبيحته عن الجميع، فأسلم هيكله للموت عوضاً عن الجميع" (٢٠: ٢)، فكيف جاء السياق بعد ذلك؟

حسب أثناسيوس في نفس فصل ٢٠، أولاً: لكي يبررهم من المعصية الأولى. وثانياً لكي يُثبت أنه أقوى من الموت مُظهراً جسده الخاص به أنه عديم الفساد، وأنه باكورة لقيامة الجميع" (٢٠: ٢).

لا يمكن بالمرّة أن يكون رد الدين هنا بالذات وقبلها، هو إرضاء الآب الغاضب، ولا يمكن أن يقول أي إنسان أمين حتى الموت إن أثناسيوس جمع بين

اللاهوت الشرقي واللاهوت الغربي.

هكذا كتب المعلم أنه يكرر وأنه يشرح المعنى الواحد بطرق عديدة؛ لأنه "من الأفضل لنا أن نُتهم ونُنتقد بسبب التكرار من أن نترك أي شيء كان يجب أن نعرضه بوضوح" (٢٠: ٣)، فماذا كتب؟

- فالجسد لكونه من طبيعة البشر ذاتها لأنه كان جسداً بشرياً.. كان قابلاً للموت.. غير أنه بفضل اتحاده بالكلمة (اللوغوس الخالق)، فإنه لم يعد خاضعاً للفساد بحسب طبيعته، بل بسبب كلمة الله الذي حلَّ فيه، فإن الفساد لم يلحق به".
- ثم بعد ذلك تم إعلان في اتجاهين^(١) في نفس الوقت، وحسب أثاناسيوس نفسه:

الأول: هو أن موت الجميع قد تم في جسد الرب. **والثاني:** هو أن الموت والفساد قد أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به. فلقد كان الموت حتمياً، وكان لابد أن يتم الموت (نيابة) عن الجميع لكي يوفي الدين المستحق على الجميع" (٢٠: ٥). لذلك، ولأن اللوغوس "لا يمكن أن يموت لأنه غير مائت، فقد أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت، حتى يمكن أن يقدمه كجسده الخاص به (نيابة) عن الجميع، حتى إذا ما تألم عن الكل باتحاده بالجسد، فإنه يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت..". (٢٠: ٦).

الرب يسوع فدى جسده من الموت لكي يفدي الإنسانية:

في المقالة الثانية من مقالات الرد على الأريوسيين - والمقالات تحتاج إلى دراسة موسَّعة تعرض التعليم الرسولي الدقيق - يشرح القديس أثاناسيوس معنى عبارة سفر الأمثال (٨: ٢٢) "الرب قناني أول طريقه لأجل أعماله" (راجع فقرات ٥١ وبعدها). وكان الأريوسيون قد تمسكوا بأن النص هو الرب خلقني. ولم يضيع

(١) ليس إعلان متناقض كما جاء في ترجمة د. جوزيف، ص ٥٨ لأن التناقض يلغي ما تم.

المعلم وقتاً في الرد على الترجمة الأريوسية، واعتبر أن لفظة "خلق" كانت هي بداية الخلقة الجديدة، تلك التي استدعت أن يأتي المخلص "لاستردادها وجمعها" (مقالة ٥٢ : ٢)، فقد جاء الرب الكلمة وملك الكل لكي "يشرق جسدياً" (٥٢ : ٢)، ولكي يفدي "ويجعل الكل تحت مملكته الأبوية" (٥٢ : ٢)، وأن يكون هو "الكفيل بتجديد الخليقة". ولاحظ: "لكي إذ قد خُلِق لأجلنا، فإن جميع الأشياء تُخلق به من جديد" (٥٣ : ٢).

"جاء المخلص .. لكي يقيم البشر وينقض أعمال ابليس" (٥٥ : ٢). "مات لأن له جسد بشري" (٥٥ : ٢ عب ١٤-١٥). "لأن الموت جاء بإنسان - حسب عبارة الرسول بولس - ولذلك بإنسان أيضاً (الإنسان يسوع) قيامة الأموات" (١ كو ١٥ : ٢١). الإنسان الوسيط الواحد؛ لأن الإنسان عاجز، لذلك "أرسل الله ابنه في شبه جسد الخطية وبسبب الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم فينا حكم الشريعة" (رو ٨ : ٣-٤). وهذا يشرحه اثناسيوس بإعادة كلمات (يوحنا ٣ : ١٧) وهي أن الله لم يرسل ابنه إلى العالم لكي يدين العالم، بل ليخلص العالم، وبالأولى لم يُدِن الآب ابنه على الصليب، "لأن المخلص لم يأت من أجل ذاته، بل لأجل خلاصنا، ولكي يطلع الموت، ولكي يدين الخطية .. وان كان لم يُخلق (كإنسان) لأجل نفسه، بل لأجلنا، فلا يكون إذن هو نفسه مخلوقاً، بل هو يقول هذا عندما ارتدى جسداً" (٥٥ : ٢). والتجسد كان لتجديد الإنسانية "لأن الذين يخلقهم يتحدون به ويكون هو فيهم مثلما يكونون هم فيه" (٥٥ : ٢). لأن الرب قد خُلِق لأجلنا "لكي تُخلق نحن فيه لكي يكون هو داخلنا" (٥٦ : ٢). "لكي يستطيع أن يطرد الخطية بعيداً عن الجسد بسكناه فينا" (٥٦ : ٢).

كيف تم الخلق الجديد؟

"بما أن كل البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان هو أول ما تم تخليصه وتحريره إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه وهكذا إذ قد صرنا

متحدنين بجسده قد خلصنا على مثاله جسده" (٢: ٦١). فقد أبطل الرب الموت في جسده وهو الأول الذي قام كإنسان، إذ قد أقام جسده من أجلنا .. هكذا نحن نقوم من بين الأموات فيه وبه (٢: ٦١).

جسد الرب نال الحياة بدم الكلمة:

لا أدري ما إذا كانت الأوطاخية والعداوة التي استمرت منذ ٤٥١ مجمع خلقيدونية قد خلقت تطرفاً أدى إلى إنكار إنسانية الرب. بعد أن أكد أثناسيوس أن الرب هو الإله المخلص، "ومع ذلك صار أول الخلق ورأس وباكورة، لأن آدم أضاع الطريق وانحرف إلى الموت بدل (الحياة) في الفردوس، ولذلك جاء القول الذي سمعناه أنك تراب وإلى التراب تعود" (٢: ٦٥). وماذا حدث؟ يجب المعلم: "كلمة الله المحب للبشر لبس الجسد المخلوق بمشيئة الآب لكي يحيي بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه .. وكّرّس لنا طريقاً حياً حديثاً بالحجاب (الذي انشق يوم الصلبوت وأزال الفرق بين قدس الأقداس وباقي أجزاء الهيكل القلسم لأن الهيكل الحديد ليس فيه إلا قدس الأقداس ربنا يسوع المسيح (راجع عب ١٠ : ٢٠)، وهو كما شرح أثناسيوس في نفس السطر "إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليفة جديدة" .. فإنه من الضروري أن يكون هناك شخصٌ (لا فكرة) هو أول هذه الخلق. ولا يمكن أن يكون هو الإنسان الترابي الضعيف .. بل آخر هو الذي يقوم .." (٢: ٦٥).

- "صار المسيح هو بداية القيامة التي تعدّرت علينا" (٢: ٦٦). وهكذا كما يقول المعلم: "خلق المخلص بحسب الجسد، وصار هو أول من خلّقوا من جديد واتخذ باكورتنا التي هي جسده البشري الذي لبسه، وبعده يأتي الشعب الجديد أو الآتي الذي خلّق كما قال داود .." (مز ١٠٢ : ١٨).

- كان الجسد الإنساني ناقصاً (٢: ٦٦)، أي الحياة والقيامة، ولذلك جاء المخلص لكي يوفي الدين عنا ويكمل بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان،

فالإنسان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس (٢: ٦٦). هكذا تم وفاء الدين، ليس بالدفع، بل بتكميل ما هو ناقص حسب كلمات المعلم نفسه؛ لأننا نحن صرنا الأعمال التي يتحدث عنها (الرب) هنا إن الآب أعطاها له ليكملها، هي التي تُخلق من أجلها كما يقول سفر الأمثال (٨: ٢٢ - ٢: ٦٦).

كمال الجنس البشري في المسيح:

والكلمات ليست لنا، بل لأثناسيوس: "كُمل فيه الجنس البشري وأُعيد تأسيسه كما كان في البدء، بل بالأحرى بنعمة أعظم من الأولى، لأننا بعد القيامة من بين الأموات لن نخاف الموت بعد، بل سنملك في السموات مع المسيح على الدوام" (٢: ٦٧).

- ولولا تجسد الكلمة، كان الإنسان سيبقى كما كان دون أن يتحد بالله. لأنه كيف يمكن لمخلوق أن يتحد بالخالق بواسطة مخلوق (آخر) (٢: ٦٧).

- "أبطل الرب الخطية بإبادة الموت، وصار البشر "غير مائتين" (٢: ٦٧) الذي "صفح عن الخطايا" إذ قيل بذات الكلمة الابن الوحيد هو نفسه أنت تراب وإلى التراب تعود هكذا، بذات الابن "تحققت الحرية بالكلمة نفسه وفيه قد صار إبطال الدينونة" (٢: ٦٧).

ماذا يعني إنكار الوهية الرب؟

١- يجيب المعلم "لو كان الابن مخلوقاً لظل الإنسان مائتاً كما كان قبلاً حيث أنه لم يتحد بالله. فإنه لا يستطيع مخلوق أن يوحد المخلوقات مع الله .. أرسل الله ابنه وصار إنساناً باتخاذ جسده المخلوق .. قدّم جسده الخاص للموت من أجل الجميع. إذن حيث أن الجميع ماتوا بواسطته، وهكذا تم الحكم (إذ أن الجميع ماتوا في المسيح) وهكذا، فإن الجميع يصيرون أحراراً بواسطته (الرب) من الخطية واللعنة .." (٢: ٦٩).

٢- ويؤكد أن كل ما أصاب الإنسان قد هُدم "فقد تحررنا جميعاً بسبب علاقتنا بجسده وصرنا متحدين مع الكلمة ولأننا متحدون مع الله، فلن نمكث كثيراً بعد على الأرض بل كما قال هو نفسه "حيث يكون هو نكون نحن أيضاً" (يو ١٤ : ١٣) " (٢ : ٦٩).

لقد تركنا موضوع التأله لأن ما صدر من دراسات يكفي.

وبعد:

هل يمكن لمن يدعي أن القديس أناسيوس جمع بين اللاهوت الشرقي واللاهوت الغربي أن يقدم لنا ولو نقطة واحدة من التشابه؟ في انتظار الرد.

الإيمان المسيحي وقضايا الغيب^(١)

المسيحية تاريخانية. أساسها شخصٌ وُلِدَ مثلنا، وعاش معنا، وصُلب، وقام. تلك أحداثٌ مُطابقةٌ لواقعٍ تاريخيٍّ، سُطِّرت في "كتاب العهد الجديد". وأيُّ من هذه الأحداث لم يكن مجردَ روايةٍ، أو خبراً أو خطاباً، أو تعبيراً عن فكرة أو مجموعة أفكار، بل وقائع حياة شخصٍ، جاء لكي يُعلن لنا حقيقة "الحياة الإلهية" في "حياته الإنسانية".

خُبل به ووُلِد، لا حسبما نعرف عن كل إنسان، بل حسبما جاء هو لكي يُخبرنا به، ألا وهو "ولادة الإنسان" مرةً ثانيةً "من الله نفسه"، فصار ميلاده "المثال" الذي يجعل خبر ميلاده حقيقةً تُعاش، وهي عودة الإنسان إلى الله كآب لكل البشر، وهو ما صار يُشار إليه بالتبني في أسفار العهد الجديد، لا سيما في إنجيل القديس يوحنا، وبعض رسائل القديس بولس.

ومات يسوعُ مصلوباً، فأعلن من على الصليب رسالة الغفران، ليس بالنطق وحده، بل بقبول لصٍّ صُلب معه، عُرف في التقليد الكنسي باسم "ديماس"، أو اللص اليمين.

وقام في اليوم الثالث، فصارت القيامة هي "الاستعلان الحي"، وصارت بؤرة الإنجيل، هي الإنسان ودعوة الإنسان إلى أن يكون في "ملك الله"، أو "ملكوت السموات"^(٢)، ودخول الإنسان إلى ملكوت السموات هو "تحوُّل" وتجديدٌ لكيان الإنسان الذي نعبر عنه أحياناً باسم "القلب"^(٣)، وهو ما نراه في الكتابات القبطية بالذات، حيث "القلب" هو "الشعور" و"العواطف" و"الفكر" التي تمتزج

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٨ يناير ٢٠١٩.

(٢) باعتبار أن الاسم الآرامي القديم لله، هو "السموات"، حسب عبارة الرب يسوع نفسه في مثل الابن الضال أو الابن الضاير: "أخطأت إلى السماء"، أي إلى الله. وأيضاً حسب تعبير الصلاة الربانية: "أبانا الذي في السموات..."

(٣) "القلب" هو الاسم المصري القديم الذي يعبر عن الكيان الإنساني، حتى جاء أبوقراط واعتبر العقل هو محور الحياة الإنسانية، ولذلك كان المصريون في عملية تحنيط الموتى، يحفظون القلب وينزعون "المنخ"، الذي كان وربما لا زال يمثل أهم مقومات الإنسان حتى بعد أبوقراط، وكتب الطب اليونانية التي سادت العالم القديم.

معاً لتكوّن الوعي بالذات. ومن هنا جاء "معلم الحياة" ليقول: إنه هو "الحياة"، بل حسب الترجمة القبطية: "أنا هو الطريق إلى الحياة الحقيقية"، وليس مجرد "الطريق والحق والحياة"، وعلى ذلك صارت هذه الكلمات هي علامات الانتماء إلى الله والإنسانية معاً في آنٍ واحدٍ؛ لأن يسوع المسيح ليس مجرد إله فقط، ولا هو مجرد إنسانٍ فقط، بل هو الإله المتجسّد الذي أعلن اتحاد الله بالإنسان في "شخصه"، لا في "كتابٍ" أو قول.

من هنا بالذات، صارت كلمة "الغيب" لا تنطبق بشكلٍ واضح على المسيحية الأرثوذكسية؛ لأن الإنسان ليس "غيباً"، بل هو "حياة كائنة" في الجسد، وفي تاريخ البشر الذي ينتمي إليه كل إنسان. وهكذا دخل الله دنيا الإنسان في شخصٍ عاش ولا يزال يعيش حياً بسبب القيامة، التي جعلت تجسّده حقيقةً أبديةً غلبت أهم معوقات الحياة، وهي الموت، بل وحتى الإيمان والاعتراف بالروح القدس، ومن ثمّ بالثالوث نفسه، هو اختبار التمايز والوحدة. إذ صار الثالوث المثال الواضح لكل تمايزٍ، بل واختلافٍ يجمع ولا يفرّق، يوحد ولا يفصل. وصار دخولنا في الحياة الإلهية هو شركة في حياة الله نفسه: "ونحن ناظرين بوجهٍ مكشوف، نتغيّر إلى تلك الصورة عينها"، أي صورة يسوع نفسه بالتحول من "مجد إلى مجد"؛ لأن ما نراه يحولنا إلى حقيقة ما نراه، أي إلى ذات الرؤيا.

هذه السطور كانت محور حديثٍ مع صديقٍ ترك المسيحية إلى الإلحاد، بدعوى أن المسيحية تدعو إلى "مجموعة من الغيبات" لا وجود لها إلا في عقول الداعين إليها. وعندما طُرح موضوع الإنسان، وهو المحور الإنساني - الإلهي من ناحيتنا نحن؛ لأن الإنسان هو "صورة الله ومثاله"، وهو المحور الإلهي الإنساني، لأن اشراق الحياة الجديدة جاء بتجسد الابن الوحيد له المجد، صمّت صديقي بعض الوقت، وقال إنه عندما كان يذهب إلى الكنيسة، كان يسمع مجموعة من الأفكار والمثُل الأخلاقية، ولم يكن لدى معظم الذين سمعهم أيُّ إحساس بأن محور رسالة يسوع هو الإنسان؛ لأن يسوع نفسه هو "ابن الإنسان"، أي بشر حقيقي، وهو معنى هذا اللقب الآرامي الأصل أيضاً.

الإيمان، والاعتراف بالله والإنسان معاً:

يُعد قانون الإيمان النيقاوي (٣٢٥-٣٨١) صيغة شاملة تبدأ بـ "خلق الإنسان"، وتنتهي بـ "قيامة الإنسان"، وهي: "الله الآب ضابط الكل خالق السموات والأرض .. نزل من السماء ... وتحسّد ... وصُلب وقام في اليوم الثالث ... وبالروح القدس .. وقيامة الأموات وحياة الدهر الآتي". وحياة الدهر الآتي ليست قضية "غيبية"، بل هي مُستعلنة في تجلي المسيح على جبل طابور، وفي رد الحياة للموتى وشفاء المرضى وتحرير الإنسان من سلطان الشيطان، وفك قيود الشر، وهو ما نعبر عنه أحياناً باسم "غفران الخطايا".

دار الحديث أيضاً حول مَنْ يُدعون مسيحيين بالاسم فقط، وقلت: لا يوجد مسيحي بالاسم إلا في الإطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه كل بشر على وجه الأرض، أما في الواقع حسب الإيمان، المسيحي هو مَنْ يحيا تابِعاً لنفس حياة ربنا يسوع المسيح.

هل الإيمان باللاهوتية يسوع هو إيمان بقضية غيبية؟

بكل يقين لا، رغم أننا نرى في الحياة بشراً درسوا العهد الجديد وآمنوا بالمسيح. ولكن في داخل الكيان الإنساني نفسه، نجد التحول الذي قد يبدأ بتغير السلوك، ولكنه ينتقل إلى ما هو أسمى من السلوك الأخلاقي، إلا وهو الاتحاد بيسوع، وهو وما نراه في كتب قادة الحياة المسيكية شرقاً وغرباً من أنطونيوس الكبير في الشرق إلى إيكهارت في الغرب، وهم رهطٌ من الذين ارتحلوا من عالم المعرفة الواسع إلى حقيقة الاختبار الشخصي لذلك الذي هو أقربُ إلينا من نبضات القلب، وهو الرب نفسه، الذي يشاركنا وجودنا، وقد جاء لكي يشاركه كيانه وحياته الإلهية المتجسدة.

هل ما يزال هناك شكٌّ في عدم صحة التعليم

بالخطية غير المحدودة؟^(١)

نشرت مدونة مركز كنيسة الإسكندرية، يناير ٢٠١٩ مقالاً لـ (الباحث) چون تكلّا بعنوان: "لامحدودية الخطية ... بين القيمة والمقدار"، يقول فيه: "نادى البعض بعدم صحة فكر الكنيسة لأنها تنادي بأن خطيئة آدم كانت غير محدودة، ووصل بهم الأمر أنهم اتهموا الكنيسة أنها "تؤلّله" الخطيئة لنسبها اللامحدودية للخطية! وهذا كلامٌ أحوف وعاري من الصحة لأن اللامحدودية هي في العظمة (صفة) وليس في المقدار (كيان). لأن عظمة الخطأ يأتي من عظمة ومكانة وطبيعة الذي وقع عليه التعدي، وليس في شكل التعدي ذات نفسه. والخطية موجهة لشخص الله غير المحدود، فتصير الخطية خطية لامحدودة من حيث العظمة. والكتاب المقدس فرّق وميز بين الشتيمة إذا وُجّهت من شخص إلى شخص آخر، وإذا وُجّهت للأب أو الأم، وإذا وُجّهت الشتيمة لرئيس الشعب! فوصلت العقوبة إلى درجة الإعدام لمن يشتم أباه أو أمه أو رئيس شعبه! بالرغم من كون الخطأ واحد في كل الحالات! ومادامت العقوبة غير محدودة وأبدية لأن أجره الخطية هي موت أبدي، فهي عقاب على خطية لها نفس القيمة، لأن العقوبة من نفس جنس العمل لأن الله عادل" أهـ.

هكذا يبدو أن تزييف التعليم والشغب الذي دام أكثر من ٤٠ عاماً مضت، ما آن له أن يتوقف بعد. فما زال لدى البعض حملٌ ثقيلٌ من الشعور بالذنب، صارت معه الخطية هي "محور التعليم" الذي يُنسبُ -بتدليسٍ غريب- إلى الأرثوذكسية، والويل لمن لا يقبل هذا التعليم.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٠ فبراير ٢٠١٩.

وبغض النظر عن الطنطنة الفارغة والتفرقة المصطنعة في وصف لامحدودية الخطية بأنها في العظمة (صفة) وليس في المقدار (كيان)، فإننا في النهاية أمام فعل صادر عن مخلوق، لا يُتصوّر أن تتغير طبيعته كلما تغيّر المتلقي لهذا الفعل، وعلى ذلك فليست هذه التفرقة إلا نوع من مخاتلة القارئ وإيهامه بالدفاع عن أفكار، كأنها من صميم الإيمان، حال كونها افتئاتاً زيفوا به الإيمان وطوحوا به بعيداً عن دائرة الرسولية، كان أولى به (الباحث) صاحب المقال إهمالها صوناً للأمانة، بدلاً من الاستماتة في الدفاع عما يشين لا عما يشرف. ورغم سبق معالجتنا لهذا الموضوع في مناسبات مختلفة ومواضع كثيرة في كتاباتنا، إلا أن الحبة والأمانة تلزمنا بأن نضع أمام القارئ العزيز بعض ملاحظات:

أولاً: لم يقدم لنا (الباحث) لا من عند قداسة البابا شنودة ولا الأنبا موسى ولا الأنبا بيشوي، الذين راج على أيديهم هذا التعليم - بالرغم مما قدمه من اقتباسات منهم أو من غيرهم - نصاً واحداً من الأسفار، أو من الآباء يقول بأن الخطية هي "اعتداءً على الله". صحيح أن داود النبي قال حقاً: "لك وحدك قد أخطأت"، وفي مثل الابن الضال: "أخطأت إلى السماء..."، وهذه وغيرها عباراتٍ حق لا مساس بها، ولكنها لا تتحدث عن "عدوان الإنسان"، أو "اعتداء الإنسان" على خالقه؛ لأن هذا الاعتداء غير متصوّر للأسباب التالية:

١ - الله ليس كائناً مادياً يمكن أن يقع عليه اعتداء من الإنسان.

٢ - إن فكرة "إهانة كرامة الله" هي وليدة فكر وتعليم عصر أنسلم، عصر الإقطاع، حيث كانت الجريمة تقاس بمكانة من صدرت بحقه وكرامته الجريمة أو الشر. وغني عن البيان أن عصر الإقطاع الأوروبي الذي وَلَدَ هذه المقولة، لم يكن معروفاً في إسرائيل ولا في زمن الآباء.

٣ - إن المشكلة ليست في الاعتداء على الله؛ لأن هذا غير ممكن كما قلنا، بل هي "فقدان الصورة الإلهية"، ودخول الموت إلى العالم. ورغم دخول الموت إلى العالم، إلا أنه لم يكن دخولاً أبدياً، وبالتالي ما كان يجب أن يموت الرب يسوع

موتاً أبدياً، أو أن يبقى تحت حكم الموت إلى الأبد. لقد جاء حكم الموت لكي لا يبقى الإنسان في فساد الشر؛ لأن تدبير الخلاص معروف قبل خلق الإنسان (أفسس ١ : ٣-٤)، ولم يختارنا الآب في الابن قبل خلق العالم لأننا موتى فقط، بل لأن الخطية والموت هما وجهان لمشكلة الإنسان، لا مشكلة الله.

ثانياً: إن النصوص التي وردت عند البعض -مهما كان أصلها اللغوي- إنما تؤكد على أن استمرار الموت، كان نتيجة لعجز الإنسان عن يفدي نفسه، وهو ما أسهب فيه القديس أناسيوس في "تجسد الكلمة، الفصول: ١-٦ وبالذات عجز التوبة عن تجديد الإنسان.

ثالثاً: يجب أن ننتبه إلى أن الثلاثي الذي جاء المسيح وفصله تماماً:

الخطية - الموت - الدينونة (الحكم).

فقدت عجزت الخطية أن تملك بعد أن حرّنا الرب يسوع. وليس أوضح من كلمات رسول الرب: "حَتَّى كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْمَوْتِ هَكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ بِالرَّبِّ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ يَسُوعُ الْمَسِيحُ رَبَّنَا" (رو ٥ : ٢١). وسبق الرسول وكتب: "بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ هَكَذَا بِرَّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهَبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِكَيْ تَصِيرَ الْحَيَاةُ حَقِيقَةً، أَوْ حَسَبَ تَرْجُمَةٍ فَان دِيكَ: "لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ". وأيضاً: "كَمَا بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هَكَذَا أَيْضاً بِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَتْرَاراً" (رو ٥ : ١٨-١٩).

رابعاً: ماذا نقول للذين لا يعرفون قواعد الإعراب لا في اليونانية ولا حتى في العربية؟ إن "أجرة الخطية هي موت" (رو ٦ : ٢٣)، تعني حسب قواعد الإعراب وحسب سياق التعليم الرسولي في (رو ٦ : ٢٣)، أن الذي يدفع الأجرة هي الخطية، وليس الله.

أهم ما تجاهله تعليم الخطية غير المحدودة

١- ليس الأولى بالاعتبار صفة من وقع ضده الفعل، ولا الفاعل أيضاً؛ لأن ذلك يعني حصر الأمر فقط في دائرة العقاب، وبالتالي تناسى هذا التعليم الدمار الذي حلّ بكيان الإنسان، الإنسان المخلوق حسب صورة الله، إذ خضع للفساد والموت، وهو أمر "غير لائق بالله".

٢- إن الشرح الذي قُدّم عندنا في نهاية القرن الماضي، والذي يسير (الباحث) في ركابه، كان شرحاً دفاعياً، ولم يكن شرحاً لاهوتياً، بمعنى أن أصحاب هذا الشرح أرادوا أن يقرّبوا موت الرب لمن يحصّن نفسه بالعدل الإلهي، فوقعوا في أكبر الأخطاء التي شاعت في هذا القرن، وهي اغتراب الابن عن جوهر الآب؛ إذ لم يعد الابن عادلاً مثله مثل الآب، كما غاب دور الروح القدس في تدبير الخلاص، في حين أنه هو الذي كوّن ناسوت الرب ومسحه في الأردن وقَدّمه لنا مصلوباً (عب ٩: ١٤)، ومقاماً.

هل يمكن بعد ذلك الإصرار على صحة تعليم الخطية غير المحدودة، لاهوتياً؟ وهل يمكن أن يفسر هذا التعليم تدبير الخلاص خارج نطاق العقوبة؟

الرب يسوع قادر على أن ينير القلوب.

الاستنساخ والتسليم الرسولي^(١)

"الاستنساخ"، الكلمة والفعل هما من ثقافتنا المعاصرة، حيث يتم في المعامل استنساخ الخلايا الجذعية stem وأحياناً تحديث نوع جديد من الخلايا، يمكن زرعها في الأعضاء الإنسانية التي تحتاج إليها لكي تنمو وتحل محل الخلايا سبب المشاكل.

تذكرت هذا وأنا أدرس أطروحة الكاتب السوري أدونيس "الثابت والمتحول"، بحثٌ في الإبداع والاتباع عند العرب"، وهي رسالة الدكتوراه التي قُدمت في الجامعة اليسوعية في لبنان. ولست هنا بصدد عرض ما ذكره أدونيس، بل أستعير ذات السؤال الذي طرحه أدونيس، ولكن في مجال التسليم الرسولي للإيمان: ما هو الثابت وما هو المتحول؟

تاريخياً، الإيمان هو الثابت، والمتحول هو التأويل.

الثالث، عقيدة ثابتة، ولكن استخدام مصطلحات لم ترد في أسفار العهد الجديد، كان بمثابة المتحول لمواجهة احتياجات كل عصر، والمثال على ذلك استخدام تعبير "الواحد مع الآب في الجوهر"، أو الصياغة التي صارت من علامات الأرثوذكسية: "جوهر واحد وثلاثة أقانيم". فالمتحول هنا أو التأويل، هو البحث عن كلمات محددة لا تسمح بانتشار الهرطقات.

مرحلة تعريب تراثنا اللاهوتي في العصر الحديث:

يعود الفضل في ذلك إلى الأب متى المسكين، منذ صدور كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، وما تلاه من دراسات صارت بمثابة العمود الفقري في المكتبة المسيحية العربية، التي خرجت بذلك من معتقل العصر الوسيط إلى رحابة العصر الحديث والنظرة العالمية إلى تراث المسيحية. وفي هذا الإطار، لا ننسى

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٤ فبراير ٢٠١٩.

الأخوة والأخوات الذين قدّموا ترجمات عربية وأحياناً دراسات، شقُّوا بها طريقاً في وسط صخر الإهمال وترصّد الأخطاء وحشد الغوغاء الذين لا يعرفون عن تراثنا السكندري، ولا يعرفون عن الآباء إلا الأسماء فقط. وهكذا أصبح لدينا لأول مرة "حوار عن الثالوث"، و"الكنوز في الثالوث" للقديس كيرلس الكبير، وكان الكتابان قد غابا معاً عن فكر وكتابات العصر الوسيط القبطي التي تبدأ بالأسقف ساويرس أسقف الأشمونين.

لكن، يجب التحذير من استسهال الاستنساخ والتأويل؛ لأن الآباء لم يواجهوا -على سبيل المثال، لا الحصر- موجة الإلحاد الوافدة من أوروبا. وإن كان العلامة أوريجينوس هو أول مؤسّس لعلم "نقد النصوص" بنشره كتب العهد القديم بالعبرانية ثم اليونانية في ثلاث ترجمات، كانت اللغة اليونانية فيها مكتوبةً بالحروف العبرانية، ونحن نتكلم عن هيكسابلا أوريجينوس، أو المخطوطة السادسة، التي امتنع النساخ عن نساختها نظراً لكبر حجمها، فضاع قسمٌ كبيرٌ منها، ففي العصر الحديث صدرت الطبعات النقدية التي وضعت هوامشٍ وحواشٍ تحتوي على كل ما اكتُشف من مخطوطات يونانية لأسفار العهد الجديد. وأصبح لدينا اليوم أكثر من ذي قبل، القدرة على قراءة نصوص العهد الجديد بصورة واضحة، لم تكن متاحة من قبل.

حملة الجهل والتشويش:

لكن، لسببٍ أو لآخر، أصبح لدينا هواجس نابعة من الجهل بأساس المسيحية الراسخ، وهو استعلان الله الكلمة في جسد بشري. وقد جاء رفض الإنسان لهذا الاستعلان عبر هرطقات المانوية والغنوسية بالشك في قيمة الحياة الإنسانية، الأمر الذي أدّى إلى إهمال الخطاب عن تجسد الله الكلمة، وهكذا انزوى الإنسان -وهو مركز هذا الاستعلان الأساسي- في زاويةٍ مجهولةٍ، وبالتالي صارت لدينا القدرة على صياغات فكرية تعبّر عن إنكار الإنسان أولاً بمحصرة حرية الفهم بالخوف من الهرطقات، وثانياً بصياغة اتهامات نابعة من الخيال، لا

من التاريخ الكنسي نفسه، وثالثاً، وهو الأخطر، اعتبار شخصاً ما - مهما كان هذا الشخص - هو المرجعية الوحيدة التي يُحتَزَلُ فيها التاريخ الكنسي كله، وكأن ما ذكره أو كتبه هذا الشخص هو الحق المطلق، وساد علينا سباتٌ عجيب وغريب، أنسانا أن الحق المطلق هو من قال عن نفسه: "أنا الحق"، وهو الرب يسوع المسيح.

استنساخ الفكر الإنجيلي بدون تمييز:

أسمع وأقرأ عن "عصمة الكتاب المقدس" نقلاً عن الفكر الإنجيلي الأوروبي الذي أراد إنكار "عصمة البابا الروماني"، فاستنسخ عصمة أسفار الكتاب المقدس، واستبدل الأولى بالثانية. وإذا سألنا: عصمة من أي شيء؟ تحول السؤال نفسه إلى اتهام بأن من يسأل يُنكر الوحي. وهذا غير صحيح بالمرّة، لأن الوحي ليس هو التنزيل، لأن الدين الوحيد الذي ينادي بالتنزيل هو الإسلام، والتنزيل خاصٌ به. ولكن جاء علينا زمانٌ أصبحت فيه ترجمة فان ديك للعهدين تنزيلٌ من التنزيل، رغم أن أي ترجمة، مهما كانت، لا يمكن أن تصل إلى درجة العصمة؛ لأن اختيار كلمة عربية تقابل كلمة عبرانية أو يونانية أحياناً يكون غير كاف، بل وغامض أيضاً. والمثال الواضح على ذلك هو كلمة "بر"، فالأصح عربياً - حسب الأصل العبراني واليوناني، بل والقبطي - هو "الحق"، أو "الصواب"، أو "ما هو صحيح". بل، عندما تساءلنا عن صحة استخدام كلمة "عدل" لله، تقاطرت علينا الاتهامات. وإذا بحثنا عن أصل كلمة "عدل" في المزامير القبطية بالذات، تبين لنا أنها "حق"، وغنيٌّ عن البيان أن الخلاص بحق الله، هو طريقٌ آخر مختلف عن الخلاص بعدل الله، فالأول يقود إلى صلاح الله، بينما يقود الثاني إلى سيادة الشريعة على الله نفسه، بل وعلى التدبير كله في يسوع المسيح، الأمر الذي كشف عن نفسه في التعليم بدفع ثمن خطايا البشرية للآب، وكأن الآب وحده هو الخالق الذي يطلب حقه! وهكذا دخلت نصوص شريعة اللاويين والتثنية في شرح دفع ثمن الخطايا، على الرغم من أن الشريعة الموسوية لم توضع للخالق، بل للإنسان.

استنساخ جماعات الإرهاب المسلح:

يجب أن نشكر الرب يسوع على أنه لم يؤسس لسفك الدم، ولم يقبل تجريد السيف للدفاع عنه في البستان ليلة القبض عليه، لكن حشد الأتباع وخلق جماعات مسلحة بالشتائم والاتهامات، وطلب الطرد والقطع من شركة الكنيسة أو المنع من الخدمة، هو سلاح الذين أكدوا لنا نظرية فرويد، وهي أن المظلوم يتخذ من شكل وتصرفات الظالم صورة الدفاع عن نفسه؛ لكي يجد له مكاناً في الحياة. أذكر حديث أحد الأطباء الذي زار إسرائيل وعلّق على صورة لحرس مبنى البرلمان الإسرائيلي، وقال إنهم يقفون بنفس الشكل في وضع الاستعداد الذي عُرف عن جيش النازية. فالمضطهد يتبنى عقل وتصرفات من يضطهده فيجد في هذا دفاعاً عن نفسه وعن حياته. كم هو "مقرف" لأي نفس حرة، مشاهدة المحجوم أو قراءة مقالات تُكتب ضد هذا أو ذاك. وأحياناً يظن الشتامون أن السكوت عن الرد هو قبولٌ للاتهام، وأحياناً يكون الرد مطلوباً ولكن الاستنساخ يدمر ثلاثة جوانب لحياة الكنيسة:

الجانب الأول: هو الكهنوت نفسه الذي أمسك بعصا القوة لا بمنديل الخدمة، فصارت الخدمة سلطاناً يمارس على الرب نفسه. مَنْ أنت يا من تمنع إنساناً من تناول؟ هل فعلاً لديك السلطان لأن تفعل ذلك؟ الهرطقة وحدها وليست إفرازات الجسد، أو حتى عدم الصوم، يمنعان من تناول.

الجانب الثاني: محاصرة التعليم بالنصوص والويل لمن يُعارض أو يكتب شيئاً ولو جديداً في ذات النسق الذي سار عليه الآباء.

المسيحية ليست ديانة كتاب، بل تعليم الكلمة المتجسد والأسفار المقدسة هي شهادة مَنْ رأى وعاش وكتب من تلاميذ الرب.

وصلني سؤال: هل لدينا نفس المخطوطات التي كتبها متى ومرقس ولوقا ويوحنا؟ ويبدو السؤال هاماً، ولكنه أسخف سؤال؛ لأن عمر ورق البردي وجلود الحيوانات موهونٌ بالبيئة نفسها وبظروف الحياة من حرق وتدمير، وكانت أسفار

العهد الجديد تُدَمَّر بسبب تقوى الرباي غمالا ئيل الصغير بعد الجمع اليهودي الذي عقد حوالي سنة ٩٥ في قرية "يمنة" خارج غزة. ولكن لا زالت مخطوطة قديمة، هي أقدم مخطوطات السبعينية عُثِرَ عليها في مجمع بن عزرا في مصر القديمة، حيث أزال الناسخ النص اليوناني ليكتب فوقه النص العبراني بعد أن مُنعت قراءة السبعينية في مجامع الشتات.

المخطوطات ليست شهادة، رغم القيمة التاريخية، بل حياة الجماعة هي الشهادة. الصلاة والاجتماعات والحياة اليومية المسيحية كانت هي "عامود الحق" وقاعدته حسب تعبير رسول المسيح.

المسيحية لم تَوْسَّس على شريعة، بل على شخص يسوع، وهو المعصوم وحده، وشهادات واعتراف الذين سمعوه وشاهدوه، هي المصدر الذي جعلهم شهودَ حياةٍ، وشهودَ شركة في حياة الله.

وعندما حاولت الثقافة المعاصرة أن تخدم عبارة القديس أثناسيوس: "صار الله إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً"، نسى المهاجمون والمدافعون معاً أن تأله الإنسان يعني أن الإنسان أصبح له ذات مصير ومكانة الله الكلمة المتجسد، وهو غاية بشارة الفرح، أي الإنجيل. وكان المشاغبون قد عادوا إلى نصوص الشريعة مثل: "لا يكن لكم آلهة أخرى أمامي"، وهي خاصة بتحريم الوثنية، ولكنهم حولوا تلك النصوص إلى سلاح ييتر الإنسانية الجديدة في المسيح يسوع. ولا زال البعض يسأل: هل هي "شركة الطبيعة الإلهية"، أم "في الطبيعة الإلهية"، وجعلوا من حرف الجر قاضياً يحكم في مصير الإنسان، تماماً مثل هل هو "حسب صورة الله"، أو "على صورة الله"، وهكذا عادت الشريعة ودقة حروف الجرف لكي تمسح مكانة الإنسان عند الله، وكأن كلمات مثل "حسب" أو "على" هي المفتاح الوحيد، بينما تناسوا طبيعة الإنسان وقدراته، لا سيما المحبة والحرية والإبداع، وهي من مكونات الصورة الإلهية فينا، وصار كل هذا تحت وصاية حروف الجر أو قواعد اللغة. فهل سبقت قواعد اللغة علاقة الله بالإنسان؟ بكل تأكيد لا. صحيح أن

قواعد اللغة ضرورية للفهم، ولكنها لا تملك أن تشرح عبارة من كلمتين: "الله محبة"، أو "هكذا أحب الله العالم".

تُرى هل ستفلت حركة استرداد التراث من الولاء والبراء؟ من استنساخ ما استطاع الإرهاب الدموي أن يحشره في حياتنا الاجتماعية؟ مَنْ يؤمن بالمستقبل الآتي حتماً لا يجيا في ظلال الماضي، بل يستلهم الماضي لكي يسير إلى الأمام، إلى الأمام ناظرين إلى رئيس الإيمان الذي أعلنه كاملاً يسوع المسيح ربنا.

الموت العقابي أو البدلي!!!

ماذا يعني الاحتكام إلى أثناسيوس؟^(١)

-١-

يفضّل نيافة الأنبا روفائيل الخطاب السماعي على تدوين ما لديه من أفكار، ولازال الميكروفون هو مرجعية الذين يفضلون الثقافة السماعية على المعرفة المكتوبة والمنشورة المستندة إلى مراجع موثقة.

وبمناسبة محاضرة نيافة الأنبا روفائيل الأخيرة يهمننا أن نوضح الآتي:

أولاً: ما سبق وأن ذكره نيافة الأسقف عن اللاهوت الجديد عارٍ عن الحقيقة تماماً؛ لأن أول من استخدم تعبير Neo Patristic هو الأب جورج فلوروفسكي في بحث نُشر بعنوان القديس غريغوريوس بالاماس (التسليم الأبائي، راجع الصفحات ١٠٩ - ١١٣). وكانت الدعوة التي تبناها فلوروفسكي في هذا الكتاب هي الابتعاد عن لاهوت العصر الوسيط، وعدم الجمع بينه وبين نصوص من عند الآباء، بل فهم هذه النصوص في إطار التدبير وحاجة الكنيسة. إذن، فالدعوة في هذا الكتاب لم تكن دعوة إلى لاهوت جديد، بل العودة إلى الآباء. وبالتالي يصبح كلام نيافة الأنبا روفائيل بمثابة دعاية شفهية للإبقاء على ما قدموه من انحراف عن طريق الآباء. ولم يكتفِ نيافته بما قاله عن اللاهوت الجديد، بل لصق الاتهام بالأب متى المسكين.

ثانياً: ما يزال نيافة الأنبا روفائيل يصر على أن القديس أثناسيوس في كتابه "تجسد الكلمة" يصلح ما بين لاهوت العصر الوسيط (تاريخياً بعد أثناسيوس!) ولاهوت الآباء. ولست أدري لماذا يصر نيافته على أن يحشر القديس أثناسيوس

(١) سلسلة مقالات نشرت تباعاً على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في يوليو ٢٠١٩.

في موضوع لم يعرفه أثناسيوس^(١).

وفيما يبدو أن الخطأ جاء من الاعتماد على الترجمة العربية وحدها لكتاب تجسد الكلمة. فالقديس أثناسيوس لم يستخدم كلمة بديل ἀνάλλαξις وهي كلمة معروفة في العهد الجديد، ولم تُستخدم للتعليم عن موت الرب يسوع، بل جاءت في قول الرب: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه"، وحسب ترجمة فانديك، وهو هنا سيء النية "أو ماذا يعطي فداءً عن نفسه" (متى ٢٦: ٢٦ - مرقس ٨: ٣٧). كلمة "البذل" وردت أيضاً ورد في لوقا ١١: ٢١ في قول الرب: "من منكم وهو أب يسأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً أو سمكةً فيعطيه حيةً بدل السمكة".

ولأن الرسولي أثناسيوس -حسب الأصل اليوناني- لم يستخدم كلمة "بديل"، فما ورد في الترجمة العربية هو غير ما يقصده الرسولي بـ "عن الجميع - ἀντι παντων". وهنا نضع أمام القارئ الفقرة كلها وليس سطرًا واحدًا فقط:

"هكذا اتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا. وإذا كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده عوضاً عن الجميع وقدمه للآب. هذا فعله من أجل محبته للبشر أولاً؛ لكي إذا كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء لأن سلطان الموت استُنفد في جسد الرب فلا يعود للموت سلطانٌ على أجساد البشر" (فصل ٨: ٤ ترجمة د. جوزيف فلتس). وهنا يتضح لنا أن محتوى الفقرة لا يشير بالمرّة إلى البديل؛

أولاً: لأن البديل هو مَنْ يحل محل البشر، لا من مات الجميع فيه. يؤكد ذلك عبارة: "الجميع ماتوا فيه"، وهي عبارة قاطعة تؤكد العبارة التي جاءت بعد ذلك: "يُبطل عن البشر شريعة الموت لأن سلطان الموت قد استُنفد"^(٢) في جسد الرب.

(١) راجع محاضرة نيافته عن الفداء في فكر القديس أثناسيوس بتاريخ ٢٦/٩/٢٠١٨.

(٢) من الغريب أن نيافة الأنبا روفائيل يقرأ هذه الكلمة بمعنى أن الموت تُفقد في جسد الرب، وهو ما يفيد -من وجهة نظره- البعد القانوني أو القضائي، في حين أن كلمة استُنفد في جسد الرب -وصحتها لغوياً: استُنفد- تعني أن الموت فقد قوته بقيامة الرب بالجسد! وهو المعنى الذي أكد عليه أثناسيوس في نهاية الفقرة بقوله: "وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم كما تبيد النار القش".

وثانياً: لأن نهاية سلطان الموت شملت الجنس البشري كله، ولذلك فالرب ليس بديلاً لأحد. إذن، فالحديث عن الرب باعتباره "البديل" هو انحرافٌ خطيرٌ.

الفصل ٩ من تجسد الكلمة

كتب الرسولي: "أدرك الكلمة جيداً أنه لم يكن ممكناً أن يقضي على فساد البشرية بأي طريقة أخرى سوى الموت عن الجميع. ومن غير الممكن أن يموت الكلمة لأنه غير مائت لأنه ابن الآب غير المائت" (٩: ١ ص ٢٣). فالابن مثل الآب تماماً، وهما من جوهر واحد، الابن الإله الكلمة لا يموت، ولكن الكلمة "اتخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى أنه عندما يتحد هذا الجسد بالكلمة الذي هو فوق الجميع^(١) يصبح جديراً ليس فقط أن يموت عن الجميع، بل ويبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به" (٩: ١ ص ٢٣).

ويشرح الرسولي كلامه بدقة، لأن موت الرب في جسد قابل للموت "يمنع الفساد ... بنعمة القيامة" (٩: ١ ص ٢٣)، فقد أخذ الكلمة موتنا نحن وأعطانا قيامته. "قدّم للموت ذلك الجسد الذي اتخذه لنفسه كتقدمة مقدسة وذبيحة خالية من كل عيب ... فإنه رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه من البشر" (٩: ١ ص ٢٣ - ٢٤).

ومرة ثانية: أخذ الكلمة الموت في جسده "ذاق الموت بالجسد" (صلاة الساعة التاسعة). رفع الموت لأنه لا يموت كإله، لذلك فهو ليس بديلاً، بل هو المخلص والفادي. وجسد المسيح ليس حياً مثل أجسادنا، بل هو حيٌّ بالاتحاد بأقنوم الله الكلمة، ولذلك السبب ذاته جاءت غلبة الموت ونعمة القيامة.

أقول لنيافة الأنبا روفائيل هذه ليست قضية مصطلحات، وهي ليست قضية ترجمة من اليونانية إلى العربية، على الرغم من أن دقة الترجمة مطلوبة، واستخدام

(١) من الغريب أيضاً أن نيافة الأنبا روفائيل في هذه المحاضرة عندما يشرح تعبير "فوق الكل"، يحذر أن يساوي أحد نفسه بالمسيح قائلاً: "فوق الكل معناها موش زئنا، دا حاجة تانية خالص ... أوعوا حد في الدنيا يظن أنه يساوي نفسه بالمسيح، أو يساوي أي شخص بالمسيح"، فكيف -والحال هكذا- يكون المسيح بديلاً؟!!!

عدة كلمات لعمل الرب يسوع العظيم في تجسد الكلمة، ووضع د. جوزيف حواشي هامة، لا يغلق باب البحث بالمرّة.

كلمة "فدية" (ف ٩: ٢ و ٣٢: ٣)

ما هو قصد الرسولي الواضح من خلال شرحه هو، وليس بقنص كلمة هنا أو سطرٍ هناك؟ في الفصل التاسع كتب القديس أنثاسيوس:

"لأن كلمة الله هو فوق الجميع، فقد كان لا ثَقاً أن يقدّم هيكله الخاص وأداته البشرية فديةً عن حياة الجميع موفياً دين الجميع بموته".

واقتناص هذه الفقرة بالذات، سهلٌ على من تربى على لاهوت العصر الوسيط أو كتب الشيع الإنجيلية. ولكن يجب الانتباه إلى أن تقدّم هيكل الكلمة الإله فديةً ينفي تماماً فكرة البديل حسب ما ورد بعد ذلك:

"وهكذا باتخاذ جسدًا مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بالوعد بالقيامة من الأموات، ولم يعد بعد الفساد الفعلي والكامن في كل كيان إنساني، بالموت له أي سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة جسده" (٩: ٢).

وهنا بالتحديد يظهر أن لاهوت العصر الوسيط منذ أنسلم قد ركّز الفداء كله في موت الرب يسوع وأهمل القيامة، ولذلك برزت فكرة البديل في هذا اللاهوت.

وإذا كان أنثاسيوس لم يكتفِ بذلك، بل قال:

- وحّد الكلمة ذاته بنا.

- سكنى الكلمة بيننا أو بأكثر دقة فينا.

- ألبس الجميع عدم الفساد بالقيامة.

فمن يمكنه بعد هذه الكلمات أن يرفع صوته بتعبير "الموت البديل"، أو "البديل العقابي"؟

"كان الموت داخلنا" (ف ١٦ : ٥)

في الفصل ١٣ كتب الرسولي أن الرب "أخذ جسداً قابلاً للموت حتى يبيد فيه الموت، ويجدد خلقة البشر الذي خُلِقُوا على صورته" (١٣ : ٩)، فإذا كان الرب قد أباد الموت في جسده، فهل يستطيع أحد أن يقول إن الرب مات كبديل؟
يجيء الرد من ذات كلمات أنثاسيوس في (ف ١٦ : ٤ - ٥).

"المخلص تتم بتأنسه عمل المحبة المزدوج (عمليتي المحبة) أنه أباد الموت من داخلنا وجددنا ثانية... أعلن ذاته وعرّفنا بأعماله في الجسد".

وعبارة "جسد قابل للموت"، تؤكد أنه لم يكن البديل، بل في هذا الجسد "تم إعلان متلازمان الأول هو أن موت الجميع قد تم في جسد الرب والثاني هو أن الموت والفساد قد أُبِيدَا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به" (٢٠ : ٤ - ٥).

أيضاً "وهذا لم يُظهر أن الكلمة ضعيف"، بل بالحرى بيّن أنه هو المخلص، وهو الحياة، إذ أنه أولاً انتظر إلى أن يأتيه الموت ليبيده" (٢٢ : ٢).

- وأيضاً "نحن الذين حملنا في جسده الخاص" (٢٥ : ٦).
- وأيضاً "أباد الموت في جسده بقوة المخلص" (٢٦ : ٦).
- وبالتالي "الموت أُبِيدَ بنعمة قيامة المخلص" (٢١ : ٢).
- وأيضاً "الموت والفساد أُبِيدَا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به" (٢٠ : ٥).
- وهكذا "الإنسان المائت صار غير مائت" (٢٠ : ١).
- "تحول الفاسد إلى عدم فساد" (٢٠ : ١). وهذا تم في الرب أولاً لكي يُوهب لنا.

الرب هو الحياة ذاتها (٢٠ : ١)

جاء الرب إلينا متجسداً لكي يعيد خلق البشر ليكونوا على صورة الله... ولم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت، غير مائت إلا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (٢٠ : ١)

"هو الحياة وكل الكائنات تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها" (١٧ : ٦).

- "هو هيكل الحياة" (٣١ : ٤ ، ٤٤ : ٥ ، ٤٧ : ٢ ، ٥٤ : ٣).

فكيف يكون الرب بعد كل هذا هو البديل؟ وهل بعد كل هذا يمكننا أن نستنتج أنه حلّ محلّ آخر، أو أخذ مكان آخر؟!!!

عندما يكتب أثناسيوس نفسه ويسأل: "ماذا يمكن أن تكون نهاية هذا الجسد بعد أن حلّ فيه الكلمة؟ ... من المستحيل أن يبقى هذا الجسد ميتاً بعد أن جُعلَ هيكلًا للحياة. وبهذا إذ قد مات كجسد مائتٍ، فإنه عاد إلى الحياة بسبب الحياة التي فيه .." (٣١ : ٤).

وعندما يكتب الرسولي أثناسيوس إن الرب قدّم جسده عن الجميع أو لأجل الجميع، فلا يعني ذلك أنه يضع الرب بمثابة البديل؛ لأن فكرة البديل لا محل لها هنا ولا يعرفها أثناسيوس، بل الأجدد بنا أن نعترف بأن التعبير "عن الجميع" هو بمثابة تأكيد على جدوى عدم التوبة لرفع الموت.

يكفي أن نعيد ما كتبه الرسولي (٤٤ : ٤): "ينبغي أن يُعرف ... أن الفساد الذي حدث لم يكن خارج الجسد، بل كان ملتصقاً به. وكانت الحاجة إلى أن تلتقي الحياة بدلاً من الفساد حتى كما صار الموت في الجسد تصوير الحياة في داخل الجسد. .. لو أن الموت كان خارج الجسد لكان من الملائم أيضاً أن تصوير الحياة خارج الجسد أيضاً. ولكن مادام الموت قد صار داخل نسيج الجسد وبوجوده في كيانه (الجسد) سائداً عليه، لذلك كان من اللازم أن تصوير داخل نسيج الجسد أيضاً حتى إذا لبس الجسدُ الحياة بدل الموت، فإنه يُرفع عنه الفساد ...".

وفي الفقرة التالية من نفس الفصل (٤٤ : ٦): "لهذا كان من الصواب أن يلبس المخلص جسداً لكي إذا اتحد بالحياة لا يعود يبقى في الموت كمائت، بل إذ قد لبس عدم الفساد، فإنه يقوم ثانيةً ويظلّ غير مائتٍ ..".

وأخيراً كتب الرسولي: "وكما أن الموت بحسب طبيعته لم يكن ممكناً أن يظهر إلا في الجسد، لذلك لبس الكلمة جسداً لكي يلاقي الموت في جسده ويبيده".

تشبيهات التدبير

في معرض شرحه للتدبير قدّم لنا الرسولي عدة تشبيهات أو أمثلة، وهي حصرياً:

- الشفيع لدى الآب (٥ : ٧).
- الهيكل (٨ : ٣)، هيكل الحياة (٣١ : ٤ - ٤٤ : ٥ - ٤٥ : ١ - ٤٧ :
- ٢ - ٥٤ : ٣).
- مقدمة وذبيحة (٩ : ١ - ١٠ : ٤ - ٢٦ : ٤).
- ملكٌ عظيم (٩ : ٣ - ١٣ : ٤).
- تحديد الصورة بحضور صاحب الصورة (١٤ : ١).
- المصارع النبيل (٢٤ : ٣).
- هزيمة الطاغية (٢٧ : ٤).
- موت الحية (٢٩ : ٥).
- الحَمَل (٣٧ : ٧).
- الاسبستوس عديم الاحتراق (٤٤ : ٧).

من يريد أن يعرف إيمان أثناسيوس، وكيف يقدّمه، لا يجب أن يفرض تصوّره الخاص. ولدينا نموذج يعرفه كل من كان يتابع الميامر التي كان دير السريان يصدرها في مناسبة عيد الميلاد والقيامة، فقد قدّم الراهب أنطونيوس السرياني ميمر عيد الميلاد: لماذا تجسد الله، على أنه للقديس أثناسيوس، في حين كان الميمر إعادة صياغة لما ورد في محاضرات اللاهوت النظري للأب أوجين دي بليسي والتي لا علاقة لها بالمرّة بأيّ من كتابات القديس أثناسيوس. وتمر الأيام ويصبح الراهب أنطونيوس السرياني أسقف الكلية الإكليريكية، وعندما حاولت تدريس كتاب

"تجسد الكلمة" مُنعتُ من التدريس، وأُلغى الأنبا شنودة مادة آباء الكنيسة من مناهج الدراسة. هذه حقيقة ما حدث. وقد أدركت أن الحوار مستحيل لأن كل مَنْ يظن أنه على حقٍ بشكلٍ مطلق لن يسمع ولن يتنازل. ونحن هنا أمام من استوعب تراث الإسكندرية، ومن لا زال تحت تأثير لاهوت العصر الوسيط الذي تطوّر على يد أنسلم وقادة حركة الإصلاح.

أقول لكل: نحن لسنا في حلبة مصارعة، ولا هي قضية مَنْ هو على صواب ومَنْ منا على خطأ، بل الدافع الحقيقي لإصرارنا على الشرح والتوضيح كان ولا يزال هو استرداد تراثنا اللاهوتي. وعندما يحاول أيُّ من الإكليروس الدفاع عن لاهوت العصر الوسيط، فليعلم أنه يفصل نفسه عن تراثنا ويبدد أساسات التدبير. ومَنْ قرأ نصوص الآباء، وعلى وجه التحديد أنثاسيوس بما أن مناسبة الكلام هي كتاب تجسد الكلمة، لا بد وأن تثور في ذهنه بعض الأسئلة:

أليس غريباً ألا يذكر أنثاسيوس نفسه شيئاً عن مصالحة العدل مع الرحمة؟
ألم يلفت النظر أن أنثاسيوس لم يُشير من قريبٍ أو بعيدٍ إلى دفع ثمن الخطايا؟
وقد سبق لنا أن شرحنا في محاضراتنا عن تجسد الكلمة ما هو المقصود بدفع الدين، وقلنا إن الدين هو الصورة الإلهية^(١)، هبة الله للإنسانية. فعندما بدد الإنسان الصورة كان طريق الخلاص هو تجديد الصورة الإلهية فينا لأن الخلاص ليس عملاً موجَّهاً للآب، وليس هو دفع الابن ثمن الخطايا، ولا هو إرضاء عدل الله الآب المشتعل غضباً والذي حرق ابنه مصلوباً، بل هو إبادة الموت وسلطانه فينا.

والعقوبة ليست كما نفهمها الآن في الثقافة المعاصرة، أي بالمعنى القانوني، بل هي تحوُّل الإنسان من الوجود إلى الفناء، أي إبادة الكيان الإنساني (راجع الفصل

(١) ويؤكد القديس أنثاسيوس ذات الأمر في مقالته ضد الأريوسيين، فيقول: "مرة أخرى حيث أن عمل الله -أي الإنسان- الذي خلُق كاملاً، قد صار ناقصاً بسبب المخالفة، وصار ميتاً بالخطيئة، فلم يكن لاحقاً أن يظل عمل الله ناقصاً ... لأجل ذلك فإن كلمة الله الكامل قد لبس الجسد الناقص. ولهذا يُقال إنه "خلُق من أجل الأعمال"، لكي بعد أن يوفي الدين عتاً يكتل بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان. فالإنسان كان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس" (ضد أريوس ٢: ٦٦).

الثامن كله)، وتلاشي خلقه الله. لأن الموت هدم الكيان الإنساني، وأعاد الإنسان إلى ما كان عليه، وهو التراب أو الفناء الذي أعطاه الرسولي اسم "الفساد الطبيعي"، أي عجز الإنسان عن أن يبقى خالداً بقوته ومعرفته، لأن الإنسان هدم نفسه، بالإضافة إلى انتزاع نعمة الصورة الإلهية (٧: ٤).

المثل الأول: الشفيع لدى الآب

صار الرب يسوع شفيعاً لدى الآب (٧: ٥)، وحدد الرسولي أثناسيوس خدمة الرب يسوع كالآتي: "هو وحده القادر أن يأتي بالفساد إلى عدم فساد، وأيضاً أن يصون صدق الآب ... وحيث أنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، كان هو وحده القادر أن يعيد خلق كل شيء وأن يتألم عن الجميع وأن يكون شفيعاً عن الكل لدى الآب".

وهنا يجب أن ننتبه وبشدة إلى أن:

- ١ - الشفيع لا يمكن أن يشفع إذا كان هو نفسه واقعاً تحت حكم الدينونة.
- ٢ - البديل يظل بديلاً دون أن يتحول إلى شفيع.
- ٣ - تحوّل الفاسد إلى عدم فساد؛ لأن الكلمة هو الإله الذي فوق الكل، وهو الشفيع طبقاً لما نراه في (١ يو ٢: ١ - عب ٧: ٥ - عب ٩: ٢٤)، وهي خدمة الرب يسوع رئيس الكهنة.

المثل الثاني: هيكل الحياة

"أعد الربُّ الجسد في العذراء ليكون هيكلًا له وجعله جسده الخاص متخذاً إياه أداةً ليسكن فيه ويُظهر ذاته" (٨: ٣). كيف يمكن أن يكون الرب بديلاً، وهو الإله الذي تجسّد لكي يعلن محبته للبشر ويعلن ذاته؟ وما هو الإعلان الأبدي الذي كان يمكن لهذا البديل أن يقدمه؟ لقد أخذ الربُّ جسداً قابلاً للموت لكي يقدم هذا الجسد عن الجميع، ولكن كان من المستحيل أن يبقى هذا

الجسد ميتاً بعد أن جُعِلَ هيكلًا للحياة. ولهذا، إذ قد مات كجسدٍ مائتٍ، فإنه عاد إلى الحياة بسبب الحياة التي فيه (٣١ : ٤).

وهنا يجب أن ننتبه إلى أن:

١ - الحياة التي لا تموت هي ألوهية الرب والمخلص، وهي الحياة التي قابلت الموت وكانت من القوة والفاعلية لدرجة أن جسد الرب لم يفسد في القبر.

٢ - إعلان ذاته في الجسد (٤٤ : ٣)، يُضافُ إليه أن الموت كان ملتصقاً بالجسد، وكان التصاق الحياة به أمراً ضرورياً لخلاص الإنسان حتى تصبح "الحياة داخل الجسد" (٤٤ : ٥ - ٧).

هل أدرك الذي يقعون وراء الميكروفونات أن تحول المائت إلى حياة، والفساد إلى عدم فساد ضروريٌّ للخلاص الأبدي، وليس مجرد أن يجوز البديل الموت؟

المثل الثالث: التقدمة والذبيحة

يؤكد الرسولي أن الرب قد أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت (٩ : ١)، وعندما يموت على الصليب "يقتى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به" (٩ : ١). فقد هزم الربُّ الموتَ عندما قدّم للموت ذلك الجسد الذي اتخذه لنفسه كتقدمة مناسبة وذبيحة خالية من كل عيبٍ" (٩ : ١). عند ذلك "رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه من البشر" (٩ : ٨).

وهنا يجب أن ننتبه إلى أن:

١ - أبطل الرب فساد الموت ووضع حدّاً للموت (٩ : ٤).

٢ - عندما مات الرب "لأجل الجميع، فالجميع إذن ماتوا". كيف مات الجميع؟ لأن الإنسانية فيه طبيعة واحدة ولما مات الرب أُبيدَ الفساد والموت من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به (٢٠ : ٥).

٣ - يؤكد الرسولي في الفصل الثامن أنه عندما بذل الرب جسده للموت عن

الجميع، وقدّمه للآب، كل هذا فعله من أجل محبته للبشر أولاً: لكي إذا كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء" (٨: ٤)، وهكذا يردد أنثاسيوس عبارة رسول الرب: "كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١ كور ١٥: ٢٢). ثانياً: لأن الرب أبطل شريعة الموت والفناء لأن سلطان الموت قد استُنفِد في جسد الرب (٨: ٤).

كانت المحبة هي التي استُعِلت بتقديم الرب جسده للموت. والموت ليس كائناً مثل الشجر والأحجار والبشر، بل هو الفساد الذي أصاب الكيان الإنساني، وهو ما يؤكد الرسول في بقية الفقرة: "فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد الذي جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة يبيد الموت كما تبيد النار القش" (٨: ٤). إذن فقد ردّ الحياة بعد إبادة الموت، أو بالحري أُبِيد الموت لكي يعطي حياةً للبشر.

المثل الرابع: الملك العظيم

"وكما أنه عندما يدخل أحد الملوك العظام إلى مدينة عظيمة ويسكن في أحد بيوتها، فإن المدينة كلها تكرمه أعظم تكريم، ولا يجرؤ أيُّ عدوٍّ أو عصابة أن تدخل إليها ... جاء إلى عالمنا وسكن في جسد مماثل لأجسادنا ... وأبطل فساد الموت .. لأن الجنس البشري كان سيهلك بالتمام لو لم يكن رب الكل ومخلص الجميع ابن الله قد جاء ليضع حداً للموت" (٩: ٣ - ٤).

في هذا الفصل بالذات استخدم أنثاسيوس الكلمة اليونانية $\alpha\upsilon\tau\iota\ \psi\upsilon\chi\omicron\nu$ "فدية عن الجميع". والكلمة معروفة في الأدب اليوناني وتعني ما يُقدّم من أجل الإبقاء على حياة (القاموس اليوناني - الإنجليزى للعهد الجديد والكتابات المسيحية الأولى - إصدار جامعة شيكاغو، ١٩٥٢، ص ٧٥). هذا القاموس وبعده مجموعة Kittle (١٠ مجلدات، ثم قاموس الكلمات اليونانية الخاص بالآباء، كل هذه من مصنفات القرن العشرين، ولم تكن معروفة في زمن الآباء)، ولم

يستخدم أثناسيوس قاموساً لكي يكتب، وإنما شرح الإيمان على أساس التدبير، وهو العهد الجديد الأبدي، عهد الشركة المستعلن في المسيح يسوع، عهدٌ شَهِدَ على شخص أو أقنوم الكلمة المتجسد.

هذا يحتم علينا أن نقرأ بدقة شرح أثناسيوس نفسه لأن كلمة فدية يحددها أثناسيوس "كان لاثقاً أن يقدم هيكله الخاص وأداته البشرية فديةً عن الجميع موفياً دين الجميع بموته". ولو كان المعلم السكندري توقف عند هذه الكلمات لقلنا ما قاله لاهوت العصر الوسيط، ولكنه يتابع "وهكذا باتخاذ جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعده القيامة. ولم يُعد الفساد الطبيعي بالموت له سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة جسده" (٩: ٢ - ٣).

"عمانوئيل إلهنا في وسطنا بمجد أبيه والروح القدس" (أنشودة يا ملك السلام). فلا دفعٌ لدين الله الآب، لأن أثناسيوس لم يذكر أن المسيح جاء لكي يدفع الدين لله الآب. وكما شرحنا في دراستنا عن موت المسيح على الصليب، جاء الرب لكي يعيد إلينا ما بددناه، وهو الصورة. كان الدين تبديداً للأمانة أو العطية، أي الصورة الإلهية، وإعادة الصورة الإلهية إلينا ليس ما يُدفع، بل ما يُجَدَّد، وهو ما يُعِيد أي معنى للكلمة اليونانية "فدية" عن معناها السائد. فالقواميس تشرح الكلمات، ولكن المسيحية برمتها لم تؤسَّس على كلمات، بل على أقنوم أو شخص ربنا يسوع. هذه ميزة وخصوصية لا يمكن تجاهلها لأننا لسنا أهل كتاب، بل أهل الله المتجسد.

في الفصل ١٣ يضع أثناسيوس عدة أسئلة:

* فما الذي كان على الله أن يفعله؟

* ما هي الفائدة من خلق الإنسان أصلاً على صورة الله؟

* وما الفائدة التي تعود على الله الذي خلقهم وكيف يتمجد إن كان البشر

الذين خلقهم لا يعبدونه، بل يظنون أن آلهةً أخرى هي التي خلقتهم؟

ويعلق هو نفسه على السؤال بأن الله خلقنا لنفسه. ثم يقدم مثل الملك، وهو بشر: "إذ امتلك لنفسه بلاداً يترك مواطنيه لآخر ... وإن اقتضى الأمر يذهب إليهم بشخصه ..."، ثم يختم: "أفلا يشفق الله بالأولى على خليقته" (١٣ : ١ - ٦).

وسؤال أثناسيوس نفسه: إذن فما هو الذي كان ممكناً أن يفعله الله؟ وكيف كان من الممكن أن يتم تجديد الخليقة التي وجدت على صورة الله مرةً أخرى؟

والإجابة هي: "حضور مخلصنا يسوع المسيح نفس صورة الله لأن البشر خلقوا على مثال الصورة". فكيف تم التجديد؟ وإجابة أثناسيوس نفسه: "كان من اللائق أن يأخذ جسداً قابلاً للموت حتى يمكن أن يبيد فيه الموت ويجدد خلقة البشر الذين خلِّقوا على صورته. إذن لم يكن كُفْؤاً لسد هذه الحاجة سوى صورة الآب" (١٣ : ٩).

إن إبادة الموت ورد الصورة طريق آخر لم يعرفه أنسلم ولا غيره، ولا زال طريقٌ شبه مجهول عند الذين سقطوا في الأسر البابلي.

إن تجديد الصورة هو بالتجسد والصلب والقيامة، وهو إبادة الموت، ورد الحياة الأبدية، وانعتاق الإنسان من سلطان الفساد والموت ومن الولادة البيولوجية بالولادة السماوية من الماء والروح.

لا مكان للبديل بالمرّة؛ لأن من أباد العقوبة ليس بديلاً يعاقب، بل المخلص ربنا يسوع المسيح.

الخلاص الأبدي ليس بواسطة بديل

هدم الكنيسة من الخارج والداخل

لا ينفصل وصف رب المجد يسوع بأنه البديل العقابي عن محاولات هدم الكنيسة، سواء من الخارج أو من الداخل، بل هو استمرار لهذه المحاولات، وإن كانت تتم تحت ستار شرح العقيدة.

وإذا حاولنا رصد هذه المحاولات، نجد أن الهجوم على الكنيسة من الخارج يتوزع إلى فرعين؛ الأول يتوجه إلى الوجود المسيحي ذاته، والثاني إلى لب عقيدة الكنيسة وحياتها. فلم يكن دقلديانوس ونيرون وأريانوس ومن بعد هؤلاء المماليك والأتراك العثمانيين، ثم الإرهاب الذي عشناه قبل وبعد أحداث الزاوية الحمراء، وحرق ٦٦ كنيسة أثناء ثورة ٣٠ يونيو، وتفجير كنائس البطرسية ومار جرجس بطنطا؛ لم يكن هؤلاء إلا معاول هدم وُجّهت إلى الوجود المسيحي ذاته على مر العصور. غير أن هذا الهجوم، تزامن معه التشكيك في عقيدة الكنيسة وإيمانها سواء عن طريق الهرطقة في عصر الكنيسة الأول، أو عن طريق الإرساليات في العصر الحديث. والمثال على ذلك في العصر الحديث، الهجوم الساخر العنيف ضد سر الإفخارستيا وطقس الكنيسة في كتاب د. حنين عبد المسيح وغيره من الذين وصل بهم الجهل حد الاتهام بأننا "نأكل المسيح"، وأغفلوا عن سوء نية كلمات الرب نفسه أنه هو "الخبز الحي النازل من فوق من عند الآب" (يو ٦ : ٣٣، ٥٠)، فعيَّبوا بشارة الإنجيل وقصد الله في التدبير، وأحلوا محل الغضب وشهوة الانتقام.

أما الهجوم من الداخل، فقد طال الروح القدس نفسه، حيث استهدف حلول وسكنى الروح فينا باعتبارنا هيكل الله، وأصبح "الحلول المواهبي"، ذلك

الخطأ القاتل هو البديل لحلول وسكنى الروح القدس فينا. وتطوع أحدهم بفتوى بأن الروح القدس كان يسكن في العهد القديم ولكنه يحل في العهد الجديد، وكأن كلمات الرسول: "أنتم هياكل الله وروح الله ساكنٌ فيكم"، كلمات لا يجب أن يذكرها أحد. ودخلنا نفقاً مظلماً، وهو الاحتكام إلى اللغة وحدها. وأصبح من يشرح الإيمان الأرثوذكسي على أساس التسليم هرطوقياً ومخالفاً لتعليم الكنيسة!

وقد شمل الهدم من الداخل وحدة شخص المسيح نفسه تأسيساً على أننا نأخذ الناسوت في سر الشكر دون أن تكون لنا شركة في ألوهيته. ووصل بنا الأمر إلى أن يصدر قرار باطل من مجمع الكنيسة بأن الشركة في الطبيعة الإلهية هرطقة، بقصد ضرب الأب متى المسكين ودير الأنبا مقار وكتاب هذه السطور، دون وعي بأن هذا القرار ينال مباشرةً من لب الإيمان المسيحي، بغض النظر عن الأشخاص. ولم تتوقف مسيرة الهدم، بل اتخذت طريقها حتى وصلت إلى اغتيال الأنبا أبيفانيوس رئيس دير الأنبا مقار، ليس لشيء إلا لأنه كان الصوت الأرثوذكسي القوي في مجمع الكنيسة. وبدأت فرق أليكترونية تعيد من جديد بعث الأخطاء الإيمانية التي دُوّنت في كتاب "بدع حديثة"، في محاولة للدفاع عن الخطأ بخطأ لا يقل عن الأول فداحةً.

هذا هو ما حدث، وما سوف يستمر في الحدوث؛ لأن ولاء المشاغبين أليكتروتياً وفي الخفاء، لشخص آخر غير شخص الرب يسوع المسيح.

وعندما نتصور أن البابا تواضروس بمفرده قادرٌ على تبديد هذا الدخان القاتل، فكأننا نصنع جبلاً يحرسه الحرس القديم ونطالب البابا بخدمه أو نقله إلى منزلة التاريخ، وهو عمل شاق، بل مستحيل على شخص واحد، وهنا أصبح من مسئوليات الجيل الجديد أن يقف صفاً واحداً لشرح الإيمان قبل الرد على هؤلاء الغوغاء والمشاغبين. وليكن معلوماً إن هؤلاء الغوغاء ليسوا إلا نخاساً يطن أو صنوجاً ترن، فلا معرفة لديهم من أي نوع، لا بالتاريخ، ولا حتى بصلوات أم الشهداء، الشاهد النقي للتعليم.

الوجود الجديد ليس وجوداً في بديل

أولاً: لقد خُلِقنا من العدم، وسرى فينا الموت الذي دخل مع الخطية (رو ٥: ١٢)، ولكن صار لنا وجوداً جديداً عبّر عنه الرسول بولس في عبارة موجزة "في المسيح يسوع" (فيلبي ١: ١ - ٢ كور ١٢: ٢ - رو ٨: ١)، وغيرها من شهادة الرسول بولس عن الوجود الجديد الذي نال اسماً جديداً هو "الخلقة الجديدة" (٢ كور ٥: ١٧ - ١٨). وهي خلقة جديدة في المسيح وليست من العدم مثل خلق آدم^(١).

ثانياً: كيف صرنا خلقة جديدة؟

كتب غريغوريوس اللاهوتي عن الميلاد البتولي: "لقد انحلت قوانين الطبيعة بميلاد الرب من العذراء. وانحلت قوانين الطبيعة الفائقة العلوية، أي السماء لكي نولد من الروح القدس مثل ذاك الذي وُلِد من الروح القدس والقديسة مريم" (عظة على ميلاد الرب).

لقد تحول أصلنا من آدم إلى المسيح بميلاد الرب من البتول حسبما شرح المعلم أثناسيوس: "وبينما وُلِد الجسد من مريم والدة الإله، فإن الكلمة نفسه يقال إنه وُلِد... وإنما وُلِد لكي ينقل بداية وجودنا إلى كيانه، حتى لا نرجع بعد ذلك إلى تراب لأننا صرنا أصلاً من تراب، ولكن بشركتنا في الكلمة (حرفياً بصلتنا بالكلمة) الذي من السماء، فإننا ندخل (حرفياً نُحْمَل) إلى السماء بواسطته... لأننا لم نعد نموت بحسب أصلنا الأول في آدم، بل بسبب أن أصلنا (أو بدايتنا) وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة. فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أبطلت بسبب ذاك الذي هو كائنٌ فينا، والذي قد صار لعنة لأجلنا. وكما أننا جميعاً من الأرض وفي آدم نموت، هكذا نحن إذ نولد من فوق من الماء والروح، فإننا في المسيح نحيا جميعاً. فلا يعود الجسد فيما بعد تراباً، بل يصير إلهياً

(١) راجع دراساتنا: الكنيسة جسد المسيح، المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد، القاهرة، جنور، ٢٠١٤، والدراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية.

مثل اللوغوس وذلك بسبب كلمة الله الذي لأجلنا صار جسداً
(ضد الأريوسيين ٣ : ٣٣).

كما يقول: "لقد تأنس لكي يؤلفنا فيه، وولد من امرأة لكي ينقل إلى كيانه جنسنا الخاطيء لكي نصبح فيه شعباً مقدساً وشركاء الطبيعة الإلهية" (فقرة ٤).

ويقدم القديس كيرلس الكبير نفس الشرح في العظة ١١ على إنجيل لوقا.
إذن، جاء الأصل الجديد للجنس البشري، وهو ليس بديلاً مهما كان معنى كلمة بديل.

وقد يقول قائل إنه بعد تجسده صار البديل المعاقب من الآب، ولكن هذا تصوّر العصر الوسيط الأوربي، وهو تصور فاسد تماماً لأنه ينفي ما جاء به تجسد رب المجد. حيث تم حصر الفداء في الموت، وأُهمِل التجسد والقيامة، لكن رب المجد صار رأساً لجسد واحد هو الكنيسة. وقد كشف عوار التعليم عن الأجساد الثلاثة كيف تحولت الأرثوذكسية إلى أنقاض، بعد أن كانت القلعة المنيعه.

لقد هدم البديل العقائبي التجسد، فلم يُعد له مكان في التدبير.
وأبعدت القيامة عن التدبير، لأن الخلاص برمته تم على الصليب، وانتهى الصלב بالدفن، أي بالموت والقبر.

لكن أثناسيوس -إذا أردنا الاحتكام إليه- يذكرنا بأن الرب هو "أول طريق الخليقة الجديدة ... لكي لا يحيا البشر فيما بعد حسب الخليقة الأولى، بل حسب الخليقة الجديدة التي المسيح هو أول طريقها" (ضد الأريوسيين ٢ : ٦٥).

فالمسيح "هو بداية جديدة بسبب القيامة من الأموات ... هكذا خُلِقَ المخلص بحسب الجسد وصار أول الذين خُلِقُوا من جديد" (ضد الأريوسيين ٢ : ٦٦).

"وهكذا لن نسمع بعد اليوم: لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت، بل نسمع حينما أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (المرجع السابق)، وذلك لأننا أصبحنا خلقاً جديداً في المسيح يسوع.

خير الكلام ما قلّ ودلّ

عندما انطلقت الميكروفونات بالنصوص المزورة، كشف الاتهام بالهرطقة عن فهم خاطئ لأساس المسيحية الراسخ، ألا وهو استعلان الله في تجسد الابن الوحيد، وأن العهد الجديد هو شهادة تؤثّق هذا الاستعلان، لا الاستعلان نفسه، بل هو الشهادة التي سجّلها رجالٌ كانوا شهود عيانٍ نالوا نعمة الوحي من الروح القدس.

خير الكلام (ما قلّ)

المسيحية الأرثوذكسية هي بناءٌ إلهيٌّ للإله المتجسد ربنا يسوع المسيح نفسه، وهو:

- بناءٌ شركةٍ في حياة الثالوث.

- بناءٌ أعطاه الوسيط يسوع المسيح.

- بناءٌ يمنح الروح القدس.

وهذا ما نراه عبر صفحات كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس.

وبالتالي، فالمعارك الكلامية التي تتسلح بنصٍّ أو نصوص، إنما هي معارك مفتعلة للدفاع عن أخطاء ٤٠ سنة من تسلط فكري.

- هل كان الرسولي يعرف الخطية الأصلية؟

لو كان هذا حقاً لكتّب عنه الرسولي وما أخفاه، أما الحق الذي كتب عنه، فهو أن قوة الموت في أنه صار مصدراً للخطية. الموت يحرك الإنسان للدفاع عن وجوده كما يتصوره الإنسان نفسه.

وقد تخيل الأنبا بيشوي أنه يستطيع أن يغير الحقيقة بإعادة ترجمة سطرٍ واحد

من كلمات الرسولي أثناسيوس، (من المعصية الأولى إلى المعصية الأصلية): "قدّم هيكله ذبيحةً عن الجميع أولاً لكي يبرّهم ويحرّهم من المعصية الأولى. وثانياً لكي يثبت أنه أقوى من الموت مظهراً جسده الخاص أنه عديم الفساد وأنه باكورة القيامة" (ف ٢٠: ٢).

وسبق للرسولي أن شرح مأساة الإنسان: "بمشورة الشيطان تحولوا إلى أعمال الفساد الطبيعي (الموت) وصاروا هم أنفسهم السبب فيما حدث لهم من فسادٍ بالموت. لأنهم كانوا - كما ذكرت سابقاً - بالطبيعة فاسدين وقابلين للموت والفناء، لكنهم بنعمة اشتراكهم في الكلمة كان يمكنهم أن يقاوموا الفساد الطبيعي لو بقوا صالحين" (٥: ١).

فالفساد الطبيعي هو فناء الطبيعة الإنسانية التي خُلقت من العدم. وسقوط الإنسان بالخطية جلب الموت وانتشار الشر (٥: ٢)، فصار للموت سيادةً شرعيةً (٦: ٢)، ولم يقبل الله أن يرجع البشر إلى العدم (٥: ٤ - ٥). ولو كان الله قد ترك الإنسان للفساد "لما تجرّأ أحدٌ أن ينسب إليه الضعف" (٦: ٩).

إذن، المشكلة هي الموت وليس الخطية، وإلا ما ذكّر القديس: "الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد".

وبلا نفاق أو كذب: هل نحن نعيش حياةً بلا خطية أو خطايا؟ أبداً.

هل ضاع عمل الرب يسوع العظيم؟ أبداً.

لكن سحق الرب الموت وأباده مثل مصارعٍ شريفٍ هزم خصمه على أرضه (٢٤: ٣ - ٢٧: ٤).

ما ورثناه هو الموت. والسؤال الذي يجب على المشاغبيين الاجابة عليه هو: هل ورثت خطية أو خطايا الأب أو الأم؟

الوراثة في الكتاب المقدس هي وراثة الأرض - البركة أو اللعنة - وراثة نتائج أعمال السبط أو الأسرة - وراثة الكهنوت - وراثة المواعيد.

أما الوراثة الخاصة بالإنسان في DNA فهي اكتشاف العصر الحديث وما جاء في هذا الاكتشاف هو وراثة اللون أو الأصل العرقي Ethnic ويا ليت الخطية كانت في DNA لأمكن علاجها، ولكن ما دخل في الطبع الإنساني كان هو الموت، وتحول الإنسان من صورة الله إلى صورته هو الذاتية.

خير الكلام (ما دلّ)

هو شرح الرسولي لمأساة الإنسان: فقدوا الصورة الإلهية، وعجز الإنسان عن أن يعود إلى هذه الصورة لأن الموت صار له سيادة علينا.

المسألة إذن ليست قضية ترجمة كلمات، بل:

- العلاقة الجديدة التي وعد بها الله في أرميا ٣١ : ٣١، وهي سكنى الله وحلوله في الإنسان.

- تحديد الإنسانية (٢ كور ٥ : ١٧)، وهي مجيء ابن الله لكي يحدد طبعنا فيه، ونحيل القارئ إلى الفصل الخاص بالفداء في كتاب أقوال مضيئة، وهو كتاب هام سبق نشر محتوياته على أغلفة مجلة مرقس، وتمت مصادرتة بواسطة لجنة العقيدة والإيمان؛ لأنه كشف عورة التعليم الذي ساد لمدة ٤٠ عام ويدافع الآن عنه بعض الإكليروس.

إليك يا ربُّ أرفع هذا الاحتجاج
إنهم ينشرون الكراهية باسمك
يشهِّرون بمن لا يسير معهم ويتهمونونه بأنه هرطوقي
يسخرون من أساسات الإيمان
ينكرون الاستعلان في تجسدك
يحاولون نقل الاستعلان من شخصك إلى كتاب،
ويا ليتَه كتاب العهد الجديد، بل كتاب أفكارهم الخاصة
يحاولون هدم الأرثوذكسية من الداخل
يحاربون الحوار
وجدوا في مدرسة الشريعة حصناً وفي النصوص أسلحةً
في حين أن الحق تجسد في شخص، لا في نصّ.

دكتور

جورج حبيب بباوي

الرد على ما جاء على لسان الأنبا روفائيل

في برنامج بستان العقيدة^(١)

أُسجِّل بكل أسفٍ دهشتي لما احتواه لقاء نيافة الأنبا روفائيل في برنامج بستان العقيدة على فضائية CTV بعنوان تجسد الكلمة - ج ٢ والمنشور على اليوتيوب بتاريخ ٣١ يوليو ٢٠١٩، من كمّ هائل من أخطاء تاريخية وموضوعية، وإصرار لا مبرر له على التمسك بلاهوت العصر الوسيط كله.

وإن كان يجب أولاً أن نشكر نيافته على شجاعته وأمانته في الاعتراف بالشركة في الطبيعة الإلهية، وإقراره بقانونية استخدام مصطلح "التأله"، وهو ما يتعارض مع ما ورد صراحةً في كتاب "بدع حديثة" للأنبا شنودة الثالث، والذي صرح فيه الأنبا شنودة أنه من المحال أن أحداً من الآباء نادى بهذا التعليم، ومن ثم صب جام سخريته على ما توهمه من أنه هرطقة. شكراً جزيلاً نيافة الأسقف، وإن لم يتضح بعد -بناءً على ذلك- ما إذا كان نيافة الأنبا روفائيل ما زال يعتقد أن كتاب "بدع حديثة" هو من الكنوز التي تركها الأنبا شنودة.

ثانياً: لن نمل من تكرار القول بأن الخلفية المعرفية التي تشكل إيمان الأنبا شنودة تتمثل في الآتي:

١ - محاضرات اللاهوت النظري للأب أوجين بليسي، والتي قال عنها القمص إبراهيم عطية وكيل الإكليريكية إن الأستاذ حبيب جرجس لم يكن يقصد من نشرها اعتبارها مرجعاً في اللاهوت بقدر ما هي وسيلة للتعرف على الاتجاهات اللاهوتية المنتشرة في هذا الوقت.

٢ - كتاب اللاهوت النظري للكنيسة الإنجيلية.

٣ - كتاب قضية الغفران لعوض سمعان.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٣ أغسطس ٢٠١٩.

من هذه المصادر الثلاثة نشأ ما أسموه بتعليم الأنبا شنودة، والذي يريدون أن يستبدلوه بالتعليم الذي ساد في الكنيسة قرابة ٢٠٠٠ سنة، باعتبار أنه تعليم الآباء، وقد فاتهم أن الأنبا شنودة نفسه لم يدع يوماً أن ما يكتبه هو تعليم الآباء، أو أنه ذو مرجعية آبائية، وإلا عليهم أن يثبتوا إن كان القديس أناسيوس أو القديس كيرلس الكبير، أو غيرهم من آباء الكنيسة الجامعة، سوى شراح العصر الوسيط الأوربي، قد شرح الفداء على أساس العناصر التي استخدمها الأنبا شنودة والأنبا موسى والأنبا بيشوي في شرحهم للفداء، وهي:

- خطية غير محدودة

- عقوبة غير محدودة

- فادي غير محدود

هل ورد شيء من مثل هذا في كتاب تجسد الكلمة؟ بكل يقين لا.

أما المزج بين ما جاء عند عوض سمعان، وأوجين دي بيلسي، فيعود أصلاً إلى تسلسل فكري نشأ في الكنائس الكاثوليكية واللوثرية والمشيخية، وكان المصدر الأول لهذا هو أنسلم، ومن وراءه تلاميذه، وكنا قد شرحنا كل هذا بالتفصيل في مجلد كبير بعنوان: "موت المسيح على الصليب"، تجده عزيزي القارئ منشوراً على هذا الموقع.

وقد لا تجد علاقة منظورة أو مباشرة بين أنسلم والأنبا شنودة، ولكن حلقة الوصل كانت هي عوض سمعان، ومحاضرات اللاهوت النظري للأب أوجين دي بيلسي التي نشرها الأستاذ حبيب جرجس في مجلة الكرمة. وقد اتفق أوجين دي بيليس مع عوض سمعان، ومع القس بنيامين شنيدر مؤلف أو جامع كتاب اللاهوت النظري للكنيسة الإنجيلية، وعنهم أخذ الأنبا شنودة ما يلي:

- أن الخطية هي إهانة لله واعتداء على كرامته.

- وبما أن الله غير محدود، تصبح الإهانة غير محدودة، وبالتالي يتطلب ذلك عقوبة غير محدودة.

- وبالتالي الاحتياج إلى فادٍ غير محدود.

وهكذا سار نيافة الأنبا روفائيل على ذات الطريق في محاضرات سابقة.

ثالثاً: الادعاء بأن الخطية الأصلية، والبديلة العقابية تعبيراً أو معنى، وردا في كتابات الرسولي أو في كتابات القديس كيرلس، إنما هو ادعاءً باطل تماماً ويحتاج إلى براهين من كتابات الآباء. وأُحيل نيافتكم إلى ما جاء بصفحة البطريك مار أغناطيوس زكا عيواص على شبكة الانترنت بخصوص القديس أغسطينوس، التي نشرت رسالة القديس ساويرس الأنطاكي التي يؤكد فيها عدم وراثة خطية آدم.

وراثة خطية آدم يا نيافة الأسقف هي تعليم ماني MANI ومدارس الغنوصية الذي أخذه عنهم القديس أغسطينوس.

رابعاً: زادت دهشتنا جداً لاثهامك لأسماء لامعة من أساتذة اللاهوت الروس واليونان بما توهمته وأسميته باللاهوت الجديد، دون حتى أن تنطق هذه الأسماء بشكل صحيح، ودون أن تعرف على وجه اليقين مساهمة هؤلاء في الحركة اللاهوتية في القرن العشرين، فقد خدعك المصطلح الذي صككته، أو صكه لك غيرك، مما يؤكد أنك رجعت إلى مصادر عربية. وهنا أتحدى أي إنسان أن يقدم لنا صفحة واحدة أو حتى فقرة من صفحة تؤكد على أن علماء ال Neo Patristic يعلمون بأن هناك ميثولوجيا وردت في سفر التكوين، أو أن الفداء هو حب فقط.

لا أدري ما هي مصلحتك في فتح ملف قديم مزّق الكنيسة وحرق بنار العصر الوسيط الذي تزعمه الأنبا شنودة، تيار الآباء الذي ساد في مؤلفات الأب متى المسكين وعددٍ من الدارسين والباحثين.

أخيراً: أقول لك، لقد خسرت الكثير يا نيافة الأسقف، ولن تستطيع أن تسترد ما خسرت. ما سجلته محسوبٌ عليك.

د. جورج حبيب بباوي

ملاحظات على محاضرة الأنبا رافائيل عن الخلفية التاريخية للصراع اللاهوتي^(١)

بتاريخ ١٦ أغسطس ٢٠١٩ ألقى نيافة الأنبا رافائيل محاضرة بنهضة السيدة العذراء بجاردن سيتي، بعنوان الخلفية التاريخية للصراع اللاهوتي (موقع كنائس وسط البلد)، وكرر فيها نيافته ما تصور أنه الخلفية التاريخية التي أدت إلى نشأة حركة ال Neo Patristic والتي سبق أن عرض لها في برنامج بستان العقيدة على فضائية CTV، وفي محاضرات أخرى. وبغض النظر عن عدم صحة ما ذكره جملةً وتفصيلاً، وكنا قد فندنا ما ادعى أنه خلفية تاريخية لهذه الحركة في محاضرة لنا على youtube بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠١٩، نحيل القراء إليها لعدم التكرار، فقد غيَّب الأنبا رافائيل أو تجاهل بعضاً من حقائق تاريخ الصراع اللاهوتي الذي نشأ في مصر بعد ارتقاء الأنبا شنودة الثالث كرسي مار مرقس، ولنا على ذلك بعض ملاحظات:

أولاً: لا أدري لماذا يتجاهل نيافته أن الذي أطلق شرارة هذا الصراع كان هو الأنبا شنودة نفسه بهجومه على كاتب هذه السطور وعلى الأب متى المسكين في محاضرات القسم المسائي، والتي نشر جانباً كبيراً منها في مجلة الكرازة، ثم في كتاب بدع حديثة، ولم يكتب أحداً رداً على قداسته حتى عام ١٩٨٥ عندما نشرت كتاب القديس أنثاسيوس في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي؟ أعتقد أن الكلام على خلفية تاريخية لشيء ما تستوجب الدقة والأمانة في العودة إلى التاريخ.

تجاهل هذا خطأ تاريخي يا نيافة الأسقف.

ثانياً: نحن أبناء الكنيسة تماماً مثلك ومثل الأنبا شنودة، ولا يمكن لأي مسيحي له ضمير حي أن يعتبر تعليم قداسة الأنبا شنودة هو تعليم الكنيسة.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٩ أغسطس ٢٠١٩.

القول بأن تعليم الأنبا شنودة هو تعليم الكنيسة، هو أيضاً خطأ تاريخي جسيم يا نيافة الأسقف، وأرجو أن تقدم لنا مثلاً واحداً من التعاليم التي كنت تظن أنها رأي شخصي للبابا شنودة، ثم اكتشفت في وقت لاحق أن أحداً من الآباء قال بهذا الرأي، وأحيل نيافتكم إلى مقالنا المنشور على موقع الدراسات القبطية بعنوان "نكتة التأصيل الأبائي في تعليم قداسة الأنبا شنودة"، وهو الموضوع الذي كان يدور حوله مؤتمر لجنة العقيدة بأسقفية الشباب والذي انعقد بالمركز القبطي في ١٨ مارس ٢٠١٧.

لا أدري لماذا تستعدي بسطاء شعب الكنيسة -باسم البابا شنودة- على أبناء الكنيسة من الدارسين وعلى المراكز البحثية؟ هل يليق بك كأسقف أن تصف أبناء الكنيسة بأنهم "فيران" خرجوا من الجحور؟ لماذا هذه الحرب الشعواء التي لا مبرر لها، إلا إذا كانت النية تتجه إلى جمع الاتباع لا أكثر؟

ثالثاً: الهجوم على حركة الـ Neo Patristic هو أيضاً خطأ آخر شرير، ولا أظن أنك درست مؤلفات أكثر من ٢٠ شخصية من الروس واليونانيين، ووجدت فيها ما يبرر هذا الهجوم. ولعل مؤلف الأستاذ ياناراس "الأرثوذكسية والغرب"، يكشف لنيافتك أن الصراع كان مع مؤلفات توما الإكويني وأبيلارد وغيرهما بقصد العودة إلى الآباء، لا باختراع لاهوت جديد. كما أن محاولة وصف هذه المؤلفات بأنها نُشرت تحت وحي وسيطرة غريغوريوس بالاماس، تكشف عن جهلٍ بتراث بالاماس، الذي حصر جهده في الدفاع عن الهدويين، وقد نشر دير الحرف ببلبنان مجلداته الثلاثة التي كتبها دفاعاً عنهم.

لماذا تحشر نفسك في نفق التدليس إلى الحد الذي دعا مذيعة بستان العقيدة -في لهفة واضحة- إلى إنقاذك بوصف حركة الـ Neo Patristic بأنها هرطقة؟

إذا كنت لا تعرف أن هذه الحركة هي مدرسة لاهوتية لها ما يزيد عن ١٠٠ كتاب، فلماذا تصر على نشر تلك الفضائح؟

اللاهوت القبطي

الكنيسة الواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية ليس بها ما يسمى بلاهوت قبطي يقع في منتصف الطريق بين لاهوت شرقي وآخر غربي

أم الشهداء كنيسة تجاوز عمرها ١٩٠٠ سنة

كان هاجس بعض اللاهوتيين في بلغاريا وصربيا من الكنيسة الشقيقة البيزنطية أن الأرثوذكسية بشكلٍ ما تقع بين الغرب الكاثوليكي - الإنجيلي. هذه نظرة تعسفية لأن كنائس الغرب الإنجيلي لم تظهر إلا ابتداءً من القرن ١٦ كمحاولة لإصلاح الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، بينما الكنائس الأرثوذكسية لها وجود متواصل منذ العصر الرسولي.

الموقف الوسط ما هو إلا خدعة لفظية لأنه بلا أساس تاريخي. ونحن لا نزال نقول إن كنيسة مصر كانت ولا تزال منذ العصر الرسولي قبل ميلاد لوثر بما لا يقل عن ١٦٠٠ سنة. وكانت كل الكنائس شرقاً وغرباً كنيسة واحدة حتى ٤٥١، وهو تاريخ حدوث أول انقسام في مجمع خلقيدونية، ثم انفصلت الكنائس البيزنطية والكاثوليكية في ١٠٥٤ وتوالى الانقسام في الغرب بعد ذلك في كنائس حركة الإصلاح - اللوثرية - المشيخية ... إلخ

دخان الجهل بالتاريخ يخدع الذين لا يعرفون التاريخ؛ لأن من يصلي ويقول: "اذكر يا رب كنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية، كنيسة الله الأرثوذكسية"، أو يردد عبارات قانون الإيمان: "كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية"، لا يقبل تاريخياً أن يضع أم الشهداء بين ما تطور في الغرب الكاثوليكي - الإنجيلي، ثم ما صار معروفاً عن الكنائس البيزنطية - كنائس الروم - الروس - الصرب ... إلخ والسبب في ذلك ليس وجود أم الشهداء في التاريخ وحده، بل انتماء كل تراث أم الشهداء إلى الآباء: أناسيوس - كيرلس الكبير - باسيليوس - ذهبي الفم ... إلخ من آباء الكنيسة الجامعة.

التعليم اللاهوتي

نحتاج إلى كاتب مثل الأستاذ حسنين هيكل لكي يكتب عن التعليم "بصراحة". جاءت نهضة الكنيسة في العصر الحديث على يد القمص فيلوثاؤس، ثم الأستاذ حبيب جرجس، وسارت بقوة دفع بفضل ذراعي النهضة: مدارس الأحد والإكليريكية.

بصراحة تامة، وقد سبق نشر هذا سابقاً، لم يكن لدينا كتاب لاهوت قبطني أرثوذكسي، لذلك نقل الأب ميخائيل مينا كتابه "علم اللاهوت" عن كتاب لقس ماروني لبناني، ونقل أستاذنا حبيب جرجس كتابه: "أسرار الكنيسة السبعة" عن كتاب الأنوار في الأسرار لمطران اللاذقية جراسيموس مسرة. المراجع تحت أيدينا والنقل التام لم يكن سطوراً بل فصولاً كاملة. النقل ليس عيباً ولا قدحاً أو شتيمة، بل هو وضع التاريخ والمراجع أمام القراء حتى لا يصبح ما يُنشر، وهو دراسة كانت أم الشهداء في حاجة إليها، هو "حدود الله" التي يصبح كل من يحاول دراستها أو إعادة النظر فيها كافر وحل دمه، كما أشاع أحد أساقفتنا الأجلاء في حديث له نشر على youtube بأن بعض الأساقفة بمسكون بالسيف لقطع رقبة كل من يعلم بأن شريعة التطهير الخاصة بالنساء قد انتهت، وأن بعض آباء المجمع يتمسكون بـ ٤٠ يوماً و ٨٠ يوماً في عصيان تام لتعليم العهد الجديد برمته، لاسيما رسائل كولوسي وغلاطية والعبرانيين.

"بصراحة" هذا تعنت وتمرد على التعليم الرسولي وبنية العهد الجديد برمته.

نظريات الفداء الأربعة

كان كتاب علم اللاهوت الخاص بالكنيسة الإنجيلية هو الذي أدخل في تراثنا الكنسي المصري أحد نظريات الفداء:

١- دفع ثمن خطايا البشر للآب، وهو دم الرب يسوع.

٢- وسبق الكل أنسلم بموت الرب ترضيةً لله الذي أهانه الإنسان.

٣- احتمال الابن عقوبة الموت وغضب الآب.

٤- المسيح هو البديل لكل الخطاة، وهكذا دخل في اللغة العربية المعاصرة تعبير "البديل العقابي"، وسبق لنا أن نشرنا الوضع التاريخي الغربي الكاثوليكي - الإنجيلي في أطول دراسة عن موت المسيح على الصليب. ولم نضع القول بدفع فدية للشيطان لأنه إهانة لمجد الثالوث، رغم أنه دون في شرح الرسالة إلى رومية للعلامة أوريجينوس، ولكل فارسٍ عظيم كبوة.

قبطستان دلالة التخلف

تأثيم الرأي وشن الهجوم بالميكروفونات وتهديد كل من له رأي آخر، حوّل الحياة القبطية والحوار القبطي إلى صورة مهينة مصغرة لما تفعله طالبان في بلاد الأفغان، وطال الاتهام كل باحث درس أصول البحث الكتابي واللاهوتي، وهي:

* اللغات القديمة؛ اليونانية والعبرانية والقبطية والآرامية.

* التاريخ المدون في كتب الآباء والمسلم في صلوات الكنيسة الجامعة.

* الممارسة الكنسية الخاصة بالأسرار، لاسيما المعمودية - المسحة - الإفخارستيا.

فصارت دراسات الأب متى المسكين تهاجم بواسطة طالبان الكنيسة القبطية فتتحول أم الشهداء إلى قبطستان، وبالتالي يصبح كل باحث صرف حياته في التعليم بمثابة يهوذا ومخالف لتعليم الكنيسة لأنه تجاسر وقدم النصوص الكنسية التي أهملت طوال العصر الوسيط، وعن جهلٍ أهملت لأنها كانت مدونة بلغات لا يعرفها الذين تولوا زعامة الحياة الكنسية لا رعايتها.

الاتهام الذي شمل القديس أناسيوس الرسولي

كان الراهب أنطونيوس السرياني هو الذي أعد ميمر عيد الميلاد الذي كان ينشره دير السريان، نشر الميمر بعنوان "لماذا تجسد الله؟"، وكتب شرحاً تُسبب للقديس أناسيوس في حين أنه كان شرح الأب أوجين دي بليسي في محاضرات

اللاهوت النظري، والذي كان بدوره امتداداً لما شاع في الغرب الكاثوليكي السابق على عصر الإصلاح، وكان فحوى الشرح أن الإنسان أهان كرامة الله لأن الخطية هي "اعتداءً على الله" استدعى رد كرامة الله، ولذلك تجسد الابن. ومن ثم جاءت فكرة الأنبا شنودة الثالث في كتابه ٥ تأملات في أسبوع الآلام عن احتراق الابن في نار العدل الإلهي حتى تحول الابن له المجد إلى رماد. ولا بد أن الأنبا رافائيل قد قرأ هذا التهور، وإن لزم الصمت؛ لأن من يستطيع أن يقول في قبطستان أن هذا الشرح في إهانة للثالوث؟

وتحوّل جسد الرب يسوع إلى رماد جعل الآب "يتنسم رائحة الرضى"، وهو أفضع ما تعبر عنه السادية والانتقام من ضحية بريئة، وهو في حقيقته تحديف مباشر على وحدة جوهر الثالوث، وتدمير للإيمان الذي نعترف فيه بأن "الابن مساوي للآب في الجوهر"، فقد انشطر الثالوث إلى جلاد يقتل ويحرق ابنه الوحيد، وضحية بريئة نالت أفضع انتقام من الآب محب العالم الذي أرسل ابنه الوحيد لكي نغيا به حسب اعتراف كل الكنائس الأرثوذكسية.

* انقسام الثالوث يعني انقسام المحبة الإلهية. وانقسام هذه المحبة يدمر كل ما قاله الرب نفسه في يوحنا ١٧: ١ - ٢٢: "ليكون فيهم الحب الذي أحببني به".

* وانقسام الثالوث ليس فقط إنكاراً صريحاً لوحدة الجوهر، بل تحول الثالوث نفسه إلى مخلوق قابل للتغيير، ولا أريد أن أكتب أكثر من ذلك لجلب ضاعت فيه الرجولة والشهادة الحسنة، وجرى فيه اغتصاب التاريخ بالكلام المعسول والمائع فصار التاريخ رهينة في معتقل وسوق الكلام، وشنقوه لأنه قادر أن يحكم على زيف تعليم "معلم الأجيال".

الممارسة الكنسية للأسرار

لا داعي للخوض في مسألة الترجمة لأن الذي يحاول أن يفتح هذا الباب ليس لديه مفتاح، وهو كذاب، والإيمان الأرثوذكسي ليس مسألة لغوية.

"بصراحة"، هل كتب القديس أناسيوس الرسولي سطرًا واحدًا عن العدل الإلهي؟ أبدًا.

وهل كتب أن الابن مات كبديلٍ عنا؟ أبدًا.

وهل كتب أن الابن حل عليه غضب الآب؟ أبدًا.

أليست هذه هي أركان نظريات الفداء الثلاثة منذ أنسلم – دي بليسي – الأنبا شنودة الثالث؟

وإذا سقط ركنٌ واحدٌ، انهضت هذه النظرية، وسقوطها أمام الممارسة الليتورجية الذي لا يمكن أن يدخل مقاهي الشوشرة أو يصبح رهينةً في كهوف الكذب.

أولاً: عندما تمسك يا نيافة الأسقف بالتقدمة المقدسة لاستدعاء روح يسوع ورشم التقدمة بعلامة الصليب عند طلب تحول الخبز والخمر إلى جسد ودم ربنا يسوع المسيح، فهل هذا الجسد هو رماد ما تبقى من الرب على الجلجثة؟ ما هو أفضع هل هذه تقدمية وذبيحة محبة واحدة للثالوث أم هي تقدمية غضب وانتقام من الابن لكي يرضى الآب؟ فكيف وبأي معنى يمكن أن نفهم: "يعطى عنا خلاصاً وحياءً أبديةً لمن يتناول منه"؟ وكيف نصبح نحن الجسد الواحد والروح الواحد في الرب الواحد في "القدسات للقديسين"؟

لقد سرت قشعريرة في جسدي عندما رأيت البخور يُقدم لتمثال البابا شنودة، وأدركت أن من يفعل ذلك لم يسمع من الشيوخ أن البخور يقدم في الترحيم وفي رفع بخور باكر وعشية لأن المسيح الرب رئيس الكهنة هو البخور الذي قدم في المساء على الجلجثة حسب التسليم الليتورجي، وبخور الكنيسة هو شركة الكنيسة في خدمة رئيس الكهنة. ووجود الذبيحة والكاهن والمقدم يسوع المسيح والمقدس الروح القدس لا يحتاج إلى تماثيل لأن هذا هو إنكار للأساس اللاهوتي القبطي الأرثوذكسي الذي سلّم في الصلوات، وهو إنكار يشمل كهنوت

ربنا يسوع المسيح الذي أسس خدمة الكهنة في الليتورجية.

ثانياً: "شركاء في الجسد وشركاء في الشكل وشركاء في خلافة مسيحك". هذه عبارات صلاة الخضوع في القداس الكيرلسي، وتجد ذات الكلمات عند القديس كيرلس الكبير درست بعناية وافرة في أهم ما صدر من دراسات في هذا العام بعنوان "قصد الدهور"، حيث قدم الباحث الكثير من شرح القديس كيرلس عن سريان قوة المسيح وسلطان حياته الذي أباد الموت، وأرجو من القراء العودة إلى الفصل الثالث من هذه الدراسة التي صدرت عن دار بناريون

وأكتفي بعبارة صلاة القسمة: "ونحن الجلوس ف الظلمة زماناً، أنعم علينا بنور قيامته من قبل تجسده الطاهر، فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية لنضيء بشكلك المحيي".

كيف صرنا شركاء الجسد إلا لأن الرب جعلنا بتجسده اخوته؛ لأنه "بكر بين اخوة كثيرين".

وكيف صرنا شركاء في شكل المسيح، أي الشكل المحيي للرب، غلا لأن الرب أبطل بموته عز الموت، لكي يتغير شكل جسدنا "ليكون على صورة جسد مجده ... (فيليبي ٣: ٢١)، وهو ما أسهب في شرحه رسول الرب بولس في (١ كور ١٥: ٣٥ - ٥٠).

وكيف نصبح شركاء في خلافة أو مُلك المسيح، وهو ميراث الحياة الأبدية؟

لا يوجد طريق وسط بين الشرق والغرب

أعتقد أن هذه هي نهاية السحابة السوداء التي غطت سماء الكنيسة طوال ٤٠ عاماً.

"بصراحة تامة"، هل الدفاع عن تعليم البابا شنودة الثالث يعني ويسمح بالتدليس والكذب بأن لنا لاهوت يقف بين الشرق والغرب؟ أي شرقي هذا؟ هل هو شرق أثناسيوس الذي حُرِمَ ضمن ١٢ من آباء الكنيسة عندما مُنِعَ كتاب "أقوال مضيئة"؟

هل نحن لدينا لاهوت لا نشارك فيه الكنائس الأرثوذكسية، وهو ممتد من العصر الرسولي على الأقل حتى القرن الخامس (٤٥١)؟

أليس آباء القرون الخمسة الأولى هم آباء الكنيسة الجامعة، وبالذات أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير؟

هل المراد هو ضرب حركة ترجمة الآباء ونشر كذبة مؤداها أنها جزء من لاهوت جديد وفد مع دراسة مؤلفات الروس الأرثوذكس؟ حقاً لقد خاصم الحق القلب والقلم والشفاه عندما بدأ استعمال "لاهوت جديد"، دون تحديد لأن عمومية الاتهام هو حرمان عام للعودة إلى الآباء.

ماذا الكذب ونحن لم يكن لدينا كتاب واحد في أيدينا سوى المجلدات التي جاءت مع حركة ترجمة الآباء إلى اللغة الإنجليزية في أعوام ١٨٨٠ وما بعدها في جامعة أكسفورد، ويقابلها الآن السلسلة الفرنسية Sources Chretiennes

من الذي اختار أن يكون لاهوت أم الشهداء في منتصف الطريق بين الشرق، والمقصود هنا هو مجموعة الكنائس البيزنطية، وبين الغرب، وربما أصحاب هذه الكذبة يقصدون كنيسة روما؟ من الذي وضع أم الشهداء في هذا المأزق التاريخي سوى الدفاع عن:

* دفع ثمن الخطايا بدم الرب.

* إرضاء العدل الإلهي.

وكلتا الفكرتين لا وجود لهما في الأسفار ولا عند الآباء، وتدمران كل التسليم الكنسي الذي يمارس في الليتورجية للأسباب الآتية:

١ - نحن نشترك في تقديم ذبيحة ربنا يسوع، وهي ليست ذبيحة الصليب فقط، بل هي "الجسد الحيي"، جسد الحي القائم من بين الأموات، فكيف يتم لنا ذلك وهذا الجسد حسب الادعاء، قد احترق وتحول إلى رماد وهو معلق على الصليب، وتجيء فتوى الأنبا بيشوي السكرتير السابق بأن خشبة الصليب كانت

هي وقود المحرقة الذي تم فيه شواء جسد المخلص. هل هناك تهور أفضع من هذا؟ نحن نتناول خبز الحياة يسوع الرب لا ثمن الخطية، أم أن الكذب سوف يشمل إنكار السر برمته؟

٢- كيف صارت الكنيسة جسد المسيح الواحد؟ هل هي تحمل اللعنة والموت وغضب الآب على الابن أم أنها جسده الحقيقي؟ التهور والسخف بأن هناك ثلاثة أجساد هو تصور عقلي ينكر اتحاد الرب بنا والذي جعلنا جسده وشرحه الرسول بأنه زواج الرب بالكنيسة (أف ٥ : ٢٩ - ٣٢)، راجع كتاب قصد الدهور، ولاحظ دقة التعبير كيف "ضُفِّرَ" الرب مثل صغيرة الشعر، جسده بنا نحن جسده (ص ١٩٢ - ١٩٥). مبارك من جمع صفحات هذا الكتاب والذي لا أشك في أن زعماء قبطستان سوف يشنون عليه حرباً كالحرب التي شُنت على كتاب أقوال مضيئة.

٣- وصل الكذب إلى قلاية الأب وديد المقاري حيث اتُّهم بأنه يقود دير القديس أنبا مقار إلى التعليم الكاثوليكي. الاتهام لا يلغي التاريخ، ولا يقوى على تدمير تعليم الآباء، ولكن هذا هو حال قبطستان عندما يتبنى شخص ما الدفاع عما هو باطل، يكون مستعبداً لكل فكرة شاذة يظن أن فيها حياته. أما المسيح وقد تدفقت حياته فينا (راجع الفصل الثالث كله من كتاب قصد الدهور ابتداءً من ص ٣٤٢ وما بعدها لتجد أن غنى المسيح قد شملنا بشركة بنوته، أي صفته الأبنوية كأبناء). أما صراخ أبناء قبطستان بأننا صرنا مثل الرب في أزليته فهو صراخ الخوف من رد كرامة الإنسان في المسيح لكي تبقى الكنيسة واقفة على شاطئ الاستعباد وتجمع العبيد حولها.

دعوةٌ لاستشراف مستقبل الكنيسة القبطية^(١)

- ١ -

الأبحاث والحوار طريق المستقبل

توقفت دراسة أستاذنا الجليل والشريف د. وهيب عطالله عند القديس أغسطينوس في موضوع الخطية الأصلية، وهو أحد مكونات رد أغسطينوس على بدعة بيلاجيوس.

ولكل دراسة مجال زمني تقف عنده، ولكن ملف التاريخ مفتوح لا يمكن لأحد أن يغلقه، فقد امتد البحث في موضوع الخطية الأصلية في مجلد الأستاذ السابق:

N.P. Williams: The Ideas the Fall and Original Sin.

وهي محاضرات جامعة أكسفورد ونُشرت عام ١٩٢٤. ولم تتوقف عجلة البحث. الأكاديميات تكتب للمستقبل. وتصحيح الأخطاء لا يصاحبه تهديد بالحرمان أو القطع من شركة الكنيسة، وإنما بنشر ما لم يُنشر، وما توقف عنده البحث في فترة زمنية محددة.

في مناخ الحرية الفكرية تنشط الدوريات، وتظهر الكتب الدراسية لكي يتولى مراجعتها وإصلاحها الجيل الذي درس هذه الكتب ووجد فيها من القصور ما يستوجب الإصلاح، وهكذا اختفت مؤلفات بولتمان، وأصبح البحث عن يسوع التاريخ هو ما يكشف عن رؤية الباحث وحدودها.

كما غاب هرناك من قوائم الكتب الدراسية دون شتائم أو اتهامات، وقام كولمان Callmann وفي نفس الفترة الزمنية يواقيم جيرمياس بمراجعة ما صدر من

(١) مقالان نشرتا على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في يونيو ٢٠١٩.

دراسات، وجاءت أكبر حركة مراجعة مع بداية القرن العشرين ولا زالت.

طبعاً غاب من الفكر الأوربي برمته تراث الأرثوذكسية الذي برز دوره عندما بدأ الروس المهاجرون في نشر ما تؤمن به الكنيسة الأرثوذكسية عبر تاريخها الطويل، وأيضاً ما صدر عن جامعات اليونان بعد أن تحررت من توما الإكويني ومن سيادة لاهوت العصر الوسيط، في الفترة التي أطلق عليها المطران يوحنا زيزيولاس: "السي البابلي". وكان نشاط المهاجرين واليونانيين هو أيضاً صعب القبول في اليونان عند الذين عاشوا فترة السي البابلي واستفاقوا على ربيع عودة صوت الآباء.

وجاءت مؤلفات اليونانيين التي نُشرت بالفرنسية والألمانية والإنجليزية مثل يناراس ونوسيتوس وأغوريدس وعدد كبير من جيلٍ عاد إلى الآباء بعزم ومثابرة، وتغيّرت الصورة تماماً، ولكن بفضل تعب الباحثين.

العوامل الأساسية للنهضة

١ - حرية الباحث وإمكانية الرد في الدوريات أو الكتب.

٢ - تشجيع الباحثين، وهذا لا ينفي وجود مضايقات، ولكنها كانت محدودة بالقانون والمراجع التاريخية، فلم يُقَطَّع أو يُفَرَّز أي باحث.

كان سيف الاتهام بالهرطقة الذي أمسك به الأنبا شنودة الثالث موجهها إلى الأب متى المسكين، وسُجِّلَت محاضرات لاتزال على اليوتيوب عن هرطقات القمص متى المسكين، ثم امتد السيف نفسه إلى الأنبا غريغوريوس، وهو ما سجَّله بيده في خطابات نُشِرَ أغلبها. وكل من اختلف مع الأنبا شنودة مُنِعَتْ عنه صلاة الجناز بعد موته مثل د. نظمي لوقا والأستاذ موسى صبري، في حين أن منع صلاة الجناز هو عن المرتدين والمتحيرين فقط.

وقد شملني أنا ذات الاتهام والتهديد بمنع الصلاة عليّ بعد موتي. وقلت للأنبا شنودة إنني حضرت الجناز العام الذي يقام بعد قداس أحد الشعانين على الأقل

٢٠ مرة، وواحدة منها تكفي، وقلت له إن أسلوب التهديد لا يحل أي مشكلة.

الآثار البعيدة المدى

١ - ليست العبرة في مصطلح الخطية الأصلية أو المعصية الأولى أو غيرهما من كلمات، بل في وضع ذنب لم يكن لنا نحن ذرية آدم أي دور فيه بالمرة. وراثته ذنب آدم وليس فقط الخطية. واعتبار أن الخطية الأصلية وراثية وتنتقل في الزيجة، وكأن سر الزيجة وكل ما كُتِبَ عنه لم ينزع عن العلاقات الزوجية عار ذنب آدم. هذا دمار لكل مولود. في حين أن الرب نزع نجاسة الموت وأباد قوة الجحيم. ولا شك أن نسيان هذا العمل الإلهي العظيم يطوح بالإيمان في بئر مظلم. ولكن نشط الباحث الفرنسي Jean Delumeau في نشر الآثار التي أدت إليها التعليم بوراثة الخطية في الثقافة الأوروبية من القرن ١٣ حتى القرن ١٨ في كتاب Sin and Fear.

عندما نولد مذنبين، وهو الجانب السلبي المدمر الذي يحمله التعليم بالخطية الأصلية، فإننا لن نعيش في سلام، وسوف نتهم أصل وجودنا بأنه هو السبب في الفشل والاستعباد للخطية.

بعد مجمع الفاتيكان الثاني نشط المؤرخون الكاثوليك وحاصر بعضهم الخطية الأصلية بفقدان نعمة الصورة ونعمة سكنى الروح القدس، ولا تزال الأبحاث تُنشر كل عام عن القديس أغسطينوس.

أما عندنا، فالسؤال الحرج، ماذا فعلنا بالدارسين؟ وهم يعيشون تحت حزام الفقر. إن مَنْ ينفق الملايين على بناء الكنائس وليس لديه ميزانية للتعليم هو من يجلس على ملفات الماضي، وكأن الحاضر والمستقبل هو فقط ما يراه من فتحة بئر مظلم يقبع فيه.

البديلة العقابية تضرب وتدمر رشم الصليب. وكلمات التعميد التي تقال عند رشم الصليب: "باسم الآب والابن والروح القدس" تؤكد لنا أن الصليب هو استعلان محبة الثالوث لنا لأن "الله محبة"، والمحبة هنا ليست صفة من صفات الله،

ولكنها جوهره حسبما قال الرب نفسه: "لهذا يحبني الآب لأنني أضع نفسي
لأخذها أيضاً" (يو ١٠ : ١٧). وعندما يتحول صليب الرب إلى قانون أو شريعة،
فلا مجال بعد ذلك لأي حديثٍ عن محبة اله.
يا ليتنا ننظر إلى المستقبل، وندرس ونخطط لما سيكون عليه هذا المستقبل.

المستقبل ليس مجهولاً

إن ما حدث من تحولٍ في البنية العقلية والروحية طوال نصف القرن المنصرم من تاريخنا المعاصر، يحتاج إلى وقفةٍ مع النفس، ليس للإشارة إلى أخطاءٍ وخطايا، بل لتحديد ووصف هذا التحول ذاته؛ ذلك أن سمات المستقبل تكشف عن نفسها لمن يريد أن يراها، فهي، وإن كانت سابقاً في رحم الماضي، إلا أنها ولدت في الحاضر، وأصبح شكل المولود معروفاً الآن، وليس عسيراً معرفة ما سيكون عليه في قابل الأيام؛ لأن مَنْ وُلِدَ بعجزٍ بدنيٍّ كمن وُلِدَ بدون ساقين، لن يكون في يوم من الأيام بطلاً في المصارعة، أو العدو، ولكنه قد يتفوق في السباحة أو الرماية .. إلخ.

من رحم الماضي وُلِدَتِ اتهاماتٌ ظلت تُرَدَّدُ طوال سنوات دون فحصٍ، ودون بحث. وقد كانت هذه الاتهامات ولا تزال بمثابة الضباب الكثيف الذي حجب رؤية أناسٍ كثيرين. وكانت نتيجة انتشار هذه الاتهامات ودخائها الخانق، أن وُلِدَ الاحجامُ عن الحوار، وتوقفت مجلات كانت لها رسالة في كشف العوار، وحلَّ صمْتُ مَنْ يُراقِبُ منزله وهو يُسْرَقُ، عاجزاً حتى عن الاتصال بالشرطة، واكتفى بأن يهتم بخلاص نفسه، وساد فهمٌ خاطئٌ لكلام الرب: "لا تدينوا"؛ في حين أن الإدانة المقصودة في سياق القول نفسه هي رفض اليهود لتعليم الرب، واستدعاء الشريعة الموسوية لتحكم على هذا التعليم بالبطلان لأن قائله يشفي في السبت ويأكل مع الزناة والخطاة، أي الذين يكسرون وصايا الشريعة.

عندما كتب الأنبا شنودة: "اشفِ الذنب بالتعليم"، فقد حكم على أي رأيٍ مهما كانت مرجعيته بأنه ذنبٌ، وأن ما يكتبه هو من تعليم هو الدواء بعينه!!!

وترتب على ذلك أن نشأت كتائب الشيع متزامنةً مع المولود، الذي تمثَّل في الارتداد إلى أصوليةٍ ثقافيةٍ باسم الإيمان والعقيدة، فجمعوا كل ما يمكن جمعه من

شتائم، مؤكدين على أن المحاربين في كئائب الإعلام يتسمون بسمات عبيد الدونية والعجز العقلي والإحساس بعدم جدوى الوجود، وما يصاحب هذا من إعلاء لاعقلانية تعود إلى فقدان الوعي بقيمة الإنسان.

ولذلك ليس غريباً أن تصبح الأجواء المحيطة كلها، أجواء تخوين واتهام بالهرطقة. ولكن وعلى الرغم من ذلك، فنحن نرى أن العلاج يبدو وعلى الفور في عودة الدوريات العلمية إلى ممارسة دورها.

وإنه وإن كانت المحبة قد اختفت من الخطاب ومن الممارسة، فالحل ليس الحديث عن المحبة، بل في فتح كل ملفات الـ ٤٠ عاماً الماضية. ملفات الكل: القاضي، أو القضاة والمتهمين، فلا مكان بالمرّة لأي تمييز، ولكن يجب أن نأخذ في اعتبارنا:

+ لا مجال لدفع فواتير الماضي وتجرثم القضاة الذين وجدوا في الميكروفون محكمتهم العليا، وإنما المجال مفتوح لنشر الأبحاث قبل الحوار. وهذه الأبحاث هي التي سوف تكشف موقف هؤلاء القضاة، حتى دون محاكمة. هذا أفضل من الغليان الصامت الذي قد يؤدي في يوم من الأيام إلى تمرد على الإكليروس.

+ الطريق الضيق الذي قدّمه الرب يسوع لنا هو طريق اختفاء الأهواء، وهو طريقٌ طويل. ويجب أن نعلم أننا نهرب من المسؤولية عندما نضع الحمل الثقيل على كاهل قداسة البابا تواضروس وحده. ويجب أن نعلم أيضاً أن الطريق الضيق -في مثل ما نمر به من ظروف- هو ضخ الحياة في الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية الذي غاب عنه أشخاصٌ مثل د. وليم سليمان - الأستاذة إيريس المصري - د. سليمان نسيم، بل د. مراد وهبة - د. ميلاد حنا، وأسماءٌ لمعت في حياتنا ولكنها هُشّت عمداً وقصدًا.

الطريق إلى المستقبل واضح

يجب أن ننتبه إلى جهود القيادة السياسية للنهوض بمصر، ونتعلم منها، فمن يتابع هذه الجهود يرى أن هناك تقدماً في مجال الصناعة واكتشاف مصادر الطاقة، ثم الاتجاه نحو التعليم وتنوع مصادر السلاح ودعم القوات المسلحة بما هو حديث، بل وتصنيع بعض المعدات العسكرية. فالنهوض بالاقتصاد هو العمود الفقري الذي يحفظ كرامة مستقبل أي وطن. وغير خافٍ أن معاناة مصر لا تخفى على أحد، فعندما سافرت للدراسة في جامعة كمبردج ١٩٦٥ كان الدولار الأمريكي بما قيمته ٤٢ قرشاً، ولكن ما حدث بعد ذلك معروف.

وبناءً على ذلك لا بد من دعم مؤسسات التعليم، ومرة ثانية: الكلية الإكليريكية. فقد كان صدام المبعوثين مع أسقف التعليم هو صدام من درس الآباء مع الذي عاشوا على تراث العصر الوسيط. ولذلك كان الهجوم على هؤلاء بمثابة ستر عورة من لم يدرس.

ويجب أن يشمل هذا الدعم سد النقص الواضح عندنا في مجالات:

+ الكتاب المقدس بعهديه، ولا يجب أن يقترب من دراسات الكتاب المقدس من لا يتقن العبرانية واليونانية.

+ تاريخ العقيدة، أليس من العار أن يكون كتاب د. القس يوحنا الحضري هو المرجع المتوافر بين أيدي الأقباط الأرثوذكس.

+ التاريخ الكنسي، وما نشرته مؤسسة باناريون جديرٌ بكل تقدير، ولكن حاجتنا شديدة إلى توافر مدرس إلى جوار المراجع.

+ كتابات الآباء، وكانت مثل الفاكهة التي لا يذوق طعمها إلا من قرأ ما ترجم، ولم يكن لدينا مدرس، ولم تدخل في مناهج الدراسة إلا بعض فصول للقديس أنثاسيوس والقديس كيرلس في مادة اللاهوت المقارن لأستاذنا الأنبا غريغوريوس.

+ وذات الملاحظة خاصة بالقانون الكنسي، فقد مُنِعَ د. عوني برسوم من

التدريس، لمجرد أنه يمت بصلة قرابة للشهيد الأنبا صموئيل.
+ لا يمكن تجاهل ما نشره الأب أنناسيوس المقاري، فهو أفضل ما لدينا.
ودعوته للتدريس في الإكليريكية يجب أن تكون مطلباً أساسياً لأنه قدم لنا تاريخ
الليتورجيات القبطية.

+ + +